

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

التفسير
الطبراني

إعداد
مجموعة من العلماء



للمملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

التفسير الميسر

إعداد
مُخَبَّرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ

٢ جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٤١هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

التفسير الميسر (مقاس العادي) / جمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف - ط ٦ - المدينة المنورة . ١٤٤١هـ

٦٢٤ ص ؛ ١٣.٥ × ١٩.٣ سم

ردمك : ٢-٧٢-٨١٨٧-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - التفسير - الحديث أ. العنوان

١٤٤٠/١١٦٢٦

ديوي ٢٢٧.٦

رقم الإيداع : ١٤٤٠/١١٦٢٦

ردمك : ٢-٧٢-٨١٨٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة السادسة - مزيّدة ومُنقّحة

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تكملة
معالم نور المشور والابتلاء والهدى والارشاد
المشرف العام على المجتمع

إن الحمد لله محمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإنَّ القرآن العظيم أفضل كتاب أنزله الله على أفضل رسله، وجعله موعظة
وشفاء. قال تعالى: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكَ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَ وَنِهَاةٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ
وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وخصَّ ربُّنا من اجتمع لتلاوته وتدارسه بأربع جوائز، وهي: نزول
السَّكينة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، وحفَّ الملائكة بهم، وذكَّر الله لهم
فيمن عنده في الملأ الأعلى، كما قال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت
الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم
الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكَّروهم الله فيمن عنده». رواه مسلم.

فالقرآن العظيم منجاة لكلِّ مسلم يستبصر بآياته، ويتعظ بمواعظه
وأمثاله، ويقيف عند حلاله وحرامه، ويستجلي العبرة من أخباره وقصصه؛
بما يزيك بذلك نفسه، ويثبت التوحيد في قلبه، ويغرس فيه خشية الله، ويزيل
أسباب الكفر والفسوق والعصيان، ويجعل المجتمع كله كالصف الواحد.

وعلم التفسير من أشرف العلوم وأجلها، وأعظمها بركة، وأوسعها معرفة،
وحاجة الأمة إليه ماسة، وقد فصلَّ الله في القرآن كل شيء؛ فمن ابتغى العلم
من أفضل أبوابه وأحسنها فعليه بتدبر القرآن وفهمه ومعرفة معانيه، وهذا
أمر معلوم لمن اشتغل بتفسير القرآن؛ فإنه يجد فيه من أنواع العلوم النافعة

شيئاً كثيراً مباركاً؛ فهو جامع لأنواع العلوم النافعة كأصول الإيمان، والأحكام
الفقهية في مسائل العبادات والمعاملات، ونحوها، والآداب والأخلاق الكريمة،
والخصال الحميدة، وفيه بيان أمور صَلَّتْ فيها أُمم وطوائف كثيرة.

وكان ممَّا قامت به وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد العناية
التميزة بالقرآن الكريم وعلومه، من خلال ما يضطلع به مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف من طباعة القرآن الكريم، ونشر علومه النُعيْنة
على تلاوته وفهمه، فرأت أهمية وضع تفسير مختصر يشتمل على أهمِّ ما يحتاج
إليه المسلم من فهم ألفاظ القرآن ومعانيه، بصورة مجملة وافية؛ وَفَّقَ منهج
السلف الصالح، ويكون أساساً لما يطبعه المجمع من ترجمات معاني القرآن
الكريم إلى اللغات العالمية.

نسأل الله أن يجزي ولاية أمر هذه البلاد على جهودهم الزاكية في
خدمة الإسلام والمسلمين، وعنايتهم المتتابعة بكتاب الله تعالى وسنة
رسوله ﷺ، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز
آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن
عبدالعزیز، حفظهما الله جميعاً.

ونسأله سبحانه أن يرزقنا حسن تلاوة كتابه، وتدبر آياته، وامتنال أوامره
وأحكامه.

وَفَّقَ اللهُ الجَمِيعَ لما يحبه ويرضاه، وصَلَّى اللهُ على نبينا محمد وآله وصحبه
وسلم.

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

المشرف العام على المجمع

كَلِمَةٌ الْإِسْلَامِ الْعَرَبِيِّ الْمَلِكِ فِيهِ الظَّنُّ بِالْمُصْحَفِ وَالشَّرِيفِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فقد امتنَّ الله تعالى على بلادنا الغالية المملكة العربية السعودية بنزول القرآن الكريم في أراضيها، وجعل فيها بيته الحرامَّ وقبلة المسلمين، ومسجدَ رسول الله ﷺ، فانطلقت منها رسالة الإسلام والسلام إلى العالمين أجمعين.

ونظراً لهذه المنزلة الكريمة لهذه البلاد الطيبة اضطلعت قيادتها الحكيمة بالعناية بكتاب الله تعالى وخدمته من كافة الجوانب، فجاءت التوجيهات الكريمة بإنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وانطلقت مسيرته الحافلة بتوفيق الله تعالى، ثم بالدعم المادي والمعنوي، وكان تفسير القرآن الميسر واحداً من إصداراته المساندة لطباعة المصحف الشريف؛ سعياً لتيسير فهم طريق الهداية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقد أجريت عليه تصويبات خلال طباعته السابقة، وها هو يصدر اليوم في طبعته السادسة، بعد إتمام التصويبات الجديدة؛ حرصاً على إخراجه وفقاً لأصول التفسير العلمية، وبأسلوب سهل وعبارة واضحة.

وبهذه المناسبة يسرني أن أرفع وافر الشكر وخالص الدعاء لقيادتنا الحكيمة، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وولي العهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز حفظهما الله، على ما يقومون به من أعمال جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين ونصرة قضاياهم.

والشكر موصول لصاحب المعالي الشيخ الدكتور عبداللطيف بن
عبدالعزیز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد المشرف
العام على المجمع، الذي يرعى هذا الصرح، ويسعى جاهداً إلى رقيه ورفعته.
كما أشكر زملاء الأفاضل في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
الشريف على ما يبذلونه من جهود طيبة، وأعمال حثيثة لخدمة كتاب الله
تعالى.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

الأمين العام
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

أ.د. بدر بن عبدالموتلى

١٤٤٠/٦/١٢ هـ

مَقْرِئَاتِ التَّبَسُّمِ

الحمد لله الذي شرفنا بالقرآن الكريم، والصلاة والسلام على رسولنا
النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، فيه الغناء والسعادة، لا تملُّ
منه النفوس، ولا تنقضي عجائبه، ولم تعرف الإنسانية في تاريخها كتاباً يداي
القرآن الكريم أو يقاربه، في تأثيره في نفوس سامعيه أو قارئيه، أنزله الله
على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمد ﷺ، المبعوث رحمة
للعالمين، آية ظاهرة، وحنة قاطعة في استمراره وحفظه واعجازه وهدايته،
والتعبد بتلاوته وسامعه، والافتقار إلى هدايته، وتعاهد الإيمان به: اعتقاداً
وقولاً وعملاً.

وقد أخرج الله به البشرية من ظلم العبودية والجهل، إلى نور التوحيد
والعلم: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

والقرآن الكريم هو الميزان الواضح لحال الأمة الإسلامية، فكلمها اهتدت
بهدها وعملت به في جميع شؤونها، سعدت وعزَّت جانبها، وكلمها ابتعدت عنه
وضَعُفَ استمساکها به ابتليت بالدَّلة والتفرُّق، وتداعي الأُمم عليها، قال
تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ﴾ [الرِّخْف: ٤٤].

فهو شرف لهم من حيث إنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، وينبغي أن
يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، كما بيَّن ذلك الحافظ ابن كثير^(١)،
كما أنه عزَّ وجل سبَّح من شأن من أعرض عنه، فقد قال عمر رضي الله
عنه: «أَمَا إِنْ نَبِيكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ

(١) تفسير القرآن العظيم: (٢٢٩/٧).

آخرين»^(١)، فمن استمسك بحبله المتين فاز، ومن أعرض عنه خسرانا مبيئاً.

قال الإمام الشافعي: «فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووقفه الله للقول والعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيب، ونوّرت في قلبه الحكمة»^(٢).

وقد تكفّل سبحانه بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلم يزل محفوظاً في الصدور مكتوباً في السطور ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد يَسّر الله تبارك وتعالى ألفاظه للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبير، فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وبَيّن النبي ﷺ لأصحابه معانيه كما بيّن لهم ألفاظه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يُعلم أن الرسول ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، يتناول هذا وهذا»^(٣).

وظلّ الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى النبي ﷺ في فهم ما يُشكّل عليهم من معاني الآيات.

وبعد أن انقضى عهد الصّحْب الكرام، برَزَّ عدد من أعلام التابعين تتلمذوا عليهم، وأخذوا عنهم تفسير كتاب الله، وزادوا عليه ما استنبطوه وفهموه بأنفسهم؛ مما كان غامضاً على الناس في عصرهم.

وما زال علم التفسير في تَوْسَع حتى تجمّع منه الشيء الكثير، وبدأت تتضح معالم مدارسه باتجاهاتها المختلفة، وبدا بروزها مواكبةً لمرحلة التدوين للعلوم.

(١) رواد مسلم برقم: (٨١٧).

(٢) الرسالة: (١٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير: (٩).

ومن أهم مدارس التفسير: التفسير بالمأثور، ويشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن صحابته رضوان الله عليهم الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وما نقل عن التابعين الذين تهللوا من مدرسة النبوة عن الصحابة المفسرين التابعين.

ومن أهم كتب التفسير بالمأثور: «جامع البيان» للإمام الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ)، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، و«معالم التنزيل» للبيهقي المتوفى سنة (٥١٦هـ)؛ لأنه تحرى الصحة في معظم ما ذكر من الأقوال والروايات، وتفسير الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ)، وهو من أهم التفاسير وأعظمها نفعاً.

وقد شهد تدوين التفسير مرحلة جديدة، وهي مرحلة التفاسير التي يغلب عليها الطابع الاجتهادي لعلماء برعوا في مجالات مختلفة من العلوم، فكان منهم من يقتصر في تفسيره على العلم الذي يغلب عليه، فالفقيه يتردد المسائل الفقهية ويفرغ عليها فروعاً كثيرة، والإخباري يهتم بإيراد القصص، والتخوي يبرز الصناعة النحوية، وصاحب البلاغة يظهر الجانب البلاغي والإعجاز البياني، وهكذا. وكان منهم من جمع في تفسيره عدة علوم لها تعلق بالقرآن الكريم، وبعض هؤلاء المفسرين من أهل السنة والجماعة، وبعضهم من غيرهم من ذوي المعتقدات المبتدعة.

ومع تنوع اتجاهات التفسير -بعد عصر الصحابة- فسر القرآن الكريم بآراء تخالف ما صحح من تفسيره، أو تضاد م قواعد التفسير وأصوله، ووقع الخطأ في تفسير كلام الله تعالى؛ مما أدى إلى البعد عن هداية القرآن وإعجازه.

وترجع أسباب الخيطة عن فهم القرآن العظيم على الوجه الصحيح إلى عدة أمور، أهمها: العدول عن مصادر التفسير الموثوقة وأصوله الصحيحة، وعدم

الدقة في فهم مدلولات الآيات، أو إخضاعها للأهواء والبدع، ثم القصور في تطبيق الشروط اللازمة للتفسير.

وقد قام جماعة من علماء الإسلام بتنقية التفسير وتحرير ما داخله من تحريف وزيادات، وردّه إلى الوضع الصحيح والفهم السليم على ضوء مدرسة التفسير بالمأثور؛ مما يعين التالي لكتاب الله على فهم الآيات الكريمة وفق معناها الصحيح، والوصول إلى المقصد الأساس من التفسير.

وكانت الحاجة ماسة في هذا العصر إلى وضع تفسير مختصر ثراغى فيه أصول التفسير وموارده على منهج السلف الصالح، يكفل بيان التفسير على وجه مطمئن له القلوب، وثق به، ويُقدّم التفسير بعبارة وجيزة سهلة تتضح به معاني القرآن ومقاصده، وتظهر به مدلولات الألفاظ وتراكيبها؛ مما يغيب عن أذهان عامة الناس وإدراكهم.

إنّ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ليتشرف بأمانة تبليغ معاني القرآن الكريم لمن لا يتكلّم بالعربية ولا يعرفها، وهو باب دخله من ليس أهلاً له، ودخله المُعْرِض بقصد الافتراء والدسّ على كتاب الله.

ولقد اعترض المجمع عقبة عدم توافر ترجمات صحيحة لمعاني القرآن الكريم؛ إذ الترجمات المتوافرة عليها ملحوظات عديدة، وأي ترجمة تُرْتَشِح لطبعتها في المجمع تمسّر بمراحل مراجعة وتدقيق من عدة لجان أمينة ومتخصصة؛ لأجل استدراك النقص الذي يظهر فيها، ومع ذلك تظلّ الترجمة دون ما يطمح إليه المجمع.

وبعد دراسة متأنية رأى المجمع أن يُصدِر تفسيراً ميسراً للقرآن الكريم باللغة العربية، وفق أصول التفسير وموارده الأصيلة، يكون أساساً لما يطبعه المجمع من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى لغات الشعوب الإسلامية وغيرها.

وقد اختير لوضع صيغته الأولى نخبة من أساتذة التفسير المشهود لهم
بالعلم والكفاءة، ضمن ضوابط من أهمها:

١. تفسير الآيات وفق مذهب السلف الصالح في الاعتقاد.
 ٢. تقديم ما صحَّح من التفسير بالمأثور على غيره.
 ٣. الاقتصار في النقل على القول الصحيح، أو الأرجح.
 ٤. إبراز الهداية القرآنية ومقاصد الشريعة من خلال التفسير.
 ٥. كون العبارة مختصرة سهلة، مع بيان معاني الألفاظ الغريبة في أثناء التفسير.
 ٦. وقوف المفسر على المعنى المساوي للآية، وتجنب الزيادة الواردة في آيات أخرى؛ كي تُفسر في موضعها.
 ٧. إيراد معنى الآية مباشرة دون الحاجة إلى الأخبار، إلا ما دعت إليه الضرورة.
 ٨. كون التفسير وفق رواية حفص عن عاصم.
 ٩. تجنب ذكر القراءات، ومسائل النحو والصرف والإعراب، والبلاغة.
 ١٠. تفسير كل آية على حدة، وقد يتم جمع معنى آيتين أو أكثر حال ترابط المعنى، ولا تُعاذ ألفاظ النص القرآني إلا لضرورة، ويذكر في بداية تفسير كل آية رقمها.
 ١١. يكون التفسير بالقدر الذي تتسع له حاشية «مصحف المدينة النبوية».
 ١٢. مراعاة المفسر أن هذا التفسير سيجرم إلى لغات مختلفة، وتجنب ذكر المصطلحات التي يتعذر ترجمتها.
- وقد اجتهد الأساتذة الموكول إليهم إعداد التفسير بالضوابط المذكورة، وتم مراجعة ما كتبوه من قبل لجنة أولى في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف بالمدينة المنورة، ثم من قبل لجنّتين في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالرياض؛ حرصاً على أن يكون التفسير محققاً الغرض من وضعه، سليماً في معناه ومبناه.

ثم طبع طبعة أولى بأحجام مختلفة، فحرّص الناس على اقتنائه؛ لما امتاز به من يسر وسهولة في تأدية المعنى المراد.

وتم إهداء التفسير في طبعته التجريبية الأولى من قبل الوزارة والمجمع إلى أهل العلم، والمختصين في الدراسات القرآنية، وإلى عدد من الجامعات، ومراكز البحث العلمي.

وكما هي طبيعة الجهد البشري أنه لا يسلم من الغلط ولا يرقى إلى الكمال، وفيه مجال لمستدرك، فقد تلقت الوزارة وكذلك المجمع عدداً من الملاحظات المتباينة على «التفسير الميسر». فتمت دراسة جميع ما ورد من ملحوظات من قبيل لجنة ألفت لهذا الغرض في المجمع، فأخذت بالجيد من الملحوظات؛ مراعية منهج السلف في أصول التفسير وموارده، والضوابط المأخوذ بها في «التفسير الميسر».

وراجعت كذلك مجموعة من الألفاظ المتكررة في التفسير، نحو لفظ: «التّصديق» و«الجحد» و«اليقين»؛ لصلة هذه المصطلحات بالتفسير وبعقيدة السلف الصالح.

وراجعت معاني أسماء الله تعالى وصفاته، والنظائر اللفظية المتفقة في المعنى، نحو: ﴿الضُّور﴾، و﴿الضَّيِّبَاتِ﴾، بحيث تفسر هذه الألفاظ بالشيء نفسه في كل أماكن ورودها في التفسير.

وغيّرت لفظ «يا محمد» الوارد في تفسير بعض الآيات نداءً للنبي ﷺ إلى «أيها الرسول» إن كان سياق الآية في دعوة المشركين أو محاجّتهم، أو بيان ما عليه أهل الكتاب، أو في مقام التبليغ العام.

وغيّرت اللفظ المذكور إلى «أبها النبي» إن كان سياق الآية خطاباً للمؤمنين، أو بياناً لحكم شرعي، إلا في أحد عشر موضعاً من «التفسير» أبقى النداء بـ «يا محمد» كما هو؛ لكونه حكاية قول من لا يقرّ بنبوّة الرسول ﷺ.

وقد أخذت اللجنة بإضافة معنى آخر على المذكور في «التفسير الميسر» إن كان اللفظ القرآني يحتمل ذلك دون زجحان أحد المعنيين؛ لأن القرآن الكريم يعبّر فيه بالألفاظ القليلة الدالّة على المعاني الكثيرة.

وتّم ربط معنى الآية بما قبلها إذا كان الفهم متوقفاً على هذا الربط، ونوّبه في ختام تفسير عديد من الآيات التي زجّه الخطاب فيها للنبي ﷺ على أنها للأمة عامة، وإن كان الخطاب فيها خاصاً للنبي ﷺ.

وراعت اللجنة سهولة العبارة ووضوحها في التعديلات التي أخذت بها، ومناسبة ورود اللفظ في سياق تفسير الآية قدر الإمكان، واعتبار تبين جميع الألفاظ التي فيها غرابة على القارئ؛ كي لا يكون في السّياق إبهامٌ أو غموض.

وقد راعت اللجنة في جميع التعديلات التي أخذت بها أن يكون التفسير المأخوذ به موافقاً لرواية حفص عن عاصم من حيث المعنى والإعراب.

نسأل الله تعالى أن يجزّي كلّ من شارك في إعداد هذا التفسير أو مراجعته، حتى خرج بهذه الصورة القشبية، وأن يُعظّم لهم الأجر والثوبة على ما بذلوه من جهود.

وأن يوفّق الجميع لما يحب ويرضى إنه سميع الدعاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الاستعاذة

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

شرع الله تعالى لكل قارئ للقرآن العظيم، أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، قال سبحانه: ﴿قَدْ أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ أَنْ تَسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾؛ ذلك لأن القرآن الكريم هداية للناس وشفاء لما في الصدور، والشيطان سبب الشرور والضلالات، فأمر الله سبحانه كل قارئ للقرآن أن يتحصن به سبحانه من الشيطان الرجيم، ووساوسه، وجزبه.

وأجمع العلماء على أن الاستعاذة ليست من القرآن الكريم؛ ولهذا لم تُكتب في المصاحف.

ومعنى «أعوذ بالله»: أستجير، وأتحصن بالله وحده.

«من الشيطان» أي: من كل عابٍ متمردٍ من الجن والإنس، يضرني عن طاعة ربي، وتلاوة كتابه.

«الرجيم» أي: المطرود من رحمة الله.

[سورة الفاتحة]

سميت هذه السورة بالفاتحة؛ لأنه يُفتتح بها القرآن العظيم، وتسمى المثاني؛ لأنها تقرأ في كل ركعة، ولها أسماء أخرى.

[١] أبتدئ قراءة القرآن باسم الله مستعيناً به، ﴿الله﴾ علم على الرب -تبارك وتعالى- المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين، وهما اسمان من أسمائه تعالى. يتضمنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى، كما يليق بجلاله.

[٢] الفناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وينعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية. وفي ضمنه أمر لعباده أن يحدوه، فهو المستحق له وحدوه، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمرهم، المرئي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

[٣] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ذي الرحمة العامة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. وهما اسمان من أسماء الله تعالى.

[٤] وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال.

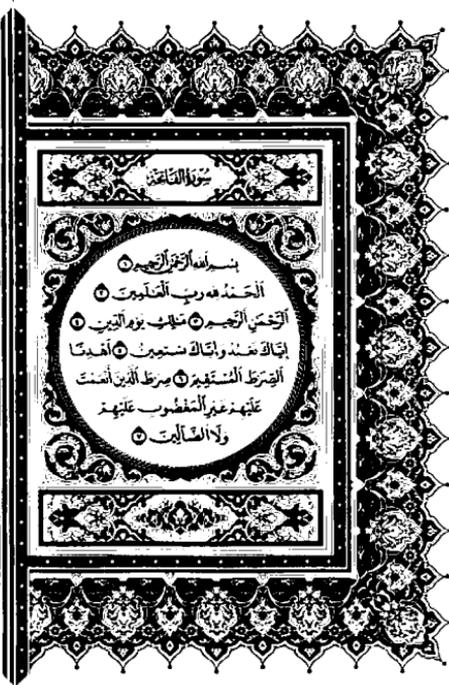
وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحث له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

[٥] إنا نخشك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة. وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة كالإيمان، والالتفات، والذبح، والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء، والعجب، والكبرياء.

[٦] دُفِّنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الطريق المستقيم، وثبتنا عليه حتى نلناك، وهو الإسلام الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دلَّ عليه خاتم رسله وأنبياؤه محمد ﷺ. فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

[٧] طريق الذين أعمت عليهم، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شككتهم، ولا تجعلنا من الضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق. وهم النصارى. ومن اتبع سنتهم. وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام، فمن كان أعرف للحق وأتبع له، كان أولى بالصراف المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلَّت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم، رضي الله عنهم.

ويستحب للمقارئ أن يقول في الصلاة بعد قراءة الفاتحة: (أمين)، ومعناها: اللهم استجب، وليست آية من سورة الفاتحة باتفاق العلماء؛ ولهذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.



[سورة البقرة]

[١] ﴿الَّتِ﴾ هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور، فيها إشارة إلى إعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مرگب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدل عجز العرب عن الإتيان بمثله - مع أنهم أفصح الناس - على أن القرآن وحى من الله.

[٢] ذلك القرآن هو الكتاب العظيم الذي لا شك أنه من عند الله، فلا يصح أن يرتاب فيه أحد لوضوحه، ينتفع به المتقون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهم الذين يخافون الله، ويتبعون أحكامه.

[٣] وهم الذين يُصدّقون بالغيب الذي لا تدركه حواسهم ولا عقولهم وحدها؛ لأنه لا يُعرف إلا بوحى الله إلى رسله، مثل الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ. -والإيمان: كلمة جامعة للإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. والقدر خيره وشره. وتصديق الإقرار بالقول

والعمل بالقلب واللسان والجوارح - وهم مع تصديقهم بالغيب يخافون على أداء الصلاة في مواقيتها أداءً صحيحاً وفق ما شرع الله لنبيه محمد ﷺ. ومما أعطيناهم من المال يخرجون صدقة أموالهم الواجبة والمستحبة.

[٤] والذين يُصدّقون بما أنزل إليك أيها الرسول من القرآن، وبما أنزل إليك من الحكمة، وهي السنة، وبكل ما أنزل من قبلك على الرسل من كتب، كالنوراة والإنجيل وغيرها، ويُصدّقون بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء. تصديقاً بقلوبهم يظهر على ألسنتهم وجوارحهم. وخص يوم الآخرة بالذكر؛ لأن الإيمان به من أعظم البواعث على فعل الطاعات. واجتناب المحرمات. ومحاسبة النفس.

[٥] أصحاب هذه الصفات على نور من ربهم ويتوفيق من خالقهم وهاديهم. وهم الفائزون الذين أدركوا ما طلبوا، ونجّوا من شر ما منه هربوا.



[٦] إن الذين جحدوا ما أنزل إليك من ربك استكباراً وطغياناً، لن يقع منهم الإيمان، سواء أخوفتهم وحذرهم - أيها الرسول - من عذاب الله، أم تركت ذلك؛ لإصرارهم على باطلهم.

[٧] طبع الله على قلوب هؤلاء، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غطاءً؛ بسبب كفرهم وعنادهم من بعد ما تبين لهم الحق، فلم يوفقه للهدى. ولهم عذاب شديد في نار جهنم.

[٨] ومن الناس فريق يتردد متحيراً بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم: صدقنا بالله وباليوم الآخر، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا.

[٩] يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بإظهارهم الإيمان وضمائرهم الكفر، وما يخدعون إلا أنفسهم؛ لأن عقوبة خداعهم تعود عليهم. ومن فرط جهلهم لا يحشون بذلك؛ لفساد قلوبهم.

[١٠] في قلوبهم شكٌ وفساد؛ فابتلوا بالمعاصي الموجبة

لعقوبتهم، فزادهم الله شكاً، ولهم عقوبة موجعة؛ بسبب كذبهم ونفاقهم.

[١١] وإذا نصحوا ليكفوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والمعاصي، وإفشاء أسرار المؤمنين، وموالة الكافرين، قالوا - كذباً وجدالاً -: إنما نحن أهل الإصلاح.

[١٢] إن هذا الذي يفعلونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، لكنهم بسبب جهلهم وعنادهم لا يحشون. [١٣] وإذا قيل للمناققين: آمنوا - مثل إيمان الصحابة، وهو الإيمان بالقلب واللسان والجوارح - جادلوا وقالوا: أنصدق مثل تصديق ضعاف العقل والرأي، فنكون نحن وهم في السفة سواء؟ فرد الله عليهم بأن السفة مقصور عليهم، وهم لا يعلمون أن ما هم فيه هو الضلال والخسران.

[١٤] هؤلاء المنافقون إذا قابلوا المؤمنين قالوا: صدقنا بالإسلام مثلكم، وإذا انصرفوا وذهبوا إلى زعمانهم الكفرة المتبردين على الله أكدوا لهم أنهم على ملة الكفر لم يتركوها، وإنما كانوا يتشققون بالمؤمنين. ويسخرون منهم.

[١٥] الله يستهزئ بهم ويمهلهم؛ ليردادوا ضلالاً وخيرة وتردداً، ويجازيهم على استهزائهم بالمؤمنين.

[١٦] أولئك المنافقون باعوا أنفسهم في صفقة خاسرة، فأخذوا الكفر، وتركوا الإيمان، فما كسبوا شيئاً، بل خسروا الهداية. وهذا هو الخسران المبين.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ آيَاتٌ أَمْ يَأْمُرُوكَ أَنْ أُنزِلَ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ آيَاتٌ أَمْ يَأْمُرُوكَ أَنْ تَبْرَأَ مِنَ الْكُفْرِ أَفَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ حَسْرَةَ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ يَخْتَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُمَآكِنُوا يَكْفُرُونَ ﴿٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٍ فَذُرُونَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا وَيَا بَأْسًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٢﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْتَمِدُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْشَأَ اللَّهُ لِكُفْرِهِمْ أَهْلًا بِأَلْهَدَىٰ فَمَأْرَهْتَ لِيَخَذَ مِنْهُم مَّا كَانُوا مُنْهَدِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهراً لا باطناً- برسالة محمد ﷺ، ثم كفروا، فصاروا ينتخبون في ظلمات ضلالهم وهم لا يشعرون. ولا أمل لهم في الخروج منها، تُثسب حال جماعة في ليلة مظلمة، وأوقد أحدهم ناراً عظيمة للدفع، والإضاءة، فلما سطعت النار وأنارت ما حوله، انطفأت وأعتمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون إلى طريق ولا مخرج.

[١٨] هم ضُلم عن سماع الحق سماع تدبر، بُكم عن النطق به، غُمي عن إِبصار نور الهداية، لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال.

[١٩] أو تُثسب حال فريق آخر من المنافقين يظهر لهم الحق تارة، ويشكُّون فيه تارة أخرى، حال جماعة يشبون في العراء، فينصبُّ عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق، والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُماً بَكَرُ عُنَى فَهَلْ لَهَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَيْسِبِ مِتِ السَّمَاءُ فِيهِ طُلُوتٌ وَرَعْدٌ وَنَرَقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنِيَةً فِيهِ إِذَا نَبِهَهُمُ مِنَ الصَّوْمِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَاذِبُونَ يُخْتَلَفُ أَبْصَرُهُمْ كُلَّمَا أُضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَحْمِلُوا يَهُ أَثْمَادًا وَاسْتَرْعِلُوا ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفاً من الهلاك. والله تعالى محيط بالكافرين لا يفوتونه ولا يعجزونه. [٢٠] يقارب البرق -من شدة لعانه- أن يُسلب أبصارهم، ومع ذلك فكلماً أضاء لهم مشواً في ضوئه، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيفقدون في أماكنهم. ولولا إمهال الله لهم لَسَلَب سَمْعهم وأبصارهم، وهو قادر على ذلك في كل وقت، إنه على كل شيء قدير.

[٢١] نداء من الله للبشر جميعاً: أن اعبدوا الله الذي رباكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

[٢٢] ربكم الذي جعل لكم الأرض بساطاً؛ لتسهل حياتكم عليها، والسماء محكمة البناء، وأنزل المطر من السحاب فأخرج لكم به من ألوان الثمرات وأنواع النبات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله نظراً في العبادة، وأنتم تعلمون تفرداً بالخلق والرزق، واستحقاقه العبودية.

[٢٣] وإن كنتم -أيها الكافرون المعاندون- في شكٍّ من القرآن الذي نزلنا على عبدنا محمد ﷺ، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

[٢٤] فإن عجزتم الآن -وستعجزون مستقبلاً لا محالة- فأثقوا النار بالإيمان بالنبي ﷺ وطاعة الله تعالى. هذه النار التي حطَّيها الناس والحجارة، أُعِدَّتْ للكافرين بالله ورسوله.

[٢٥] وَأَخْبِرُ - أيها الرسول - أهل الإيمان والعمل الصالح خيراً يملؤهم سروراً، بأن لهم في الآخرة حدائق عجيبة، تجري الأنهار تحت قصورها العالية وأشجارها الظليلة، كلما رزقهم الله فيها نوعاً من الفاكهة اللذيذة قالوا: قد رزقنا الله هذا النوع من قبل، فإذا ذاقوه وجدوه شيئاً جديداً في طعمه ولذته، وإن تشابه مع سابقه في اللون والمنظر والاسم، ولهم في الجنّات زوجات مطهّرات من كل ألوان الدنس الحسّي كالبول والحبيص، والمعنوي كالكذب وسوء الخلق، وهم في الجنة ونعيمها دائمون، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

[٢٦] إن الله تعالى لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قل أو أكثر، ولو كان تمثيلاً بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك، مما ضربه الله مثلاً ليعجز كل ما يُعبد من دون الله، فأما المؤمنون فيعلمون حكمة

الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فيستخرون ويقولون: ما مراد الله من ضرب المثل بهذه الحشرات الحفيرة؟

ويجيبهم الله بأن المراد هو الاختيار، وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرّف الله بهذا المثل ناساً كثيراً عن الحق لسخريتهم منه، ويوقف به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية، والله تعالى لا يظلم أحداً، لأنه لا يصرّف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

[٢٧] الذين ينكثون عهد الله الذي أخذ عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أئذ به بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ومخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

[٢٨] كيف تنكروا - أيها المشركون - وحدانية الله تعالى، وتشركون به غيره في العبادة مع الرهان القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم غير مخلوقين فأوجدكم ونفخ فيكم الحياة، ثم يميّتكم بعد انقضاء آجالكم التي حددها لكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء.

[٢٩] الله وحده الذي خلق لأجلكم كل ما في الأرض من النعم التي تنتفعون بها، ثم قصد إلى خلق السموات، فسوّاهنّ سبع سموات، وهو بكل شيء عليم، فعلمه سبحانه - محيط بجميع ما خلق.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رزَقُوا مِنْهَا مِنْ مَمْرُوقٍ رَزَقُوا قَالَ الْوَاهِدُ الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلِ وَأَتُوا بِهِءَ مُمْتَسِكِينَ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّهُ أَهْلٌ لَا يَسْتَحْيِي ءَأَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَمَا رَوَقَهَا قَالَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا قَالُوا مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا بِيضٌ بِهِ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرٌ أَوْ مَا بِيضٌ بِهِ ءَالَا الْفَلْسِيقِ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا ءَمَرَ اللَّهُ بِهِ ءَأَن يُوصَلَ وَيُبِيدُونَ فِي الْأَرْضِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَأُمُوتًا فَءَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُغْيِبُكُمْ ثُمَّ ءَأَلِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ءَأَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

[٣٠] واذكر - أيها الرسول - للناس حين قال ربك للملائكة: **إني جاعل في الأرض قوماً يخلف بعضهم بعضاً لعمارتهما**. قالت: يا ربنا علمنا وأرشدنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن من شأنهم الإفساد في الأرض وإراقة الدماء ظلماً وعدواناً ونحن طوع أمرك. ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونسجدك بكل صفات الكمال والجلال؟ قال الله لهم: **إني أعلم ما لا تعلمون من المصلحة الراجحة في خلقهم**.

[٣١] وبيانا لفضل آدم عليه السلام علمه الله أسماء الأشياء كلها، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قانلاً لهم: **أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات، إن كنتم صادقين في أنكم أؤن بالاستخلاف في الأرض منهم**.

[٣٢] قالت الملائكة: **ننزهك يا ربنا، ليس لنا علم**

وَأَذَقَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَهَا دَمْرَ الْأَسْمَاءِ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ تَأَدَّمُ أَنفُسُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُنذِرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَذَقْنَا الْمَلَائِكَةَ أَنَّسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلِكُلٍّ فِي الْأَرْضِ مَسْقَرٌ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ مِّنْ رَبِّهِمْ كَلَّمَآتٍ فَنَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ هُمُ التَّوَابُ الرَّجِيمُ ﴿٣٧﴾

إلا ما علمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشؤون خلقك، الحكيم في تدبيرك.

[٣٣] قال الله: **يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجزوا عن معرفتها**. فلما أخبرهم آدم بها. قال الله للملائكة: **لقد أخبرتكم أي أعلم ما خفي عنكم في السموات والأرض، وأعلم ما تظهرونه وما تخفونه**.

[٣٤] واذكر - أيها الرسول - للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: **اسجدوا لآدم إكراماً له وإظهاراً لفضله**. فأطاعوا جميعاً إلا إبليس امتنع عن السجود تكبراً وحسداً، فصار من الجاحدين بالله، العاصين لأمره. [٣٥] وقال الله: **يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعاً بشارها تمتعاً هينئناً واسعاً في أي مكان تشاء** إن فيها، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعوا في المعصية، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله.

[٣٦] فأوقعها الشيطان في الخطيئة: بأن وسوس لها حتى أكلت من الشجرة، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها. وقال الله لهم: **اهبطوا إلى الأرض**. يعادي بعضكم بعضاً - أي آدم وحواء والشيطان - ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء أجالكم.

[٣٧] فتلقى آدم بالقبول كلمات، ألهمه الله إياها توبة واستغفاراً، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَ تَقْوِيرًا وَلَآ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فتاب الله عليه، وغفر له ذنبه. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

[٣٨] قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعاً، وسيأتيكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق. فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.

[٣٩] والذين جحدوا وكذبوا بأياتنا المتلوة ودلائل توحيدنا، أولئك الذين يلازمون النار، هم فيها خالدون، لا يخرجون منها.

[٤٠] يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، واشكروا لي، وأنمو وصيتي لكم: بأن تؤمنوا بكلامي ورسلي جميعاً، وتعملوا بشرائعي. فإن فعلتم ذلك أتتم لكم ما وعدتكم به من الرحمة في الدنيا، والنجاة في الآخرة. وإيائي -وحدى- فخافوني، واحذروا نعمتي إن نقضتم العهد، وكفرتي بي.

[٤١] وأمنوا -يا بني إسرائيل- بالقرآن الذي أنزلته على محمد نبي الله ورسوله، موافقاً لما تعلمونه من صحيح التوراة، ولا تكونوا أول فريق من أهل الكتاب يكفر به، ولا تستبدلوا بإيائي شيئاً قليلاً من حطام الدنيا الزائل، وإيائي وحدي فاعملوا بطاعتي واتركوا معصيتي.

[٤٢] ولا تخبطوا الحق الذي بينت لكم بالباطل الذي افترىتموه، واحذروا كتمان الحق الصريح من صفة نبي الله ورسوله محمد ﷺ التي في كتبكم، وأنتم تجحدونها مكتوبة عندكم، فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

[٤٣] وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح، كما جاء بها نبي الله ورسوله محمد ﷺ، وتؤدوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين من أمته ﷺ.

[٤٤] ما أقبح حالكم وحال علمائكم حين تأمرون الناس بعمل الخيرات، وتتركون أنفسكم، فلا تأمرونها بالخير العظيم، وهو الإسلام، وأنتم تقرأون التوراة، التي فيها صفات محمد ﷺ، ووجوب الإيمان به!! أفلا تستعملون عقولكم استعمالاً صحيحاً؟

[٤٥، ٤٦] واستعينوا في كل أموركم بالصبر بجميع أنواعه، وكذلك الصلاة، وإنها لشاقة إلا على الحاشعين، الذين يخشون الله ويرجون ما عنده، ويوفون أنهم ملاقور ربهم جلّ وعلا بعد الموت، وأنهم إليه راجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

[٤٧] يا ذرية يعقوب تذكروا نعمي الكثيرة عليكم، واشكروا لي عليها، وتذكروا أي فضلناكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء، والكتب المنزلة كالنور والإنجيل.

[٤٨] وخافوا يوم القيامة، يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً، ولا يقبل الله شفاعة في الكافرين، ولا يقبل منهم فدية، ولو كانت أموال الأرض جميعاً، ولا يملك أحد في هذا اليوم أن يتقدم لنصرتهم وإنقاذهم من العذاب.

فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا قَالُوا يَا أَبْنَاءَ نَحْنُ هُنَا مِثْلُ مَا كُنْتُمْ فِيهَا فَاصْبِرُوا ۗ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ۗ وَالَّذِينَ يَذَّبُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّارِ إِذَا تَلَلَّتْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَلِفُونَ ۝٣٨
يَسْتَبِقُ سَبْعِينَ أَلْفًا أَوْ يَعْهَدُ مِثْلَ ذَلِكَ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْدَانَ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٣٩
لَمَّا مَكَرُوا لِيَأْتِيَهُمْ آيَاتُنَا رَدًّا وَهُمْ عَوَاقِلٌ ۝٤٠
يَسْتَبِقُ سَبْعِينَ أَلْفًا أَوْ يَعْهَدُ مِثْلَ ذَلِكَ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْوَيْدَانَ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤١
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٢
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٣
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٤
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٥
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٦
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٧
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيُكْفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ۝٤٨

[٤٩] واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه، وهم يذيقونكم أشد العذاب، فيكثرون من ذئب أبنائكم. ويستتبقون نساءكم للخدمة والامتهان. وفي ذلك اختبار لكم من ربكم، وفي إنجانكم منه نعمة عظيمة، تستوجب شكر الله تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

[٥٠] واذكروا نعمتنا عليكم حين فصلنا بسببكم البحر، وجعلنا فيه طرقاً يابسة، فعبرتم، وأنقذناكم من فرعون وجنوده، ومن الهلاك في الماء. فلما دخل فرعون وجنوده طرقكم أهلكتاهم في الماء أمام أعينكم.

[٥١] واذكروا نعمتنا عليكم حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونوراً لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتمو: بأيديكم معبوداً لكم من دون الله - وهذا أشنع الكفر بالله - وأنتم ظالمون بتخاذكم العجل إليها.

[٥٢] ثم تجاوزنا عن هذه الفعلة المنكرة، وقبّلنا

وَأَذِجْتِكُمْ قَيْنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُ مَوْتَكُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ
يَذِيحُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَاذْهَبْنَا بِعِزِّ الْبَيْتِ خَرَفًا يَجْتَمِعُ فِيكُمْ
وَأَعْرَفْنَا بِآلِ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَقْنَا نَظْرُونَ ﴿٥١﴾ وَاذْهَبْنَا مُوسَى
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً نَّمَا نَحْنُ ذُنُوبَ الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَشْرَقْنَا لَمُؤِنُونَ ﴿٥٢﴾
نَمَّا عَقَرْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ هَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ
الْعِجْلَ قَمِيصًا يَتُوبُونَ إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ
جَهَنَّمَ فَاخُذْ تِلْكَ الصَّيْعَةَ وَأَشْرَقْنَا نَظْرُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ
مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ
الْقَصَاةَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَٰتِ كُلُّوْا مِنْ طِيْنَتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٨﴾

توبتكم بعد عودة موسى؛ رجاء أن تشكروا الله على نعمه وأفضاله، ولا تتماذوا في الكفر والطغيان.

[٥٣] واذكروا نعمتنا عليكم حين أطينا موسى الكتاب الفارق بين الحق والباطل - وهو التوراة -؛ لكي تهتدوا من الضلالة.

[٥٤] واذكروا نعمتنا عليكم حين قال موسى لقومه: إنكم ظلمتم أنفسكم بتخاذكم العجل إليها، فتوبوا إلى خالقكم: بأن يقبل بعضكم بعضاً، وهذا خير لكم عند خالقكم من الخلود الأبدى في النار، فامتثلتم ذلك، فمضى الله عليكم بقبول توبتكم. إنه تعالى هو التواب لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

[٥٥] واذكروا إذ قلتم: يا موسى لن نصدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله. حتى نرى الله عياناً. فأخذتكم العقوبة المهلكة التي رأيتموها بأعينكم، فقتلتمكم بسبب ذنوبكم، وجرأتكم على الله تعالى.

[٥٦] ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة؛ لتشكروا نعمة الله عليكم. فهذا الموت عقوبة لهم، ثم بعثهم الله لاستيفاء أجالهم.

[٥٧] واذكروا نعمتنا عليكم حين كنتم تتيهون في الأرض؛ إذ جعلنا السحاب مظلاً عليكم من حرّ الشمس. وأنزلنا عليكم المَرَّ، وهو شيء يشبه الصَّغَّ طعمه كالعسل، وأنزلنا عليكم السَّلْوَى، وهو طير يشبه السَّاقَى، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تخالفوا دينكم، فلم تمتثلوا. وما ظلمونا بكفران النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ لأن عاقبة الظلم عائدة عليهم.

[٥٨] واذكروا نعمتنا عليكم حين قلنا: ادخلوا مدينة «بيت المقدس» فكلوا من طبيباتها في أي مكان منها أكلأ هنيئاً، وكونوا في دخولكم خاضعين لله، ذليلين له، وقلوا: ربنا ضغ علينا ذنوبنا، نستجب لكم وتغف عنكم ونسترها عليكم، وسزيد المحسنين بأعمالهم خيراً وثواباً.

[٥٩] فبئد الجائرون الضالون من بني إسرائيل قول الله، وحرّفوا القول والفعل جميعاً، إذ دخلوا يرحفون على أستاذهم وقالوا: حبة في شعرة، واستهزؤا بدين الله. فأنزل الله عليهم عذاباً من السماء؛ بسبب تمردهم وخروجهم عن طاعة الله.

[٦٠] واذكروا نعمتنا عليكم - وأنتم عظامش في النّية - حين دعانا موسى - بصراحة - أن نسقي قومه، فقلنا: اضرب بعصاك الحجر، فضرب، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، بعدد القبائل، مع إعلام كل قبيلة بالعين الخاصة بها حتى لا يتنازعوها. وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله، ولا تسعوا في الأرض مفسدين.

[٦١] واذكروا حين أنزلنا عليكم الطعام الحلو، والطير الشهي، فبطرتم النعمة كعادتكم، وأصابكم الضيق والملل، فقلتم: يا موسى لن نصبر على طعام ثابت لا يتغير مع الأيام، فادع لنا ربك يخرج لنا من نيات الأرض طعاماً من البقول والخضر، والقيّاء، والحبوب التي تؤكل، والعدس، والبصل. قال موسى - مستنكراً عليهم -: أطلبون هذه الأطعمة التي هي أقلّ قدرًا، وتتركون هذا الرزق النافع الذي اختاره الله لكم؟ اهبطوا من هذه البادية إلى أي مدينة، تجدوا ما اشتهيتهم كثيراً في الحقول والأسواق. ولما هبطوا تبين لهم أنهم يُقدّمون اختيارهم - في كل موطن - على اختيار الله، ويؤثرون شهواتهم على ما اختاره الله لهم؛ لذلك لزمتهم صفة الأُل وقرقر النفوس، وانصرفوا ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دين الله، ولأنهم كانوا يكفرون بأيات الله ويقتلون النبيين ظلماً وعدواناً، وذلك بسبب عصيانهم وتجاوزهم حدود ربهم.

وَإِذْ قُلْنَا اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ أَنْتَسَقْنَا مُوسَى يَقُومِيهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّا نَصَبْنَا عَلَى طَعَامِكَ وَرَجِدِ قَادِعًا لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا نَشَاءُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِهَا وَمِمَّا نَحْنُ بِرَبِّهَا وَفَوْقَهَا وَنَعَدُ سَيْهَا وَبِصَلَاتِهَا قَالِ اسْتَبِدُّوا عَلَيَّ الَّذِي هُوَ أَذَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِنْهَا وَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالسُّكُونَةُ وَبَاءَ وَيَقْصِبُ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ نَبَّأُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير المختصر

١٠

[٦٤] إن المؤمنين من هذه الأمة، الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا بشرعه، والذين كانوا قبل بعثة محمد ﷺ من الأمم السالفة من اليهود، والنصارى، والصابئين - وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه - هؤلاء جميعاً إذا صدقوا بالله تصديقاً صحيحاً خالصاً، وبيوم البعث والجزاء، وعملوا عملاً مرضياً عند الله، فثوابهم ثابت لهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وأما بعد بعثة محمد ﷺ خاتماً للنبيين والمرسلين إلى الناس كافة، فلا يقبل الله من أحد ديناً غير ما جاء به، وهو الإسلام.

[٦٣] واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا العهد المؤكد منكم بالإيمان بالله وإفراده بالعبادة، ورفعنا جبل الطور فوقكم، وقلنا لكم: خذوا الكتاب الذي أعطيناكم بجد واجتهاد واحفظوه، والأأ طبقنا عليكم الجبل، ولا تنسوا التوراة قولاً وعملاً؛ كي تتقوني وتحافظوا عقابي.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَمِيثَاقَهُمْ فِي السَّبْتِ فَقَالُوا لَهُمْ كُنُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُونَ هُنَّ حُرِّمًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا فِي ذَلِكَ قَالُوا إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْفُرُ عَوَالٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَاهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٧١﴾

[٦٤] ثم خالفتهم وعصيتهم مرة أخرى، بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل كشأنكم دائماً. فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة، والتجاوز عن خطاياكم، لصيرتم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

[٦٥] ولقد علمتم - يا معشر اليهود - ما حل من البأس بأسلافكم من أهل القرية التي عصت أمر الله، فيما أخذها عليهم من تعظيم السبت، فاحتالوا لاصطياد السمك في يوم السبت بوضع الشباك وحفر البرك. ثم اصطادوا السمك يوم الأحد؛ حيلة إلى المحرم. فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله قردة منبذين.

[٦٦] فجعلنا هذه القرية عبرة لمن يحضرها من القرى، يبلغهم خبرها وما حل بها، وعبرة لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب، وجعلناها تذكرة للصالحين؛ ليعلموا أنهم على الحق، فيثبتوا عليه.

[٦٧] واذكروا يا بني إسرائيل - جنابة أسلافكم، وكثرة تعنتهم وجداهم لموسى عليه الصلاة والسلام، حين قال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فقالوا - مستكبرين -: أجمعلنا موضعاً للسخرية والاستخفاف؟ فرد عليهم موسى بقوله: أستجير بالله أن أكون من المستهزئين.

[٦٨] قالوا: ادع لنا ربك يوضح لنا صفة هذه البقرة، فأجابهم: إن الله يقول لكم: صفتها ألا تكون مسنة هرة، ولا صغيرة فتيية، وإنما هي متوسطة بينهما، فسارعوا إلى امتثال أمر ربكم.

[٦٩] فعادوا إلى جداهم قائلين: ادع لنا ربك يوضح لنا لوونها. قال: إنه يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تُسَرُّ من ينظر إليها.

[٧٠] قال بنو إسرائيل لموسى: ادع لنا ربك يوضح لنا صفات أخرى غير ما سبق؛ لأن البقر - بهذه الصفات - كثير فاشتبه علينا ماذا نختار؟ وإننا - إن شاء الله - لمهتدون إلى البقرة المأمور بذبحها.

[٧١] قال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة غير مذلة للعمل في حراثة الأرض للزراعة، وغير معدة للسقي من الساقية، وخالية من العيوب جميعها، وليس فيها علامة من لون غير لون جلدها. قالوا: الآن جنت بحقيقة وصف البقرة، فاضطروا إلى ذبحها بعد طول المراوغة، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لعنادهم. وهكذا شدوا فشدَّ الله عليهم.

[٧٢] واذكروا إذ قتلتم نفساً فتنزعتم بشأنها، كل يدفع عن نفسه تهمة القتل، والله مخرج ما كنتم تخفون من قتل القتيل.

[٧٣] قتلنا: اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة المذبوحة، فإن الله سيعينه حياً، ويحركم عن قاتله.

فضربوه ببعضها فأحياه الله وأخبر بقاتله. كذلك نجى الله الموق يوم القيامة، ويريكم - يا بني إسرائيل - معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى؛ لكي تفكروا بعقولكم، تمننوا عن معاصيه.

[٧٤] ولكنكم لم تنتفعوا بذلك؛ إذ بعد كل هذه المعجزات الحارقة اشتدت قلوبكم وغلظت، فلم تنفذ إليها خيراً، ولم تلبس أمام الآيات الباهرة التي أريتموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصماء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأن من الحجارة ما يتسع وينفج حتى تنصب منه المياه، صلباً، فتصير أنهاراً جارياً، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال من خشية الله تعالى وتعظيمه. وما الله بغافل عما تعملون.

[٧٥] أيها المسلمون أنسيتم أفعال بني إسرائيل، فطمعت نفوسكم أن يصدق اليهود بدينكم؟ وقد كان علماءهم يسمعون كلام الله من التوراة، ثم يحرفونه بصرِّفه إلى غير معناه الصحيح بعد ما عقلوا حقيقته، أو بتحريف ألفاظه، وهم يعلمون أنهم يحرفون كلام رب العالمين عمداً وكذباً.

[٧٦] هؤلاء اليهود إذا لقوا الذين آمنوا قالوا بلسانهم: آمناً بدينكم ورسولكم المبشر به في التوراة، وإذا خلا بعض هؤلاء المنافقين من اليهود إلى بعض قالوا في إنكار: اتحدتوا المؤمنين بما بين الله لكم في التوراة من أمر محمد؛ لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم يوم القيامة؟ أفلا تفقهون فتحذروا؟

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا فِي هَذِهِ الْبَقَرَةِ تُشَبِّهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا
 إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلِيلٌ
 فِيهَا مِزَاجٌ مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَنفِثُ الْخَبْرَ مُسَمَّاةً لِأَنَّهُ يُعَذِّبُ بِهَا
 النَّاسَ فِي جَنَّةٍ بِالْحَقِّ فَبِذَّبَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ أَذًى وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلُوا
 فَعَنَاءٌ لَّنَفْسِهِمْ فَذَبْحُوا كَمَا أُوتُوا وَتَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
 قَتَلْنَا أَسْرَافِيئِيلَ بِسَبِّهِمْ فَذَبَحُوا بِهَا وَكَانُوا قَتِيلِينَ ﴿٧٢﴾
 وَإِذْ قَتَلْنَا نَادِيًّا وَقَدَرْنَا مَنَافِعَ هَدَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 فَكُنَّا نَبِيًّا فَبِذَّبَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ أَذًى وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلُوا
 فَعَنَاءٌ لَّنَفْسِهِمْ فَذَبْحُوا كَمَا أُوتُوا وَتَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾
 وَإِذْ قَتَلْنَا نَادِيًّا وَقَدَرْنَا مَنَافِعَ هَدَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 فَكُنَّا نَبِيًّا فَبِذَّبَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ أَذًى وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلُوا
 فَعَنَاءٌ لَّنَفْسِهِمْ فَذَبْحُوا كَمَا أُوتُوا وَتَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
 وَإِذْ قَتَلْنَا نَادِيًّا وَقَدَرْنَا مَنَافِعَ هَدَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 فَكُنَّا نَبِيًّا فَبِذَّبَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ أَذًى وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلُوا
 فَعَنَاءٌ لَّنَفْسِهِمْ فَذَبْحُوا كَمَا أُوتُوا وَتَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
 وَإِذْ قَتَلْنَا نَادِيًّا وَقَدَرْنَا مَنَافِعَ هَدَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 فَكُنَّا نَبِيًّا فَبِذَّبَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ أَذًى وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلُوا
 فَعَنَاءٌ لَّنَفْسِهِمْ فَذَبْحُوا كَمَا أُوتُوا وَتَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٧] أيفعلون كل هذه الجرائم، ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يخفونه وما يظهره؟
 [٧٨] ومن اليهود جماعة يجهلون القراءة والكتابة، ولا يعلمون التوراة وما فيها من صفات نبي الله ورسوله محمد ﷺ، وما عندهم من ذلك إلا أكاذيب وظنون فاسدة.

[٧٩] فهلاك ووعيد شديد لأخبار السوء من اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، وهو مخالف لما أنزل الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام؛ لياخذوا في مقابل هذا عرض الدنيا، فلهم عقوبة مهلكة بسبب كتابتهم هذا الباطل بأيديهم، ولهم عقوبة مهلكة بسبب ما يأخذونه في المقابل من المال الحرام، كالرشوة وغيرها.
 [٨٠] وقال بنو إسرائيل: لن تصيبنا النار في الآخرة إلا أياماً قليلة العدد. قل لهم -أيها الرسول مبطلاً دعواهم-: أعندكم عهد من الله بهذا، فإن الله لا

أولا يعلمون أن الله يعلم ما يُسروا وما يعلنون ﴿٧٧﴾
 ومنهن أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هزوا
 إلا أنظنن ﴿٧٨﴾ قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
 ثم يقولون هذا من عند الله ليس بوايه، ثمنا قليلاً
 قويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴿٧٩﴾
 وقالوا لن نحصن النار إلا أياماً معدودة قل
 اتخذنا عند الله عهداً قلن نخلف الله عهدده أمر
 نقولت على الله ما لا تعلمون ﴿٨٠﴾ بل من كسب سيئة
 وأحطت به، حطبتنه، فأولئك أصحاب النار هم
 فيها خالدون ﴿٨١﴾ والذير، امنوا وعملوا الصالحات
 أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿٨٢﴾ وإذا أخذنا
 ميثاق بني إسرائيل، لا نعبدون إلا الله وبالوالدين
 إحساناً وذي القربى واليتيم والمسكين وقولوا
 للناس حسناً وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ثم
 توليتهم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴿٨٣﴾

يخلف عهد؟ بل إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون بافترانكم الكذب.

[٨١] فحکمُ الله ثابت: أن من ارتكب الأثام حتى جرّته إلى الكفر، واستولت عليه ذنوبه من جميع جوانبه -وهذا لا يكون إلا فيمن أشرك بالله- فأولئك هم المشركون والكفار الذين يلازمون نار جهنم ملازمة دائمة لا تنقطع.

[٨٢] وحکم الله الثابت في مقابل هذا: أن الذين صدّقوا بالله ورسله تصديقاً خالصاً، وعملوا الأعمال المتفقة مع شريعة الله التي أوحاها إلى رسله، هؤلاء يلازمون الجنة في الآخرة ملازمة دائمة لا تنقطع.

[٨٣] واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً: بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تحسنوا للوالدين، وللأقربين، وللأولاد الذين مات أبواؤهم وهم دون بلوغ الخلق، ولل محتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وأن تقولوا للناس أطيب الكلام، مع أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم أغرظتم ونقضتم العهد -إلا قليلاً منكم ثبت عليه- وأنتم مستمرّون في إعراضكم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُونَ وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُمْ
 أَنْفُسَكُمْ فِي دِينِكُمْ فَذَرُونَهَا وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٦﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ فِي دِينِكُمْ يُنْهَرُونَ تَضَرَّعُوا إِلَيْهِمْ سَاجِدِينَ وَالْعَذَابُ
 وَإِن يَأْتُواكَ بِبُرْهَانٍ فَقَدْ حُبَّهِ طَغَىٰ وَهُوَ مِمَّنْ حَبَّ لَوْلَا
 إِخْرَاجُهُمْ أَفْئُتُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَافَرُونَ بِبَعْضِ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ وَالْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا وَنُورٌ قَلِيلٌ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَسَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ
 يَتَّبِعُ عَمَّا تَفْسَلُونَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَأُوا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٨٨﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيْدِنَهُ يُرِجُ
 الْفُلِينَ أَفَلَا يَفْقَهُونَ كَرِهَ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ
 اسْتَكَرَّوْهُ فَفَرِيقًا كَذَّبْتَهُمْ وَفَرِيقًا تَقْبَلُونَ ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا
 قَلْبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾

[٨٦] واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً في التوراة: يحرم سفك بعضكم دم بعض، وإخراج بعضهم بعضاً من دياركم، ثم اعترفتم بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

[٨٥] ثم أنتم يا هؤلاء، يقتل بعضهم بعضاً، ويخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، ويتقوى كل فريق منكم على إخوانه بالأعداء بغياً وعدواناً. وإن يأتوكم أسارى في يد الأعداء سعيتم في تحريرهم من الأسر، بدفع الفدية، مع أنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم. ما أقبح ما تفعلون حين تؤمنون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعضها! فليس جزاء من يفعل ذلك منكم إلا ذلٌّ وفضيحة في الدنيا، ويوم القيامة يرذمهم الله إلى أفضع العذاب في النار. وما الله بغافل عما تعملون.

[٨٦] أولئك هم الذين آمنوا الحياة الدنيا على الآخرة،

فلا يخفف عنهم العذاب، وليس لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله.

[٨٧] ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسول من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى بن مريم المعجزات الواضحات، وقوتناه بجبريل عليه السلام. أفلكم جاءكم رسول يوحى من عند الله لا يوافق أهواءكم. استعليتم عليه، فكذبتم فريقاً وتقبلون فريقاً؟

[٨٨] وقال بنو إسرائيل لربي الله ورسوله محمد ﷺ: قلوبنا مغطاة، لا يتفقد إليها قولك، وليس الأمر كما ادَّعَوْا، بل قلوبهم ملعونة، مطبوع عليها، وهم مطرودون من رحمة الله بسبب جحودهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

[٨٩] وحين جاءهم القرآن من عند الله مصدقاً لما معهم من التوراة جحدوه، وأنكروا نبوة محمد ﷺ، وكانوا قبل بعثته يستنصرون به على مشركي العرب، ويقولون: قُرب مبعث نبي آخر الزمان، وستنبهه ونقاتلكم معه. فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا صفاته وصدقته كفروا به وكذبوه. فلنعة الله على كل من كفر بنبي الله ورسوله محمد ﷺ، وكتابه الذي أوحاه الله إليه.

[٩٠] قُبِح ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم؛ إذ استبدلوا الكفر بالإيمان ظلماً وحسداً لإنزال الله -من فضله- القرآن على نبي الله ورسوله محمد ﷺ، فرجعوا بغضب من الله عليهم بسبب جحدوهم بالنبي محمد ﷺ، بعد غضب الله كذلك عليهم بسبب تحريفهم التوراة. وللجاحدين نبوة محمد ﷺ عذاب يذمهم ويحزبهم.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ ﴿٨٩﴾
 بِئْسَمَا أَنتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ عَلَيْنَ مَنْ بَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ
 قَبَاءً ۗ وَبِغْضِبِ عَلَيْنَا لِمَا عَلَّمْنَاهُمُ الْكُتُبَ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنْزِيلُ الْغَيْثِ وَإِنَّا لَنَرَاهُ فَوْقَهُمْ رُفُودًا ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ فُؤَادًا مَوْتِيَةً ﴿٩١﴾ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبًا سَمِيعًا وَتَصَدِّقُوا وَأَنْشُرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرْهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[٩١] وإذا قال بعض المسلمين لليهود: صدقوا بما أنزل الله من القرآن، قالوا: نحن نصدق بما أنزل الله على أنبيائنا، ويحجدون ما أنزل الله بعد ذلك، وهو الحق مصدقاً لما معهم، فلو كانوا يؤمنون بكتبهم حقاً لآمنوا بالقرآن الذي صدقها. قل لهم -أيها الرسول-: إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم، فلماذا قتلتم أنبياء الله من قبل؟

[٩٢] ولقد جاءكم نبي الله موسى بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع، وغير ذلك مما ذكره الله في القرآن العظيم، ومع ذلك اتخذتم العجل معبوداً، بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه، وأنتم متجاوزون حدود الله.

[٩٣] واذكروا حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً بقبول ما جاءكم به موسى من التوراة، فنقضتم العهد، فرفعنا جبل الطور فوق رؤوسكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بحجّة، واسمعوا وأطيعوا، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك؛ لأن عبادة العجل قد امتزجت بقلوبكم بسبب تماديكم في الكفر. قل لهم -أيها الرسول-: قُبِح ما يأمركم به إيمانكم من الكفر والضلال. إن كنتم مصدقين بما أنزل الله عليكم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ آذَانُ أَسْمَعُ عِنْدَ اللَّهِ حَالِصَةً مِمَّنْ
 دُوبِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْعَمَلُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَنْ
 يَسْتَوُوا أَيُّدِي إِيمَانًا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾
 وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِمَّنْ أَسْرَكُوا
 بُيُوتَهُمْ لِوَيْعَمَرِ الْقَدِّ سَتَمَةً وَمَا هُوَ بِمَنْزِلِ خَيْرِهِمْ مِنْ
 الْعَذَابِ أَنْ يَعْصِرَهُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ مَنْ
 كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
 اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾
 مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
 وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
 أَوْ كُنَّا عَلَيْهِمْ وَاعْتِهَادًا بِنَدْوَةٍ قَرِيبٍ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
 لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ قَرِيبٌ مِمَّنْ الذُّرْبِ أَوْ تَوَالِكَ كَتَبَ
 كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَتَبَتْ لَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾

[٩٤] قل - أيها الرسول - لليهود الذين يدعون أن الجنة خاصة بهم؛ لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أبناؤه وأحباؤه؛ إن كان الأمر كذلك فاذغوا على الكاذبين منكم أو من غيركم بالموت، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه.

[٩٥] ولئن يفعلوا ذلك أبداً لما يعرفونه من صدق النبي محمد ﷺ ومن كذبهم وافتراءهم، وبسبب ما ارتكبه من الكفر والعصيان، المؤذنين إلى حرمانهم من الجنة ودخول النار. والله تعالى عليم بالظالمين من عباده، وسيجازيهم على ذلك.

[٩٦] ولتعلمن - أيها الرسول - أن اليهود أشد الناس رغبة في طول الحياة؛ أيًا كانت هذه الحياة من الذلّة والمهانة، بل تزيد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشركين. يتنى اليهودي أن يعيش ألف سنة، ولا يُبعده هذا العمر الطويل - إن حصل - من عذاب الله. والله تعالى لا يخفى عليه شيء، من أعمالهم، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من العذاب.

[٩٧] قل - أيها الرسول - لليهود حين قالوا: إن جبريل هو عدونا من الملائكة: من كان عدواً لجبريل فإنه نزل القرآن على قلبك بإذن الله تعالى مصدقاً لما سبقه من كتب الله، وهاجياً إلى الحق، ومبشراً للمصدقين به بكل خير في الدنيا والآخرة.

[٩٨] من عادى الله وملائكته، ورسله من الملائكة أو البشر، وبخاصة السلكان جبريل وميكايل؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكايل ولئيمهم، فأعلمهم الله أنه من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضاً، فإن الله عدو للجاحدين ما أنزل على رسوله محمد ﷺ.

[٩٩] ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات بينات واضحات، تدل على أنك رسول من الله صدقاً وحقاً، وما ينكر تلك الآيات إلا الخارجون عن دين الله.

[١٠٠] ما أقبح حال بني إسرائيل في نقضهم للعهد!! فكلما عاهدوا عهداً طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، فتراهم يُترمون العهد اليوم وينقضونه غدًا، بل أكثرهم لا يصدقون بما جاء به نبي الله ورسوله محمد ﷺ.

[١٠١] ولما جاءهم محمد رسول الله ﷺ بالقرآن الموافق لما معهم من التوراة طرح فريق منهم كتاب الله، وجعلوه وراء ظهورهم. شأنهم شأن الجهال الذين لا يعلمون حقيقته.

[١٠٢] واتبع اليهود ما تحدث الشياطين به السحرة على عهد ملك سليمان بن داود. وما كفر سليمان وما تعلم السحر. ولكن الشياطين هم الذين كفروا بالله حين علموا الناس السحر؛ إفساداً لدينهم. وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكيين هاروت وماروت، بأرض «بابل» في «العراق» امتحاناً وابتلاء من الله لعباده. وما يعلم الملاك من أحد حتى ينصحه ويحذره من تعلم السحر، ويقول له: لا تكفر بتعلم السحر وطاعة الشياطين. فيتعلم الناس من الملكيين ما يجديشون به الكراهية بين الزوجين حتى يتفرقا. ولا يستطيع السحرة أن يضروا به أحداً إلا بإذن الله وقضائه. وما يتعلم السحرة إلا شراً يضرهم ولا ينفعهم. وقد نقلته الشياطين إلى اليهود، فشاع فيهم حتى فضلوه على كتاب الله. ولقد علم اليهود أن من اختار السحر وترك الحق ما له في الآخرة من نصيب في الخير. ولبئس ما باعوا به

وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكٍ مُّسْمًّى وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلَا كَفَرَ السَّيِّطُونَ كَفَرُوا بِعِلْمِنَا نَتَّسَبُ إِلَيْهِمْ وَمَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِسَابِئِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقٌّ يَقُولَا إِنَّمَا تُحَنُّنُ فَتَنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ النَّسِئِ وَرُؤُوسِهِمْ وَمَا هُمْ بِبَصَّاءِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا لَمِينَ اسْمٰرِينَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَّفُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَمَسُوهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ بَيِّنَاتٍ لِّهَا الْآيَاتِ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِيءَاسًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكَمُ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

أنفسهم من السحر والكفر عوضاً عن الإيمان ومتابعة الرسول، لو كان لهم يعلم بشر العمل بما وعظوا به. [١٠٣] ولو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم من السحر وما اكتسبوه به. لو كانوا يعلمون ما يحصل بالإيمان والتقوى من الثواب والجزاء علماً حقيقياً لآمنوا.

[١٠٤] يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للرسول محمد ﷺ: راعنا، أي: راعنا سمعك، فافهم عنا وأفهمنا؛ لأن اليهود كانوا يقولونها للنبي ﷺ، يلورون ألسنتهم بها، يقصدون سبه ونسبته إلى الرعونة، وقولوا -أيها المؤمنون- بدلاً منها: انظرننا، أي انظرن إلينا وتعهدنا. وهي تؤدي المعنى المطلوب نفسه، واسمعوا ما يتلى عليكم من كتاب ربكم وافهموه. وللجاحدين عذاب موجه.

[١٠٥] ما يجب الكفار من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم أدنى خير من ربكم قرآناً أو علماً، أو نصراً أو بشاراً. والله يختص برحمته من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

[١٠٦] ما نبيدُ من آيةٍ أو نزلها من القلوب والأذهان نأت بأفئع لكم منها، أو نأت بمثلها في التكليف والشواب، ولكلِّ حكمة. ألم تعلم -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله قادر لا يعجزه شيء؟

[١٠٧] أما علمت -أيها النبي- أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السموات والأرض؟ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيفما شاء، وعليهم الطاعة والقبول، وليعلم من عصى أن ليس لأحد من دون الله من وليٍّ يتولاها، ولا نصير بمنعم من عذاب الله.

[١٠٨] بل أتريدون -أيها الناس- أن تطلبوا من رسولكم محمد ﷺ أشياء يقصد العناد والمكابرة، كما طلب مثل ذلك من موسى. واعلموا أن من يختر الكفر ويترك الإيمان فقد خرج عن صراط الله المستقيم إلى الجهل والضلال.

[١٠٩] تمنى كثير من أهل الكتاب أن يرجعوك بعد

إيمانكم كفاراً كما كنتم من قبل تعبدون الأصنام؛ بسبب الحقد الذي امتلأت به نفوسهم من بعد ما تبين لهم صدق نبي الله ورسوله محمد ﷺ فيما جاء به، فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ، واصفحوا عن جهلهم، حتى يأتي الله بحكمه فيهم بقتالهم (وقد جاء ووقع)، وسيعاقبهم لسوء أفعالهم. إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

[١١٠] واشتغلوا -أيها المؤمنون- بأداء الصلاة على وجهها الصحيح، وإعطاء الزكاة المفروضة. واعلموا أن كل خير تقدمونه لأنفسكم تجدون ثوابه عند الله في الآخرة. إنه تعالى بصير بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

[١١١] ادَّعى كلُّ من اليهود والنصارى أن الجنة خاصة بطائفته لا يدخلها غيرهم، تلك أوهامهم الفاسدة. قل لهم -أيها الرسول-: أحضروا دليلكم على صحة ما تدَّعون إن كنتم صادقين في دعواكم.

[١١٢] ليس الأمر كما زعموا أن الجنة تختص بطائفة دون غيرها. وإنما يدخل الجنة من أخلص لله وحده لا شريك له، وهو متبع للرسول محمد ﷺ في كل أقواله وأعماله. فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربه في الآخرة، وهو دخول الجنة، وهم لا يخافون فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

* مَا تَسْخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَزَّلْنَاهَا نَاتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ وَجَّهْنَا
الْفَرْقَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ الْفَرْقَانَ
اللَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ كَمَا سَبَّلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يُرِيدُونَ نُكْرًا مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِمْ
كَمَا زَارُوا حَسَنًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ
إِنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ
مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِمَّا
كَانَ هُوَذَا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ تِلْكَ مِنْ أَسْمَاءِ رِجَالِهِمْ
اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

[١١٣] وقالت اليهود: ليست النصرى على شيء، من الدين الصحيح. وكذلك قالت النصرى في اليهود وهم يقرؤون التوراة والإنجيل، وفيهما وجوب الإيمان بالأنبياء جميعاً. كذلك قال الذين لا يعنون من مشركي العرب وغيرهم مثل قولهم، أي قالوا لكل ذي دين: لست على شيء، فإلهه يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ويجازي كلًا بعمله. [١١٤] لا أحد أظلم من الذين منعوا ذكر الله في المساجد من إقام الصلاة، وتلاوة القرآن، ونحو ذلك، وجدوا في تحريمها بالهدم، أو الإغلاق، أو بمنع المؤمنين منها. أولئك الظالمون ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلا على خوف ووجل من العقوبة. لهم بذلك ذلٌ وفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد.

[١١٥] والله جهتا شروق الشمس وغروبها وما بينهما، فهو مالك الأرض كلها. فأى جهة توجهتم إليها في الصلاة بأمر الله لكم فإنكم مبتغون وجهه، لم تخرجوا عن ملكه وطاعته. إن الله واسع الرحمة بعباده، عليهم بأفعالهم، لا يغيب عنه منها شيء.

[١١٦] وقالت اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله لنفسه ولداً، تزوّج الله - سبحانه - عن هذا القول الباطل، بل كل ما في السموات والأرض ملكه وعبيده، وهم جميعاً خاضعون له، مسخّرون تحت تدبيره. [١١٧] والله تعالى هو خالق السموات والأرض على غير مثال سبق. وإذا قدر أمرأ وأراد كونه فإنما يقول له: «كن» فيكون.

[١١٨] وقال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم لنيبي الله ورسوله محمد ﷺ على سبيل العناد: هلاً يكلمنا الله مباشرة ليخبرنا أنك رسوله، أو تأتينا معجزة من الله تدل على صدقك. مثل هذا القول قائله الأمم من قبل لرسولها عناداً ومكابرة؛ بسبب تشابه قلوب السابقين واللاحقين في الكفر والضلال. قد أوضحنا الآيات للذين يصدّقون تصديقاً جازماً؛ لكونهم مؤمنين بالله تعالى، متّبعين ما شرعه لهم.

[١١٩] إنا أرسلناك - أيها الرسول - بالدين الحق المؤيد بالحجج والمعجزات، فبلغه للناس مع تبشير المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة، وتخويف المعاندين بما ينتظرهم من عذاب الله، ولست - بعد البلاغ - مسؤولاً عن كفر من كفر بك؛ فإنهم يدخلون النار يوم القيامة ولا يخرجون منها.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ أَكْثَرَكُمْ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَ اللَّهُ إِنَّكُمْ تُبْهِنُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
مَتَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ. وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا أَحَابِيثَ لَمْ يَخِفْ
اللَّيْسَاءُ خَرِيٌّ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الشَّهِيدُ
وَالْمَعْرُوفُ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَتَوَلَّوْهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ رَسَعَ عَلَيْهِمْ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قَبِيضٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهْتُمْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَدَّيْنَا الْأَلْبَابَ لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ
 إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِي بِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ اللَّهِ وَابْتَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بِمِلَّةِ الَّذِي
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ لِيٍّ وَلَا فَصِيرٍ ﴿١٣١﴾ الَّذِينَ
 آمَنُوا بِالْكِتَابِ بِأُولَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ أَتْلُوهُ حَتَّىٰ تَلَوتَهُ ۚ وَأَتْلُوهُ نَوَافِلَهُمْ ۚ وَمَنْ
 يَكْتُمِبْهُ ۚ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣٢﴾ يَنْبِيئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرَ الْغَاثِ
 أَتَىٰ أَتَمَّتْ عَلَيْكَ وَإِنِّي فَصَلَّيْتُكَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَأَتَمَّتْ أَوْتَمَّا
 لَا تَجْزِي نَفْسٍ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
 شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٤﴾ ۚ وَإِذْ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَيْسِي
 فَأَتَمَّتْ قَالَ إِبْنِ جَاعِلًا لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ
 لَا يَتَّخِذُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
 وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَأِسمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣٦﴾
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ
 مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
 فَأَمْتِغُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَنْظِرُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ النَّصِيرُ ﴿١٣٧﴾

(١٣٠) ولن ترضى عنك - أيها الرسول - اليهود ولا
 النصرارى إلا إذا تركت دينك واتبعت دينهم. قل
 لهم: إن دين الإسلام هو الدين الصحيح. ولئن اتبعت
 أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الوحي ما لك عند
 الله من ولي ينفعك. ولا نصير ينصرك. وهذا الخطاب
 وإن كان خاصاً بالنبي ﷺ، فهو موجّه إلى الأمة عامّة.
 (١٣١) الذين أعطيتهم الكتاب من اليهود والنصارى،
 يقرؤونه القراءة الصحيحة، ويتبعونه حقّ الاتباع،
 ويؤمنون بما جاء فيه من الإيمان برسول الله، ومنهم
 خاتمهم نبينا ورسولنا محمد ﷺ، ولا يحرفون ولا
 يبدلون ما جاء فيه. هؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي
 محمد ﷺ وبما أنزل عليه، وأما الذين بدلوا بعض
 الكتاب وكتموا بعضه، فهؤلاء كفار بنبي الله محمد
 ﷺ وبما أنزل عليه، ومن يكفر به فأولئك هم أشد
 الناس خساراً عند الله.

(١٣٢) يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم،

وأني فضّلْتُكم على عالمي زمانكم بكثرة أنبيائكم، وما أنزل عليهم من الكتب.

(١٣٣) وخافوا أهوال يوم الحساب إذ لا تغني نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل الله منها فدية تتجيهما من العذاب،
 ولا تنفعها وساطة، ولا أحد ينصرها.

(١٣٤) واذكر - أيها النبي - حين اختبر الله إبراهيم بما شرع له من تكاليف، فأذاها وقام بها خير قيام. قال الله
 له: إني جاعلك قدوة للناس. قال إبراهيم: رب اجعل بعض نسلي أئمة فضلاً منك، فأجابه الله سبحانه أنه لا
 تحصل للظالمين الإمامة في الدين.

(١٣٥) واذكر - أيها النبي - حين جعلنا الكعبة مرجعاً للناس. يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلبيهم، ثم يعودون إليه، وتجمعاً
 لهم في الحج والعمرة والطواف والصلاة. وأمناً لهم. لا يُغيّر عليهم عدوّ فيه. وقلنا: اتحدوا من مقام إبراهيم مكاناً
 للصلاة فيه، وهو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عند بنائه الكعبة، وأوحينا إلى إبراهيم وابنه إسماعيل: أن طهرا
 بيتي من كل رجس وندس: للمتعبدين فيه بالطواف حول الكعبة، أو الاعتكاف في المسجد. والصلاة فيه.

(١٣٦) واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم داعياً: رب اجعل مكة بلداً آمناً من الخوف. وارزق أهلها من أنواع
 الثمرات، وحضّ بهذا الرزق مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال الله: ومن كفر منهم فأرزقه في الدنيا وأمتعه
 متاعاً قليلاً، ثم ألحقه مرعماً إلى عذاب النار. وبئس المرجع والمقام هذا المصير.

التفسير المختصر

[١٢٧] واذكر - أيها النبي - حين رفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يدعوان الله في خشوع: ربنا تقبل منّا صالح أعمالنا ودعاءنا، إنك أنت السميع لأقوال عبادك، العليم بأحوالهم.

[١٢٨] ربنا واجعلنا ثابتين على الإسلام، منقادين لأحكامك، واجعل من ذريتنا أمة منقادة لك، بالإيمان، وبصّرنا بمعالم عبادتنا لك، وتجاوز عن ذنوبنا. إنك أنت كثير التوبة على عبادك، واسع الرحمة بهم.

[١٢٩] ربنا وابعث في هذه الأمة رسولاً من ذرية إسماعيل يتلو عليهم آياتك ويعلمهم القرآن والسنة، ويطهرهم من الشرك وسوء الأخلاق. إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

[١٣٠] ولا أحد يُعرض عن دين إبراهيم - وهو الإسلام - إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في

وَأَذْرِغْهُمْ بِزُرْعِهِمْ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يُزَكِّبْ عَنْ يَدِهِ بِزُرْعِهِمْ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِعْ قَالَ أَسْمِعُ لِمَنْ أَلَّامَتْ لِي لَيْلِي الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَضِعُهَا بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ إِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآكَرُ مَا كَسَبَتْ وَلَا تَسْتَلُونَهَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

الدنيا نبياً ورسولاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات.

[١٣١] وسبب هذا الاختيار مسارعه إلى الإسلام دون تردد، حين قال له ربه: أخلص نفسك لله متقاداً له. فاستجاب إبراهيم وقال: أسلمت لرب العالمين، إخصاصاً وتوحيداً ومحبة وإنابة.

[١٣٢] وحثّ إبراهيم ويعقوب أبناءهما على الشبث على الإسلام قائلين: يا أبناءنا إن الله اختار لكم هذا الدين - وهو دين الإسلام - فلا تفارقوه أيام حياتكم، ولا يأتكم الموت إلا وأنتم عليه.

[١٣٣] أكنتم - أيها اليهود - حاضرين حين جاء الموت يعقوب، إذ جمع أبناءه وسألهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، ونحن له منقادون خاضعون.

[١٣٤] تلك أمة من أسلافكم قد مضت، لهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم، وهم لا يسألون عن أعمالكم، وكل سبجاري بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلا إيمانه وتقواه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ الَّذِينَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنِ اتَّخَذُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَتْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنِ قَوْلُوا
 فَأَتَاهُمْ فِي شِقَاقِ فَسَيْفِكُمْ هُمْ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾
 صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ إِنَّمَا حُوتِنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَإِنْ كُنْتُمْ
 وَرَاءَنَا أَعْمِلُوا وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
 أَنْ تَقُولُوا إِنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ أَنَّ
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَتُمِ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَنَّهُ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَتَّبِعُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] وقالت اليهود لأمة محمد ﷺ: ادخلوا في دين اليهودية تجحدوا الهداية، وقالت النصارى لهم مثل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: بل الهداية أن تتبع -جميعاً- ملة إبراهيم، الذي مال عن كل دين باطل إلى دين الحق، وما كان من المشركين بالله تعالى.

[١٣٦] قولوا -أيها المؤمنون- هؤلاء اليهود والنصارى: صدقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب، والأسباط -وهم الأنبياء من ولد يعقوب، الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة-، وما أعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل. وما أعطي الأنبياء جميعاً من وحي ربهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.

[١٣٧] فإن آمن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، بمثل الذي آمنتم به، مما جاء به الرسول، فقد اهتدوا

إلى الحق، وإن أعرضوا فإنما هم في خلاف شديد، فسيفيك الله -أيها الرسول- شرهم وينصرك عليهم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم.

[١٣٨] الزموا دين الله الذي فطركم عليه، فليس هناك أحسن من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالزموها، وقولوا: نحن له خاضعون مطيعون لرئبنا في اتباعنا ملة إبراهيم.

[١٣٩] قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب: أتجادلوننا في توحيد الله والإخلاص له، وهو رب العالمين جميعاً، لا يختص بقوم دون قوم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً، ولا نعبد أحداً غيره؟

[١٤٠] بل أتقولون مجادلين في الله: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء من ولد يعقوب، الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة- كانوا على دين اليهود أو النصارى؟ وهذا كذب، فقد بعثوا وماتوا قبل نزول التوراة والإنجيل. قل لهم -أيها الرسول-: أنتم أعلم بدينهم أم الله تعالى؟ وقد أخبر في القرآن بأنهم كانوا حنفاء مسلمين، ولا أحد أظلم منكم حين تحفون شهادة ثابتة عندكم من الله تعالى، وتدعون خلافاً افتراءً على الله. وما الله بغافل عن شيء من أعمالكم، بل هو محصي لها ومجازيكم عليها.

[١٤١] تلك أمة من أسلافكم قد مضت، لهم أعمالهم ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم، وهم لا يسألون عن أعمالكم. وفي الآية قطع للتلحق بالملخوقين، وعدم الاعتزاز بالانتساب إليهم. وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتباع رسله، وأن من كفر برسول منهم فقد كفر بسائر الرسل.

[١٤٢] سيقول الجيهال وضعاف العقول من اليهود وأمثالهم، في سخرية واعتراض: ما الذي صرف هؤلاء المسلمين عن قبلتهم التي كانوا يصلون إلى جنتها أول الإسلام؟ (وهي «بيت المقدس») قل لهم -أيها الرسول-: المشرق والمغرب وما بينهما ملئك الله، فليست جهة من الجهات خارجة عن ملكه، يهدي من يشاء من عباده، إلى طريق الهداية القويم. وفي هذا إشعار بأن الشأن كله لله في امتثال أوامره، فحيثما وَجَّهْنَا تَوْجَّهْنَا.

[١٤٣] وكما هديناكم -أيها المسلمون- إلى الطريق الصحيح في الدين، جعلناكم أمة خياراً عدولاً؛ لتشهدوا على الأمم في الآخرة أن رسلم بلغتهم رسالات ربهم، ويكون الرسول في الآخرة -كذلك- شهيداً عليكم أنه بلغكم رسالة ربه. وما جعلنا -أيها الرسول- قبلة «بيت المقدس» التي كنت عليها، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة «بمكة»، إلا ليظهر ما علمناه في الأزل، علماً يتعلق به الثواب والعقاب؛

لنميز من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيث توجهت، ومن هو ضعيف الإيمان فينقلب مرتداً عن دينه لشكّه ونفاقه. وإن هذه الحال التي هي تحوّل المسلم في صلاته من استقبال «بيت المقدس» إلى استقبال الكعبة، لعقيلة شاقة، إلا على الذين هداهم الله ومنّ عليهم بالإيمان والتقوى. وما كان الله ليضيع إيمانكم به وثابتكم لرسوله، ويبطل صلاتكم إلى القبلة السابقة. إنه سبحانه وتعالى ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم. [١٤٤] قد نرى تحوّل وجهك -أيها الرسول- في جهة السماء، مرة بعد مرة؛ انتظارك لنزول الوحي إليك في شأن القبلة، فلنصرفك عن «بيت المقدس» إلى قبلة تحبها وترضاها، وهي جهة المسجد الحرام «بمكة»، فول وجهك إليها. وفي أي مكان كنتم -أيها المسلمون- وأردتم الصلاة فتوجهوا نحو المسجد الحرام. وإن الذين أعطاهم الله علم الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويلك إلى الكعبة هو الحق الثابت في كتبهم. وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعارضون المشككون، وسيجازيهم على ذلك.

[١٤٥] ولئن جئت -أيها الرسول- الذين أعطوا التوراة والإنجيل بكل حجة وبرهان على أن توجّهك إلى الكعبة في الصلاة هو الحق من عند الله، ما تبعوا قبلك؛ عناداً واستكباراً. وما أنت بتابع قبيلتهم مرة أخرى، وما بعضهم بتابع قبيلة بعض. ولئن اتبعت أهواءهم في شأن القبلة وغيرها بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق وهم على الباطل، إنك حينئذ لمن الظالمين لأنفسهم. وهذا خطاب لجميع الأمة، وهو تهديد ووعيد لمن يتبع أهواء المخالفين لشرعية الإسلام.

• سَيَقُولُ الْمُشْكَكُونَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الشَّرِيفُ وَالْمُعَرِّبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلِ قِبْلَتِكَ لَقِيلَ تَنَزَّهْتُمْ فَأَقُولُ وَجْهَكَ سَهْطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَهْطَرَهُ وَإِنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِن أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِحُكْمِ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هَمَزِينَ بَعْدَ مَا جَاءَ لَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الَّذِينَ، اتَّخَذُوا الْمُكْتَبَ بِعَرْفِهِمْ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٦﴾ وَالصَّلَاةُ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلَاهُمَا فَأَنْتُمْ بِهَا خَائِفَاتُ الَّذِينَ ابْتِغَاءُ مَا كَانُوا يَتَّبِعُونَ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ سَطَرَ السَّجِدَ الْحَرَامَ وَإِنَّهُ، لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ سَطَرَ السَّجِدَ الْحَرَامَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ لَعَلَّكُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ حِجَابٌ آلا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَاللَّهُ يَتَعَمَّقُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿٦١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٢﴾

[١٦٦] الذين أعطيتهم التوراة والإنجيل من أحياء اليهود وعلماة النصارى يعرفون أن محمداً ﷺ رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم، مثل معرفتهم أبناءهم. وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون صدقه. وثبت أوصافه.

[١٦٧] الذي أنزل إليك - أيها النبي - هو الحق من ربك. فلا تكونن من المشككين فيه. وهذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ، فهو موجّه للأمة.

[١٦٨] ولكل أمة من الأمم قبلة يتوجه إليها كل واحد منها في صلاته، فيأدروا - أيها المؤمنون - متسابقين إلى فعل الأعمال الصالحة التي شرعها الله لكم في دين الإسلام. وسيجمعكم الله جميعاً يوم القيامة من أي موضع كنتم فيه. إن الله على كل شيء قدير. [١٦٩] ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - مسافراً، وأردت الصلاة، فوجهه وجهك نحو المسجد الحرام. وإن توجهك إليه هو الحق الثابت من ربك. وما الله بغافل عما تعملونه، وسيجازيكم على ذلك.

[١٧٠] ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - فتوجه إلى

المسجد الحرام، وحيثما كنتم - أيها المسلمون -، بأي قطر من أقطار الأرض فولوا وجوهكم نحو المسجد الحرام؛ لكي لا يكون للناس المخالفين لكم احتجاج عليكم بالمخاصمة والمجادلة، بعد هذا التوجه إليه، إلا أهل الظلم والعداوة منهم، فيسئلون على جداهم، فلا تخافوهم وخافوني بامتثال أمري، واجتنب نهيي؛ ولكي أتم نعمتي عليكم باختيار أكمل الشرائع لكم، ولعلكم تهتدون إلى الحق والصواب.

[١٧١] كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، ويظهركم من دس الشرك وسوء الأخلاق. ويعلمكم الكتاب والسنة وأحكام الشريعة. ويعلمكم من أخبار الأنبياء. وقصص الأمم السابقة ما كنتم تجهلونه.

[١٧٢] أمر تعالى المؤمنين بذكره، ووعد عليه أفضل الجزاء. وهو الفناء في الملاء الأعلى على من ذكره. وخصوني - أيها المؤمنون - بالشكر قولاً وعملاً. ولا تتجدوا نعيي عليكم.

[١٧٣] يا أيها المؤمنون اطلبوا العون من الله في كل أموركم: بالصبر على النوائب والمصائب، وبالصبر على ترك المعاصي والنسب، وبالصبر على الطاعات والقربات، وبالصلاة التي تطمئن بها النفس. وتنهى عن الفحشاء والمنكر. إن الله مع الصابرين بعونه وتوفيقه وتسديده. وفي الآية إثبات معية الله الخاصة بالمؤمنين، المقترضة لما سلف ذكره؛ أما المعية العامة المقترضة للعلم والإحاطة. فهي لجميع الخلق.

[١٥٤] ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴿٥٥﴾ ولتبلوننكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشمرات وتبصر الذين الذين إذا أصنتهم فصبية قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿٥٦﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هذة المهتدوت ﴿٥٧﴾ إنا الصفا والمرورة من شعاب الله فمن حرج البيت أو اغتمروا فلا جناح عليه أن يطوق بهما ومن قطع خيرا فإرت الله شاكر عليه ﴿٥٨﴾ إنا الذين يكتمون ما أنزلنا من النبئت والهدى من بعد ما بينت للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون ﴿٥٩﴾ إنا الذين تابوا وأصلحوا وتبتوا فأولئك أرت عليهم وأنا التواب الرحيم ﴿٦٠﴾ إنا الذين كفروا وما تانا وهذا كفارا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿٦١﴾ ختلين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هز ينظرون ﴿٦٢﴾ والهمز إله وحده لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴿٦٣﴾

[١٥٥] ولتختبرنكم بشيء يسير من الخوف، ومن الجوع. وينقص من الأموال بتعسر الحصول عليها، أو ذهابها، ومن الأنفس: بالموت أو الشهادة في سبيل الله، وينقص من ثمرات النخيل والأعناب والحبوب، بقلته ناتجها أو فسادها. وبشر: أيها النبي - الصابرين على هذا وأمثاله، بما يفرحهم وبشرهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

[١٥٦] من صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه قالوا: إنا عبيد مملوكون لله، مُدبرون بأمره وتصريفه، يفعل بنا ما يشاء، وإنا إليه راجعون بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء.

[١٥٧] أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه، وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد.

[١٥٨] إنا الصفا والمرورة - وهما جبلان صغيران قرب الكعبة من جهة الشرق - من معالم دين الله الظاهرة التي تعبد الله عباده بالسعي بينهما. فمن قصد الكعبة حاجاً أو معترساً، فلا إثم عليه ولا حرج في أن يسعي بينهما، بل يجب عليه ذلك، ومن فعل الطاعات طواعية من نفسه، محلصاً بها لله تعالى، فإن الله تعالى شاكر يثيب على القليل بالكثير، عليم بأعمال عباده، فلا يضيعها، ولا يبخس أحداً منقال ذرة.

[١٥٩] إنا الذين يكفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة محمد ﷺ وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم ممن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل. أولئك بطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعة جميع الخليقة.

[١٦٠] إنا الذين رجعوا مستغفرين الله من خطاياهم، وأصلحوا ما أفسدوه، وتبتوا ما كتموه، فأولئك أقبَل توبتهم وأجازيهم بالمغفرة، وأنا التواب على من تاب من عبادي، الرحيم بهم؛ إذ وفقتمهم للتوبة وقبلتها منهم.

[١٦١] إنا الذين جحدوا الإيمان وكتموا الحق. واستتمروا على ذلك حتى ماتوا، أولئك عليهم لعنة الله بالطردهن من رحمته، وعليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين.

[١٦٢] دائمين في اللعة والنار. لا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يئهلون بمعذرة يعتدرون بها.

[١٦٣] وإلهكم - أيها الناس - إله واحد متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبودية خلقه له، لا معبود بحق إلا هو، الرحمن المتصف بالرحمة في ذاته وأفعاله لجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَأَنَّكَ الَّتِي تَخْرِي فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَبْغُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَرَى فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَفْهِمُونَ قَوْلَهُمْ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ بَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَنْزِيلُ
الْعَذَابُ أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٣٦﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّارُوا الْعَذَابِ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبِعُ لِمَنْهُمْ لَمَّا تَبَرَأْنَا وَمِمَّا كَذَّبَكَ نُبِّهِمْ اللَّهُ
أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٨﴾
بَيَّنَّاهُمْ النَّاسَ كُلُّهُمْ أَمْثَالُ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَلْبِثُوا وَلَا تَتَّبِعُوا
خَطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَنُورٌ مُبِينٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

[١٦٤] إن في خلق السموات بارتماعها واتساعها، والأرض بجبالها وسهولها وبحارها، وفي اختلاف الليل والنهار من الظل والقصير، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يتخلف كل منهما الآخر، وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء المطر، فأخيبها به الأرض. فصارت محضرة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة لا نبات فيها، وما نشره الله فيها من كل مادد على وجه الأرض، وما أنعم به عليكم من تغليب الرياح وتوجيهها، والسحاب المسير بين السماء والأرض، إن في كل الدلائل السابقة آيات على وحدانية الله، وجليل نعمه، لقوم يعقلون مواضع الحجج، ويفهمون أدلته سبحانه على وحدانيته، واستحقاقه وحده للعبادة.

[١٦٥] ومع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق من الناس من دون الله أصناماً وأوثاناً وأولياء يجعلونهم نظراء لله تعالى، ويعطونهم من المحبة والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده، والمؤمنون أعظم

حباً لله من حب هؤلاء الكفار لله ولآلهتهم؛ لأن المؤمنين أخلصوا المحبة كلها لله، وأولئك أشركوا في المحبة. ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك في الحياة الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة، أن الله هو المتفرد بالقوة جميعاً، وأن الله شديد العذاب، لما اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم من دونه، ويتقربون بهم إليه.

[١٦٦] عند معابنتهم عذاب الآخرة يتبرأ الرؤساء المتبعون من اتبعهم على الشرك. وتقطع بينهم كل الصلات التي ارتبطوا بها في الدنيا: من القرابة، والائتباع، والدين، وغير ذلك.

[١٦٧] وقال التابعون: يا ليت لنا عودة إلى الدنيا، فنعلن براءتنا من هؤلاء الرؤساء، كما أعلنوا براءتهم بمنّا. وكما أراهم الله شدة عذابه يوم القيامة يريهم أعمالهم الباطلة ندامات عليهم، وليسوا بخارجين من النار أبداً.

[١٦٨] يا أيها الناس كلوا من رزق الله الذي أباحه لكم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ولا تتبعوا طرق الشيطان في التحليل والتحريم، والبدع والمعاصي. إنه عدو لكم ظاهر العداوة.

[١٦٩] إنما يأمركم الشيطان بكل ذنب قبيح يسوءكم، وبكل معصية بالغة القبح. وبأن تفتروا على الله الكذب من تحريم الحلال وغيره بدون علم.

[١٧٠] وإذا قال المؤمنون ناصحين أهل الضلال: اتبعوا ما أنزل الله من القرآن والهدى، أصروا على تقليد أسلافهم المشركين قائلين: لا نتبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون عن الله شيئاً، ولا يدركون رشداً؟

[١٧١] وصفة الذين كفروا وداعبهم إلى الهدى والإيمان كصفة الراعي الذي يصيح بالبهائم ويزجرها، وهي لا تفهم معاني كلامه، وإنما تسمع النداء ودوي الصوت فقط. هؤلاء الكفار ضمّ سُدّوا أَسْمَاعَهُمْ عن الحق، بُكْمٍ أُخْرَسُوا أَلْسِنَتَهُمْ عن النطق به، غُمِّي لا ترى أعينهم براهينه الباهرة، فهم لا يعملون عقولهم فيما ينفعهم.

[١٧٢] يا أيها المؤمنون كلوا من الأطعمة المستلذذة الحلال التي رزقناكم، ولا تكونوا كالكفار الذين يحرمون الطيبات، ويستجلّون الحباث، واشكروا لله نعمه العظيمة عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، إن كنتم حقاً منقادين لأمره، سامعين

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفئتنا عليه آباءنا أو ألوكةنا آباءنا هم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدوت ﴿١٧٠﴾ ومثل الذين كفروا كمثل الذي يبيع بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ضمّ بكر عن فهمه لا يعقلون ﴿١٧١﴾ يتأينها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وأشكروا به إن كنتم عباده تهنوت ﴿١٧٢﴾ إنما حذرهم على كفر الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن أضطرّ غير تباع ولا عار فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴿١٧٣﴾ إن الذين يكفون ما أنزل الله من الكتاب يشكروا به ثم أتقوا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزيحهم ولهم عذاب أليم ﴿١٧٤﴾ أولئك الذين أشكروا الفضلة بالهدى والعداب بالمغفرة فما أضربهم على النار ﴿١٧٥﴾ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين أختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيدي ﴿١٧٦﴾

مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

[١٧٣] إنما حرم الله عليكم ما يضركم كالميتة التي لم تُذبح بطريقة شرعية، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذبائح التي ذبحت لغير الله. ومن فضّل الله عليكم وتيسيره أنه أباح لكم أكل هذه المحرمات عند الضرورة. فمن لجأته الضرورة إلى أكل شيء منها، غير ظالم في أكله فوق حاجته، ولا متجاوز حدود الله فيما أبيع له، فلا ذنب عليه في ذلك. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

[١٧٤] إن الذين يُخفون ما أنزل الله في كتبه من صفة محمد ﷺ وغير ذلك من الحق، ويحرضون على أخذ عوض قليل من عرض الحياة الدنيا مقابل هذا الإخفاء، هؤلاء ما يأكلون في مقابلة كتمان الحق إلا نار جهنم تتأجج في بطونهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة لغضبه وسخطه عليهم، ولا يظهرهم من دُئس ذنوبهم وكفرهم، ولهم عذاب موعج.

[١٧٥] أولئك المتصفون بهذه الصفات استبدلوا الضلالة بالهدى وعذاب الله بمغفرته، فما أشدّ جرائعهم على النار بعملهم أعمال أهل النار!! يعجب الله من إقدامهم على ذلك، فاعجبوا -أيها الناس- من جرائعهم، ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها. وهذا على وجه الاستهانة، بهم والاستخفاف بأمرهم.

[١٧٦] ذلك العذاب الذي استحقوه بسبب أن الله تعالى نزل كتبه على رسله مشتملة على الحق المبين، فكفروا به. وإن الذين اختلفوا في الكتاب فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، لفي منازعة ومفارقة بعيدة عن الرشد والصواب.

• لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تَقُولُوا وَخُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ أَنْ يَقُولُوا بِإِلَهِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلْبَكَّةُ
وَالْكَتَبُ وَالنَّبِيُّنَ وَأَنَّ الْمَالَ عَلَى خَيْبِهِ. ذُو الْفَرْقِ وَالْتَمَنَ
وَالسَّيِّئِينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَهُ
الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَاتِ يَعْتَدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّبِيرِينَ فِي النِّسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ النَّبَأِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْفِصَالُ فِي الْفَتْلِ الْحَرْبِ بِالْعَبْدِ وَالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى
بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَمِيَ لَهُ مِنْ أُخِيهِ سَتَى فَايْتَابَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَهُ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْفِصَالِ حِكْمَةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
قَائِلًا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ بَدَّلُوهُ إِنْ أَلَّفَهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴿١٨١﴾

[١٧٧] ليس الخير عند الله - تعالى- في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، وإنما الخير كل الخير هو إيمان من آمن بالله وصدق به معبوداً وحده لا شريك له، وآمن بيوم البعث والجزاء، وبالملائكة جميعاً، وبالكتب المنزلة كافة، وبجميع النبيين من غير تفریق، وأعطى المال تطوعاً - مع شدة حبه - ذوي القربى، واليتامى المحتاجين الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمسافرين المحتاجين الذين يفتقدون عن أهلهم ومالهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، وأنفق في تحرير الرقيق والأسرى، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة المفروضة، والذين يوفون بالعهد، ومن صبر في حال فقره ومرضه، وفي شدة القتال. أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الذين اتقوا عقاب الله فتنجسوا بمعاصيه.

[١٧٨] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه فرض الله عليكم أن تقتصوا من القاتل عدداً يقتله، بشرط المساواة والمائلة: يُقتل الحرُّ بمثله سواء الرجلُ بالمرأة أو المرأةُ بالرجل، والعبدُ بمثله، والأنثى بمثلها. فمن ساعه ولَّى المقتول بالعفو عن الاقتصاد منه والاكتفاء بأخذ الدية - وهي قدر مالي محدد يدفعه الجاني مقابل العفو عنه - فليلتزم الطرفان بحسن الخلق. فيطالب الولي بالدية من غير عنف، ويدفع القاتل إليه حقه بإحسان، من غير تأخير ولا نقص. ذلك العفو مع أخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة بكم؛ لما فيه من التسهيل والانتفاع. فمن قتل القاتل بعد العفو عنه وأخذ الدية فله عذاب أليم يقتله قصاصاً في الدنيا، أو النار في الآخرة. [١٧٩] ولكم في تشريع القصاص وتنفيذه حياة آمنة - يا أصحاب العقول السليمة -؛ رجاء تقوى الله وخشيته بطاعته دائماً.

[١٨٠] فرض الله عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت ومقدمته - إن ترك مالاً - الوصية بجزء من ماله للوالدين والأقربين مع مراعاة العدل؛ فلا يدع الفقير ويوصي للغني، ولا يتجاوز الثلث. وذلك حق ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله. وكان هذا قبل نزول آيات الموارث التي حدد الله فيها نصيب كل وارث. [١٨١] فمن غيّر وصية الميت بعد ما سمعها منه قبل موته، فإنما الذنب على من غيّر وبدّل. إن الله سميع لوصيتكم وأقول الحكم، عليهم بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق والعدل أو الجور والخياف، وسيجازيكم على ذلك.

[١٨٢] فمن علم من موحي مिला عن الحق في وصيته على سبيل الخطأ أو العمد، فنصح الموصي وقت الوصية بما هو الأعدل، فإن لم يحصل له ذلك فأصلح بين الأطراف بتغيير الوصية؛ لتوافق الشريعة، فلا ذنب عليه في هذا الإصلاح. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

[١٨٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على الأمم قبلكم؛ لعلكم تتقون ربكم، فتجعلون بينكم وبين المعاصي وقاية بطاعته وعبادته وحده. [١٨٤] فرض الله عليكم صيام أيام معلومة العدد وهي أيام شهر رمضان. فمن كان منكم مريضاً يشق عليه الصوم، أو مسافراً فله أن يفطر. وعليه صيام عدد من أيام أخر بقدر التي أفطر فيها. وعلى الذين يتكفون الصيام ويشق عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرجى شفاؤه، فدية عن كل يوم يفطره، وهي طعام محتاج لا يملك ما

يكفيه ويسد حاجته، فمن زاد في قدر الفدية تبرعاً منه فهو خير له، وصيامكم خير لكم من إعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى.

[١٨٥] شهر رمضان الذي ابتدأ الله فيه إنزال القرآن في ليلة القدر؛ هداية للناس إلى الحق، فيه أوضح الدلائل على هدى الله، وعلى الفارق بين الحق والباطل. فمن حضر منكم الشهر - وكان صحيحاً مقيماً - فليصم نهاره، ويُرحِّص للمريض والمسافر في الفطر، ثم يقضيان عدد تلك الأيام. يريد الله تعالى بكم اليسر والسهولة في شرائعه، ولا يريد بكم العسر والمشقة، ولتكملا عدة الصيام شهراً، ولتختنموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر، ولتعظموه على هدايته لكم، ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتيسير.

[١٨٦] وإذا سألك - أيها النبي - عبادي عني فقل لهم: إني قريب منهم، أُجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فليطبعوني فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه، وليؤمنوا بي، لعلهم يهتدون إلى مصالح دينهم ودنياهم. وفي هذه الآية إخبار منه سبحانه عن قرابه من عباده. القرب اللائق بجلاله.

فَمَنْ عَافَ مِنْ مُوحِيٍّ جَنَافًا أَوْ إِنفَاسًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامًا مِّنكُم مِّن كَبِيرٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَإِن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يُرْسَدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٧] أباح الله لكم في ليالي شهر رمضان جماع نساءكم، هن بيتر وحفظ لكم، وأنتم بيتر وحفظ هن. علم الله أنكم كنتم تحنون أنفسكم؛ بمخالفة ما حرمه الله عليكم من جماعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام - وكان ذلك في أول الإسلام -، فتاب الله عليكم ووسع لكم في الأمر، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدره الله لكم من الأولاد، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم ضياء الصباح من سواد الليل؛ بظهور الفجر الصادق. ثم أتوا الصيام بالإمساك عن المفطرات إلى دخول الليل بغروب الشمس. ولا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يقضي إلى جماعهن إذا كنتم معتكفين في المساجد؛ لأن هذا يفسد الاعتكاف (وهو الإقامة في المسجد مدة معلومة بنية التقرب إلى الله تعالى). تلك الأحكام التي شرعها الله لكم هي حدوده الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تقربوها حتى لا تقعوا في الحرام. يمثل هذا البيان الواضح بين الله آياته وأحكامه للناس؛ كي يتقوه ويحشؤوه.

[١٨٨] ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب باطل كالبين الكاذبة، والغضب، والسرقة، والرشوة، والربا ونحو ذلك، ولا تلقوا إلى الحكم بالحجج الباطلة؛

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الضِّيَاءِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَالِهِنَّ عَلَيْهِنَّ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَابُونَ أَنْفُسَكُمْ عَلَيْكُمْ وَعَمَّا عَنْكُمْ فَالْتَنَبَّهْتُمْ وَهُنَّ وَأَنْتُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا النَّسَاءَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَنْسِبُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ فَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكُمْ، لَيْلَةَ النَّسَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِمَّا رَزَقُوا أَلَيْسَ بِالْحَقِّ لَكُمْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْبَاطِلِ بِسَبَبِ بَاطِلٍ كَالْبَيْنِ الْكَاذِبِ، وَالغَضَبِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالرِّشْوَةِ، وَالرِّبَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا تُلْقُوا إِلَى الْحُكْمِ بِالْحُجُجِ الْبَاطِلَةِ؛

لتأكلوا عن طريق التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل، وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم.

[١٨٩] يسألك أصحابك -أيها النبي-: عن الأهلة وتغير أحوالها، قل لهم: جعل الله الأهلة علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المحددة بوقت مثل الصيام والحج، ومعاملاتهم. وليس الخير ما تعودت عليه في الجاهلية وأول الإسلام من دخول البيوت من ظهورها حين تحرمون بالمسح أو العمرة. طانين أن ذلك قريبة إلى الله، ولكن الخير هو فعل من اتقى الله واجتنب المعاصي، وادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة، واخشوا الله تعالى في كل أموركم؛ لتفوزوا بكل ما تحبون من خيري الدنيا والآخرة.

[١٩٠] وقاتلوا -أيها المؤمنون- لنصرة دين الله الذين يقاتلونكم، ولا ترتكبوا المناهي من المثلة، والغلول، وقتل من لا يحل قتله من النساء والصبيان والشيوخ، ومن في حكمهم. إن الله لا يحب الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرم الله ورسوله ﷺ.

[١٩١] واقتلوا الذين يقاتلونكم من المشركين حيث وجدتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه وهو «مكة». والفتنة - وهي الكفر والشرك والصد عن الإسلام - أشد من قتلهم إياهم. ولا تبذؤوهم بالقتال عند المسجد الحرام؛ تعظيماً لحرماته حتى يبذؤوكم بالقتال فيه، فإن قاتلوكم في المسجد الحرام فاقتلوهم فيه. مثل ذلك الجزء الرادع يكون جزاء الكافرين. [١٩٢] فإن تركوا ما هم فيه من الكفر وقاتلهم عند المسجد الحرام، ودخلوا في الإيمان، فإن الله يغفور لعباده، رحيم بهم.

[١٩٣] واستبجروا - أيها المؤمنون - في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله، ويبقى الدين لله وحده خالصاً لا يُعبد معه غيره. فإن كفروا عن الكفر والقتال فكفوا عنهم؛ فالعقوبة لا تكون إلا على المستمرين على كفرهم وعدوانهم.

[١٩٤] قتالكم - أيها المؤمنون - للمشركين في الشهر الذي حرّم الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام، والذي يعتدي على ما حرّم الله من المكان والزمان، يعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله. فمن اعتدى عليكم بالقتال أو غيره، فأنزلوا به عقوبة مماثلة

لجنايته، ولا حرج عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعدوان، وخافوا الله فلا تجازروا المماثلة في العقوبة، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه ويطيعونه بأداء فرائضه وتجنب محارمه.

[١٩٥] واستبجروا - أيها المؤمنون - في إنفاق الأموال لنصرة دين الله تعالى، والجهاد في سبيله، ولا توقعوا أنفسكم في المهالك بترك الجهاد في سبيل الله. وعدم الإنفاق فيه، وأحسوا في الإنفاق والطاعة. واجعلوا عملكم كله خالصاً لوجه الله تعالى. إن الله يحب أهل الإخلاص والإحسان.

[١٩٦] وأدوا الحج والعمرة تامّين، خالصين لوجه الله تعالى، فإن منعكم عن الذهاب لإتمامهما بعد الإحرام بهما مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذبّ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقرباً إلى الله تعالى؛ لكي تُخْرِجُوا من إحرامكم بخلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم مُحَضَّرِينَ حتى ينحر المُحَضَّرُ هديه في الموضع الذي حُصِرَ فيه، ثم يَحْلُجُ من إحرامه، كما نحر النبي ﷺ في «الحديبية» ثم حلق رأسه، وغير المُحَضَّرِ لا ينحر الهدى إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد - اليوم العاشر - وما بعده: من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو تحريم - حلق. وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاةً لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حرّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبّ ما تيسر من الهدى، فمن لم يجد هدياً يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهدْيُ وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنته زجر.

وَأَتُوا هُرَيْرَةَ حَيْثُ تَقِفُ سُوهُرُهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ وَالْمَنَةَ أَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوا هُرَيْرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ فَإِنْ أَنْتُمْ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَقَتِلُوا هُرَيْرَةَ لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَكَانَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ لَمْ تَهْتُمْ أَفْلَاغِدُونَ الْأَعْلَى الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ الشُّعْرُ الْحَرَامُ بِالشُّعْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتِ مُضَافٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَلْفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرْضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَسْتَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيسَاءً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرًا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٠﴾

الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَعَلَّمُوا مِنْ حَبْرِ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ وَسَوَدُهُ وَأَقْبَابُ حَبْرِ الزَّادِ التَّقْوَى وَأَنْتَقُونَ بِتَأْوِيلِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٣٥﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا ذِكْرًا مَعْدُودًا وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصِ النَّاسِ وَأَسْتَفْضُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سِكِّكِمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أُشْدَّ ذِكْرًا فَمَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٣٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٩﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾

[١٩٧] وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فمن أوجب الحج على نفسه فيهن بالإحرام، فيحرم عليه الجماع ومقدماته القولية والفعلية، ويحرم عليه الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل المعاصي. والجidal في الحج الذي يؤدي إلى الغضب والكرهية. وما تفعلوا من خير يعلنه الله، فيجازي كلاً على عمله. وخذوا لأنفسكم زاداً من الطعام والشراب لسفر الحج، وزاداً من صالح الأعمال للدار الآخرة، فإن خير الزاد تقوى الله، وخافوني يا أصحاب العقول السليمة.

[١٩٨] ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقاً من ربكم بالربح من التجارة في أيام الحج. فإذا دعتم بعد غروب الشمس راجعين من «عرفات» - وهي المكان الذي يقف فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة - فاذكروا الله بالتسبيح والتلبية والدعاء عند المشعر الحرام - «المزدلفة» - واذكروا الله على الوجه الصحيح الذي هداكم إليه، ولقد كنتم من قبل هذا الهدى في ضلال لا تعرفون معه الحق.

[١٩٩] وليكن اندفاعكم من «عرفات» التي أفاض منها إبراهيم عليه السلام، مخالفين بذلك من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واسألوا الله أن يفرغ لكم ذنوبكم. إن الله غفور لعباده المستغفرين الثائبين، رحيم بهم. [٢٠٠] فإذا أنتمت عبادتكم، وفرغتم من أعمال الحج، فأكثرُوا من ذكر الله والثناء عليه، مثل ذكركم مفاخر آياتكم وأعظم من ذلك. فمن الناس فريق يجعل همه الدنيا فقط، فيدعو قائلاً: ربنا آتنا في الدنيا صحة، ومالاً، وأولاداً، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب؛ لرغبتهم عنها وقصر همهم على الدنيا. [٢٠١] ومن الناس فريق مؤمن يقول في دعائه: ربنا آتنا في الدنيا عافية ورزقاً وعملاً نافعاً، وعملاً صالحاً، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، وفي الآخرة الجنة، واصرف عنّا عذاب النار. وهذا الدعاء من أجمع الأدعية، ولهذا كان أكثر دعاء النبي ﷺ، كما ثبت في الصحيحين. [٢٠٢] أولئك الداعون بهذا الدعاء لهم ثواب عظيم؛ بسبب ما كسبوا من الأعمال الصالحة. والله سريع الحساب، نحسب أعمال عباد، ومجازيهم بها.

[٢٠٣] واذكروا الله تسبيحاً وتكبيراً في أيام قلائل، وهي أيام التشريق: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة. فمن أراد التعجل وخرج من «مى» قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمار فلا ذنب عليه. ومن تأخر بأن بات بـ«مى» حتى يرمي الجمار في اليوم الثالث عشر فلا ذنب عليه، لمن اتقى الله في حجه. والتأخر أفضل؛ لأنه تزود في العبادة واقتداء بفعل النبي ﷺ.

وخافوا الله - أيها المسلمون - وراقبوا في كل أعمالكم، واعلموا أنكم إليه وحده تحشرون بعد موتكم للحساب والجزاء.

[٢٠٤] وبعض الناس من المنافقين يعجبك - أيها الرسول - كلامه الفصيح الذي يريد به حظاً من حظوظ الدنيا الآخرة، ويخلف مستشهداً بالله على ما في قلبه من محبة الإسلام. وفي هذا غاية الجرأة على الله. وهو شديد العداوة والحصومة للإسلام والمسلمين.

[٢٠٥] وإذا خرج من عندك أيها الرسول، جدّ وثيظ

• واذكروا الله في أيام معدوداتٍ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴿٢٠٣﴾ ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴿٢٠٤﴾ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿٢٠٥﴾ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولينس إليه هاد ﴿٢٠٦﴾ ومن الناس من ينسرى نفسه أتبعه مرضاتٍ لله والله زهوق بالعباد ﴿٢٠٧﴾ يأتيها اليربوع آمنوا أدخلوا في الإسلام كافة ولا تبغوا حظوظ الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿٢٠٨﴾ فإن رلكم من بعد ما جاءكم اليأس فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴿٢٠٩﴾ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴿٢١٠﴾

في الأرض ليفسد فيها، ويتلف زرع الناس، ويقتل ماشيتهم. والله لا يحب الفساد.

[٢٠٦] وإذا نصح ذلك المنافق المفسد. وقيل له: اتق الله واحذر عقابه. وكف عن الفساد في الأرض. لم يقبل النصيحة، بل يحمله الكبر وحمية الجاهلية على مزيد من الآثام. فحسبه جهنم وكافيته عذاباً، ولبئس الفراش هي.

[٢٠٧] وبعض الناس يبيع نفسه طلباً لرضا الله عنه، بالجهاد في سبيله، والتزام طاعته. والله رؤوف بالعباد، يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، فيجازيهم أحسن الجزاء.

[٢٠٨] يا أيها الذين آمنوا بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً، ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، ولا تتكروا منها شيئاً، ولا تتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوكم إليه من المعاصي. إنه لكم عدو ظاهر العداوة؛ فاحذروه.

[٢٠٩] فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءكم الحجج الواضحة من القرآن والسنة، فاعلموا أن الله عزيز في ملكه لا يفوته شيء، حكيم في أمره ونهيه. يضع كل شيء في موضعه المناسب له.

[٢١٠] ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتيهم الله عز وجل، على الوجه اللائق به سبحانه في ظلل من السحاب يوم القيامة؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة، وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه. وباليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

تفسير التيسر

[٢١١] سل - أيها الرسول - بني إسرائيل المعاندين لك: كم أعطيناكم من آيات واضحات في كتبهم تهديهم إلى الحق، فكفروا بها كلها، وأعرضوا عنها، وحرّفوها عن مواضعها، ومن يبذل نعمة الله - وهي دينه - ويكفر بها من بعد معرفتها، وقيام الحجة عليه بها، فإن الله تعالى شديد العقاب له.

[٢١٢] حَسُنَ لِلَّذِينَ جَدَدُوا وَحِدَانِيَةَ اللَّهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلذَّاتِ، وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وهؤلاء الذين يخشون ربهم فوق جميع الكفار يوم القيامة؛ حيث يدخلهم الله أعلى درجات الجنة، وينزل الكافرين أسفل دركات النار. والله يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

[٢١٣] كان الناس جماعة واحدة، متفقين على الإيمان بالله ثم اختلفوا في دينهم، فبعث الله النبيين دعاء لدين الله، مبشرين من أطاع الله بالجنة، ومخبرين من كفر به وعصاه النار، وأنزل معهم الكتب

سَلِّ بِنِ اسْمِهِ يَلْكُرُهُ أَتَشَاهُرُ مِنْ أَيْمٍ بِنْتَهُ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسْنَاقُ أَتَقَوُّوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ أَصْحَابُ الْأَنْزِلِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٥٤﴾ يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا يُفْقَرُونَ قُلْ مَا أَفْقَرْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالزَّيْنِ وَالسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

الساوية بالحق الذي اشتملت عليه؛ ليحكموا بما فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف في أمر محمد ﷺ وكتابه ظلمًا وحسدًا إلا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام، فوَقَّعَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ إِلَى تَبْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. ومعرفة ما اختلفوا فيه. والله يوفق من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم.

[٢١٤] بل أظننتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة. ولَمَّا يَصِبْكُمْ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ: مِنَ الْفَقْرِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَوْفِ وَالرَّعْبِ. ورُزِلُوا بِأَنْوَاعِ الْمَخَافِ، حَتَّى قَالَ رَسُولُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ - عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعْجَالِ لِلنَّصْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى -: مَتَى نَصَرَ اللَّهُ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

[٢١٥] يسأللك أصحابك - أيها النبي - أي شيء ينفقون من أصناف أموالهم تقريباً إلى الله تعالى، وعلى من ينفقون؟ قل لهم: أنفقوا أي خير يتيسر لكم من أصناف المال الحلال الطيب، واجعلوا نفقتكم للوالدين، والأقربين من أهلکم وذوي أرحامكم، واليتامى الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمسافر المحتاج الذي يُعَدُّ عن أهله وماله. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى به عليم.

[٢١٦] فرض الله عليكم - أيها المؤمنون - قتال الكفار، والقتال مكروه لكم من جهة الطبع، لمشغته وكثرة عنايته، وقد تصكروهن شيئاً وهو في حقيقته خير لكم، وقد تحبون شيئاً لما فيه من الراحة أو اللذة العاجلة، وهو شر لكم. والله تعالى يعلم ما هو خير لكم، وأنتم لا تعلمون ذلك. فبادروا إلى الجهاد في سبيله.

[٢١٧] يسألك المشركون - أيها الرسول - عن الشهر الحرام: هل يجزئ فيه القتال؟ قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه، ومنعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف، وجحودكم بالله وبرسوله وبدينه، ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام، وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر ذنباً، وأعظم جرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام. والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر

كَيْتَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ سُوءٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ فِيهِ قُلْ قَالَ فِيهِ كَيْبَرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَبْزُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَإِنْ أَسْتَضَلُّوا وَمَنْ يَبْزُوكُمْ وَإِنْ أَسْتَضَلُّوا وَمَنْ يَبْزُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٧﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ فِيهِ قُلْ لِمَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ عِندَ اللَّهِ وَاسْتِحْلَالَهُ وَسَفْكَ الدَّمِ فِيهِ، وَمَنْعَكُمْ النَّاسَ مِنْ دُخُولِ الْإِسْلَامِ بِالتَّعْذِيبِ وَالتَّخْوِيفِ، وَجُحُودِكُمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِدِينِهِ، وَمَنْعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجِ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ مِنْهُ وَهُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلِيَائِهِ، ذَلِكَ أَكْبَرُ ذَنْباً، وَأَعْظَمُ جُرْماً عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ. وَالشِّرْكَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَشَدُّ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ

الحرام. وهؤلاء الكفار لم يرتدعوا عن جرائمهم، بل هم مستمررون عليها، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن يُطعهم منكم - أيها المسلمون - ويتردد عن دينه فيمت على الكفر، فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبداً.

[٢١٨] إن الذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه والذين تركوا ديارهم، وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطمعون في فضل الله وثوابه. والله غفور لذنوب عباده المؤمنين. رحيم بهم رحمة واسعة.

[٢١٩] يسألك المسلمون - أيها النبي - عن حكم تعاطي الخمر شرباً وبيعاً وشراءً، والخمر كل مسكر خامر العقل وغطاء مشروباً كان أو مأكولاً، ويسألونك عن حكم القمار - وهو أخذ المال أو إعطاؤه بالمقامرة وهي المغالبات التي فيها عوض من الطرفين -، قل لهم: في ذلك أضرار ومفاسد كثيرة في الدين والدنيا، والعقول والأموال. وفيها منافع للناس من جهة كسب الأموال وغيرها، وإثمها أكبر من نفعها؛ إذ يصدّان عن ذكر الله وعن الصلاة. ويوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويتلفان المال. وكان هذا تهيداً لتحريمها. ويسألونك عن القدر الذي ينفقونه من أموالهم تبرعاً وصدقة، قل لهم: أنفقوا القدر الذي يزيد على حاجتكم. مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم الآيات وأحكام الشريعة؛ لكي تتفكروا فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَأَلْنَاكَ عَنِ اليَسْمَنِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا المَشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا تَتَّبِعُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَوْ عَجِبْتُمْ مِنْهُمْ فَلَوْ عَجِبْتُمْ مِنْهُ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَتَّبِعُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَسَأَلْنَاكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَى فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرَامٌ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ كَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا اللَّهَ غَرَضَةً لِأَيِّمَنَّا أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

﴿٢٢٠﴾ ويسألونك - أيها النبي - عن اليتامى الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ كيف يتصرفون معهم في معاشهم وأموالهم؟ قل لهم: إصلاحكم لهم خير، فافعلوا الأنفع لهم دائماً، وإن تخالطوهم في سائر شؤون المعاش فهم إخوانكم في الدين. وعلى الأخ أن يرعى مصلحة أخيه. والله يعلم المضيع لأموال اليتامى من الحرص على إصلاحها. ولو شاء الله لضيق وشق عليكم بتحريم المخالطة. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في خلقه وتدبيره، وتشريعه.

﴿٢٢١﴾ ولا تزوجوا - أيها المسلمون - المشركات العابدات الأوثان، حتى يدخلن في الإسلام. واعلموا أن امرأة مملوكة لا مال لها ولا حسب، مؤمنة بالله، خير من امرأة مشركة، وإن أعجبتكم المشركة الحرة. ولا تزوجوا نساءكم المؤمنات - إماء أو حرائر - للمشركين حتى يؤمنوا بالله ورسوله. واعلموا أن عبداً مؤمناً مع فقره، خير من مشرك، وإن أعجبتكم المشرك. أولئك المتصفون بالشرك

رجالاً ونساءً يدعون كل من يعاشرهم إلى ما يؤدي به إلى النار، والله سبحانه يدعو عباده إلى دينه الحق المؤدي بهم إلى الجنة ومغفرة ذنوبهم بإذنه، ويبين آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتذكروا، فيعتبروا.

﴿٢٢٢﴾ ويسألونك عن الحيض - وهو الدم الذي يسيل من أرحام النساء جيئةً في أوقات مخصوصة -، قل لهم - أيها النبي -؛ هو أذى مستقذر يضر من يقربه، فاجتنبوا جماع النساء مدة الحيض حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم، واغتسلن، فجامعهوهن في الموضع الذي أحله الله لكم، وهو القبل لا الذئبر. إن الله يحب عباده المكرمين من الاستغفار والتوبة، ويجب عباده المتطهرين الذين يبتعدون عن الفواحش والأقذار.

﴿٢٢٣﴾ نساءكم موضع زرع لكم. تضعون النطفة في أرحامهن. فيخرج منها الأولاد بمشيئة الله، فجامعهوهن في محل الجماع فقط. وهو القبل بأي كيفية شئتم. وقدّموا لأنفسكم أعمالاً صالحة بمرعاة أوامر الله، وخافوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه للحساب يوم القيامة. وبشر المؤمنين - أيها النبي - بما يفرحهم ويسرهم من حسن الجزاء في الآخرة.

﴿٢٢٤﴾ ولا تجعلوا - أيها المسلمون - خلفكم بالله مانعاً لكم من البرّ وصلة الرحم والتقوى والإصلاح بين الناس؛ بأن تدعوا إلى فعل شيء منها، فتحججوا بأنكم أقسمتم بالله ألا تفعلوه، بل على الخالف أن يعدل عن خلفه، ويفعل أعمال البر، ويكفر عن يمينه، ولا يعتاد ذلك. والله سميع أقوالكم، علیم جميع أحوالكم.

[٢٢٥] لا يعاقبكم الله بسبب إيمانكم التي تحلفونها بغير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة.

[٢٢٦] للذين يحلفون بالله أن لا يجامعوا نساءهم أبداً، أو أكثر من أربعة أشهر. انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا قبل فوات الأشهر الأربعة، فإن الله غفور لما وقع منهم من الخلف بسبب رجوعهم، رحيم بهم. [٢٢٧] وإن عقدوا عزمهم على الطلاق، باستمرارهم في اليمين، وترك الجماع، فإن الله سمع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم، وسيجازيهم على ذلك.

[٢٢٨] والمطلقات ذوات الحيض، يجب أن ينتظرن دون نكاح بعد الطلاق مدة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات على سبيل العدة، ليتأكدن من فراغ الرحم من الحمل. ولا يجوز لهن تزوج رجل آخر في أثناء هذه العدة حتى تنتهي. ولا يحل لهن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض. إن كانت المطلقات

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَوْلَا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَضُّ زَوْجَةً شَرِيحَةً فَإِن قَاةُ وَإِن اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِن اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَضَّنَ بِأَيْمَانِهِنَّ ثَلَاثَةَ فُرُوجٍ وَلَا يُحِلُّ لِهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعُوذْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللِّزَّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرْثَلٌ فَإِن سَأَلَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِن خِفْتُمَا أَلَّا تَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ. ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا يُحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ. ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

مؤمنات حقاً بالله واليوم الآخر. وأزواج المطلقات أحق بمراجعتهن في العدة. وينبغي أن يكون ذلك بقصد الإصلاح والخير، وليس بقصد الإضرار؛ تعديباً لهن بتطويل العدة. وللنساء حقوق على الأزواج، مثل التي عليهن على الوجه المعروف، وللرجال على النساء منزلة زائدة من حسن الصحبة، والعشرة بالمعروف، والقوامة على البيت، وملك الطلاق. والله عزيز له العزة القاهرة، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب.

[٢٢٩] الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان. واحدة بعد الأخرى. فحكم الله بعد كل طلاق هو إمساك المرأة بالمعروف. وحسن العشرة بعد مراجعتها، أو تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها، وألا يذكرها مطلقاً بسوء. ولا يحل لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا شيئاً مما أعطيتموهن من المهر ونحوه. إلا أن يخاف الزوجان ألا يقوما بالحقوق الزوجية، فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء. فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله، فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها. تلك الأحكام هي حدود الله الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله تعالى فأولئك هم الظالمون أنفسهم بتعريضها لعذاب الله.

[٢٣٠] فإن طلق الرجل زوجته الطالقة الثالثة، فلا تحل له إلا إذا تزوجت رجلاً غير زوجاً صحيحاً وجامعها فيه، ويكون الزواج عن رغبة، لا بنية تحليل المرأة لزوجها الأول، فإن طلقها الزوج الآخر أو مات عنها وانقضت عدتها، فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتزوجا بعقد جديد. ومهر جديد. إن غلب على ظنهما أن يقيما أحكام الله التي شرعها للزوجين. وتلك أحكام الله المحددة بينها لقوم يعلمون أحكامها وحدودها؛ لأنهم المنتفعون بها.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُنَّ حَبْلٌ فَلْيَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِعَعْتِدَائِهِنَّ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
 وَادْكُرُوا بِعِمَّتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
 يَعِظُكُمْ بِهِ . وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ۝ وَإِذَا
 طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُنَّ حَبْلٌ فَلَا تَقْضُوا لَهُنَّ أَمْثَلَ حَبْلِ
 أَنْزَلْتُمُوهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ ذِكْرُكُمْ أَنْ لَكُمْ وَأَطَهَرُ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَأُولَئِكَ يَرْضَعْنَ آبَاءَهُنَّ حَوْلَيْنِ
 كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
 وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِزْرًا حَتَّىٰ لَا تَضَارَ
 وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلِدُهُ . وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
 أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
 أَرَدْتُمْ أَنْ تُنْسِئُوا أَوْلَادَكُمْ فَالْجُنَاحُ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُوهُمَا
 عَائِيَّتَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَاتَمِلُونَ بَصِيرًا ۝

[٢٣١] وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فقاربين انتهاء عدتهن، فراجعوهن، ونيتمكم القيام بحقهن على الوجه المستحسن شرعاً وعرفاً، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن. واحذروا أن تكون مراجعتهم بقصد الإضرار بهن لأجل الاعتداء على حقوقهن. ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه باستحقاقه العقوبة، ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعباً ولهواً. واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتفصيل الأحكام. واذكروا ما أنزل الله عليكم من القرآن والسنة، واشكروا له سبحانه على هذه النعم الجليلة، يُذكركم الله بهذا، ويخوفكم من المخالفة، فخافوا الله وراقبوه، واعلموا أن الله عليهم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلًّا بما يستحق.

[٢٣٢] وإذا طَلَّقْتُمُ نِسَاءَكُمْ دون الثلاث وانتهت عدتهن من غير مراجعة لهن، فلا تضيقوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى

أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك، وحدث التراضي شرعاً وعرفاً. ذلك يوعظ به من كان منكم صادق الإيمان بالله واليوم الآخر. إن تَرَكَ العُضْلَ وتمكين الأزواج من نكاح زوجاتهم أكثر نماء وطهارة لأعراضكم، وأعظم منفعة وثواباً لكم. والله يعلم ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك.

[٢٣٣] وعلى الوالدات إرضاع أولادهن مدة سنتين كاملتين لمن أراد إتمام الرضاعة، ويجب على الآباء أن يكفلوا للمرضعات المطلقات طعامهن وكسوتهن، على الوجه المستحسن شرعاً وعرفاً؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا قدر طاقتها. ولا يحمل للوالدين أن يجعلوا المولود وسيلة للمضارة بينهما. ويجب على الوارث عند موت الوالد مثل ما يجب على الوالد قبل موته من النفقة والكسوة. فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل انتهاء السنتين فلا حرج عليهما إذا تراضيا وتشاورا في ذلك؛ ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود. وإن اتفق الوالدان على إرضاع المولود من مرضعة أخرى غير والدته فلا حرج عليهما، إذا سَلَّمَ الوالد للأم حقها، وسَلَّمَ للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس، وخافوا الله في جميع أحوالكم، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، وسيجازيكم على ذلك.

[٢٣٤] والذين يمتون منكم، ويتركون زوجات بعدهم، يجب عليهن الانتظار بأنفسهن مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، لا يخرجن من منزل الزوجية، ولا يتزينن، ولا يتزوجن، فإذا انتهت المدة المذكورة فلا إثم عليكم يا أولياء النساء فيما يفعلن في أنفسهن من الخروج، والتزين، والزواج على الوجه المقرر شرعاً. والله سبحانه وتعالى خير بأعمالكم ظاهرها وباطنها، وسيجازيكم عليها.

[٢٣٥] ولا إثم عليكم - أيها الرجال - فيما تلمحون به من طلب الزواج بالنساء المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً بائناً في أثناء عدتهن، ولا ذنب عليكم أيضاً فيما أضرتموه في أنفسكم من نية الزواج بهن بعد انتهاء عدتهن. علم الله أنكم ستذكرون النساء المعتدات، ولن تصبروا على السكوت عنهن، لضعفكم؛ لذلك أباح لكم أن تذكروهن تلميحاً أو إضماراً في النفس. واحذروا أن

تواعدوهن على النكاح سراً بالزنى أو الاتفاق على الزواج في أثناء العدة، إلا أن تقولوا قولاً يفهم منه أن مثلها يترغب فيها الأزواج، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمان العدة حتى تنقضي مدتها. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فخافوه، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، حلیم على عباده لا يعجل عليهم بالعقوبة.

[٢٣٦] لا إثم عليكم - أيها الأزواج - إن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، وقبل أن تجامعهن، أو تحددوا مهراً لهن. ومتعوهن بشيء، ينتفعن به جبراً لهن، ودفعاً لوحشة الطلاق. وإزالة للآحقاد. وهذه المتعة تجب بحسب حال الرجل المطلق: على الغني قدر سعة رزقه، وعلى الفقير قدر ما يملكه، متاعاً على الوجه المعروف شرعاً. وهو حق ثابت على الذين يحسنون إلى المطلقات وإلى أنفسهم بطاعة الله.

[٢٣٧] وإن طلقتم النساء بعد العقد عليهن، ولم تجامعهن. ولكنكم ألزمت أنفسكم بمهر محدد لهن. فيجب عليكم أن تعطوهن نصف المهر المتفق عليه، إلا أن تُسامح المطلقات، فيتركن نصف المهر المستحق لهن، أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله، وتسامحك أيها الرجال والنساء أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تنسوا - أيها الناس - الفضل والإحسان بينكم، وهو إعطاء ما ليس بواجب عليكم، والتسامح في الحقوق. إن الله بما تعملون بصير، يُرغِّبكم في المعروف، ويحثُّكم على الفضل.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّيْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ كَتَبْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَى اللَّهِ لَئِنْ أَتَاكُمْ سِتْرٌ مِنْهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ لِاجْتِنَاحِ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى
النُّسُوحِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِضْفٌ مِمَّا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ
أَوْ يُعْطُوا الَّذِي يَسُدُّوهُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾

﴿٢٣٨﴾ حافظوا -أيها المسلمون- على الصلوات الخمس المفروضة بالداومة على أذنانها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، وحافظوا على الصلاة المتوسطة بينها وهي صلاة العصر، وقوموا في صلاتكم مطيعين لله، خاشعين ذليلين.

﴿٢٣٩﴾ فإن خفتهم من عدو لكم فصلوا صلاة الخوف ماشين، أو راكبين، على أي هيئة تستطيعونها ولو بالإيماء، أو إلى غير جهة القبلة، فإذا زال خوفكم فصلوا صلاة الأمن، واذكروا الله فيها، ولا تنقصوها عن هيئتها الأصلية، واشكروا له على ما علمكم من أمور العبادات والأحكام ما لم تكونوا على علم به.

﴿٢٤٠﴾ والأزواج الذين يموتون ويتركون زوجات بعدهم، فليوصوا وصية لهم: أن يمتن سنة نامة من يوم الوفاة، بالسكنى في منزل الزوج من غير إخراج الورثة لمن مدة السنة؛ جبراً لحاظر الزوجة، وبراءً بالتوفى. فإن خرجت الزوجات باختيارهن قبل انقضاء السنة، فلا إثم عليكم -أيها الورثة- في

ذلك، ولا حرج على الزوجات فيما فعلن في أنفسهن من أمور مباحة. والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه. وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم مَّن بَدَلُوا أَرْوَاجًا يَتَرَضَّنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. ﴿٢٤١﴾ وللمطلقات متاع من كسوة ونفقة على الوجه المعروف المستحسن شرعاً، حقاً على الذين يخافون الله ويتقونه في أمره ونهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان الواضح في أحكام الأولاد والنساء، يبين الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجون إليه في معاشكم ومعادكم؛ لكي تعقلوها وتعملوا بها.

﴿٢٤٣﴾ ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الذين قرؤوا من أرضهم ومنازلهم، وهم ألوف كثيرة؛ خشية الموت من الطاعون أو القتال. فقال لهم الله: موتوا. فماتوا دفعة واحدة عقوبة على فرارهم من قدر الله. ثم أحياهم الله تعالى بعد مدة؛ ليستوفوا آجالهم. وليتعضوا ويتوبوا! إن الله لدر فضل عظيم على الناس بنعمه الكثير، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم.

﴿٢٤٤﴾ وقاتلوا -أيها المسلمون- الكفار لنصرة دين الله، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم. ﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يتفق في سبيل الله إنفاقاً حسناً احتساباً للأجر، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة لا تحصى من العواب وحسن الجزاء؟ والله يقبض ويبسط، فأنفقوا ولا تبالوا؛ فإنه هو الرزاق، يُضَيِّقُ على من يشاء من عباده في الرزق، ويوسع على آخرين. له الحكمة البالغة في ذلك، واليه وحده ترجعون بعد الموت، فيجازيكم على أعمالكم.

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِن خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم مَّن بَدَلُوا أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَرْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِن خَرَجْتُمْ فَلَاحْتِجَاحٍ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي الضُّعُفِ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ • الرُّسُلُ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخَذَهَا إِتِ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفِقُ بِرُضَا اللَّهِ رِضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

[٢٤٦] ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الأشراف والوجهاء من بني إسرائيل من بعد زمان موسى؟ حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكاً. يجتمعون تحت قيادته، ويقاتلون أعداءهم في سبيل الله. قال لهم نبيهم: هل الأمر كما أتوقعه إن فرض عليكم القتال في سبيل الله أنكم لا تقاتلون؟ فإني أتوقع جبنكم وفراركم من القتال. قالوا مستنكرين توقع نبيهم: وأي مانع يمنعنا عن القتال في سبيل الله. وقد أخرجنا عدوئنا من ديارنا. وأبعدنا عن أولادنا بالقتل والأسر؟ فلما فرض الله عليهم القتال مع النيك الذي عيّنهم لهم جبنوا وفرّوا عن القتال. إلا قليلاً منهم ثبتوا بفضل الله. والله عليم بالظالمين الناكثين عهدهم.

[٢٤٧] وقال لهم نبيهم: إن الله قد أرسل إليكم طالوت ملكاً إجابة لطلبكم، يقودكم لقتال عدوكم كما طلبتم. قال كبراء بني إسرائيل: كيف يكون طالوت ملكاً علينا، وهو لا يستحق ذلك؟ لأنه ليس من سبط الملوك. ولا من بيت النبوة، ولم يُعْطِ كثرة في الأموال

يستعين بها في ملكه، فنحن أحق بالملك منه؛ لأننا من سبط الملوك ومن بيت النبوة. قال لهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم بأمور عباده، وزاده سعة في العلم وقوة في الجسم ليجاهد العدو. والله مالك الملك يعطي ملكه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء. علم بحقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء. [٢٤٨] وقال لهم نبيهم: إن علامة ملكه أن يأتيكم الصندوق الذي فيه التوراة -وكان أعداؤهم قد انتزعوه منهم- فيه طمانينة من ريبكم تثبت قلوب المخلصين. وفيه بقية من بعض أشياء تركها آل موسى وآل هارون، مثل العصا وفتات الألواح تحمله الملائكة. إن في ذلك لأعظم برهان لكم على اختيار طالوت ملكاً عليكم بأمر الله. إن كنتم مصدقين بالله ورسله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلَكَ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْتَ عَلَيْهِمُ الْغِيَالُ تُولُوا بِالْأَقْيَلِ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلَكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلَكِ مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْقَانُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِمَّنْ رَزَيْكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا قَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ. فَشَرِبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ.
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَرِهًا مِنْ قِتَّةٍ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ قِتَّةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ صَبْرًا وَإِنَّا أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٦﴾

[٢٤٩] فلما خرج طالوت بجنوده لقتال العمالقة قال لهم: إن الله ممتحنكم على الصبر بنهر أمامكم تعبرونه؛ ليعتبر المؤمن من المنافق، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس من أهل ديني، ولا يصلح للجهاد معي، ومن لم يذوق الماء فإنه مني؛ لأنه مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلا من ترخص واغترف غُرْفَةً واحدة بيده فلا لوم عليه. فلما وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، إلا عدداً قليلاً منهم صبروا على العطش والحرق، واكتفوا بغُرْفَةٍ اليد، وحينئذ تحلف العصاة: ولما عبر طالوت النهر هو والقلَّة المؤمنة معه - وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً - لملأفة العدو، ورأوا كثرة عدوهم وعدتتهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده الأشداء، فأجاب الذين يوقنون ببقاء الله، يذُكرون إخوانهم بالله وقدرته قائلين: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت - بإذن الله وأمره - جماعة كثيرة كافرة باغية. والله مع الصابرين بتوفيقه ونصره، وحسن مشورته.

[٢٥٠] ولما ظهروا لجالوت وجنوده، ورأوا الخطر رأي العين، فزعموا إلى الله بالدعاء والضرعة قائلين: ربنا أنزل على قلوبنا صبراً عظيماً، وثبت أقدامنا، واجعلها راسخة في قتال العدو، لا تقرب من هول الحرب، وانصرنا بعونك وتأييدك على القوم الكافرين.

[٢٥١] فهزموهم بإذن الله، وقتل داود - عليه السلام - جالوت قائد الجبابرة، وأعطى الله عز وجل داود - بعد ذلك - الملك والنبوة في بني إسرائيل، وعلمه ما يشاء من العلوم. ولولا أن يدفع الله ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له - والإيمان به - بعضاً، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكَّن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعاً.

[٢٥٢] تلك حجج الله وبراهينه، نقضها عليك - أيها النبي - بالصدق، وإنك لمن المرسلين الصادقين.

[٢٥٣] هؤلاء الرسل الكرام ففضل الله بعضهم على بعض، بحسب ما أمر الله به عليهم؛ فمنهم من كلمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله، ومنهم من رفعه الله درجات عالية كمحمد ﷺ بعموم رسالته، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وغير ذلك. وأتى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام البيئات المعجزات الباهرات، كإبراء من ولد أعمى بإذن الله تعالى، ومن به برص بإذن الله، وكإحيائه الموتى بإذن الله، وأيدى مجبريل عليه السلام. ولو شاء الله ألا يقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل، من بعد ما جاءتهم البيئات ما اقتتلوا، ولكن وقع الاختلاف بينهم؛ فمنهم من ثبت على إيمانه، ومنهم من أصر على كفره. ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم، الموجب للاقتتال، ما اقتتلوا، ولكن الله يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل من يشاء، فيعصيه ويكفر به. فهو يفعل ما يشاء ويختار.

* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَهُمْ مِّنْ آمَنٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ تَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا تَبْتَغِي فِيهِ وَلَا خَالَةَ وَلَا شَفِيعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقُدُّوسُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[٢٥٤] يا من أنتم بالله وصدقتم رسوله وعلمتكم بهديه أخرجوا الزكاة المفروضة، وصدقوا بما أعطاكم الله قبل مجيء يوم القيامة، حين لا يبيع فيكون ربح، ولا مال تفتدون به أنفسكم من عذاب الله، ولا صداقة صديق تُنقذكم، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم. والكافرون هم الظالمون المتجاوزون حدود الله.

[٢٥٥] الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، الحي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء، لا تأخذه سنة أي: نعاس، ولا نوم، كل ما في السموات وما في الأرض ملك له. ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلية، وما خلفهم من الأمور الماضية، ولا يُظَلِّعُ أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله وأطلع عليه، وسع كرسية السموات والأرض، والكروي: هو موضع قدمي الرب - جل جلاله - ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، ولا يثقله سبحانه حفظهما، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء. وهذه الآية أعظم آية في القرآن، وتسمى: (آية الكروي).

[٢٥٦] لكمال هذا الدين واتضاح آياته لا يحتاج إلى الإكراه عليه، فالدلائل بينة يتضح بها الحق من الباطل. والهدى من الضلال. فمن يكفر بكل ما عُيِدَ من دون الله ويؤمن بالله، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى. واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له. والله سميع لأقوال عباده، عليم بنياتهم وأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

[٢٥٧] الله يتولى المؤمنين بنصره وتوفيقه وحفظه، يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان، والذين كفروا أنصارهم وأولياؤهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، أولئك أصحاب النار الملازمون لها، هم فيها باقون بقاء أبدياً لا يخرجون منها.

[٢٥٨] هل رأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته؛ لأن الله أعضاء الملك فتجبر وسأل إبراهيم: من ربك؟ فقال عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال: أنا أحسي وأميت، أي أقتل من أردت قتله، وأستحيي من أردت استبقاءه.. فقال له إبراهيم: إن الله الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير

اللَّهُ وَكَى الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَٰوَلِيّٰهُمُ الظُّلُمَاتُ يَخْرِجُوهُمْ مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ؕ أُولَٰئِكَ السَّارِقُونَ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٥٨﴾ الَّذِي إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن ءَاقَبَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ أَلَيْسَ
بِئْسَ إِلَٰهًا مَّنْ يَتَّخِذُ مِن نَّارِهِ مَبْعَثًا ۗ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ لَأُبْرِهِمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ أَوْ كَالَّذِي
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِیَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى
يَكُونُ لِلَّهِ عَذَابٌ مَّوْتِنَهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَأَبْتَسْتَهُ
وَأَنْظِرْ إِلَى جَمْرِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى
الْعِظَامِ يَكْفِىٰ لِنَشْرُهَا ثُمَّ نَكَّسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا
بَيَّتَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

هذه السُّنة الإلهية بأن يجعلها تأتي من المغرب؟ فتحمي هذا الكافر وانقطعت حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.

[٢٥٩] أو هل رأيت -أيها الرسول- مثل الذي مرَّ على قرية قد تهدمت دورها، وخَوَّتْ على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماتته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتاً؟ قال: بقيت يوماً أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتاً مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظها الله من التغير هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياءه الله بعد أن كان عظماً متفركة، وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحماً، ثم يعيد فيها الحياة، فلما انتضح له ذلك عجباً اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس.

[٢٦٠] واذكر - أيها الرسول - طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيفية البعث، فقال الله له: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن أطلب ذلك لأزداد يقيناً على يقيني، قال: فخذ أربعة من الطير فاضمهن إليك واذبحهن وقطعهن، ثم اجعل على كل جيل منهن جزءاً، ثم نادهن يأتيك مسرعات. فنادى إبراهيم عليه السلام، فإذا كل جزء يعود إلى موضعه، وإذا بها تأتي مسرعة. واعلم أن الله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

[٢٦١] ومن أعظم ما ينتفع به المؤمنون الإنفاق في سبيل الله. ومثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة زُرعت في أرض طيبة، فإذا بها قد أخرجت ساقاً تشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبله، في كل سنبله مائة حبة. والله يضاعف الأجر لمن يشاء، بحسب ما يقوم بقلب المنفق من الإيمان

والإخلاص التام. وفضل الله واسع، وهو سبحانه عليم بمن يستحقه، مطلع على نيات عباد.

[٢٦٢] الذين يخرجون أموالهم في الجهاد وأنواع الخير، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات متاً على من أعظوه ولا أذى بقول أو فعل يشعره بالفضل عليه، لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم في هذه الدنيا.

[٢٦٣] كلام طيب يترد به السائل، وعفو عما بدر منه من إلحاح في السؤال، خير من صدقة يتبعها من المتصدق أذى وإساءة. والله غني عن صدقات العباد، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

[٢٦٤] يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تُدْهِبُوا ثواب ما تصدقون به بالمن والأذى. فهذا شبيهه بالذي يخرج ماله ليراد الناس، فيئسوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر. فمثل ذلك مثل حجر أمس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، ففكره أمس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراءون تضمحل أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئاً من الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها.

وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جيل منهن جزءاً ثم اذعهن يأتيك سبعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم ﴿٢٦٠﴾ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴿٢٦١﴾ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يشعروا ما أنفقوا متاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٢٦٢﴾ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴿٢٦٣﴾ بتأييد الذين آمنوا لا ينظروا صدقتكم باليمن والأذى كالأذى ينفق ماله ريتا الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ومما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿٢٦٤﴾

[٢٦٥] ومثل الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله واعتقاداً راسخاً بصدق وعده، كمثل بستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة، فتضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي العمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتضاعف، قلتُ أم كثرت، فإِنَّهُ الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ، البصير بالظواهر والبواطن، يثيب كُلاً بحسب إخلاصه.

[٢٦٦] أيرغب الواحد منكم أن يكون له بستان فيه النخيل والأعناب. تجري من تحت أشجاره المياه العذبة. وله فيه من كل ألوان الثمرات، وقد بلغ الكبر. ولا يستطيع أن يفرس مثل هذا الفرس. وله أولاد صفار في حاجة إلى هذا البستان، وفي هذه الحالة هبَّت عليه ريح شديدة، فيها نار محرقة فأحرقته؟ وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم، يأتون يوم

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا مِنْ نَفْسِهِمْ كَمَا كَمَلَ جَنَّةٌ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْثُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُضَيِّبْهَا وَابِلٌ فَظَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ إِنِزْدَادَكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ جَنِينٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا يَتَذَكَّرُهَا إِلَّا الَّذِينَ يُعْمِلُونَ فِيهَا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي اللَّهُ الْكِسْفَةَ مِمَّنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْكِسْفَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

القيامة ولا حسنة لهم. بمثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم؛ كي تتأملوا. فتخلصوا نفقاتكم لله.

[٢٦٧] يا من آمنتم بي واتبعتم رسلي أنفقوا من الحلال الطيب الذي كسبتموه. وما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تقصدوا الرديء منه لتعطوه الفقراء، ولو أعطيتهموه لم تأخذوه إلا إذا تغاضيتهم عما فيه من رداءة ونقص. فكيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم؟ واعلموا أن الله الذي رزقكم غني عن صدقاتكم، مستحق للثناء، محمود في كل حال.

[٢٦٨] هذا البخل واختيار الرديء للصديقة من الشيطان الذي يخوفكم الفقر، ويفريكم بالبخل، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى. والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفراناً لتنوبكم ورزقاً واسعاً. والله واسع الفضل، عليم بالنيات والأعمال.

[٢٦٩] يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن أنعم الله عليه بذلك فقد أعطاه خيراً كثيراً. وما يتذكر هذا وينتفع به إلا أصحاب العقول المستنيرة بنور الله وهديته.

[٢٧٠] وما أعطيتهم من مال أو غيره قليل أو كثير تصدقون به ابتغاء مرضات الله، أو أوجبتم على أنفسكم شيئاً من مال أو غيره، فإن الله يعلمه، وهو النطلع على نياتكم، وسوف يثيبكم على ذلك. ومن منع حق الله فهو ظالم، والظالمون ليس لهم أنصار يمنعونهم من عذاب الله.

[٢٧١] إن تظهروا ما تصدقون به لله فينعم ما تصدقتم به، وإن تسروا بها، وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم؛ لأنه أبعد عن الرياء. وفي الصدقة - مع الإخلاص - محلونوبكم. والله الذي يعلم دقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيجازي كلًّا بعمله.

[٢٧٢] لست - أيها الرسول - مسؤولاً عن توفيق الكافرين للهداية، ولكن الله يشرح صدور من يشاء لدينه، ويوفقهم له. وما تبدلوا من مال يعضد عليكم

نفعه من الله، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلباً لرضا الله. وما تنفقوا من مال - لمخلصين لله - ثوقوا ثوابه، ولا تثقوا شيئاً من ذلك. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

[٢٧٣] اجعلوا صدقاتكم لفقراء المسلمين الذين لا يستطيعون السفر؛ طلباً للرزق لاستغاثهم بالجهاد في سبيل الله، يظنهم من لا يعرفهم غير محتاجين إلى الصدقة؛ لتعففهم عن السؤال، تعرفهم بعلا ماتهم وآثار الحاجة فيهم، لا يسألون الناس بالكثية، وإن سألوا اضطراراً لم يلبحوا في السؤال. وما تنفقوا من مالٍ في سبيل الله فلا يخفى على الله شيء منه، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة.

[٢٧٤] الذين يخرجون أموالهم مرضاة لله ليلاً ونهاراً مسرّين ومعلنين، فلمهم أجرهم عند ربهم. ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ذلك التشريع الإلهي الحكيم هو منهاج الإسلام في الإنفاق لما فيه من سدّ حاجة الفقراء في كرامة وعزة، وتطهير مال الأغنياء، وتحقيق التعاون على البر والتقوى؛ ابتغاء وجه الله دون قهر أو إكراه.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنَّ نَبْذُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤَثِّمُوهَا فَالْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ نُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ فَحَافُوا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَلَعَلَّ اللَّهَ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّخَذَ مِنْهَا سَلْفًا وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ يَنْحَقُّ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّالِّينَ أَنَّهُمْ لَا يُجِيبُونَ كُلَّ حَتْمٍ رَأْسًا ﴿٣٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾ بِنَائِهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَدُّرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا
فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْ تُبْشِرَ فِكْرَهُمْ وَأَنْ
أَمْرًا لَكُمْ لَا تظلمون وَلَا تظلمون ﴿٣٩﴾ وَإِنْ كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤١﴾

{٢٧٥} الذين يتعاملون بالربا - وهو الزيادة على رأس المال - لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون: ذلك لأنهم قالوا: إننا البيع مثل الربا. في أن كلاً منهما حلال، ويؤدي إلى زيادة المال. فأكد بهم الله، وبين أنه أحل البيع وحرم الربا، لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات، ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك. فمن بلغه نهي الله عن الربا فارتدع، فله ما مضى قبل أن يبلغه التحريم لا إثم عليه فيه، وأمره إلى الله فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته فالله لا يضيع أجر المحسنين، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

{٢٧٦} يذهب الله الربا كله، أو يحرم صاحبه بركة ماله فلا ينتفع به، ويُني الصدقات ويكثرها، ويضاعف الأجر للمتصدقين، ويبارك لهم في أموالهم. والله لا يحب كل مُصِرٍّ على كفره، مُستجلاً أكل الربا، متساقداً في الإثم والحرام ومعاصي الله.

{٢٧٧} إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الأعمال الطيبة، وأدوا الصلاة كما أمر الله ورسوله، وأخرجوا زكاة أموالهم، لهم ثواب عظيم خاص بهم عند ربهم ورازقهم، ولا يلحقهم خوف في آخرتهم، ولا حزن على ما فاتهم من حظوظ دنياهم.

{٢٧٨} يامن أنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولاً وعملاً.

{٢٧٩} فإن لم تردعوا عما نهاكم الله عنه فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن رجعت إلى ربكم وتركتم أكل الربا فلنكم أخذ ما لكم من ديون، دون زيادة، لا تظلمون أحداً بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ولا يظلمكم أحد بنقص ما أقرضتم.

{٢٨٠} وإن كان المدين غير قادر على السداد فأملهوا: إلى أن يبسر الله له رزقاً فيدفع إليكم مالكم. وإن تركوا رأس المال كله أو بعضه وتضعوه عن المدين فهو أفضل لكم. إن كنتم تعلمون فضل ذلك، وأنه خير لكم في الدنيا والآخرة.

{٢٨١} واحذروا - أيها الناس - يوماً ترجعون فيه إلى الله. وهو يوم القيامة. حيث تعرضون على الله ليحاسبكم، فيجازي كل واحد منكم بما عمل من خير أو شر دون أن يناله ظلم، وفي الآية إشارة إلى أن اجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية. تكميل للإيمان وحقوقه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعمل الصالحات.

[٢٨٢] يامن أمنتم بالله واتبعتم رسوله محمداً ﷺ إذا تعاملتم بدين إلى وقت معلوم فاكتموه؛ حفظاً للمال ودفعاً للنزاع. وليقيم بالكتابة رجل أمين ضابط، ولا يمتنع من علمه الله الكتابة عن ذلك، وليقيم المدين ياملاء ما عليه من الدين، وليراقب ربه، ولا ينقص من دينه شيئاً. فإن كان المدين لا يحسن التصرف في ماله، أو كان صغيراً أو مجنوناً، أو لا يستطيع النطق لخرس به أو عدم قدرة كاملة على الكلام، فليتول الإملة عن المدين القائم بأمره، واطلبوا شهادة رجلين مسلمين باليمين عاقلين من أهل العدالة، فإن لم يوجد رجلان، فاطلبوا شهادة رجل وامرأتين ترضون شهادتهن؛ حتى إذا تيسرت إحداها ذكرتها الأخرى، وعلى الشهاد أن يجيبوا من دعاهم إلى الشهادة، وعليهم أداؤها إذا ما دُعوا إليها. ولا تملوا من كتابة الدين قليلاً أو كثيراً إلى وقته المعلوم. ذلكم أعدل في شرع الله وهديه، وأعظم عوناً على إقامة الشهادة وأدائها، وأقرب إلى نفي الشك في جنس الدين وقدره وأجله، لكن إن كانت المسألة مسألة

بيع وشراء، بأخذ سلعة ودفع ثمنها في الحال، فلا حاجة إلى الكتابة، ويستحب الإشهاد على ذلك؛ منعاً للنزاع والشقاق، ومن الواجب على الشاهد وال كاتب أداء الشهادة على وجهها والكتابة كما أمر الله، ولا يجوز لصاحب الحق ومن عليه الحق الإضرار بالكتاب والشهود، وكذلك لا يجوز للكتاب والشهود أن يضاروا بمن احتاج إلى كتابتهم أو شهادتهم. وإن فعلوا ما نهيتم عنه فإنه خروج عن طاعة الله، وعاقبة ذلك حالة بكم. وخافوا الله في جميع ما أمركم به، ونهاكم عنه، ويعلمكم الله جميع ما يصلح دنياكم وأخراكم. والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء من أموركم، وسيجازيكم على ذلك.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ إِذَا تَدَلَّيْنِم بَدِينِ إِلَى أَجْلِ مُسَمًّى
فَأَكْتُمُوهُ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْتِ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْطِيعُ
أَنْ يُعْلِمَ هُوَ قَلِيلٌ وَلِيهٖ بِالْعَدْلِ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ الَّذِينَ
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذًا مَادْعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجْلِهِ. ذَلِكَمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْرَبُ لِلشُّهَدَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
بِحِزْبٍ حَاضِرَةٍ فُذِيذِرْهَا بَيْنَكُمْ فَلْيَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بِنَضَارٍ كَاتِبٍ
وَلَا شَهِيدٍ وَإِنْ تَفَعَّلُوا قَائِلَهُ فَنُوقَ بِكُمْ وَأَتَقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٣] وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا من يكتب لكم فادعوا إلى صاحب الحق شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه إلى أن يردَّ المدينة ما عليه من دين، فإن سبق بعضكم ببعض فلا حرج في ترك الكتابة والإشهاد والرهن. ويبقى الدين أمانة في دمة المدينة، عليه أدائه، وعليه أن يراقب الله فلا يخون صاحبه. فإن أنكر المدينة ما عليه من دين، وكان هناك من حضر وشهد، فعليه أن يظهر شهادته، ومن أخفى هذه الشهادة فهو صاحب قلب غادر فاجر. والله المُنْطَلِعُ على السرائر، المحيط علمه بكل أموركم، وسيحاسبكم على ذلك.

[٢٨٤] لله ملك السموات والأرض وما فيها منكاً وتدبيراً وإحاطة، لا يخفى عليه شيء. وما تظهره مما في أنفسكم أو تخفوه فإن الله يعلمه، وسيحاسبكم به. فيعفو عن يساء، ويؤاخذ من يساء. والله قادر على كل شيء.

« وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانَ مَقْبُوضَةٍ فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَاذْكُرُوا الَّذِي آوْتُمِنْ أَمْنَتِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ. وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ هَدَىٰ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ فِي سَعِيرٍ قَلْبُهُ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْنَ بِحَايِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْلَمُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَوَّغْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا تَكْفُرْ بِاللَّهِ نَفْسًا أَوْ تُسْعَفَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَاقَنَا كَمَا حَمَلْتَنَا. عَلَی الذَّيْبِ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحِثْ عَلَيْنَا مَا لَا إِطَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفُزْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وقد أكرم الله المسلمين بعد ذلك فعفا عن حديث النفس وخطرات القلب، ما لم يتبعها كلام أو عمل، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

[٢٨٥] صدَّق وأيقن رسول الله محمد ﷺ بما أوجي إليه من ربه، وحَقُّ له أن يُوقن، والمؤمنون كذلك صدَّقوا وعملوا بالقرآن العظيم، كلٌّ منهم صدَّق بالله ربًّا والهُمَّ متصفًا بصفات الجلال والكمال، وأن لله ملائكة كراماً، وأنه أنزل كتباً، وأرسل إلى خلقه رسلاً، لا تؤمن - نحن المؤمنون - ببعضهم وننكر بعضهم، بل تؤمن بهم جميعاً. وقال الرسول والمؤمنون: سمعنا يا ربنا ما أوحيت به، وأطعنا في كل ذلك. نرجو أن تغفر - بفضلك - ذنوبنا. فأنت الذي ربَّيتنا بما أنعمت به علينا، واليك - وحدك - مرجعنا ومصيرنا.

[٢٨٦] دين الله يسر لا مشقة فيه، فلا يطلب الله من عباده ما لا يطيقونه، فمن فعل خيراً نال خيراً. ومن فعل شراً نال شراً. ربنا لا تعاقبنا إن نسينا شيئاً مما اقترضته علينا، أو أخطأنا في فعل شيء، نهيتنا عن فعله، ربنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة ما كلفته من قبلنا من العصاة عقوبة لهم، ربنا ولا نُحْمِلُنَا ما لا نستطيعه من التكاليف والمصائب، وامح ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأحسن إلينا، أنت مالك أمرنا ومُدَبِّرُهُ، فانصُرنا على من جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وكذبوا نبئك محمداً ﷺ، واجعل العاقبة لنا عليهم في الدنيا والآخرة.

[سورة آل عمران]

[١] ﴿التر﴾ سبق الكلام عليها في أول سورة البقرة.
 [٢] هو الله، لا معبود بحق إلا هو، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق مجلاله، القائم على كل شيء.
 [٣، ٤] نَزَّلَ عَلَيْكَ - أيها الرسول - القرآن - الحق الذي لا ريب فيه، يشهد على صدق ما قبله من كتب ورسول، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل نزول القرآن؛ لإرشاد المتقين إلى الإيمان، وصلاح دينهم وديناهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُعَالَبُ، ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته، وتفرد باللوهية.
 [٥] إن الله محيط علمه بالخلائق، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قَلَّ أَوْ كَثُرَ.
 [٦] هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 التَّر ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا قَدْحًا إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُعَالَبُ، الحكيم في أمره وتدبيره.

[٧] هو وحده الذي أنزل عليك القرآن؛ منه آيات واضحة الدلالة، هن أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ويُردُّ ما خالفه إليه، ومنه آيات أخر متشابهات تحتل بعض المعاني، لا يتعيَّن المراد منها إلا بضمها إلى المحكم، فأصحاب القلوب المريضة الزائفة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات وحدها؛ ليثيروا الشبهات عند الناس، كي يضلّوهم، ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة. ولا يعلم حقيقة هذه الآيات المتشابهات وما تؤول إليه إلا الله، والمتكئون في العلم يقولون: أمنا بهذا القرآن، كهُ قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله محمد ﷺ، ويردُّون متشابهه إلى محكمه، وإنما يفهم ويعقل ويتدبَّر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة.

[٨] ويقولون: يا ربنا لا تُصِرِّف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رحمة واسعة، إنك أنت الوهاب؛ كثير الفضل والعطاء، تعطي من تشاء بغير حساب.

[٩] يا ربنا إننا نُفِرُّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شك فيه، وهو يوم القيامة، إنك لا تُخلف ما وعدت به عبادك.

[١٠] إن الذين جحدوا الدين الحق وأنكروه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً إن وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، وهؤلاء هم حطب النار يوم القيامة.

[١١] شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين، أنكروا آيات الله الواضحة، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم. والله شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسله.

[١٢] قل -أيها الرسول- للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك في «بدر»: إنكم ستهزمون في الدنيا وستموتون على الكفر، وتجمعون إلى نار جهنم؛ لتكون فراشاً دائماً لكم، وبئس الفراش.

[١٣] قد كان لكم -أيها اليهود المتكبرون المعاندون-

دلالة عظيمة في جماعتين تقابلتا في معركة «بدر»: جماعة تقاتل من أجل دين الله، وهم محمد ﷺ وأصحابه، وجماعة أخرى كافرة بالله، تقاتل من أجل الباطل، ترى المؤمنين في العدد مثلهم رأي العين. وقد جعل الله ذلك سبباً لنصر المسلمين عليهم. والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده. إن في هذا الذي حدث لعة عظيمة لأصحاب البصائر الذين يهتدون إلى حكم الله وأفعاله.

[١٤] حَسَنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة، والحليل الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتَّخَذَةُ لِلغَراسِ وَالزَّرَاعَةِ. ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية. والله عنده حسن المرجع والثواب، وهو الحَيَّة.

[١٥] قل -أيها الرسول-: أأخبركم بخير مما رُزِيَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها، وهم فيها أزواج مطَّهَّرَاتٍ مِنَ الحَيْضِ وَالثَّفَاسِ، وسوء الخلق، وهم أعظم من ذلك: رضوان من الله. والله مُطَّلِعٌ عَلَى سَرَائِرِ خَلْقِهِ، عالم بأحوالهم، وسيجازيهم على ذلك.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُنْفِخَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ۝ فَزَعَوْتُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَخَابُوتٌ وَيُخْفَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الرِّبَاذِ ۝ فَكَانَتْ لَكُنُوزَ آيَةٍ فِي فِتْنَتِنَا لِنَقِمَ إِفْعَةً نَقْمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالأَخْرَى كَأَفْوَءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الأَبْصَارِ ۝ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالأَمْوَالِ المُقْتَنَطَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالحَلِيلِ المُسَوِّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالأَرْضِ المُحْرَبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَتَابِ ۝ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِعَهْدِي مِنْ ذِكْرِكُمْ لِلَّذِينَ آتَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ حَبَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَوَّجَ مَطَّهَّرَةً وَرِضْوَانٍ مِمَّنْ اللَّهُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝

[١٦] هؤلاء العباد المتقون يقولون: إننا آمنّا بك، واتبعنا رسولك محمدًا ﷺ، فامح عنا ما اقترناه من ذنوب، ونجنا من عذاب النار.

[١٧] هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله المؤلمة، وبالصدق في الأقوال والأفعال، وبالطاعة التامة، وبالإتفاق سرّاً وعلانية، وبالإستغفار في آخر الليل؛ لأنه مظنة القبول وإجابة الدعاء.

[١٨] شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيد تعالي وقيامه بالعدل. لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، أراد، الحكيم في أقواله وأفعاله.

[١٩] إن الدين الذي ارتضاه الله لخلقه وأرسل به رسله، ولا يقبل غيره هو الإسلام، وهو الانقياد لله

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقَسَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٥٥﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَأَكُمْ وَأُولُو الْعَالَمِ قَابِئًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبِيِّهِمْ وَمَنْ يَعْزُ
بِتَابِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٧﴾ فَإِنْ حَاجَكَ
فَقُلْ أَسْمَعْتُ وَخِيعَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعْنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْمَعْتُمْ فَإِنْ أَسْمَعْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَالَمِ ﴿٥٨﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِتَابِتِ اللَّهِ وَيَقْسُوا التَّيْبَانَ
يَعْبُدُونَ حَقّاً وَيَقْسُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ الْيَوْمِ ﴿٥٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٠﴾

وحد. بالطاعة والاستسلام له بالعبودية، واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته ديناً سوى الإسلام الذي أرسل به. وما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فتنفروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت الحججة عليهم بإرسال الرسل وانزال الكتب؛ بغياً وحسداً طلباً للدنيا. ومن يجحد آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته، فإن الله سريع الحساب، وسيجزئهم بما كانوا يعملون.

[٢٠] فإن جادلوك -أيها الرسول- أهل الكتاب في التوحيد بعد أن أقمت الحججة عليهم قتل لهم: إنني أخلصت لله وحد، فلا أشرك به أحداً، وكذلك من اتبعني من المؤمنين، أخلصوا لله وانقادوا له. وقل لهم ولمشركي العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم والهدى والحق، وإن توليتم فحسابكم على الله. وليس عليّ إلا البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحججة. والله بصير بالعباد، لا يخفى عليه من أمرهم شيء..

[٢١] إن الذين يجحدون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون، ويقتلون أنبياء الله ظلماً بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء، فبشّرهم بعذاب موعود.

[٢٢] أولئك الذين بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا يقبل لهم عمل، وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُوا قَرِيبٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥٤﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَسْمَعَ النَّارَ إِلَّا آيَاتًا مَّعْدُودَةً
 وَعَرَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ نُوفِيَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ
 نَشَاءٍ وَتَنْزِيعِ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ نَشَاءُ وَنُزْعًا مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِيلًا مِنْ
 نَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ فَوَيْلٌ لِلْآبِلِ
 فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّى وَالتَّهَارَى فِي الْآبِلِ وَتَخْرُجُ النَّفْسُ مِنَ النَّبِيتِ
 وَتَخْرُجُ النَّبِيتُ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٨﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّفِقُوا مِنْهُ
 نَفْسَةً وَحَيْذُ رُكِبَ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ قُلِ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُشِّرْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُكُمْ وَيُعَلِّمُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

[٢٣] أَرَأَيْتَ - أيها الرسول - أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين آتاهم الله حطاً من الكتاب فعملوا أن ما جئت به هو الحق، يُدعون إلى ما جاء في كتاب الله - وهو القرآن - ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فإن لم يوافق أهواءهم يَأْبَ كثير منهم حكم الله؛ لأنَّ من عادتهم الإعراض عن الحق؟

[٢٤] ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب؛ بأنهم لن يعدبوا إلا أياماً قليلة، وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدينه، واستمراهم على دينهم الباطل الذي خدعوا به أنفسهم.

[٢٥] فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسنوا في يوم لا شك في وقوعه - وهو يوم القيامة - وأخذ كل واحد جزءاً ما اكتسب، وهم لا يظلمون شيئاً؟

[٢٦] قل - أيها النبي متوجهاً إلى ربك بالدعاء -: يا مَنْ لك الملك كُلُّهُ، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَنْ نَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَسْلُبُ الْمَلِكُ مَنْ

نَشَاءُ، وتهب العزة في الدنيا والآخرة من نَشَاءُ، وتجعل الذلَّة على مَنْ نَشَاءُ، بيدك الخير، إنك - وحدك - على كل شيء قدير. وفي الآية إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

[٢٧] ومن دلائل قدرتك أنك تُدخل الليل في النهار، وتدخل النهار في الليل، فيطول هذا ويقصر ذلك، وتخرج الحي من الميت الذي لا حياة فيه، كإخراج الزرع من الحب، والمؤمن من الكافر، وتخرج الميت من الحي كإخراج البيض من الدجاج، وترزق مَنْ نَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

[٢٨] ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، وَمَنْ يتولم فقد برئ من الله، والله بري، منه، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا ضِعَافًا خَائِفِينَ فقد رَحَّصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي مهادنتهم اتقاء لشرهم. حتى تقوى شوكتكم. ويحذركم الله نفسه، فاتقوه وخافوه. وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والحجاء.

[٢٩] قل - أيها النبي - للمؤمنين: إن تكتموا ما استقر في قلوبكم من موالات الكافرين ونصرتهم أو تظهروا ذلك لا يَحْفَظُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وله القدرة التامة على كل شيء..

[٣٠] وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجدد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفراً لتجزئ به، وما عملت من عمل سيئ تجده في انتظارها أيضاً، فتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمناً بعيداً، فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار. ومع شدة عقابه فإنه سبحانه المتصف بكمال الرحمة بالعباد.

[٣١] قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني وأمنوا بي ظاهراً وباطناً، يحببكم الله، ويمنح ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعاً لنبيه محمد ﷺ حق الاتباع، مطيعاً له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول ﷺ حق الاتباع.

[٣٢] قل -أيها الرسول-: أطيعوا الله باتباع كتابه، وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن هم أعرضوا عنكم، وأصروا على ما هم عليه من

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْتَصِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَأُوحِدُكُمْ إِلَهُكُمْ أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْإِنْسَانِ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أَبَعْدَهَا بِكَ وَذَرَيْتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْزِيلُ رَبِّي لِي لَيْلًا مِّنْ بَيْنِ حَسَبٍ ﴿٣٨﴾

كفر وضلال، فليسوا أهلاً لمحبة الله؛ فإن الله لا يحب الكافرين.

[٣٣] إن الله اختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

[٣٤] هؤلاء الأنبياء، والرسل سلسلة ظهر متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

[٣٥] اذكر -أيها الرسول- ما كان من أمر مريم وأنها عيسى عليه السلام؛ لترد بذلك على من ادَّعوا ألوهية عيسى أو بنوته لله سبحانه، إذ قالت امرأة عمران حين حملت: يا ربِّ إِنِّي جَعَلْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي خَالِصًا لَكَ، لخدمة «بيت المقدس»، فتقبَّل مني، إنك أنت وحدك السميع لدعائي، العليم بنيتي.

[٣٦] فلما تمَّ حملها ووضعت مولودها قالت: ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ لَا تَصْلُحُ لِلْخِدْمَةِ فِي «بَيْتِ الْمَقْدِسِ» -والله أعلم بما وضعت، وسوف يجعل الله لها شأنًا- وقالت: وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وإني سمَّيتها مريم، وإني حصَّنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

[٣٧] فاستجاب الله دعاءها وقبل منها ثدريها أحسن قبول، وتولَّى ابنتها مريم بالرعاية فأنبتها نباتاً حسناً، وبشَّر الله لها زكريا عليه السلام كافلاً، فأسكنها في مكان عبادته، وكان كلما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقاً هينياً معداً قال: يا مريم من أين لك هذا الرزق الطيب؟ قالت: هو رزق من عند الله. إن الله -بفضله- يرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

[٣٨] عندما رأى زكريا ما أكرم الله به مريم من رزقه وفضله توجه إلى ربه قائلاً: يا رب أعطني من عندك ولداً صالحاً مباركاً، إنك سمع الدعاء لمن دعاك.

[٣٩] فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلواته يدعوه: أن الله يخبرك بخبر يسرك، وهو أنك سترزق بولد اسمه يحيى. يُصدّق بكلمة من الله - وهو عيسى بن مريم عليه السلام -، ويكون يحيى سيداً في قومه. له المكانة والمنزلة العالية، وحضوراً لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة. ويكون نبياً من الصالحين الذين بلغوا في الصلاح ذروته.

[٤٠] قال زكريا فرحاً متعجباً: رب أنى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها، وامرأتى عقيم لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة.

[٤١] قال زكرياً: رب اجعل لي علامة أستدل بها على

وجود الولد مني؛ ليحصل لي السرور والاستبشار، قال: علامتك التي طلبتها: ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم. مع أنك سويّ صحيح، وفي هذه المدة أكثر من ذكر ربك. وصل له أواخر النهار وأوائله. [٤٢] واذكر -أيها الرسول- حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وظهرك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

[٤٣] يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين؛ شكراً لله على ما أولاك من نعمه.

[٤٤] ذلك الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أنهم أحق بها وأولى، ووقع بينهم الخصام، فأجروا القرعة بإلقاء أقلامهم. فأصاب زكريا عليه السلام، ففاض بكفالتها.

[٤٥] وما كنت -يا نبي الله- هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: «كن»، فيكون. اسمه المسيح عيسى بن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.

[٤٦] ويكلم الناس وهو رضيع قبل أوان الكلام، ويدعومهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت قوته وكمل شبابه بما أوحاه الله إليه. وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله.

[٤٧] قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أتى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بغي؟ قال لها الملاك: هذا الذي يحدث لك ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجد ما يشاء من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: «كن» فيكون.

[٤٨] ويعلمه الكتابة، والسادد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

[٤٩] ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئتمكم بعلامة من ربكم تدل على أني مرسل

من الله، وهي أني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً حقيقياً ياذن الله، وأشفي من ولده أعمى، ومن به برص، وأحبي من كان ميتاً ياذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلاً على أني نبي الله ورسوله، إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته، مقرين بتوحيده.

[٥٠] وجئتمكم مصدقاً بما في التوراة، ولأحل لكم بوجي من الله بعض ما حرّمه الله عليكم تخفيفاً من الله ورحمة، وجئتمكم بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم، فاتقوا الله ولا تحالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله.

[٥١] إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده، ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق الذي لا عوجاج فيه.

[٥٢] فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخالص: من يكون معي في نصره دين الله؟ قال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأننا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.

وَيَجْعَلُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾
 قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ
 اللَّهُ يَخْتَلِقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٧﴾
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥٨﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن
 رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ
 فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنزِلُ الْأَكْثَمَ وَالأَبْرَصَ
 وَأَخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَخْبِرُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
 فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّتَ بِيَدِي مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلِلَ لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُنَّ
 الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ، آمَنَّا بِآلِهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴿٦٢﴾

رَبَّنَا ءَمَّا يَمَّا اتَّزَلْتَ وَآتَيْنَاكَ الرَّسُولَ فَأَكْتَنَبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾
 إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي فِي مَوْتِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَأَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابَاتٍ شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
 مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيَرْجِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَأَنَّ لَهُمْ لَاجِبَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ
 عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
 عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٠﴾
 قَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا
 نَدْعُ آبَاءَنَا وَابْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
 وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿٥٣﴾ ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا رسولك عيسى عليه السلام، فاجعلنا ممن شهدوا لك بالوحدانية ولأنبيائك بالرسالة، وهذه أمة محمد ﷺ الذين يشهدون للرب بلأفوا أممهم.

﴿٥٤﴾ ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، بأن وكّلوا به من يقتله غيلة، فألقى الله شبه عيسى على رجل دهم عليه فأمسكوا به، وقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام، والله خير الماكرين. وفي هذا إثبات صفة المكر لله - تعال - على ما يليق بجلاله وكماله؛ لأنه مكر بحق، وفي مقابلة مكر الماكرين.

﴿٥٥﴾ ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء، ورافعك إني بيدك وروحك، ومخلصك من الذين كفروا بك، وجاعل الذين اتبعوك - أي: على دينك وما جئت به عن الله من الدين والبشارة بمحمد ﷺ وآمنوا بمحمد ﷺ، بعد بعثته، والتمزموا شريعته - ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إني مصيركم جميعاً يوم الحساب، فأفضل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى عليه السلام.

﴿٥٦﴾ فأما الذين كفروا بالمسيح من اليهود أو غلّوا فيه من النصارى. فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا؛ بالقتل وسلب الأموال وإزالة الملك، وفي الآخرة بالنار. وما لهم من ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله.

﴿٥٧﴾ وأما الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحة، فيعطيهم الله ثواب أعماهم كاملاً غير منقوص، والله لا يحب الظالمين بالشرك والكفر.

﴿٥٨﴾ ذلك الذي نقضه عليك في شأن عيسى، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل، فلا شك فيه ولا امتراء.

﴿٥٩﴾ إني خلق الله لعيسى من غير أب مثله كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم؛ إذ خلقه من تراب الأرض. ثم قال له: «كن بشراً» فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فأدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عبد من عباد الله.

﴿٦٠﴾ الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك - أيها الرسول - من ربك، قدّم على يقينك، وعلى ما أنت عليه من ترك الافتراء، ولا تكن من الشاكرين. وفي هذا تثبيت وطمأنة لرسول الله ﷺ.

﴿٦١﴾ فمن جادلك - أيها الرسول - في المسيح عيسى بن مريم، من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى عليه السلام، فقل لهم: تعالوا نخيّر أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن يُنزّل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصّرّين على عنادهم.

[٦٢] إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْبَأْتُكَ بِهِ -أيها الرسول- من أمر عيسى هو النبا الحق الذي لا شك فيه، وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله هو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره، وفعله.

[٦٣] فإِن أَعْرَضُوا عَنْ تَصَدِيقِكَ وَاتَّبَاعِكَ فَهَمِ الْمُسْذُونِ، والله عليهم بهم، وسيجازيهم على ذلك.

[٦٤] قُلْ -أيها الرسول- لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالوا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعاً: وهي أن نخص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله، فإن أَعْرَضُوا عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الطَّيِّبَةِ فَقُولُوا لَهُم -أيها المؤمنون-: أشهدوا علينا بأننا مسلمون منافقون لربنا بالعبودية والإخلاص، والدعوة إلى كلمة سواء، كما نُوجِّهُهُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، نُوجِّهُهُ إِلَى مَنْ جَرَى مجراه. [٦٥] يا أصحاب الكتب المنزلة، من اليهود والنصارى، كيف يجادل كل منكم في أن إبراهيم عليه السلام كان على ملته، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده؟ أفلا تفقهون خطأ قولكم: إن إبراهيم كان

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخَافُونَ فِي بُرْهَانِهِ وَمَا نَزَلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا بِالْحَقِّ بَلْ أَفْتَأْتَقُولُونَ ﴿٦٥﴾ هَذَا شَرٌّ هُوَ وَلَا حَاجَةَ لَكُمْ فِيهِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ تَخَافُونَ فِيهِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْشُرْ لَأَتَقَالِمُوتٌ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّحْيُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَذَتْ ظِلْفَاقَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَصُولُونَكُمْ وَمَا يَصُولُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِتَايَاتِ اللَّهِ وَأَنْشُرْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت بعد وفاته بحين؟

[٦٦] ها أنتم يا هؤلاء جادلتم رسول الله ﷺ فيما لكم به علم من أمر دينكم، مما تعتقدون صحته في كتبكم، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم؟ والله يعلم الأمور على خفائها، وأنتم لا تعلمون.

[٦٧] ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من بعده، ولكن كان متبعاً لأمر الله وطاعته، مستمسكاً لربه، وما كان من المشركين.

[٦٨] إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ وَأَخَصَّهُمْ بِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَقُوا بِرِسَالَتِهِ وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، وَهَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُتَّبِعِينَ شَرَعَهُ.

[٦٩] تَمَثَّلَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَوْ يَصُولُونَكُمْ -أيها المسلمون- عن الإسلام، وما يضلون إلا أنفسهم وأتباعهم، وما يدرون ذلك ولا يعلمونه.

[٧٠] يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تَجْحَدُونَ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلْنَا عَلَى رِسْلِهِ فِي كِتَابِكُمْ، وفيها أن محمداً ﷺ هو الرسول المنتظر، وأن ما جاءكم به هو الحق، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تنكرونها.

[٧١] يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تَحْلَطُونَ الْحَقَّ فِي كِتَابِكُمْ بِمَا حَرَفْتُمُوهُ وَكُتِبَتْكُمْ مِنَ الْبَاطِلِ بِأَيْدِيكُمْ، وَتُحْفَنُونَ مَا فِيهَا مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ دِينَهُ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟

[٧٢] وقالت جماعة من أهل الكتاب من اليهود: صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخراً: لعلمهم يتشككون في دينهم، ويرجعون عنه.

[٧٣] ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً إلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فَكَانَ يَهُودِيًّا، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنْ أَلْهَىٰ وَالتَّوْفِيقَ هَدَىٰ اللَّهُ وَتَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَقَالُوا: لَا تَطْهَرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ فَيَسْأَلُوكُمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ، وَتَكُونُ لَهُمُ الْأَفْضَلِيَّةَ عَلَيْكُمْ، أَوْ أَنْ يَتَّخِذُوهُ حِجَّةً عِنْدَ رَبِّكُمْ يَغْلِبُونَكُمْ بِهَا. قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنْ الْفَضْلُ وَالْعِطَاءُ وَالْأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، يُؤْتِيهَا

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابَ لِتَرْتَابِنُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفِرُوا آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَزِمْنَا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ اللَّهُ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَوْتَيْنَا أَوْ يُخَاجِرَكُمْ عِنْدَ رِيبِكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمَهُ ﴿٧٣﴾ يَتَخَصَّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِطَابِ يَوْزَهِ الْبَيْتِ وَرَهْمِهِمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْذِيهِ الْبَيْتُ إِلَّا مَا ذَمَّتْ عَلَيْهِ قَابَسًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ فَمَتَىٰ قَلِيلًا أَوْلَيْتَ لَآخِلَاقٍ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

مَنْ يَشَاءُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَبِرِسُولِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَالِمٌ، يَسَعُ بَعْلَمَهُ وَعِطَانَهُ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ، مَنْ يَسْتَحِقُّ فَضْلَهُ وَنِعْمَهُ. [٧٤] إِنْ اللَّهُ يُخْتَصُّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ يَشَاءُ بِالنَّبُوَّةِ وَاهْتِدَايَةِ إِلَى أَكْمَلِ الشَّرَائِعِ، وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْعِطَاءِ الْكَثِيرِ الْوَاسِعِ. [٧٥] وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِ يُؤْذِيهِ الْبَيْتُ مِنْ غَيْرِ خِيَانَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ عَلَى دِينَارٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْذِيهِ الْبَيْتُ، إِلَّا إِذَا بَذَلَتْ غَايَةَ الْجُهْدِ فِي مَطَالِبَتِهِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ عَقِيدَةٌ فَاسِدَةٌ تَجْعَلُهُمْ يَسْتَحْلُونَ أَمْوَالَ الْعَرَبِ بِالْبَاطِلِ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي أَكْلِ أَمْوَالِهِمْ إِثْمٌ وَلَا حَرَجٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَحْلَاهَا لَنَا، وَهَذَا كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ، يَقُولُونَهُ بِلِسَانِهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

[٧٦] لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْكَاذِبُونَ، فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ حَقًّا هُوَ مَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرِسُولِهِ وَالتَّزَمَ هَدِيَّةً وَشَرَعَهُ، وَخَافَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلَّ فَاثْمَلْتُمْ أَمْرَهُ؛ وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ.

[٧٧] إِنْ الَّذِينَ يَسْتَبَدِلُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَوَصِيَّتِهِ الَّتِي أَوْصَىٰ بِهَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، عَوْضًا وَبَدَلًا خَسِيسًا مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا وَحَطَامَتِهَا، وَأَوْلَيْتَ لَآخِلَاقٍ لَهُمْ مِنَ الْعَوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ بِمَا يُشْرِكُونَ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعِينَ الرَّحْمَةِ، وَلَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْكَفْرِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

[٧٨] وإن من اليهود لجماعة يحرفون الكلام عن مواضعه، ويبدلون كلام الله، ليوهبوا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، وهو التوراة، وما هو منها في شيء، ويقولون: هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى، وما هو من عند الله، وهم لأجل دنياهم يقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

[٧٩] ما ينبغي لأحد من البشر أن يُنزّل الله عليه كتابه ويجعله حكماً بين خلقه ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: اعبدوني من دون الله، ولكن يقول: كونوا حكماء فقهاء علماء بما كنتم تُعلمونه غيركم من وحي الله تعالى، وبما تدرسونه منه حفظاً وعلماً وفقهاً.

[٨٠] وما كان لأحد منهم أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً وتعبدونهم من دون الله. أيعقل -أيها الناس- أن يأمركم بالكفر بالله بعد انقيادكم لأمره؟

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا يَتَّبِعُونَ آلِ سِتْرِهِم بِالْكُفْرِ لِيُحْسِنُوا مِنَ الْكُفْرِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِشَيْءٍ وَقِيلُوا عَلَى اللَّهِ لَئِنْ أَقْرَبْنَا إِلَهُكُم بِالْكُفْرِ أَوْ بَدَّلْنَا مَفْذِعَهُمْ لَكُلِّ مَلَكٍ كَذِبٌ وَإِنَّمَا كُنَّا مَعَهُمْ قَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا قَوْمًا يَجْعَلُونَ الْإِنشَانَ أَبْدَانًا آلِي مَرْثَىٰ وَأَنبِيَاءَ مَوْجُودَاتٍ كُفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَهُمْ آيَاتُنَا فَأَنقَضُوا بِهَا أَلْفَاقَهُمْ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا مَعَهُمْ قَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا قَوْمًا يَجْعَلُونَ الْإِنشَانَ أَبْدَانًا آلِي مَرْثَىٰ وَأَنبِيَاءَ مَوْجُودَاتٍ كُفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَهُمْ آيَاتُنَا فَأَنقَضُوا بِهَا أَلْفَاقَهُمْ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا مَعَهُمْ قَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا قَوْمًا يَجْعَلُونَ الْإِنشَانَ أَبْدَانًا آلِي مَرْثَىٰ وَأَنبِيَاءَ مَوْجُودَاتٍ كُفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلِئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَهُمْ آيَاتُنَا فَأَنقَضُوا بِهَا أَلْفَاقَهُمْ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾

[٨١] واذكر -أيها الرسول- إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لئن آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول من عندى، مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرته، فهل أقررتم واعترفتم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي الموثق؟ قالوا: أقرنا بذلك، قال: فليشهد بعضكم على بعض، واشهدوا على أممكم بذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ، وأخذ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك.

[٨٢] فمن أعرض عن دعوة الإسلام بعد هذا البيان وهذا العهد الذي أخذه الله على أنبيائه، فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعة ربه.

[٨٣] أيريد هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب غير دين الله -وهو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ-، مع أن كل من في السموات والأرض استسلم وانقاد وخضع لله طواعية -كالمؤمنين- ورغماً عنهم عند الشدائد، حين لا ينفعهم ذلك وهم الكفار، كما خضع له سائر الكائنات، واليه يرجعون يوم المعاد، فيجازي كلاً بعمله. وهذا تحذير من الله تعالى لخلقه أن يرجع إليه أحد منهم على غير ملة الإسلام.

[٨٤] قل لهم - أيها الرسول -: صدقنا بالله وأطعنا، فلا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه، وأمّا بالوحي الذي أنزله الله علينا، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله، وابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، والذي أنزله على الأسباط - وهم الأنبياء من ولد يعقوب، الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة - وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل، وما أنزله الله على أنبيائه، تؤمن بذلك كله، ولا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله وحده متقادون بالطاعة، مُقِرُّون له بالرؤية والألوهية والعبادة.

[٨٥] ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ورسوله النبي الخاتم محمد ﷺ بالإيمان به وبما بعثه ومحبه ظاهراً وباطناً، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين يخسوا أنفسهم حظوظها.

[٨٦] كيف يوفق الله للإيمان به ورسوله قوماً جحدوا نبوة محمد ﷺ بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمداً ﷺ حق وأن ما جاء به هو الحق، وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بوضوح ذلك؟ والله لا يوفق للحق

والصواب الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان.

[٨٧] وأولئك الظالمون جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مطردون من رحمة الله.

[٨٨] ما كفيين في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ولا يُؤخر عنهم المعذرة المعتذرون بها.

[٨٩] إلا الذين رجعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح من بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا ما أفسدوا، وتوبتهم فإن الله يقبلها، فهو غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

[٩٠] إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على الكفر إلى الممات لن يُقبل لهم توبة عند حضور الموت، وأولئك هم الذين ضلوا السبيل، فأخطؤوا منهجه.

[٩١] إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة ملء الأرض ذهباً، ليفتدي به نفسه من عذاب الله، ولو افتدي به نفسه فعلاً. أولئك لهم عذاب موعود، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

قُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِلَّا بَوَاحٍ مِّن رَّبِّي وَأَسْمِعِلْ وَأَسْمِعْ وَتَقَوَّبَ وَأَلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُمْ مَنَابِتُ ۝ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ كَتَبَ يَدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ أُولَئِكَ جَزَاءُ الَّذِي كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأُولَئِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ أَنَّهُ عَفْوٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَّن نَقْبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَن نَقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قَبْلَ: الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَقْتَدَى بِهِ: أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ۝

[٩٢] لن تدرِكوا الجنة حتى تصدقوا مما تحبون، وأي شيء تصدقوا به مهما كان قليلاً أو كثيراً فإن الله به عليكم، وسيجازي كل منفق بحسب عمله.

[٩٣] كل الأضمة الطيبة كانت حلالاً لأبناء يعقوب عليه السلام إلا ما حُرِّم يعقوب على نفسه لمرض نزل به، وذلك من قبل أن تُنزل التوراة، فلما نُزلت التوراة: حَرَّمَ الله على بني إسرائيل بعض الأضمة التي كانت حلالاً لهم؛ وذلك لظلمهم وبغيهم. قل لهم -أيها الرسول-: هاتوا التوراة، وافروا ما فيها إن كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل فيها تحريم ما حُرِّمه يعقوب على نفسه، حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن من أن الله لم يحرم على بني إسرائيل شيئاً من قبل نزول التوراة؛ إلا ما حُرِّمه يعقوب على نفسه.

[٩٤] فمن كذب على الله من بعد قراءة التوراة ووضح الحقيقة، فأولئك هم الظالمون القائلون على الله بالباطل. [٩٥] قل لهم -أيها الرسول- صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه، فإن كنتم صادقين في محبتكم وانتسابكم لخليل الله إبراهيم عليه السلام، فاتبعوا ملته التي شرعها الله على لسان محمد ﷺ، فإنها الحق

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۝ كُلُّ الْعِلْمِ كَانَ حِلًّا لِيَسْرَ إِسْرَهُ بَلِ الْأَمْرُ بِإِسْرِهِ بَلِ عَلَى نَفْسِهِ ۚ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتُورَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ۝ قَمِي أَفْرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَالُوا لَنْبِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ۝ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ۝ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابُ الْبَيْتِ مِنْ أَنْسَطَاحٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ بَانَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقْضُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ۖ أَمِنْ تَبِعْتُمْهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ۖ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْيَقًا مِنْ الدِّينِ أَوْ قَوْمٍ الْكِتَابِ يَردُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

الذي لا شك فيه. وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين بالله في توحيد- وعبادته أحداً. [٩٦] إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض لهو بيت الله الحرام الذي في «مكة»، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتنزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين. [٩٧] في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل. ومن دخل هذا البيت آمن على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَضَى هذا البيت لأداء مناسك الحج، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خلقه. [٩٨] قل -أيها الرسول- لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: لم تجحدوا حجج الله التي دلَّت على أن دين الله هو الإسلام، وتكفرون ما في كتبكم من دلائل وبراهين على ذلك، وأنتم تعلمون؟ والله شهيد على صنعكم. وفي ذلك تهديد ووعد لهم. [٩٩] قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: لم تمنعون من الإسلام من يريد المخول فيه تطيلون له زيفاً وميلاً عن القصد والاستقامة، وأنتم تعلمون أن ما جنَّت به هو الحق؟ وما الله بغافل عما تعملون، وسوف يجازيكم على ذلك. [١٠٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تطيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن اتاهم الله التوراة والإنجيل، يضلوكم، ويلقوا إليكم الشبه في دينكم؛ لترجعوا جاحدين للحق بعد أن كنتم مؤمنين به، فلا تأمنوهم على دينكم، ولا تقبلوا لهم رأياً أو مشورة.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْفِقُونَ عَلَيْنَا مِمَّا آتَاكُمُ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٥﴾
 يَقُولُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
 نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَكٍّ فَأَخْرَجَهُم مِّنَ
 النَّارِ فَانْقَضَتْ مِنهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَنْ تَكُونَ مِثْلَهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٩﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ
 وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ آيَاتُ
 اللَّهِ تَسْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَأَمَّا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾

[١٠١] وكيف تكفرون بالله - أيها المؤمنون - وآيات القرآن تتلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد ﷺ يبلغها لكم؛ ومن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وفق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم.

[١٠٢] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، خافوا الله حق خوفه، وذلك بأن يطاع فلا يعصى، ويُشكر فلا يكفر، ويُذكر فلا ينسى، وداوموا على تمسككم بإسلامكم إلى آخر حياتكم؛ لتلقوا الله وأنتم عليه.

[١٠٣] وتمسكوا جميعاً بكتاب ربكم وهدى نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم - أيها المؤمنون - قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضهم لبعض، فأصبحتم بفضل إخواناً متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام

ونجّاكم من النار. وكما بيّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك بيّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهدتوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها.

[١٠٤] ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعاً وعقلاً، وتنهى عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه شرعاً وعقلاً، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم.

[١٠٥] ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء ففترقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجه.

[١٠٦] يوم القيامة تبيّض وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودّت وجوههم، فيقال لهم توبيخاً: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

[١٠٧] وأمّا الذين ابْيَضَّتْ وجوههم بنصرة النعيم، وما بَشَّرُوا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

[١٠٨] هذه آيات الله وبراهينه الساطعة، تلوها ونقضها عليك - أيها الرسول - بالصدق واليقين. وما الله بظالم أحداً من خلقه، ولا يمتنع شيئاً من أعمالهم؛ لأنه الحاكم العدل الذي لا يجوز.

[١٠٩] والله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴿١٠٩﴾
 كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
 الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ أَلَّا أَتَىٰ وَانْ يَقْتُلُوكُمْ
 يُؤْتُواكُمْ الْأَدْبَارَ لَوْلَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٠﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
 الذِّلَّةُ أُنْتِ مَاتُفِقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
 وَبِمَا يَفْضَحُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
 بِقَدْحٍ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا آوَاكُوا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١١﴾ لَيْسُوا
 سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِلَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
 أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأُسْتُغْفِرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا
 يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ لَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾
 كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
 الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ أَلَّا أَتَىٰ وَانْ يَقْتُلُوكُمْ
 يُؤْتُواكُمْ الْأَدْبَارَ لَوْلَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٠﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
 الذِّلَّةُ أُنْتِ مَاتُفِقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
 وَبِمَا يَفْضَحُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
 بِقَدْحٍ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا آوَاكُوا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١١﴾ لَيْسُوا
 سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِلَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
 أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأُسْتُغْفِرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا
 يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ لَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾

[١١٢] جعل الله الهوان والذلَّ أمراً لازماً لا يفارق اليهود، فهم أذلاء محتقرون أينما وجدوا، إلا بعهد من الله وعهد من الناس يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، وذلك هو عقد الذمة لهم والزامهم أحكام الإسلام، ورجعوا بفضب من الله مستحقين له، وضربت عليهم الذلَّة والمسكنة، فلا ترى اليهودي إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيمان؛ ذلك الذي جعله الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وتجاوزهم حدوده، وقتلهم الأنبياء ظلماً واعتداءً، وما جرَّأهم على هذا إلا ارتكابهم للمعاصي، وتجاوزهم حدود الله.

[١١٣] ليس أهل الكتاب متساوين؛ فمنهم جماعة مستقيمة على أمر الله مؤمنة برسوله محمد ﷺ، يقومون الليل مرتلين آيات القرآن الكريم، مقلين على مناجاة الله في صلواتهم.

[١١٤] يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالخير كله، وينهون عن الشر كله، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك من عباد الله الصالحين.

[١١٥] وأتى عمل قُلْ أو كَثُرَ من أعمال الخير تعلمه هذه الطائفة المؤمنة فلن يضيع عند الله، بل يُشكر لهم، ويجازون عليه، والله عليم بالمتقين الذين فعلوا الخيرات وابتعدوا عن المحرمات؛ ابتغاء رضوان الله، وطلباً لنوابه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنقِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ
 اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٨﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرَاصَاتٌ حَرَّتْ قُورِمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَمَّا كَثُفٌ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَسْجُدُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حَبَالُ
 دُونَ مَا عِبَادَةٌ قَدِيدَتِ الْبَغْضَاءِ مِنْ أَقْوَامٍ هُمْ وَمَا تَخْفَى
 ضُدُّهُمْ زَكَاةً قَدِيدَتِ الْكُفْرِ الْآيَاتِ ﴿٦٠﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
 هَذَا سُورَةُ أَوْلَادِ حَيْبُونَهُمْ وَلَا يَحْبُونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِذَا الْقُورُ كَانُوا أُمَّتًا وَإِذَا خَلَا عَضُوا عَلَيْهِمْ
 الْأَنْثَامِلُ مِنَ الْعَيْطِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْطِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٦٢﴾ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ فَسُوْهُمُ وَإِنْ فَضِيكُمْ
 سَيِّئَةٌ فَصِرْخُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُجِيبٌ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أُمَّلِكَ
 تَبَوُّؤِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَهُ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

[١١٦] إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، لَنْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَامُونَ لَهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

[١١٧] مَثَلُ مَا يُنْفِقُ الْكَافِرُونَ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا يُؤْمَلُونَ مِنْ ثَوَابٍ، كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا تَبْرَدُ شَدِيدٌ هَبَّتْ عَلَى زَرْعٍ قَوْمٌ كَانُوا يَرْجُونَ خَيْرَهُ، وَبِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ لَمْ تُبْقِ الرِّيحُ مِنْهُ شَيْئًا. وَهَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ لَا يَجِدُونَ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ.

[١١٨] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَعَمِلُوا بَشْرَعَهُ لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، تُظَلَعُونَ عَلَى أَسْرَارِكُمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَفْقَهُونَ عَنْ إِفْسَادِ حَالِكُمْ، وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِمَا يَصِيبُكُمْ مِنْ ضَرَرٍ وَمَكْرِهِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ شِدَّةُ الْبَغْضِ فِي كَلَامِهِمْ، وَمَا تَخْفَى صُدُورِهِمْ مِنَ الْعِدَاةِ لَكُمْ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْبَرَاهِينَ وَالْحُجُجَ؛ لِتَعْتَظُوا وَتَحْذَرُوا، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ عَنْ اللَّهِ مَوَاعِظَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

[١١٩] هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى خَطْنِكُمْ فِي مَحَبَّتِهِمْ، فَأَنْتُمْ

تَحْبُونَهُمْ وَتَحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَحْبُونَكُمْ وَيَحْمِلُونَ لَكُمْ الْعِدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْمُنزَلَةِ كُلِّهَا وَمِنْهَا كِتَابُهُمْ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، فَكَيْفَ يَحْبُونَهُمْ؟ وَإِذَا لَقَوَكُمْ قَالُوا -نِفَاقًا-: أَمَّا وَصَدَقْنَا، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بَدَأَ عَلَيْهِمُ الْعَمُّ وَالْحَزَنُ، فَعَضُّوا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ؛ لَمَّا يَرُونَ مِنَ الْفَلَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتِمَاعَ كَلِمَتِهِمْ، وَاعْتِزَّازَ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا لَهَبَ بِهِ، قُلْ لَهُمْ -أَيُّهَا الرَّسُولُ-: مَوْتُوا بِشِدَّةِ غَضَبِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا تَخْفَى الصُّدُورِ، وَسِيَّجَازِي كَلًّا عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍ.

[١٢٠] وَمِنْ عِدَاةِ هَؤُلَاءِ أَنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِنْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ حَسَنٌ مِنْ نَصْرِ وَغَنِيمَةٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِمُ الْكِبَابَةُ وَالْحَزَنُ، وَإِنْ وَقَعَ بِكُمْ مَكْرٌ مِنْ هَزِيمَةٍ أَوْ نَقْصٍ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ فَرَحُوا بِذَلِكَ، وَإِنْ تَصِرُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، لَا يَضُرُّكُمْ أَدَى مَكْرِهِمْ، وَاللَّهُ يَجْمَعُ مَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْفَسَادِ مُحِيطٌ، وَسِيَّجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

[١٢١] وَاذْكُرْ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ لِأَسْأِ عُدَّةَ الْحَرْبِ، تَنْتَظِمُ صَفُوفَ أَصْحَابِكَ، وَتُنْزِلُ كُلَّ وَاحِدٍ فِي مَنَزَلِهِ لِلْقَاءِ الْمَشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ «أُحُدٍ»، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ.

[١٢٢] اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر بني سلمة وبني حارثة حين حدثتهم أنفسهم بالرجوع مع زعيمهم المنافق عبدالله بن أبي، خوفاً من لقاء العدو، ولكن الله عصمهم وحفظهم. فساروا معك متوكلين على الله. وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

[١٢٣] ولقد نصركم الله - أيها المؤمنون - بهدراً على أعدائكم المشركين مع قلة عددكم وغذدكم. فخافوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لعلكم تشكرون له نعمه.

[١٢٤] اذكر - أيها النبي - ما كان من أمر أصحابك في «بدر» حين شق عليهم أن يأتي مدد للمشركين، فأوحينا إليك أن تقول لهم: ألن تكفيكم معونة ربكم بأن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء إلى أرض المعركة، يشتونكم، ويقاتلون معكم؟

[١٢٥] بل يكفيكم هذا المدد. وبشارة أخرى لكم: إن تصبروا على لقاء العدو وتقوا الله بفعل ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، ويأت كفار «مكة» على الفور مسرعين لقتالكم، يظنون أنهم يستأصلونكم، فإن الله يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين

إذ همت طابقتان منكراً نفسلاً والله وإلهما وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ﴿١٢٢﴾ ولقد نصركم الله بهدراً وأنشد الله
فأتقوا الله لعلكم تشكروا ﴿١٢٣﴾ إذ تقول للمؤمنين
ألن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزليين ﴿١٢٤﴾ بل إن تصبروا وتقتلوا وتواتوا فربما يقره
هدايمد ذكر ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين ﴿١٢٥﴾
وما جعله الله إلا بشرى لغير ولتظمن قلوبكم به
وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١٢٦﴾ ليقطع طرفاً
من الذين كفروا أو يكذبهم فسيقبلوا حاجيتهم ﴿١٢٧﴾
ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم
ظالمون ﴿١٢٨﴾ والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴿١٢٩﴾ يتأبها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة
وأتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿١٣٠﴾ وأتقوا النار التي أعدت
للكافرين ﴿١٣١﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحموا ﴿١٣٢﴾

أي: قد أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات.

[١٢٦] وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم يبشركم بها ولتظمن قلوبكم، وتطيب بوعده الله لكم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الذي لا يغالبه الحكيم في تدبيره، وفعله.

[١٢٧] وكان نصر الله لكم بهدراً؛ ليهلك فريقاً من الكفار بالقتل، ومن نجا منهم من القتل رجع حزينا قد ضاقت عليه نفسه. يظهر عليه الحزني والعار.

[١٢٨] ليس لك - أيها الرسول - من أمر العباد شيء، بل الأمر كله لله تعالى وحده لا شريك له، ولعل بعض هؤلاء الذين قاتلوك تنشرح صدورهم للإسلام فيسلموا، فيتوب الله عليهم. ومن بقي على كفره يعذبه الله في الدنيا والآخرة؛ بسبب ظلمه وبغيه.

[١٢٩] والله وحده ما في السموات وما في الأرض. يغفر لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله. والله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

[١٣٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه احذروا الربا بجميع أنواعه. ولا تأخذوا في القرض زيادة على رؤوس أموالكم وإن قلتم، فكيف إذا كانت هذه الزيادة تتضاعف كلها حان موعد سداد الدين؟ واتقوا الله بالترام

شرعه؛ لتفوزوا في الدنيا والآخرة.

[١٣١] واجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار التي هيئت للكافرين.

[١٣٢] وأطيعوا الله - أيها المؤمنون - فيما أمركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول؛ لترحموا، فلا تعذبوا.

• وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٣﴾ الَّذِينَ يَبْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَائِمِ وَالْقَائِمِ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا
فِدْحَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِنُفُوسِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا
فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَن غَفِرَ لَهُ مِن
رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا وَقَعَةَ
أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴿١٤٦﴾ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِكَ نَسِيتَ فَيَسِّرُوا
فِي الْأَرْضِ فَأَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَنُقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ ﴿١٤٧﴾
هَذِهِ آيَاتُ لَيْلَائِي وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٩﴾
إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَسَخَرْنَا لَهُمْ الْقَوْمَ فَزَعَنَّا مُشَاهِدًا ﴿١٥٠﴾
أَلَيْسَ إِذًا وَلِهَا بَيْتُ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

[١٤٣] وبادروا بطاعتكم لله ورسوله لا غننام مغفرة عظيمة من ربكم وجنة واسعة، عرضها السموات والأرض، أعدها الله للمتقين.

[١٤٤] الذين ينفقون أموالهم في اليسر والعسر، والذين يسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، وإذا قَدَرُوا عَفَّوْا عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وهذا هو الإحسان الذي يحب الله أصحابه.

[١٤٥] والذين إذا ارتكبوا ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده فلدجؤوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.

[١٤٦] أولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة جزاؤهم أن يسر الله ذنوبهم، وهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها المياه العذبة، خالدين فيها

لا يخرجون منها أبداً. وثغمة أجر العاملين المغفرة والجنة.

[١٤٧] يخاطب الله المؤمنين لما أصيبوا يوم «أحد» تعزية لهم بأنه قد مضت من قبلكم أمم. ابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين فكانت العاقبة لهم. فسيروا في الأرض معتبرين بما آل إليه أمر أولئك المكذبين بالله ورسوله.

[١٤٨] هذا القرآن بيان وإرشاد إلى طريق الحق. وتذكير تحشع له قلوب المتقين، وهم الذين يحشون الله، وخصوا بذلك؛ لأنهم هم المتتعفون به دون غيرهم.

[١٤٩] ولا تضرعوا -أيها المؤمنون- عن قتال عدوكم، ولا تحزنوا لما أصابكم في «أحد»، وأنتم الغالبون والعاقبة لكم، إن كنتم مصدقين بالله ورسوله، متبعين شرعه.

[١٥٠] إن أصابتكم -أيها المؤمنون- جراح أو قتل في غزوة «أحد» فحزنتم لذلك، فقد أصاب المشركين جراح وقتل مثل ذلك في غزوة «بدر». وتلك الأيام يصرِّفها الله بين الناس. نصر مرة وهزيمة أخرى؛ لما في ذلك من الحكمة. حتى يظهر ما علمه الله في الأزل؛ ليميز الله المؤمن الصادق من غيره، ويكرم أقواماً منكم بالشهادة.

والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم، وقعدوا عن القتال في سبيله.

[١٤١] وهذه الهزيمة التي وقعت في «أحد» كانت اختباراً وتصفية للمؤمنين، وتخليصاً لهم من المنافقين وهلاكاً للكافرين.

[١٤٢] يا أصحاب محمد ﷺ أظنتم أن تدخلوا الجنة، ولم تثبتوا بالقتال والشدائد؟ لا يحصل لكم دخولها حتى تثبتوا، ويعلم الله علماً ظاهراً للخلق المجاهدين منكم في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

[١٤٣] ولقد كنتم -أيها المؤمنون- قبل غزوة «أحد» تسمنون لقاء العدو لتنالوا شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل الله الذي خطي به إخوانكم في غزوة «بدر»، فها هو ذا قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.

[١٤٤] وما محمد ﷺ إلا رسول من جنس الرسل الذين قبله يُبَلِّغُ رسالة ربه. أفان مات بانقضاء أجله، أو قُتِلَ -كما أشاعه الأعداء- رجعت عن دينكم، وتركتكم ما جاءكم به نبيكم؟ ومن يرجع منكم

عن دينه فلن يضر الله شيئاً، إنما يضر نفسه ضرراً عظيماً. أما من ثبت على الإيمان وشكر ربه على نعمة الإسلام، فإن الله يجزيه أحسن الجزاء.

[١٤٥] لن يموت أحد إلا بإذن الله وقدره، وحتى يستوفي المدة التي قدرها الله له. كتب الله ذلك كتاباً مؤقتاً، لا يتقدم على أجله ولا يتأخر. ومن يطلب بعمله غرض الدنيا، نعطه ما قسمناه له من رزق، ولا حظ له في الآخرة، ومن يطلب بعمله الجزاء من الله في الآخرة ننحاه ما طلبه، ونؤته جزاءه وافرأ مع ما له في الدنيا من رزق مقسوم، فهذا قد شكركنا بطاعته وجهاده، وسنجزي الشاكرين خيراً.

[١٤٦] كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لِمَا نزل بهم من جروح أو قتل؛ لأن ذلك في سبيل ربهم، وما عجزوا. ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم. والله يحب الصابرين.

[١٤٧] وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا من تجاوز في أمر ديننا، وثبت أقدامنا حتى لا نفر من قتال عدونا، وانصرنا على من جحد وحدانيتك ونبوة أنبيائك.

[١٤٨] فأعطى الله أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبالتصديق لهم في الأرض. وبالجزاء الحسن العظيم في الآخرة، وهو جنات النعيم. والله يحب كل من أحسن عبادته لربه ومعاملته لخلقه.

وَلِيَمِخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفْرَ مِمَّنْ آمَنُوا
حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَسِرْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤١﴾ وَلَقَدْ كُفِرْتُمْ مَتَّوَاتٍ مِّنَ
قَبْلِ أَنْ تَنْفَرُوا فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٢﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْفَلْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا كُنَّا
لِنُفْسِحَ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤْتَلَأً وَمَنْ يَرِ
قُوتَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ، وَمَنْ يَرِ قُوتَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ، وَمَنْهَا
وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ
رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكْبَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِنْرَاقَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾ فَكَاتَبَهُمُ اللَّهُ قُوتَابَ
الدُّنْيَا وَحَسَنَ قُوتَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ؕ آمَنُوا أَنْ تَطِيفُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا
 يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقِبِكُمْ فَتَقَبَّلُوا أَحْسَبِينَ ۝
 بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۝ سَنُلْقِي
 فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
 مَا لَهُمْ نِزَالٌ بِهِ ۚ سُلْطَنًا وَمَا هُمْ بِالنَّازِئِينَ
 مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
 وَعْدَهُ ۚ إِذْ أَخْبَسْتُمْ بِأَنفُسِكُمْ إِذَا قَامْتُمْ
 وَتَرَرْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
 مَا نَجَّبْتُمْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ
 وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ۝
 إِذْ تَضَعُوا تُرُوسَكُمْ وَأَنَّ لِلَّهِ الْخَبْرَ
 وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُمُ
 عَمَّا بَعَثَ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
 مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

[١٤٩] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشِرْعِهِ
 إِنَّ تَطِيعُوا الَّذِينَ جحدوا ألوهيتي، ولم يؤمنوا برسلي
 من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين فيما
 يأمرؤنكم به ويتهؤنكم عنه، يضلوكم عن طريق
 الحق، وترتدؤا عن دينكم، فتعودوا بالخرسان المبين
 والهلاك المحقق.

[١٥٠] إِنْهُمْ لَنْ يَنْصُرُوكُمْ، بَلِ اللَّهُ نَاصِرُكُمْ، وَهُوَ خَيْرُ
 نَاصِرٍ، فَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَىٰ نَصْرَةٍ أَحَدٍ.

[١٥١] سَنَقْذِفُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَشَدَّ الْفِرْعِ
 وَالْخَوْفِ، بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِم بِاللَّهِ آلِهَةً مَرْعُومَةً، لَيْسَ
 لَهُمْ دَلِيلٌ أَوْ بَرَهَانٌ عَلَىٰ اسْتِحْقَاقِهَا لِلْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ،
 فَحَالَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا: رَعِبٌ وَهَلَعٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا
 مَكَانُهُمْ فِي الْآخِرَةِ: الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ فَهُوَ النَّارُ؛ وَذَلِكَ
 بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ وَعَدْوَانِهِمْ، وَسَاءَ هَذَا الْمَقَامُ مَقَامًا لَهُمْ.
 [١٥٢] وَلَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِ
 حِينِ كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْكُفَّارَ فِي غَزْوَةِ «أَحُدٍ» يَا ذَنُوعُ،

حتى إذا حُبِنْتُمْ وضعفت عن القتال واختلقتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها لجمع الغنائم مع من يجمعها؟
 وعصيتهم أمر رسولكم حين أمركم ألا تغارقوا أماكنكم بأي حال، حلت بكم الهزيمة من بعد ما أراكم
 ما تحبون من النصر، وتبين أن منكم من يريد الغنائم، وأن منكم من يطلب الآخرة وثوابها، ثم صرف الله
 وجوهكم عن عدوكم؛ ليختبركم، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم، والله ذو فضل عظيم على
 المؤمنين.

[١٥٣] اذكروا- يا أصحاب محمد ﷺ- ما كان من أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هاربين من أعدائكم،
 ولا تلتفتون إلى أحد لينا اعتراكم من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله ﷺ ثابت في الميدان يناديكم من
 خلفكم قائلاً: إِيَّايَ عِبَادَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ لَا تَسْمَعُونَ وَلَا تَنْظُرُونَ، فَكَانَ جَزَاؤُكُمْ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ أَلْمًا وَضَيْقًا وَعَمَّا؛
 لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حل بكم من خوف وهزيمة، والله خير مجيع أعمالكم،
 لا يخفى عليه منها شيء.

[۱۵۴] ثم کان من رحمۃ اللہ بالمؤمنین المخلصین أن ألقى فی قلوبہم - من بعد ما نزل بها من ہم وغم - اطمیناناً وثقۃ فی وعد اللہ، وكان من أثره نعاس غشی طائفۃ منهم، وهم أهل الإخلاص والیقین، وطائفۃ أخرى أهتمهم خلاص أنفسهم خاصۃ، وضعفت عزیمتہم وشغلوا بأنفسہم، وأسأوا الظن بربہم ویدینہ وبنبیہ، وظنوا أن اللہ لا ینمُ أمر رسولہ، وأن الإسلام لن تقوم له قائمۃ، ولذلك تراہم نادمین علی خروجہم، یقول بعضهم لبعض: هل کان لنا من اختیار فی الخروج للقتال؟ قل لهم - أيہا الرسول -: إن الأمر کلہ للہ، فهو الذی قدر خروجکم وما حدث لکم، وهم یخفون فی أنفسهم ما لا یظہرونہ لک من الحسرة علی خروجہم للقتال، یقولون: لو کان لنا أدنى اختیار ما قتلنا ہانہا، قل لهم: إن الأجال بيد اللہ، ولو كنتم فی بیوتکم، وقدر اللہ أنکم تموتون، لمخرج الذین كتب اللہ علیہم الموت إلى حیث یقتلون، وما

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَوْمِ أَمْنَةً نُنَاسِنُكُمْ طَائِفَةٌ
يَتَذَكَّرُونَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ فَزَيَّنَتْ لَهُمْ
أَلْفُؤُوعِيَةً قَالُوا هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَئِن بَدَّ
لَهُمْ لَوَ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلَا يَتَّبِعُنَّ أَهْلَهُمْ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمْحَ صَافِي قُلُوبِكُمْ
وَأَلْفٌ عَلَيْهِمْ يَنَابِتُ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ
مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِنَا إِذَا
صَارُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبًا فَوَكَّلْنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قَاتَلُوا لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ نَجِي
وَنَبِيٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

جعل اللہ ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، وليعجز الخبيث من الضيق، ويظهر أمر المؤمن من المناق للناس في الأقوال والأفعال، واللہ عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء، من أمورهم، [۱۵۵] إن الذين فرروا منكم - يا أصحاب محمد ﷺ - عن القتال يوم التقي المؤمنون والمشركون في غزوة «أحد»، إنما أوقعهم الشيطان في هذا الذنب ببعض ما عملوا من الذنوب، ولقد تجاوز اللہ عنهم فلم يعاقبهم، إن اللہ غفور للمذنبين الثائبين، حلیم لا يعاجل من عصاء بالعقوبة.

[۱۵۶] يا أيها الذين صدقوا اللہ ورسولہ وعملوا بشرعہ لا تشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم، فهم یقولون لإخوانهم من أهل الكفر إذا خرجوا يباحثون في أرض اللہ عن معاشهم أو كانوا مع الغزاة المقاتلين فماتوا أو قتلوا: لو لم يخرج هؤلاء ولم يقاتلوا وأقاموا معنا ما ماتوا وما قتلوا، وهذا القول يزيدہم المأ وحسرة وتستقر في قلوبہم، أما المؤمنون فإنہم یعلمون أن ذلك بقدر اللہ فيہدي اللہ قلوبہم، ويخفف عنهم المصيبة، واللہ يحیی من قدر له الحياة - وإن كان مسافراً أو غازیاً - ويمیت من انتهى أجله وإن كان مقيماً، واللہ بكل ما تعملونہ بصیر، فيجازيكم بہ.

[۱۵۷] ولئن قُتِلْتُمْ - أيہا المؤمنون - وأنتم تجاہدون في سبیل اللہ أو متم في أثناء القتال، لیغفرن اللہ لکم ذنوبکم، ولیرحمکم رحمۃ من عنده، فتفوزون بجنات النعيم، وذلك خير من الدنيا وما یجمعه أهلہا.

١٥٨] ولئن انقضت آجالكم في هذه الحياة الدنيا، فتمت على فرسكم، أو قتلتم في ساحة القتال، لإلى الله وحده تمحشرون. فيجازيكم بأعمالكم.

١٥٩] فبرحة من الله لك ولأصحابك - أيها النبي - من الله عليك فكانت رفيقاً بهم، ولو كنت سئى الخلق قاسي القلب، لانصرف أصحابك من حولك. فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة «أحد». واسأل الله - أيها النبي - أن يغفر لهم، وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزمت على أمر من الأمور - بعد الاستشارة - فأمضه معتمداً على الله وحده، إن الله يحب المتوكلين عليه.

١٦٠] إن يمددكم الله بنصره ومعونته فلا أحد يستطيع أن يغلبكم، وإن يخذلكم فمن هذا الذي يستطيع أن ينصركم من بعد خذلانته لكم؟ وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

١٦١] وما كان لنبي أن يخون أصحابه بأن يأخذ شيئاً من الغنيمة غير ما اختصه الله به، ومن يفعل ذلك منكم يأت بما أخذه حاملاً له يوم القيامة، ليفضح

به في الموقف المشهود، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت وافيأ غير منقوص دون ظم.

١٦٢] لا يستوي من كان قصده رضوان الله ومن هو مكبٌ على المعاصي، مسخط لربه، فاستحق بذلك سكن جهنم، وبئس المصير.

١٦٣] أصحاب الجنة المتبعون لما يرضي الله متفاوتون في الدرجات، وأصحاب النار المتبعون لما يسخط الله متفاوتون في الدرجات، لا يستويون. والله بصير بأعمالهم لا يخفى عليه منها شيء.

١٦٤] لقد أنعم الله على المؤمنين من العرب؛ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آيات القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الفاسدة، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل هذا الرسول لفي غيٍّ وجهل ظاهر.

١٦٥] أو لما أصابتكم - أيها المؤمنون - مصيبة، وهي ما أصيب منكم يوم «أحد» قد أصبتم مثليها من المشركين في يوم «بدر»، قلتم متعجبين: كيف يكون هذا ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا وهؤلاء مشركون؟ قل لهم - أيها النبي -: هذا الذي أصابكم هو من عند أنفسكم؛ بسبب مخالفتكم أمر رسولكم وإقبالكم على جمع الغنائم، إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.

ولئن مشرأ وقتلته لإلى الله تمحشرون ﴿١٥٨﴾ فيما رحمت من الله
لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنقضوا من حولك
فأعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت
فقر على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿١٥٩﴾ إن ينصركم الله
فلا غالب لكفر وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من
بعدي وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٦٠﴾ وما كان لنبي أن
يغل ومن يغفل يأت بما عمل يوم القيامة ثم توفى كل
نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴿١٦١﴾ أقمس أتبع رضوان الله
كمن ناة يستخط من الله وماونه جهنم وبئس المصير ﴿١٦٢﴾
هم درجت عند الله والله بصير بما يعملون ﴿١٦٣﴾ لقد
من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم
يتلوا عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴿١٦٤﴾ أولم
أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أن هذا
قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير ﴿١٦٥﴾

(١٦٦) وما وقع بكم من جراح أو قتل في غزوة «أحد» يوم التقي تجمّع المؤمنون وجمع المشركين فكان النصر للمؤمنين أولاً ثم للمشركين ثانياً. فذلك كله بقضاء الله وقدره. وليظهر ما علمه الله في الأزل: ليميز المؤمنين الصادقين منكم.

(١٦٧) وليعلم المنافقين الذين كشف الله ما في قلوبهم حين قال المؤمنون لهم: تعالوا قاتلوا معنا في سبيل الله. أو كونوا عوناً لنا بتكثيركم سوادنا. فقالوا: لو نعلم أنك تقاتلون أحداً لكننا معكم عليهم. هم للكفر في هذا اليوم أقرب منهم للإيمان؛ لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. والله أعلم بما يخفون في صدورهم.

(١٦٨) هؤلاء المنافقون هم الذين قعدوا وقالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين يوم «أحد»: لو أطاعنا هؤلاء ما قتلوا. قل لهم -أيها الرسول-: فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في دعواكم أنهم لو أطاعوك ما قتلوا. وأنكم قد نجوتهم منه بقعودكم عن القتال.

(١٦٩) ولا تظنّ -أيها النبي- أن الذين قتلوا في سبيل الله أموات لا يُحْيُونَ شيئاً. بل هم أحياء حياة برزخية في جوار ربهم الذي جاهدوا من أجله. وماتوا في سبيله، يجري عليهم رزقهم في الجنة. ويُتَعَمَّنون.

(١٧٠) لقد عَمَّتْهم السعادة حين مَنَّ الله عليهم، فأعطاهم من عظيم جوده وواسع كرمه من النعيم والرضا ما تُشْرِبه أعينهم. وهم يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين فارقوهم وهم أحياء؛ ليفوزوا كما فازوا. ليعلمهم أنهم سينالون من الخير الذي نالوه إذا استشهدوا في سبيل الله مخلصين له. وأن لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة. ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(١٧١) وإنهم في فرحة غامرة بما أعطوا من نعم الله وجزيل عطائه. وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين به. بل ينميه ويزيده من فضله.

(١٧٢) الذين لبّوا نداء الله ورسوله وخرجوا في أعقاب المشركين إلى «حراء الأسد» بعد هزيمتهم في غزوة «أحد» مع ما كان بهم من آلام وجراح. وبذلوا غاية جهدهم. والتزموا بهدي نبيهم. للمحسنين منهم والمتقين ثواب عظيم.

(١٧٣) وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع اليك لاستنصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم. فزادهم ذلك التخويف يقيناً وتصديقاً بوعدهم. ولم يثبتهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا. ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عباد.

وَمَا أَصْبَرُكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ لِلْمُتَعَمِّينَ فَيَا ذِي اللَّهِ وَيْلَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
 وَيْلَعْلَمُ الَّذِينَ نَاقَبُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ آذِقُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا لَتَبَعْتَكُمْ هَذَا لَكُنَّ يَوْمَئِذٍ
 أَقْرَبَ مِنْهُمُ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا الْإِخْرَجْنَاهُ وَقَدَّوْا
 لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَأْهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْهِرُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَنْهُمْ وَأَتَوْا بِأَجْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

[١٧٤] فرجعوا من «حراء الأسد» إلى «المدينة» بنعمة من الله بالثواب الجزيل، وبفضل منه بالمنزلة العالية، وقد ازدادوا إيماناً و يقيناً، وأدلوا أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتبعوا رضوان الله بطاعته له ولرسوله. والله ذو إحسان وعطاء كثير واسع عليهم وعلى غيرهم.

[١٧٥] إنما المثبط لكم في ذلك هو الشيطان جاءكم بخوفكم أنصاره، فلا تخافوا المشركين؛ لأنهم ضعاف لا ناصر لهم، وخافوني بالإقبال على طاعتي إن كنتم مصدقين بي، ومتبعين رسولي.

[١٧٦] لا يدخل الحزن إلى قلبك -أيها الرسول- هؤلاء الكفار بما سارعتم في الجحود والضلال، إنهم بذلك لن يضروا الله شيئاً، إنما يضرون أنفسهم بجرمانها حلاوة الإيمان وعظيم الثواب، يريد الله ألا يجعل لهم ثواباً في الآخرة؛ لأنهم انصرفوا عن دعوة الحق، ولهم عذاب شديد.

[١٧٧] إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً، بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهم في الآخرة عذاب مومع.

[١٧٨] ولا يظنُّ الجاحدون أننا إذا أظننا أعمارهم، ومتعتناهم بمتع الدنيا، ولم نؤاخذهم بكفرهم وذنوبهم، أنهم قد نالوا بذلك خيراً لأنفسهم، إنما نؤخر عذابهم وأجالهم؛ ليزدادوا ظلماً وطغياناً، ولهم عذاب يبينهم ويذلهم.

[١٧٩] ما كان الله ليذعكم أيها المصدقون بالله ورسوله العاملون بشرعه على ما أنتم عليه من التماس المؤمن منكم بالمنافق حتى يميِّز الخبيث من الطيب، فيُعرف المنافق من المؤمن الصادق. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم -أيها المؤمنون- على الغيب الذي يعلمه من عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق. ولكنه يميزهم بالمحن والابتلاء، غير أنَّ الله تعالى يصطفي من رسله من يشاء؛ ليطلعه على بعض علم الغيب بوحى منه، فأمنوا بالله ورسوله، وإن تؤمنوا إيماناً صادقاً وتتقوا ربكم بطاعته، فلکم أجر عظيم عند الله.

[١٨٠] ولا يظنُّ الذين يبخلون بما أنعم الله به عليهم تفضلاً منه أن هذا البخل خير لهم، بل هو شرُّ لهم؛ لأن هذا المال الذي جمعه سيكون طوقاً من نار يوضع في أعناقهم يوم القيامة. والله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وهو الباقي بعد فناء جميع خلقه، وهو خير بأعمالكم جميعها، وسيجازي كلًّا على قدر استحقاقه.

[١٨١] لقد سمع الله قول اليهود الذين قالوا: إن الله فقير إلينا يطلب منا أن نقرضه أموالاً، ونحن أغنياء. سنكتب هذا القول الذي قالوه، وسنكتب أنهم راضون بما كان من قتل آبائهم لأنبياء الله ظلماً وعدواناً، وسوف نؤاخذهم بذلك في الآخرة، ونقول لهم وهم في النار يعذبون: ذوقوا عذاب النار المحرقة. [١٨٢] ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله ليس بظلام للعبيد. [١٨٣] هؤلاء اليهود حين دُعوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصدق من جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فننزل نار من السماء فتحرقها، قل لهم -أيها الرسول-: أنتم كاذبون في قولكم؛ لأنه قد جاء آباءكم رسولاً من قبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلمت من الإتيان بالقرابان الذي تأكله النار، فلم قتل

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء يعذب حتى ونقول ذوقوا عذاب الخوف ﴿٥﴾ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿٦﴾ الذين قالوا إن الله عهد إلينا الأنبياء لرسلنا حتى يأتينا بغربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم تقتلوهم إن كنتم صادقين ﴿٧﴾ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلي جاءوا بالبينات والزبور والكتب المنيرة ﴿٨﴾ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زححني عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما للحيرة الدنيا إلا منع الغرور ﴿٩﴾ لتنبؤن في أمواليكم وأشركم ولتسمعن من الذين أوفوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا الذي كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴿١٠﴾

آباؤكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعواكم؟

[١٨٤] فإن كذبك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذب المبطلون كثيراً من المرسلين من قبلك، جاؤوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتاب البين الواضح.

[١٨٥] كل نفس لابد أن تذوق الموت، وبهذا يرجع جميع الخلق إلى ربهم؛ ليحاسبهم. وإنما توفون أجوركم على أعمالكم وافية غير منقوصة يوم القيامة، فمن أكرمه ربه ونجّاه من النار وأدخله الجنة فقد نال غاية ما يطلب. وما الحياة الدنيا إلا متعة زائلة، فلا تغتروا بها.

[١٨٦] لتختبرن -أيها المؤمنون- في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحبة، وبالجهاد التي تصيبها، وفي أنفسكم بما يجب عليكم من الطاعات، وما يحل بكم من جراح أو قتل وقعد للأحباب؛ وذلك حتى يتميز المؤمن الصادق من غيره. ولتسمعن من اليهود والنصارى والمشركين ما يؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والظن في دينكم. وإن تصبروا -أيها المؤمنون- على ذلك كله، وتتقوا الله بلزوم طاعته واجتناب معصيته، فإن ذلك من الأمور التي يُعزم عليها، وينافس فيها.

[١٨٧] واذكر - أيها الرسول - إذ أخذ الله العهد الموثق على الذين آتاهم الله الكتاب من اليهود والنصارى، فاليهود التوراة وللنصارى الإنجيل؛ ليعملوا بهما، ويبينوا للناس ما فيهما. ولا يكتنموا ذلك ولا يخفوه، فتركوا العهد ولم يلتزموا به. وأخذوا ثمناً بجساً مقابل كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب، فبئس الشراء يشترون، في تضييعهم الميثاق، وتبديلهم الكتاب.

[١٨٨] ولا تظنن الذين يفرحون بما أتوا من أفعال قبيحة كاليهود والمنافقين وغيرهم. ويجنون أن يثني عليهم الناس بما لم يفعلوا. فلا تظننهم ناجين من عذاب الله في الدنيا، وهم في الآخرة عذاب موجع. وفي الآية وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب به، ولكل مفتخر بما لم يعمل؛ ليثني عليه الناس ويحسدوه.

[١٨٩] والله وحده ملك السموات والأرض وما فيهما، والله على كل شيء قدير.

[١٩٠] إن في خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، واختلافهما طولاً وقصراً، لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة.

[١٩١] الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم؛ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. وهم يتدبرون في خلق السموات والأرض. قائلين: يا ربنا ما أوجدت هذا الخلق عبثاً، فأنت منزّه عن ذلك، فأصرف عنا عذاب النار.

[١٩٢] يا ربنا نحننا من النار. فإنك - يا الله - من تدخله النار بذنوبه فقد فضحته وأهنته. وما للمذنبين الظالمين لأنفسهم من أحد يدفع عنهم عقاب الله يوم القيامة.

[١٩٣] يا ربنا إنا سمعنا متادياً - هو نبيك محمد ﷺ - ينادي الناس للتصديق بك، والإقرار بوحدايتك، والعمل بشرعك، فأجبنا دعوته وصدقنا رسالته، فأغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وألحقنا بال صالحين.

[١٩٤] يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتمكين وتوفيق وهداية. ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة. فإنك كريم لا تخلف وعداً وتعدت به عبادك.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَكَتِبَ نَفْسَهُمُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ، ثُمَّ
قِيلَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ مَا يَشَاءُ ۚ لَأَتَّخِذَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَاوْا وَيُحْزِنُونَ أَنْ يُحْزَنُوا ۚ وَمَا أَرْتَفَعُوا إِلَّا لِيُحَسِبَهُمْ
بِمَقَارِفِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَبِاللَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ خُفْيِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا تُسَبِّحُكَ قِيَامًا وَعَذَابُ النَّارِ ۝
رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِيلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي بِالْإِيمَانِ أَنْ
يُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ۝ رَبَّنَا وَآيَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخَيِّرْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيثَاقَ ۝

[١٩٥] فأجاب الله دعاءهم بأنه لا يضع جهد من عمل منهم عملاً صالحاً، ذكراً كان أو أنثى، وهم في أشوة الدين وفي الطاعة وقبول الأعمال سواء، فالذين هاجروا رغبة في رضا الله تعالى، وأخرجوا من ديارهم، وأودوا في طاعة ربهم وعبادتهم إياه، وقتلوا وقتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، ليسترن الله عليهم ما ارتكبوه من المعاصي، كما سترها عليهم في الدنيا، فلا يحاسبهم عليها، وليدخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار جزءاً من عند الله، والله عنده حسن الثواب.

[١٩٦] لا تقتر - أيها الرسول - بما عليه أهل الكفر بالله من بسطة في العيش، وسعة في الرزق، وانتقالهم من مكان إلى مكان للتجارات وطلب الأرباح والأموال، فعملاً قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مُّتَّقٍ مِّنْكُمْ
ذَكَرُوا أَنِّي بِمَضْعَمِكُمْ مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا
وَأَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا
لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
الْأَرْضِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ لَأَوْهَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا شُؤْلًا مِّنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِِّلْبَاطِلِ ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِمْ خَشْيَةً لِلَّهِ لَا يُشْرِكُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ شَيْئًا
قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَصْحَابًا
وَصَابِرًا وَابْتَطَأُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

[١٩٧] متاع قليل زائل، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار، وبئس الفراش.

[١٩٨] لكن الذين خافوا ربهم، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، قد أعد الله لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، هي منزلهم الدائم لا يخرجون منه. وما عند الله أعظم وأفضل لأهل الطاعة مما يتقلب فيه الذين كفروا من نعيم الدنيا.

[١٩٩] وإن بعضاً من أهل الكتاب ليصدق بالله رباً واحداً والهاً معبوداً، وبما أنزل إليكم من هذا القرآن، وبما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل متدللين لله، خاضعين له، لا يشتركون بآيات الله شيئاً قليلاً من حطام الدنيا، ولا يكتفون ما أنزل الله، ولا يحرفونه كغيرهم من أهل الكتاب. أولئك لهم ثواب عظيم عند ربهم يوم يلقونه، فيوفيههم إياه غير منقوص. إن الله سريع الحساب، لا يعجزه إحصاء أعمالهم، ومحاسبتهم عليها.

[٢٠٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلوا بشره اصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وغالبوا أعداءكم في الصبر حتى لا تكونوا أشد صبراً منكم، وأقيموا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع أحوالكم؛ رجاء أن تفوزوا برضاء في الدنيا والآخرة.

[٧] للذكور - صغاراً أو كباراً - نصيب شرعه الله فيما تركه الوالدان والأقربون من المال. قليلاً كان أو كثيراً، في أنصبة محددة واضحة فرضها الله عز وجل لهؤلاء، وللنساء كذلك.

[٨] وإذا حضر قسمة الميراث أقارب الميت من لا حق لهم في التركة، أو حضرها من مات أبائهم وهم صغار دون سن البلوغ، أو من لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، فأعطوهم شيئاً من المال على وجه الاستحباب قبل تقسيم التركة على أصحابها، وقولوا لهم قولاً حسناً غير فاحش ولا قبيح.

[٩] ولينخف الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أبناء صغاراً ضعافاً خافوا عليهم الظلم والضياع، فليراقبوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحسن تربيتهم، ودفع الأذى عنهم. وليقولوا لهم قولاً موافقاً للعدل والمعروف.

[١٠] إن الذين يعتدون على أموال اليتامى، فياخذونها بغير حق، إنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم

لِيَجْزِيَ اللَّهُ نِسَابَ مَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالنِّسَاءُ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهَا فَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُنْتُمْ تَقْسِمُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا لَهُ كَمَا تَدْرُسُونَ فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عِبْرَتَهُمْ فَلَا يُبْذِرُونَ دِينَ اللَّهِ وَمِثْلَ مَا كُنْتُمْ تُبْذِرُونَ فَاذْكُرُوا لَهُمْ حَقَّ كَلِمَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَيْسَ اللَّهُ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿١١﴾

القيامة، وسيدخلون ناراً يقاسون حرَّها.

[١١] يوصيكم الله ويأمركم في شأن أولادكم: إذا مات أحد منكم وترك أولاداً، ذكوراً وإناثاً، فميراثه كله لهم: للذكر مثل نصيب الأنثيين، إذا لم يكن هناك وارث غيرهم. فإن ترك بنات فقط فليلبنتين فأكثر ثلثاً ما ترك. وإن كانت ابنة واحدة، فلها النصف. ولو الذي الميت لكل واحد منهما السدس إن كان له ولد: ذكر أو أنثى. واحداً أو أكثر. فإن لم يكن له ولد وورثته والداه، فلأمه الثلث ولأبيه الباقي. فإن كان للميت إخوة إناث فأكثر، ذكوراً كانوا أو إناثاً، فلأمه السدس. وللأب الباقي ولا شيء للإخوة. وهذا التقسيم للتركة إنما يكون بعد إخراج وصية الميت في حدود الثلث، أو إخراج ما عليه من دين. أباً وكم وأبناً وكم الذين فُرض لهم الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعاً في دنياكم وأخرآكم، فلا تفضلوا واحداً منهم على الآخر. هذا الذي أوصيتمكم به مفروض عليكم من الله. إن الله كان عليماً بخلقه، حكيماً فيما شرعه لهم.

• وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَكَ أَنْزَجُكُمْ إِنْ تَرَى سَخْنُ لَهَنَ وَلَا فَإِنْ كَانَتْ لَهَنَ فَلَا فَلَكَمُ الزَّيْنُ وَمَا تَرَكَتْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي فَوَصِيَّتِي بِهَا أَوْ تَرَى سَخْنُ وَلَهَنَ الزَّيْنُ وَمَا تَرَكَتْ إِنْ تَرَى سَخْنُ لَهَنَ وَلَا فَإِنْ كَانَتْ لَهَنَ فَلَهَنُ الشُّمْنُ وَمَا تَرَكَتْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي فَوَصِيَّتِي بِهَا أَوْ تَرَى سَخْنُ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُشُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَنَ شَرَكَاةً فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي فَوَصِيَّتِي بِهَا أَوْ تَرَى سَخْنُ وَلَا فَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَضَارٍ وَصِيَّتِي مِمَّنْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ خَلِيْمٌ ⑤ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ⑥ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِمٌ ⑦

[١٢] ولكم -أيها الرجال- نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن إن لم يكن لهن ولد، ذكراً كان أو أنثى، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن، تروثه من بعد إنفاذ وصيتهن الجائزة، أو ما يكون عليهن من دين لمستحقه. ولأزواجكم -أيها الرجال- الربع مما تركتم، إن لم يكن لكم ابن أو ابنة منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ابن أو ابنة فلهن العن مما تركتم، يقسم الربع أو العن بينهن، فإن كانت زوجة واحدة كان هذا ميراثاً لها، من بعد إنفاذ ما كنتم أوصيتهم به من الوصايا الجائزة، أو قضاء ما يكون عليكم من دين. وإن مات رجل أو امرأة وليس له أو لها ولد ولا والد، وله أو لها أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس. فإن كان الإخوة أو الأخوات لأم أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يقسم بينهم بالسوية لا فرق بين الذكر والأنثى. وهذا الذي فرضه الله للإخوة والأخوات لأم يأخذونه

ميراثاً لهم، من بعد إنفاذ وصيته إن كان قد أوصى بشيء، أو قضاء ديون الميت، لا ضرر فيه على الورثة. بهذا أوصاكم ربكم وصية نافعة لكم. والله عليم بما يصلح خلقه، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

[١٣] تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في النياح والنساء والموارث، شرعها الدالة على أنها من عند الله العليم الحكيم. ومن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بياهاها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

[١٤] ومن يعص الله ورسوله، يانكاره لأحكام الله. وتجاوزه ما شرعه الله لعباده بتغييرها. أو تعطيل العمل بها، يدخله ناراً ما كُتِبَ فيها، وله عذاب يُخزبه ويُهينه.

[١٥] واللاقي يزني من نساءكم، فاستشهدوا - أيها السادة - والفقهاء - عليهن أربعة رجال عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بذلك فاحبسوهن في البيوت حتى تنتهي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهم طريقاً للخلاص من ذلك.

[١٦] والذنان يقعان في فاحشة الزنى، فأذوهما بالضرب والهجر والتوبيخ، فإن تابا عمماً وقع منهما وأصلحا بما يقدمان من الأعمال الصالحة فاصفحوا عن أذاهما. ويستفاد من هذه الآية والتي قبلها أن الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يُحسَنَ ويُؤدَّبْنَ، فالحسب غاية الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والصلاح. وكان هذا في صدر الإسلام، ثم نُسخ بما شرع الله ورسوله، وهو الرجوع للمحصن والمحصنة، وهما الحران البالغان العاقلان، اللذان جامعا في نكاح صحيح، والجلد مائة جلدة، وتغريب عام لغيرهما، إن الله كان تواباً على عباده التائبين، رحيماً بهم.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
حَتَّى يَتَوَقَّعْنَ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾
وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
فَاعْرِضْهُمَا لِيَا أَلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ تَوَابًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتَوَقَّوْنَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَنبَأُ النَّاسَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ تَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُنَّ أَنْ تَرَفُوا النِّسَاءَ كَرهًا وَلَا تَضْلُوهُنَّ
لِيَذْهَبُوا بِسَبْعِ مَاءٍ أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُتَبَيَّنَةٍ وَعَايِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٨﴾

[١٧] إنما يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها، وإيجابها لسخط الله، وبغفلة منهم أو ضعف يقين - فكل عاص لله، مخطئاً أو متعمداً، فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالماً بالتحريم - ثم يرجعون إلى ربهم بالإنابة والطاعة قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، وكان الله عليماً بخلقهم، حكيماً في تدبيره وتقديره.

[١٨] وليس قبول التوبة للذين يضرُّون على ارتكاب المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن تأتئهم سكرات الموت، فيقول أحدهم: إني تبت الآن، كما لا تقبل توبة الذين يموتون وهم جاحدون، منكرون لوحداية الله ورسالة رسوله محمد ﷺ، أولئك المضرُّون على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يموتون وهم كفار، أعتدنا لهم عذاباً موجعاً.

[١٩] يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا نساء آبائكم من جملة تركتهم، تتصرفون فيهن بالزواج منهن، أو المنع لهن، أو تزويجهن للأخرين، وهن كارهات لذلك كله، ولا يجوز لكم أن تضاروا أزواجكم وأنتم كارهون لهن؛ لبيتنازلن عن بعض ما أتيتموهن من مهر ونحوه، إلا أن يرتكبن أمراً فاحشاً كالزنى، فلنكن حينئذ إمساكن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن، ولتكن مصاحبتهن لنساءكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء ما لهن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب الدينية فاصبروا؛ فعسى أن تكرهوا أمراً من الأمور ويكون فيه خير كثير.

[٢٠] وإن أردتم استبدال زوجة مكان أخرى، وكنتم قد أعطيتهم من تريدون طلاقها مالا كثيرا مهرا لها، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئا، أتأخذونه كذبا وافتراء واضحا؟

[٢١] وكيف يحل لكم أن تأخذوا ما أعطيتوهن من مهر، وقد استمتع كل منكما بالآخر بالجماع، وأخذن منكم ميثاقا غليظا من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان؟

[٢٢] ولا تترجوا من تزوجه آباؤكم من النساء إلا ما قد مضى منكم في الجاهلية فلا مواخذة فيه. إن زواج الأنساء من زوجات آبائهم أمر قبيح يفحش ويعظم قبحه، ويقض يمقت الله فاعله، وبئس طريقا ومنهجاً ما كنتم تفعلونه في جاهليتكم.

[٢٣] حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نِكَاحَ أُمَّهَاتِكُمْ، ويدخل في ذلك الجدّات من جهة الأب أو الأم، وبناتكم؛

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَبَدِلَ زَوْجَ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَقْبَضْتُمْ مِنْ تَرِيدُونَ طَلَاقَهَا مَالًا كَثِيرًا مَهْرًا لَهَا، فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا، أَنْ تَأْخُذُونَهُ كِذْبًا وَافْتِرَاءً وَاضِحًا؟

[٢١] وَكَيْفَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مِنْ مَهْرٍ، وَقَدْ اسْتَمْتَعَ كُلُّ مِنْكُمَا بِالْآخَرِ بِالْجَمَاعِ، وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا مِنْ إِمْسَاكِنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحِنَّ بِإِحْسَانٍ؟

[٢٢] وَلَا تَرْجُوا مَنْ تَزَوَّجُوا مِنْ نِسَاءِ آبَائِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ مَضَى مِنْكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا مَوَازِيحَ فِيهِ. إِنْ زَوَّجَ الْآبَاءُ مِنَ الزَّوْجَاتِ آبَائِهِمْ أَمْرًا قَبِيحًا يَفْحَشُ وَيَعْظُمُ قُبْحَهُ، وَيَقْضِي يَمْقُتُ اللَّهُ فَاعِلَهُ، وَبَيْسَ طَرِيقًا وَمَنْهَجًا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ.

[٢٣] حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نِكَاحَ أُمَّهَاتِكُمْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْجَدَّاتُ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ، وَبَنَاتِكُمْ؛

ويشمل بنات الأولاد وإن نزلن، وأخواتكم الشقيقات أو لأب أو لأم، وعماتكم: أخوات آبائكم وأجدادكم، وخالاتكم: أخوات أمهاتكم وجداتكم، وبنات الأخ، وبنات الأخت؛ ويدخل في ذلك أولادهن، وأمهااتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة - وقد حَرَّمَ رسول الله ﷺ من الرضاع ما يحرم من النسب - وأمهاات نساءكم، سواء دخلتم بنسائكم، أم لم تدخلوا بهن، وبنات نساءكم من غيركم اللاتي يترين غالباً في بيوتكم وتحتم رعايتكم، وهن مخرمات وإن لم يكن في حجوركم، ولكن بشرط الدخول بأمهاتهن، فإن لم تكونوا دخلتم بأمهاتهن وطلقتوهن أو متن قبل الدخول فلا جناح عليكم أن تنكحوهن، كما حَرَّمَ الله عليكم أن تنكحوا زوجات أبنائكم الذين من أصلابكم، ومن ألحق بهم من أبنائكم من الرضاع، وهذا التحريم يكون بالعقد عليها، دخل الابن بها أم لم يدخل، وحَرَّمَ عليكم كذلك الجمع في وقت واحد بين الأختين بنسب أو رضاع إلا ما قد مضى منكم في الجاهلية. ولا يجوز كذلك الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها كما جاء في السنة. إن الله كان غفوراً للمذنبين إذا تابوا، رحيماً بهم، فلا يكلفهم ما لا يطيقون.

[٢٤] ويحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا من سئيتن منهن في الجهاد، فإنه يحل لكم نكاحهن، بعد استبراء أرحامهن بحیضة، كتب الله عليكم تحريم نكاح هؤلاء، وأجاز لكم نكاح من سواهن، مما أحله الله لكم أن تطلبوا بأموالكم العفة عن اقتراف الحرام، فما استمتعتم به منهن بالنكاح الصحيح، فأعطوهن مهرهن، التي فرض الله لهن عليكم، ولا إثم عليكم فيما تم التراضي به بينكم، من الزيادة أو النقصان في المهر، بعد ثبوت الفريضة. إن الله تعالى كان عليماً بأمر عباده، حكيماً في أحكامه وتدابيره.

[٢٥] ومن لا قدرة له على مهر الحرائر المؤمنات، فله أن ينكح غيرهن، من فتياتكم المؤمنات المملوكات، والله تعالى هو العليم بمحقيقة إيمانكم، فكلكم من نفس واحدة، وإخوة في الدين، فتزوجوهن بموافقة

أهلهن، وأعطوهن مهرهن على ما تراضيتن به عن طيب نفس منكم، متعففات عن الحرام، غير مجاهرات بالزنى، ولا مسرات به بائخاذ أخلاء، فإذا تزوجن وأتين بفاحشة الزنى فعليهن من الحد - وهو الجلد لا الرجم - نصف ما على الحرائر. ذلك الذي أبيع من نكاح الإمام بالصفة المتقدمة إنما أبيع لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، وشق عليه الصبر عن الجماع، والصبر عن نكاح الإمام مع العفة أولى وأفضل، والله تعالى غفور لکم، رحيم بكم إذ أذن لكم في نكاحهن عند العجز عن نكاح الحرائر.

[٢٦] يريد الله تعالى بهذه التشريعات، أن يوضح لكم معالم دينه القويم، وشرعه الحكيم، ويدلكم على طرق الأنبياء والصالحين من قبلكم في الحلال والحرام، ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى الطاعات، وهو سبحانه عليماً بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرعه لكم.

• وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ فِي النِّسَاءِ إِذْ أَنْتُمْ تُتَوَفَّوْنَ بِأَمْوَالِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ فِيهَا وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ عَلَيْهَا حَافِظُونَ فَمَنْ نَكَحَ أَحَدَكُمُ النِّسَاءَ مِنْكُمْ فَتَرَكَهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا فَرَغَ مِنْهَا بِنِكَاحٍ وَفِي سَائِرِ النِّسَاءِ إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهِنَّ بِأَمْوَالِكُمْ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى النِّسَاءِ الْأُولَىٰ فَكُلُّكُمْ عَلَيْهِمْ كَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْبَةِ وَأُولَٰئِكَ سَبِيلُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيْطَانَ أَتَىٰ بَعْضُهُمْ أُمَّهَاتِهِمْ وَأَبْنَآءَهُمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

[٢٧] والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن خطاياكم، ويريد الذين ينفادون لشهواتهم وملذاتهم أن تتحرفوا عن الدين انحرافاً كبيراً.

[٢٨] يريد الله تعالى بما شرعه لكم التيسير، وعدم التشديد عليكم؛ لأنكم خلقتم ضعفاء.

[٢٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا يحل لكم أن يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، إلا أن يكون وفق الشرع والكسب الحلال عن تراض منكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً فهلكوا أنفسهم بارتكاب محارم الله ومعاصيه. إن الله كان بكم رحيماً في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.

[٣٠] ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أخذ المال الحرام كالسرقة والغصب والغش معتدياً متجاوزاً حد الشرع، فسوف يدخله الله ناراً يقاسي حرها، وكان ذلك على الله يسيراً.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَسِيلُوا تَسِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ عَنْ قَرَابِصٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظَلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَحْتَسِبُوا أَنَّكُمْ تَصَابِرُونَ مَا نُنْهَوْتُمْ عَنْهُ تُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَنَسَبُوا لِلَّهِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَمَلَةٍ مَوَالٍ وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلذَّيْتِ عَقْدَتٌ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُنَّ نَصِيبَهُنَّ مِنَ اللَّهِ كَمَا كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٣١] إن تبعدوا -أيها المؤمنون- عن كبائر الذنوب كالإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير الحق وغير ذلك، نكفر عنكم ما دونها من الصغائر، وندخلكم مدخلاً كريماً، وهو الجنة.

[٣٢] ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، في المواهب والأرزاق وغير ذلك، فقد جعل الله للرجال نصيباً مقدراً من الجزاء بحسب عملهم، وجعل للنساء نصيباً مما عملن، واسألوا الله الكريم الوهاب يُعْطِكم من فضله بدلاً من التمني. إن الله كان بكل شيء عليماً، وهو أعلم بما يصلح عباده فيما قسمه لهم من خير.

[٣٣] ولكل واحد منكم جعلنا ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون. والذين تحالفتم معهم بالأيمان المؤكدة على النصر؛ وإعطائهم شيئاً من الميراث فأعطوهم ما قُدر لهم. والميراث بالتحالف كان في أول الإسلام، ثم رُفِعَ حكمه بنزول آيات الموارث. إن الله كان مُظْهِراً على كل شيء من أعمالكم، وسيجازيكم على ذلك.

[٣٤] الرجال قوامون على توجيه النساء ورعايتهن، بما خصهم الله به من خصائص القيامة والتفضيل، وبما أعطوهن من المهور والنفقات، فالصالحات المستقيمات على شرع الله منهن، مطيعات لله تعالى ولأزواجهن، حافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن بما أوتسنَّ عليه بحفظ الله وتوفيقه، واللاتي تحشون منهن ترُقعن عن طاعتكم، فانصحوهن بالكلمة الطيبة، فإن لم تشر معهن الكلمة الطيبة، فاهجروهن في الفراش، ولا تقربوهن، فإن لم يؤثر فعل الهجرة فيهن، فاضربوهن ضرباً لا ضرر فيه، فإن أظعنكم فاحذروا ظلمهن، فإن الله العليُّ الكبير ولينهن، وهو منتقم من ظلمهن وبغى عليهن.

[٣٥] وإن علمتم -يا أولياء الزوجين- شقاقاً بينهما يؤدي إلى الفراق، فأرسلوا إليهما حكماً عدلاً من أهل الزوج، وحكماً عدلاً من أهل الزوجة؛ لينظرا

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا قَضَى اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَعُوا مِنْ أَمْرِهِمْ فَأَصْلِحَتْ قَيْمَتُ حَفِظْتَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَحْفَظُونَ نَشُورَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الصَّاحِبِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَظَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ۝ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْحَارِثِي وَالْقُرْبَىٰ وَالْحَارِثِي وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَنبِئُكُمْ مَنْ كَانَ نَجَسًا فَلَا فَخْرَ ۝ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝

و يحكما بما فيه المصلحة لهما، وبسبب رغبة الحكمن في الإصلاح، واستعمالهما الأسلوب الطيب يوفق الله بين الزوجين. إن الله تعالى عليهم، لا يخفى عليه شيء، من أمر عباد، خير بما تنطوي عليه نفوسهم.

[٣٦] واعبدوا الله وانقادوا له وحده، ولا تجعلوا له شريكاً في الربوبية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين، وأدوا حقوقهما، وحقوق الأقربين، والأولاد الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والحار القريب منكم والبعيد، والرفيق في السفر وفي الحضر، والمسافر المحتاج، والماليك من فتيانكم وفتياتكم، إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباد، المفتخرين على الناس.

[٣٧] الذين يمتنعون عن الإنفاق والعتاء مما رزقهم الله، ويأمرون غيرهم بالبخل، ويجحدون نعم الله عليهم، ويخفون فضله وعتاءه، وأعدنا للجاحدين عذاباً مخزياً.

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا السَّيِّئِينَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا قَسِيًّا
قَرِينًا ﴿٣٥﴾ وَمَا عَلَّمَهُ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَعُوا
مِمَّا زَكَّاهُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
شَيْئًا دَرَجَةً وَإِنَّ تَكْ حَسَنَةً يَصْعَفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٣٨﴾ يَوْمَ يَدْعُؤُا الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَنْ تُسْمِعُوا بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا ﴿٣٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٠﴾ الرَّسُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْصِبَا مِنْ
الْكِتَابِ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ قُضُوا السَّبِيلُ ﴿٤١﴾

[٣٨] وأعدنا هذا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم رياءً وسمعةً، ولا يصدقون بالله اعتقاداً وعملاً ولا بيوم القيامة. وهذا الأعمال السيئة مما يدعو إليها الشيطان. ومن يكن الشيطان له ملازماً فيئس الملازم والقرين.

[٣٩] وأني ضرر يلحقهم لو صدقوا بالله واليوم الآخر اعتقاداً وعملاً، وأنفقوا مما أعطاهم الله باحتساب وإخلاص. والله تعالى عليهم بهم وبما يعملون، وسيحاسبهم على ذلك.

[٤٠] إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثواباً كبيراً هو الجنة.

[٤١] فكيف يكون حال الناس يوم القيامة، إذا جاء الله من كل أمة برسولها ليشهد عليها بما عملت، وجاء بك -أيها الرسول- لتكون شهيداً على أمتك أنك بلغتهم رسالة ربك؟

[٤٢] يوم يكون ذلك، يتمنى الذين كفروا بالله تعالى وخالفوا الرسول ولم يطيعوه، لو يجعلهم الله والأرض سواء، فيصيرون تراباً، حتى لا يبعثوا وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله شيئاً مما في أنفسهم، إذ ختم الله على أفواههم، وشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون.

[٤٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تقربوا الصلاة ولا تقوموا إليها حال السكر حتى تميزوا وتعلموا ما تقولون (وقد كان هذا قبل التحريم القاطع للسكر في كل حال)، ولا تقربوا الصلاة إن أصابكم الحدث الأكبر. ولا تقربوا كذلك مواضعها وهي المساجد. إلا من كان منكم مجتازاً من باب إلى باب، حتى تنظروها بالاغتسال. وإن كنتم في حال مرض لا تقدرن معه على استعمال الماء، أو حال سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو جامعتم النساء، فلم تجدوا ماءً لتنظرة فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه. إن الله تعالى كان كثير العفو يتجاوز عن سيئاتكم، ويستترها عليكم.

[٤٤] ألم تعلم -أيها الرسول- أمر اليهود الذين أعطوا حقاً من العلم مما جاءهم من التوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، ويتركون ما لديهم من الحجج والبراهين، الدالة على صدق رسالة الرسول محمد ﷺ، ويتبنون لكم -أيها المؤمنون المهتدون- أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم لتكونوا ضالين مثلهم.

[٤٥] والله سبحانه وتعالى أعلم منكم - أيها المؤمنون - بعداوة هؤلاء اليهود لكم، وكفى بالله ولياً يتولاكم، وكفى به نصيراً ينصركم على أعدائكم.

[٤٦] من اليهود فريق ذابوا على تبديل كلام الله وتغييره عتاً هو عليه افتراء؛ على الله، ويقولون للرسول ﷺ: سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع مثلاً لا سمعت، ويقولون: راعنا سمعك أي: افهم عتاً وأفهمنا، يلوون ألسنتهم بذلك، وهم يريدون الدعاء عليه بالرعوة حسب لغتهم. والظعن في دين الإسلام. ولو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا، بدل وعصينا، واسمع دون «غير مسمع»، وانظرنا بدل «راعنا» لكان ذلك خيراً لهم عند الله وأعدل قولاً، ولكن الله طردهم من رحمته؛ بسبب كفرهم وجحودهم بنبوته محمد ﷺ، فلا يصدقون بالحق إلا تصديقاً قليلاً لا ينفعهم.

[٤٧] يا أهل الكتاب، صدقوا واعملوا بما نزلنا من القرآن، مصداقاً لما معكم من الكتب من قبل أن نأخذكم بسوء صنيعكم، فتمحو الوجود ونحوها

وَأَلَّهُمْ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرُفُونَ الَّذِينَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَن سَمِعَ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَعَيْنَا لِيَّا بِالسُّنَنِهِمْ
 وَطَلَعْنَا فِي الَّذِينَ يُؤَلِّهُنَّ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ حَيْزًا لَّهُنَّ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعْنَهُنَّ اللَّهُ بِكُفْرِهِنَّ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْكَتِبُ: أَمِنُوا أَيْمَا تَنَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهًا قَنَزَهَا
 عَنْ أَدْبَارِهَا أَوْ لَعْنَهُنَّ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْرِكْ بِهِ. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾
 أَلرَّسُلِ إِلَى الَّذِينَ يَرْكُوتُ أَنفُسَهُمْ لِيَلَّ اللَّهُ بِرُكْبَى مِنْ يَشَاءُ؛
 وَلَا يَظْلَمُونَ قَبِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلرَّسُلِ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصَيْبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِّبِ وَالطَّافُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

قَبْلِ الظُّهُورِ، أَوْ نَلْعَن هَؤُلَاءِ الْمَفْسُدِينَ بِمَسْخَمِ قَرْدَةِ وَخَنَازِيرِ، كَمَا لَعْنَا الْيَهُودَ مِنْ أَصْحَابِ السَّبْتِ، الَّذِينَ نَهَوْا
 عَنِ الصَّيْدِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ نَافِذًا فِي كُلِّ حَالٍ.

[٤٨] إن الله تعالى لا يغفر ولا يتجاوز عمن أشرك به أحداً من مخلوقاته، أو كفر بأي نوع من أنواع الكفر
 الأكبر، ويتجاوز ويعفو عتاً دون الشرك من الذنوب، لمن يشاء من عباده، ومن يشرك بالله غيره فقد اختلق ذنباً
 عظيماً.

[٤٩] ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك الذين يفتنون على أنفسهم وأعمالهم، ويصفونها بالطهر والبعد عن السوء؟
 بل الله تعالى وحده هو الذي يثني على من يشاء من عباده، لعلمه بحقيقة أعمالهم، ولا يُقنصون من أعمالهم شيئاً
 مقدار الحيط الذي يكون في شق نواة الصرة.

[٥٠] انظر إليهم - أيها الرسول - متعجباً من أمرهم، كيف يختلقون على الله الكذب، وهو المتردد عن كل ما لا يليق
 به؟ وكفى بهذا الاختلاق ذنباً كبيراً كاشفاً عن فساد معتقدتهم.

[٥١] ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك اليهود الذين أعطوا حقاً من العلم، يصدقون بكل ما يُعبد من دون الله
 من الأصنام وشياطين الإنس والجن، تصديقاً يحملهم على التحاكم إلى غير شرع الله، ويقولون للذين كفروا
 بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ: هؤلاء الكافرون أقوم وأعدل طريقاً من أولئك الذين آمنوا؟

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ تَصَدِيقًا ﴿٥٢﴾
 أَمْرُهُمْ تَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْرٌ
 يَحْدُوهُنَّ النَّاسُ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . فَقَدْ آتَيْنَا
 نَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَيُنْفِرُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ صَدَّقَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُضَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ
 جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَبْذُرُونَ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا
 أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا عَلَى ظِلِّيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِمْ
 أَنْ يُوَدُّوا الْأُمَمَاتِ إِلَىٰ آهْلِهَا وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
 تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٥٢] أولئك الذين كُفِّر فسادهم وعمَّ ضلالهم، طردهم الله تعالى من رحمته، ومن يطرده الله من رحمته فلن تجد له من ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

[٥٣] بل ألهمهم حظ من الملك، ولو أوتوه لما أعظوا أحداً منه شيئاً، ولو كان مقدار الثفرة التي تكون في ظهر الثوأة؟

[٥٤] بل أيجسدون محمداً ﷺ على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويجسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، واتباع الرسول، والتسكين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم عليه السلام - من قبل - الكتاب، التي أنزلها الله عليهم وما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً، وأعطيناهم مع ذلك ملكاً واسعاً.

[٥٥] فيمن هؤلاء الذين أوتوا حظاً من العلم، من صدق برسالة محمد ﷺ، وعمل بشرع، ومنهم من أعرض ولم يستجب لدعوته، ومنع الناس من اتباعه. وحسبكم - أيها المكذوبون - نار جهنم تسعَّر بكم.

[٥٦] إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته ووحى كتابه ودلائله وحججه، سوف ندخلهم ناراً يقاسون حرَّها، كلما احترقت جلودهم بدُّلتناهم جلوداً أخرى؛ ليستمر عذابهم وألمهم. إن الله تعالى كان عزيزاً لا يتمتع عليه شيء، حكيماً في تدبيره وقضائه.

[٥٧] والذين اطمانت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة رسوله محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، وهم فيها أزواج طهرها الله من كل أذى. وندخلهم ظلاً كثيراً ممتداً في الجنة.

[٥٨] إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات، التي أوتمنتم عليها إلى أصحابها، فلا تفرطوا فيها. ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيتم بينهم، ونعم ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعاً لأقوالكم، مطلعاً على سائر أعمالكم، بصيراً بها.

[٥٩] يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرع، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوا، واستجيبوا للرسول ﷺ فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى ويوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومالاً.

[٦٠] ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك المنافقين الذين يدعون الإيمان بما أنزل إليك - وهو القرآن - وبما أنزل إلى الرسل من قبلك، وهم يريدون أن يتحاكوا في فضل الخصومات بينهم إلى غير ما شرع الله من الباطل، وقد أمروا أن يكفروا بالباطل؟ ويريد الشيطان أن يبعدهم عن طريق الحق بغدأ شديداً. وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق، يقتضي الانقياد لشرع الله، والحكم به في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في زعمه.

[٦١] وإذا نصح هؤلاء، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول محمد ﷺ، وهدية، أبصرت الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، يعرضون عنك إعراضاً.

[٦٢] فكيف يكون حال أولئك المنافقين إذا حلت بهم مصيبة؛ بسبب ما اقترفوه بأيديهم، ثم جاؤوك - أيها الرسول - يعتذرون، ويؤكدون لك أنهم ما قصدوا بأعمالهم تلك إلا الإحسان والتوفيق بين الخصوم؟

[٦٣] أولئك هم الذين يعلم الله حقيقة ما في قلوبهم من النفاق، فتول عنهم، وحذره من سوء ما هم عليه، وقل لهم قولاً مؤثراً فيهم زاجراً لهم.

[٦٤] وما بغتاً من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه. ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك - أيها الرسول - في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله تواباً رحيماً.

[٦٥] أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكماً فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكوا إلى سنتك بعد ماتك، ثم لا يجحدوا في أنفسهم ضيقاً مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ
وَمَا نَزَّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدِّدُونَ عَنْكَ
صُدُوكَ ۖ فَكَتَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا
قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَرَجَاءَهُ، وَكَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَادْتُمْ إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءَهُ، وَكَفَانَتْغَفْرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرُوا لَهُمْ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۗ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْكُمْ فَيَكْتُمُونَ مَا جَاءَهُمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ
أَنْفُسَهُمْ حَرَجًا يَمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا ۗ

[٦٦-٦٨] ولو أوجبنا على هؤلاء المناققين المتحامين إلى الطاغوت أن يقتل بعضهم بعضاً، أو أن يخرجوا من ديارهم، ما استجاب لذلك إلا عدد قليل منهم، ولو أنهم استجابوا لما يُنصحون به لكان ذلك نافعاً لهم. وأقوى لإيمانهم، ولأعطيتهم من عندنا ثواباً عظيماً في الدنيا والآخرة، ولأرشدناهم ووقفناهم إلى طريق الله القويم.

[٦٩] ومن يستجب لأوامر الله تعالى ويهدي رسوله محمد ﷺ فأولئك الذين عظم شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة من أنعم الله تعالى عليهم بالجنة، من الأنبياء والصديقين الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين. وحسن هؤلاء رفقاء في الجنة.

[٧٠] ذلك انعطاء الجزيل من الله وحده، وكفى بالله عليمًا يعلم أحوال عباده، ومن يستحق منهم الثواب الجزيل بما قام به من الأعمال الصالحة.

[٧١] يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين.

[٧٢] وإن منكم لفسراً يتأخر عن الخروج لملاقاة الأعداء متثاقلاً، ويثبط غيره عن عزم وإصراره، فإن قدر عليكم وأصيبتهم بقتل وهزيمة، قال مستبشراً: قد حفظني الله، حين لم أكن حاضراً مع أولئك الذين وقع لهم ما أكرهه لنفسي، وسره تخلفه عنكم.

[٧٣] ولئن نالكم فضل من الله وغنيمة، ليقولنَّ -حاسداً متحسراً-، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في الظاهر: يا ليتني كنت معهم فأظفر بما ظفروا به من النجاة والنصرة والغنيمة.

[٧٤] فليجاهد في سبيل نصره دين الله، وإعلاء كلمته، الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة وثوابها. ومن يجاهد في سبيل الله مخلصاً، فيقتل أو يفتلَب. فسوف نؤتيه أجراً عظيماً.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا قَتَلُوهَا لَآ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَا يُوعَدُونَ ۖ بَوَّأْنَا لَكُمُ الْخَيْرَ الْأَيْسَرَ وَأَشَدَّ تَنْبِيْهُنَّ ۗ وَإِنَّا لَآتِيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا آخِرًا عَظِيْمًا ۗ وَلَهُمْ فِيهَا مِزْوَانٌ مُسْتَقِيْمًا ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيْقًا ۗ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا ۗ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ يَنْفِرُوا جَمْعًا ۗ وَإِنْ مَكَرْتُمْ لَن يُبْطِلَنَّ فِئْتَانَكُمْ مِصْبَةَ ۗ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۗ وَلَئِنْ أَصْبَحْتُمْ فَضَّلْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ تَلَيْسَتْ بِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَفُوزًا عَظِيْمًا ۗ فَلْيَقْضِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يفتلَبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيْمًا ۗ

[٧٥] وما الذي يمنعكم -أيها المؤمنون- عن الجهاد في سبيل نصره دين الله، ونصرة عباد المستضعفين من الرجال والنساء والصغار الذين اعتمد عليهم، ولا حيلة لهم ولا وسيلة لديهم إلا الاستغاثة بربهم. يدعونه قائلين: ربنا أخرجنا من هذه القرية -يعني مكة- التي ظلم أهلها أنفسهم بالكفر والمؤمنين بالأذى، واجعل لنا من عندك ولياً يتولى أمورنا، ونصيراً ينصرنا على الظالمين؟

[٧٦] الذين صدقوا في إيمانهم اعتقاداً وعملاً يجاهدون في سبيل نصره الحق وأهله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل البغي والفساد في الأرض، فقاتلوا أيها المؤمنون أهل الكفر والشرك الذين يتولون الشيطان، ويطيعون أمره، إن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفاً.

[٧٧] أئمة تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك الذين قيل لهم قبل الإذن بالجهاد: امنعوا أيديكم عن قتال

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنَ اللَّهِ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُمُ كَفِّرُوا وَابْتَغُوا الْغَنَاءَ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ وَالظُّلْمَ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُبْتِغُونَ الْفِتْنَةَ وَاللَّهُ أَشَدُّ حَسْبًا ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ اللَّهُ النَّاسَ طَائِفَاتٍ فِي الْأَخْرَةِ خَيْرًا لِمَن اتَّقَىٰ وَلَا ظُلْمَ لِمَن قَامَ ﴿٧٨﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِيرِينَ وَإِن نُّضِيفْهُمُ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَإِن نُّضِيفْهُمُ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمال هَوْلًا الْقَوْلُ لَا يَكادُونَ يَقُولُونَ حَيْدًا ﴿٧٩﴾ مَا أَصَابكُم مِّنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابكُم مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ رَسُولًا وَمَن ظَنَّىٰ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴿٨٠﴾

أعدائكم من المشركين، وعليكم أداء ما فرضه الله عليكم من الصلاة والزكاة، فلما فرض عليهم القتال إذا جماعة منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا يخافون الناس ويرهبونهم، كخوفهم من الله أو أشد، ويعلمون عما اعتراهم من شدة الخوف، فيقولون: ربنا لِمَ أُوْجِبْت عَلَيْنَا الْقِتَالَ؟ هلأ أمهلتنا إلى وقت قريب، رغبة منهم في متاع الحياة الدنيا، قل لهم -أيها الرسول-: متاع الدنيا قليل، والأخرة وما فيها أعظم وأبقى لمن اتقى، فعمل بما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، ولا يظلم ربك أحداً شيئاً، ولو كان مقدار الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة.

[٧٨] أينما تكونوا يلحقكم الموت في أي مكان كنتم فيه عند حلول آجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة بعيدة عن ساحة المعارك والقتال، وإن يحصل لهم ما يسرهم من متاع هذه الحياة، ينسبوا حصوله إلى الله تعالى، وإن يقع عليهم ما يكرهونه ينسبوه إلى الرسول محمد ﷺ جهالة وتشاؤماً، وما علموا أن ذلك كله من عند الله وحده، بقضائه وقدره، فما بالهم لا يقاربون فهم أي حديث تحدثتم به؟

[٧٩] ما أصابك -أيها الإنسان- من خير ونعمة فهو من الله تعالى وحده، فضلاً وإحساناً، وما أصابك من جهد وشدة فبسبب عملك السيئ، وما اقترفته يدك من الخطايا والسيئات، وبعثناك -أيها الرسول- لعموم الناس رسولاً تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شهيداً على صدق رسالتك.

[٨٠] من يستجيب للرسول ﷺ، ويعمل بهديه، فقد استجاب لله تعالى وامتلأ أمره، ومن أعرض عن طاعة الله ورسوله فما بعثناك - أيها الرسول - على هؤلاء المعرضين رقيباً تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها، فحاسبهم علينا.

[٨١] ويظهر هؤلاء المعرضون - وهم في مجلس رسول الله ﷺ - طاعتهم للرسول وما جاء به، فإذا ابتعدوا عنه وانصرفوا عن مجلسه، دبّر جماعة منهم ليلاً غير ما أعلنوه من الطاعة، وما علموا أن الله يحصي عليهم ما يدبرون، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، فتولّى عنهم - أيها الرسول - ولا تبال بهم، فإنهم لن يضرّوك، وتوكل على الله، وحسبك به ولياً وناصرأ.

[٨٢] أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَالَّذِي يَكْتُم مَائِنِينَ ۗ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانَ ۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَ هُرَامُزَيْنَ مِنَ الْأَخْمَنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ فَذَلِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَكُمْ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۖ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهَا نَصِيبٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهَا كِفْلٌ مِنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۖ وَإِذَا خِيفْتُمْ بِتَجَرِّعِهِمْ فَوْحُوا بِأَخْسَنِ مَنَافِعِهَا ۖ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ

[٨٣] وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمرٌ يجب كتمانهم، متعلقاً بالأمن الذي يعود خيره على الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفسؤوه وأذاعوا به في الناس، ولو ردّ هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل العلم والفقهاء لعَلِمَ حقيقة معناه، أهل الاستنباط منهم، ولولا أن تفضّل الله عليكم ورحمكم لاتبعتم الشيطان ووساوسه إلا قليلاً منكم.

[٨٤] فجاهد - أيها النبي - في سبيل الله وإعلاء كلمته، لا تُلْزَمُ فِعْلَ غَيْرِكَ وَلَا تَتَوَاخَذْ بِهِ، وحضّ المؤمنين على القتال والجهاد، ورغبهم فيه، لعل الله يمتع بك وبهم بأس الكافرين وشدتهم، والله تعالى أشد قوة وأعظم عقوبة للكافرين. [٨٥] من يسّح حصول غيره على الخير يكن له بشفاعته نصيب من الثواب، ومن يسّح لإيصال الشر إلى غيره يكن له نصيب من الوزر والإثم، وكان الله على كل شيء شاهداً وحفيظاً.

[٨٦] وإذا سلّم عليكم المسلم فردّوا عليه بأفضل مما سلّم لفظاً وبشاشة، أو ردّوا عليه بمثل ما سلّم، ولكل ثوابه وجزاؤه، إن الله تعالى كان على كل شيء مجازياً.

[٨٧] الله وحده المتفرد بالألوهية لجميع الخلق، ليجمعنكم يوم القيامة، الذي لا شك فيه؛ للحساب والجزاء. ولا أحد أصدق من الله حديثاً فيما أخبر به. [٨٨] فما لكم -أيها المؤمنون- في شأن المنافقين إذ اختلفتم فرقتين: فرقة تقول بقتالهم وأخرى لا تقول بذلك؟ والله تعالى قد أوقعهم في الكفر والضلال بسبب سوء أعمالهم. أتودون هداية من صرف الله تعالى قلبه عن دينه؟ ومن خذله الله عن دينه، واتباع ما أمره به، فلا طريق له إلى الهدى.

[٨٩] تمنى المنافقون لك -أيها المؤمنون- لو تنكروا حقيقة ما أمنت به قلوبكم، مثلما أنكروه بقلوبهم، فتكفونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصدقاء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله، برهاناً على صدق إيمانهم، فإن أعرضوا عما دُعوا إليه، فخذوهم أيضاً كانوا واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم ولياً من دون

اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُفْرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَمَنْ أصدقَ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ • مَا لَكُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَركَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذَوَاتُكَ كَرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَيْتٌ أَوْ جَنَابٌ وَعَدْتُمْ حَصْرَتَهُمْ ضَرْوَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَنُكُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوا فَإِنْ أُغْرِبْتُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَالْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ الْعَٰرِضِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا زِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يُعَيَّرْكُمْ وَلَا نَلُفُوا بِالِئِكُمْ إِلَيْكُمْ وَكَفَرُوا الَّذِينَ هُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَوْلِيَاءُكُمْ جَعَلْنَا لِكُلِّ غَنِيَةٍ سُلْطٰنًا مِمَّا يَشَاءُ

الله ولا نصيراً تستنصرون به.

[٩٠] لكن الذين يصلون يقوم بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقتلواهم، وكذلك الذين أتوا إليكم وقد ضاقت صدورهم وكرهوا أن يقتلواكم، كما كرهوا أن يقتلوا قومهم، فلم يكونوا معكم ولا مع قومهم، فلا تقتلواهم، ولو شاء الله تعالى لسلطهم عليكم. فلقاتلواكم مع أعدائكم من المشركين، ولكن الله تعالى صرفهم عنكم بفضلهم وقدرته، فإن تركوكم فلم يقتلواكم، وانقادوا إليكم مستسلمين، فليس لكم عليهم من طريق لقتالهم. [٩١] ستجدون قوماً آخرين من المنافقين يودون الاطمئنان على أنفسهم من جانبكم، فيظهرون لكم الإيمان، ويودون الاطمئنان على أنفسهم من جانب قومهم الكافرين. فيظهرون لهم الكفر، كلما أعيدوا إلى موطن الكفر والكافرين. وقعوا في أسوأ حال. فهؤلاء، إن لم ينصرفوا عنكم، ويقدموا إليكم الاستسلام التام، ويسنعوا أنفسهم عن قتالكم فخذوهم بقوة واقتلوهم أينما كانوا، وأولئك الذين بلغوا في هذا المسلك السيئ حداً يميزهم عن عادهم، فهم الذين جعلنا لكم الحججة البينة على قتلهم وأشرهم.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا بِالْإِخْتِطَاءِ وَمَنْ قَتَلَ
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
 لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
 مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ
 أَهْلِهِ ۖ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَبِيحًا
 شَهْرَيْنِ مِمَّا بَيْنَ عَيْنَيْ تَوْبَةٍ مَرَّتَ اللَّهُ وَكَاتَ اللَّهُ
 عَلَيْمَا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
 فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
 لِمَنْ آتَىٰ الْبَيْتَ الْبَيْتَ لَسَلَّمَ لَسَلَّمَ مُؤْمِنًا تَتَّبَعُوا
 عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَارِفُ كَثِيرَةٌ
 كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[٩٢] ولا يحق للمؤمن الاعتداء على أخيه المؤمن وقتله بغير حق، إلا أن يقع منه ذلك على وجه الخطأ الذي لا عمد فيه، ومن وقع منه ذلك الخطأ فعليه عتق رقبة مؤمنة، وتسليم دية مقدره إلى أوليائه، إلا أن يتصدقوا بها عليه ويعفوا عنه. فإن كان المقتول من قوم كفار أعداء للمؤمنين، وهو مؤمن بالله تعالى، وبما أنزل من الحق على رسوله محمد ﷺ، فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فعلى قاتله دية تسلم إلى أوليائه وعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد القدرة على عتق رقبة مؤمنة، فعليه صيام شهرين متتابعين؛ ليتوب الله تعالى عليه. وكان الله تعالى عليماً بحقيقة شأن عباده، حكيماً فيما شرعه لهم.

[٩٣] ومن يعتدي على مؤمن فيقتله عن عمد بغير حق فعاقبته جهنم خالداً فيها، مع سحق الله تعالى عليه وظرده من رحمته إن جازاه على ذنبه، وأعد الله له أشد العذاب؛ بسبب ما ارتكبه من هذه الجناية

العظيمة، ولكن الله سبحانه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان، فلا يجازيهم بالخلود في جهنم.

[٩٤] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا خرجتم في الأرض مجاهدين في سبيل الله فكونوا على بينة مما تأتون وتركون، ولا تنفوا الإيمان عنم بدا منه شيء من علامات الإسلام ولم يقاتلكم؛ لاحتمال أن يكون مؤمناً يخفي إيمانه، طالبين بذلك متاع الحياة الدنيا، والله تعالى عنده من الفضل والعطاء ما يغنيكم به، كذلك كنتم في بدء الإسلام تخفون إيمانكم عن قومكم من المشركين فتمن الله عليكم، وأعزكم بالإيمان والقوة، فكونوا على بينة ومعرفة في أموركم. إن الله تعالى عليه بكل أعمالكم، مُطلع على دقائق أموركم، وسيجازيكم عليها.

[٩٥] لا يتساوى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله - غير أصحاب الأعدار منهم - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ففضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ورفع منزلتهم درجة عالية في الجنة، وقد وعد الله كلاً من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الأعدار الجنة، لما بذلوا وضحوا في سبيل الحق، وفضل الله تعالى المجاهدين على القاعدين ثواباً جزيلاً.

[٩٦] هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله تعالى لخاصة عباده، المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفوراً لمن تاب إليه وأتاب، رحيماً بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله.

[٩٧] إن الذين توفاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، تقول لهم الملائكة توبيحاً لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَدْرَ أُولِي الْأَرْحَامِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَمَا جِئْتُمْ بِهَا قَالُوا بَلَىٰ مَا أَوْفَرْنَا جَهَنَّمَ وَنَسَّاتٍ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ جِمَاعٌ وَلَا هِتْدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَزِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُخْرِجْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ - مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ - ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جِمَاعٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكِرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرِينَ كَانُوا أَلَكْرَدًا وَأُنثِيًا ﴿١٠١﴾

عن دفع الظلم والقهر عنا، فيقولون لهم توبيحاً: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فأولئك متواهم النار، وَقَبِحَ هذا المرجع والمآب.

[٩٨] ويعذر من ذلك المصير العجزة من الرجال والنساء والصغار، الذين لا يقدر على دفع القهر والظلم عنهم، ولا يعرفون طريقاً يخلصهم مما هم فيه من المعاناة.

[٩٩] فهوؤلاء الضعفاء هم الذين يرحى لهم من الله تعالى العفو؛ لعلمه تعالى بحقيقة أمرهم. وكان الله كثير العفو يتجاوز عن سيئاتهم، ويستترها عليهم.

[١٠٠] وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ أَرْضِ الشَّرْكِ إِلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ فِرَاراً بِدِينِهِ، راجياً فضل ربه، قاصداً نصرة دينه، يمجِدْ فِي الْأَرْضِ مَكَاناً وَمَتَحَوِّلاً يَنْعَمُ فِيهِ بِمَا يَكُونُ سَبَباً فِي قُوَّتِهِ وَذَلَّةِ أَعْدَائِهِ، مع السَّعة في رزقه وعيشه، ومن يخرج من بيته قاصداً نصرة دين الله ورسوله ﷺ، وإعلاء كلمة الله، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده، فقد ثبت له جزاء عمله على الله، فضلاً منه وإحساناً. وكان الله غفوراً رحيماً بعباده.

[١٠١] وإذا سافرتم - أيها المؤمنون - في أرض الله، فلا حرج ولا إثم عليكم في قُصْر الصلاة؛ إن خفتكم من عدوان الكفار عليكم في حال صلاتكم، وكانت غالب أسفار المسلمين في بدء الإسلام مخوفة، والقُصْر رخصة في السفر حال الأمن أو الخوف. إن الكافرين مجاهرون لكم بعداوتهم. فاحذروهم.

وإذا سكنت فيهم فأقنت لهم الصلوة فلتنفر طائفة
 ينهركم معك ولتأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكفروا
 من وراءك ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا
 معك ولتأخذوا جذعهم وأسلحتهم وذات اليمين
 كفروا ولو تفرغون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون
 عليكم فمقلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان يكره
 أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم
 وتخذوا جذعكم إن الله أعاد للذين عهدنا فميتاً
 فإذا قضيت الصلوة فاذكروا الله قيساً وفعوداً وعلى
 جنوبكم فإذا أطمأنتن فأقيموا الصلوة إن الصلوة
 كانت على المؤمنين كتبنا متفوراً ولا تهنوا في
 آيةنا القوم إن فكروا قال المؤمن فأنه يأتون كما
 تألمون وتخرجون من الله ما لا يرجون وسكات الله
 عليهم حكيماً إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
 بين الناس بما أترك الله ولا تكن للظالمين حسيباً

[١٠٢] وإذا كنت - أيها النبي - في ساحة القتال، فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم معك للصلوة، ولتأخذوا أسلحتهم، فإذا سجد هؤلاء، فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم، وتقيم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية ويسلمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم تبدأ الصلاة فليأتوا بك في ركعتهم الأولى. ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، وليحذروا من عدوهم ولتأخذوا أسلحتهم. وذو الجاحدون لدين الله أن تغفلوا عن سلاحكم وزادكم؛ ليحملوا عليكم حملة واحدة فيقضوا عليكم، ولا إثم عليكم حينئذ إن كان بكم أذى من مطر. أو كنتم في حال مرض أن تركوا أسلحتكم. مع أخذ الحذر. إن الله تعالى أعاد للجاحدين لدينه عذاباً يهينهم، ويخزيهم.

[١٠٣] فإذا أدبتم الصلاة، فأديسوا ذكر الله في جميع

أحوالكم، فإذا زال الخوف فأدوا الصلاة كاملة، ولا تفرطوا فيها فإنها واجبة في أوقات معلومة في الشرع.

[١٠٤] ولا تضعوا في طلب عدوكم وقتاله، إن تكونوا تتألمون من القتال وآثاره، فأعدواكم كذلك يتألمون منه أشد الألم. ومع ذلك لا يكفون عن قتالكم. فأنتم أولى بذلك منهم؛ لما ترجونه من العوَاب والنصر والتأييد. وهم لا يرجون ذلك. وكان الله عليمًا بكل أحوالكم، حكيمًا في أمره وتدبيره.

[١٠٥] إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق؛ تنفصل بين الناس جميعاً بما أوحى الله إليك. وبصرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم - بكتمان الحق - مدافعاً عنهم؛ بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة.

[١٠٦] وأطلب من الله تعالى المغفرة في جميع أحوالك، إن الله تعالى كان غفوراً لمن يرجو فضله ونوال مغفرته، رحيماً به.

[١٠٧] ولا تدافع عن الذين يخونون أنفسهم بمعصية الله. إن الله - سبحانه - لا يحب من عظمت خيانتة، وكثر ذنبه.

[١٠٨] يستترون من الناس خوفاً من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عز شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبرون - ليلاً - ما لا يرضى من القول، وكان الله - تعالى - محيطاً بجميع أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

[١٠٩] ها أنتم - أيها المؤمنون - قد حاجتكم عن هؤلاء الخائنين لأنفسهم في هذه الحياة الدنيا، فمن يحاجج الله تعالى عنهم يوم البعث والحساب؟ ومن ذا الذي

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبْغِثُ مِنْكَ
حَوَائِبًا أَيْمَانًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنْ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُجِيبًا ﴿١٠٨﴾ هَٰئِنذِهِمْ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرًا يَكُونُ عَلَيْهِمْ رُكُوبًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوْءًا أَوْ يظَلِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُرْهَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

يكون على هؤلاء الخائنين وكيلاً يوم القيامة؟

[١١٠] ومن يُقدم على عمل سيئ قبيح، أو يظلم نفسه بارتكاب ما يخالف حكم الله وشرعه، ثم يرجع إلى الله نادماً على ما عمل، راجياً مغفرته وستر ذنبه، يجد الله تعالى غفوراً له، رحيماً به.

[١١١] ومن يعمد إلى ارتكاب ذنب وإنما يضر بذلك نفسه وحدها، وكان الله تعالى عليماً بحقيقة أمر عباد، حكيماً فيما يقضي به بين خلقه.

[١١٢] ومن يعمل خطيئة بغير عمد، أو يرتكب ذنباً متعمداً ثم يقذف بما ارتكبه نفساً بريئة لا جناية لها، فقد تحل كذباً وذنوباً بيئاً.

[١١٣] ولولا أن الله تعالى قد مَنَّ عليك - أيها الرسول - ورحمك بنعمة النبوة، فعصمك بتوفيقه بما أوحى إليك، لعزمت جماعة من الذين يخونون أنفسهم أن يُزُوكَ عن طريق الحق، وما يُزُوكَون بذلك إلا أنفسهم، وما يقدرُونَ على إيدانك لعصمة الله لك، وأنزل الله عليك القرآن والسنة المبينة له، وهداك إلى علم ما لم تكن تعلمه من قبل، وكان ما خصَّك الله به من فضلي أمراً عظيماً.

[١١٤] لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثاً داعياً إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله تعالى راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلاً واسعاً.

[١١٥] ومن يخالف الرسول ﷺ من بعد ما ظهر له الحق، ويسلك طريقاً غير طريق المؤمنين، وما هم عليه من الحق، نتركه وما توجه إليه، فلا نوقفه للخير، وندخله نار جهنم يقاسي حرّاً، وبئس هذا المرجع والمآل.

[١١٦] إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده. ومن يجعل لله تعالى الواحد الأحد شريكاً من خلقه، فقد بعد عن الحق بعداً كبيراً.

[١١٧] ما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثاناً

لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون إلا شيطاناً متبرداً على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيراً.

[١١٨] طرده الله تعالى من رحمته. وقال الشيطان: لأتخذن من عبادك جزءاً معلوماً في إغوائهم قولاً وعملاً.

[١١٩] ولأصرفن من تعني منهم عن الحق. ولأعدنهم بالأمان الكاذبة. ولأدعونهم إلى تقطيع آذان الأنعام وتشقيقها لما أزيته لهم من الباطل، ولأدعونهم إلى تغيير خلق الله في الفطرة، وهيئة ما عليه الخلق. ومن يستجيب للشيطان ويتخذ ناصراً له من دون الله القوي العزيز، فقد هلك هلاكاً بيناً.

[١٢٠] يعبد الشيطان أتباعه بالوعود الكاذبة، ويغريهم بالأمان الباطلة الخادعة، وما يعدهم إلا خديعة لا صحة لها. ولا دليل عليها.

[١٢١] أولئك ما لهم جهنم. ولا يجدون عنها معدلاً ولا ملجأً.

• لَأَخْبِرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ أَمْثَلِهِمْ إِنَّمَا أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يَسْأَلِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَدَأَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ - جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَصْلَ لَهُمْ وَلَا مَنِيَّةَ لَهُمْ وَلَا تَمُرُّنَّهُمْ فَلَيْتَيْسَ كَانَ بَادِرَ الْأُنْقَابِ وَلَا تَمُرُّنَّهُمْ فَلَيْتَيْسَ زُتَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُ هُذَيْمِيَّةً وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَا أُنذِرُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَعِدُوتُ عَنْهَا مَجِيصًا ﴿١٢١﴾

[١٢٤] والذين صدقوا في إيمانهم بالله تعالى، وأتبعوا الإيمان بالأعمال الصالحة سيدخلهم الله -بفضله- جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداء، وعداً من الله تعالى الذي لا يخلف وعده. ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعدده.

[١٢٣] لا يُنال هذا الفضل العظيم بالأمانى التي تتمونها أيها المسلمون، ولا بأمانى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وإحسان العمل الذي يرضيه. ومن يعمل عملاً شيئاً يُجزّ به، ولا يجد له سوى الله تعالى ولياً يتولى أمره وشأنه، ولا نصيراً ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.

[١٢٤] ومن يعمل من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله تعالى وبما أنزل من الحق، فأولئك يدخلهم الله الجنة دار النعيم المقيم، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان مقدار

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَضَدُّ مِنْ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٣﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْر بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أُولَئِكَ وَهُم مُمَرَّاتٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنْظَمُونَ قَبِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٦﴾ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٨﴾ وَنَسْفَتْنَاكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَنْفِي عَلَيْكُمْ فِي النِّسَاءِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كَتَبَ لَهُنَّ وَتُرْعَبْنَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَأَنْ تَقُولُوا اللَّيْسَ بِالْفَرْسِطِ وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٩﴾

الثقرة في ظهر الثواة.

[١٢٥] لا أحد أحسن ديناً ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن في قوله وعمله مُتَّبِعٌ أمرٌ ربّه، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مانلاً عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذ صفياً من بين سائر خلقه. وفي هذا الآية، إثبات صفة الخلة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة والاصطفاء.

[١٢٦] والله جميع ما في هذا الكون من المخلوقات، فهي ملك له تعالى وحده. وكان الله تعالى بكل شيء محبباً، لا يخفى عليه شيء، من أمور خلقه.

[١٢٧] يطلب الناس منك -أيها النبي- أن تبين لهم ما أشكل عليهم قهّمه من قضايا النساء وأحكامهن، قل الله تعالى يبين لكم أمورهن، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تعظونهن ما فرض الله تعالى لهن من المهر والميراث، وغير ذلك من الحقوق. وتحبون نكاحهن، أو ترغبون عن نكاحهن، ويبين الله لكم أمر الضعفاء من الصغار، ووجوب القيام لليتامى -وهم الذين مات أبواؤهم وهم دون سن البلوغ- بالعدل وترك الجور عليهم في حقوقهم. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى كان به عليماً، لا يخفى عليه شيء منه ولا من غيره.

[١٢٨] وإن علمت امرأة من زوجها ترفعاً عنها، وتعالياً عليها أو انصرافاً عنها فلا إثم عليهما أن يتصالحا على ما تطيب به نفوسهما من القسمة أو النفقة، والصلح أولى وأفضل. وجببت النفوس على الحرص والبخل. فكأن البخل حاضرها لا ينفك عنها. وإن تحسنوا معاملة زوجاتكم وتحافوا الله فيهن، فإن الله كان بما تعملون من ذلك وغيره عالماً لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم على ذلك.

[١٢٩] ولن تقدروا -أيها الرجال- على تحقيق العدل التام بين النساء في المحبة وميل القلب، مهما بذنتم في ذلك من الجهد، فلا تعرضوا عن المرغوب عنها كل الإعراض، فتركوها كالمرأة التي ليست بذات زوج ولا هي مطلقة فتأثموا. وإن تصلحوا أعمالكم فتعدلوا في قسمة بين زوجاتكم، وتراقبوا الله تعالى وتحشوه فيهن، فإن الله تعالى كان غفوراً لعباده، رحيماً بهم.

[١٣٠] وإن وقعت الفارقة بين الرجل وامرأته، فإن الله تعالى يغني كلاً منهما من فضله وسعته؛ فإنه سبحانه وتعالى واسع الفضل والمنة، حكيم فيما يقضي به بين عباده.

[١٣١] ولله ملك ما في السموات وما في الأرض وما بينهما. ولقد عهدنا إلى الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم كذلك -يا أمة محمد- بتقوى الله تعالى، والقيام بأمره واجتناب نهيه، وبيئنا لكم أنفسكم إن تجدوا وحداية الله تعالى وشرعه فإنه سبحانه غني عنكم؛ لأن له جميع ما في السموات وما في الأرض. وكان الله غنياً عن خلقه، حميداً في صفاته وأفعاله.

[١٣٢] ولله ملك ما في هذا الكون من الكائنات. وكفى به سبحانه قائماً بشؤون خلقه حافظاً لها.

[١٣٣] إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين غيركم. وكان الله على ذلك قديراً.

[١٣٤] من يرغب منكم -أيها الناس- في ثواب الدنيا ويعرض عن الآخرة، فعند الله وحده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب من الله وحده خيري الدنيا والآخرة، فهو الذي يملكهما. وكان الله سميعاً لأقوال عباده، بصيراً بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم على ذلك.

وإن أمرًا عاقبت من تعلمها نشورًا أو اعتراضًا فلا جناح عليهما أن يفصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ وأنحضرت الأنفس الشح وإن تحسبوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴿١٢٨﴾ ولن تستطیعوا أن تعدلوا بین النساء ولو حرصتم فلا تمیلوا على المثل فتذروها كأنتم لعلکم وإن فضلوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحیمًا ﴿١٢٩﴾ وإن يتقوا يغن الله كل من سعيه. وكان الله وسیعاً حکیمًا ﴿١٣٠﴾ والله ما فی السموات وما فی الأرض ولقد وصینا الذین أوتوا الکتاب من قبلکم ویاتکم أن تقرؤوا الله وإن تکفروا فإن لله ما فی السموات وما فی الأرض وكان الله غنیاً حمیداً ﴿١٣١﴾ ولله ما فی السموات وما فی الأرض وكفی بالله وکیلًا ﴿١٣٢﴾ إن یشأ الله ینزلکم من السماء حطبًا أو یأتکم من تحت الجبل من سحابٍ یسألکم فی الذلک قلیلاً ﴿١٣٣﴾ من کان یرید ثواب الدنیا فعند الله ثواب الدنیا والآخرة وكان الله سميعاً بصیرًا ﴿١٣٤﴾

[١٣٥] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشِرْعِهِ،
كونوا قانمين بالعدل، مؤدين للشهادة لوجه الله تعالى،
ولو كانت على أنفسكم، أو على آبائكم وأمهاتكم،
أو على أقاربكم، مهما كان شأن المشهود عليه غنياً
أو فقيراً؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَىٰ بِمَا مِنْكُمْ، وأعلم بما
فيه صلاحهما، فلا يحملنكم الهوى والتعصب على
ترك العدل، وإن تحرفوا الشهادة بألسنتكم فتأتوا
بها على غير حقيقتها، أو تعرضوا عنها بترك أدائها
أو بكماتها، فإن الله تعالى كان عليماً بدقائق
أعمالكم، وسيجازيكم بها.

[١٣٦] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا
بشِرْعِهِ دَاوَمُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّصَدِيقِ
الجازم بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ، ومن طاعتها،
وبالقرآن الذي نزله عليه، وبجميع الكتب التي أنزلها
الله على الرسل. ومن يكفر بالله تعالى، وملأنته

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْمَانِ شَهَدَاءَ لِلَّهِ وَلِوَالِدَيْهِ
عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أُولَٰئِكَ فِي الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
فَأَلْفَهُ أَوْلَىٰ بِمَا بَيْنَهُمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَدْرَأُوا
أَوْ تُعْرَضُوا فَأَقْبِ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ - وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ - وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يَلْمِزُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ يَبْرَأُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَتَّبِعُونَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهَا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ - إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهَا
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

المكرمين، وكتبه التي أنزلها لهداية خلقه، ورسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي يقوم الناس
فيه بعد موتهم للعرض والحساب، فقد خرج من الدين، وتعد بعداً كبيراً عن طريق الحق.

[١٣٧] إِنْ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِيمَانِ، ثُمَّ رَجَعُوا عَنْهُ إِلَى الْكُفْرِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ مَرَّةً
أُخْرَى، ثُمَّ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتَمَرُوا عَلَيْهِ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ. وَلَا لِيُدْخِلَهُمْ عَلَى طَرِيقِ مَنْ طَرِقَ الْهُدَايَةَ،
التي ينجون بها من سوء العاقبة.

[١٣٨] يَبْرَأُ - أيها الرسول - المنافقين - وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر - بأن لهم عذاباً مرجعاً.
[١٣٩] الَّذِينَ يُوَالِدُونَ الْكَافِرِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ أَعْوَانًا لَهُمْ، وَيَتْرَكُونَ وَايَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَرْغَبُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ. أُيْطَلَبُونَ
بذلك النصرة والمنعة عند الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك، فالنصرة والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده.

[١٤٠] وَقَدْ نَزَّلَ رُبُّكُمْ عَلَيْكُمْ - أيها المؤمنون - في كتابه أنه إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها فلا
تجلسوا مع الكافرين والمستهزئين، إلا إذا أخذوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بآيات الله. إنكم
إذا جالستموهم، وهم على ما هم عليه، فأنتم مثلهم؛ لأنكم رضيتهم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية
القاعل لها. إن الله تعالى جامع المنافقين والكافرين في نار جهنم جميعاً، يُلْقُونَ فِيهَا سُوءَ الْعَذَابِ.

[١٤١] المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحل بكم - أيها المؤمنون - من الفتن والحرب، فإن من الله عليكم بفضل، ونصركم على عدوكم وغنمتم، قالوا لكم: ألم نكن معكم نوازركم؟ وإن كان للجاحدين لهذا الدين قدرٌ من النصر والنعمة، قالوا لهم: ألم نساعدكم بما قدمناه لكم ونحببكم من المؤمنين؟ فالله تعالى يقضي بينكم وبينهم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للغلبة على عباده الصالحين، فالعاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة.

[١٤٢] إن طريقة هؤلاء المنافقين تحادثة الله تعالى، بما يظهره من الإيمان وما يطنونه من الكفر، طناً أنه يخفى على الله، والحال أن الله خادعهم ومجازيهم بمثل عملهم، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة، قاموا إليها في فتور، يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة، ولا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلاً.

[١٤٣] إن من شأن هؤلاء المنافقين التردد والخيرة والاضطراب، لا يستقرون على حال، فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين. ومن يصرف الله قلبه عن الإيمان به والاستمسك بهديه، فلن تجد له طريقاً إلى الهداية واليقين.

[١٤٤] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا توالوا الجاحدين لدين الله، وتركوا موالاة المؤمنين ومودتهم، أتريدون بؤدةً أعدائكم أن تجعلوا لله تعالى عليكم حجة ظاهرة على عدم صدقكم في إيمانكم؟

[١٤٥] إن المنافقين في أسفل منازل النار يوم القيامة، ولن تجد لهم - أيها الرسول - ناصراً يدفع عنهم سوء هذا المصير.

[١٤٦] إلا الذين رجعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه، وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم باطنياً وظاهراً، ووالوا عبادة المؤمنين، واستمسكوا بدين الله، وأخلصوا له سبحانه، فأولئك مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً عظيماً.

[١٤٧] ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وأمنتهم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عن سواه، وإنما يعدب العباد بذنوبهم، وكان الله شاكراً لعباده على طاعتهم له، عليماً بكل شيء.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤١
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٢
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٣
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٤
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٥
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٦
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١٤٧

[١٤٨] لا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يَجْهَرَ أَحَدٌ بِقَوْلِ السُّوءِ، لَكِنْ يُبَاحُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَذْكَرَ ظَالِمَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ السُّوءِ؛ لِيُبَيِّنَ مَظْلَمَتَهُ. وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً لِمَا تَجْهَرُونَ بِهِ، عَلِيماً بِمَا تَخْفُونَ مِنْ ذَلِكَ.

[١٤٩] تَدَّبَ اللهُ تَعَالَى إِلَى الْعَفْوِ، وَمَهَّدَ لَهُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا أَنْ يَظْهَرِ الْخَيْرُ، وَإِنَّمَا أَنْ يُخْفِيَهُ، وَكَذَلِكَ مَعَ الْإِسَاءَةِ: إِسَاءَةٌ أَنْ يَظْهَرِهَا فِي حَالِ الْإِنْتِصَافِ مِنَ الْمَسِيءِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَعْفو وَيَصْفَحَ. وَالْعَفْوُ أَفْضَلُ؛ فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى الْعَفْوُ عَنْ عِبَادِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ.

[١٥٠] إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللهِ وَرَسُولِهِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَيَكْذِبُوا رُسُلَهُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى خَلْقِهِ، أَوْ يَعْتَرِفُوا بِصِدْقِ بَعْضِ الرُّسُلِ دُونَ بَعْضٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَفْتَرُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا طَرِيقاً إِلَى الضَّلَالَةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا الْبَدْعَةُ الَّتِي ابْتَدَعَهَا.

«لَا يُحِبُّ اللهُ الْمُجْتَهِرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً» [١٤٨] إِنَّ تَذْكَرَ وَأَخْبَرَ أَوْ تَخْفَى أَوْ تَعْفَى عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهُ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا [١٤٩] إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا [١٥٠] أَوْلَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الْمُكْفِرِينَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [١٥١] وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلَيْتُمْ سَوَاءً نُؤْمِنُ بِهِمْ أَوْ جُرْهُمُ وَكَانَ اللهُ عَفْوَاً رَحِيمًا [١٥٢] يَسْتَلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ السَّيِّئَاتُ فَقَالُوا بِنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا [١٥٣] وَرَفَعْنَا قُرُونَهُمْ أَطْوَرَ يَمِينِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [١٥٤]

[١٥١] أَوْلَيْتُمْ هُمْ أَهْلَ الْكُفْرِ الْمَحْقُوقِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ. وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا يُخْزِيهِمْ وَيُهِينُهُمْ. [١٥٢] وَالَّذِينَ صَدَّقُوا بِوَحْدَانِيَةِ اللهِ، وَأَقْرَبُوا بِنُبُوَّةِ رُسُلِهِ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَعَمِلُوا بِشَرِيعَةِ اللهِ، أَوْلَيْتُمْ سَوَاءً يَعْطَهُمْ جَزَاءَهُمْ وَثَوَابَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِهِ وَرَسُولِهِ. وَكَانَ اللهُ عَفْوَاً رَحِيمًا بِهِمْ.

[١٥٣] يَسْأَلُ الْيَهُودَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَعْجَزَةً مِثْلَ مَعْجَزَةِ مُوسَى تَشْهَدُ لَكَ بِالصِّدْقِ؛ بِأَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ صُحُفًا مِنَ اللهِ مَكْتُوبَةٌ، مِثْلَ مَجِيءِ مُوسَى بِالْأَلْوَابِحِ مِنَ عِنْدِ اللهِ، فَلَا تَعْجَبُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - فَقَدْ سَأَلَ أَسْلَافَهُمْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَا هُوَ أَعْظَمُ: سَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمُ اللهُ عِلَانِيَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الْعُقُوبَةُ الْمُهْلِكَةُ؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ حِينَ سَأَلُوا أَمْرًا لَيْسَ مِنْ حَقِّهِمْ. وَبَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمُ اللهُ بَعْدَ الصَّعِقِ. وَشَاهَدُوا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ - عَلَى يَدِ مُوسَى - الْقَاطِعَةِ بِنُفْيِ الشَّرْكِ، عَبَدُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ، فَعَفَقْنَا عَنْ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ بِسَبَبِ تَوْبَتِهِمْ، وَآتَيْنَا مُوسَى حُجَّةً عَظِيمَةً تُوَيِّدُ صِدْقَ نُبُوَّتِهِ.

[١٥٤] وَرَفَعْنَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ جَبَلَ الطُّورِ حِينَ امْتَنَعُوا عَنِ الْإِتِمَامِ بِالْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ الَّذِي أَعْطَوْهُ بِالْعَمَلِ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَأَمْرَانَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا بَابَ «بَيْتِ الْمُقَدَّسِ» سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَرْحِفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمُ، وَأَمْرَانَهُمْ أَلَّا يَتَّخِذُوا بِالصَّيْدِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فَاعْتَدُوا وَصَادُوا، وَأَخَذْنَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا مُؤَكَّدًا. فَتَقَضَوْهُ.

فَمَا نَقَضْتَهُمْ يَسْتَقْفَرُونَ لَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِهِ وَقَتَلُوا آلَ الْيَتِيمَةِ
 بِفَيْحٍ وَكَرِهَتْ قُلُوبُنَا غُلْفًا بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
 فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَكُفِرُوا بِرَسُولِهِمْ عَلَىٰ مَرَمٍ مِّمَّا نَتَّبِعُونَ
 عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
 اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰسَٰنُ شَيْءٍ لَهُمْ وَأَنَّا الَّذِينَ
 ائْتَمَرْنَا فِيهِ بِشَيْءٍ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلْمِ ۝
 وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝
 وَأَن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَلَّحْنَا بِهَا كِتَابًا بِالْأَلْفِ مِائَةِ آيَةٍ قَبْلَ مُرْسَلِنَا
 وَلَقَدْ مَوَّجْنَا بِهَا الْفَيْسَ وَكُنَّا بِعَدُوِّهِمْ أَصْغَارًا ۝ فَظَلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا
 حَرَمْنَا عَلَيْهِمُ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَاَصْدَقْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 كَيْدًا ۝ وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّزْقَ وَقَدْ نَهَوْنَا عَنْهُ وَأَعْلَمْنَا هُمُ الرِّزْقَ
 أَنَّهُمْ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَكِنِ
 الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
 وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنَنْتُوهُمْ زُجْرًا عَظِيمًا ۝

[١٥٥] فلعلناهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلماً واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أعظية فلا تنفعه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

[١٥٦] وكذلك لعناهم بسبب كفرهم وافتراءهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه.

[١٥٧] وبسبب قولهم -على سبيل التهكم والاستهزاء-: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلاً شبيهاً به ظناً منهم أنه عيسى. ومن ادعى قتله من اليهود، وكذلك من أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وخيرة، لا علم لديهم إلا اتباع الظن. وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين.

[١٥٨] بل رفع الله عيسى إليه بيده وروحه حياً، وخلصه من الذين كفروا. وكان الله عزيزاً في ملكه، حكيماً في تدبيره وقضائه.

[١٥٩] وإنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شهيداً بتكذيب من كذبه، وتصديق من صدقه.

[١٦٠] فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرم الله عليهم طيبات من المأكول كانت حلالاً لهم، وبسبب صدهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله القويم.

[١٦١] وبسبب تناولهم الربا الذي نهوا عنه، واستحلالهم أموال الناس بغير استحقاق، وأعدنا للكافرين بالله ورسوله من هؤلاء اليهود عذاباً موجعاً في الآخرة.

[١٦٢] لكن المتكثرون في العلم بأحكام الله من اليهود، والمؤمنون بالله ورسوله، يؤمنون بالذي أنزله الله إليك -أيها الرسول- وهو القرآن، وبالذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالنور والإنجيل، ويؤدون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء، أولئك سيُعطيهم الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

[١٦٣] إنا أوحينا إليك - أيها الرسول - بتبليغ الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبیین من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط - وهم الأنبياء من ولد يعقوب، الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشر - وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وأتينا داود زبوراً، وهو كتاب وصحف مكتوبة.

[١٦٤] وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك في القرآن من قبل هذه الآية، ورسلاً لم نقصصهم عليك لحكمة أودناها. وكلم الله موسى تكليماً؛ تشریفاً له بهذه الصفة. وفي هذه الآية الكريمة إثبات صفة الكلام لله - تعالى - كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه كلم نبيه موسى - عليه السلام - حقيقة بلا واسطة. [١٦٥] أرسلتُ رسلاً إلى خلقي مبشرين بنوراني، ومنذرين بعقابي؛ لئلا يكون للبشر حجة يعتزون بها بعد إرسال الرسل. وكان الله عزيزاً في ملكه،

• إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالصَّامِتِينَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرَسُولًا قَدْ قِصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُ عَنْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ زَلْنَا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَيْكُنِيَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَئِيكُنِيَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يُعَذِّبَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْتُوا حَتَّى أَصْرَفَكُمْ وَإِنْ تُكْفِرُوا فَلَا إِلَهَ إِلَّا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

حكيماً في تدبيره.

[١٦٦] إن يكفر بك اليهود وغيرهم - أيها الرسول - فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه القرآن العظيم، أنزله يعلمه، وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحى إليك، وشهادة الله وحدها كافية.

[١٦٧] إن الذين جحدوا نُبُوتك، وصدّوا الناس عن الإسلام، قد عُدّوا عن طريق الحق بُعداً شديداً.

[١٦٨] إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وظلموا باستمرارهم على الكفر. لم يكن الله ليغفر ذنوبهم، ولا ليدلهم على طريق ينجيهم.

[١٦٩] إلا طريق جهنم ما كثين فيها أبداً، وكان ذلك على الله يسيراً، فلا يعجزه شيء.

[١٧٠] يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بالإسلام دين الحق من ربكم، فصدّقوه واتبعوه، فإن الإيمان به خير لكم، وإن تصرّوا على كفركم فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم؛ لأنه مالك ما في السموات والأرض. وكان الله عليماً بأقوالكم وأفعالكم، حكيماً في تشريعه وأمره. فإذا كانت السموات والأرض قد خضعتا لله تعالى كوناً وقدراً خضوع سائر ملكه، فأولى بكم أن تؤمنوا بالله وبرسوله محمد ﷺ، وبالقرآن الذي أنزله عليه، وأن تنقادوا لذلك شرعاً حتى يكون الكون كله خاضعاً لله قدراً وشرعاً. وفي الآية دليل على عموم رسالة نبي الله ورسوله محمد ﷺ.

[١٧١] يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولداً. إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقته بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: «كن»، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فصدّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدّقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتبهوا عن هذه المقالة خيراً لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السموات والأرض ملأه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلاً على تدبير خلقه وتصريف معاشه، فتولّوا عليه وحده فهو كافيكم.

[١٧٢] لن يأتي من يمتنع المسيح أن يكون عبداً لله، وكذلك لن يأتي الملائكة المُقرَّبون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأتي عن الانقياد والخضوع ويستكبر فيسحشروهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلًّا بما يستحق.

[١٧٣] فأما الذين صدّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستقاموا على شريعته فيوفيهم ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله، وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله، واستكبروا عن التذلل له فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون لهم ولياً ينجيهم من عذابه، ولا ناصرأ ينصرهم من دون الله.

[١٧٤] يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وهو رسولنا محمد ﷺ، وما جاء به من البينات والحجج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم، مما يشهد بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، وأنزلنا إليكم القرآن هدىً ونوراً مبيناً.

[١٧٥] فأما الذين صدّقوا بالله اعتقاداً وقولاً وعملاً، واستمسكوا بالنور الذي أنزل إليهم، فسيدخلهم الجنة رحمة منه فضلاً. ويوفقهم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

يَتَأَهَّلُ الْكُتَيْبُ لَأَتَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَنفِثْنَا مِنْ نَزْمِ وَرُوحٍ مِنْهُ فَنَامُوا بِإِلَهِهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَكَوْنُ لَهُ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُ رَبِّي إِلَيْهِ جَمِيعًا ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفَضْلِ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ

١٧٦١ يسألونك - أيها النبي - عن حكم ميراث الكلاله، وهو من مات وليس له ولد ولا والد. قل: الله يبيِّن لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد، وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها، شقيقاً كان أو لأب جميع ما لها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلاله أختان فلها الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث، فللذكر مثل نصيب الأنثيين من أخواته. يبيِّن الله لكم قسمة الموارث وحكم الكلاله؛ لئلا تضلوا عن الحق في أمر الموارث. والله عالم بعواقب الأمور. وما فيها من الخير لعباده.

[سورة التائبة]

[١] يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، أتُّمُّوا عهود الله الموثقة. من الإيمان بشرائع الدين. والانتقياد لها. وأدِّوا العهود لبعضكم على بعض من الأمانات، والبيوع وغيرها، ما لم يخالف كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ. وقد أحلَّ الله لكم البهيمة من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، إلا ما بيَّنه لكم من تحريم الميتة والدم وغير ذلك. ومن تحريم الصيد وأنتم محرَّمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم. إن الله يحكم ما يشاء، وفق حكمته وعدله.

[٢] يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتعدَّوا حدود الله ومعاله. ولا تستجلبوا القتال في الأشهر الحرم. وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. وكان ذلك في صدر الإسلام، ولا تستجلبوا حرمة الهدي. ولا ما قلَّد منه؛ إذ كانوا يضعون القلائد. وهي ضفائر من صوف أو وتر في الرقاب، علامة على أن البهيمة هديٌّ وأن الرجل يريد الحج، ولا تستجلبوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معاشهم ويرضي ربهم. وإذا حللت من إحرامكم حلَّ لكم الصيد. ولا يحملتكم بغض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام «الحديبية» - على ترك العدل فيهم. وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فعل الخير، وتقوى الله. ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوز حدود الله. واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ. وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ وَرَثَتُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا مِمَّا تَرَكَ وَالَّذِي كَانَ لِأَخِيهِ رَجُلًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِي كَرِهَ مِثْلَ حِطِّ الْأُنثَىٰ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦١﴾

سُورَةُ التَّائِبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْسِنُوا لِلرِّبَايَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكْرَهُونَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلِسُوا فِي الْبُنُودِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفٰسِقِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أُمَّةِكُمْ فَإِنَّ مَثَلَهُمْ كَمِثْلِ الْحُمُرِ الَّتِي كَفَرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا صَلَّتْ فَلَهَا أَهْلُ بَيْتِهَا مِنْكُمْ وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ بِالذَّالِمِينَ ﴿٣﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفٰسِقِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أُمَّةِكُمْ فَإِنَّ مَثَلَهُمْ كَمِثْلِ الْحُمُرِ الَّتِي كَفَرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا صَلَّتْ فَلَهَا أَهْلُ بَيْتِهَا مِنْكُمْ وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ بِالذَّالِمِينَ ﴿٤﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفٰسِقِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أُمَّةِكُمْ فَإِنَّ مَثَلَهُمْ كَمِثْلِ الْحُمُرِ الَّتِي كَفَرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا صَلَّتْ فَلَهَا أَهْلُ بَيْتِهَا مِنْكُمْ وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ بِالذَّالِمِينَ ﴿٥﴾

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَاللَّمُ وَالْحَمْلُ الْحَيْزِيرُ وَمَا أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْتَحِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرْتَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّسْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فَنُفِي الْيَوْمَ بِبَيْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيْنِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَمْكَلْتُمْ لَكَ رُبِيكَ وَأَقَمْتُمْ عَلَيْكُمْ
يَعْنِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيْنًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ
غَيْرِ مُتَخَافٍ لِإِيْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑤ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
أَجَلَ لَهْمٍ قُلْ أَجَلُ لَهْمٍ الطَّيْبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مَكَلِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَرَ عَلَيْكُمْ
وَأَذَكَّرُوا أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ⑥
الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ جَلَّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ جَلَّ لَهْمٌ وَالْمُخْصَصَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُخْصَصَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَخْرَهُنَّ
شَخْصِيْنَ غَيْرِ مُسْتَفِيحِينَ وَلَا مُتَخَذِيْنَ أَضْرَافٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيْمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ⑦

[٣] حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ، وَهِيَ الْحَيَوَانُ الَّذِي تَفَارِقُهُ الْحَيَاةُ بَدُونَ ذِكَاةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الدَّمُ السَّائِلَ السَّرَاقَ، وَحُمَّ الْحَيْزِيرِ، وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَالْمُنْتَحِقَةُ الَّتِي حُبِسَتْ نَفْسُهَا حَتَّى مَاتَتْ، وَالْمَوْقُودَةُ وَهِيَ الَّتِي ضُرِبَتْ بِعَصَا أَوْ حَجَرٍ حَتَّى مَاتَتْ، وَالْمُرْتَدِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ أَوْ هَوَتْ فِي بَيْتْرِ فَمَاتَتْ، وَالنَّطِيحَةُ وَهِيَ الَّتِي ضَرَبَتْهَا أُخْرَى بِقَرْنِهَا فَمَاتَتْ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْبِهْمَةَ الَّتِي أَكَلَهَا السَّبُعُ، كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَاسْتَشَى -سَبَّحَانَهُ- مِمَّا حَرَّمَهُ مِنَ الْمُنْتَحِقَةِ وَمَا بَعْدَهَا مَا أَدْرَكْتُمْ ذِكَاةَ قَبْلُ أَنْ يَمُوتَ فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى مَا يُنْصَبُ لِلْعِبَادَةِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا قَسَمَ لَكُمْ أَوْ لَمْ يَقَسَمَ بِالْأَزْلَمِ، وَهِيَ الْقَدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا قَبْلُ أَنْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ. ذَلِكَ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ - إِذَا ارْتَكَبْتَ - خُرُوجَ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ.

الآن انقطع طمع الكفار من دينكم أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصرتكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني. اليوم أكملت لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتمت عليكم نعمتي بإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام ديناً فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في جماعة إلى أكل الميتة، وكان غير مائل عمداً لإيْم، فله تناوله، فإنَّ الله غفور له، رحيم به.

[٤] يسألك أصحابك -أيها النبي-: ماذا أجل لهم أكله؟ قل لهم: أجل لكم الطيبات، وصيد ما ذرَّبتموه من ذوات المخالب والأنياب من الكلاب والفهود والصقور ونحوها مما يُعَلَّم، وتعلمونهن طلب الصيد لكم، مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن لكم. واذكروا اسم الله عند إرسالها للصيد، وخافوا الله فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه. إن الله سريع الحساب.

[٥] ومن تمام نعمة الله عليكم اليوم -أيها المؤمنون- أن أحلَّ لكم الحلال الطيب. وذبائح اليهود والنصارى -إن ذكَّوها حسبَ شرعهم- حلال لكم وذبائحكم حلال لهم. وأحلَّ لكم -أيها المؤمنون- نكاح المحصنات، وهنَّ الحرائر من النساء المؤمنات، العفيفات عن الزنى، وكذلك نكاح الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتن مهرهن. وكنتم أعفَاء غير مرتكبين للزنى، ولا متخذين عشيقات، وأيمنتن من التأثر بدينهن. ومن يجحد شرائع الإيمان فقد بطل عمله، وهو يوم القيامة من الخاسرين.

التفسير النبوي

١٠٨

[٦] يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهارة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم مع المرافق (والبرقوق: المفصل الذي بين الذراع والعضد) وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم مع الكعبين (وهما العظام البارزان عند ملتقى الساق بالقدم). وإن أصابكم الحدث الأكبر فتطهروا بالاغتسال منه قبل الصلاة. وإن كنتم مرضى، أو على سفر في حال الصحة، أو قضى أحدكم حاجته، أو جامع زوجته فلم تجدوا ماء فتيمموا بأيديكم وجه الأرض، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه. ما يريد الله في أمر الطهارة أن يضيّق عليكم، بل أباح التيمم توسعةً عليكم، ورحمةً بكم، إذ جعله بديلاً للماء في الطهارة، فكانت رخصة التيمم من تمام النعم التي تقتضي شكر المنعم؛ بطاعته فيما أمر وفيما نهي.

[٧] واذكروا نعمة الله عليكم فيما شرّعه لكم، واذكروا عهده الذي أخذه تعالى عليكم من الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، والسمع والطاعة لهما، واتقوا

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا فَنَسْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ
الْقَابِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَيُطَيِّبَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِدَابِّ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
بِلِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يُحِبُّ مَنَّهُم مَّنْ كَانَ عَلَى
الْأَعْدَاءِ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾

الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله عليكم بما تُبشرونه في نفوسكم.

[٨] يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كونوا قوامين بالحق؛ ابتغاء وجه الله. شهداء بالعدل، ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا بين الأعداء والأحباب على درجة سواء، فذلك العدل أقرب لحشية الله، واحذروا أن تجوروا. إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم به.

[٩] وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يثيبهم على ذلك الجنة، والله لا يخلف وعده.

[١٠] والذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذبوا بأدلة التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملائمون لها.

[١١] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اذكروا ما أنعم الله به عليكم من نعمة الأمان، والقضاء الرعب في قلوب أعدائكم الذين أرادوا أن يبطشوا بكم، فصر فهم الله عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم، واتقوا الله واحذروه، وتوكلوا على الله وحده في أموركم الدينية والدنيوية، وثقوا بعونه ونصره.

[١٢] ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل أن يخلصوا له العبادة وحده، وأمر الله موسى أن يجعل عليهم اثني عشر عريفاً بعدد فروعهم، يأخذون عليهم العهد بالسبع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بحفظي ونصري.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَنْسُطُوا بِكُم آيَاتِهِ
فَكَفَّ آيَاتِهِ عَنْكُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَعَسْنَا مِنْهُمُ اثْنِ عَشَرَ نَفِيسًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ
يَسْتَفْهِمُوا لَعْنَتَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُخَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ. وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

لئن أقمتم الصلاة، وأعطيتكم الزكاة المفروضة مستحقيها، وصدقتهم برسلي فيما أخبروكم به ونصرتموهم، وانفقتهم في سبيلي، لأكفرن عنكم سيئاتكم، ولأدخننكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، فمن جحد هذا الميثاق منكم فقد عدل عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

[١٣] فيسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكدة: طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان، يبدلون كلام الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة، وتركوا نصيباً مما ذكروا به، فلم يعملوا به، ولا تزال -أيها الرسول- تجد من اليهود خيابة وعدراً، فهم على منهاج أسلافهم إلا قليلاً منهم، فاعف عن سوء معاملتهم لك، واصفح عنهم، فإن الله يحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه، (وهكذا يجد أهل الزيف سبيلاً إلى مقاصدهم السيئة بتحريف كلام الله وتأويله على غير وجهه، فإن عجزوا عن التحريف والتأويل تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم من شرع الله، الذي لا يثبت عليه إلا القليل من عصمه الله منهم).

[١٤] وأخذنا على الذين ادَّعَوْا أنهم أتباع المسيح عيسى عليه السَّلام - وليسوا كذلك - العهد المؤكَّد الذي أخذناه على بني إسرائيل: بأن يُتَابِعُوا رسولهم وينصروه ويؤازروه، فبدَّلوا دينهم، وتركوا نصيباً مما ذُكِّرُوا به، فلم يعملوا به. كما صنع اليهود، فألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون يوم الحساب، وسيعاقبهم على صنعهم.

[١٥] يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبيِّن لكم كثيراً مما كنتم تُخْفون عن الناس مما في التوراة والإنجيل، ويترك بيان كثيرٍ ممَّا لا تقتضي الحكمة بيانه. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين: وهو القرآن الكريم.

[١٦] يهدي الله بهذا الكتاب المبين من اتبع رضا الله تعالى، طرق الأمن والسلامة، ويخرجهم بإذنه من

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا يَأْتُوا بِهَذَا كَذِبًا بِهِ، فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَهْدَ آوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ نَبْتَلِيهِمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَوْنَ عَنِ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِتَّاتُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَمَنَ سَخِرَافٌ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يُخْلِقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾

ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ويوفقه إلى دينه القويم.

[١٧] لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح بن مريم، قل - أيها الرسول - هؤلاء الجهلة من النصارى: لو كان المسيح إلهاً كما يدَّعون لقد رَأَى يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه ومَنْ في الأرض جميعاً، وقد ماتت أم عيسى فلم يدْفَع عنها الموت، كذلك لا يستطيع هو أن يدْفَع عن نفسه، لأنهما عبدان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عنهما، فهذا دليل على أنه بشر كسائر بني آدم، وجميع الموجودات في السموات والأرض ملك لله، يخلق ما يشاء ويوجد. وهو على كل شيء قدير. حقيقة التوحيد ترجب تفرَّد الله تعالى بصفات الربوبية الألوهية، فلا يشاركه أحد من خلقه في ذلك، وكثيراً ما يقع الناس في الشرك والضلال بغلوه في الأنبياء والصالحين، كما غلا النصارى في المسيح، فالكون كله لله، والخلق بيده وحده، وما يظهر من خوارق وآيات مرَّده إلى الله، يخلق سبحانه ما يشاء، ويفعل ما يريد.

[١٨] وزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل لهم -أيها الرسول-: فلا شيء يعذبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم، فالله لا يحب إلا من أطاعه، وقل لهم: بل أنتم خلقٌ مثل سائر بني آدم، إن أحسنتم جوزيتهم بإحسانكم خيراً، وإن أسأتم جوزيتهم بإساءةكم شرّاً، فالله يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو مالك الملك، يُضَرِّفُه كما يشاء، واليه المرجع، فيحكم بين عباده، ويجازي كلًّا بما يستحق.

[١٩] يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ، يُبَيِّنُ لَكُمْ الْحَقَّ وَهُدًى بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ بَيْنَ إِسْرَالِهِ وَإِسْرَالِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؛ لِئَلَّا تَقُولُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَلَا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ إِسْرَالِهِ إِلَيْكُمْ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ رَسُولٌ يُبَشِّرُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَيُنذِرُ مَنْ عَصَاهُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ عِقَابِ الْعَاصِي وَثَوَابِ الْمُطِيعِ.

[٢٠] واذكر -أيها الرسول- إذ قال موسى عليه السلام لقومه: يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه. وقد منحكم من نعمه صنوفاً لم يمنحها أحداً من عالمي زمانكم.

[٢١] يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة -أي المطهرة، وهي «بيت المقدس» وما حولها- التي وعد الله أن تدخلوها وتقاتلوا من فيها من الكفار، ولا ترجعوا عن قتال الجبارين، فتخسروا خير الدنيا وخير الآخرة.

[٢٢] قالوا: يا موسى، إن فيها قوماً أشداء أقوياء، لا طاقة لنا بجرهم، وإننا لن نستطيع دخولها وهم فيها، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون.

[٢٣] قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى، أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيه، نبي إسرائيل: ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم، أخذاً بالأسباب، فإذا دخلتم الباب غلبتموهم، وعلى الله وحده فتوكلوا، إن كنتم مُصَدِّقِينَ رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ، عَامِلِينَ بِشِرْعِهِ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ، وَهُوَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهِ الْكِتَابُ فَدَجَّاهُ كَمَا رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمُ الْكُرْهَ عَلَى فِرْعَوْنَ الرُّسُلِ أَنْ يَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَلُوكًا وَإِنَّكُمْ كَانُمْرًا نُورًا فَذُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَيْثُ نَخْرُجُ مِنْهَا وَإِنَّا لَنَخْرُجُ مِنْهَا قَائِلِينَ وَلَا خُلُوفٌ أُنْفُسُ اللَّهِ عَلَيْهَا فَادْخُلُوا عَلَيْهَا فَادْخُلُوا فَادْخُلْنَاهُمْ فَادْخُلُوا عَلَيْهَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مَوْفِينَ ﴿٢٠﴾

[٢٤] قال قوم موسى له: إنا لن ندخل المدينة أبداً ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلهم، أما نحن ففاعدون ها هنا ولن نقاتلهم. وهذا إصرار منهم على مخالفة موسى عليه السلام.

[٢٥] توجه موسى إلى ربه داعياً: إني لا أقدر إلا على نفسي وأخي، فاحكم بيننا وبين القوم الفاسقين.

[٢٦] قال الله لنبيه موسى عليه السلام: إن الأرض المقدسة محرم على هؤلاء اليهود دخولها أربعين سنة، يتيمون في الأرض حائرين، فلا تأسف -يا موسى- على القوم الخارجين عن طاعتي.

[٢٧] واقصص -أيها الرسول- على بني إسرائيل خبر ابيئ آدم قابيل وهاييل، وهو خير حق: حين قدم كل منهما قرباناً -وهو ما يُتقرب به إلى الله تعالى- فتقبل الله قربان هاييل؛ لأنه كان تقياً، ولم يتقبل قربان قابيل؛ لأنه لم يكن تقياً، فحسد قابيل أخاه، وقال:

قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَتَقَاتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾
«وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَّاءَ آدَمَ بِأَلْحَقٍ إِذْ قَرَّبْنَا قُورَانَ فَتَقَبَّلَ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَأُقْتَلَنَّ
إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَبِنَ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ
لِتُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَرِّى
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيهِهُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُوَرِّى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

لأقتلك. فردَّ هاييل قائلاً: إنما يتقبل الله من يحشونه.

[٢٨] وقال هاييل واعظاً أخاه: لئن مددت لي يدي لأقتلني لا تجحدني مثل فعلك، إني أخشى الله ربَّ الخلائق أجمعين.

[٢٩] إني أريد أن ترجع حاملاً إثم قتل، وإثمك الذي عليك قبل ذلك، فتكون من أهل النار وملازميها، وذلك جزاء المعتدين.

[٣٠] فوئبت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه، فقتله، فأصبح من الخاسرين الذين باعوا آخرتهم بديانهم.

[٣١] لما قتل قابيل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غراباً يحفر حفرة في الأرض ليدفن فيها غراباً ميتاً؛ ليدل قابيل كيف يدفن جثمان أخيه؛ فتعجب قابيل، وقال: أعجزت أن أصنع مثل صنع هذا الغراب فأستتر عورة أخي؟ فدفن قابيل أخاه، فعاقبه الله بالندامة بعد أن رجع بالخرسان.

[٣٢] بسبب جنابة القتل هذه شرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفي أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لفسقون ﴿٣٢﴾ إنما جزوا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو يُنقوا من الأرض ذلك لهم جزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿٣٣﴾ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله عفوفٌ رحيمٌ ﴿٣٤﴾ يتأبها الذين آمنوا اتقوا الله وأنتعوا إليه الواسيلة وجهداً في سبيله لتلكم تفخوت ﴿٣٥﴾ إن الذين كفروا لن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليقتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴿٣٦﴾

[٣٣] إنما جزاء الذين يحاربون الله، ويبارزونه بالعداوة، ويعتدون على أحكامه، وعلى أحكام رسوله، ويفسدون في الأرض بقتل الأنفس، وسلب الأموال،

أن يقتلوا، أو يصلبوا مع القتل (والصلب: أن يُشدَّ الحياي على خشبة)، أو تقطع يداً المحارب اليسرى ورجله اليسرى، أو يُنقوا إلى بلي غير بلدهم، ويحبسوا في سجن ذلك البلد حتى تظهر توبتهم، وهذا الجزاء الذي أعدّه الله للمحاربين هو ذلٌّ في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد إن لم يتوبوا.

[٣٤] لكن من أتى من المحاربين من قبل أن تقدروا عليهم، وجاء طائعاً نادماً فإنه يسقط عنه ما كان لله، فاعلموا -أيها المؤمنون- أن الله غفورٌ لعباده، رحيمٌ بهم.

[٣٥] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، وتقربوا إليه بضاعته والعمل بما يرضيه، واجهدوا في سبيله؛ كي تفوزوا بجناته.

[٣٦] إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشرعته، لو أنهم ملكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أن يفقدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تقبل الله ذلك منهم، ولهم عذاب مٌوجع.

[٣٧] يريد هؤلاء الكافرون الخروج من النار لما يلاقونه من أهوالها. ولا سبيل لهم إلى ذلك، ولهم عذاب دائم.

[٣٨] والسارق والسارقة فاقطعوا - يا ولادة الأمر - أيديهما بمقتضى الشرع؛ مجازةً لهما على أخذهما أموال الناس بغير حق، وعقوبةً يمنع الله بها غيرها أن يصنع مثل صنيعهما. والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره ونهيه.

[٣٩] فمن تاب من بعد سرقته، وأصلح في كل أعماله، فإن الله يقبل توبته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. [٤٠] ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله خالق الكون ومدبِّره ومالِكُه، وأنه تعالى الفعَّال لما يريد، يعدِّب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير.

[٤١] يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في جحود نبوتك من المنافقين الذين أظهروا الإسلام

يريدون أن يحزنوا من النار وما هم بخارجين منها ولهن عذابٌ عظيمٌ ۝ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكلاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ ۝ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفورٌ رحيمٌ ۝ ألزمتهم أن الله لهم ملك السموات والأرض يعدب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قديرٌ ۝ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم الذين هادوا سمعوا للكذب سمعوا لقوم آخرين لم يأتوك بخبرهم الكفر من بعد مواضعهم يقولون إن أوتينا هذا فخذوه وإن لم نؤتوه فآخذوا ومن يريد الله فتنه فإن تمليك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهن في الدنيا جزى ولهن في الآخرة عذابٌ عظيمٌ ۝

وقلوبهم خالية منه، فإني ناصرٌ عليهم. ولا يحزنك تسرع اليهود إلى إنكار نبوتك، فإنهم قوم يستمعون للكذب، ويقبلون ما يفتريه أحبارهم. ويستجيبون لقوم آخرين لا يحضرون مجلسك. وهؤلاء الآخرون يُبدلون كلام الله من بعد ما عَقَلُوهُ، ويقولون: إن جاءكم من محمد ما يوافق الذي بدلناه وحرَّفناه من أحكام التوراة فاعملوا به. وإن جاءكم منه ما يخالفه فاحذروا بقوله، والعمل به. ومن يشاء الله ضلَّالته فلن تستطيع - أيها الرسول - دَفْع ذلك عنه. ولا تقدر على هدايته. وإن هؤلاء المنافقين واليهود لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الكفر، لهم الدُّلُّ والفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

[٤٢] هؤلاء اليهود يجمعون بين استماع الكذب وأكل الحرام، فإن جاؤوك يتحاكمون إليك فاقض بينهم، أو اتركهم. وإن لم تحكم بينهم فلن يقدرُوا على أن يضروك بشيء. وإن حكمت فاحكم بينهم بالعدل. إن الله يحب العادلين.

[٤٣] إن صنيع هؤلاء اليهود عجيب، فهم يحتكمون إليك -أيها الرسول- وهم لا يؤمنون بك، ولا بكتابك، مع أن التوراة التي يؤمنون بها عندهم، فيها حكم الله، ثم يتولون من بعد حكمك إذا لم يُرضهم، فجمعوا بين الكفر بشرعهم، والإعراض عن حكمك، وليس أولئك المتصفون بتلك الصفات، بالمؤمنين بالله وبك وبما تحكم به.

[٤٤] إنا أنزلنا التوراة فيها إرشاد من الضلالة، وبيان للأحكام، وقد حكم بها النبيون -الذين اتقوا وحكم الله، وأقروا به- بين اليهود، ولم يخرجوا عن

سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرَتِ لِلشَّحِيحِ فَإِنْ جَاءَ وَكَ
فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَذَيْفَ يُحْكِمُونَكَ
وَعِنْدَ هَذِهِ التَّورَةِ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَخْفَبُوا مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ
وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلًا وَمَنْ لِيُحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ تَقْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ
بِالْأَنْفِ وَالْأَنْفِ بِالْأَذْنِ وَالْأَذْنُ وَالنَّسْرُ وَالنَّسْرُ
فِي الْجُرُوحِ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لِيُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

حكمها ولم يُخْرِجُوا. وحكم بها عبَاد اليهود وفقهاؤه الذين يربون الناس بشرع الله؛ ذلك أن أنبياءهم قد استأمنوهم على تبليغ التوراة، وفيه كتاب الله والعمل به، وكان الريائيون والأخبار شهداء على أن أنبياءهم قد قضاوا في اليهود بكتاب الله، ويقول تعالى لعلماء اليهود وأخبارهم: فلا تحشوا الناس في تنفيذ حكمي؛ فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضرركم، ولكن اخشوني فإني أنا النافع الضار، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلت عوضاً حقيراً، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر. فالتين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكفونهم، ويجحدونه، ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه، فأولئك هم الكافرون.

[٤٥] وقُرْضْنَا عَلَيْهِمْ فِي التَّورَةِ أَنْ النَّفْسُ تُقْتَلُ بِالنَّفْسِ، وَالْعَيْنُ تُقْتَلُ بِالْعَيْنِ، وَالْأَنْفُ تُجْتَدَعُ بِالْأَنْفِ، وَالْأَذْنُ تُقَطَعُ بِالْأَذْنِ، وَالنَّسْرُ يُقْتَلُ بِالنَّسْرِ، وَأَنَّهُ يُقْتَصُّ فِي الْجُرُوحِ، فمن تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المعتدي فذلك تكفير لبعض ذنوب المعتدي عليه وإزالة لها، ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله.

[٤٦] وأنبئنا أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم مؤمناً بما في التوراة، عاملاً بما فيها مما لم ينسخه كتابه، وأنزلنا إليه الإنجيل هادياً إلى الحق، ومبيناً لما جهله الناس من حكم الله، وشاهداً على صدق التوراة بما اشتمل عليه من أحكامها، وقد جعلناه بياناً للذين يخافون الله وزاجراً لهم عن ارتكاب المحرمات.

[٤٧] وليحكم أهل الإنجيل الذين أرسل إليهم عيسى بما أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن أمره، العاصون له.

[٤٨] وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن، وكل ما فيه حق يشهد على صدق الكتب قبله، وأنها من عند الله، مصدقاً لما فيها من صحة، ومبيناً لما فيها من تحريف، ناسخاً لبعض شرائعها، فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في

هذا القرآن، ولا تصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون بها. ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى ما هو خير لكم في السارين بالعمل بما في القرآن، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلاً بعمله.

[٤٩] واحكم -أيها الرسول- بين اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن، ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك، واحذرهم أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، فإن أعرض هؤلاء عما تحكم به فاعلم أن الله يريد أن يصفهم عن الهدى؛ بسبب ذنوب اكتسبوها من قبل. وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة ربهم. [٥٠] أيريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدة الأوثان من الضلالات والجهالات؟! لا يكون ذلك ولا يليق أبداً. ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعته، وأمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق؟

وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۚ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ ۚ لَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شُرْعَةً وَفِتْنًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم ۚ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَآخِذْ بِهِمْ إِنْ يَمْتَسِكُوا ۚ بَعْضُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِن كَثُرُوا ۚ لَتَسْفِيحُونَ ﴿٤٩﴾ لَخُلُوفُ الصُّبْحِ طَيِّبُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٥١] يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاء وأنصاراً على أهل الإيمان؛ ذلك أنهم لا يؤدّون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضاً، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدز بأن ينصر بعضكم بعضاً. ومن يتوهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم. إن الله لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين.

[٥٢] يحبر الله تعالى عن جماعة من المنافقين أنهم كانوا يبادرون في موادة اليهود؛ لما في قلوبهم من الشك والنفاق، ويقولون: إنما نوادهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم. قال الله تعالى ذكره: فعسى الله أن يأتي بالفتح -أي فتح مكة- وينصر نبيه، ويظهر الإسلام والمسلمين على الكفار، أو يهتئى من الأمور ما تذهب به قوة اليهود والنصارى، فيخضعوا للمسلمين. فحينئذ يندم المنافقون على ما أسروا في أنفسهم من موالاتهم.

[٥٣] وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين

من حال المنافقين -إذا كُثِف أمرهم-: أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لَمَعَنَّا؟! بطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها؛ لأنهم عملوها على غير إيمان، فخرسوا الدنيا والآخرة.

[٥٤] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضرّوا الله شيئاً. وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُجِبُّهم ويحبونه، رحماً بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحداً. ذلك الإنعام من فضل الله يؤتیه من أراد، والله واسع الفضل، عليهم بمن يستحقه من عباد.

[٥٥] إنما ناصركم -أيها المؤمنون- الله ورسوله، والمؤمنون الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله.

[٥٦] ومن وثق بالله وتولّى الله ورسوله والمؤمنين. فهو من حزب الله. وحزب الله هم الغالبون المنتصرون.

[٥٧] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفار أولياء، وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشرعه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّمِ الَّذِينَ لَا يَهْدِي اللَّهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَعْرِفُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ فَتَىٰ أَنْ قُضِيَ بِآدَارَةِ فَتَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ لَمَّا قَرِنَ عِنْدَهُ. فَيَضْحَكُوا عَلَىٰ مَا اسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ يُرِيدُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ أَنَّهُ لَمَعَنَّا حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا مِنكُمْ هَزُوا وَلِجِبَابٍ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

[٥٨] وإذا أذن مؤذنكم - أيها المؤمنون - بالصلاة: سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها؛ وذلك بسبب جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

[٥٩] قل - أيها الرسول - هؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ما تجذونه مطعناً أو عيباً هو محمداً لنا؛ من إيماننا بالله وكتبه المنزل علينا، وعلى من كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم؛ [٦٠] قل - أيها النبي - للمؤمنين: هل أخيركم بمن يجازي يوم القيامة جزاءً أشد من جزاء هؤلاء الفاسقين؟

إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغضب عليهم. ومسخ خلقهم، فجعل منهم القرود والخنازير؛ بعضيائهم وافترائهم وتكبيرهم، كما كان منهم عبادة الطاغوت (وهو كل ما عُبد من دون الله وهو راض)، لقد ساء مكانهم في الآخرة، وضلّ سعيتهم في الدنيا عن الطريق الصحيح.

[٦١] وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - منافقوا اليهود، قالوا: آمنا، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا عليكم

بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرّون عليه. والله أعلم بسرّائهم، وإن أظهروا خلاف ذلك.

[٦٢] وترى - أيها الرسول - كثيراً من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم واعتداؤهم.

[٦٣] هلأ ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أئمتهم وعلماؤهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر.

[٦٤] يُطلع الله نبيه على شيء من مآثم اليهود - وكان مما يُسرّونه فيما بينهم - أنهم قالوا: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، يُجَلّ علينا بالرزق والتوسعة، وذلك حين لحقهم جُذْبٌ وقحط. غلّت أيديهم، أي: حبست أيديهم هم عن فعل الخيرات، وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم. وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، بل يدها مبسوطتان لا حَجْرٌ عليه، ولا مانع يسعنه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العبادة. لكنهم سوف يزدادون طغياناً وكفراً بسبب حقدهم وحسدكم؛ لأن الله قد اصطفاك بالرسالة. ويحير تعالى أن طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يعادي بعضهم بعضاً، وينفر بعضهم من بعض، كلما تأمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردّ الله كيدهم، وفرّق شملهم، ولا يزال اليهود يعملون بمعاصي الله مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض. والله تعالى لا يحب المفسدين. وفي الآية إنبات لصفة اليبدين لله سبحانه وتعالى كما يليق به من غير تشبيه ولا تكييف.

وإذ أنادى بنم إلى الصلوة اتخدها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قومه
لأيعقلون ﴿٥٨﴾ قل يا أهل الكتاب هل تصفون منّا لأنّ آمنّا
بإلّٰه وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم يفسقون ﴿٥٩﴾
قل هل أتيتكم بشيء من ذلك متوهّبة عند الله من لعنة الله وعصبي
عليه وجعل منه الفرقة والفتاير وعبد الطغوت أولئك شرّ
مكاناً وأصل عن سواها السبيل ﴿٦٠﴾ وإذا جاءكم منافقوا قد
دخلوا بالكلية وهم قد خروا بيه والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴿٦١﴾
وترى كثيراً منهم يستعجلون في الإنذار والعذون وأصابعهم
السخت لبئس ما كانوا يعملون ﴿٦٢﴾ لو لا ينهدهم الرّسولون
والأنبياء عن قولهم إلا تروا أصابعهم السخت لبئس ما كانوا
يعملون ﴿٦٣﴾ وقال اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا
بما قالوا بل يدها ميسرطتان ينفق كيف يشاء، وليريدن كثيراً
منهم ما أنزل إليكم من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة
والبغضاء إلى يوم القيمة كما أوفدنا ناراً للحرب أطلقاها
الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴿٦٤﴾

[٦٥] ولو أن اليهود والنصارى صدقوا الله ورسوله، وامتلأوا بأمر الله واجتنبوا نواهيه، لكفرنا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة. [٦٦] ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أنزل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم- لرزقوا من كل سبيل، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الشمر، وهذا جزء الدنيا، وإن من أهل الكتاب فريقاً معتدلاً ثابتاً على الحق، وكثير منهم ساء عمله، وضل عن سواء السبيل.

[٦٧] يا أيها الرسول بلغ وحى الله الذي أنزل إليك من ربك، وإن قصرت في البلاغ فكتمت منه شيئاً، فإنك لم تبلغ رسالة ربك، وقد بلغ ﷺ رسالة ربه كاملة، فسن زعم أنه كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد أعظم على الله ورسوله الفرية. والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك، فليس عليك إلا البلاغ. إن الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق، ووجد ما جئت به من عند الله.

[٦٨] قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظ من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل. وما جاءكم به محمد ﷺ من القرآن، وإن كثيراً من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزال القرآن إليك إلا تجبراً وجحوداً، فهم يحسدونك؛ لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بين فيها معانيهم، فلا تحزن -أيها الرسول- على تكذيبهم لك.

[٦٩] إن الذين آمنوا -وهم المسلمون- واليهود والصابئون كذلك -وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه- والنصارى -وهم أتباع المسيح- من آمن منهم بالله الإيمان الكامل، وهو توحيد الله والتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، وآمن باليوم الآخر، وعمل العمل الصالح، فلا خوف عليهم من أهوال اليوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

[٧٠] لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا، فتقضوا ما أخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تشتهيهم أنفسهم عادوة، فكذبوا فريقاً من الرسل، وقتلوا فريقاً آخر.

ولو أن أهل الكتب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ﴿٦٥﴾ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكفوا من ذنوبهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴿٦٦﴾ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴿٦٧﴾ قل يا أهل الكتب لستم على شيء حتى تصيروا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ولا يزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيتنا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين ﴿٦٨﴾ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والتصابئون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليكم ولا هم يحزنون ﴿٦٩﴾ لقد أخذنا ميثق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴿٧٠﴾

[٧١] وظهر هؤلاء العصاة من اليهود أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وغتوهم، فعضوا في شهواتهم، وعموا عن الهدى فلم يبصروا، وصموا عن سماع الحق فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عي كثير منهم، وصموا، بعد ما تبين لهم الحق، والله بصير بأعمالهم خيرا وشرها وسيجازيهم عليها.

[٧٢] يقسم الله تعالى بأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، قد كفروا بمقاتلهم هذه، وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنته في العبودية سواء، إنه من يعبد مع الله غيره فقد حرم الله عليه الجنة، وجعل النار مستقره، وليس له ناصر يُقذّده منها.

[٧٣] لقد كفر من النصارى من قال: إن الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس. أما عليهم هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود

واحد، لم يلد ولم يولد، وإن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افتراءهم وكذبهم ليصيبتهم عذاب مؤلم موجه بسبب كفرهم بالله.

[٧٤] أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عمّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ والله تعالى متجاوز عن ذنوب الثائنين، رحيم بهم.

[٧٥] ما المسيح بن مريم - عليه السلام - إلا رسول كمن تقدّمه من الرسل. وأمه قد صدّقت تصديقا جازما علما وعملا، وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون لهما من يحتاج إلى الطعام ليعيش. فتأمل -أيها الرسول- حال هؤلاء الكفار. لقد وضنا العلامات الدالة على وحدانيتنا، وبطلان ما يدّعون في أنبياء الله، ثم هم مع ذلك يضلّون عن الحق الذي تهديهم إليه، ثم انظر كيف يصرّفون عن الحق بعد هذا البيان؟

[٧٦] قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يقدر على ضرركم، ولا على جلب نفع لكم؟ والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

[٧٧] قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحق فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرا من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغواية والضلال.

وَحَسِبُوا أَنَّ التَّكْوِينَ فِتْنَةٌ فَصَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَّبَهُمْ وَأَصْوَأَ كَثِيرًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَتَّبِعُنِي إِسْرَائِيلُ بِأَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ يَلِ إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَحْدًا وَإِنْ لَمْ يَتَّخِذُوا عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ الْآلِيمِ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُنزِّلُ الْهُدَى الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ انظُرْ إِنِّي يُوفِّكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّبِعُونِ مِنْ ذِوَاتِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرِينَ أَهْوَاءَهُمْ قَوْمٌ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧٨] يخبر تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود - عليه السلام - وهو الزبور. وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل؛ بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله.

[٧٩] كان هؤلاء اليهود مجاهرين بالمعاصي وبرصونها، ولا يتعشى بعضهم بعضاً عن أي منكر فعلوه، وهذا من أفعالهم السيئة، وبه استحقوا أن ينظروا من رحمة الله تعالى.

[٨٠] تَرَى - أيها الرسول - كثيراً من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سبباً في غضب الله عليهم، وخلودهم في عذاب الله يوم القيامة.

[٨١] ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد ﷺ، وأقرؤا بما أنزل إليه - وهو القرآن الكريم - ما اتخذوا الكفار أصحاباً وأنصاراً. ولكن كثيراً منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله.

[٨٢] لتجدد - أيها الرسول - أشد الناس عداوة للذين صدقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهود؛ لعنادهم، ووجودهم، وغطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم، ولتجدد أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصارى؛ ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعباداً في الصوامع متنسكين، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد ﷺ. وآمنوا بها.

[٨٣] وما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقاً منهم (وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حق منزل من عند الله تعالى. وصدقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمة محمد - عليه السلام - على الأمم يوم القيامة.

لَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِيَاءَ وَلَا كُنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِفُوتَ ﴿٥٨﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ فَيُتَيْبِعُونَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَسْمِعْنَا مَا أَنزَلْنَا إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَدَوْا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا فَكُنْ بِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٠﴾

[٨٤] وقالوا: وأئني لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد ﷺ من عند الله، واتباعنا له، ونرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته في جنته يوم القيامة؟

[٨٥] فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كئين فيها لا يخرجون منها، ولا يحولون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

[٨٦] والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد ﷺ، وكذبوا بآياته المنزلة على رسله، وأولئك هم أصحاب النار الملازمون لها.

[٨٧] يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات أحلها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

[٨٨] وتمتعوا - أيها المؤمنون - بالحلل الطيب بما أعطاكم الله ومنحككم إياه، واتقوا الله بما مثال

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْبُرْهَانِ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

أوامره، واجتناب نواهيها؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته.

[٨٩] لا يعاقبكم الله - أيها المسلمون - فيما لا تقصدون عقده من الأيمان، مثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم. فإذا لم تقفوا باليمين فإثم ذلك يحرمه الله بما تقدمونه مما شرعه الله لكم كفارة: من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد، أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عرفاً، أو إعتاق مملوك من الرق، فالخالف الذي لم يقف بيمينته محتمر بين هذه الأمور الثلاثة، فمن لم يجد شيئاً من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام. تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا - أيها المسلمون - أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلقتكم، أو الكفارة إذا لم تقفوا بها. كما بيّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يُبيّن لكم أحكام دينه؛ لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم.

[٩٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعمِلوا بشرعه إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل، والميسر: وهو القمار، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصد عن ذكر الله - والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيماً لها، وما ينصب للعبادة تقريباً إليه، والأزلام: وهي القداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الأمر، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثم من تزيين الشيطان. فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفوزون بالجنة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
 فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
 الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا
 الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥١﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 شَرَّ أَتَقَوْا وَءَامَنُوا شَرَّ أَتَقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَتَذَكَّرَ اللَّهُ بِكُمْ
 مِن الصَّيْدِ تَنَاهَىٰ أَن يُدْبِرُوا وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ مِن خِفَافِهِ
 بِالْقَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ
 مِنكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
 عَدْلٍ مِّنكُمْ هَذَا يَتْلَىٰ الْكُتُبَ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ
 أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِبَاغًا لِّذَوِّقٍ وَبِالْأَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
 سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِرْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٥٤﴾

[٩١] إنما يريد الشيطان بترسين الأثام لكم أن يلقي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء؛ بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال بالهوى في لعب الميسر، فانتهوا عن ذلك.

[٩٢] وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد ﷺ في كل ما تفعلون وتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك، فإن أعرضتم عن الامتثال فعلتم ما نهيتم عنه، فاعلموا أنما على رسولنا محمد ﷺ البلاغ المبين. [٩٣] ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك، إذا تركوها واتقوا سخط الله وأمنوا به، وقدّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيماناً به، حتى أصبحوا من يقينهم يعبدونه، وكانهم يرونه. وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.

[٩٤] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلّموا بشرعه ليلوونكم الله بشيء من صيد البرّ يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أخذ صغاره بغير سلاح وأخذ كبارها بالسلاح؛ ليعلم الله علماً ظاهراً للخلق

الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساكهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حدّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو حرم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

[٩٥] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلّموا بشرعه لا تقتلوا صيد البرّ، وأنتم محرمون بحج أو عمره، أو كنتم داخل الحرم، ومن قتل أي نوع من صيد البرّ متعمداً فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم، بعد أن يُقدّره اثنان عدلان، وأن يهديه لفقراء الحرم، أو أن يشتري بقيمة مثله طعاماً يهديه لفقراء الحرم، لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلاً من ذلك يوماً عن كل نصف صاع من ذلك الطعام، قرّض الله عليه هذا الجزاء؛ ليلقي بإيجاب الجزاء المذكور عقابيه فقله، والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم، ومن عاد إلى المخالفة متعمداً بعد التحريم، فإنه مُعْرَضٌ لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قويّ منيع في سلطانه، ومن عزته أنه ينتقم من عصا، إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

[٩٦] أحل الله لكم - أيها المسلمون - في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حياً، وطعامه، وهو الميت منه؛ من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، وحرّم عليكم صيد البرّ ما دتم محرّمين بحج أو عمرة، واخشوا الله ونفذوا جميع أوامره، واجتنبوا جميع نواهيه؛ حتى تظفروا ببعض ثوابه، وتسلموا من أليم عقابه عندما تحشرون للحساب والحزاء.

[٩٧] امتنّ الله على عباده، بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحاً لدينتهم، وأمنأ لحياتهم؛ وذلك حيث آمنوا بالله ورسوله وأقاموا فرائضه، وحرّم العدوان والقتال في الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرّم تعالى الاعتداء على ما يهدى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قلّد إشعاراً بأنه يقصد به النسك؛ ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.

[٩٨] اعلموا - أيها الناس - أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب.

[٩٩] بيّن الله تعالى أن مهمة رسوله ﷺ هداية الدلالة والتبليغ، وبيد الله - وحده - هداية التوفيق، وأن ما تنطوي عليه نفوس الناس مما يُسرّون أو يعلنون من الهداية أو الضلال يعلمه الله.

[١٠٠] قل - أيها الرسول -: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فالكافر لا يساوي المؤمن، والعاصي لا يساوي المطيع، والجاهل لا يساوي العالم، والمبتدع لا يساوي المتبع، والمال الحرام لا يساوي الحلال، ولو أعطيتك - أيها الإنسان - كثرة الخبيث وعدد أهله، فاتفقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الحباثت، وفعل الطيبات؛ لتفعلوا نبيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

[١٠١] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه لا تسألوا عن أشياء من أمور الدين لم تؤمروا فيها بشيء، كالسؤال عن الأمور غير الواقعة، أو التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، ولو كلفتموها لاشقت عليكم، وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله ﷺ، وحين نزول القرآن عليه تبيّن لكم، وقد تكلفتموها فتعجزون عنها، تركها الله معافياً لعباده منها، والله غفور لعباده؛ إذا تابوا، حلّم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه.

[١٠٢] إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قومٌ من قبلكم رسالهم، فلما أمروا بها جحدوها، ولم ينفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

[١٠٣] ما شرع الله للمشرّكين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام من ترك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البحيرة التي تُقطع أذنّها إذا ولدت عدداً من الطون، والسائبة وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنتى بعد أنثى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا ولد من صلبه عدد من الإبل، ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراء عليه، وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَاللَّسِيَّاتِ
 وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَأَقْفُوا اللَّهَ الَّذِي
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
 قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ فَلَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَقْلِيدُونَ ﴿١٠٠﴾ تَبَأْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّمَا لَنَا تَسْتَلُوا عَنْ
 أَشْيَاءَ إِن نَّبِّدْ لَكُمْ تَسْوِئَةً وَإِن نَّسْتَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
 الْقُرْآنُ إِذْ نَبِّدْ لَكُمْ عَقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
 قَدْ سَأَلْتُمُونَنَا قَوْلًا مِنْ قَبْلِكُمْ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
 اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِيَةٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

[١٠٤] وإذا قيل هؤلاء الكفار المحرمين ما أحل الله: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفيننا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً.

[١٠٥] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، ودارموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال من ضل إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر. إلى الله مرجعكم جميعاً في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم. ويجازيكم عليها.

[١٠٦] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا قرب الموت من أحدكم، فليشهد على

وصيته اثنين أميين من المسلمين، أو آخرين من غير المسلمين عند الحاجة وعدم وجود غيرهما من المسلمين، تُشهدونهما إن أنتم سافرتهم في الأرض فحل بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما ففقوها من بعد الصلاة - أي صلاة المسلمين، وبخاصة صلاة العصر -، فيقسمان بالله قسماً خالصاً لا يأخذان به عوضاً من الدنيا، ولا يجايبان به ذا قرابة منهما، ولا يكتمان به شهادة الله عندهما، وأنهما إن فعلا ذلك فهما من المذنبين.

[١٠٧] فإن أطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أتيا بالخيانة في الشهادة أو الوصية، فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله: لشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، إنا إن اعتدنا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله.

[١٠٨] ذلك الحكم عند الارتياح في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتيوا بالشهادة على حقيقتها خوفاً من عذاب الآخرة، أو خشية من أن تُردَّ اليمين الكاذبة من قبل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي رُدَّت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانتته، وخافوا الله - أيها الناس - وراقبوا أن تحلفوا كذباً، وأن تقتطعوا بأيمانكم مالا حراماً، واسمعوا ما توعظون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو ألوكانا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١٠٤﴾ يأتونها الذين آمنوا عليهم أنفسهم لا يضركم من ضل إذا أهديتكم إلى الله مرجعكم جميعاً فثبتتكم بما كنتم تعملون ﴿١٠٥﴾ يأتونها الذين آمنوا شهادة بئبئكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصبتمكم مفيدة التوب تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به. ثمنا ولو كان ذا قرين ولا نكفركم شهادة الله إنا إذا لمين الظالمين ﴿١٠٦﴾ فإن غيرهم على أنهم استحقوا إثمنا فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهدتنا الحق من شهدتنا وما اعتدنا إنا إذا لمين الظالمين ﴿١٠٧﴾ ذلك أدق أن يأتيوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تُردَّ اليمين بعد إتيانهم واتقوا الله واستمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴿١٠٨﴾

١٠٩١] واذكروا - أيها الناس - يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم عن جواب أهمهم لهم حينما يدعوهم إلى التوحيد فيجيوبون: لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدثوا بعدنا. إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

[١١٠] إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى الدتك حيث اصطفتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قوّاه وأعانه بجريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع قبل أو أن الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت قوّته وكسل شبابه بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علّمه الكتابة والخط بدون معلم، وروبه قوة الفهم والإدراك، وعلمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن هذه النعم أنه يصور من الطين

• يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا
 إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ
 الْقِسْمَاتِ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
 مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
 طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
 الْمَوْتِىَّ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَدْعَكَ إِذْ
 جَنَّتْهُمْ بِاللَّيْلِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسْحَابُ مُزَّمِّمِينَ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ
 يَأْمِنُوا بِي وَيَرْسُلُوا قَالُوا: امْسَا وَأَشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾
 إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
 أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ تَقَافُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا أَزِيدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنَّمَا وَطَنَهُنَّ قُلُوبُنَا
 وَقَعْرُنَّ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

كهية الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وليد أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص فيعود جلده سليماً بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحيي الموق فيقوموا من قبوره أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكره الله جل وعلا نعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إن ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

[١١١] واذكر - يا عيسى - نعمتي عليك، إذ ألهمت، وألقيت في قلوب جماعة من خلائك أن يصدّقوا بربوبانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدّقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك متقادون لأمرك.

[١١٢] واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟ فكان جوابه أن أمره بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقّ الإيمان.

[١١٣] قال الحواريون: نريد أن نأكل من المائدة وتكفّن قلوبنا لرؤيتها، ونعلم يقيناً صدقك في نبوتك، وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجة له علينا في توحيدهِ وقدرته على ما يشاء، وحجة لك على صدقك في نبوتك.

[١١٤] أجاب عيسى بن مريم طلب الحواريين فدعا ربه جل وعلا قائلاً: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً طَعَامَ مِنَ السَّمَاءِ. تتخذ يوم نزولها عيداً لنا. نغضه نحن ومن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك -يا الله- على وحدانيتك وعلى صدق نبوتي، وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

[١١٥] قال الله تعالى: إِنِّي مَرْزُلُ مَائِدَةِ الطَّعَامِ عَلَيْكُمْ، فسن يجحد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام بعد نزول المائدة فإني أعذبه عذاباً شديداً، لا أعذبه أحداً من العالمين. وقد نزلت المائدة كما وعد الله.

[١١٦] واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اجعلوني وأي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى -مترهاً الله تعالى-: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق. إن كنت قلت هذا فقد علمته؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما تضمنه نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك. إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما خفي أو ظهر.

[١١٧] قال عيسى عليه السلام: يا رب ما قلت لهم إلا ما أوحيت به إليّ، وأمرتني بتبليغه من أفرادك بالتوحيد والعبادة. وكنت على ما يفعلونه -وأنا بين أظهرهم- شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم. فلما فتيحت أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حياً، كنت أنت المظليع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

[١١٨] إنك يا الله إن تعذبهم فإنهم عبادك -وأنت أعلم بأحوالهم-، تفعل بهم ما تشاء بعدلك، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالب. الحكيم في تدبيره وأمره. وهذه الآية ثناء على الله -تعالى- بحكمته وعدله، وكمال علمه.

[١١٩] قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: هذا يوم الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه. ذلك الجزاء الرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

[١٢٠] لله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو -سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه شيء..

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْزُلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنْهَا بَعْدَ إِيمَانِهِ فَإِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَأْتِ الْبَنِيَّاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَائِماً وَقائِماً وَقائِماً لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِجَابٍ وَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَقَالُوبًا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَأْمُورَتِي بِهِ: أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَأَعِدِّيْكُمْ يَوْمَ تَنْقُضُ عُقُوبِي فَتَأْتِيكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لَكَ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

[سورة الأنعام]

[١] الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية. الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهن. وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار. وفي هذا دلالة على عظمة الله تعالى، واستحقاقه وحده العبادة، فلا يجوز لأحد أن يشرك به غيره. ومع هذا الوضوح فإن الكافرين يسوون بالله غيره، ويشركون به.

[٢] هو الذي خلق أبائكم آدم من طين وأنتم سلالة منه. ثم كتب مدة بقائكم في هذه الحياة الدنيا، وكتب أجلاً آخر محمداً لا يعلمه إلا هو جل وعلا، وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشكرون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت.

[٣] والله سبحانه هو الإله المعبود بحق في السموات والأرض. ومن دلائل ألوهيته أنه يعلم جميع ما تخفونه -أيها الناس- وما تعلنونه، ويعلم جميع أعمالكم من خير أو شر؛ ولهذا فإنه -جل وعلا- وحده هو الإله المستحق للعبادة.

[٤] هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره: قد جاءتهم الحجة الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله -جل وعلا-، وصدقت محمد ﷺ في نبوته وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها.

[٥] لقد جحد هؤلاء الكفار الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ وسخروا من دعائه؛ جهلاً منهم بالله واعتزازاً بإماماله إياهم. فسوف يرون ما استهزؤوا به أنه الحق والصدق. ويبين الله للمكذبين كذبهم واقتراءهم، وسيجازيهم عليه.

[٦] ألم يعلم هؤلاء الذين يمجدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمداً ﷺ ما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكثهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مسكنهم؛ استدراجاً وإملاء لهم، فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أمماً أخرى خلفوهم في عمارة الأرض؟

[٧] ولو نزلنا عليك -أيها الرسول- كتاباً من السماء في أوراق فلمسه هؤلاء المشركون بأيديهم لقالوا: إن ما جئت به -أيها الرسول- سحر واضح بين.

[٨] وقال هؤلاء المشركون: هلاً أنزل الله تعالى على محمد مَلَكاً من السماء؛ ليصدقه فيما جاء به من النبوة؛ ولو أنزلنا مَلَكاً من السماء إجابةً لطلبهم لفضي الأمر بإهلاكهم. ثم لا يُهللون لتوبته؛ فقد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ خَلَقْنَا لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ أُولُو الْأَرْحَامِ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُوا أَكْثَرَ حَقًّا مِنْ دُونِهِمْ فَلَا وَاللَّهِ وَرَبُّهُمْ عَنِ الْغَيْبِ سَرِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَدِيثَ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ عَنْهُمْ كَذَّبُوا فَأَسْفِهُوا نَسِيحًا ﴿٢﴾ وَمَا تَنْبَأُكَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا يَسْتَفْتُونَ ﴿٣﴾ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِذُنُوبِهِمْ لَأَعْلَمَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَدِيثَ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ عَنْهُمْ كَذَّبُوا فَأَسْفِهُوا نَسِيحًا ﴿٥﴾ وَمَا تَنْبَأُكَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا يَسْتَفْتُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَدِيثَ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ عَنْهُمْ كَذَّبُوا فَأَسْفِهُوا نَسِيحًا ﴿٧﴾ وَمَا تَنْبَأُكَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا يَسْتَفْتُونَ ﴿٨﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَدِيثَ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ عَنْهُمْ كَذَّبُوا فَأَسْفِهُوا نَسِيحًا ﴿٩﴾ وَمَا تَنْبَأُكَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا يَسْتَفْتُونَ ﴿١٠﴾

وَلَوْ جَعَلْتَهُ مَلَكًا لَجَعَلْتَهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمَا مَا
 يَلْبَسُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهْنِي وَرُسِلَ مِن قِبَلِك فَحَاقَ بِالذِّينِ
 سَخِرُوا مِنْهُنَّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ بَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ سِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١٣﴾
 قُلْ لِيَمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَسَبَ عَلَى
 نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَنبَأَنَّ
 فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَلَهُ
 مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ قُلْ
 أَغْنَى اللَّهُ الْفُقَرَاءَ وَإِنَّا فَاتِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 يظلمه وَلَا يظلمه قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ
 وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ مَنْ يُضِرِّفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
 وَذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَلِيمُ ﴿١٨﴾ وَإِن يَمَسِّنْكَ اللَّهُ يَضِرَّ فَلَكَ أَشْفَى
 لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسِّنْكَ يَحْيِيهِ فَمَهْوَى كُلِّ شَيْءٍ مَّا يَدْرِي ﴿١٩﴾
 وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٢٠﴾

(٩) ولو جعلنا الرسول المرسل إليهم ملكاً إذ لم يقتنعوا
 بمحمد ﷺ، لجعلنا ذلك الملك في صورة البشر؛ حتى
 يستطيعوا السماع منه ومحاضته؛ إذ ليس بإمكانهم
 رؤية الملك على صورته الملائكية، ولو جاءهم الملك
 بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم
 أمر محمد ﷺ.

(١٠) ولما كان طلبهم إنزال الملك على سبيل الاستهزاء
 بمحمد ﷺ، بين الله تعالى له أن الاستهزاء بالرسول
 عليهم السلام ليس أمراً حاداً، بل قد وقع من الكفار
 السابقين مع أنبيائهم، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا
 يهزؤون به وينكرونها وقوعه.

(١١) قل لهم -أيها الرسول-: سيروا في الأرض ثم انظروا
 كيف أعقب الله المكذبين الهلاك والخزي؟ فاحذروا
 مثل مصارعهم، وخافوا أن يحل بكم مثل الذي حل
 بهم.

(١٢) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لمن ملك
 السموات والأرض وما فيهن؟ قل: هو لله كما تقرُّون
 بذلك وتعلمونه، فاعبدوه وحده. كتب الله على نفسه
 الرحمة فلا يجعل على عباده بالعقوبة. ليجتمعكم إلى
 يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء. الذين

أشركوا بالله أهلوكوا أنفسهم؛ فهم لا يوحدون الله، ولا يصدقون بوعده، ووعبده، ولا يقرون بنبوته محمد ﷺ.

(١٣) والله ملك كل شيء في السموات والأرض. سكن أو تحرك، خفي أو ظهر، الجميع عبده، وخلق، وتحت قهره
 وتصرفه وتديبره، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بسرهم وأعمالهم.

(١٤) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره: أغبر الله تعالى اتخذ ولياً ونصيراً، وهو خالق السموات
 والأرض وما فيهن، وهو الذي يبرق خلقه ولا يبرقه أحد؟ قل -أيها الرسول-: إني أمرت أن أكون أول من خضع وانقاد
 له بالعبودية من هذه الأمة، ونهيت أن أكون من المشركين معه غيره.

(١٥) قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي. فخالفت أمره، وأشركت معه غيره
 في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة.

(١٦) من يصرف الله عنه ذلك العذاب الشديد فقد رحمه، وذلك الصرف هو الظفر البين بالنجاة من العذاب العظيم.
 (١٧) وإن يصبك الله تعالى -أيها الإنسان- بشيء يضرك كال فقر والمرض فلا كاشف له إلا هو، وإن يصبك بخير كالغنى
 والصحة فلا راد لفضله ولا مانع لفضائه. فهو -جل وعلا- القادر على كل شيء.

(١٨) والله سبحانه هو الغالب الغاهر فوق عباده: خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء،
 مواضعها وفق حكمته، الخبير الذي لا يخفي عليه شيء، ومن اتصف بهذه الصفات يجب ألا يشرك به، وفي هذه الآية
 إثبات الفوقية لله -تعالى- على جميع خلقه، فوقية مطلقة تليق بجلاله سبحانه.

[١٩] قل -أيها الرسول لهؤلاء المشركين-: أي شيء أعظم شهادة في إثبات صديقي فيما أخرجتكم به أي رسول الله؟ قل: الله شهيد بييني وبينكم، أي: هو العالم بما جنتكم به وما أنتم قائلون لي، وأوحى الله إلي هذا القرآن من أجل أن أنذركم به عذابه أن يحل بكم، وأنذره من وصل إليه من الأمم، إنكم لتصرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به، قل لهم -أيها الرسول-: إني لا أشهد على ما أقررتم به، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل شريك تعبدونه معه.

[٢٠] الذين أتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمداً ﷺ بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكما أن أبناءهم لا يشتبهون أمامهم بغيرهم، فكذلك محمد ﷺ لا يشتبه بغيره لدقة وصفه في كتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، فخسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد ﷺ وبما جاء به.

[٢١] لا أحد أشد ظلماً ممن تقوّل الكذب على الله تعالى، فزعم أن له شركاء في العبادة، أو ادّعى أن له ولداً أو صاحبة، أو كذب بهرايينه وأدلتها التي أيّد بها رسله عليهم السلام، إنه لا يفلح الظالمون الذين افترأوا

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً عَلَى اللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَا أُذَكِّرَ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ أَهْلُكُمْ لَشَهَادَتِي أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَلَمْ يَشْرِكُوا إِلَهُ الْذِينَ كُفِّرُوا عَنْهُمْ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ أَذْهَبُوا إِلَهُ اللَّهِ رَبَّيَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا أَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ أَكْثَمَ لَا يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْيِيذًا يَلْوُنَهَا يَلْوُونَهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهَيَّجُوا إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَتَّبِعُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا بَيْتَنَا نَارٌ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

الكذب على الله، ولا يظفرون بمطالبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

[٢٢] وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أي ألهتكم التي كنتم تدعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعا لكم؟

[٢٣] ثم لم تكن إيجابتهم حين فتنوا واختبروا بالسؤال عن شركائهم إلا أن تبرؤوا منهم، وأقسموا بالله ربهم إنهم لم يكونوا مشركين مع الله غيره.

[٢٤] تأمل -أيها الرسول- كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم، وهم في الآخرة قد تبرؤوا من الشرك؟ وذهب وغاب عنهم ما كانوا يظنونهم من شفاعة ألهتهم.

[٢٥] ومن هؤلاء المشركين من يستمع إليك القرآن -أيها الرسول-، فلا يصل إلى قلوبهم؛ لأنهم بسبب اتباعهم أهواءهم جعلنا على قلوبهم أغطية؛ لئلا يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم ثقلاً وصماً فلا تسمع ولا تعي شيئاً، وإن يروا الآيات الكثيرة الدالة على صدق محمد ﷺ لا يصدقوا بها، حتى إذا جاؤوك -أيها الرسول- بعد معاناة الآيات الدالة على صدقك بخاصونك؛ يقول الذين جحدوا آيات الله: ما هذا الذي نسمع إلا ما تناقله الأولون من حكايات لا حقيقة لها.

[٢٦] وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ والاستماع إليه، ويتعدون بأنفسهم عنه، وما يهلكون -بصدهم عن سبيل الله- إلا أنفسهم، وما يحسون أنهم يعملون هلاكها.

[٢٧] ولو ترى -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم القيامة لرأيت أمراً عظيماً، وذلك حين يجتسبون على النار، ويشاهدون ما فيها من السلاسل والأغلال، وروأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا: يا ليتنا نعادي الحياة الدنيا، فنصدق بآيات الله ونعمل بها، ونكفون عن المؤمنين.

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَنْجُحُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا أَحْيَاتُنَا الْأَلَدِيَّةُ وَمَا نَحْنُ
 بِمَبْعُوثِينَ ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَعَرْنَا عَلَى رَبِّنَا قَالَ آتَيْنَا هَذَا
 بِالْحَقِّ قَالُوا إِنَّا لَنَرِيكَ قَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ بِمَا كُنْتَ تَكْفُرُونَ ﴿٥٢﴾
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ السَّاعَةُ
 بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَقْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْ رَأَوْهُ
 عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 إِلَّا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ شَقَّوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٤﴾
 قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ إِلَهِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
 وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَحْضُدُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ
 رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا وَعَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرًا
 وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ
 وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اشْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّبِعَ
 نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَمَاءً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيَّاتَةٌ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾

[٢٨] ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه. ولو فرض أن أعيدوا إلى الدنيا فأمهلوا لرجعوا إلى العناد بالكفر والتكذيب. وإنهم لكاذبون في قولهم: لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين.

[٢٩] وقال هؤلاء المشركون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد موتنا.

[٣٠] ولو ترى -أيها الرسول- منكري البعث إذ حُبِسوا بين يدي الله تعالى لفضائته فيهم يوم القيامة، لرأيت أسوأ حال، إذ يقول الله جل وعلا: أليس هذا بالحق، أي: أليس هذا البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقاً؟ قالوا: بل وربنا إنه لحق. قال الله تعالى: فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. أي: العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا؛ بسبب جحودكم بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ.

[٣١] قد خسر الكفار الذين أنكروا البعث بعد الموت، حتى إذا قامت القيامة وفوجئوا بسوء المصير، نادوا على أنفسهم بالحسرة على ما ضيعوه في حياتهم الدنيا، وهم

يحملون آثامهم على ظهورهم، فما أسوأ الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها!!

[٣٢] وما الحياة الدنيا في غالب أحوالها إلا غرور وباطل، والعمل الصالح للدار الآخرة خير للذين يخشون الله، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه. أفلا تعقلون -أيها المشركون المغترون بزينة الحياة الدنيا- فتقدموا ما يبقى على ما يفنى؟

[٣٣] إنا نعلم إنه ليُدْخِلُ الحَزْنَ إِلَى قَلْبِكَ تَكْذِيبَ قَوْمِكَ لِكَ فِي الظَّاهِرِ. فاصبر واطمن؛ فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صدقك، ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئت به.

[٣٤] ولقد كذب الكفار رسلاً من قبلك أرسلهم الله تعالى إلى أممهم وأودوا في سبيله، فصبروا على ذلك ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى آتاهم نصر الله. ولا مبدل لكلمات الله، وهي ما أنزل على نبيه محمد ﷺ من وعده إياهم بالنصر على من عاداه. ولقد جاءك -أيها الرسول- من خبر من كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مكذبيهم من نقمة الله منهم وغيظه عليهم، فلك فيمن تقدم من الرسل أسوة وقدوة. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ.

[٣٥] وإن كان عظم عليك -أيها الرسول- صدور هؤلاء المشركين وانصرافهم عن الاستجابة لدعوتك، فإن استطعت أن تتخذ نفقاً في الأرض، أو يصدعاً تصعد فيه إلى السماء، فتأتهم بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الذي أنتم عليه ووقفهم للإيمان، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها سبحانه، فلا تكونن -أيها الرسول- من الجاهلین الذين اشتد حزنهم، وتحسروا حتى أوصولهم ذلك إلى الجرع الشديد.

[٣٦] إنما يجيبك - أيها الرسول - إلى ما دعوت إليه من الهدى الذين يسمعون الكلام سماع قبول. أما الكفار فهم في عداد الموق؛ لأن الحياة الحقيقية إنما تكون بالإسلام. والموق يخرجهم الله من قبورهم أحياء، ثم يعودون إليه يوم القيامة؛ ليؤقوا حسابهم وجزاءهم.

[٣٧] وقال المشركون - تعنتاً واستكباراً -: هلاً أنزل الله علامة تدل على صدق محمد ﷺ من نوع العلامات الخارقة، قل لهم - أيها الرسول -: إن الله قادر على أن ينزل عليهم آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن إنزال الآيات إنما يكون وفق حكمته تعالى.

[٣٨] ليس في الأرض حيوان يدب على الأرض. أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم. ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا أنبئنا، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب الله كل ما عمل.

[٣٩] والذين كذبوا بحجج الله تعالى صم لا يسمعون ما ينفعهم، بكم لا يتكلمون بالحق، فهم حائثرون في الظلمات، لم يختاروا طريقة الاستقامة. من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على صراط

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرَأَى إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وقالوا لو أنزل عليه آية من ربه. قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يفقهون ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِمَا يَتَّبِعُنَا مِنْ مَجْزَأٍ لَنَا لَوْ أَنَّهَا كُنَتْ تَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعْتَنَاهُمْ وَكَفَرُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَتَأْتِكُمُ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُفِرْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا أَنْتُمْ بِمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهَرُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا لَا إِذْجَاءَهُمْ بِأَسْأَفَةٍ تَعْمُرُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ﴿

مستقيم.

[٤٠] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في الدنيا، أو جاءكم الساعة التي تبعثونها فيها؛ أغير الله تدعون هناك لكشف ما نزل بكم من البلاء، إن كنتم محقين في زعمكم أن أهتكم التي تعبدونها من دون الله تنفع أو تضر؟

[٤١] بل تدعون - هناك - ربكم الذي خلقكم لا غيره، وتستغيثون به، فيفرج عنكم البلاء العظيم النازل بكم إن شاء؛ لأنه القادر على كل شيء، وترتكبون حينئذ أصنامكم وأوثانكم وأولياءكم.

[٤٢] ولقد بعثنا - أيها الرسول - إلى جماعات من الناس من قبلك رسلاً يدعوهم إلى الله تعالى، فكذبوهم، فابتليناهم في أمواتهم بشدة الفقر وضيق المعيشة، وابتليناهم في أجسامهم بالأمراض والألام؛ رجاء أن يتدلوا لربهم، ويخضعوا له وحده بالعبادة.

[٤٣] فعلاً إذ جاء هذه الأمم المكذبة بلاؤنا تذللوا لنا، ولكن قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من المعاصي، وباتون من الشرك.

[٤٤] فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحتنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاء في العيش، وبالصبراء صحة في الأجسام؛ استدراجاً ميثاً لهم، حتى إذا بطروا، وأعجبوا بما أعطيناهم من الخير والنعمة أخذناهم بالعذاب فجاء، فإذا هم آيسون منقطعون من كل خير.

[٤٥] فاستوصل هؤلاء القوم وأهلكوا؛ إذ كفروا بالله وكذبوا رسله، فلم يبق منهم أحد. والشكر والثناء لله تعالى -خالق كل شيء ومالكه- على نصره وأوليائه وهلاك أعدائه.

[٤٦] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن أذهب الله سمعكم فَأَصْغَمُوا، وذهب بأبصاركم فَأَعْمَاكُمْ، وطبع على قلوبكم فأصبحت لا تفقهون قولاً، أَيُّ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ -جل وعلا- يقدر على ردِّ ذلك لكم؟! انظر -أيها الرسول- كيف تنوع لهم الحجج، ثم هم بعد ذلك يُعْرِضُونَ عن التذكر والاعتبار؟

[٤٧] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أخبروني إن نزل بكم عقاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون به، أو ظاهراً عياناً وأنتم تنظرون إليه؛ هل يهلك إلا القوم الظالمون الذين تجاوزوا الحد، بصر فهم العبادة لغير الله تعالى ويتكذبون رسله؟

[٤٨] وما نرسل رسلاً إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، فمن آمن وصدق الرسل وعمل صالحاً فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا. [٤٩] والذين كذبوا بآياتنا من القرآن والمعجزات فأولئك يصيبهم العذاب يوم القيامة؛ بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

[٥٠] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنني لا أدعي أني أملك خزائن السموات والأرض، فأصرف فيها، ولا أدعي أني أعلم الغيب، ولا أدعي أني ملك. وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يوحي لي، وأبلغ وحيه إلى الناس. قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عصى عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها، والمؤمن الذي أبصر آيات الله فأمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟

[٥١] وخوف -أيها الرسول- بالقرآن الذين يعلمون أنهم يحشرون إلى ربهم، فهم مصدقون بوعد الله ووعدده، ليس لهم غير الله وني نصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عنده تعالى، فيخلصهم من عذابه؛ لعلهم يتقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

[٥٢] ولا تُبْعِد -أيها النبي- عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، يريدون بأعمالهم الصالحة وجه الله، ما عليك من حساب هؤلاء الفقراء من شيء، إنما حسابهم على الله، وليس عليهم شيء من حسابك، فإن أبعدتهم فإنك تكون من المتجاوزين حدود الله، الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

فَقَطَّعَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَلْحَدُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ
 ثُمَّ هُمْ يَضِدُّونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْغَيْبَ
 بِنَتْنَةٍ أَوْ حَجْرَةٍ هَلْ يَنْهَكَ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا حُوقَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَتَسَاءَلُونَ الْعَذَابَ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خِزْيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَغْنِي عَنِ الْعَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَتَيْتُكُمُ الْآيَاتِ بِشَيْءٍ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَسِّرُوا إِلَى
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا سَمِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾
 وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَى وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنْظُرُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٣] وكذلك ابتلى الله تعالى بعض عباده ببعض بتباين حظوظهم من الأرزاق والأخلاق، فجعل بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً، وبعضهم قوياً وبعضهم ضعيفاً، فأحوج بعضهم إلى بعض اختصاراً منه لهم بذلك؛ ليقول الكافرون الأغنياء: أهولاء الضعفاء من الله عليهم بالهداية إلى الإسلام من بيننا؟ أليس الله تعالى بأعلم بمن يشكرون نعمته، فيوفقهم إلى الهداية لهينه؟

[٥٤] وإذا جاءك -أيها النبي- الذين صدقوا بأيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة، فأكرمهم برؤ السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة؛ فإنه جل وعلا قد كتب على نفسه الرحمة بعباده تفضلاً أنه من اقترف ذنباً بجهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله -مخظناً أو متعمداً- فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم - ثم تاب من بعده وداوم على العمل الصالح، فأثمه تعالى يفر ذنبه، فهو

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْمُكْرِبِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَاءَ لَكُمْ عَلَيْكُمْ كِتَابٌ رَزَقْتُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِمُ الرِّحْمَةَ أَنْهُمْ مَنْ عَمِلُوا مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَصْلَحُوا فَأَنْتُمْ عَافُونَ رَحِيمًا ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفُضِّلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنْ نُهَيْتُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُشْرِكُ بِأَهْوَاءِكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَأْتًا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنْ عَلَىٰ بَيْتِكُمْ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ، مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْلُونَ بِهِ، إِنْ لَعْنَتُ اللَّهِ بِالَّذِينَ نَقَضُوا الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْلُونَ بِهِ، لَفُضِّي الْأَمْثَرِيَّتَيْنِ وَبَيَّنَّكُمْ وَأَنْتُمْ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرْجِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِيقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِجَابَ فِي ظُلْمَتٍ إِلَّا الْأَرْضُ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

غفور لعباده التائبين، رحيم بهم.

[٥٥] ومثل هذا البيان الذي بيّننا لك -أيها الرسول- بيّن الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل؛ ليتبين الحق، وليظهر طريق أهل الباطل المخالفين للرسل.

[٥٦] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاي أن أعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم، قد ضللت عن الصراط المستقيم إن اتبعت أهواءكم، وما أنا من المهتدين.

[٥٧] قل -أيها الرسول لهؤلاء المشركين-: إني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إليّ، وذلك يافراه وحده بالعبادة، وقد كذبت بهذا، وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلون به، وما الحكم في تأخر ذلك إلا إلى الله تعالى. يبين الحق بياناً واضحاً، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه.

[٥٨] قل -أيها الرسول-: لو أنني أملك إنزال العذاب الذي تستعجلونه لأنزلته بكم، وقضي الأمر بي وبينكم، ولكن ذلك إلى الله تعالى، وهو أعلم بالظالمين الذين تجاوزوا حدّهم فأشركوا معه غيره.

[٥٩] وعند الله -جل وعلا- مفاتيح الغيب، أي: خزائن الغيب، لا يعلمها إلا هو، ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كل ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا لبس فيه، وهو اللوح المحفوظ.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجْلٌ مُّسْتَقَرٌّ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الْفَاضِلُ فَوقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مَنْ ظَلَمْتُمُ الذَّرَّ وَالْبَخْرَ تَدْعُونَهُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن يَجْعَلَنَّ مِنْ هَدْيِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كُوفٍ ثُمَّ أَنشُدْكُمْ رُكُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ هُوَ الْفَاعِلُ رِغْلٌ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُمْ بِأَسِّ بُيُوتِهِمْ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْنَا الْأَنْبِيَاءَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٧٠﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٧١﴾ لِكُلِّ نَسْلٍ مَشْتَقٌّ وَسَوْفَ يُعَامِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يُخَافُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يُخَافُوا فِي حَدِيثِ عَذَابِهِ وَأَمَّا نِيسَبَاتُكَ الْأَسْيَاطِ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾

[٦٥] وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت، ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهاراً بما يشبه الإحياء بعد الموت؛ لتقضى أجالكم المحددة في الدنيا، ثم إلى الله تعالى معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياء. ثم يجربكم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك.

[٦٦] والله تعالى هو القاهر فوق عباده، فوقية مطلقة من كل وجه، تليق بجلاله سبحانه وتعالى. كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويحسونها، حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحه ملك الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أمروا به.

[٦٧] ثم أعيد هؤلاء المتوَفَّونَ إلى الله تعالى مولاهم الحق. ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده، وهو أسرع الحاسبين.

[٦٨] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: من ينقذكم من مخاوف ظلمات البر والبحر؟ أليس هو الله تعالى الذي تدعون في شدائهم متذللين جهرًا وسرًا؟ تقولون: لئن أنجانا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له.

[٦٩] قل لهم -أيها الرسول-: الله وحده هو الذي ينقذكم من هذه المخاوف ومن كل شدة، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه في العبادة وغيره.

[٦٥] قل -أيها الرسول-: الله عز وجل هو القادر وحده على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم كالرجم أو الطوفان، وما أشبه ذلك، أو من تحت أرجلكم كالزلازل والخسوف، أو يخلط أمركم عليكم فتكونوا أرقفاً متناحرين يقتل بعضكم بعضاً. انظر -أيها الرسول- كيف تُنوع حججنا الواضحات هؤلاء المشركين لعلمهم يفهمون فيعتبروا؟

[٦٦] وكذب بهذا القرآن الكفار من قومك أيها الرسول، وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به. قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول الله أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

[٦٧] لكل خير قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبين الحق من الباطل، وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم.

[٦٨] وإذا رأيت -أيها الرسول- المشركين الذين يتكلمون في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يأخذوا في حديث آخر، وإن أنساك الشيطان هذا الأمر فلا تقعد بعد تذكرك مع القوم المعتدين، الذين تكلموا في آيات الله بالباطل.

[٦٩] وما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فيطيعون أوامره، ويجتنبون نواهيه من حساب الله للخاصين المستهزئين بآيات الله من شيء، ولكن عليهم أن يعظومهم ليمسكوا عن ذلك الكلام الباطل، لعلمهم بتقون الله تعالى.

[٧٠] واترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعباً ولهوياً؛ مستهزئين بآيات الله تعالى، وعزتهم الحياة الدنيا بزينتها، وذكر بالقرآن هؤلاء المشركين وغيرهم؛ كي لا تثرثهن نفس بذنوبها وكفرها بربها، ليس لها غير الله ناصر ينصرها، فينقذها من عذابه، ولا شافع يشفع لها عنده، وإن تفتد بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين ارتهنوا بذنوبهم، لهم في النار شراب شديد الحرارة؛ وعذاب موجع؛ بسبب كفرهم بالله تعالى، ورسوله محمد ﷺ، وبدين الإسلام.

[٧١] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله تعالى أو ثاناً لا تنفع ولا تضر؛ ونرجع إلى الكفر بعد هداية الله تعالى لنا إلى الإسلام، فنشبهه

- في رجوعنا إلى الكفر - من فسد عقله باستهواء الشياطين له، فضّل في الأرض، وله رُقفة عقلاء مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فبأي. قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنّ هدى الله الذي بعثني به هو الهدى الحق، وأمرنا جميعاً لنسلم لله تعالى رب العالمين بعبادته وحده لا شريك له، فهو رب كل شيء ومالكه.

[٧٢] وكذلك أمرنا بأن نقيم الصلاة كاملة، وأن نحشا بفعل أوامره واجتنب نواهيه، وهو - جل وعلا - الذي إليه تُحشَر جميع الخلائق يوم القيامة.

[٧٣] والله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض بالحق، واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله: «كن»، فيكون عن أمره كلعج البصر أو هو أقرب، قوله هو الحق الكامل، وله الملك سبحانه وحده، يوم ينفخ الملك في «القرن» النفخة الثانية التي تكون بها عودة الأرواح إلى الأجسام، وهو سبحانه الذي يعلم ما غاب عن حواسكم - أيها الناس - وما تشاهدونه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخبير بأمور خلقه، والله تعالى هو الذي يختص بهذه الأمور وغيرها بدءاً ونهاية، نشأة ومصيراً، وهو وحده الذي يجب على العباد الاتقياء لشرعه، والتسليم لحكمه، والتطلع إلى رضوانه ومغفرته.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَالَّذِينَ
ذَكَرْنَا لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِيَمِينِهِمْ
لِعِبَاءٍ وَلَهْوًا وَعَزَّزْنَاهُمْ الِحْيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَذَكَّرْنَا بِهِمْ أَنْ
يُسْئَلُوا نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذَوْبٍ ۖ اللَّهُ وَقِيٌّ
وَلَا تَفِيحٌ ۚ وَإِنْ تَدْبُلْ كُلَّ عِدْلٍ لَأُؤْتِخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابٍ ۚ بَعْدَ إِذْ
هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
حَيْرَانًا ۗ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ ۚ إِلَى الْهُدَىٰ أُنتِجْنَا ۚ قُلْ إِنْ
هُدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَأَمْرًا لِلشُّرَاطِينِ ۚ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَإِن
أَفِيضُوا أَضَلَّوهُ ۚ وَتَفْوُهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ ۚ قَوْلَهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ
عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهَ إِذْ رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ أَصْطِمَاءَ الهَيْهَةِ إِنِّي
 أَنْتَكَ وَقومَكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
 مَكَانَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٦﴾
 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
 قَالَ لَا أُحِبُّ الأَفْلَهِتَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ تَارِعًا قَالَ هَذَا
 رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ ﴿٨﴾ فَلَمَّا رَأَى النُّجُومَ تَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَتَّبِعُونَ ابْنَ بَرِيٍّ إِيمَانًا تُشْرِكُونَ ﴿٩﴾
 ابْنَ وَجْهَتِ وَجْهِي لِلَّذِي قَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ
 أَتُحْجُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
 إِلَّا أَن يُبْسَأَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَكَيْفَ أَخَافِي مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
 أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزل بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا
 فَأَنتُمْ أَفْرَاقٌ قَالُوا يَا حَقُّ يَا أَسْمُنُ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

[٧٤] واذكر - أيها الرسول - حاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، إذ قال له: أجمعل من الأصنام آلهة تعبدها من دون الله تعالى؟ إن أراك وقومك في ضلال بين عن طريق الحق.

[٧٥] وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة نريه ما تحوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة؛ ليكون من الراسخين في الإيمان.

[٧٦] فلما أظلم على إبراهيم - عليه السلام - الليل وغطاه ناظر قومه؛ ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه السلام كوكباً، فقال - مستدرجاً قومه للإزمام بالتوحيد -: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التي تغيب. [٧٧] فلما رأى إبراهيم القمر طالعاً قال لقومه - على سبيل استدراج الخصم -: هذا ربي، فلما غاب، قال: - مفتقراً إلى هداية ربه - لئن لم يوفقني ربي إلى

الصواب في توحيد، لأكون من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى.

[٧٨] فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إنني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى.

[٧٩] إنني توجهت بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض، مانلاً عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

[٨٠] وجادلهم قومه في توحيد الله تعالى قال: أتجادلونني في توحيدي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فإن كنتم تخفونني بأهلتكم أن توقع بي ضرراً فأبني لا أرهبا فلن تضرنني، إلا أن يشاء ربي شيئاً، وسع ربي كل شيء، علماً، أفلا تتذكرون فتعلموا أنه وحده المعبود المستحق للعبودية؟

[٨١] وكيف أخاف أوثانكم وأنتم لا تخافون ربي الذي خلقكم، وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة، من غير حجة لكم على ذلك؟ فأبي الفريقين: فريق المشركين وفريق الموحدين أحق بالطمأنينة والسلامة والأمن من عذاب الله؟ إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني.

[٨٢] الذين صدّقوا الله ورسوله وعلّموا بشرعه ولم يخنطوا إيمانهم بشرك. أولئك لهم الطمأنينة والسلامة، وهم الموقفون إلى طريق الحق.

[٨٣] وتلك الحجّة التي حاج بها إبراهيم - عليه السلام - قومه هي حجتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعت حجّتهم. نرفع من نساء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليهم بهم.

[٨٤] ومثلاً على إبراهيم - عليه السلام - بأن رزقناه إسحاق ابناً ويعقوب حفيداً، ووفّقنا كلاً منهما لسبيل الرشاد، وكذلك وفقنا للحق نوحاً - من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - وكذلك وفقنا للحق من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء بإحسانهم نجزي كل محسن.

[٨٥] وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبْرِحُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ مِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا يُسُفَى وَيَعْقُوبَ وَإِسْحَاقَ كُلِّ مَن الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَاسْمِعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَنِبْتَنَّهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ. وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمْلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالشُّرُوءَ لَمَّا بَكَرْتُم بَهَا مَثَلًا لِّمَن لَّمْ يَلْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَ هَدَاهُمْ أَقْتَدُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ لُجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٦] وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وكل هؤلاء الرسل فضلناهم على أهل زمانهم.

[٨٧] وكذلك وفقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح. لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتزويجه عن الشرك.

[٨٨] ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده. ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله - على سبيل الفرض والتقدير - لبطل علمهم، لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملاً.

[٨٩] أولئك الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهداية والنبوة هم الذين آتيناهم الكتاب. كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزيور داود والإنجيل عيسى، وآتيناهم فهمه هذه الكتب، واخترناهم لإبلاغ وحيينا. فإن يجحد - أيها الرسول - بآيات هذا القرآن الكفزاز من قومك، فقد وفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها قوماً آخرين - أي: المهاجرين والأصناف وأتباعهم إلى يوم القيامة - ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بما تدل عليه.

[٩٠] أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق. فأُتبع هدايم - أيها الرسول - واسلك سبيلهم. قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضاً من الدنيا. إن أجري إلى على الله. وما الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم، وتذكيركم لكم ولكل من كان مثلكم، ممن هو مقيم على باطل، لعلكم تتذكرون به ما ينفعكم.

[٩١] وما عظم هولاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئاً من وحيه. قل لهم - أيها الرسول - إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نوراً للناس وهداية لهم؟ ثم توجه الخطاب إلى اليهود زجراً لهم بقوله: تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيراً منها، وبما كتموه الإخبار عن صفة محمد ﷺ ونبوته، وعلمكم الله معشر العرب بالقرآن - الذي أنزله عليكم، فيه خبر من قبلكم ومن بعدكم، وما يكون بعد موتكم - ما لم تعلموه؛ أنتم ولا آباؤكم؟ قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل بخوضون وبلعبون.

[٩٢] وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - عظيم النفع، يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، أنزلناه لتخوف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها، والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام

الصلاة في أوقاتها.

[٩٣] ومن أشد ظلماً ممن اختلق على الله تعالى قولاً كذباً، فادّعى أنه لم يبعث رسولاً من البشر، أو ادّعى كذباً أن الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه شيئاً، أو ادّعى أنه قادر على أن يُنزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت - أيها الرسول - هؤلاء المتجاوزين الحدّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمراً هائلاً، والملائكة الذين يقضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم. اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.

[٩٤] ولقد جنتنونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركنم وراء ظهوركم ما مكناكم فيه مما تنباهون به من أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أو ثابتم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم. وتدّعون أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال توأصلكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تدّعون من أن ألهتكم شركاء، لله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا سِوَى سِحْرِ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ - مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسَ يَبْدُوتُهَا وَتَخْفُونَ مِنِّي وَأَجْلَسْتُمْ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنشَأْهُ وَلَا تَأْتُونَكَ فَلَئِنَّ اللَّهَ لَفَرَدَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ - وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
غَمْرَاتِ النَّوَى وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ لَخِرَّجُوا أَنفُسَهُمْ
الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فَرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنْتُمْ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُرِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩٥] إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر. يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلاً من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان؛ ذلكم الله أي: فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له المستحق للعبادة، فكيف تُضرفون عن الحق إلى الباطل فتعبدون معه غيره؟

[٩٦] والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل، وجعل الليل مستقرّاً، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نسيبه من الراحة، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدّر، لا يتغير ولا يضطرب، ذلك تقدير العزيز الذي عزّز سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شؤونهم. والعزيز والعليم من أسماء الله الحسنى يدلان على كمال العزة والعلم.

[٩٧] والله سبحانه هو الذي جعل لكم - أيها الناس - النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلاً إذا ضللتكم؛ بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر، قد بيّنا البراهين الواضحة؛ ليتدبرها منكم أولو العلم بالله وشرعه.

[٩٨] والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم - أيها الناس - من آدم عليه السلام؛ إذ خلقه من طين. ثم كنتم سلالة ونسلاً منه، فجعل لكم مستقرّاً تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومستودعاً تحفظون فيه، وهو أصلاب الرجال، قد بيّنا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر.

[٩٩] والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطراً فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعاً وشجراً أخضر، ثم أخرج من الزرع حباً يركب بعضه بعضاً، كسنايل القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل - وهو الغلاف الذي ينشأ فيه أول ثمر النخل - عذوقاً يسا فيها من الرطب قريبة التناول، وأخرج سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلاً وطعماً وطبعاً. انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه.

[١٠٠] وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة؛ اعتقاداً منهم أنهم ينفعون أو يضرّون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات؛ جهلاً منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزّراً وعلا عما نسبة إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء.

[١٠١] والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق.

• إِنَّ اللَّهَ قَالِي الْحَبِّ وَالنَّوِيِّ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي نُوَفِّكُمُوهُ ۖ قَالِي الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَدْ قَضَيْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ قَضَيْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَسِبٍ أَنْظُرُوا إِلَى آيَاتِ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا تَمَرَّدُوا وَإِنِّي فِي ذَلِكَمُ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْنَ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَعَلَى عِزِّ عَرْشِهِمْ ۝ وَيَدْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي بَصُورٌ لَّهُ وَلَمْ يَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

[١٠٢] ذلكم - أيها المشركون - هو ربكم جل وعلا، لا معبود بحق سواه، خالق كل شيء، فانقادوا واخضعوا له بالطاعة والعبادة، وهو سبحانه على كل شيء وكيل وحفيظ، يدبر أمور خلقه.

[١٠٣] لا تحيط الأبصار بالله - وإن كان المؤمنون في الدار الآخرة يرون ربهم بغير إحاطة - وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه، وهو اللطيف بأوليائه الذي يعلم دقائق الأشياء، الخبير الذي يعلم بواطنها.

[١٠٤] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: قد جاءكم براهين ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل عليها القرآن، وجاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام، فمن تبين هذه البراهين وأمن بسدلوها فتنفع ذلك لنفسه، ومن لم يبصر الهدى بعد ظهور الحجة عليه فعل نفسه جنى، وما أنا عليكم بحافظ أصحي أعمالكم، وإنما أنا مبلغ، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفق علمه وحكمته.

[١٠٥] وكما بيننا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد، نبين لهم

البراهين في كل ما جهلوه فيقولون عند ذلك كذباً: تعلمت من أهل الكتاب، ولنبين - بتصرفنا الآيات - الحق لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد ﷺ وما أنزل عليه.

[١٠٦] اتبع - أيها الرسول - ما أوحيناك إليك من الأوامر والنواهي التي أعظمها توحيد الله سبحانه والدعوة إليه، ولا ثبالي بعناد المشركين، وادعائهم الباطل.

[١٠٧] ولو شاء الله تعالى أن لا يشرك هؤلاء المشركون لما أشركوا، لكنه تعالى عليهم بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة، وما جعلناك - أيها الرسول - عليهم رقيباً تحفظ عليهم أعمالهم، وما أنت بقيم عليهم تدبر مصالحهم.

[١٠٨] ولا تسبوا - أيها المسلمون - الأوثان التي يعبدها المشركون - سداً للذريعة - حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلاً واعتداءً بغير علم. وكما حسناً هؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسناً لكل أمة أعمالها، ثم إلى ربهم معادهم جميعاً فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم يجازيهم بها.

[١٠٩] وأقسم هؤلاء المشركون بأيمان مؤكدة: لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقن بما جاء به، قل - أيها الرسول -: إنما مجيء المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر على المجيء بها إذا شاء، وما يديركم أيها المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدّق بها هؤلاء المشركون.

[١١٠] وتقلب أفئدتهم وأبصارهم، فتحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة، وتركهم في تمردهم على الله متحيزين، لا يهتدون إلى الحق والصواب.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٥٥﴾ لَأَنْذِرْكُمْ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
يُذْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٥٦﴾ قَدْ جَاءَكُمْ
بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ لَيَقُولُوا لَدَرَسْتَ وَإِنِّي لَنَسِيْتُهَا لَوْلَا قَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ أَتَسْبِغُ
مَا أَرَى مِنَ الْيَاكُمِ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَسَبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَعِيدًا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ رِيبًا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾ وَتَقَلَّبَ أَفئِدَتُهُمْ وَابْصُرْتَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَدْرَهُمْ فِي طَغْيِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٣﴾

[١١١] ولو أننا أجبنا طلب هؤلاء المشركين، فنزلنا إليهم الملائكة من السماء، وأوحينا لهم الموقى، فكلّموهم، وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعابنوه مواجهة، لم يصدّقوا بما دعوتهم إليه -أيها الرسول- ولم يعملوا به. إلا من شاء الله له الهداية. ولكن أكثر هؤلاء الكفار يجهلون الحق الذي جئت به من عند الله تعالى.

[١١٢] وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء من مرّة قومهم وأعداء من مرّة الجن، يلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زوّنوه بالباطل؛ ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. ولو أراد ربك -جلّ وعلا- لحال بينهم وبين تلك العداوة؛ ولكنه الابتلاء من الله، فدعهم وما يحتلقون من كذب وزور.

[١١٣] ولتمثيل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، ولتحبّه أنفسهم. وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون. وفي هذا تهديد عظيم لهم.

[١١٤] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: أغبر الله

إليهم والهمم أطلب حكماً بيني وبينكم. وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبيناً فيه الحكم فيما تختصون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين أتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علماً يقيناً أن هذا القرآن منزل عليكم -أيها الرسول- من ربك بالحق، فلا تكوننّ من الشاكّين في شيء مما أوحينا إليك.

[١١٥] وتست كلمة ربك -وهي القرآن- صدقاً في الأخبار والأقوال، وعدلاً في الأحكام. فلا يستطيع أحد أن يبذل كلماته الكاملة. والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، العليم ببواطن أمورهم وظواهرها.

[١١٦] ولو فرض -أيها الرسول- أنك أظمت أكثر أهل الأرض لأضلوّك عن دين الله، ما يسرون إلا على ما ظنوه حقاً بتقليدهم أسلافهم. وما هم إلا يظنون ويكذبون.

[١١٧] إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد، وهو أعلم منكم ومنهم بمن كان على استقامة وسداد. لا يخفى عليه منهم أحد.

[١١٨] فكلوا من الذبائح التي ذكّر اسم الله عليها، إن كنتم براهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

• وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ وَكَمْ مَعَهُمُ التَّوْفَىٰ وَحَسْرَتًا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِلْنَا مَا كَانُوا يَؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرْتَهُمْ يَعْجَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَعَدُوا قَدْ زَهَرُوا وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ آفِيْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَيَرْضَوْهُ وَيُعْتِرُوا مَا هُمْ بِمُفْرَوْتٍ ﴿١١٣﴾ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ إِذَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَضَعُوا مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَاتُكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ فَطَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَصُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الْأَنْظَلَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَغْلَبُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّوا بِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿٣٥﴾
 وَذُرَّوْا ظَهْرَ الْأَثِيرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَرَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَلَهُ
 يُذَكِّرُ أَنْسَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِئْسَ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُخَوِّنَ
 إِلَى أُولِي الْأَيْمَنِ لِيُحْدِلُوا كَيْدَهُمْ وَإِنَّ أُطْعَمُوهُمُ إِنَّهُمْ لَشَاكِرُونَ ﴿٣٧﴾
 أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَخْبَيْتَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
 فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ
 زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يُفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
 فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِنَمْسُكُرَ وَأَفِيهَا وَمَا
 يَمْسُكُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا جَاءَ نَهْمُ
 عَائِيَةَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
 أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
 عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾

[١١٩] وأي شيء يمنعكم - أيها المسلمون - من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد بين الله سبحانه لكم جميع ما حرم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالهيئة، فإنه مباح لكم. وإن كثيراً من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياء عنهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلاً منهم. إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه..

[١٢٠] وارتكوا - أيها الناس - جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سراً. إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم؛ بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات. [١٢١] ولا تأكلوا - أيها المسلمون - من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح. كالهيئة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك. وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى. وإن مرّة الجن

ليلقون إلى أوليائهم من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل الميتة، فيأمروهم أن يقولوا للمسلمين في جدالهم معهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتله الله. بينما تأكلون مما تذبحونه، وإن أطعتموهم - أيها المسلمون في تحليل الميتة - فأنتم وهم في الشرك سواء.

[١٢٢] أو من كان ميتاً في الضلالة هالكا حائراً، فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووقفناه لاتباع رسلنا، فأصبح يعيش في أنوار الهداية. كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ، ولا تخلص له مما هو فيه؟ لا يستويان، وكما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم - أيها المؤمنون - فزيّنت له سوء عمله. فراء حسناً، زيّنت للجاحدين أعمالهم السيئة؛ ليستوجبوا بذلك العذاب.

[١٢٣] ومثل هذا الذي حصل من زعماء الكفار في «مكة» من الصدّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يترعهم أكابره؛ ليمكروا فيها بالصد عن دين الله، وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يحسبون بذلك.

[١٢٤] وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد ﷺ، قال بعض كبرائهم: لن نصدق بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين. فردّ الله تعالى عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته، أي: بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس. سينال هؤلاء الطغاة الدّل، ولهم عذاب موجه في نار جهنم؛ بسبب كيدهم للإسلام وأهله.

[١٢٥] فمن يشأ الله أن يوفقه لقبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان. ومن يشأ أن يضلّه يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قبول الهدى. كحال من يصعد في طبقات الجو العليا. فيصاب بضيق شديد في التنفس. وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض. كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

[١٢٦] وهذا الذي بيّناه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك ورحمته. قد بيّنا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة.

[١٢٧] للمتذكّرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاء لهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

[١٢٨] واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن فيقول: يا معشر

فَمَنْ يَرِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَنْشُرْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرِيصًا كَمَا نَسَا
يَصَدَّقُ فِي السَّأْوِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْإِيخْسَرَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا فَدَقِّنَا
الْأَنفُسَ لِقَوْمٍ يَدَّ كَعْرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهْفًا ذَا السَّلْبِ عِنْدَ
رَيْبِهِمْ وَهُوَ وَأَنْفُسُهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَتَمَشَّرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْفَرُوا مِنْ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولِي الْأَرْهَامِ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ وَوَلَّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمُ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَتَمَشَّرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ الْمَرْتَابَتَيْنِ رُسُلٌ يَنْفَعُ
بِقُضُورِ عَلَيْهِمْ ذُنُوبُهُمْ وَيَنْزِرُونَ لَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَفْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

الجن قد أضلّتم كثيراً من الإنس، وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا قد انتفع بعضنا من بعض. وبلغنا الأجل الذي أجلّته لنا بانقضاء حياتنا الدنيا، قال الله تعالى لهم: النار مثواكم، أي: مكان إقامتكم خالدين فيها، إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين. إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده.

[١٢٩] وكما سلّطنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، تسلّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا؛ بسبب ما يعملونه من المعاصي.

[١٣٠] أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتيكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدل على أنّ الرسل من الإنس فقط- يحذرونكم بأيّاتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي، وبيان الخير والشر. ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شهّدنا على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخذعت هؤلاء المشركين زينة الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحادثين الله تعالى ومكذّبين لرسله عليهم السلام.

[١٣١] إنما أعذرتنا إلى العقولين بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتلا يؤاخذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرتنا إلى الأمم؛ وما عذبنا أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

[١٣٢] ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك - أيها الرسول - بغافل عما يعمل عباده.

[١٣٣] وربك - أيها الرسول - الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قوماً غيركم يخلفونكم من بعد فنانكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

[١٣٤] إن الذي يوعدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجزوا

ربكم هرباً، فهو قادر على إعادتكم، وإن صرتم تراباً وعظاماً.

[١٣٥] قل - أيها الرسول -: يا قوم اعملوا على طريقتكم فإني عامل على طريقتي التي شرعتها لي ربي جل وعلا، فسوف تعلمون - عند حلول الثَّمة بكم - من الذي تكون له العاقبة الحسنة؟ إنه لا يفوز برضوان الله تعالى والجنة من تجاوز حده وظلم. فأشرك مع الله غيره.

[١٣٦] وجعل المشركون لله - جلَّ وعلا - جزءاً مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين وجعلوا قسماً آخر من هذه الأشياء لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما كان مخصصاً لشركائهم فإنه يصل إليهما وحدها، ولا يصل إلى الله. وما كان مخصصاً لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم. بشس حكم القوم وقسمتهم.

[١٣٧] وكما زُيِّنَ الشيطان للمشركين أن يجعلوا لله تعالى من الزرع والأنعام نصيباً، ولشركائهم نصيباً، زُيِّنَت الشياطين لكثير من المشركين قَتْلَ أولادهم خشية الفقر؛ ليقفوا هؤلاء، الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وليخلطوا عليهم دينهم فيلبس. فيضلوا ويهلكوا. ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوا. ولكنه قَدَّرَ ذلك لعلمه بسوء حالهم ومألمهم، فاتركهم - أيها الرسول - وشأنهم فيما يفترون من كذب، فسيحكم الله بينك وبينهم.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُنْهَكًا مِنَ الْعُرَىٰ يَظُنُّ أَوْلَاهُمَا
عَقِيلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ بِمَا عَمِلُوا وَبِمَا رَبُّكَ
يَخْفِي عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْعَفِيفُ ذُو الرَّحْمَةِ
إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا
يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لِأَنْتَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَسْأَلُونَ
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ لِي إِلَىٰ عَمَلٍ فَسَوْفَ نَعْمَلُ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَيَعْمَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَتْ مِنَ الْحَرْثِ وَأَلْتُمْ نَبَاتًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ أَنُفُسِهِمْ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَائِهِمْ لِيُرْزَوْهُمْ وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ وَيَسْتَهْتَمُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣٨] وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا من يأذنون له - حسب ادعائهم - من سدة الأوثان وغيرهم.

وهذه إبل حُرِّمَتْ ظهورها، فلا يحل ركوبها والحمل عليها بحالٍ من الأحوال.

وهذه إبل لا يذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شؤونها. فعلوا ذلك كذباً منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه.

[١٣٩] وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجثة مباح لرجالنا، ومحرم على نساننا، إذا ولد حياً، ويشتركون فيه إذا ولد ميتاً. سيعاقبهم الله إذ شرعوا لأنفسهم من التحليل والتحرير ما لم يأذن به الله. إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم.

[١٤٠] قد خسروا هلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحرّموا ما رزقهم الله كذباً على

وقالوا هذه أُنْعَمٌ وَحُرِّمَتْ جِزْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِغْمِهِمْ وَأُنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأُنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى الْأَزْوَاجِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْبِئَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ كَكَبِيرِ عَلَيْهِ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ • وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَعَجْرٌ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَّاتِ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَبَرِ الْأَنْعَامِ حَمَلَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنْ رِزْقِكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

الله. قد تبعدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد. فالحلل ما أحلّه الله، والحرام ما حرّمه الله، وليس لأحد من خلقه فرداً كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

[١٤١] والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالاعتاب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعاً طعمه، والزيتون والرُّمَّان متشابهاً منظره، ومختلفاً ثمره وطعمه. كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم قطفه وحصاده، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده، يانفاق المال في غير وجهه.

[١٤٢] وأوجد من الأنعام ما هو مهيباً للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيباً لغير الحمل لضعفه وقربه من الأرض كالبقرة والغنم، كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام، ولا تحرموا ما أحلّ الله منها اتباعاً لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

تَمَسِينَةَ أَرْوَجٍ مِّنَ الضَّأْنِ الْأَنْثِيِّينَ وَمِنَ الْمَعَزِ الْأَنْثِيِّينَ
 قُلْ، الَّذِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْأَنْثِيِّينَ أَنَا أَشْتَمَكْتُ عَلَيْهِ
 أَرْحَامَ الْأَنْثِيِّينَ نَتَوَفَّى بِعِلْمٍ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٥﴾
 وَمِنَ الْإِبِلِ الْأَنْثِيِّينَ وَمِنَ الْبَقَرِ الْأَنْثِيِّينَ قُلْ، الَّذِينَ
 حَرَّمَ أَمْرَ الْأَنْثِيِّينَ أَنَا أَشْتَمَكْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأَنْثِيِّينَ
 أَنْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ، إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا قَمَرًا
 أَظْلَمَ مَعْنَى أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَيْدًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِعَدْوِي
 عِلْمٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
 فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فِسْقًا أَوْ لَحْمَ بَهِيمَةٍ عَلَيْهِ قَمَرٌ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ رَبَّاعٌ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
 كُلَّ ذِي ظُفْرِ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَتَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَعَافِيهِمْ وَاتَّأَصَّدَقُوا ﴿١٤٨﴾

[١٤٣] هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقرة والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكوراً وإناثاً، والمعز ذكوراً وإناثاً. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: هل حَرَّمَ الله الذكريين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك؛ لأنهم لا يجرمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّمَ الله الأنثيين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضاً؛ لأنهم لا يجرمون كل أنثى من ولد الضأن والمعز. وقل لهم: هل حَرَّمَ الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضاً؛ لأنهم لا يجرمون كل حمل من ذلك، خبروني بعلم يدل على صحة ما ذهبت إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونه إلى ربكم.

[١٤٤] والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكوراً وإناثاً، واثنان من البقر ذكوراً وإناثاً. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: أحرَّمت الله الذكريين

أم الأنثيين؟ أم حرَّمت ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ذكوراً وإناثاً؟ أم كنتم أيها المشركون حاضرين، إذ وصاكم الله بهذا التحريم للأنعام؟ فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب؛ ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى. إن الله تعالى لا يوفق للرشد من تجاوز حدَّه، فكذب على ربه، وأضلَّ الناس.

[١٤٥] قل -أيها الرسول-: إني لا أجد فيما أوحى إليَّ شيئاً محرماً على من يأكله مما تذكرون أنه حرَّم من الأنعام، إلا أن يكون قد مات بغير تذكية، أو يكون دماً مرقاً، أو يكون لحم خنزير فإنه نجس، أو الذي كانت ذكاته خروجاً عن طاعة الله تعالى؛ كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح. فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات؛ بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلبذاً، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله تعالى غفور له، رحيم به. وقد ثبت -فيما بعد- بالسنة تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، والحمر الأهلية، والكلاب.

[١٤٦] واذكر -أيها الرسول- هؤلاء المشركين ما حرَّمتنا على اليهود من البهائم والطيور؛ وهو كل ما لم يكن مشقوق الأضباع كالإبل والنعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما غلق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك. ذلك التحريم المذكور على اليهود عقوبة منَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، وإنَّا لصادقون فيما أخبرنا به عنهم.

[١٤٧] فإن كذبك - أيها الرسول - مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم، فقل لهم: ربكم جل وعلا ذورحمة واسعة، ولا يذفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتمسبوا الذنوب، واجترحوا السيئات. وفي هذا تهديد لهم لمخالفتهم الرسول ﷺ.

[١٤٨] سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك - نحن وأباؤنا - وأن لا نحرم شيئاً من دونه ما فعلنا ذلك، ورد الله عليهم ببيان أن هذه الشبهة قد أثارها الكفار من قبلهم، وكذبوا بها دعوة رسلكم، واستمروا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله. قل لهم - أيها الرسول -: هل عندك - فيما حرمت من الأنعام والرزق، وفيما زعمته من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأجبه لكم - من علم صحيح فتظفروه لنا؟ إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن، وإن أنتم إلا تكذبون.

[١٤٩] قل - أيها الرسول - لهم: قلله - جل وعلا -

فإن كذبك فقل ربكم ذورحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴿١٤٧﴾ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من تحريم كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تنهون إلا الظن وإن أنتم إلا خردون ﴿١٤٨﴾ قل فبئس للبعثة البليغة فاتوا لهدنكم أجمعين ﴿١٤٩﴾ قل هاتر شهادتكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالأخرة وهم يرتبون يهود ﴿١٥٠﴾ قل قالوا أنزل ما حرّم ربكم علينا إلا نشركم به. شيئاً وبالقولين إحصاء ولا تقتلوا أولادكم من امتي ممن تزفكم وابتغاهم ولا تقرّبوا القرى ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصنكم به لعلكم تتقون ﴿١٥١﴾

الحجة القاطعة التي تقطع بها ظنونكم، فلو شاء لوقفتكم جميعاً إلى طريق الاستقامة.

[١٥٠] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرّم ما حرّمته من الرزق والأنعام، فإن شهدوا - كذباً وزوراً - فلا تصدقهم، ولا توافق الذين حكّموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيما ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم بربهم يشركون فيعبدون معه غيره.

[١٥١] قل - أيها الرسول - لهم: تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم من أجل فقر نزل بكم، فإن الله يرزقكم وإياهم، ولا تقرّبوا ما كان ظاهراً من كبير الآثام، وما كان خفياً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل، أو الزنى بعد الإحصان، أو الردة عن الإسلام، ذلك المذكور مما نهاكم الله عنه، وعهد إليكم باجتماعه، وما أمركم به، وصاحكم به ربكم، لعلكم تعقلون وأمره ونواهيه.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ أَشُدَّهُ
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُلْ فَنَسًا إِلَّا
 وَسْعًا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كُنْتُمْ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْمِدُ
 اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾
 وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
 فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
 أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يَلْقَاهُ
 رَؤُوفًا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتَّبِعُوهُ
 وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ تَقْوَى الْبَشَرِ الْأَنْزِلَ الْكِتَابَ عَلَى
 طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيضِينَ ﴿٥٨﴾
 أَوْ تَقْوُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ
 مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَّقَ عَنْهَا سَعَتِي الَّذِينَ
 يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ يُعَاكَفُونَ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿٥٩﴾

﴿١٥٢﴾ ولا تقربوا أيها الأوصياء مال من مات أبوه وهو صغير إلا بالجمال التي تصلح بها أمواله ويتنفع بها، حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشداً، فإذا بلغ ذلك فسلموا إليه ماله، وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء، وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيما قد يكون من نقص، لا تكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فتحروا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خير أو شهادة أو حكم أو شفاععة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق، وأوفوا بما عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته، ذلكم التلؤ عليكم من الأحكام، وصاكم به ربكم؛ رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

﴿١٥٣﴾ ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فنفركم وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم، ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ لتتقوا عذابه بفعل أوامره واجتتاب نواهيه.

﴿١٥٤﴾ ثم قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي آتى موسى التوراة، تماماً لنعمته على المحسنين من أهل ملته، وتفصيلاً لكل شيء، من أمور دينهم، وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم؛ رجاء أن يصدقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

﴿١٥٥﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد ﷺ، خيرة كثير فاتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه، واتقوا الله أن تخالفوا له أمراً؛ رجاء أن ترحموا فتنجوا من عذابه، وتظفروا بشوابه.

﴿١٥٦﴾ وأنزلنا هذا القرآن؛ لنلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى، وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة.

﴿١٥٧﴾ ولنلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أننا أنزل علينا كتاب من السماء، كما أنزل على اليهود والنصارى، لكنا أشد استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة من ربكم وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة، فلا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن كذب بحجج الله تعالى وأعرض عنها!! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقاباً شديداً في نار جهنم؛ بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصددهم عن سبيلنا.

[١٥٨] هل ينتظر الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده يوم القيامة، أو يأتي بعض أشراف الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟ فحين يكون ذلك لا ينفع نفساً إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل، ولا يقبل منها إن كانت مؤمنة كسب عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك. قل لهم - أيها الرسول -: انتظروا مجيء ذلك؛ لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك. [١٥٩] إن الذين فرّقوا دينهم بعدما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقة وأحزاباً، إنك - أيها الرسول - بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن ياحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته. [١٦٠] من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، ومن لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.

[١٦١] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

[١٦٢] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي، وأي: دُئبي لله وحدد - لا للأصنام، ولا للأموال، ولا للجن. ولا لغير ذلك مما تذبجونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون - وحياتي وموتي لله تعالى رب العالمين. [١٦٣] لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته، وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي جلّ وعلا، وأنا أول من أقرّ وانقاد لله من هذه الأمة.

[١٦٤] قل - أيها الرسول -: أعير الله أطلب إليها، وهو خالق كل شيء ومالكة ومدبره؛ ولا يعمل أي إنسان عملاً سيئاً إلا كان إثم عليه، ولا تحمل نفس أئمة إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين.

[١٦٥] والله سبحانه هو الذي جعلكم تختلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعروها بعدهم بطاعة ربكم. ورفع بعضكم في الرزق والقوة فوق بعض درجات؛ ليلبؤكم فيما أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره. إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه، وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحاً وتاب من الموبقات، رحيم به، والغفور والرحيم اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا نَمُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا يَزِيدُ فَرَادِيَهُمْ ذِكْرًا وَسِعَاءً لَنْتُمْ مِنْهُ فِي نَجَى إِنَّمَا مَرْغَمُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَزَيِّرْ لَهُمْ وَمَا كَانُوا يُفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ الْإِثْمَانُ وَهُوَ لَا يُظَاهَرُ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رِيقِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قَيْمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَبْتُ لَكُمْ بَعْضَ مَا كُنْتُمْ فِيكُمْ فَتَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا أَتَيْتُمْ بِهِمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

[سورة الأعراف]

[١] ﴿التَّصَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول- فلا يكن في صدرك شك منه في أنه أنزل من عند الله، ولا تتحرج في إبلاغه والإنذار به، أنزلناه إليك؛ لتخوف به الكافرين وتذكر المؤمنين.

[٣] اتبعوا -أيها الناس- ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامثال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء كالشياطين والأخبار والرهبان. إنكم قليلاً ما تتعظون وتعتبرون، فترجعون إلى الحق.

[٤] وكثير من القرى أهلكتنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بنذل الآخرة، فجاءهم عذابنا مرة وهم نائمون ليلاً، ومرة وهم نائمون نهاراً. وحُصَّ الله هذين الوقتين بالذكور؛ لأنهما وقتان للسكون والاستراحة، فمجيء العذاب فيها أفظم وأشد.

[٥] فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم.

[٦] فَلَنَسْأَلَنَّ الأُممَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الْمُرْسَلُونَ: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟ ولنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ عَنْ تَبْلِيغِهِمْ لِرِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَمَّا أَجَابْتَهُمْ بِهِ مِنْهُمْ.

[٧] فَلَنَنْقُصَنَّ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ مَا عَمِلُوا بِعِلْمٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَمَرْنَا بِهِمْ، وَمَا نَهَيْناهُمْ عَنْهُ، وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عَنْهُمْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

[٨] ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن نقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

[٩] ومن حَقَّتْ موازين أعماله -لكثرة سيئاته- فأولئك هم الذين أضاعوا حظهم من رضوان الله تعالى؛ بسبب تجاوزهم الحد بمجدد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها.

[١٠] ولقد مكَّنا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قراراً لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشكرتم نعم الله قليل.

[١١] ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صوّرناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق، ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكراماً واحتراماً وظهاراً لفضل آدم- فسجدوا جميعاً، لكنَّ إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لأدم؛ حسداً له على هذا التكريم العظيم.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّصَّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجًا مِمَّنْ
لِيُنذِرَ بِهِ. وَذَكَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَمْ مِّن قَوْمٍ أَنهَأَكُنَّا عَنْهَا قِبْلَةً هَا بَأْسًا تَيَمَّنَّا أَوهَنًا
قَابِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذ جَاءَهُمْ أَنَسَاءُ الْآلِ أَنْ قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوِزْنَ يُوزِنُ بِالْحَقِّ مَن نَّقَلْت مَوَازِينَهُ قَالُوا لَيْسَ هُنَا
أَلْفُ لِحْوَةٍ ﴿٨﴾ وَمَن حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهَرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعْيَشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فَذُكِّرْتُم مَّا تَكْفُرُونَ فَذُكِّرْتُم لَمَّا تَبَيَّنَّا لَكُمُ
أَن جَاءُوا لَدَمًا فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

[١٢] قال تعالى منكراً على إبليس تترك السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقاً؛ لأنني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين. فرأى أن النار أشرف من الطين.

[١٣] قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين.

[١٤] قال إبليس لله -جل وعلا- حينما يشس من رحمته: أمهلني إلى يوم البعث؛ وذلك لأنك لا تمكث من إغواء من أقر عليه من بني آدم.

[١٥] قال الله تعالى: إنك ممن كتبنا عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى في «القرن»، إذ يموت الخلق كلهم.

[١٦] قال إبليس لعنه الله: فبسبب ما أضللتني لأجتهد في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدنهم عن الإسلام الذي فطرتم عليه.

[١٧] ثم لآتيهم من جميع الجهات والجوانب، فأصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل، وأرغبهم في الدنيا،

قَالَ مَا مَنَعَكَ الْأَتْسُجِدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَيَسْأَلُ عِبَادِي مَا أَفْعَدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَذِيقُهُمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مُدْمَعًا وَمَأْتَمِرًا لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيُنَادِيهِمْ وَأَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مِنَ الْمَكِينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاَسَمَهُمَا إِلَى الْكَاذِبِينَ الْفَصِيحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضَعَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

وأشككهم في الآخرة، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك.

[١٨] قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة محموتاً مطروداً، لأملائج جهنم منك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

[١٩] وبإذن آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلوا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عَظْمِهَا) لها، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

[٢٠] فألقى الشيطان لآدم وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها؛ لتكون عاقبتهما انكشاف ما ستر من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمرة هذه الشجرة من أجل أن لا تكونا ملكين، ومن أجل أن لا تكونا من الخالدين في الجنة.

[٢١] وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك.

[٢٢] فجزأهما وغرهما، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فلما أكلتا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترها الله به قبل المخالفة، فأخذتا يَلْزَقَانِ بعض ورق الجنة على عوراتهما، وناداهما ربهما جل وعلا: ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟ وفي هذه الآية دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه كان ولم يزل مستهجنًا في الطباع، مستحبًا في العقول.

قَالُوا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا نَعْمُ كَلِمَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ بَنِي آدَمَ قَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ
 لِبَاسًا يُؤَيِّرُ سَوْءَ ذِكْرٍ وَرِبَاسًا لِبِئْسَ الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَبْرٌ
 ذَٰلِكَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ بَنِي آدَمَ لَا يَفْقَهُنَّ كُر
 الْشَّيْطَانِ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
 لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا إِنَّهُم بَرَكُوا فِي الْأَرْضِ مَعَ قَوْمِهِمْ مِنْ
 حَيْثُ لَا يَأْمُرُونَهُمُ إِنَّمَا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾
 وَإِنَّمَا جَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَآلِهَةَ آمُرْنَا بِهَا
 قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ وَأَنْتُمْ لَعَالِمُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
 وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
 فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا
 الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[٢٣] قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حقلهم في دنياهم وأخرامهم. وهذه الكلمات هي التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها فتاب الله عليه.

[٢٤] قال تعالى مخاطباً آدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدواً، ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه، وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

[٢٥] قال الله تعالى لآدم وحواء وذريتهما: فيها تحيون، أي: في الأرض تقضون أيام حياتكم الدنيا، وفيها تكون وفاتكم، ومنها يخرجكم ربكم، ويحشركم أحياء يوم البعث.

[٢٦] يا بني آدم قد جعلنا لكم لباساً يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباساً للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم، ولباس تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي مرَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى

ووحديته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا الله عليها. وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خلقه بهذه النعم.

[٢٧] يا بني آدم لا يخذلكنكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زينها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فأحذروهم. إنَّما جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه.

[٢٨] وإذا أتى الكفار قبيحاً من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول-: إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها. أتقولون على الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟

[٢٩] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربِّي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

[٣٠] جعل الله عباده فريقين: فريقاً وفقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقاً وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم؛ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً منهم، وظناً أنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

[٣١] يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة، من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب، وغير ذلك.

[٣٢] قل -أيها الرسول- هؤلاء الجهلاء المشركين: من الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومن الذي حرم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إن ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركون فيها غيرهم، خاصة لهم يوم القيامة. مثل ذلك التفصيل يفضل الله الآيات لقوم يعلمون ما يبين لهم، ويفقهون ما يميز لهم.

[٣٣] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين: إنما حرم الله القبايح من الأعمال، ما كان منها ظاهراً، وما كان

خفياً، وحرم المعاصي كلها، ومن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك مجانب للحق، وحرم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُعزَل به دليلاً وبرهاناً، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرم أن ننسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرعه افتراءً وكذباً، كدعوى أن لله ولداً، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمأكول.

[٣٤] ولكل جماعة اجتمعت على الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وقت لحلول العقوبة بهم، فإذا جاء الوقت الذي وقته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه.

[٣٥] يا بني آدم إذا جاءكم رسل من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤكم به فأطيعوهم، فإنه من اتقى سخطي وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

[٣٦] والكفار الذين كذبوا بالذات على توحيد الله، واستعلوا عن اتباعها، أولئك أصحاب النار ماكين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

[٣٧] لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذب بآياته المنزل، أولئك يصل إليهم حظهم من خير وشر في الدنيا مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعترفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذبين وحدانية الله تعالى.

• يَبْنِي آدَمَ خُدُورَ رَبِّتِكَرْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّبِيَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهَا لَا يُجْرَمُونَ وَلَا يَسْتَفْهِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي آدَمَ إِنَّمَا يَنْتَظِرُ كُرْسِيًّا فَمَنْ كَرِهَ يَفْضُوزْ عَلَيْهِ كَرَاهِيَّتِي فَمَنْ أَتَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ يَتَالِهَةُ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٧﴾ هُوَ الَّذِي كَذَّبَ عَنْهُ رُسُلُنَا يَفُوتُونَهُمْ قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ قَالُوا لَوْلَا نُنزِّلُ الْآيَاتِ لَكُنَّا فِيهَا كَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أَصَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَنَّا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ فَهُمْ فِي أَلْسِنَتِنَا أَوْلَىٰ مِنَ الذُّبَابِ يُنقَضُونَ عَنْ قُرُونِهِمْ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مِمَّنْ يَبْغُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٨] قال الله تعالى - لهؤلاء المشركين المقربين -: ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر. قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس، كلما دخلت النار جماعة من أهل بيلة لعنت نظيرتها التي ضلّت بالافتداء بها، حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرين منهم جميعاً. قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق، فأتهم عذاباً مضاعفاً من النار. قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار، ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام. [٣٩] وقال المتبعون من الرؤساء وغيرهم لأتباعهم: نحن وأنتم متساورون في السعي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب فلا فضل لكم علينا، قال الله تعالى لهم جميعاً: فدوروا العذاب أي عذاب جهنم؛ بسبب ما كسبتم من المعاصي.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَحْنَتْ أَصْحَابُهَا حَتَّى إِذَا دَخَلُوا فِيهَا جُمِعَا فَذُكِرَ لَهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا قَدِيمًا وَعَذَابُنَا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُنَّ لَأَخْرَجُنَّ قَتَاتِكُمْ لَعْنَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ ضَلْوٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ بِنِ الْذِيَّتِ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْكَبُوا عَلَيْهَا قَدْ نَفَخْنَا لَهَا نُفُوسَ السَّاءِ وَلَا يَذْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْلِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَمْ يَمِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُخْزِي مِنْ تَحْتِهِمُ أَنْتَهَرُوا وَقَالُوا الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوْا أَنْ يُنْكِرُوا الْجَنَّةَ أَوْ رُفُسُمُوهَا بِمَا كُنْتُ تَفْعَلُونَ ﴿٤٣﴾

[٤٠] إن الكفار الذين لم يصدقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبراً واستعلاء. لا تُفْتَحُ لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات أبواب السماء، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل. ومثل ذلك الجزاء نجزي الذين كثر إجرامهم، واشتد طغيانهم. [٤١] هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم من جهنم فراش من تحتهم، ومن فوقهم أعظية تقشاهم. وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعضوه. [٤٢] والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة في حدود طاقاتهم - لا يكلف الله نفساً من الأعمال إلا ما تطيق - أولئك أهل الجنة، هم فيها ما يكون أبداً لا يخرجون منها. [٤٣] وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أن هدانا الله سبحانه لسلك هذا الطريق. ووفقنا للثبات عليه. لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعده أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، وودودا تهنئة لهم وإكراماً: أن تلجكم الجنة أو نركم الله إياها برحمته. وبما قد متوه من الإيمان والعمل الصالح.

[٤٤] ونادى أصحاب الجنة - بعد دخولهم فيها - أهل النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة رسله حقاً من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على السنة رسله حقاً من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. فأذن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أن لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

[٤٥] هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعرضون عن طريق الله المستقيم. ويسمعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة - وما فيها - جاحدون.

[٤٦] وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كلباس وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَكَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَمُوا عَلَيْهِمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَنْظِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَفْعَى عَلَيْكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ أَهْوَلًا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَمُوتُ اللَّهُ بِرِخْمَةٍ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَاحِقُونَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا وَيْسُهُنَّ مَوَدَّةً وَيَعْبَإِ وَغَرَّبَهُنَّ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ تَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٢﴾

الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها.

[٤٧] وإذا حُولَّتْ أَبْصَارُ رِجَالِ الْأَعْرَافِ جِهَةَ أَهْلِ النَّارِ قَالُوا: رَبَّنَا لَا تُصَيِّرْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ بِشْرِكِهِمْ وَكَفْرِهِمْ.

[٤٨] ونادى أهل الأعراف رجالاً من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم. قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقبول الحق.

[٤٩] أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة، الذين أقسمتم في الدنيا إن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ويقال لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة فقد غُفِرَ لَكُمْ، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا

أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

[٥٠] واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَمَ الشَّرَابَ والطعام على الذين جحدوا توحيداً، وكذبوا رسله.

[٥١] الذين حَرَمَهُمُ اللَّهُ تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله بتابعه لهواً وباطلاً، وخذعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن العمل للآخرة، فيوم القيامة ينسأهم الله تعالى ويتركهم في العذاب

الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

وَأَعَدَّ جَنَّتَهُمْ بِكَتَبٍ فَصَلَّتْهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
 يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِنْ قِبَلِ قَدِّ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ
 قَهَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَيَسْفَعُؤُنَا أَوْ تُرْسِدُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي
 كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسُنَا وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ
 يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ
 بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
 ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْتَعِرِينَ ﴿٥٥﴾
 وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
 إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
 الرِّيحَ بِشَرِّهَا لِيَنْفِثَ بِرِيحِهِ رِيحًا إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا مَتَّعًا
 سُقْتَهُ لِيَكْسِبَ قَائِرُنًا مِنَ الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ مِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُفْخِجُ الْمَوْتِقَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٢] ولقد جئنا الكفار بقرآن أنزلناه عليك - أيها الرسول - بآياته مشتتلاً على علم عظيم، هادياً من الضلالة إلى الرشيد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه، وخصهم بالذكر دون غيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون به.

[٥٣] هل ينتظر الكفار إلا ما وُعدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟ يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: قد تبين لنا الآن أن رسل ربنا قد جاؤوا بالحق، ونصحوا لنا، فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا، أو هل نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلقوهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترونه في الدنيا مما يعبدهم به الشيطان. [٥٤] إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام، ثم استوى

- سبحانه - على العرش - أي: - علا وارتفع - استواءً يليق بجلاله وعظمته، يُدخل سبحانه الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعاً دائماً، وهو - سبحانه - الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذلات له يسخرهن - سبحانه - كما يشاء، وهن من آيات الله العظيمة. ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعاظم وتزه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين. [٥٥] ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم متذللين له خفية وسراً، وليكن الدعاء بمخشوع وبُغدي عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك. [٥٦] ولا تُفسدوا في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل - عليهم السلام - وغمرانها بطاعة الله، وادعوه - سبحانه - مخلصين له الدعاء؛ خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه. إن رحمة الله قريب من المحسنين.

[٥٧] والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة، مبشرات بالغيث الذي تثمره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله، حتى إذا حملت الريح السحاب المحمل بالمطر ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أُجدبت أرضه، وبَيست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلاً والأشجار والزروع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات. كما نُحي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فناءهم؛ لتتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث.

[٥٨] والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تخرج نباتاً -ياذن الله ومشيتته- طيباً ميسراً، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها، وأثمرت فيه حياة صالحة، أما الأرض السبخة الرديئة فإنها لا تخرج النبات إلا عسراً رديئاً لا نفع فيه، ولا تخرج نباتاً طيباً، وكذلك الكافر لا ينتفع بآيات الله، مثل ذلك التنوع البديع في البيان تُشوع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه.

[٥٩] لقد بعثنا نوحاً إلى قومه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإنني أخاف أن يجعل عليكم عذاب يوم يبعثون فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة.

[٦٠] قال له سادتهم وكبراهم: إنا لنعتقد -يا نوح- أنك في ضلال بين عن طريق الصواب.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَهَذَا مِنْ رَبِّهِ، وَالَّذِي حَتَّى لَا يَخْرُجَ إِلَّا أَنْ تَكْتُمَ ذَلِكَ هَضْبُهُ، الْآيَاتُ يَقُومُ بِشُكْرِهِ ٥
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥
قَالَ الْمَلَأِينَ قَوْمِهِ: إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥ قَالَ يَقُومُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥
أَبْلَغَكُمْ رَسُولِي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٥ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْكُرُ لَيْسَ ذِكْرُكُمْ وَلَتَنْفَعُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْجِعُونَ ٥
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ٥ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٥ قَالَ الْمَلَأَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٥
قَالَ يَقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥

[٦١] قال نوح: يا قوم لست ضالاً في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه، ولكي رسول من رب العالمين ربي وربكم ورب جميع الخلق.

[٦٢] أبلغكم ما أرسلت به من ربي، وأنصح لكم، محذراً لكم من عذاب الله ومبشراً بشوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

[٦٣] وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، عل لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله تعالى وعقابه، ولتتقوا سخطه بالإيمان به، ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟

[٦٤] فكذبوا نوحاً فأنجيناه، ومن آمن معه في السفينة، وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحججنا الواضحة، إنهم كانوا غني القلوب عن رؤية الحق.

[٦٥] ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هوداً حين عبدوا الأوثان من دون الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟

[٦٦] قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقض العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

[٦٧] قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي، ولكي رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

[٦٨] أَبْلَغَكُمْ مَا أُرْسِلِي بِهِ ربي اليكم، وأنا لكم -فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته- ناصح، أمين على وحي الله تعالى.

[٦٩] وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى اليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض من قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم؛ رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

[٧٠] قالت عاد لهود عليه السلام: أدعوتنا لعبادة الله وحده، وهجر عبادة الأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟ فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول.

أَتَيْتُكُمْ رَسُولَتِي ربي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيَذُرْكُمْ وَأَذْكَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَبْعٍ لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَتَذَرَنَا كَمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَأَنَّى يَمِيزُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أُعْجِبُ لَوْ تَتَى فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَشْتُمُوهَا وَإِنَّا لَكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَعَذِّبِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِن سَمَوْا أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اغْبَثُوا أَفَلَمْ تَدْرِكُوا مِنْ آلِهِ عِزَّةً قَدْ جَاءَتْكُمْ نَكْرَةً بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ هَئِنذِ نَادَى اللَّهُ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسْهَوْهَا يَسْهَوًّا يَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

[٧١] قال هود لقومه: قد حلَّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا، أنجاد لوني في هذه الأصنام التي سميتموها آلهة أنتم وأباؤكم؟ ما نزل الله بها من حجة ولا برهان؛ لأنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وإنما المعبود وحده هو الخالق سبحانه، فانظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزوله، وهذا غاية في التهديد والوعيد.

[٧٢] فوقع عذاب الله بإرسال الريح الشديدة عليهم، فأنجى الله هوداً والذين آمنوا معه برحمة عظيمة منه تعالى، وأهلك الكفار من قومه جميعاً ودمرهم عن آخرهم، وما كانوا مؤمنين؛ لجمعهم بين التكذيب بآيات الله وترك العمل الصالح.

[٧٣] ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً لئلا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى، فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلَّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جنتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوت الله أمامكم. فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتهم. فتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجه.

[٧٤] واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم تخلفون في الأرض من قبلكم. من بعد قبيلة عاد، ومكن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها، فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتنتحون من جبالها بيوتاً أخرى، فاذكروا نعم الله عليكم، ولا تسعوا في الأرض بالإفساد.

[٧٥] قال السادة والكبراء من الذين استعلوا- من قوم صالح- للمؤمنين الذين استضعفوه، واستهانوا بهم: أتعلمون حقيقة أن صالحاً قد أرسله الله إلينا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون بما أرسله الله به، متبعون لشرعه.

[٧٦] قال الذين استعلوا: إنا بالذي صدقتم به واتبعتموه من نبوة صالح جاحدون.

[٧٧] فنحروا الناقة استخفافاً منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا على سبيل

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خَلْقَهُمْ مِنْ تَدْرٍ عَادٍ وَتَوَّابِكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحِنُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَصْعَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسَأُوا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَنْتَضِعُوا لِنِيعِ آلِمِنْ مِنْهُمْ أَنْتَعَمُونَ أَنْ صَلِحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ. قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ آسَأُوا إِنَّا بِالَّذِي آتَيْنَاكُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٥﴾ عَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَخِيَّتَنَا يَا حَيْدَانُ أَنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذْنَا مِنَ الرَّحْمَةِ فَاسْفُحًا فِي دَارِهِمْ جَحِيمِينَ ﴿٧٦﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَوْ طَافَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: إِنَّا أَنْتَونَ الْفَجِحَّةُ مَا سَمِعْتُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الْبَعْضُ لَنَا أَنْ الرَّجَالِ شَهْوَةٌ مِنَ ذَوْبِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ﴿٧٨﴾

الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح اثنتا بما تتوعدنا به من العذاب، إن كنت من رسل الله.

[٧٨] فأخذت الذين كفروا الزلزلة الشديدة التي خلعت قلوبهم، فأصبحوا في بلدهم هالكين. لاصقين بالأرض على رؤسهم ووجوههم، لم يُفليت منهم أحد.

[٧٩] فأعرض صالح عليه السلام عن قومه -حين عقروا الناقة وحل بهم الهلاك- وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبئذ لئن لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح، ولكنكم لا تحبون الناصحين. فرددتهم قلوبهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

[٨٠] واذكر- أيها الرسول- لوطاً عليه السلام حين قال لقومه: أتفعلون الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح؟ ما فعلها من أحد قبلكم من المخلوقين.

[٨١] إنكم لتأتون الذكور في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مباليين بقبحها، تاركين الذي أحله الله لكم من نساءكم. بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإسراف في المعاصي والشهوات. إن إتيان الذكور دون الإناث من الفواحش التي ابتدعها قوم لوط، ولم يسبقهم بها أحد من الخلق.

وَمَا كُنَّا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمُ آبَائُكُمْ يَتَّبِعُونَكُمْ فَأَنْجَيْتَهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُمْ كَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَنْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْكَ بِكَانَ عَقِبَهُ الْمُتَجَرِّمِينَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْرَتٍ أَعْيَاهُمْ تُعْجِبِينَ قَالَ يَتَقَوَّمُ عُنْدَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ شُكْرًا بِبَيْتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ أَلْمِيزَاتُ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَنْسَابَهُمْ هُمْ لَا تُفْسِدُونَ وَإِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَاحِهَا ذَلِيلٌ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتٍ بِهِ. وَتُبْغِثُوا عِبْرَتًا وَأَنْذِرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنْزُكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَقًّا بِحُكْمِ اللَّهِ بَيِّنَاتًا وَهُوَ خَيْرٌ لِمُحْكِمِينَ ۝

[٨٢] وما كان جواب قوم لوط حين أنكروا عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله من بلادكم؛ إنه ومن تبعه أناس يتزهدون عن إتيان أدبار الرجال.

[٨٣] فأنجى الله لوطاً وأهله من العذاب حيث أمره بمغادرة ذلك البلد، إلا امرأته، فإنها كانت من الهالكين الباقين في عذاب الله.

[٨٤] وعذب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطراً من الحجارة، وقلب بلادهم، فجعل عاليها سافلها، فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترأوا على معاصي الله وكذبوا رسله.

[٨٥] ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيباً عليه السلام، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلٌ وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم على صدق ما أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فأدوا للناس

حقوقهم بإيفاء الكيل والميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم. إن كنتم مصدقاً فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

[٨٦] ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل. إن لم يعطوكم أموالهم. وتصُدُّونَ عن سبيل الله القويم من صدق به عز وجل، وعمل صالحاً، وتبغثون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعاً لأهوائكم، وتنفرون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلاً فكثركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض. وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟

[٨٧] وإن كان جماعة منكم صدقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدقوا بذلك، فانظروا أيها المكذبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلُّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به. والله -جلٌ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباد.

[٨٨] قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام: لنخرجك يا شعيب ومن معك من المؤمنين من ديارنا، إلا إذا صرتم إلى ديننا، قال شعيب -منكراً ومتعجباً من قولهم-: أتنابعكم على دينكم ومملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلينا يبطلناها؟

[٨٩] وقال شعيب لقومه مستدركاً: قد اختلفنا على الله الكذب إن عُدنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا إلا أن يشاء الله ربنا، وقد وسع ربنا كل شيء علماً، فيعلم ما يصلح للعباد، على الله وحده اعتادنا هداية ونصرة، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

[٩٠] وقال السادة والكبراء المكذبون الراضون لدعوة التوحيد إيماناً في العتو والتمرد، محذرين من

• قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَأْتِنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي فِي مِلَّتِكَ تَمْتَدُ إِذْ جَحْتَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا بَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَمْنَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرَ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَئِن آتَيْنَا شُعَيْبًا الْبُكْرَىٰ إِنْآ لَخَيْرٌ مِنْهُ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَمَا كَذَّبُوا آفِيئَةَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩١﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتِي عَلَىٰ قَوْمِي كَيْفِيَوْمِ ﴿٩٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعْنَتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴿٩٣﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكْثًا لَئِيمَةً الْخَيْرَةَ حَتَّىٰ عَقَّبُوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آفِيئَةُ نَا الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ فَآخَذْتَهُمْ بِقِتَّةٍ وَهَرَلَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٤﴾

اتباع شعيب: لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لهالكون.

[٩١] فأخذت قوم شعيب الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى ميثين.

[٩٢] الذين كذبوا شعيباً كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استوصلوا، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الحسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

[٩٣] فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحزن على قوم جحدوا وحادانية الله وكذبوا رسله؟

[٩٤] وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عما هم فيه من الشرك، فكذبهم قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصابتهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام. وفي أموالهم بالفقر والحاجة: رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق.

[٩٥] ثم بدلنا الحالة الطيبة الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسعة ورخاء في أموالهم؛ إمهالاً لهم. ولعلهم يشكرون. فلم يُفد معهم كل ذلك، ولم يعتبروا ولم ينتهوا عما هم فيه، وقالوا: هذه عادة الدهر في أهلنا، يوم خير ويوم شر، وهو ما جرى لأبائنا من قبل. فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يخطر لهم الهلاك على بال.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ لَوَسَّعْنَا عَنْهُمْ بِرَّكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمْرَ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
بَيِّنَاتًا وَهَرَبًا بِمُؤْمِنٍ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمْرَ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهَمَّ بِالْعِصْيَانِ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
لِلدِّينِ نِيرَانًا مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ إِسْرَائِيلَ أَتَىٰ لَوْنِسَاءَ
نَصِبْنَاهُمْ فِي دُونِهِمْ وَتَطْعَمُهُمْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِضْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ
قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَقَالُوا يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لَكَ آيَاتُ اللَّهِ فَتَكْفُرُ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ولو أنّ أهل القرى صدّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كل وجه، ولكنهم كذبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

[٩٧] أليظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن من عذاب الله، أن يأتيهم ليلاً وهم نائمون؟

[٩٨] أو آمن أهل القرى أن يأتيهم عذاب الله وقت الضحى، وهم غافلون متشاغلون بأمور دنياهم؛ وخص الله هذين الوقتين بالذكر؛ لأن الإنسان يكون أغفل ما يكون فيها، فنجي، العذاب فيها أقطع وأشد.

[٩٩] أفأمن أهل القرى المكذبة مكّر الله وإمهاله لهم؛ استدراجاً لهم بما أنعم عليهم في دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم المالكون.

[١٠٠] أو لم يبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بالعذاب بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم، ونحتم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيراً؟

[١٠١] تلك القرى التي تقدّم ذكرها، وهي قري قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقض عليك -أيها الرسول- من أخبارها، وما كان من أمر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت أهل القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق، ومثل حشم الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ.

[١٠٢] وما وجدنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتنال أمره.

[١٠٣] ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذكرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً، فانظر -أيها الرسول- متبصراً كيف فعلنا بهم وأغرقتاهم عن آخرهم برأى من موسى وقومه؛ وتلك نهاية المفسدين.

[١٠٤] وقال موسى لفرعون محاوراً مبلغاً: إني رسول من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبر أحوالهم ومآلهم.

[١٠٥] جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق، وحرّجني بي أن أتزمه. قد جنتكم ببرهان وحجة باهرة من ربكم على صدق ما أذكر لكم، فأطلق -يا فرعون- معي بني إسرائيل من أسرك وقهرك، وخلّ سبيلهم لعبادة الله.

[١٠٦] قال فرعون لموسى: إن كنت جنت بأية حسب زعمك فأتني بها، وأحضرها عندي؛ لتصحّ دعواك ويثبت صدقك. إن كنت صادقاً فيما ادّعت أنك رسول رب العالمين.

[١٠٧] فألقى موسى عصاه، فتحولت حية عظيمة ظاهرة للعيان.

[١٠٨] وجذب يده من فتحة قميصه المفتوحة إلى الصدر أو من تحت إبطه، فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص أية لفرعون، فإذا ردها عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

[١٠٩] قال الأشراف من قوم فرعون: إن موسى لساحر يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم أن العصا حية، والشيء بخلاف ما هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

[١١٠] يريد أن يخرجكم جميعاً من أرضكم، قال

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جُنْتُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِنتَ بِبَيِّنَةٍ فَاتِنِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۖ قَالَ نَقُرْ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَفَٰثًا مَّوْبِقِينَ ۖ وَنَزَعْنَا مِنْهُ آفَآئِهِ بَيِّنَةً
لِلنّٰطِقِيْنَ ۖ قَالَ الْمَلَأَيْنِ قُوْرَهُ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ
عَلَيْهِ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تُأْمُرُونَ ۖ
قَالُوا أَرْسِلْ أَوْحَاةَ وَرَسُلَ فِي الْمَدَائِنِ حٰشِرِيْنَ ۖ يَا تُوْكَ
بِكُلِّ سِحْرٍ عَظِيمٍ ۖ وَجَاءَ السّحْرُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِيْنَ ۖ قَالَ نَسْرُهُ وَآتَٰهُ كُنْ
لِمَنِ الْمَقْضُوبِيْنَ ۖ قَالُوا تَمُوتُونَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُتَحَدِّثُونَ
تَكُوْنُ نَحْنُ الْمَلْفُوفِيْنَ ۖ قَالَ الْفَرَاقَلَمَآ الْفَوَآسِ حَرُورًا
أَنشُرُ النَّاسِ وَأَسْرَهُمْ هُوَ هُوَ وَجَاءَهُ وَسِحْرُهُ عَظِيمٌ ۖ
• وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلٰثٌ مَّآءٌ مُّكْوَنٌ ۖ
فَرَوَعَ الْحَقُّ وَظَلَّ مَا كَانُوا يَصْعَلُونَ ۖ قَلْبُوا
هُنَالِكَ وَآقَلْبُوا صَغِيرِيْنَ ۖ وَأَلْقَى السّحْرَةَ سَجِيْدِيْنَ ۖ

فرعون: فبماذا تشيرون عليّ أيها الأشراف في أمر موسى؟

[١١١] قال من حضر مناظرة موسى من سادة قوم فرعون وكبرائهم: أخّر موسى وأخاه هارون، وابتعث في مدائن مصر وأقالبها الشُّرط.

[١١٢] ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر.

[١١٣] وجاء السحرة فرعون قالوا: أتئذ لنا لجائزة ومالاً إن غلبنا موسى؟

[١١٤] قال فرعون: نعم لكم الأجر والقرب مني إن غلبتموه.

[١١٥] قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكبر وعدم المبالاة: يا موسى اختر أن تلقني عصاك أولاً، أو تلقني نحن أولاً.

[١١٦] قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم، فلما ألقوا الجبال والعصيّ سحروا أعين الناس، فخيّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، وأرهبوا الناس إرهاباً شديداً، وجاؤوا بسحر قوي كثير.

[١١٧] وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم، الذي فرّق الله فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها فإذا هي تلبع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل.

[١١٨] فظهر الحق واستبان لمن شاهده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق، وبطل الكذب الذي كانوا يعملونه.

[١١٩] فغلب جميع السحرة في مكان اجتماعهم. وانصرف فرعون وقومه أذلاء مقهورين مغلوبين.

[١٢٠] ونقّر السحرة سُجّداً على وجوههم لله رب العالمين، لما تابوا من عظيم قدرة الله.

[١٦١] قالوا: آمنا برب العالمين.

[١٦٢] وهو رب موسى وهارون، وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون من سواه.

[١٦٣] قال فرعون للحرّة: أمنتُم بالله قبل أن أذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتنا. فسوف تعلمون -أيها الحرّة- ما يحلّ بكم من العذاب والنكال.

[١٦٤] لأظعن أيديكم وأرجلكم -أيها الحرّة- من خلاف: يقطع اليد اليسرى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لأعلقنكم جميعاً على جذوع النخل؛ تنكيلاً بكم وإرهاباً للناس.

[١٦٥] قال الحرّة لفرعون: قد تحققتنا أنّنا إلى الله راجعون، وأن عذابه أشد من عذابك، فلنصبرنّ اليوم على عذابك؛ لنبنحو من عذاب الله يوم القيامة.

[١٦٦] ولست تعيب منا وتنكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلتها التي جاء بها موسى، ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض، ربنا أفوض علينا صبراً عظيماً وثباتاً عليه، وتوفّقنا متقادين لأمرك متبعين رسولك.

[١٦٧] وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض مصر؟ بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة ألهتك؟ قال فرعون: سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة، وأننا عاون عليهم بقهر الملوك والسلاطين.

[١٦٨] قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعنيوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكارّه في أنفسكم وأبنائكم. إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.

[١٦٩] قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتلينا وأودينا بذبح أبنائنا واستحياء نساننا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا، قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم، فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟

[١٧٠] ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقحط والجذب، ونقص ثمارهم وغلاتهم؛ ليتذكروا، وينجزوا عن ضلالاتهم، ويفرغوا إلى ربهم بالتوبة.

قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٦٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ: أَأَمِنْتُمْ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ أَنْ هَذَا لَكُمْ مَكْرَهُوا فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾ لَأَظْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ فَأَخْلِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا نُنْفِئُكَ إِلَّا أَنْ، آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لِنَأْتِيَ نِسَاءَنا وَنُؤْتِيَهُنَّ غُلَامًا صَبْرًا وَتَوْفِيقًا مُنِيبِينَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أَتَدْرُسُونَ قَوْمَهُمْ يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكَ قَالَ سَنُعْطِيهِنَّ أَهْرَ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُنَّ وَأَنَّا قَوْمٌ فَهْرُونَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦٨﴾ قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْيَمِينِ وَنَقَصَ قُوَّةَ الْفِرْعَوْنَ لَمَلَأَهُ يَدَّكَرُونَ ﴿١٧٠﴾

[١٣١] فإذا جاء نهرهم الحسنة قالوا لئنا هدوهم. وإن ضيبتهم سيئة بظلمة أو يموسى ومن معه إلا ألبسناهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿١٣١﴾ وقالوا همأتا تأتينا به من آية لئنا نحزننا بها فما نحن لك بيمومين ﴿١٣٢﴾ فأرسلنا عليهم الظوفان والجراد والفمل والصداع والدم؛ آتيت مفضلت فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴿١٣٣﴾ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يموسى أذع لنا ربك بما عهد عندك لهن كسفت عنا الرجز لئومرن لك ولئوسلن معك نبى إسرئيل ﴿١٣٤﴾ فلما كسفتنا عنهم الرجز إلى أجل هم يبلغوه إذا هم يتكفرون ﴿١٣٥﴾ فانتقمنا منهم فأعزفناهم في البسة بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غفلين ﴿١٣٦﴾ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشرق الأرض ومغربها التي بركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على نبى إسرئيل بما صبروا وومرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يرشون ﴿١٣٧﴾

[١٣٢] فأرسلنا عليهم سيلاً جارفاً أغرق الزروع والشار. وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم. وأرسلنا القمل الذي يفسد الشمار ويقضي على الحيوان والنبات. وأرسلنا الضفادع فلأت آنتيهم وأطعمتهم ومضاعفهم، وأرسلنا أيضاً الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دماً، ولم يجدوا ماء صالحاً للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض. ومع كل هذا ترفع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً يعملون بما ينهى الله عنه من المعاصي والفسق عتواً وتمرداً.

[١٣٤] ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك من رفع العذاب بالتوبة، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدقن بما جئت به، ولننتعز ما دعوت إليه، ولنطلقن معك بني إسرائيل، فلا تمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا.

[١٣٥] فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجل هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهدهم التى عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقومون على كفرهم وضلالهم.

[١٣٦] فانتقمنا منهم حين جاء الأجل المحدد لإهلاكهم، وذلك بإحلال نعمتنا عليهم، وهى إغراقهم فى البحر؛ بسبب تكذيبهم بالمعجزات التى ظهرت على يد موسى، وكانوا عن هذه المعجزات غافلين، وتلك الغفلة هى سبب التكذيب.

[١٣٧] وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يستذلون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها (وهى بلاد الشام) التى باركنا فيها، بإخراج الزروع والشار والأنهار، وتمت كلمة ربك -أبها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمسكين لهم فى الأرض؛ بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك.

[١٣٨] وقطعنا بيني إسرائيل البحر، وفرّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم، قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنماً تعبده وتتخذة إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار.

[١٣٩] إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مهلك ما هم فيه من الشرك، ومدمر وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

[١٤٠] قال موسى لقرمه: أغير الله أطلب لكم معبوداً تعبدونه من دونه، والله هو الذي خلقكم، وفصلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم، وما خصّكم به من الآيات؟

[١٤١] واذكروا - يا بني إسرائيل - نعمنا عليكم إذ أنقذناكم من أسر فرعون وآله، وما كنتم فيه من

وَجَوَرْنَا بَيْنِي إِسْرَءِيلَ بِبَحْرِ قَاتُوا عَلَيَّ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ
عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ نَجَّيْتَنِي
مِنْ نَارِهَا هُمْ فِيهِ وَيَطْلُبُ مَا كَانُوا يَسْتَلِبُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ اغْبِرْ إِلَهُ
أَبْنِيكُمْ إِلَهُهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ نَجَّيْتَكُمْ
مِنْ نَارِ فِرْعَوْنَ يَسُوءُ سَوَاءَ الْعَذَابِ يُعَسِّرُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَقَمْتَنَهَا بِعَشْرِ فَنَزَرْنَا بِقَبْلِ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَوْفِ بِرَأْفَتِكَ الْبَلَاءَ قَالَ لَنْ تَرْضَىٰ وَلَٰكِن
أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَطَمَّأ
تَجْمَلْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

الهلوان والذلة من تذيب أبنائكم واستبقاء نساءكم للخدمة والامتهان، وفي تخليكم على أقبح العذاب وأسوئه، ثم إنجانكم، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

[١٤٢] وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليالٍ. فتم ما وقّته الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة. وقال موسى لأخيه هارون - حين أراد المضي لمناجاة ربه - : كن خليفتي في قومي حتى أرجع، واحملهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض.

[١٤٣] ولما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة، وكلمه ربه بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، طمع في رؤية الله فطلب النظر إليه، قال الله له: لن تراني، أي: لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلّيت له فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً مستوياً بالأرض، وسقط موسى مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته قال: تنزيهاً لك يا رب عما لا يليق بجلاك، إني تبنت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.

[١٤٤] قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي، وتمسك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصك بكلامه. [١٤٥] وكتبنا موسى في الصوارة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار، وتفصيلاً لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصاص والعقائد والأخبار والمغيبات. قال الله له: فخذها بقوة، أي: خذ الصوارة بحمد واجتهاد، وأمر قومك بعملوا بما شرع الله فيها، فإن من أشرك منهم ومن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه الخارجين عن طاعته. [١٤٦] سأصرف عن قنم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون

نبياً ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإن يتر هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها؛ لإعراضهم ومحادتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق إصلاح لا يتخذوه طريقاً، وإن يروا طريق الضلال، أي الكفر يتخذوه طريقاً وديناً؛ وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها.

[١٤٧] والذين كذبوا بآيات الله وحججه وبلغاه، الله في الآخرة حبطت أعمالهم؛ بسبب قنم شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه، ما يجوزون في الآخرة إلا جزء ما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار.

[١٤٨] واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقتهم ماضياً لمناجاة ربه، معبوداً من ذهبهم مجعلاً جسداً بلا روح، له صوت يُشبه صوت البقر، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؛ أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه.

[١٤٩] ولما ندّم الذين عبدوا العجل من دون الله عند رجوع موسى إليهم، ورأوا أنهم قد ضلوا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار، فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا، ويستر بها ذنوبنا، لتكونن من الهالكين الذين ذهب أعمالهم.

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِلَىٰ أَصْطَقْتِكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُمْ فِي الْأَنْوَاعِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّرْعُطَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنِ آلِ بْنِ الْعَدْنِ الَّذِي يَتَّبِعُكَ فِي الْأَرْضِ بِقَبْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُفْراً فَإِنَّهُ لَيُؤْمِنُ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلاً الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذْهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلاً الْفِتْنِ يَتَّخِذْهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَآيَاتِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ خُلَافِهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خِرَافٌ وَنُؤُودٌ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَ لَهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَوَّطُ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَد ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْتُدَّ رُسُلُنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رِيبِكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْا وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَقَفَدُوا الْعِجْلَ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَلُّوهُ رَحِيمٌ ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِيْنَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ الْوَيْلِ أَهْلَكْتَهُمُ كَمَا قَسَلْتَ أَلْسِنَهُمْ مِمَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَآيَاتُكَ فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِينَ ﴿١٥٦﴾

كل راحم.

[١٥٢] إن الذين اتخذوا العجل إلهاً سينالهم غضب شديد من ربهم وهوان في الحياة الدنيا بسبب كفرهم بربهم، وكما فعلنا بهؤلاء ففعل بالفتيرين المبتدعين في دين الله، فكل صاحب بدعة ذليل.

[١٥٣] والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لعموم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين.

[١٥٤] ولما سكن عن موسى غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للنوح ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

[١٥٥] واختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيارهم، وخرج بهم إلى طور «سيناء» للوقت والأجل الذي واعدته الله أن يلقاه فيه بهم؛ للتوبة بما كان من سفاهة بني إسرائيل من عبادة العجل. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك -يا موسى- حتى نرى الله جهرة فإنك قد كُلمت فارتأنا، فأخذتهم الزلزلة الشديدة فماتوا، فقام موسى يتضرع إلى الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم جميعاً من قبل هذا الحال وأنا معهم، فإن ذلك أخف عليّ، أتهلكنا بما فعله سفاهة الأحلام منا؟ ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم العجل إلا ابتلاء واختبار، تضلُّ بها من تشاء من خلقك، وتهدي بها من تشاء هدايته، أنت ولينا وناصرنا، فاغفر ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير من صفح عن جُرم، وستر عن ذنب.

[١٥٦] واجعلنا ممن كتبنا له الصالحات من الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، إنا رجعنا تائبين إليك، قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به من أشاء من خلقي، كما أصبت هؤلاء الذين أصبتهم من قومك، ورحمتي وسعت خلقي كلهم، فسأ كتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه، فيؤدون فرانضه، ويحبتون معاصيه، والذين هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون.

[١٥٧] هذه الرحمة سأ كتبها للذين يخافون الله ويحبتون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد ﷺ، الذي يجدون صفته وأمره مكتوبين عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد والطاعة وكل ما عرف حسنه، وينهاهم عن الشرك والمعصية وكل ما عرف قبحه، ويحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح، ويحرم عليهم الخبائث منها كحلم الخنزير، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله،

ويذهب عنهم ما كلفوه من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل عمداً كان القتل أم خطأ، فالذين صدقوا بالنبي الأمي محمد ﷺ وأقروا بنبوته، ووقروه وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين.

[١٥٨] قل -أيها الرسول- للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض -الذي له ملك السموات والأرض وما فيها، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفئاته وبعثه، فصدقوا بالله وأقروا بوحدانيته، وصدقوا برسوله محمد ﷺ النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، واتبعوا العمل بما أمركم به من طاعة الله، رجاء أن توفقوا إلى الطريق المستقيم.

[١٥٩] ومن بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق، يهدون الناس به، ويعدلون به في الحكم في قضاياهم.

• وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
إِنَّا هَذَا الْبَيْتَ قَالَ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَنَسَاكَتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاذْبُرُوا، آمَنُوا بِهِ، وَعَزَّرُوا لَهُ، وَوَصَّوهُ، وَاتَّبَعُوا
الرَّسُولَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ هُنَا الْمُرْفَلِي حُوت ﴿١٥٧﴾
قُلْ يَتْلُوهَا النَّاسُ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَمَا تَصِفُوا أَيْدِي اللَّهِ وَرَسُولَهُ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ، وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيُبْذِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿١٦٠﴾ وفرقنا قوم موسى من بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط - وهم أبناء يعقوب - كل قبيلة معروفة من جهة تقييها. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في الثَّيْه: أن اضرب بعصاك الحجر. فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً من الماء. قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم. لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها. وظلنا عليهم السحاب. وأنزلنا عليهم المُنَّ - وهو شيء يشبه الصَّنْغ. طعمه كالعسل - والسلوى، وهو طائر يشبه الشَّمَانِي. وقلنا لهم: كلوا من طبيبات ما رزقناكم، فكروهوا ذلك وملئوه من طول الدارامة عليه، وقالوا: لئن نصير على طعام واحد. وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله. ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ إذ فوّتوا عليها كل خير. وعرضوها للشكر والنعمة.

﴿١٦١﴾ واذكر - أيها الرسول - عصيان بني إسرائيل لربهم سبحانه وتعالى ولنبينهم موسى عليه السلام. وتبديلهم

القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسكنوا قرية بيت المقدس، وكلوا من ثمارها وحسبوا ونباتها أين شئتم ومتى شئتم. وقولوا: حُظَّ عنا ذنوبنا. وادخلوا الباب خاضعين لله، نفقر لكم خطاياكم، فلا نؤاخذكم عليها. وسزيد المحسنين من خَيْرِي الدنيا والآخرة.

﴿١٦٢﴾ فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم. وقالوا: حبة في شجرة. فأرسلنا عليهم عذاباً من السماء. أهلكتناه به؛ بسبب ظلمهم وعصيانهم.

﴿١٦٣﴾ وأسأل - أيها الرسول - هؤلاء اليهود عن خير أهل القرية التي كانت بقرب البحر. إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمان الله. حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سكاً. فابتلاههم الله وامتنحهم؛ فكانت حيتانهم تأتيهم يوم السبت كثيرة ظاهرة على وجه البحر قريبة من الشاطئ، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر. ولا يرون منها شيئاً. فكانوا يحتالون على حبسها في يوم السبت في حفائر. ويصطادونها بعده. وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء. يظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المحلل لهم فيه صيده. كذلك تختبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَسِيبًا وَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَمَهُ قَوْمَهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْجَحْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنثَىٰ مِنْ شَرِّهَا وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْقَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْنَهُمُ الْعَنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

وَإِذِ قِيلَ لَهُمُ امْكُتُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَرَّيْدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرَامًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْتَأْنَهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ عَادُوا فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

[١٦٤] واذكر - أيها الرسول - إذ قالت جماعة منهم لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله: نَعْظُهُمْ وَننْهَاهُمْ لِئَعْذَرَ فِيهِمْ. ونؤذي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعدبهم على ما حرّم عليهم.

[١٦٥] فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما دُكرت به، واستمرت على عُيْبِهَا واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظْتُهَا به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته، وأخذ الذين اعتدوا في يوم السبت بعذاب أليم شديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته.

[١٦٦] فلما تمرت تلك الطائفة، وتجاوزت ما نهاها الله عنه من عدم الصيد في يوم السبت، قال لهم الله: كونوا قردة خاسئين مبعدين من كل خير، فكانوا كذلك.

[١٦٧] واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم ربك إعلاماً صريحاً لبيعث على اليهود من يذيقهم سوء العذاب والإذلال إلى يوم القيامة.

إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لمن استحقه بسبب كفره ومعصيته، وإنه لغفور رحيم بهم.

[١٦٨] وفرّقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات، منهم القائلون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقصرون الظالمون لأنفسهم، واختبرنا هؤلاء بالرخاء في العيش والسّعة في الرزق، واختبرناهم أيضاً بالشدة في العيش والمصائب والرزاياء؛ رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا من معاصيه.

[١٦٩] فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بَدَلٍ سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، ففرّزوه وعلسوه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها؛ وذلك لشدة حرصهم ونهمهم. ويقولون مع ذلك: إن الله سيفر لنا ذنوبنا تَمْثِلاً على الله الأباطيل. وإن يأت هؤلاء اليهود متاعاً زائلاً من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلّوه، مصرّين على ذنوبهم وتناولهم الحرام. ألم يؤخذ على هؤلاء العهد بإقامة التوراة والعمل بما فيها، وألا يقولوا على الله إلا الحق وألا يكذبوا عليه، وعلسوا ما في الكتاب فضيعوه، وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله، فيمثلون أوامر، ويجتنبون نواهيه. أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون دنيء المكاسب أن ما عند الله خير وأبقى للمتقين؟

[١٧٠] والذين يتمسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام، ويحافظون على الصلاة بمجددها، ولا يضعون أوقاتها، فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة. ولا يضعها.

وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا أمذرةً إلى ربِّكَ ولعلَّهم يتقون ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ رَبِّهِمْ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسْعَنَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ الْيَوْمَةَ مَن يَسُوْفُهُمْ سِوَةَ الْعَنَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَّجِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَطَفَعْنَا غُرَفَ الْأَرْضِ آمَنَاتٍ مِنْهُمُ الصَّالِحِينَ وَنَهْنَهُمْ ذَلِكَ وَتِلْكَ نَفْسُهَا بِالسَّيِّئَاتِ لَعْنَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِ هَذِهِ خَلْفٌ وَرَفُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلْيَزُودَ عَلَيْهِمْ يَبِئْسَ الْكِتَابُ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكُونَ بَالِ الْكِتَابِ وَآفَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ آخِرَ الْمُضِلِّينَ ﴿٤١﴾

• وَإِذْ تَسْتَفْتَى الْجِبِلَّ فَرْقَهُ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَلُّوا أَنَّهُم وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧٢﴾
 وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
 آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا
 بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ لَكَ آيَاتِ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
 يُرْجِعُونَ ﴿١٧٥﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ تَبَّ الَّذِي أَتَيْنَهُ أَتَيْنَا فَانصَبْ
 مِنْهَا فَأَتَيْتَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا
 لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَدًا
 كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ يَتَّبِعْهُ
 يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
 الْفَصْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَذَّبُوا يُظَلِّمُونَ ﴿١٧٨﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ
 فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَلَا تِلْكَ هُذَاهُ الْخَبِيرُونَ ﴿١٧٩﴾

[١٧١] واذكر - أيها الرسول - إذ رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل كأنه سحابة تظلمهم. وأيقنوا أنه واقع بهم إن لم يقبلوا أحكام التوراة. وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة. أي اعملوا بما أعطيناكم باجتهاد منكم. واذكروا ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه؛ كي تتقوا ربكم فتنجوا من عقابه.

[١٧٢] واذكر - أيها الرسول - إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب أباؤهم. وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكمهم. فأقروا له بذلك؛ خشية أن ينكروا يوم القيامة. فلا يقروا بشيء منه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم. ولا عندهم علم بها. بل كانوا غافلين.

[١٧٣] أولئنا تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبلنا ونقصوا العهد، فافتدينا بهم من بعدهم. أفتعذبنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم بجعلهم مع الله شريكاً في العبادة؟

[١٧٤] وكما فصلنا الآيات، وبيئنا فيها ما فعلناه بالأمم السابقة، كذلك نفضل الآيات ونبيئنا لقومك أيها الرسول؛ رجاء أن يرجعوا عن شركهم. وينيبوا إلى ربهم. [١٧٥] واقصص - أيها الرسول - على أمتك خبر رجل من

بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره. فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين؛ بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان.

[١٧٦] ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتينا من الآيات وأن نوقفه للععل بها لفعلنا، ولكنه ركن إلى الدنيا واتبع هواها، وأثر لذاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فمثل هذا الرجل مثل الكلب. إن تطرد أو تتركه يخرج لسانه في الخائين لاهناً. فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدت في دعوتك له أو أهملته. هذا الوصف - أيها الرسول - وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى الرسالة. فاقصص - أيها الرسول - أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة؛ لعل قومك يتدبرون فيما جنتهم به فيؤمنوا لك. [١٧٧] قُبِحَ مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته. فجدوها، وأنفسهم كانوا يظلمونها؛ بسبب تكذيبهم بهذه الحجج والأدلة.

[١٧٨] من يوقه الله للإيمان به وطاعته فهو الموفق. ومن يخذله فلم يوقفه فهو الخاسر الهالك، فالهداية والإضلال من الله وحده.

[١٧٨] ولقد خلقنا للنار - التي يصدب الله فيها من يستحق العذاب في الآخرة - كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يعقلون بها، فلا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، وهم أذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيتفكروا فيها، هؤلاء كالبهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما تبصره، ولا تعقل بقلوبها الخير والشر فتميز بينهما، بل هم أضل منها؛ لأن البهائم تبصر منافعها ومضارها وتتبع راعيها، وهم بخلاف ذلك، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله وطاعته.

[١٨٠] والله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، الدالة على كمال عظمته، وكل أسمائه حسنى، فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون، واتركوا الذين يغيثون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كأن يُسَمَّى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لأهنتهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرِده الله ولا رسوله، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله.

[١٨١] ومن الذين خلقتنا جماعة فاضلة يهتدون بالحق ويدعون إليه، وبه يقضون وينصفون الناس، وهم أئمة

ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من لجن وإنهم لثمرة فحش لا يفتقرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أنوف لا يشمون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴿١٧٨﴾ والله أعلم الساعية المستسقية فادعوهن بها وذروا الذين يلجئون في أسميتهن سيجزون ما كانوا يشتملون ﴿١٧٩﴾ ومن خلقتنا أمة يهتدون بالحق وبه يعدلون ﴿١٨٠﴾ والذين كذبوا بآياتنا ستستندبرهم من حيث لا يحلمون ﴿١٨١﴾ وأمل لهم أن كيدي متين ﴿١٨٢﴾ أولئك يتفكروا ما يصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴿١٨٣﴾ أولئك ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وإن عسى أن يكون قديراً أقرب أجلة من قيامي حديث بدمعهم يؤمنون ﴿١٨٤﴾ من يضلل الله فلا هادي له ويدبرهم في طغفئهم يعمهون ﴿١٨٥﴾ تتناولك عن الساعة إبان مرتها قل إنما علمها عند ربِّي لا يجليها لوقتها إلا هو قللت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بنبأ تتناولك كأنك حوَّي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿١٨٦﴾

الهدى من أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح.

[١٨٢] والذين كذبوا بآياتنا، فجدوها، ولم يتذكروا بها، سنفتح لهم أبواب الرزق ووجه المعاش في الدنيا؛ استدراجاً لهم حتى يفتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ثم نعاقبهم على غرّة من حيث لا يعلمون. وهذه عقوبة من الله على التكذيب بحجج الله وآياته.

[١٨٣] وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغياناً، وبذلك يتضاعف لهم العذاب. إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدفع بقوة ولا بحيلة.

[١٨٤] أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبين.

[١٨٥] أو لم ينظر هؤلاء المكذوبين بآيات الله في ملك الله العظيم وسلطانه القاهر في السموات والأرض، وما خلق الله - جل ثناؤه - من شيء، فيها، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، وينظروا في أجالهم التي عسى أن تكون قُرْبَتْ فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه؟ فبأي تحويف وتحذير بعد تحذير القرآن يصدقون ويعلمون؟

[١٨٦] من يضلله الله عن طريق الرشاد فلا هادي له، ويزترتهم في كفرهم يتحبرون ويترددون.

[١٨٧] يسألك - أيها الرسول - كفار مكة عن الساعة متى قيامها؟ قل لهم: علمُ قيامها عند الله، لا يظهرها إلا هو، فقل علمها، وخفي على أهل السموات والأرض، فلا يعلم وقت قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل، لا تنجي الساعة إلا فجأة، يسألك هؤلاء القوم عنها كأنك كأنك حريص على العلم بها، مستقص بالأسوال عنها، قل لهم: إنما علمها عند الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله.

[١٨٨] قل - أيها الرسول - : لا أقيـدُ على جلبِ خيرٍ لنفسي ولا دفعِ شرٍ يحملُ بها إلا ما شاء اللهُ، ولو كنت أعلمُ الغيبَ لفعلتُ الأسبابَ التي أعلمُ أنها تكثُرُ لي المصالحَ والمنافعَ، ولا تُقيـمُ ما يكونُ من الشرِّ قبل أن يقعَ، ما أنا إلا رسولُ اللهِ أرسلني إليكم، أخوفُ من عقابه، وأبشرُ بثوابه قوماً يصدقون بأني رسولُ اللهِ، ويعملون بشرعه.

[١٨٩] هو الذي خلقكم - أيها الناس - من نفسٍ واحدةٍ، وهي آدم عليه السلام وخلقَ منها زوجها، وهي حواء؛ ليأنسَ بها ويطمئنَ، فلما جامعها - والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم - حملت ماءً خفيفاً، فقامت به وقعدت وأتت الحملَ، فلما قُرِبت ولادتها وأنقلت دعا الزوجانَ ربهما: لئن أعطيتنا بشراً سوتياً صالحاً لنكونن ممن يشركك على ما وهبت لنا من الولدِ الصالحِ.

[١٩٠] فلما رزق اللهُ الزوجين ولداً صالحاً، جعلنا اللهُ شركاءَ في ذلك الولدِ الذي انفرَد اللهُ بخلقِه فعبداه لغيرِ اللهِ، فتعالى اللهُ وتزه عن كلِّ شرك.

[١٩١] أبشرك هؤلاء المشركون في عبادةِ اللهِ مخلوقاته، وهي لا تقدر على خلقِ شيءٍ، بل هي مخلوقة؟

[١٩٢] ولا تستطيع أن تنصر عابديها أو تدفع عن نفسها سوءاً، فإذا كانت لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن عبيدها، ولا عن نفسها، فكيف تُتخذ مع الله آلهة؟ إن هذا إلا أظلم الظلم وأسفه السَّفَه.

[١٩٣] وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله إلى الهدى، لا تسمع دعاءكم ولا تتبعكم. يستوي دعاؤكم لها وسكوتكم عنها؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تهدي ولا تُهدي.

[١٩٤] إن الذين تعبدون من غيرِ اللهِ - أيها المشركون - هم مملوكون لربهم كما أنكم مملوكون لربكم، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم. وإلا تبين أنكم كاذبون مقفرون على الله أعظم القرية.

[١٩٥] الهذء الألهة والأصنام أرجل يسعون بها معكم في حوائجكم؟ أم لهم أيء يدفعون بها عنكم وينصرونكم على من يريد بكم شراً ومكروها؟ أم لهم أعين ينظرون بها فيعرفونكم ما عابنوا وأبصروا مما يقب عنكم فلا ترونه؟ أم لهم أذان يسمعون بها فيخبرونكم بما لم تسمعهوا؟ فإذا كانت أهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء، من هذه الآلات، فما وجه عبادتكم إياها، وهي خالية من هذه الأشياء التي بها يتوصل إلى جلب النفع أو دفع الضر؟ قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا أهتكم الذين جعلتموهم لله شركاء في العبادة، ثم اجتمعوا على إيقاع سوء المكروه بي. فلا تؤخروني وعجلوا بذلك. فإني لا أبالي بأهتكم: لاعتمادي على حفظ الله وحده.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفَقًا وَلَا حَصْرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَفَعَلْتُ الْأَسْبَابَ الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّهَا تَكْثُرُ لِي الْمَصَالِحَ وَالْمَنَافِعَ، وَلَا تُقِيمُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرِّ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ، مَا أَنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ أُرْسِلُنِي إِلَيْكُمْ، أَخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَبْشَرُ بِثَوَابِهِ قَوْمًا يَصْدُقُونَ بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَيَعْمَلُونَ بِشِرْعِهِ.

[١٨٩] هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَهِيَ حَوَاءُ؛ لِئَانْسَ بِهَا وَيَطْمَئِنَّ، فَلَمَّا جَامَعَهَا - وَالْمُرَادُ جِنْسَ الزَّوْجِيْنَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ - حَمَلَتْ مَاءً خَفِيفًا، فَقَامَتْ بِهِ وَقَعَدَتْ وَأَتَتْ الْحَمْلَ، فَلَمَّا قُرِبَتْ وِلَادَتُهَا وَأُنْقَلَتْ دَعَا الزَّوْجَانِ رَبَّهُمَا: لَئِنِ اعْطَيْتَنَا بَشَرًا سَوِيًّا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنْ مَنِ اشْرَكَكَ عَلَيَّ مَا وَهَبْتَ لَنَا مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ.

[١٩٠] فَلَمَّا رَزَقَ اللَّهُ الزَّوْجِيْنَ وَلَدًا صَالِحًا، جَعَلْنَا اللَّهُ شُرَكَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَلَدِ الَّذِي انْفَرَدَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ فَعَبَدَاهُ لْغَيْرِ اللَّهِ، فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَزَهَّ عَنْ كُلِّ شِرْكَ.

[١٩١] أَبَشِرْكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهِيَ لَا تَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ، بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ؟

[١٩٦] إن وليسي الله، الذي يتولى حفظي ونصري، هو الذي نزل علي القرآن الحق، وهو يتولى الصالحين من عباده، وينصرهم على أعدائهم ولا يتخذهم.

[١٩٧] والذين تدعون - أنتم أيها المشركون - من غير الله من الألهة لا يستطيعون نصركم، ولا يقدرون على نصرة أنفسهم.

[١٩٨] وإن تدعوا - أيها المشركون - أهلكم إلى الاستقامة والسادد لا يسمعون دعاءكم، وترى - أيها الرسول - آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان يقابلونك كالناظر إليك وهم لا يبصرون؛ لأنهم لا أبصار لهم ولا بصائر.

[١٩٩] أفتبل - أيها النبي أنت وأمتك - الفضل من أخلاق الناس وأعمالهم، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا يتفروا، وأمر بكل قول حسن وقيل جميل، وأعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء.

[٢٠٠] ولما يصيبك - أيها النبي - من الشيطان غضب أو أوجس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشر، فالحلج إلى الله مستعيناً به، إنه سميع لكل قول، عليم بكل فعل.

[٢٠١] إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتتاب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكروا ما أوجب الله عليهم من طاعته. والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة. أخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

[٢٠٢] وإخوان الشياطين، وهم الفجَّار من ضلال الإنس تدهم الشياطين من الجن في الضلالة والقوابة، ولا تتدخر شياطين الجن وشعاً في مذهب شياطين الإنس في النبي، ولا تتدخر شياطين الإنس وشعاً في عمل ما توحى به شياطين الجن.

[٢٠٣] وإذا لم تحج - أيها الرسول - هؤلاء المشركين بأية دالة على صدقك قالوا: هلأ أخذتُها واختلقتها من عند نفسك، قل لهم - أيها الرسول -: إن هنا ليس لي، ولا يجوز لي فعله؛ لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتوه عليكم حججاً وبراهين من ربكم، وبياناتاً يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين.

[٢٠٤] وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له - أيها الناس - وأنصتوا؛ لتعلموه رجاء أن يرحمكم الله به.

[٢٠٥] وأذكر - أيها الرسول - ربك في نفسك تحشعاً وتواضعاً لله، خائفاً وجل القلب منه، وادعه متوسطاً بين الجهر والمخافتة في أول النهار وآخره، ولا تكن من الذين يغفلون عن ذكر الله، ويلهون عنه في سائر أوقاتهم.

[٢٠٦] إن الذين عند ربك من الملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله، بل ينقادون لأوامره، ويسبحونه بالليل والنهار، وينزهونه عما لا يليق به، وله وحده - لا شريك له - يسجدون.

إِن يَرَىٰ لِقَىٰ رَبِّهِ لَمْ يَلِكْ وَهوَ تَوَّابٌ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكَ
وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصُدُّونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ
لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ
مِنَ السَّبْتِ إِذْ تَرَعْتَهُ فَمَنْ سِوَاهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾
إِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذًا مَسَّهُمْ طَلِيقٌ مِّنَ السَّبْتِ تَذَكَّرُوا
فَإِنَّمَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تَأْوِيلَهُمُ قَالَوا لَوْلَا أُنْجِيبَتْهُمَا
قُلُوبُنَا لَمَّا سَمِعْنَا بِأَنَّ رَبَّنَا رَئِي هَذَا بَصَائِرٍ مِّن رَّبِّكَ
وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِنَّا فَرَقْنَا الْقُرْآنَ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَصْبَحُوا أَعْلَامًا تُرْجَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَوَرْدًا لِّجَهْرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بِآلَتِهِ
وَالْأَصْوَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنِ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَيَسْبِحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[سورة الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْزَلْنَاهُ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ، رَأَدْتُهُمْ لِمَنَّا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَثِيرٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِن بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاهِنُونَ ﴿٥﴾
يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يُعِذُّكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ
لَكُمُ وُودُونَ أَنْ عَبَّرَات الْفُلُوكَ لَكُمُ لُكْرٌ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكُلِّ نَفْسٍ وَيَقْطَعُ ذَايِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيَنْتِظِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

١) يسألك أصحابك - أيها النبي - عن الغنائم يوم «بدر» كيف تقسمها بينهم؟ قل لهم: إن أمرها إلى الله ورسوله، فالرسول يتولى قسمتها بأمر ربه. فاتقوا عقاب الله ولا تقدموا على معصيته، واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال. وأصلحوا الحال بينكم، والتزموا طاعة الله ورسوله إن كنتم مؤمنين؛ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله.

٢) إنما المؤمنون بالله حقاً هم الذين إذا ذكر الله فرعت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيماناً مع إيمانهم؛ لتدبرهم لمعانيه، وعلى الله تعالى يتوكلون، فلا يرجون غيرهم، ولا يرهبون سواه.

٣) الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها، ومما رزقناهم من الأموال ينفقون فيما أمرناهم به.

٤) هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون حقاً ظاهراً وباطناً بما أنزل الله عليهم، لهم منازل عالية عند الله، وعفو عن ذنوبهم، ورزق كريم، وهو الجنة.

٥) كما أنكم لما اختلفتم في المغانم فانتزعتها الله منكم، وجعلها إلى قسمة وقسم رسوله ﷺ، كذلك أمرك ربك - أيها النبي - بالخروج من «المدينة» للقاء غير قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.

٦) بجادلوك - أيها النبي - فريق من المؤمنين في القتال من بعد ما تبين لهم أن ذلك واقع، كأنهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عياناً.

٧) واذكروا - أيها المجادلون - وعد الله لكم بالظفر يا حدى الضائفتين: العير وما تحمله من أرزاق، أو النفير، وهو قتال الأعداء، والانتصار عليهم، وأنتم تحبون الظفر بالعين دون القتال، ويريد الله أن يحق الإسلام، ويغلبه بأمره إياكم بقتال الكفار، ويستأصل الكافرين بالهلاك.

٨) ليجز الله الإسلام وأهله، ويذهب الشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.

[٩] اذكروا نعمة الله عليكم يوم «بدر» إذ تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله لدعائكم قائلاً: إني مددكم بألف من الملائكة من السماء، يتبع بعضهم بعضاً.

[١٠] وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم، إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه.

[١١] إذ يُلقِي الله عليكم النعاس أماناً منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهوراً؛ ليظهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان، وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلييد الأرض الرملية

إذ تَسْعَوْنَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوِّجِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيُظْمَرُ بِهَا بِؤْسُ قُلُوبِكُمْ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ۖ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ ۖ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتُنزِلُوا إِلَيْهِمُ الْأُمَانَ سَاقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّغْبَ فَاضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَتَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كَفَرُوا فَوَرَّ ۚ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رُخْفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهْهُمُ يَوْمَئِذٍ دُورُهُ ۖ إِلَّا مَنَحَرًا لِقَاتٍ أَوْ مَنَحَرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَتَدْبَرُهَا ۖ يَخْتَصِمُونَ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُوْنَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

بالمطر حتى لا تتزلق فيها الأقدام.

[١٢] إذ يوحى ربك إليها النبي - إلى الملائكة الذين أمّد الله بهم المسلمين في غزوة «بدر» أني معكم أعينكم وأنصركم، فقسّوا عزائم الذين آمنوا، سألني في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصقار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومفصل.

[١٣] ذلك الذي حدث للكفار من ضرب رؤوسهم وأعتاقهم وأطرافهم؛ بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسوله، ومن يخالف أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

[١٤] ذلكم العذاب الذي عجلته لكم -أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله في الدنيا- فذوقوه في الحياة الدنيا، ولكم في الآخرة عذاب النار.

[١٥] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعلّموا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تؤلّوهم ظهوركم، فتتهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم.

[١٦] ومن يؤلّهم منكم ظهره وقت الزحف، إلا منعطفاً لمكيدة الكفار، أو منحاذاً إلى جماعة المسلمين الحاضري الحرب حيث كانوا. فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمنقلب.

فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ وَالْكَفَّارَاتِ فَكَفَّرْتُمْ وَأَمَّا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَأَلَيْكَ اللَّهُ زِمَى وَلِإِثْمِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِينَ
وَأَن تَسْتَقْبِلُوا أَعْقَابَهُمْ فَطَعَنَهُمْ فَطَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَلِيخْتَبِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُبْصِلَهُمْ بِالْجِهَادِ إِلَى
أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَيَعْرِفَهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَيَشْكُرُوا لَهُ
سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِدَعَائِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ
مَا أَسْرَرْتُمْ بِهِ وَمَا أَعْلَنْتُمْ، عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ عِبَادِهِ.

﴿١٨﴾ هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حين انهزموا،
والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم، هو من الله
للمؤمنين، وأن الله - فيما يُستقبل - مُضِيفٌ وَمُبِطِلٌ
مكر الكافرين حتى يَبْدُلُوا وَيَنقَادُوا لِلْحَقِّ أَوْ يَهْلِكُوا.

﴿١٩﴾ إن تطلبوا -أيها الكفار- من الله أن يوقع بأسه
وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم،
حين أوقع بكم من عقابه ما كان نكالا لكم وعبرة
للمتقين، وإن تنتهوا -أيها الكفار- عن الكفر بالله
ورسوله وقتال نبيه محمد ﷺ، فهو خير لكم في دنياكم
وأخرآكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد ﷺ
وقتل أتباعه المؤمنين نُعَذِّبْهُمْ بِهَيْبَتِكُمْ كما هُرِّمْتُمْ يَوْمَ
«بدر»، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئا، كما لم تغن

عنكم يوم «بدر» مع كثرة عددكم وعتادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره.

﴿٢٠﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتروكوا طاعة الله وطاعة
رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.

﴿٢١﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد ﷺ كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى
عليهم قالوا: سمعنا بأذننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.

﴿٢٢﴾ إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ -من خلق الله- عند الله الصُّمُّ الَّذِينَ انْسَدَّتْ آذَانُهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ فَلَا يَسْمَعُونَ
الْبِكْمَ الَّذِينَ خَرَسَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ فَلَا يَنْطِقُونَ، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.

﴿٢٣﴾ ولو علم الله في هؤلاء خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه،
ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون، ولو أسمعهم -على الفرض والتقدير- لتولوا عن الإيمان قسداً وعتادا
بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه، لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه.

﴿٢٤﴾ يا أيها الذين صدقوا بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً، استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحكيكم من
الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا -أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع
الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهيه قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم؛ إذ
بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تُجْتَمَعُونَ ليوم لا ريب فيه، فيجازي كلًّا بما يستحق.

﴿٢٥﴾ واحذروا -أيها المؤمنون- اختياراً وحمية يُعَقِّدُ بِهَا الْمَسِيءَ، وغيره، لا يُلْحِصُ بِهَا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ، بل
تصيب الصالحين معهم إذا قدرُوا على إنكار الظلم ولم ينكروا، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه.

[٢٦] واذكروا أيها المؤمنون نعم الله عليكم إذ أنتم بهمكة* قليلو العدد مهجورون، تخافون أن يأخذكم كفارها بسرعة، فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو المدينة* وقواكم بنصره عليهم يوم بدر* وأطعمكم من الطيبات - التي من جملتها الغنائم؛ لكي تشكروا له على ما رزقكم وأنعم به عليكم.

[٢٧] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تخونوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله عليكم وفعل ما نهاكم عنه، ولا تفرّطوا فيما ائتمنكم الله عليه، وأنتم تعلمون أنه أمانة يجب الوفاء بها.

[٢٨] واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أشكرونه عليها ويطيعونه فيها. أم ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقا: وأطاعه.

[٢٩] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فضلاً بين الحق والباطل، ويمسح عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسرّها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

وَأَذَكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ لِقِيلٍ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآذَاكُمْ وَآذَاكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْتِيكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَسِنَّةٌ وَأَنْتَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَخْرَجْتُمْ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَتَكْرَمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَمَكَّرُونَ وَيَتَمَكَّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيهِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِمْ بَايَعَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزٌ الْأُولَآئِكَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ إِلَيْهِمْ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٣٠] واذكر - أيها الرسول - حين يكيد لك مشركو قومك بهمكة*؛ ليحبسوك أو يقتلوك أو ينفوك من بلدك. ويكيدون لك، وردّ الله مكرمهم عليهم جزاء لهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين، فهو يعاقبهم على مكرمهم من حيث لا يشعرون.

[٣١] وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز قالوا جهلاً منكم وعناداً للحق: قد سمعنا هذا من قبل. لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا - أيها الرسول - إلا أكاذيب الأولين.

[٣٢] واذكر - أيها الرسول - قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اتتنا بعداب شديد موجع.

[٣٣] وما كان الله - سبحانه وتعالى - ليعذب هؤلاء المشركين، وأنت - أيها الرسول - بين ظهرائهم، وما كان الله معذبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم.

[٣٤] وكيف لا يستحقون عذاب الله، وهم يصدون أولياءه - المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله، إن أولياء الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتنب معاصيه، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون؛ فلذلك ادَّعوا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به.

[٣٥] وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صغيراً وتصفيقاً، فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر؛ بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم.

[٣٦] إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال؛ ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله، فيسئقون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك تدامة وحسرة عليهم؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون من إطفاء نور الله والصد عن سبيله، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها.

وَمَا لَهُمْ آلِيَاءُ يَعِدُّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ؛ إِنْ أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْمَشْكُونُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْأَمْكَاءِ وَتَصَدَّقَتْ قَدْ قَرَأُوا الْقَدَابَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَنْوَالَهُمْ لِيُضْذَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَكُمْ هُمُ الْخَبِيرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَدْ تَوَلَّوْهُ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَبَّةٌ يَبَّاءُ أَنْتُمْ قَوَائِمٌ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُمْ فَغَرَّبُوا النَّوَىٰ وَفِعَهُ النَّصِيرُ ﴿٤١﴾

[٣٧] يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربهم، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله؛ ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ويجعل الله المال الحرام الذي أنفق للصد عن دين الله بعضه فوق بعض متراكماً متراكباً، فيجعله في نار جهنم، هؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

[٣٨] قل - أيها الرسول - للذين جحدوا وحدانية الله من مشركي قومك: إن ينزجروا عن الكفر وعداوة النبي ﷺ، ويرجعوا إلى الإيمان بالله وحده وعدم قتال الرسول والمؤمنين، يغفر الله لهم ما سبق من التوب، فالإسلام يجب ما قبله، وإن يُعذَّ هؤلاء المشركون لقتالك - أيها الرسول - بعد الوقعة التي أوقعتهم بهم يوم بدر؛ فقد سبقت طريقة الأولين، وهي أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم عاجلناهم بالعذاب والعقوبة.

[٣٩] وقائلوا - أيها المؤمنون - المشركين حتى لا يكون شركٌ وصدٌ عن سبيل الله، ولا يُعبَد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره، فإن انزجروا عن فتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في الإسلام.

[٤٠] وإن أعرض هؤلاء المشركون عمداً دعوتهم إليه - أيها المؤمنون - من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبوا إلا الإصرار على الكفر وقاتلكم، فأيقنوا أن الله معيكم وناصركم عليهم، بقم المعين والناصر لكم ولأوليائه على أعدائكم.

[٤١] واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما ظفرت به من عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخصاه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقى مجزأً خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جعل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحل لهم، والثالث للأولاد الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والرابع للمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد ﷺ من الآيات والمدد والنصر يوم فرق بين الحق والباطل، بدره، يوم التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين، والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

[٤٢] واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى «المدينة»، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وغير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل «البحر الأحمر»، ولو حاولتم أن تضعوا موعداً لهذا

• وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِنَا السَّبِيلَ إِنْ كُنْتُمْ تَأْتِنُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَقُّعِ الْخُنُوعَاتُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥١ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَّةِ الَّذِينَ بَارَاهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئُمْ فِي الْيَعْتَدِ وَالْكَانَ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن تَبَتُّهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن تَبَتُّهِ وَآتَىٰ اللَّهُ لَسْمِيعٍ عَلَيْهِ ٥٢ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَبِيلًا وَلَوْ أَنَّكَ كُنْتُمْ كَثِيرًا لَقُتِلْتُمْ وَتَلَسَّرَ عَنكُمْ فِي الْأَمْرِ وَالْكَانَ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّفَتُّرُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَبِيلًا وَيُقَلِّبُكُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَىٰ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ٥٤ تَابَتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِبْتُمْ وَفَتَةً فَاتَّبَنُوا وَأَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ٥٥

اللقاء لاختلافتم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً بنصر أوليائه وخذلان أعدائه بالقتل والأسر؛ وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعابنها وقطعت عذره، وليحيا من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله أسمع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليه بنياتهم وأعمالهم.

[٤٣] واذكر - أيها النبي - حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك. فأخبرت المؤمنين بذلك، فقويت قلوبهم، واجتروا على حربهم، ولو أراك ريبك كثرة عددهم لتردد أصحابك في ملاقاتهم، وجبنت واختلقت في أمر القتال، ولكن الله سلم من الفشل، ونجى من عاقبة ذلك. إنه علم بخفايا القلوب وطباع النفوس.

[٤٤] واذكر أيضاً حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة قرأيتهم قليلاً فاجترأتم عليهم، وقللكم في أعينهم؛ لبتروا الاستعداد لحربكم؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيتحقق وعُدُّ الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كلًّا بما يستحق.

[٤٥] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرع الله، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيراً داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظفر بعدوكم؛ لكي تفوزوا.

[٤٦] والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلم.

[٤٧] ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبراً ورياء؛ ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله. والله بما يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.

[٤٨] واذكروا حين حَسَنَ الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما هتؤا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، وإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُذْبِراً، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مدداً للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحاً.

[٤٩] واذكروا حين يقول أهل الشك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه.

[٥٠] ولو تعابن -أيها الرسول- حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها، وهم يضرسون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم، ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق، لرأيت أمراً عظيماً، وهذا السياق وإن كان سببه وقعة «بدر»، ولكنه عام في حق كل كافر.

[٥١] ذلك الجزاء الذي أصابكم أيها المشركون فبسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، ولا يظلم الله أحداً من خلقه مثقال ذرة، بل هو الحكيم العدل الذي لا يجور.

[٥٢] إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّةُ الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يُقهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَا تَسْتَفْتُوا فَنَفْسًا لَوْا وَتَذَهَبَ
رِيحُكُمْ وَأَسِيرُوا. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَرًّا وَرِيَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَحْمِلُونَ مُجِيطٌ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ زَعَمَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ تَضَخَّ
عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٨﴾ يَقُولُ
الْمُتَّفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَرَّ هُنَالًا، وَبَيْنَهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ
يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٢﴾

[٥٣] ذلك الجزاء السيئ بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيروا حاهم الطيبة إلى حال سيئة، وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليهم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.

[٥٤] شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان فاعلاً ما لم يكن له فعله من تكذيبهم رسل الله وجودهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.

[٥٥] إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله الكفار المصرون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يقرؤون بوحديته، ولا يتبعون شرعه.

[٥٦] من أولئك الأشرار اليهود الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك أحداً،

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةَ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَرْفَأْنَاهُمْ آلِ فِرْعَوْنَ وَكُلِّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ سَرَ أَلْذَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرْتَدِّيهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَنَهُمْ يَدُكَ وَرُؤُوسُهُمْ وَإِنَّمَا كَفَرْتُمْ مِنْ قَوْمِهِمُ خِيَانَةٌ فَاتَّبِعْ آلِ الْيَهُودِ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَاجِبُ الْخَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِذْ يَعْتَصِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا أَشْتَغَلُّوا عَنْ قَوْمِهِمْ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّةَ الْآخِرِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَمَّا يُفْقَهُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفَ الْبَيْكَةِ وَأَنْتُمْ لَا تَظَاهِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ جَحَثُوا لِلسَّلَامِ فَأَبْجَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

ثم ينقضون عهدهم المرة تلو المرة، وهم لا يخافون الله.

[٥٧] فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهد والمواثيق في المعركة، فأنزل بهم من العذاب ما يُدخل الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم؛ لعلمهم يذكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون.

[٥٨] وإن خفت - أيها الرسول - من قوم خيانتهم ظهرت بوادرها فألق إليهم عهدهم؛ كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهدهم الناقضين للعهد والميثاق.

[٥٩] ولا يظنُّ الذين جحدوا آيات الله أنهم فاتوا وتحجروا، وأن الله لا يقدر عليهم؛ إنهم لن يُفْلِتُوا من عذاب الله.

[٦٠] وأعدوا - يا معشر المسلمين - لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه من عُدَّةٍ وَعُدَّةٍ، لِئَدْخُلُوا بِذَلِكَ الرهبة في قلوب أعداء الله وأعدائكم المتربصين بكم، وتحيفوا آخرين لا تظهر لكم عدوتهم الآن، لكن الله يعلمهم ويعلم ما يضررونه. وما تبدلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلاً أو كثيراً يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، وأنتم لا تُنْقِصُونَ من أجر ذلك شيئاً.

[٦١] وإن مالوا إلى ترك الحرب ورجعوا في مسالمتكم فبئس إلى ذلك - أيها النبي - وقَّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، وَثِقْ بِهِ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لَأَقْوَامِهِمُ، الْعَلِيمُ بِنِيَّاتِهِمْ.

[٦٣، ٦٤] وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك فإن الله سيكشفك خداعهم؛ إنه هو الذي أنزل عليك نصره وقواك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار. وجمع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخواناً متحابين. إنه عزيز في ملكه، حكيم في أمره وتديبه.

[٦٤] يا أيها النبي إن الله كافيك، وكافي الذين معك من المؤمنين شرَّ أعدائكم.

[٦٥] يا أيها النبي حُكِّمَ المؤمنين بك على القتال. إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفاً من الكفار؛ لأنهم قوم لا علم ولا فهم عندهم لئنا أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلوِّ في الأرض والفساد فيها.

[٦٦] الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما فيكم من الضعف. فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكافرين. وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره.

[٦٧] لا ينبغي لشيء أن يكون له أسرى من أعدائه حتى يبائع في القتل؛ لإدخال الرعب في قلوبهم ويؤطد دعائم الدين، تريدون - يا معشر المسلمين - بأخذكم الفداء من أسرى «بدر» متاع الدنيا، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة. والله عزيز لا يقهر. حكيم في شرعه.

[٦٨] لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر يباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة. لنالكم عذاب عظيم بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنها تشريع.

[٦٩] فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب. وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بتصيره. وبالمؤمنين ﴿٥﴾ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم إنه عزيز حكيم ﴿٥﴾ يتأينها النبي حسبك الله ومن أتبعك من المؤمنين ﴿٥﴾ يتأينها النبي حريص المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بإئنه قوماً لا يفقهون ﴿٥﴾ الفتن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴿٥﴾ ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يبالغ في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴿٥﴾ لولا كتب من الله سبق لمتكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿٥﴾ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وأنفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿٥﴾

[٧٠] يا أيها النبي قل لمن أسرتكموه في «بدر»: لا تأسوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله تعالى في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من المال. بأن يُيسر لكم من فضله خيراً كثيراً - وقد أنجز الله وعده للعباس رضي الله عنه وغيره -، ويفغر لكم ذنوبكم. والله سبحانه غفور لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم.

[٧١] وإن يرد الذين أظفقت سراحهم - أيها النبي - من الأسرى الغدر بك مرة أخرى فلا تئس، فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصرك الله عليهم، والله عليم بما تنطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده. [٧٢] إن الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، وهاجروا إلى دار الإسلام، أو بلد يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، والذين أنزلوا المهاجرين في دورهم، وواسوهم بأموالهم،

ونصروا دين الله، أولئك بعضهم نصراء بعض. أما الذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر فلستم مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتى يهاجروا، وإن وقع عليهم ظلم من الكفار فظلموا نصرتكم فاستجيبوا لهم، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد لم ينقضوه. والله بصير بأعمالكم، يجزي كلاً على قدر نيته وعمله.

[٧٣] والذين كفروا بعضهم نصراء بعض. وإن لم تكونوا - أيها المؤمنون - نصراء بعض تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.

[٧٤] والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام، أو بلداً يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصروا إخوانهم المهاجرين وأوؤهم وواسوهم بالمال والتأييد، أولئك هم المؤمنون الصادقون حقاً، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم.

[٧٥] والذين آمنوا من بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم - أيها المؤمنون - لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين. إن الله بكل شيء عليم. يعلم ما يصلح عباده، من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام.

يَأْتِيهَا النَّجْمُ فَلْيَمَنَ فِي أَيِّدِكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠ وَإِنْ يَرِيدُوا حِيَابَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ٧١ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانْتَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ لَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجروا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجروا وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَمَّنْ فِي الَّذِينَ قَتَلْتُمْ أَنْ تَنْصُرُوا إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَتَّقَوْهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانْتَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧٥

سورة التوبة

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴿١﴾
 فيبشروا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي
 الله وأن الله مخزي الكافرين ﴿٢﴾ وأذن من الله ورسوله
 إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين
 ورسوله فإن تبنته فهو خير لكم وإن توليتهم فاعلموا
 أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعدآب إليهم ﴿٣﴾
 إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً
 ولم يظفروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم
 إن الله يحب المتقين ﴿٤﴾ فإذا انسأخ الأشهر الحُرُم
 فأقربوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأخضروهم
 وأقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
 الزكاة فحاربوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴿٥﴾ وإن أخذ
 من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلامه
 الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لاعلمون

[١] هذه براءة من الله ورسوله، وإعلان بالتخلي عن
 العهود التي كانت بين المسلمين والمشركين.
 [٢] فسيروا -أيها المشركون- في الأرض مدة أربعة
 أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين،
 واعلموا أنكم لن تُفْلِتُوا من العقوبة، وأن الله مدل
 الكافرين ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.
 وهذه الآية لتبوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من
 له عهد دون أربعة أشهر، فيكفل له أربعة أشهر، أو
 من كان له عهد فنقضه.
 [٣] وإعلام من الله ورسوله، وإنذار إلى الناس يوم
 النحر أن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء
 منهم كذلك. فإن رجعت -أيها المشركون- إلى الحق
 وتركت شرككم فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن
 قبول الحق وأبيتم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم

لن تُفْلِتُوا من عذاب الله. وأنذر -أيها الرسول- هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموعود.

[٤] ويُستثنى من الحكم السابق المشركون الذين دخلوا معكم في عهد محدد بمدة، ولم يخونوا العهد، ولم يعاونوا
 عليكم أحداً من الأعداء. فأكملوا لهم عهدهم إلى نهايته المحدودة. إن الله يحب المتقين الذين أدوا ما أمروا به،
 واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

[٥] فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمنتهم فيها المشركين، فأعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقتدوهم
 بالحصار في معانقهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعهم من إقام
 الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم. فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام. إن الله غفور لمن تاب وأتاب، رحيم بهم.

[٦] وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأمواهم الدخول في جوارك -أيها الرسول- ورغب في
 الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطلق على هدايته، ثم أعده من حيث أتى آمنأ، وذلك لإقامة
 الحجة عليه؛ ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بمقتضى الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم.

[٧] لا ينبغي أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدته عند المسجد الحرام في صلح «الحديبية» فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك. إن الله يحب المتقين الموفين بعهودهم.

[٨] إن شأن المشركين أن يلتزموا بالعهود ما دامت الغلبة لغيرهم، أما إذا شعروا بالقوة على المؤمنين فإنهم لا يراعون القرابة ولا العهد. فلا يفرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم. فإنهم يقولون لكم كلاماً بألسنتهم؛ لترضوا عنهم، ولكن قلوبهم تأتي ذلك، وأكثرهم متمردون على الإسلام ناقضون للعهد.

[٩] استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا الناقه، فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، لقد قُبِحَ فعلهم، وساء صنعهم.

كَفَىٰ بِكَوْنِ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَحِثُ الْمُنَاقِبِ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْضَوْا بِكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اسْتَرَوْا بِعَاهِدِ اللَّهِ لَمَّا قَلِيلًا قَصْدًا وَعَنِ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُقُونَ فِي مَؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْعَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِيلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن كَفَرُوا أَيْمَنُوا مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِيْعِكُمْ فَقَدْ نَبَذُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَن يَمُنَّ لَهُمْ لَعْنَهُمْ يَتَذَكَّرُ لَهَا بَلْ أَوَّلَ مَا نَبَىٰ رَبِّي أَن يَكْفُرَ إِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا قَدْ كَفَرُوا فَمَا كُنَّا مُنْظِرِينَ ﴿١٢﴾ وَهَسَبُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءٌ وَكَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَذْتُهُمْ قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[١٠] إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان وأهله، فلا يقيمون وزناً لقرابة المؤمن ولا لعهدده. وشأنهم العدوان والظلم.

[١١] فإن أفلحوا عن عبادة غير الله. ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنهم إخوانكم في الإسلام. ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها.

[١٢] وإن نَقَضَ هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتوها معهم. وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتبوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام.

[١٣] لا تترددوا في قتال هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم، وعملوا على إخراج الرسول من «مكة»، وهم الذين بدؤوا بإيذانكم أول الأمر. أتخافونهم أو تخافون ملاقاتهم في الحرب؟ فالله أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

[١٤، ١٥] يا معشر المؤمنين: قاتلوا أعداء الله يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذللهم بالهزيمة والحزني، وينصركم عليهم، ويغلي كلمته، وتشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين، ويذهب عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم بصدق توبة التائب، حكيم في تدبيره وصنعه ووضع تشريعاته لعباده.

[١٦] من سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا يا معشر المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار؛ ليعلم الله علماً ظاهراً للخلق الذين أخلصوا في جهادهم، ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء. والله خبير بجميع أعمالكم ومجازيكم بها.

[١٧] ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله، وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء. هؤلاء

المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة، ومصيرهم الخلود في النار.

[١٨] لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء الغمّار هم المهتدون إلى الحق.

[١٩] أجمعتم -أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وعمارّة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تتساوى حال المؤمنين وحال الكافرين عند الله؛ لأن الله لا يقبل عملاً بغير الإيمان. والله سبحانه لا يوفق لأعمال الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

[٢٠] الذين آمنوا بالله وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه.

فَتَلُوهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُجْزِيهِمُ وَيَنْصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيُذَلِّهِمْ صُدُّوا قَوْمًا مِنْ مِثْلِهِ ۗ وَنُذِيبْ عَذِيبًا
قَلْبَهُمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَقُولِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ تَأْكُلُ لِلشُّرْكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ
اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ بَانَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجْعَلُنَا رِيقًا لِنُحَاجَّ وَعِمَارَةً لِلْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ كَمَنْ بَانَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝
الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝

[٢١] إن هؤلاء المؤمنين المهاجرين لهم البشرى من ربهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم.

[٢٢] ما كثين في تلك الجنان لانهاية لإقامتهم وتنعمهم، وذلك ثواب ما قدموه من الطاعات والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحاً بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

[٢٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتخذوا أقرباءكم - من الآباء والإخوان وغيرهم - أولياء، تفشون إليهم أسرار المسلمين، وتستشيرونهم في أموركم، ما داموا على الكفر معادين للإسلام. ومن يتخذهم أولياء، ويُلقي إليهم المودة فقد عصى الله تعالى، وظلم نفسه ظملاً عظيماً.

[٢٤] قل - يا أيها الرسول - للمؤمنين: إن فضلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والقرابات، والأموال

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُنَبِّئُ أَنْ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَّخِذُهَا الذِّبْنَ ؕ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَّخِزْهُمْ فَيَنْصُرْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَابْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضَوْنَ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزِكُمْ فَلَمَّا نَفَضْنَا كُنُوزَكُمْ سَخِينَا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسْتُمْ مَذِيرَاتٍ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

التي جمعتموها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارغة التي أقمتهم فيها، إن فضلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

[٢٥] لقد أنزل الله نصرته عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة حنين قلتم: لن نغلب اليوم من قلة، فقرتكم الكثرة فلم تنفعم، وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأ في الأرض الواسعة ففررتهم منهزمين.

[٢٦] ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا، وأمدهم بمجنود من الملائكة لم يروها، فنصرهم على عدوهم، وعذب الذين كفروا. وتلك عقوبة الله للصادقين عن دينه، المكذبين لرسوله.

[٢٧] ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة من يشاء منهم، فيغفر ذنبه. والله غفور رحيم.

[٢٨] يا معشر المؤمنين: إنما المشركون رجس وخبث فلا تمكثوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتهم فقرأ لا تقطاع تجارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها. وكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليكم بحالكم، حكيم في تدبير شؤونكم.

[٢٩] أيها المسلمون: قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله. ولا يؤمنون بالبعث والجزاء. ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام، من اليهود والنصارى، حتى يدفعا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء.

[٣٠] لقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيراً

ابن الله. وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله.

وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم. قاتل الله المشركين جميعاً كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل:

[٣١] اتخذ اليهود والنصارى العلماء والعباد أرباباً يشترعون لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله. واتخذوا المسيح عيسى بن مريم الهاً لعبود، وقد أمرهم الله جميعاً بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزهه وتقدس عما يفتريه أهل الشرك والضلال.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
وَأَنْ حَفِظْتُمْ عِيَالَكُمْ فَاتَّقُوا فِيكُمْ ۗ وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ
قَتَلْنَاهُمْ لَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ
وَرَهْبَةً إِذَا تُبِئُوا مِنَ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

[٣٢] يريد الكفار بتكذيبهم أن يبطلوا دين الإسلام، ويبطلوا حجج الله وبراهينه على توحيدهِ الذي جاء به محمد ﷺ، ويأبى الله إلا أن يتمَّ دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون.

[٣٣] هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق - وهو الإسلام - وظهوره على الأديان.

[٣٤] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيراً من علماء أهل الكتاب وعبيادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله، والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة، فبئسَ لهم بعداب موجع.

[٣٥] يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار،

يُرِيدُونَ أَنْ يُبْطِلُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْهَمِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهَ الْإِنَّا أَنْ
نُورَهُ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ، يَا نُهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا يَسْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا
فِي تَارِحَتِهَا فَتَكُونُ بِهَا جِثَا هَاهُمْ وَخُنُوفُهُمْ
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُفَرْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِي نَقِصُّهُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِمْ
أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

فإذا اشتدت حرارتها أحرقت بها جبا، أصحابها وجنوبيهم وظهورهم.

وقيل لهم توبيخاً: هذا مالكم الذي أمسكتموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجع؛ بسبب كنزكم وإمساكم.

[٣٦] إن عدد الشهور التي يتألف منها العام في حكم الله، وفيما كتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهراً، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرْمٌ حُرِّمَ اللهُ فِيهِنَّ الْقِتَالُ (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم؛ لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أنَّ الظلم في غيرها جائز. وقاتلوا المشركين جميعاً كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع أهل التقوى بتأييده ونصره.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِقُونَ، عَامًا وَيَحْرِمُونَ، عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ نَسِيءَ سُنُوهُمُ لِضَمَمِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِيكُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٥٦﴾
إِلَّا تَنْفِرُوا بَعَدَ بَعْثِ عَذَابِ الْيَمَا وَتَسْتَبَدِّلُ فَمَا عِبْرَتُكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْقَارِئِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْتًا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٣٧] إن الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية من تحريم أربعة أشهر من السنة، عدداً لا تحديداً بأسماء الأشهر التي حرّمها الله، فيؤخرون بعضها أو يقدّمونه ويجعلون مكانه من أشهر الحِل ما أرادوا حسب حاجتهم إلى القتال، إن ذلك زيادة في الكفر، يضل الشيطان به الذين كفروا، يحلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عاماً، ويحرمونه عاماً؛ ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرّم الله منها، رَزَيْنَ لهم الشيطان الأعمال السيئة، والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الحق والصواب.

[٣٨] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعمِلوا بشرعه ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمتهم مساكنكم؟ هل أترتم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟ فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم.

[٣٩] إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم ينزل الله عقوبته بكم. ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استنّفروا. ويطيعون الله ورسوله، ولن تضروا الله شيئاً بتوليكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه. وما يريد الله يكون لا محالة. والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم.

[٤٠] يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ إن لا تنفروا معه إذا استنّفركم، وإن لا تنصروا، فقد أيد الله ونصره يوم أخرجه الكفار - من قريش - من بلده «مكة»، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه)، وألجوهما إلى ثَقَب في جبل ثور «مكة»، فمكثا فيه ثلاث ليال. إذ يقول لصاحبه «أبي بكر» لَمَّا رَأَى مِنْهُ الْخَوْفَ عَلَيْهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِنَصْرِهِ، وتأيدته، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله ﷺ، وأعانه بمجود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذلّ الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمة الله هي العليا. وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ملكه. حكيمة في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

[٤١] اخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله شباباً وشيوخاً في العسر واليسر، على أي حال كنتم، وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ذلك الخروج والبذل خير لكم في حالكم ومآلكم من التناقل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد وثوابه عند الله فافعلوا ما أمرتم به، واستجيبوا لله ورسوله.

[٤٢] وبُخ الله - جلَّ جلاله - جماعة من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف عن غزوة «تبوك»، مبيئاً أنه لو كان خروجهم إلى غنمة قريبة سهلة المال، وسفر لا مشقة فيه لاتبعوك، ولكن لما دُعوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد «الشام» في وقت الحر تحاذلوا، وتحلفوا، وسيعتذرون لتخلفهم عن الخروج، حالفين بالله بأنهم لا يستطيعون ذلك، يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعداء.

[٤٣] عفا الله عنك - أيها النبي - عما وقع منك من ترك الأولى والأكمل، وهو إذ ذاك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذنت لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟

[٤٤] ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك - أيها النبي - في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين. والله عليم بمن خافه فاتقا، بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

[٤٥] إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحاً، وشكَّت قلوبهم في صحة ما جئت به - أيها النبي - من الإسلام وشرائعه، فهم في شكهم يتحيزون.

[٤٦] ولو أراد المنافقون الخروج معك - أيها النبي - إلى الجهاد لتأهبوا له بالزاد والراحلة. ولكن الله كره خروجهم فتقلَّ عليهم الخروج؛ قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعاً. وقيل لهم: تحلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان.

[٤٧] لو خرج المنافقون معكم - أيها المؤمنون - للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء، يريدون فتنتكم بتثيبتكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم - أيها المؤمنون - عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم، والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجِهْدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كُنَّ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَئِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ وَسَيَّحَطُوتُ بِاللَّهِ لِيَأْتَسْطَفِعْنَا الْحَرِيفَاتِ مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِرَآدَتِ لَهُمْ حَقِّي وَبَيِّنَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتُهُمْ فَلَوْ أَنَّهُمْ قَهَرُوا فِي رِيبِهِمْ لَيَرَدَّوهُنَّ وَيَأْتُواكَ آتَاؤًا وَالْخُرُوجُ لَأَعْدُوا لَهُ غَدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ لَوْ حَرَجْنَا فِيكُمْ مَا تَرَاوَعْتُمْ الْآخِثَاءَ وَلَا فُضِعُوا خِلَالَكُمْ بَيْعَتَكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾

[٤٨] لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصدّهم عن سبيل الله من قبل غزوة تبوك، وكشّف أمرهم، وصرفوا لك - أيها النبي - الأمور في إبطال ما جنت به، كما فعلوا يوم «أحد» ويوم «الخنديق»، ودبروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله، وأعزّ جنده ونصر دينه، وهم كارهون له.

[٤٩] ومن هؤلاء المنافقين من يطلب الإذن للعود عن الجهاد ويقول: لا توقعني في الابتلاء، بما يعرض لي - في حالة الخروج - من فتنة النساء. لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفليت منهم أحد.

[٥٠] إن يصبك - أيها النبي - سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا

بتخلفنا عن محمد، وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء.

[٥١] قل - أيها النبي - لهؤلاء المتخاذلين زجرأ لهم وتوبيخاً: لن يصيبنا إلا ما قدره الله علينا وكتبه في اللوح

المحفوظ، هو ناصرنا على أعدائنا، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به.

[٥٢] قل لهم - أيها النبي -: هل تنتظرون بنا إلا شهادة في سبيل الله أو ظفراً بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصببكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم.

[٥٣] قل - أيها النبي - للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم؛ لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.

[٥٤] وسبب عدم قبول نفقاتهم أنهم أضرموا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد ﷺ، ولا يأتون الصلاة إلا وهم متشاقلون، ولا يتفقون الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا يحشون على تركها عقاباً؛ بسبب كفرهم.

لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا لَئِنْ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَلَا تَمْسُقْ لِي آيَاتِ الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّا فَضَّلْنَاكَ
حَسَنَةً نَسُوهُمْ وَإِنَّ فَضْلَنَا مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أُمُورًا مِنْ قَبْلِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِيبُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَنْ
نُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مُوَسَّلًا وَعَلَى
اللَّهِ الْقَلْبُ وَكَلَى الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا
إِنْدَى الْمُنْتَسِبِينَ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ إِنْ يَصِيبَكُمُ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا قَرِيبًا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّضُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنِفُوا طُوعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ
مِنْكُمْ إِنَّا نَعْتَمِدُ قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَتَّعْنَاهُمْ أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

[٥٥] فلا تعجبك - أيها النبي - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم؛ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها - حيث لا يحتسبون ذلك عند الله - وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله.

[٥٦] ويحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون - كذباً وباطلاً - إنهم لنتكم، وليسوا منكم، ولكنهم قوم يخافون فيحلفون ثقيّة لكم.

[٥٧] لو يجد هؤلاء المنافقون مأمناً وحصناً يحفظهم، أو كهفاً في جبل يؤويهم، أو نفقاً في الأرض ينجيهم منكم، لانصرفوا إليه وهم يسرعون.

[٥٨] ومن المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، فإن نالهم نصيب منها رضوا وسكتوا، وإن لم يصيبهم حظ منها سخطوا عليك وعابوك.

[٥٩] ولو أن هؤلاء الذين يعيبونك في قسمة الصدقات

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أُنْفُسُهُمْ فَهُمْ كَكَيْفُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخِيفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَقْرَبًا أَوْ مَدْحَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَتْلَمِذُ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ وَإِن إِلَى اللَّهِ رُغْبُورُنَّ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ وَالغَلِيلِ عَلَيْهِمْ وَالْمَوْلَاتِ فَلَوَلَّهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْفَرَسِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ قَرِيبَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّسِيحَ وَيَقُولُونَ هُوَ أذَنٌ قُلْ أَذَنٌ خَيْرٌ لَّكَ يَوْمَئِذٍ بِإِلَهِكَ وَيَوْمَئِذٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

رضوا بما قسم الله ورسوله لهم، وقالوا: حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله، ويعطينا رسوله مما آتاه الله، إنا نرغب أن يوسع الله علينا، فيغنيننا عن الصدقة وعن صدقات الناس. لو فعلوا ذلك لكان خيراً لهم وأجدي.

[٦٠] إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئاً، وللساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلفون قلوبهم بها ممن يُرجى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرّاً أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلتهم الديون في غير فساد ولا تبيذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة، هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدرها. والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره، وشرعه.

[٦١] ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدق. قل لهم - أيها النبي -: إن محمداً هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه، وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم موجه.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ يُرْضَوْنَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْا إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ
 نَحْوِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَاتٍ لَهُمُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
 تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا
 إِنْ أَلَّ اللَّهُ مَخْرَجًا مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِنَّبِئِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعِيبٌ طَائِفَةٌ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَاتِ رَجِيمًا خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِنَّهَا عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾

[٦٤] يخلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعداء الملققة؛ ليرضوا المؤمنين، والله ورسوله أحق وأولى أن يرضوهما بالإيمان بهما وطاعتهما، إن كانوا مؤمنين حقاً.

[٦٥] ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يحاربون الله ورسوله نار جهنم، لهم العذاب الدائم فيها؟ ذلك المصير هو الهوان والذل العظيم، ومن المحاربة أذية رسول الله ﷺ بسببه والقدح فيه، عياداً بالله من ذلك.

[٦٦] يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضرورونه في قلوبهم من الكفر، قل لهم -أيها النبي-: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله مخرج حقيقة ما تحذرون.

[٦٧] ولئن سألتهم -أيها النبي- عما قالوا من القدح في حقك وحق أصحابك ليقولنَّ: إنما كنا نتحدث

بكلام لا قصد لنا به، قل لهم -أيها النبي-: أباالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟

[٦٨] لا تعتذروا -معشر المنافقين- فلا جدوى من اعتذاركم، قد كفرتم بهذا المقال الذي استهزأتم به، إن نعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، تعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

[٦٩] المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيمان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير. إن المنافقين هم الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله.

[٧٠] وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً، هي كافيتهم؛ عقاباً على كفرهم بالله، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب دائم.

[٦٩] إن أفعالكم - معشر المنافقين - من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فظاننا إلى الحياة الدنيا، وتمتعوا بما فيها من الحظوظ والملذات، فاستمتعتم - أيها المنافقون - بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله كخوض تلك الأمم قبلكم؛ أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهبت حسناتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون ببيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا. [٧٠] ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الذين مضوا، من قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب «مدين» وقوم لوط - الذين انقلبت قراهم بهم - عندما جاءهم المرسلون بالوحي وبآيات الله فكذبوهم؟ فأنزل الله بهؤلاء جميعاً عذابه؛ انتقاماً

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَكْرُوفًا وَكَانُوا قَوْمًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الَّذِينَ
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة.

[٧١] والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نهاها عنه، وأولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه.

[٧٢] وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها، ومسكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم.

[٧٣] يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، واشدد على كلاً الفريقين، ومقرهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

[٧٤] يخلف المنافقون بالله إنهم ما قالوا شيئاً يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، إنهم لكاذبون؛ فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام، وحاولوا الإضرار برسول الله محمد ﷺ، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما وجد المنافقون شيئاً يعيبونه، وينقدونه، إلا أن الله -تعالى- تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه ﷺ من الخير والبركة، فإن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب المجمع في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.

[٧٥] ومن فقرأ المنافقين منقطع العهد على نفسه:

يَتَّيْمُنَا الَّذِي جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
وَمَا أُوتِيَهِمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ النَّصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعَدَابَتِهِمْ هُمْ وَمَا
يَسْتَأْذِنُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعِدُّنَهُمْ
اللَّهُ عَذَابًا إِسْتِيفَ الَّذِينَ وَالِ الْأُخْرَىٰ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لِنَبِيِّنَا
مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا بَلَغْنَا مِنْهُمْ مِثْرًا مِنْ فَضْلِهِ بَخَلُوا بِهَا وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُفْرَضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبْتَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ لِقَاؤِهِ
بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَتَجَوَّنَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عِنْدَ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ
فَيَسْتَحْرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

لئن أعطاه الله المال لبيدقن منه، وليعملن ما يعمل الصالحون في أموالهم، وليسيرن في طريق الصلاح.

[٧٦] فلما أعطاهم الله من فضله تجلوا بإعطاء الصدقة وبنفاق المال في الخير، وتولوا وهم معرضون عن الإسلام، [٧٧] فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أن زادهم نفاقاً على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب؛ وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.

[٧٨] ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله علّام الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم.

[٧٩] ومع يخل المنافقين لا ينسّم المتصدقون من أذاهم؛ فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا -سخرية منهم-: ماذا تجدي صدقتهم هذه؟ سخر الله من هؤلاء المنافقين، ولهم عذاب مؤلم موجه.

[٨٠] استغفر - أيها الرسول - للمنافقين أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم. مهما كثر استغفارهم وتكرر؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله. والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته.

[٨١] فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بعودهم في «المدينة» مخالفين لرسول الله ﷺ، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحز، وكانت غزوة «تبوك» في وقت شدة الحز. قل لهم - أيها الرسول -: نار جهنم أشد حرًا، لو كانوا يعلمون ذلك.

[٨٢] فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة «تبوك» قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في نار جهنم؛ جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر.

[٨٣] فإن ردك الله - أيها الرسول - من غزوتك إلى

جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة «تبوك» فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً في غزوة من الغزوات. ولن تقاتلوا معي عدواً من الأعداء؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ.

[٨٤] ولا تصل - أيها الرسول - أبداً على أحد من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعوه؛ لأنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وماتوا وهم فاسقون. وهذا حكم عام في كل من غلب نفاقه.

[٨٥] ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، إنسا يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بما كابدتهم الشدائد في شأنها، وبموتهم على كفرهم بالله ورسوله.

[٨٦] وإذا أنزلت سورة على محمد ﷺ تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله، طلب الإذن منك - أيها الرسول - أولو اليسار من المنافقين، وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج.

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمَخْلُفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْزِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَافِيينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْزَلْنَا بِهَا اللَّهُ وَجْهًا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّلُوقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَعْمَنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَابِكُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ يُؤَذِّنُونَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَنْفُسُهُمْ تَمَتِّعُونَ مِنَ الذَّمِّ حَزَنًا إِلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَا رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهِيَ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[٨٧] رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعدار، وختم الله على قلوبهم؛ بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله ﷺ في سبيل الله، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم. [٨٨] إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد جاهد رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وأولئك هم الفائزون. [٨٩] أعد الله لهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كسب فيها أبداً. ذلك هو الفلاح العظيم.

[٩٠] وجاء جماعة من أحياء العرب حول «المدينة» يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، ويبيّنون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو، وقعد قوم بغير عذر أظهروه، جرأة على رسول الله ﷺ. سيصيب الذين كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار.

[٩١] ليس على أهل الأعدار، من الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج، إنهم في القعود إذا أخلصوا لله ورسوله. وعملوا بشرعه. ما على من أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب من قبله ويؤاخذ عليه. والله غفور للمحسنين، رحيم بهم. [٩٢] وكذلك لا إنهم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم بحملهم إلى الجهاد قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب، فانصرفوا عنك. وقد فاضت أعينهم دمعاً أسفاً على ما فاتهم من شرف الجهاد وثوابه؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون، وما يحملهم لو خرجوا للجهاد في سبيل الله.

[٩٣] إنسا الإثم واللوم على الأغنياء الذين جاؤوك -أيها الرسول- يطلبون الإذن بالتخلف. وهم المنافقون الأغنياء.. اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعدار، وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك.

[٩٤] يعتذر اليكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالأكاذيب عندما تعودون من جهادكم من غزوة «تبوك»، قل لهم - أيها الرسول -: لا تعتذروا لن نصدقكم فيما تقولون. قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم. وسيرى الله عملكم ورسوله. إن كنتم تتوبون من نفاقكم، أو تقيمون عليه، وسيظهر للناس أعمالكم في الدنيا. ثم ترجعون بعد مما تكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها. ويجازيكم عليها.

[٩٥] سيحلف لكم المنافقون بالله - كاذبين معتدزين - إذا رجعت إليهم من الغزوة لتتركهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقاراً لهم، إنهم خبيثاء البواطن، ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة نار جهنم؛ جزاء بما كانوا يكسبون من

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَمْ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ خُبْرِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُؤْتِيهِمْ نُورَهُمْ نُورَهُمْ إِلَىٰ عِلْمِ النَّبِيِّ وَاللَّهُ يَدَّبُ عَلَيْكُمْ فَمَنْ كَفَرَ بَعَثْنَا لِقَوْمِهِ سَيِّئِينَ يَأْتُونَ الْكُفْرَ إِذَا أُنْفِضَتْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَنُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَبِأَن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَبِأَن اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَضَّ بِكُمْ الذُّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

الآثام والخطايا.

[٩٦] يحلف لكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المنافقون كذباً؛ لترضوا عنهم. فإن رضيت عنهم - لأنكم لا تعلمون كذبهم - فإن الله لا يرضى عن هؤلاء، ولا غيرهم ممن استمرؤا على الفسوق والخروج عن طاعة الله ورسوله.

[٩٧] الأعراب سكان البادية أشد كُفراً ونفاقاً من أهل الحاضرة، وذلك لحفائهم وقسوة قلوبهم وبعدهم عن العلم والعلماء، ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام. والله عليهم مجال هؤلاء جميعاً، حكيم في تدبيره لأموال عباده.

[٩٨] ومن الأعراب من يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثواباً. ولا يدفع عن نفسه عقاباً. وينتظر بكم الحوادث والأفات. ولكن السوء دائر عليهم لا بالمسلمين. والله سميع لما يقولون عليه بنياتهم الفاسدة.

[٩٩] ومن الأعراب من يؤمن بالله ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصداً بها رضا الله ومحبتة، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول ﷺ له، ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى. سيدخلهم الله في جنته. إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم.

﴿١٠٠﴾ والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه الكفار، والذين اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال؛ طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالى. أولئك الذين رضي الله عنهم لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لسا أجزل لهم من العوالم على طاعتهم وإيمانهم، وأعدّ لهم جنات تجري تحت قصورها وأشجارها الأنهار خالدين فيها أبداً، ذلك هو الفلاح العظيم.

وفي هذه الآية تزكية للصحابة - رضي الله عنهم - وتعديل لهم، ونساء عليهم؛ ولهذا فإن توقيرهم من أصول الإيمان.

﴿١٠١﴾ ومن القوم الذين حول المدينة؛ أعراب منافقون، ومن أهل المدينة؛ منافقون أقاموا على النفاق، وازدادوا فيه طغياناً، بحيث يخفى عليك - أيها الرسول - أمرهم، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين؛ بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يُرَدُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم.

﴿١٠٢﴾ وآخرون من أهل المدينة؛ ومن حولها، اعترفوا بذنوبهم وندموا عليها وتابوا منها، خلطوا العمل الصالح - وهو التوبة والندم والاعتراف بالذنب، وغير ذلك من الأعمال الصالحة - بأخر سيئ - وهو التخلف عن رسول الله ﷺ وغيره من الأعمال السيئة - عسى الله أن يوفقه للتوبة ويقبلها منهم، إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

﴿١٠٣﴾ خذ - أيها النبي - من أموال هؤلاء التائبين، الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم، والله سميع لكل دعاء، وقول، عليهم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كل عامل بعمله.

﴿١٠٤﴾ ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويقبل الصدقات ويثيب عليها، وأن الله هو الثواب على عباده إذا رجعوا إلى طاعته. الرحيم بهم إذا تابوا إلى رضا؟

﴿١٠٥﴾ وقل - أيها النبي - هؤلاء المتخلفين عن الجهاد: اعملوا لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتباب المعاصي، فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسيثبتين أمركم، وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سرهم وجهركم، فيخبركم بما كنتم تعملون. وفي هذا تهديد ووعيد لمن استمر على باطله وطمغيانه.

﴿١٠٦﴾ ومن هؤلاء المتخلفين عنكم - أيها المؤمنون - في غزوة تبوك؛ آخرون مؤخرون؛ ليقضي الله فيهم ما هو قاض. وهؤلاء هم الذين ندموا على ما فعلوا، وهم: مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، إما يعذبهم الله، وإما يعفو عنهم، والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو. حكيم في كل أقواله وأفعاله.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ حَزَلَكُمْ فَاتَّبِعُوا مَنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ الرِّبَاغِلُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَفِي الْأَمْوَالِ الَّتِي سَرَى اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَى عِلْيَةِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٧] والمانافقون الذين بنوا مسجداً؛ مضارةً للمؤمنين وكفراً بالله وتفريقاً بين المؤمنين؛ ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد «قبا» الذي يصلي فيه المسلمون. فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظاراً لمن حارب الله ورسوله من قبل - وهو أبو عامر الراهب الفاسق - ليكون مكاناً للكيد للمسلمين، وليلحقن هؤلاء المانافقون إنهم ما أرادوا بنيانه إلا الخير والرفق بالمسلمين. والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد «قبا». والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يلحفون عليه. وقد هُدم المسجد وأحرق.

[١٠٨] لا تقم - أيها النبي - للصلاة في ذلك المسجد أبداً؛ فإن المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم - وهو مسجد «قبا» - أولى أن تقوم فيه للصلاة. ففي هذا المسجد رجال يجنون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي. والله يحب المتطهرين. وإذا كان مسجد «قبا» قد أُسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ كذلك بطريق الأولى والأحرى.

[١٠٩] لا يستوي من أُسس بنيانه على تقوى الله وطاعته ومرضاته، ومن أُسس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبني مسجداً ضارراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين، فأدى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم. والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده.

[١١٠] لا يزال ببيان المانافقين الذي بنوه مضارةً لمسجد «قبا» شكاً ونفاقاً ما كُتِبَ في قلوبهم، إلى أن تنقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم. أو يندمهم غاية الندم. وتوبتهم إلى ربهم. وخوفهم منه غاية الخوف. والله عليهم بما عليه هؤلاء المانافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه.

[١١١] إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم، لبذلهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة المنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والقرآن المنزل على محمد ﷺ. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفى بما عاهد الله عليه. فأظهروا السرور - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي يابعتكم الله به. وبما وعدكم به من الجنة والرضوان. وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَادْنَا إِلَّا الْخُسْفَانَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُبَيْسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَبْطُغُوا وَاللَّهُ يَجِبُ الْمَطْهَرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بِنِيتِهِ عَلَى تَقْوَى مِثَّ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بِنِيتِهِ عَلَى شَفَاخِزٍ هَارِقَاتٍ هَارِيهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

الَّتِي بَوَّأْتِ الْمُؤْمِنِينَ لَا سُلْطَانَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهُمُ الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١١٥﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١١٦﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١١٧﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١١٨﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١١٩﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٠﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢١﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٢﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٣﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٤﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٥﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٦﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٧﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٨﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٢٩﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿١١٤﴾ ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة: أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه وبرضاه، الذين أخلصوا العبادة لله وحده، وجدّوا في طاعته، الذين يمدحون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر، الصائمون، الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، ويتهنونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله، المؤدودون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه، القائمون على طاعته، الواقفون عند حدوده، وبشر - أيها النبي - هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفات برضوان الله وجنته.

﴿١١٣﴾ ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا أن يدعوا بالغفرة للمشركين. ولو كانوا ذوي قرابة لهم، من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لموتهم على الشرك، والله لا يغفر للمشركين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾. وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكُونَ فَغَدَّ حَرَّةٌ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبُحْتَةَ﴾.

﴿١١٤﴾ وما كان استغفار إبراهيم - عليه السلام - لأبيه المشرك - إلا عن موعدة وعدها إياه، وهي قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَيًّا﴾. فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، وأنه سيموت كافراً، تركه وترك الاستغفار له، وتبرأ منه. إن إبراهيم - عليه السلام - عظيم التضرع لله. كثير الصفع عما يصدر من قومه من الزلات.

﴿١١٥﴾ وما كان الله ليضلل قوماً بعد أن منن عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبين لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أصول الدين وفروعه. إن الله بكل شيء عليم، فقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبيّن لكم ما به تنتفعون. وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته.

﴿١١٦﴾ إن الله مالك السموات والأرض وما فيهن. لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع. يحيي من يشاء ويميت من يشاء. وما لكم من أحد غير الله يتولى أموركم. ولا نصير ينصركم على عدوكم.

﴿١١٧﴾ لقد وفق الله نبيه محمداً ﷺ إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام. وتاب على أنصار رسول الله ﷺ الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة تبوك في حر شديد، وضيق من الزاد والقهر. لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدعة والسكون، لكن الله شبتهم وقواهم وتاب عليهم. إنه بهم كثير الرأفة والرحمة في عاجلهم وأجلهم. ومن رحمته بهم أن منن عليهم بالتوبة، وقبّلها منهم، وثبتهم عليها.

[١١٨] وكذلك تاب الله على الثلاثة - من الأنصار - الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ في غزوة «تبوك» - وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع - وحزنوا حزناً شديداً، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسعتها؛ غشاً وندماً بسبب تخلفهم، وضائق عليهم أنفسهم لما أصابهم من الهم، وأبغضوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وفقهم الله إلى التوبة وقبِلها منهم؛ ليستمروا ويثبتوا على طاعته. إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

[١١٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعة امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم.

[١٢٠] ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله ﷺ ومن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله ﷺ، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة، والرسول ﷺ في تعب ومشقة؛ ذلك بأنهم لا

يصبغهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضاً يُغضب الكفار وطوهم إياها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلاً أو هزيمة إلا كُتِب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه، وحق خلقه.

[١٢١] ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون وادياً في سيرهم مع رسول الله ﷺ في جهاد، إلا كُتِب لهم أجر عملهم؛ ليجزيهم الله أحسن ما يُجزون به على أعمالهم الصالحة.

[١٢٢] وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً لقتال عدوهم، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعاً، فهلاً خرج للغزو والجهاد من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود؛ وذلك ليتفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجدد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم؛ لعلهم يحذرون عذاب الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه.

وَعَلَى الْفَائِزَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَزَجَتْ وَوَضَّاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرِغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوْنُ مَوْطِنًا يَعْظُمُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا تَفَرُّقٌ مِنْ كُلِّ فَرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَفْتَقَهُوا فِي الَّذِينَ وَلِيَنْبِذُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

[١١٢٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلموا بشرعه ابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى دار الإسلام من الكفار. وليجد الكفار فيكم غلظة وشدة. وعلموا أن الله مع المتقين بتأييده ونصره.

[١١٢٤] وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فينبه هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكاراً واستهزاءً - أيكم زادته هذه السورة تصديقاً بالله وآياته؟

فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيماناً بالعمل بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

[١١٢٥] وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقاً وشكاً إلى ما هم عليه من قبل من النفاق والشك، وهلك هؤلاء وهم جاحدون بالله وآياته.

[١١٢٦] أولاً يرى المنافقون أن الله يبتليهم بالقحط والشدة، ويأظهار ما يبيطنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؛ ثم هم مع ذلك لا يتوبون من كفرهم ونفاقهم، ولا هم يتعظون ولا يتذكرون بما يعاينون من آيات الله.

[١١٢٧] وإذا ما أنزلت سورة تغامر المنافقون بالعيون إنكاراً لنزولها وسخرية وغضباً؛ لما نزل فيها من ذكر عيوبهم وأفعالهم، ثم يقولون: هل يراكم من أحد إن قسم من عند الرسول؟ فإن لم يره أحد قاموا وانصرفوا من عنده عليه الصلاة والسلام مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان؛ بسبب أنهم لا يفهمون ولا يتدبرون.

[١١٢٨] لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم. يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم. وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

[١١٢٩] فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك -أيها الرسول- فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمني. لا معبود بحق إلا هو، عليه اعتمدت، واليه قوضت جميع أموري؛ فإنه ناصري ومعيني. وهو رب العرش العظيم، فعرش الرحمن أعظم المخلوقات.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلَوُا آيَاتِهَا بِلُغَتِكَ مِمَّنْ
لَا يَشْعُرُونَ وَأَلْفَتْهُمُ وَأَلْفَتْهُمُ وَأَلْفَتْهُمُ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُنْقَرِبِينَ ﴿١١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ
يَقُولُ أَيْنَ كُنَّا زَادَهُ هَذِهِ آيَاتُنَا فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٢٤﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
رِجْسِهِمْ وَمَوَاقِفًا وَأَهْزَعُوا قُلُوبَهُمْ ﴿١١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا
سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَوْنَكُمْ مِنْ
أَحَدٍ ثُمَّ أَوَّصَرُوا فَاصْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ فُتِنَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَجِيمٌ ﴿١١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١١٢٩﴾

[سورة يونس]

[١] ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده.

[٢] أكان أمراً عجيباً للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم ينذرهم عقاب الله، ويبشّر الذين آمنوا بالله ورسله أن لهم أجراً حسناً بما قدّموا من صالح الأعمال؟ فلما أتاهم رسول الله ﷺ بوحى الله وتلاه عليهم، قال المنكرون: إنَّ محمداً ساحر، وما جاء به سحر ظاهر البطلان.

[٣] إن ربكم الله الذي أوجد السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضأه في قضائه أحد، ولا يشفع عنده شافع يوم

القيامة إلا من بعد أن يأذن له بالشفاعة، فاعبدوا الله ربكم المتصف بهذه الصفات، وأخلصوا له العبادة، أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج؟

[٤] إلى ربكم معادكم يوم القيامة جميعاً، وهذا وعد الله الحق، هو الذي يبدأ إيجاد الخلق ثم يعيده بعد الموت، فيوجده حياً كهيئته الأولى؛ ليجزي من صدق الله ورسوله، وعمل الأعمال الحسنة أحسن الجزاء بالعدل، والذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله لهم شراب من ماء شديد الحرارة يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، ولهم عذاب مومج بسبب كفرهم وضلالهم.

[٥] الله هو الذي جعل الشمس ضياءً، وجعل القمر نوراً، وقدّر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، يبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق.

[٦] إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من عجائب الخلق وما فيها من إبداع ونظام، لأدلة وحججاً واضحة لقوم يخشون عقاب الله وسخطه وعذابه.

سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرِّفَاقَ ؕ ابْتِئَثَ الْكِتَابَ الْحَكِيمِ ۝ اٰكٰنَ لِلنَّاسِ حِجَابٌ اَنْ اَوْحٰنَا اِلٰى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اُنذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَنْ لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُوْنَ اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ اِنْ رَّبُّكَ اِنَّهٗ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ اِلَّا اِمْنَ عِنْدَ رَبِّهِ ذٰلِكُمْ اَنَّهٗ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ ؕ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۝ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعِنْدَ اللّٰهِ حَقُّ اَنْتَ بَدَا الْخَلْقِ فَرُبِعِدَّةٍ لِّیَجْزِیَ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِیْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرٰبٌ مِّنْ حَمِیْمٍ وَعَذَابٌ اَلِیْمٌ یَّمَا كٰنُوْا یَكْفُرُوْنَ ۝ هُوَ الَّذِى جَعَلَ النّٰسَ سِبْآةً وَالْقَمَرَ نُوْرًا وَقَدَّرَ مَنَازِلَ لِیَعْلَمُوْا عَدَدَ النّٰیِّتِیْنَ وَیَلْبَسَآتِ مَا خَلَقَ اللّٰهُ ذٰلِكَ اِلَّا بِالْحَقِّ یَفْضَلُ الْاٰیٰتِیْ لِقَوْمٍ یَعْلَمُوْنَ ۝ اِنْ فِىْ اٰخْتِلَافِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَآیٰتٍ لِّقَوْمٍ یَشْفَقُوْنَ ۝

[٧] إن الذين لا يطمعون في لقائنا في الآخرة للحساب، وما يتلوه من الجزاء على الأعمال لإنكارهم البعث، ورضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخرة، وركنوا إليها، والذين هم عن آياتنا الكونية والشرعية ساهون.

[٨] أولئك مقرّهم نار جهنم في الآخرة؛ جزاء بما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا.

[٩] إن الذين آمنوا بالله ورسوله و عملوا الصالحات يد لهم ربهم إلى طريق الجنة، ويوفقههم إلى العمل الموصل إليه؛ بسبب إيمانهم، ثم يثيبهم بدخول الجنة وإحلال رضوانه عليهم. تجرّي من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار في جنات النعيم.

[١٠] دعاؤهم في الجنة التسيب (سبحانك اللهم). وحمية الله وملأته لهم، وحمية بعضهم بعضاً في الجنة (سلام)، وآخر دعائهم قولهم: «الحمد لله رب العالمين» أي: الشكر والثناء لله خالق المخلوقات ومرثيها بنعمه.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا يَأْتُهُمُ النَّارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ التَّعْوِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبِّحْنَاكَ اللَّهُمَّ وَحَمِّدْنَا فِيهَا سَنَةً وَآخِرَ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَفْجَأَهُمْ بِالْمَقْتَرِ لَفَضَّى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ قَدْ ذَرَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْغَنِيَةَ: أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَابِئًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ قَسَمِهِ كَذَلِكَ يُزَيِّنُ لِلنَّاسِ فِي مَآكَانٍ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَنْوِيضُونَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١١] ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا، فترك الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث والنشور في تمردهم وعتوهم، يترددون حائرين.

[١٢] وإذا أصاب الإنسان الشدة استغاث بنا في كشف ذلك عنه، مضطجاً لجنبه أو قاعداً أو قائماً، على حسب الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به. فلما كشفنا عنه الشدة التي أصابته استمرّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الشدة والبلاء، وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء. كما زُيّن لهذا الإنسان استمراره على جحوده وعتاده بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، زُيّن للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به.

[١٣] ولقد أهلكتنا الأمم التي كذبت رسول الله من قبلكم -أيها المشركون بريهم- لئلا أشركوا، وجاءتهم رسالتهم من عند الله بالمعجزات الواضحات والجميع التي تبين صدق من جاء بها، فلم تكن هذه الأمم التي أهلكتها لتصدق رسالتها وتتقاد لها، فاستحقوا الهلاك، مثل ذلك الإهلاك تجزي كل مجرم متجاوز حدود الله.

[١٤] ثم جعلناكم -أيها الناس- خلفاً في الأرض من بعد القرون المهلكة؛ لننظر كيف تعملون: أخيراً أم شراً، فنجازيكم بذلك حسب عملكم.

التفسير التيسير

٢١٠

[١٥] وإذا تتلى على المشركين آيات الله التي أنزلناها إليك - أيها الرسول - واضحات، قال الذين لا يخافون الحساب، ولا يرجون العذاب، ولا يؤمنون بيوم البعث والنشور: انت بقرآن غير هذا، أو ببدل هذا القرآن: بأن تجعل الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والوعد وعيदाً، والوعيد وعداً، وأن تُسقط ما فيه من عيب آهتنا وتسفيه أعلامنا. قل لهم - أيها الرسول -: إن ذلك ليس إليّ، وإنما أتبع في كل ما أمركم به وأناهاكم عنه ما ينزله عليّ ربي ويأمرني به، إني أخشى من الله - إن خالفت أمره - عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة. [١٦] قل لهم - أيها الرسول -: لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم، ولا أعلمكم الله به، فاعلموا أنه الحق من الله، فإنكم تعلمون أنني مكثت فيكم زمناً طويلاً من قبل أن يوحى إليّ ربي، ومن قبل أن أتلو عليكم، أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير؟

وَأَذَانُكُمْ عَلَيْكُمْ، أَيَا شَأْنًا يَسْتَكْفِرُ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا تَابَتْ أَيْضًا: إن غير هذا أو ببدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاها، قَسِيحٌ: إن أتبع الآما يوحى إليّ إني أخاف، إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ: قل لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْهُ عَلَيْكُمْ وَلَا آذَنْتُكُمْ بِهِ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْعِلُ الْعَجْرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ الْقَاسِمُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا قُلْ إِنَّمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمِنْ قَبْلِهِ أَتَى النَّاسَ اللَّهُ وَهُوَ لَدُنْهُ أَجْمَعُونَ ﴿١٩﴾

[١٧] لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته. إنه لا ينجح من كذب بآبائه الله ورسوله، ولا ينالون الفلاح.

[١٨] وبعد هؤلاء المشركون من دون الله ما لا يضرهم شيئاً، ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويقولون: إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: أنخبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه من أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيهما شفعاء يشفعون لكم عنده، لكان أعلم بهم منكم. فالله تعالى منزه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع.

[١٩] كان الناس على دين واحد وهو الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فكفر بعضهم، وثبت بعضهم على الحق. ولولا كلمة سبقت من الله يامهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ: بأن يُهْلِكَ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنْهُمْ، وينجي أهل الحق.

[٢٠] ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون: هلاً أنزل على محمد علم ودليل. وآية حسية من ربه نعلم بها أنه على حق فيما يقول. فقل لهم - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب أحد إلا الله، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل. فانتظروا - أيها القوم - قضاء الله بيننا وبينكم بتعجيل عقوبته للمبطل منا، ونصرة صاحب الحق، إني منتظر ذلك.

وَإِذَا أَدْقْنَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ صَرَاةٍ مِّسْتَهْمِرٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ
 فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٥١﴾
 هُوَ الَّذِي يَسْتَرْكِعُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كَثُرَ فِي الْفَلَكَ
 وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيعَةٍ وَقَرَّخُوا بِهَا جَاءَ نَهَايُهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَ هُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَبِنَ أُخِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَتَمَّتْ لِحْمَتُهُ إِذْ هُمْ يَتَفَرَّقُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 أَلْحَقٍ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَثْنَا عَلَىٰ نَفْسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا ثُمَّ أِنْتُمْ رَجَعْتُمْ فَنَسِيتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ
 بِهِ تَبَاتُ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِقَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ
 عَلَيْهَا إِنَّمَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقْنِ
 بِالْأَمِينِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٥١] وإذا أدقنا المشركين يسراً وفرجاً ورحاء بعد غمير
 وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذبون، ويستهنئون
 بآيات الله، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين
 المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجاً وعقوبة
 لكم. إن حفظنا الذين نرسلهم إليكم يكتبون
 عليكم ما تمكرون في آياتنا، ثم نحاسبكم على ذلك.
 [٥٢] هو الذي يسيركم -أيها الناس- في البر على الدواب
 وغيرها، وفي البحر في السفن، حتى إذا كنتم فيها وجرت
 بريح طيبة، وفرح ركاب السفن بالريح الطيبة، جاءت
 هذه السفن ريحٌ شديدة، وجاء الركاب الموج (وهو ما
 ارتفع من الماء) من كل مكان، وأيقنوا أن الهلاك قد
 أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله وحده، وتركوا ما كانوا
 يعبدون، وقالوا: لئن أُخِيتنا من هذه الشدة التي نحن
 فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك.
 [٥٣] فلما أنجاهم الله من الشدائد والأهوال إذا هم
 يعملون في الأرض بالفساد وبالمعاصي. يا أيها الناس
 إنما وِبال بغيكم راجع على أنفسكم. تمتعون به
 متاعاً غير دائم في الحياة الدنيا الزائلة، ثم إنا مصيركم

ومرجعكم، فنخبركم بجميع أعمالكم، ونحاسبكم عليها.

[٥٤] إنما مثل الحياة الدنيا، وما تتفخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت
 به أنواع من النبات، مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من العمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى
 إذا ظهر خضنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا
 وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات والزينة، إما ليلاً وإما نهاراً، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة
 لا شيء فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض. فكذلك يأتي الفناء على ما
 تنبأهون به من دنياكم وزخرفها فيفتنها الله ويهلكها. وكما بيننا لكم -أيها الناس- مثل هذه الدنيا وعمرناكم
 بحقيقتها، نبين حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

[٥٥] والله يدعوكم إلى جناته التي أعدّها لأولياته، ويهدي من يشاء من خلقه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم،
 وهو الإسلام.

[٢٦] للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمرهم، الجنة، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرة والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ما كانوا فيها أبداً.

[٢٧] والذين عملوا السيئات في الدنيا فكفروا وعضوا الله لهم جزء، أعاملهم السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتعشاهم ذلّة وهوان، وليس لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم إذا عقابهم، كانوا ألبست وجوههم أجزاءً من سواد الليل المظلم. هؤلاء هم أهل النار ما كانوا فيها أبداً.

[٢٨] واذكر -أيها الرسول- يوم نحشر الخلق جميعاً للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يفعل بكم، ففرقنا بين المشركين ومعبودهم، وتبرأ من غيبدوا من دون الله ممن كانوا يعبدونهم، وقالوا للمشركين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

[٢٩] فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم، إننا لم نكن نعلم ما كنتم تقولون وتفعلون، ولقد كنا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر بها.

[٣٠] في ذلك الموقف للحساب تتفقد كل نفس أحوالها وأعمالها التي سلفت وتعابنها، وتجازى بحسبها: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ورؤد الجميع إلى الله الحكيم العدل، فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وذهب عن المشركين ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

[٣١] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السماء، بما ينزل من المطر، ومن الأرض بما ينبت فيها من أنواع النبات والشجر تأكلون منه أنتم وأنعامكم؟ ومن يملك ما تتمتعون به أنتم وغيركم من حواش السمع والأبصار؟ ومن ذا الذي يملك الحياة والموت في الكون كله، فيخرج الأحياء والأموات بعضها من بعض فيما تعرفون من المخلوقات، وفيما لا تعرفون؟ ومن يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخلق جميعاً؟ فسوف يجيبونك بأن الذي يفعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تخافون عقاب الله إن عبدتم معه غيره؟

[٣٢] فذلكم الله ربكم هو الحق الذي لا ريب فيه، المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فأني شيء سوى الحق إلا الضلال؟ فكيف تُصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه؟

[٣٣] كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم، حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين خرجوا عن طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به أنهم لا يصدقون بوحداية الله، ولا بنبوته محمد ﷺ، ولا يعملون بهديه.

• الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَذَهُمْ ذُلٌّ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنَ عَاصِرٍ كُلَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قَطَعَاتِ الْبَلِّ نَظَرُوا مُنظَّمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ آلَآئِنَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ إِن كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا تَعْبُودُونَ ﴿٢٩﴾ هَٰذَا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِّنْهُم مَّا نَسَلْتُمْ وَرُؤُوسًا إِلَى اللَّهِ مَوَلَاهُمْ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرَوْنَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَالْحَقُّ مِمَّا قَالُوا أَفَلَا الْغُلَّاقُ إِنِّي نَصْرَفْتُمُوهَا كَذَلِكُمْ كَذَلِكُمْ عَلَى الَّذِينَ قَسَفُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْزَلْنَاكَ مِنْ رَبِّكَ كَذِّبُكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
 إِلَى الْخَلْقِ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ أَحَقُّ أَنْ
 يَبْعَثَ مَنْ لَمْ يَهْدِ إِلَى أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٦﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَفِيءُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ
 لَأَنْزَلْنَاهُ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزَلْنَاهُ
 فِي سُبْحَةٍ وَمَا كَانَ لِشَرِكَيْهِ أَنْ يَسْتَفِيعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ قَوْمِكُمْ
 بَلَاغَةُ أَعْيُنٍ وَمَا يُرْمَوْنَ بِالْحَقِّ لَكِنَّهُمْ يُغْمَرُونَ ﴿١٩﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ فَاظُنُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مِمَّنْ
 يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَقِلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ
 بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّخْرَةَ وَتَوَكَّأَ وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

[٢٤] قل لهم -أيها الرسول- هل من آلهتكم ومعبوداتكم من يبدأ خلق أي شيء من غير أصل، ثم يعنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه؟ فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك، قل -أيها الرسول-: الله تعالى وحده هو الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه ثم يعيده، فكيف تنصرفون عن طريق الحق إلى الباطل، وهو عبادة غير الله؟

[٢٥] قل -أيها الرسول- هلؤلاء المشركين: هل من شركائكم من يرشد إلى الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرون على ذلك، قل لهم: الله وحده يهدي الضال عن الهدى إلى الحق. أيها أحق بالاتباع: من يهدي وحده للحق أم من لا يهدي لعدم علمه ولضلاله، وهم شركاؤكم الذين لا يهدون ولا يهتدون إلا أن يهدوا؟ فما بالحكم كيف سوئتم بين الله وخلقهم؟ وهذا حكم باطل.

[٢٦] وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم بأنها تقرب إلى الله إلا تحمصاً وظناً، وهو لا يفني من اليقين شيئاً. إن الله عليهم بما يفعل هؤلاء المشركون من الكفر والتكذيب.

[٢٧] وما كان يتهدى لأحد أن يأتي بهذا القرآن من عند غير الله؛ لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، ولكن الله أنزله مصدقاً للكتب التي أنزلها على أنبيائه؛ لأن دين الله واحد. وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد ﷺ، لا شك في أن هذا القرآن موحى من رب العالمين. [٢٨] بل يقولون: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فإنهم يعلمون أنه بشر مثلهم!! قل لهم -أيها الرسول-: فأنتم أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهداياته، واستعينوا على ذلك بكل من قد زتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

[٢٩] بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه؛ قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك، ولم يأتهم بعد حقيقة ما وُعدوا به في الكتاب. وكما كذب المشركون بوعيد الله كذبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كانت عاقبة الظالمين؟ فقد أهلك الله بعضهم بالخسف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

[٤٠] ومن قومك -أيها الرسول- من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به حتى يموت على ذلك ويبعث عليه، وربك أعلم بالفسدين الذين لا يؤمنون به، على وجه الظلم والعداوة والفساد، فيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب. [٤١] وإن كذبتك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، فأنتم لا تؤاخذون بعلمي، وأنا لا أوأخذ بعلمكم.

[٤٢] ومن الكفار من يسمعون كلامك الحق، وتلاوتك القرآن، ولكنهم لا يهتدون. أفأنت تقدر على إسماع الصم؟ فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله هدايتهم؛ لأنهم صم عن سماع الحق، لا يعقلون.

[٤٣] ومن الكفار من ينظر إليك وإلى أدلة نبوتك الصادقة، ولكنه لا يبصر ما أتاك الله من نور الإيمان. فأنت -أيها الرسول- تقدر على أن تخلق للعي أبصاراً يهتدون بها؟ فكذلك لا تقدر على هدايتهم إذا كانوا فاقد البصيرة. وإنما ذلك كله لله وحده.

[٤٤] إن الله لا يظلم الناس شيئاً بزيادة في سيناتهم أو نقص من حسناتهم. ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أمر الله ونهيه.

[٤٥] ويوم يحشر الله هؤلاء المشركين يوم البعث والحساب. كأنهم قبل ذلك لم يمكثوا في الحياة الدنيا إلا قدر ساعة من النهار، يعرف بعضهم بعضاً كحالمهم في الدنيا. ثم انقطعت تلك المعرفة وانقضت تلك الساعة. قد خسر الذين كفروا وكذبوا بقاء الله وثوابه وعقابه، وما كانوا موقفين لإصابة الرشد فيما فعلوا.

[٤٦] وأما نريئك -أيها الرسول- في حياتك بعض الذي نعيدهم من العقاب في الدنيا، أو نتوفيك قبل أن نريك ذلك فيهم. فالينا وحدنا يرجع أمرهم في الحالتين، ثم الله شهيد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا. لا يخفى عليه شيء منها، فيجازيهم بها جزاءهم الذي يستحقونه.

[٤٧] ولكل أمة خلقت قبلكم -أيها الناس- رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمداً إليكم يدعو إلى دين الله وطاعته، فإذا جاء رسوله في الآخرة قضى حينئذ بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئاً.

[٤٨] ويقول المشركون من قومك -أيها الرسول-: متى قيام الساعة إن كنت أنت ومن تبعك من الصادقين فيما تعيدوننا به؟

[٤٩] قل لهم -أيها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرراً، ولا أجلب لها نفعاً، إلا ما شاء الله أن يدفع عني من ضرراً أو يجلب لي من نفع. لكل قوم وقت لانقضاء مدتهم وأجلهم، إذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم، فلا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون، ولا يتقدم أجلهم عن الوقت المعلوم.

[٥٠] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله ليلاً أو نهاراً، أي شيء تستعجلون أيها المجرمون بزول العذاب؟

[٥١] أبعد ما وقع عذاب الله بكم -أيها المشركون- أمتهم في وقت لا ينفعكم فيه الإيمان؟ وقيل لكم حينئذ: الآن تؤمنون به، وقد كنتم من قبل تستعجلون به؟

[٥٢] ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله: تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبداً، فهل تعاقبون إلا بما كنتم تعملون في حياتكم من معاصي الله؟

[٥٣] ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك -أيها الرسول- عن العذاب يوم القيامة. أحق هو؟ قل لهم -أيها الرسول-: نعم وربي إنه لحق لا شك فيه، وما أنتم بمعجزين الله أن يبعثكم ويجازيكم، فأنتم في قبضته وسلطانه.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ النَّاسَ سِينَتًا وَأَلْكَى النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَمَا نَزَّلْتُمْهُمُ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَأَمَّا نَرِيَّكَ بِعَضِّ أَوْ تَوْفِيَّتِكَ فَأَلَيْسَ أَمْرُكُمْ مِمَّا اللَّهُ شَهِدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَحُضِرْتُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْرٌ لَّكُمْ فِي شَيْءٍ وَلَا نَفْعٌ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِيدُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ غَيْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ أَلَا يَسْتَعْجِلُونَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ مِّنْهُ ؕ لَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجِزُّونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَفْتِيكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرَأُ
 الْعَذَابَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ الْآبَاءُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ آمَنُوا
 وَتَعَدَّ اللَّهُ حَقَّ وَكَرَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ نَجِيٌّ وَبَرِيئٌ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْ نَكْرًا مَوْعِظَةٌ
 مِّن رَّبِّكَ وَمِثْقَالُهَا فِي الصُّدُورِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
 قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِّزْقِي
 فَجَعَلْنَاهُ مِنه حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ بِاللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ
 اللَّهِ تَقَرَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
 وَلَا تَتْلَوْنَ مِنْهُ مِن عَمَلٍ الْإِسْمَاءِ عَلَيْهِ كُشُوفًا إِذْ يُفِيضُونَ
 فِيهِ وَمَا يُعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِن شَيْءٍ نَّقَالُ ذَرِّي فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

[٥٤] ولو أن لكل نفس أشركت وكفرت بالله جميع ما في الأرض، وأمكنتها أن تجعله فداء لها من ذلك العذاب لافتدت به، وأخفى الذين ظلموا حسرتهم حين أبصروا عذاب الله واقعاً بهم جميعاً، وقضى الله عز وجل بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً إلا بذنبه.

[٥٥] ألا إن كل ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى، لا شيء من ذلك لأحد سواه، ألا إن لقاء الله تعالى وعذابه للمشركين كائن، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة ذلك.

[٥٦] إن الله هو المحيي والمميت لا يتعدّر عليه إحياء الناس بعد موتهم، كما لا تعجزه إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه راجعون بعد موتهم.

[٥٧] يا أيها الناس قد جاء نكم موعظة من ربكم تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات؛ لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة

ورحمة للمؤمنين، وخصّهم بذلك؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عتق.

[٥٨] قل -أيها الرسول- لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته، وهو ما جاءهم من الله من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، فبذلك فليفرحوا؛ فإن الإسلام الذي دعاهم الله إليه، والقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الناهية.

[٥٩] قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجاحدين للوحي: أخبروني عن هذا الرزق الذي خلقه الله لكم من الحيوان والنبات والحشرات فحلّلتهم بعض ذلك لأنفسكم وحرّمتهم بعضه، قل لهم: الله أذن لكم بذلك، أم تقولون على الله الباطل وتكذبون؟ وإنهم ليقولون على الله الباطل ويكذبون.

[٦٠] وما ظنُّ هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب يوم الحساب، فيضيفون إليه تحريم ما لم يجرمه عليهم من الأرزاق والأقوات، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريبتهم عليه؛ أم يحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر لهم؟ إن الله لذو فضل على خلقه؛ بتركه معاملة من افتري عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياهم، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على تفضله عليهم بذلك.

[٦١] وما تكون -أيها الرسول- في أمر من أموركم وما تتلوا من كتاب الله من آيات، وما يعمل أحد من هذه الأمة عملاً من خير أو شر إلا كسنا عليكم شهوداً مّظلمين عليه، إذ تأخذون في ذلك، وتعملونه، فنحفظه عليكم ونحريكم به، وما يغيب عن علم ربك -أيها الرسول- من زنة نملة صغيرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر الأشياء ولا أكبرها، إلا في كتاب عند الله واضح جلي، أحاط به علمه وجرى به قلمه.

[٦٢] أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ. وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ حِظِّ الدُّنْيَا.

[٦٣] وصفات هؤلاء الأولياء، أنهم الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وما جاء به من عند الله، وكانوا يتقون الله بامتنال وأمره، واجتناب معاصيه.

[٦٤] لهؤلاء الأولياء البشارة من الله في الحياة الدنيا بما يسرهم، ومنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وفي الآخرة بالجنة، لا يخلف الله وعده ولا يغيره، ذلك هو الفوز العظيم؛ لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والقفر بكل مطلوب محبوب.

[٦٥] ولا يحزنك -أيها الرسول- قول المشركين في ربهم وافتراقهم عليه وإشراكهم معه الأوثان والأصنام؛ فإن الله تعالى هو المتفرد بالقوة الكاملة والقدرة التامة في الدنيا والآخرة، وهو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

[٦٦] أَلَا إِنَّ لِلَّهِ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ مَنْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ؟ مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الشُّكَّ.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
 الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ النَّسْرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِصْرَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْعَوْنَ إِلَّا لَظَلْرَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا وَاللَّهُ رَاحِمٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ قَالَ الْوَالِدُ اللَّهُ وَوَدَّأَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكَ كُمْرٌ مِنْ سُلْطَنِ يَهْدَأُ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَقُولُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا نِسَاءً لِيَتَاَمَرْنَ جَهَنَّمَ ثُمَّ نَذِقَهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

وإن هم إلا يكذبون فيما ينسبونه إلى الله.

[٦٧] هو الذي جعل لكم -أيها الناس- الليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من عناء الحركة في طلب المعاش، وجعل لكم النهار لتبصروا فيه، ولتسعوا لطلب رزقكم. إن في اختلاف الليل والنهار وحال أهلها فيهما لدلالة وحججاً على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، لقوم يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها.

[٦٨] قال المشركون: اتخذ الله ولداً. كقولهم: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله. تقدس الله عن ذلك كله وتزهد، هو الغني عن كل ما سواه، له كل ما في السموات والأرض. فكيف يكون له ولد من خلق وكل شيء مملوك له؟ وليس لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب، أتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟

[٦٩] قل: إن الذين يفترون على الله الكذب يتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه. لا يبالغون مطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

[٧٠] إنسا يمتعون في الدنيا بكفرهم وكذبهم متاعاً قصيراً. ثم إذا انقضى أجلهم فإلينا مصيرهم، ثم نذيقهم عذاب جهنم؛ بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم رسل الله، وجحدهم آياته.

[٧١] وأقص - أيها الرسول - على كفار «مكة» خبر نوح - عليه السلام - مع قومه حين قال لهم: إن كان غظكم عليكم مقامي فيكم وتذكيري إياكم بحجج الله وبراهينه فعلى الله اعتمادى وبه ثقى، فأعدوا أمركم، وادعوا شركاءكم، ثم لا تجعلوا أمركم عليكم مستتراً بل ظاهراً منكشفاً، ثم اقضوا عني بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تمهلوني ساعة من نهار.

[٧٢] فإن أعرضتم عن دعوي فإنني لم أسألكم أجراً، لأن ثوابي عند ربي وأجري عليه سبحانه، وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المتقادين لحكمه.

[٧٣] فكذب نوحاً قومه فيما أخبرهم به عن الله، فنجيناه هو ومن معه في السفينة، وجعلناهم يخلفون المكذبين في الأرض، وأغرقتنا الذين جحدوا حججتنا، فتأسل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة القوم الذين أنذرتهم رسولهم عذاب الله وبأسه؟

[٧٤] ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم (هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وغيرهم)، فجاء كل رسول قومه بالمعجزات الدالة على رسالته، وعلى صحة ما دعاهم إليه، فما كانوا ليصدقوا ويعملوا بما كذب به قوم نوح ومن سبقهم من الأمم الخالية، وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يحتم على قلوب من شابههم ممن بعدهم من الذين تجاروا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسلمهم من طاعته: عقوبة لهم على معاصيهم.

[٧٥] ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى وهارون - عليهما السلام - إلى فرعون وأشرف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبرا عن قبول الحق، وكانوا قوماً مشركين مجرمين مكذبين.

[٧٦] فلما أتى فرعون وقومه المعجزات التي جاء بها موسى قالوا: إن الذي جاء به موسى من الآيات إنما هو سحر ظاهر.

[٧٧] قال لهم موسى متعجباً من قولهم: أتقولون للحق لما جاءكم: إنه سحر مبين؟ انظروا ووصف ما جاءكم وما اشتغل عليه تجدوه الحق، ولا يفلح الساحرون، ولا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة.

[٧٨] قال فرعون وملؤه لموسى: أجننتنا لتضرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله، وتكون لكما - أنت وهارون - العظمة والسلطان في أرض «مصر»؟ وما نحن لكما بمقرئين بأنكما رسولان أرسلنا إينا: لنعبد الله وحده لا شريك له.

• وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ - يَقُولُ إِنَّ كَانَ كَذِبًا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا نَبَأِي وَتَذَكَّرُوا بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ اللَّهَ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَوْمًا فَاجْتَمِعُوا إِلَيْكُمْ وَأَشْرِكُوا لَكُمْ ذُرِّيًّا لَا يُكْفِرُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ غَمَةٌ ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أُخْرَىٰ إِنَّ أُخْرَىٰ لِلَّذِينَ لَا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ. مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ نَطَعْنَا عَلَىٰ قُلُوبِ الْفَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَهٌ مُّحْرِمٌ مِثْلِ قَالِ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ كَذِبًا أَمْ كُنْتُمْ تَدْرِكُونَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَكَ فِرْعَوْنَ وَالْحَمَانَ وَالْحَمَانَ وَالْحَمَانَ تَابَعَاتِنَا عَمَّا وَعَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَكُن لَكُمْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنْفِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحُقُوكَ بِكَلِمَتِهِ وَيُرَكِّبُ
 الشَّجَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَجَاءَ لِمُوسَى الْأَذْيَاتُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن
 كُفِرْتُمْ يَا اللَّهُ بِأَلْفِ مَلَكَةٍ قَوْمًا وَإِنْ كُفِرْتُمْ لَأَكْثُرُنَّ
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمٍ أَظْلَمِينَ ﴿٨٤﴾
 وَنَجَّيْنَا بَرَحْمِيكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَابْتَئِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالَ آلِيكَ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٧﴾

الكفر والغساد.

﴿٨٦﴾ وقال موسى: يا قومي إن صدقتم بالله -جبل وعلا- وامتثلتم شرعه فتقوا به، وسلّموا لأمره، وعلى الله توكلوا
 إن كنتم مذعنين له بالطاعة.
 ﴿٨٥﴾ فقال قوم موسى له: على الله وحده لا شريك له اعتمدنا، وإليه فوّضنا أمرنا، ربنا لا تنصرهم علينا فيكون
 ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُقتن الكفار بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غلبوا.
 ﴿٨٦﴾ ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين فرعون وملته؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.
 ﴿٨٧﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذنا لقومكما بيوتاً في مصر تكون مساكن وملاجئ تعتصمون
 بها، واجعلوا بيوتكم أماكن تصلّون فيها عند الحرف، وأدّوا الصلاة المفروضة في أوقاتها، وبتّروا المؤمنين
 الطمحين لله بالنصر المؤزر، والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى.
 ﴿٨٨﴾ وقال موسى: ربنا إنك أعطيت فرعون وأشرف قومه زينة من متاع الدنيا، فلم يشكروا لك؛ وإنما استعانوا
 بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم، فلا ينتفعوا بها، واختم على قلوبهم حتى لا تنشرح
 للإيمان. فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجع.

[٨٩] قال الله تعالى لهما: قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم - وكان موسى يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، فمن هنا نسبت الدعوة إلى الاثنين - فاستقيما على دينكما، واستمرا على دعوتكما فرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته، ولا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي.

[٩٠] وقطفنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلماً وعدواناً، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال: أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

[٩١] الآن يا فرعون، وقد نزل بك الموت تقرُّ الله بالعبودية، وقد عصيته قبل نزول عذابه بك، وكنت من المفسدين الصادين عن سبيله!! فلا تنفك التوبة ساعة الاحتضار ومشاهدة الموت والعذاب.

[٩٢] فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض بيدك، ينظر إليك من كذب بهلاكك؛ لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. وإن كثيراً من الناس عن حججنا وأدلتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون.

[٩٣] ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلاً صالحاً مختاراً في بلاد الشام و مصر، ورزقناهم الرزق الحلال الطيب من خيرات الأرض المباركة، فما اختلفوا في أمر دينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم وأتلافهم. ومن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من الإخبار بنبوة محمد ﷺ. إن ربك - أيها الرسول - يقضي بينهم يوم القيامة، ويفصل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك. فيدخل المكذبين النار والمؤمنين الجنة.

[٩٤] فإن كنت - أيها الرسول - في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، من أهل التوراة والإنجيل سؤال تقرير وإشهاد، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويمجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته. والمقصود من الآية إقامة الحججة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ قطعاً لمعذرتهم.

[٩٥] ولا تكونن - أيها الرسول - من الذين كذبوا بحجج الله وأدلتهم فتكون من الخاسرين الذين سخط الله عليهم ونالوا عقابه.

[٩٦] إن الذين حقت عليهم كلمة ربك - أيها الرسول - بطردهم من رحمتهم وعذابه لهم، لا يؤمنون بحجج الله، ولا يقرؤون بوحاينته، ولا يعملون بشرعه.

[٩٧] ولو جاءتهم كل موعظة وعبرة حتى يعابنوا العذاب الموجع. فحينئذ يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم.

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاللَّذِينَ ءَأَمِنْتُ قَبْلَ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ءَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدِيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَأَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ نُوِّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَرِّ مُؤَصَّدٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّلْحِ حَتَّىٰ مَّا اختلفوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ءَأَلَمْ تَكُن فِي سَبِيلِ ءِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابَ الْذِّكْرِ بَقَرَةً وَمِنَ الْكُتُبِ مِّن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعِبَابِ اللَّهِ فَتَكُونُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِي حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَتَوَجَّاهُ تُهْمَةٌ كُفْلٌ ءَأَيُّهُ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

[٩٨] لم ينفع الإيمان أهل قرية آمنوا عند معابنة العذاب إلا أهل قرية يونس بن متى. فإنه لما أبقوا أن العذاب نازل بهم تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً، فلما تبين منهم الصدق في توبتهم كشف الله عنهم عذاب الحزبي بعد أن اقترب منهم، وتركهم في الدنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء آجالهم.

[٩٩] ولو شاء ربك - أيها الرسول - الإيمان لأهل الأرض كلها لآمنوا جميعاً بما جنتهم به، ولكن له حكمة في ذلك، فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وفق حكمته، وليس في استطاعتك أن تُكفر الناس على الإيمان.

[١٠٠] وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه وتوفيقه، فلا تُجهد نفسك في ذلك، فإن أمرهم إلى الله، ويجعل الله العذاب والحزبي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه.

[١٠١] قل - أيها الرسول - لقومك: تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من آيات الله البينات، ولكن الآيات والعبر والرسل المندرة عباد الله عقابه، لا تنفع قوماً لا يؤمنون بشيء من ذلك، لإعراضهم وعنادهم.

[١٠٢] فهل ينتظر هؤلاء إلا يوماً يعابنون فيه عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مضوا قبلهم؟ قل لهم - أيها الرسول - فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم.

[١٠٣] ثم نتجى رسلنا والذين آمنوا معهم، وكما نجينا أولئك نتجيك - أيها الرسول - ومن آمن بك فضلاً منا ورحمة.

[١٠٤] قل - أيها الرسول - هؤلاء الناس: إن كنتم في شك من صحة ديني دعوتكم إليه، وهو الإسلام، ومن ثباتي واستقامتي عليه، وترجون تحويلي عنه، فإني لا أعبد - في حال من الأحوال - أحداً من الذين تعبدونهم مما اتخذتم من الأصنام والأوثان، ولكن أعبد الله وحده الذي يميّتكم ويقبض أرواحكم، وأميرت أن أكون من المصدقين به العاملين بشرعه.

[١٠٥] وأن أقم - أيها الرسول - نفسك على دين الإسلام مستقيماً عليه، غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره، ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الألهة والأنداد، فتكون من الهالكين. وهذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فإنه موجهٌ لعموم الأمة.

[١٠٦] ولا تُدعُ - أيها الرسول - من دون الله شيئاً من الأوثان والأصنام؛ لأنها لا تنفع ولا تضر. فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذاً من المشركين بالله، الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعصية، وهذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فإنه موجهٌ لعموم الأمة.

فَلَوْلَا كُنْتُمْ قَرِيَةً ؕ آمَنْتُمْ فَتَقَعَمَا بِإِمْنِنَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَفْتَنَّا عَنْهُمْ عَصَابَ الْحَزِيْزِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ بِأَلْيَمِيْنَ ۝ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْاَرْضِ كُلُّهُنَّ جَمِيْعًا اَفَاَنْتُمْ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُوْمِنَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَيَجْعَلَ الرِّحْسَ عَلٰى الَّذِيْنَ لَا يَهْتَدُوْنَ ۝ قُلْ اَنْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تُعْبَدُوْنَ اِلَّا اَنْتَ وَالنُّذُرُ عَلٰى قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ قُلْ يَنْتَظِرُوْنَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الْاَزِيْثِ حَتّٰى اَوْمِنُوْا مِنْ قَبْلِهَا ۝ قُلْ فَاَنْظِرُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ ۝ ثُمَّ نَتَجٰى رَسُلَنَا وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُوْمِنِيْنَ ۝ قُلْ يَاۤ اَهْلَ النَّاسِ اِنْ كُنْتُمْ فِيْ شَكٍّ مِّنْ دِيْنِيْ فَلَا اَعْبُدُ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ اَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِيْ يَتَوَفَّاكُمْ وَاُمِرْتُ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ وَاَنْ اَقْرُبَ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيفًا وَّلَا اَكُوْنُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ وَلَا تَدْعُ مَن دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ اِنْ فَعَلْتَ فَاَنْتَ كَالَّذِيْ اٰمَنَ الظّٰلِمِيْنَ ۝

وَأَنْ يَمَسَّنِكَ اللَّهُ بَصُرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ
يَخْتَرُ فَلَا رَادَّ لِقَضِيئِهِ - يَصِيبُ بِهِ - مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ -
وَهُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ ﴿٥٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٥٦﴾ وَأَتَّبِعْ مَا تَوَخَّأَ
إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُضِعَ اللَّهُ لَكَ أَمْرَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٧﴾

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَيْتِبْ أَحْكَمْتَ آيَتُهُ تَفُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿٥٨﴾
الْآتَيْنُوا إِلَّا اللَّهُ ابْنِي لَكَ مِنْهُ تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٥٩﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكَ تُرْفَعُوا إِلَيْهِ يَغْفِرْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِنَّ لَهْلِي سَمِيٌّ وَنُؤِيبٌ
كُلٌّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٦٠﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ إِلَّا أَنَّهُ
يَتَّقُونَ ضُؤْرَهُمْ لَيْسَتْ خُفُؤَامَةٌ إِلَّا جِئِن تَسْتَفْشِرُونَ يَبْأَهُمْ
يَعْلَمَ مَا يَلْبِسُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِذَاتِ الضُّؤُورِ ﴿٦٢﴾

[سورة هود]

[١] (الرَّ) سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذا الكتاب الذي أنزله الله على محمد ﷺ أحكمت آياته من الخلل والباطل، ثم بُيئت بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام من عند الله الحكيم بتدبير الأمور، الخبير بما توول إليه عواقبها.

[٢] وانزال القرآن وبيان أحكامه وتفصيلها وإحكامها؛ لأجل أن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له. إنني لكم -أيها الناس- من عند الله تذيير ينذركم عقابه، وبشير يبشركم بثوابه.

[٣] واسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه نادمين يمتعكم في دنياكم متاعاً حسناً بالحياة الطيبة فيها. إلى أن يحين أجلكم، ويغبط كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله كاملاً لا نقص فيه. وإن تعرضوا عنّا أدعوكم إليه فإني أخشى عليكم عذاب يوم شديد، وهو يوم القيامة. وهذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله.

[٤] إلى الله رجوعكم بعد موتكم جميعاً فأحذروا عقابه، وهو سبحانه قادر على بعثكم وحشركم وجزائكم.

[٥] إن هؤلاء المشركين يظلمون في صدورهم الكفر؛ ظناً منهم أنه يخفى على الله ما تضمنه نفوسهم، ألا يعلمون حين يغطون أجسادهم بثيابهم أن الله لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم؟ إنه عليهم بكل ما تحكته صدورهم من النيات والضمان والسرائر.

[۶] لقد تكفل الله برزق جميع ما دَبَّ على وجه الأرض، تفضلاً منه، ويعلم مكان استقراره في حياته ويعد موته، ويعلم الموضع الذي يموت فيه، كل ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك.

[۷] وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ ليختبركم أيكم أحسن له طاعة وعملاً، وهو ما كان خالصاً لله موافقاً لما كان عليه رسول الله ﷺ. ولئن قلت -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء بعد موتكم، لسارعوا إلى التكذيب وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا سحر بين.

[۸] ولئن أخرجنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معلوم فاستبظووه، ليقولن استهزاءً وتكديباً: أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقاً؟ ألا يوم يأتيهم ذلك العذاب لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه دافع، وأحاط بهم من كل جانب عذاب ما كانوا يستهزئون به قبل وقوعه بهم.

• وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿۱﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْعَبَادَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آيَاتُ مُجْتَمِعِينَ ﴿۲﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مُعَدَّةٍ لَيَقُولُنَّ مَا نَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿۳﴾ وَلَئِنْ أَدْخَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحِمَةً لَفِئَّةٌ تَرَعَنَّتْهَا مِنْهُ بِئْسَ لَيْقُوسٌ كَفُورٌ ﴿۴﴾ وَلَئِنْ أَدْخَأْتَهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ اللَّيْلِيَّاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَنَجْجٌ قُفُورٌ ﴿۵﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿۶﴾ فَلَمَّا تَرَاكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَّاهُ بِهِ ۖ صَدَرَتْ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ آيَةٌ مَعَهُ ۚ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿۷﴾

[۹] ولئن أعطينا الإنسان ميثاقاً نعمة من صحة وأمن وغيرهما، ثم سلبناها منه، إنه لشديد اليأس من رحمة الله، جحود بالنعم التي أنعم الله بها عليه.

[۱۰] ولئن بسطنا للإنسان في دنياه، وسعنا عليه في رزقه بعد ضيق من العيش، ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق عني وزالت الشدائد، إنه ليطير بالنعم، مبالغ في الفخر والتعالي على الناس.

[۱۱] لكن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء، إيماناً بالله واحتساباً للأجر عنده، وعملوا الصالحات؛ شكراً لله على نعمه، هؤلاء لهم مغفرة لتوبتهم وأجر كبير في الآخرة.

[۱۲] فلعلك -أيها الرسول- لعظم ما تراءى منهم من الكفر والتكذيب -تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، مما يُشقى على المشركين سماعه ويشير غضبهم، وضائق به صدرك؛ خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته، فبلغهم ما أوحيناه إليك؛ فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك، والله على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

[١٦٣] بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل مكة: إن محمداً قد افتري هذا القرآن؟ قل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

[١٦٤] فإن لم يستجب هؤلاء المشركون لكم - أيها الرسول - ومن آمن معك - لما تدعونهم إليه؛ لعجز الجميع عن ذلك، فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله إلا الله، فهل أنتم - بعد قيام هذه الحجة عليكم - مسلمون منقادون لله ورسوله؟

[١٦٥] من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومثعبها نغظهم ما قيسم لهم من ثواب أعمالهم في الحياة الدنيا كاملاً غير منقوص.

[١٦٦] أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون

حرّها، وذهب عنهم نفع ما عملوه، وكان عملهم باطلاً؛ لأنه لم يكن لوجه الله.

[١٦٧] أفمن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر يشهد على كونه من عند الله، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قبل القرآن، وهو التوراة - الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به -، كمن كان همه الحياة الفانية بزيتها؟ أولئك يصدّقون بهذا القرآن ويعلمون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ فجرأوه النار، يرذها لا بحالة، فلا تك - أيها الرسول - في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى، بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدّقون ولا يعلمون بما أمروا به، وهذا توجيه عام لأمة محمد ﷺ.

[١٦٨] ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، أولئك سيعرضون على ربهم يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبیین وغيرهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم في الدنيا، قد سخط الله عليهم، ولعنهم لعنة لا تنقطع؛ لأن الظلم الذي اقترفوه صار وصفاً ملازماً لهم.

[١٦٩] هؤلاء الظالمون الذين يمتعون الناس عن سبيل الله الموصلة إلى عبادته، ويريدون أن تكون هذه السبيل عوجاء بموافقتها لأهوائهم. وهم كافرون بالآخرة؛ لا يؤمنون ببعث ولا جزاء.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ قَاتُوا عَشْرَ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيْنَ
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾
فَالرَّيْبُ يَسْتَجِيبُنَا أَكْثَرَ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلَ أَنَّهُمْ مُنْشِقُونَ ﴿٣٨﴾ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَرَبِيتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمُ فِيهَا
لَا يَخْشَوْنَ ﴿٣٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ مَا سَعَوْا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَسْرَةٍ مِنَ رَبِّهِ وَرَبَّلَهُ شَهِيدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ لَهُ سَعْيٌ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَإِنَّآ نَمُوعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٤٣﴾

[٢٠] أولئك الكافرون لم يكونوا يلقونوا الله في الدنيا هرباً، وما كان لهم من أنصار يستعينونهم من عقابه، يضاعف لهم العذاب في جهنم؛ لأنهم كانوا لا يستطيعون أن يسمعوا القرآن سماع منتفع، أو يبصروا آيات الله في هذا الكون إِبصار مهتد؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين.

[٢١] أولئك الذين خسروا أنفسهم بافترائهم على الله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدعون أنها تشفع لهم.

[٢٢] حقاً أنهم في الآخرة أخسر الناس صفقة؛ لأنهم استبدلوا الدركات بالدراجات، فكانوا في جهنم، وذلك هو الخسران المبين.

[٢٣] إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعوا لله في كل ما أمروا به ونهوا عنه، أولئك هم أهل الجنة، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَرَسَلْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لِأَجْرِهِمْ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْحَبَشَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِذِي لَعْنَةٍ نَذِيرٌ قَبِيرٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبُرْجِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ أَسْمَأُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْتَدَّ إِلَيْنَا وَإِنَّا نَقْتُلُكَ وَمَا نَرَى لَكَ اتِّبَاعًا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَزْوَاجُنَا مَا تَدْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا نَرَى لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَضَلٍ يَلُّ تُظُنُّكَ كَذِبِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَيْنِ رَبِّي وَرَأَيْتُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي وَعُقُوبَةً عَلَيْكُمْ أَتَلْذَمْتُمْ كُفْرَهُمْ وَأَنْشَرْتُمْ لَهَا كَاهِنُونَ ﴿٢٩﴾

[٢٤] مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يسمع والبصير والسميع؛ ففريق الكفر لا يبصر الحق فيبعده، ولا يسمع داعي الله فيهتدي به، أما فريق الإيمان فقد أبصر حجج الله وسمع داعي الله فأجابته، هل يستوي هذان الفريقان؟ أفلا تعتبرون وتفكرون؟

[٢٥] ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم: إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم من أمر الله ونهيه.

[٢٦] أمركم ألا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم - إن لم تفردوا الله وحده بالعبادة - عذاب يوم موعده. [٢٧] فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بملك ولكنك بشر، فكيف أوحى إليك من دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أسافلنا وإنما اتبعوك من غير تفكير ولا روية. وما ترى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لنا دخلتم في دينكم هذا، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدعون.

[٢٨] قال نوح: يا قومي أرايتم إن كنت على حجة ظاهرة من ربي فيما جنتكم به تبين لكم أنني على الحق من عند الله، وأتاني رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم، فهل يصح أن نلزمكم لياها بالإكراه وأنتم جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء.

[٢٩] قال نوح عليه السلام لقومه: يا قوم لا أسألكم على دعوتكم لتوحيد الله وإخلاص العبادة له مالا تؤدونه إليّ بعد إيمانكم، ولكن ثواب نصحي لكم على الله وحده، وليس من شأني أن أطرد المؤمنين، فإنهم ملاقور بهم يوم القيامة، ولكي أراكم قوماً تجهلون؛ إذ تأمروني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني. [٣٠] ويا قوم من يسعني من الله إن عاقبني على طردي المؤمنين؟ أفلا تتدبرون الأمور فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح؟

[٣١] ولا أقول لكم: إني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بملك من الملائكة، ولا أقول لهؤلاء الذين تحتقرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثواباً على أعمالكم. فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلت ذلك إني إذ لمن الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أُخِرَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ لِلَّهِ وَمَا أَنَا بِبَطَّارِدٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا زِينَهُمْ وَلَيْكِنِّي أَنْزَلْتُكُمْ قَوْمًا يَتَّبِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يُضَرِّفُ مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَغْنَىٰ لِي الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنْ مَلَكَتْ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَ الْيَمِينَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْفِخُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَانَا فَاتْنَا بِمَا نَعْبُدُ تَابًا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَبْنَاهُ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَيْ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَنْتَبِهَسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْحَعُ الْفَالِكِ يَا عَيْنَانَا وَوَحْيَانَا وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّهُمْ مَغْرُقُونَ ﴿٣٧﴾

[٣٢] قالوا: يا نوح قد حاججتنا فأكثرت جدالنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك. [٣٣] قال نوح لقومه: إن الله وحده هو الذي يأتيكم بالعذاب إذا شاء، ولستم بفائتيه إذا أراد أن يعذبكم؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٣٤] ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان. إن كان الله يريد أن يضلكم ويهلككم. هو سبحانه مالككم، وإليه تُرجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

[٣٥] بل أيقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنت قد افتريت ذلك على الله فعليّ وحدي إثم ذلك، وإذا كنت صادقاً فأنتم المجرمون الأثمون. وأنا بريء من كفركم وتكذيبكم وإجرامكم.

[٣٦] وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نوح -عليه السلام- لما حق على قومه العذاب، أنه لن يؤمن بالله إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن يا نوح على ما كانوا يفعلون.

[٣٧] واصنع السفينة برأى منّا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، ولا تطلب مني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك بكفرهم، فإنهم مغروقون بالطوفان. وفي الآية إثبات صفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

[٣٨] ويصنع الفلأك وكنما امر عليه ملاً من قومه. سخرأومناً قال إن تسخرأومناً فإننا تسخرهم مكرهما تسخرأومناً ﴿٣٨﴾ فسرق تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب ثقيلاً ﴿٣٩﴾ حتى إذا جاء أمرنا وقار السعير قلنا أخيل فيها من كلب زوجين أنتين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴿٤٠﴾ وقال أركبوا فيها بسم الله مجربها ومرسها إن ربي لغفور رحيم ﴿٤١﴾ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في غيري بيني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴿٤٢﴾ قال ستأوي إلى جبل يعصيني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمته وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴿٤٣﴾ وقيل يتأرض أتقى ماءك ويسماء ألقى ويعصب الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعد القوم الظالمين ﴿٤٤﴾ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴿٤٥﴾

[٣٩] فسوف تعلمون إذا جاء أمر الله بذلك: من الذي يأتيه في الدنيا عذاب الله الذي يهينه، وينزل به في الآخرة عذاب دائم لا انقطاع له؟

[٤٠] حتى إذا جاء أمرنا ياهلاكهم كما وعدنا نوحاً بذلك، ونبع الماء بقوة من التنور - وهو المكان الذي يخبز فيه - علامة على سجيء العذاب، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى. واحمل فيها أهل بيتك، إلا من سبق عليهم القول بمن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته، واحمل فيها من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا قليل مع طول المدة والمقام فيهم.

[٤١] وقال نوح لمن آمن معه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها ورسوها. إن ربي لغفور ذنوب من تاب وأناب إليه من عباده، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.

[٤٢] وهي تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، ونادى نوح ابنه - وكان في مكانٍ عزّل فيه نفسه عن المؤمنين - فقال له: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين بالله فتفرق.

[٤٣] قال ابن نوح: سألجأ إلى جبل أمحصن به من الماء، فيمنعني من الغرق، فأجابته نوح: لا مانع اليوم من أمر الله وقضائه الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمه الله تعالى، فأمين واركب في السفينة معنا، وحال الموج المرتفع بين نوح وابنه، فكان من المغرقين الهالكين.

[٤٤] وقال الله للارض - بعد هلاك قوم نوح -: يا أرض اشرى ماءك، وباسماء أمسكي عن المطر، ونقص الماء وتصب، وقضى أمر الله بهلاك قوم نوح، ورسست السفينة على جبل الجودي، وقيل: هلاكاً وبعداً للقوم الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، ولم يؤمنوا به.

[٤٥] ونادى نوح ربه فقال: رب إنك وعدتني أن تنجيني وأهلي من الغرق والهلاك، وإن ابني هذا من أهلي، وإن وعدك الحق الذي لا تخلف فيه، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم.

[٤٦] قال الله: يا نوح إن ابنك الذي هلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أحجهم؛ وذلك بسبب كفره، وعمله عملاً غير صالح. وإني أنهارك أن تسألني أمراً لا أعلم لك به، إني أعظمك لئلا تكون من الجاهلين في مسألتك إياي عن ذلك.

[٤٧] قال نوح: يا رب إني اعتصم وأستجير بك أن أسألك ما ليس لي به علم. وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الذين غيبتوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

[٤٨] قال الله: يا نوح اهبط من السفينة إلى الأرض بأمن وسلامة متاً وخيراً، ونعم دائماً عليك وعلى أمم ممن معك. وهناك أمم وجماعات من أهل الشقاء ستمتعهم في الحياة الدنيا، إن أن يبلغوا آجالهم، ثم ينالهم منا العذاب الموعود يوم القيامة.

[٤٩] تلك القصة التي قصصناها عليك -أيها الرسول- عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب

السالفة، نوحياً إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا البيان، فاصبر على تكذيب قومك وايدانهم لك، كما صبر الأنبياء من قبل، إن العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين الذين يخشون الله.

[٥٠] وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره؛ جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، فما أنتم إلا كاذبون في إشراككم بالله.

[٥١] يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الأوثان أجراً، ما أجري على دعوتي لكم إلا على الله الذي خلقي، أفلا تعقلون فتميزوا بين الحق والباطل؟

[٥٢] ويا قوم اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به، ثم توبوا إليه من ذنوبكم. فإنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم متتابعاً كثيراً، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النعم عليكم، ولا تعرضوا عما دعوتكم إليه مصرين على إجرامكم.

[٥٣] قالوا: يا هود ما جئنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدقين لك فيما تدعيه.

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُصَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْطَأُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُوكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْرٌ وَسَمْتٌ مَعَهُنَّ فُرُوسُهُنَّ فَامْتَسِكُنَّ آمَّا أَتَى الْيَهُودَ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
وَإِلَى عادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ بِنِعْمَةِ رَبِّي أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ إِلَهُ غَيْرُهُ وَإِنِ اشْتَرَى الْأَمْمَاتُ فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَبِنِعْمَةِ رَبِّي اسْتَفْتِي وَأَرْبَعُونَ نُوؤًا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُخْرَجِي رَبِّكُمْ قَالُوا لَنْ نُؤَدِّكَ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِينَ آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٤، ٥٥] ما تقول إلا أن بعض ألهتنا أصابك بجنون بسبب نهيك عن عبادتها. قال لهم: إني أشهد الله على ما أقول، وأشهدكم على أنني بريء مما تشركون، من دون الله من الأنداد والأصنام، فانظروا واجتمعوا أنتم ومن زعمتم من ألهتكم في إلحاق الضربي، ثم لا تؤخروا ذلك طرفة عين؛ ذلك أن هوداً واثق كل الوثوق أنه لا يصيبه منهم ولا من ألهتهم أذى.

[٥٦] إني توكلت على الله ربي وربكم مالك كل شيء، والمتصرف فيه، فلا يصيبني شيء إلا بأمره، وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء يدب على هذه الأرض إلا والله مالكة، وهو في سلطانه وتصرفه، إن ربي على صراط مستقيم، أي عدل في قضائه وشرعه وأمره، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

[٥٧] فلإن تعرضوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له فقد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وقامت عليكم الحجة، وحيث لم تؤمنوا

إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ الْعَالَمِينَ بِسُوءِ قَوْلِ إِيَّائِي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ ذَوِقِيهِ، فَكَيْدُوهُنَّ جَمِيعًا تَأْتِي لَّا تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِيَّائِي تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِعَاتِقِهَا إِنْ رَزَقَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أْبَلَقْنَاكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَزَقَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَاطِطٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا تَجَنَّبْتُمْ هُوَذَا الَّذِينَ آمَنُوا مُعَدِّينَ لَكُمْ وَرَحِمْنَا مَنَّا وَغَنَّبْنَا مَهْرَمِينَ عَذَابٍ عَاطِطٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ جَدِّدُوا بَيِّنَاتٍ وَتَهَيَّؤْا عِصْمًا لِرُسُلِهِمْ وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَنَابٍ عِنْدِي ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَدَابِ قَوْمِهِمْ ﴿٦٠﴾ وَإِن تَسُودُوا أَنفُسَكُمْ صَالِحًا قَالَ يَتُوبُهُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَ كُرْسِيَّ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ عَلَيْهَا فَاتَسْتَعْمِدُونَ فُؤُوسًا إِلَى اللَّهِ إِنْ رَزَقَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِيمَا تَرْجُو قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

بالله فسيهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ويخلصون لله العبادة، ولا تضرونه شيئاً، إن ربي على كل شيء حفيظ، فهو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

[٥٨] ولما جاء أمرنا بعذاب قوم هود تجنبتنا منه هوداً والمؤمنين بفضل منّا عليهم ورحمة، وتجنبتناهم من عذاب شديد أحلّه الله بعداى فأصبحوا لا يبري إلا مساكنهم.

[٥٩] وتلك عاد كفروا بإيات الله وعصوا رسله، وأطاعوا أمر كل مستكبر على الله لا يقبل الحق ولا يُدْعن له، [٦٠] وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله وسخناً منه يوم القيامة، ألا إن عاداً جحدوا ربهم وكذبوا رسله، ألا بُعْدًا وهلاكاً لعاد قوم هود؛ بسبب شركهم وكفرهم نعمة ربهم.

[٦١] وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جُلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، هو الذي بدأ خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُشَّاراً لها، فأسألوه أن يغفر لكم ذنوبكم، وارجعوا إليه بالتوبة النصوح. إن ربي قريب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعا.

[٦٢] قالت ثمود لنبيهم صالح: لقد كنا نرجو أن تكون فينا سيذاً مطاعاً قبل هذا القول الذي قتلته لنا، أتنهانا أن نعبد الألهة التي كان يعبدها آبائنا؟ وإننا لفي شكٍّ مريب من دعوتك لنا إلى عبادة الله وحده.

[٦٣] قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلغ الرسالة وأنصخ لكم؟ فارتيدوني غير تضليل وإبعاد عن الخير.

[٦٤] ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدل على صدقي فيما أذعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسوها بقعر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عقرها.

[٦٥] فكذبوه ونحروا الناقة، فقال لهم صالح: استمتعوا بحياتكم في بلدكم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازل بكم بعدها، وذلك وعد من الله غير مكذوب، لا بد من وقوعه.

[٦٦] فلما جاء أمرنا بهلاك ثمود نجينا صالحاً والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة منا، ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذلتهم. إن ربك -أيها الرسول- هو القوي العزيز، ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم.

[٦٧] وأخذت الصيحة القوية ثمود الظالمين، فأصبحوا في ديارهم موتى هامدين ساقطين على وجوههم لا حراك لهم. [٦٨] كأنهم في سرعة زوالهم وفنائهم لم يعيشوا فيها. ألا إن ثمود جحدوا بآيات ربهم وحججه. ألا بعداً لثمود وطرداً لهم من رحمة الله، فما أشقاهم وأذمهم!!

[٦٩] ولقد جاءت الملائكة إبراهيم - عليه السلام - يبشرونه هو وزوجته ياسحاق، ويعقوب بعده، فقالوا: سلاماً، قال ردأ على تحتهم: سلام، فذهب سريعاً وجاءهم بعجل سمين مشوي لياً أكلوا منه.

[٧٠] فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضرها، قالت الملائكة - لما رأته ما يبراهيم من الخوف -: لا تخف إنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.

[٧١] وامرأة إبراهيم - سارة - كانت قائمة من وراء الستر تسمع الكلام، فضحكت تعجباً مما سمعت، فبشرها - على ألسنة الملائكة - بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولداً يسمى إسحاق، وسيعيش ولداً، وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه، وهو يعقوب.

قَالَ يَقَوْمُ أَنْ يَبْتِمُوا أَنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّ وَءَاتَيْنَا مِنهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُ مِن اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْصِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقُولُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُل فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيًّا ﴿٦٧﴾ كَانُوا يَنْشُؤْنَ فِيهَا إِلَىٰ تَمُودَ أَكْفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَّا بُعْدًا لِلْقَوْمِ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ الرَّخِيمُ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً فَضَحِكْت فَخَبَّرْنَهَا بِأَسْحَىٰ وَمِنْ وَرَاءِهَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبُ ﴿٧١﴾

[٧٢] قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق متعجبة: يا ويلتنا كيف يكون لي ولد وأنا عجوز، وهذا زوجي في حال الشيخوخة والكبر؟ إن إنجاب الولد من مثلي ومثل زوجي مع كبر السن شيء عجيب.

[٧٣] قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله وقضائه؟ رحمة الله وبركاته عليكم معشر أهل بيت النبوة. إنه سبحانه وتعالى حميد الصفات والأفعال، ذو مجد وعظمة فيها.

[٧٤] فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي انتابه لعدم أكل الضيوف الطعام، وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب، ظلَّ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط وأهلاهم.

[٧٥] إن إبراهيم كثير الحلم لا يجب المعالجة بالعقاب، كثير التضرع إلى الله والدعاء له، تائب يرجع إلى الله في أمورهم كلها.

[٧٦] قالت رسل الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل في أمر قوم لوط والتماس الرحمة لهم؛ فإنه قد حق عليهم العذاب، وجاء أمر ربك الذي قدره

قَالَتْ يَوْنَيْعُ ۗ أَلَدًا وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُخَبِّرُهَا بِقَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَخَلِيمٌ ۗ أَوَدَّ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا بَرَّهِيمُ اعْرُضَ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرَ رَبِّكَ ۖ وَأَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا ۖ أَنَّهُمْ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ الشَّيْئَاتِ ۖ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْقِ الْبَيْتِ ۖ وَنُكِرَ لُوطٌ رَضِيحَةً ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَوْلَا أَلِيٌّ لَكَ فَتَقِ اللَّهَ يَا أُنثَىٰ ۖ إِنَّكَ لَمَعْلَمَةٌ مَّا تُنذِرُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْلَا نِيٌّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيٌّ إِلَيَّ رُكْنٌ سَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ۖ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ۖ إِلَّا أَمْرًا لَكَ إِنَّهُ نَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۖ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

عليهم بهلاكهم؛ وإنهم نازل بهم عذاب من الله غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

[٧٧] ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واغتمَّ لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة.

[٧٨] وجاء قوم لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة، وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، فقال لوط لقومه: هؤلاء بناتي تزوجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون، وسماهن بناته؛ لأن نبي الأمة بمنزلة الأب لهم، فآخشوا الله واحذروا عقابه، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي، أليس منكم رجل حسن التقدير للأمر، ينهي من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فإهانة الضيف مستبَّة لا يفعلها إلا أهل السفاهة؟

[٧٩] قال قوم لوط له: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء.

[٨٠] قال لهم حين أتوا: إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصاراً معي، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم، لحلَّت بينكم وبين ما تريدون.

[٨١] قالت الملائكة: يا لوط إنَّا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك، فآخرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لتلا برى العذاب فيصيبه، لكنَّ امرأتك التي خانتك بالكفر والنفاق سيصيبها ما أصاب قومك من الهلاك، إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّنْ يَّسْجَلٍ مُّضْمَرٍ ﴿٨٣﴾ مَسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظُّلُمِينَ يَجْعِلُهَا • وَاللَّيْلَ مَدْرَتِ أَحَاظِرِ
شُعْبَةً قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ مَا لَعَنَهُ مِنَ إِلَهٍ غَيْرِهِ
وَلَا تَنْفُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّجِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَتَقَوَّمُ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
اللَّهِ حَيْزٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيطٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
لَأَنْتَ الْخَلِيسُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ آتَةٌ يَنْهَى إِنْ كُنْتُ
عَلَى بَيْتٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَ لَعْنَهُ إِلَىٰ مَا أَنهَنَّهُ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِضْلَاعَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٣] فلما جاء أمرنا بنزل العذاب بهم جعلنا عالي قراهم التي كانوا يعيشون فيها سافلها فقلبناها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين، قد ضُفَّ بعضها إلى بعض متتابعة، معلّسة عند الله بعلامة معروفة لا تشاكل حجارة الأرض، وما هذه الحجارة التي أمطرها الله على قوم لوط من كفار قريش بعيد أن يُنظروا بها، وفي هذا تهديد لكل عاص متمرد على الله.

[٨٤] وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيباً، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكابيلهم وموازينهم، إني أراكم في سعة عيش، وإني أخاف عليكم - بسبب إنقاص المكيال والميزان - عذاب يوم يحيط بكم.

[٨٥] ويا قوم أتشؤون المكيال والميزان بالعدل، ولا تثقصوا الناس حقهم في عموم أسيانهم، ولا تسبوا في الأرض تعملون فيها بعبادي الله ونشر الفساد.

[٨٦] إن ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال فيه بركة وخير لكم ممّا تأخذونه بالتطيف ونحوه من الكسب الحرام، إن كنتم تؤمنون بالله حقاً، فامتثلوا أمره، وما أنا عليكم برفيق أحصي عليكم أعمالكم.

[٨٧] قالوا: يا شعيب أهد هذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن تعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو أن نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟ وقالوا - استهزاءً به -: إنك لأنت العاقِلُ الحسنُ التدبير في المال.

[٨٨] قال شعيب: يا قوم أرايتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالاً طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه، وما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم قدر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقِي - في إصابة الحق ومحاوله إصلاحكم - إلا بالله، على الله وحده، توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

[٨٩] ويا قوم لا تحملنكم عداوتي وبقضي وفراق الدين الذي أنا عليه على العناد والإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من الهلاك، وما قوم لوط وما حل بهم من العذاب ببعيد عنكم لا في الدار ولا في الزمان.

[٩٠] واطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم، ثم ارجعوا إلى طاعته واستمروا عليها. إن ربي رحيم كثير المودة والمحبة لمن تاب إليه وأناب، يرحمه ويقبل توبته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى، كما يليق به سبحانه.

[٩١] قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإننا لآلئراك فينا ضعيفاً لست من الكبراء ولا من الرؤساء، ولولا مراعاة عشيرتك لقتلناك رجماً بالحجارة - وكان رهطه من أهل ملتهم -، وليس لك قدر واحترام في نفوسنا. [٩٢] قال: يا قوم أعشروا لي أعز وأكرم عليكم من

وَيَقَوْمَهُ لَا يَجِدُ مَعَكُمْ شِقَاقِي أَنْ نَصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِثْلَكُمْ بَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفَرُ لَكُمْ لَنْبَاهِ إِنْ رِزْقِي رَحِيمَةٌ وَرُزُقُوا ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنُرْكَفِئْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيدٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَنْ هَطَلِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاللَّحْدُ شُمُوءٌ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا إِنْ رِزْقِي يَمَّا تَعْلَمُونَ مُجِطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَنْعَمُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ لِي إِلَىٰ عَدِيبٍ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَنْتَقِصُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَنصَحُوا فِي دِينِهِمْ جُثِيئِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَرِيفَتِنَا فِيهَا الْأَبْعَدُ الَّذِينَ كَمَا بَعَدُ ثَمُودَ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

الله؟ ونبذتم أمر ربكم فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون به ولا تنتهون بنهيه، إن ربي بما تعملون مجبط، لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة، وسيجازيكم عليها عاجلاً وأجلاً.

[٩٣] ويا قوم اعملوا كل ما تستطيعون على طريقتكم وحالتكم، إنني عامل مثابر على طريقتي وما وهبني ربي من دعوتكم إلى التوحيد، سوف تعلمون من منا يأتيه عذاب يذله، ومن منا كاذب في قوله، أنا أم أنتم؟ وانتظروا ما سيحل بكم إنني معكم من المنتظرين. وهذا تهديد شديد لهم.

[٩٤] ولما جاء أمرنا ياهلاك قوم شعيب نجينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء، فأهلكتهم، فأصبحوا في ديارهم باركين على رُكبيهم ميتين لا حراك بهم. [٩٥] كان لم يقيموا في ديارهم وقتاً من الأوقات، ألا بُعداً لـ «مدين» - إذ أهلكها الله وأخزاها - كما بَعَدُ ثَمُودَ، فقد اشتركت هاتان القبيلتان في البعد والهلاك.

[٩٦] ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها - بقلب صحيح - أنها تدل على وحدانية الله، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.

[٩٧] أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشرف قومه، فكفر فرعون، وأمر قومه أن يتبعوه فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى، وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد.

[٩٨] يَتَذَكَّرُ فَرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار، ويُفتح المدخل الذي يدخلونه.

[٩٩] وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر لعنة، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى يادخالهم النار. وبئس ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله. ولعنة الدنيا والآخرة.

[١٠٠] ذلك الذي ذكرناه لك - أيها الرسول - من أخبار القرى التي أهلكتنا أهلها نخبرك به. ومن تلك القرى ما له آثار باقية، ومنها ما قد حُجِّث آثاره. فلم يَبْقَ منه شيء.

[١٠١] وما كان إهلاكهم بغير سبب وذنوب يستحقونه، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم في الأرض، فما نفعتهم ألهتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تدفع عنهم الضرر لئلا جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادت ألهتهم غير تدمير وإهلاك وخسران.

[١٠٢] وكما أخذت أهل القرى الظالمة بالعذاب لمخالفتهم أمري وتكذيبهم برسلي، أخذ غيرهم من

أهل القرى إذا ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ومعصيتهم له وتكذيبهم لرسله. إن أخذ بالعقوبة لأليم موجع شديد. [١٠٣] إن في أخذنا لأهل القرى السابقة الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة. ذلك اليوم الذي يُجمع له الناس جميعاً للمحاسبة والحجز، ويشهد الخلائق كهم.

[١٠٤] وما نؤخر يوم القيامة عنكم إلا لانتهاء مدة معدودة في علمنا. لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمتنا. [١٠٥] يوم يأتي يوم القيامة، لا تتكلم نفس إلا بإذن ربها، فمنهم شقي مستحق للعذاب، وسعيد متفضل عليه بالنعيم.

[١٠٦، ١٠٧] فأما الذين شَقُّوا في الدنيا الفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم، فالنار مستقرهم، لهم فيها - من شدة ما هم فيه من العذاب - إخراج النَّفْس من الصُّدْر بِدَفْعٍ ورُدُّه إليه بِشِدَّةٍ، وهما أشنع الأصوات وأقبحها، ما كئيب في النار أبداً ما دامت السموات والأرض. فلا ينقطع عذابهم ولا ينتهي. بل هو دائم مؤكَّد. إلا ما شاء ربك من إخراج عصاة الموحدين بعد مدة من مكثهم في النار. إن ربك - أيها الرسول - فقال لما يريد.

[١٠٨] وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض. إلا الفريق الذي شاء الله تأخيرهم. وهم عصاة الموحدين. فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجنة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء غير مقطوع عنهم.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الرُّودُ
 الْمُرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَيْدِهِ لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئس
 الرِّفْدُ الْمُرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَابِلَةٌ وَمِنْهَا فَاصِلَةٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَمَلَأْنَا أَمْزُجَ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ عَذَابٌ تَنْبِيهُ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّورٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَمِنْ
 الْقُرَى الَّتِي فِيهَا زَكَّرُوا وَتَسْبِيحٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 • وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٩﴾ فلا تكن - أيها الرسول - في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون من قومك، ما يعبدون من الأوثان إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وإنما لموفهم ما وعدناهم تماماً غير منقوص. وهذا توجيه لجميع الأمة، وإن كان لفظه موجهاً إلى الرسول ﷺ.

﴿١١٠﴾ ولقد أتينا موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فأمن به جماعة وكفر به آخرون. كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل خلقه العذاب، لخل بهم في دنياهم قضاء الله بيهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. وإن الكفار من اليهود والمشركين - أيها الرسول - لفي شك - من هذا القرآن - مريب.

﴿١١١﴾ وإن كل أولئك الأقوام المختلفين الذين ذكرنا لك - أيها الرسول - أخبارهم ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم يوم القيامة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون خير، لا يخفى عليه شيء من عملهم. وفي هذا تهديد ووعد لهم.

﴿١١٢﴾ فاستقم - أيها النبي - كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك. ولا تتجاوزوا ما حده الله لكم. إن ربكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير. لا يخفى عليه شيء منها. وسيجازيكم عليها.

﴿١١٣﴾ ولا تميلوا إلى هؤلاء الكفار الظلمة، فتصيبكم النار. وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ويتولى أموركم. ﴿١١٤﴾ وأذ الصلاة - أيها النبي - على أتم وجه، طرقي النهار في الصباح والمساء، وفي ساعات من الليل. إنَّ فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ويمحو آثارها. والأمر بإقامة الصلاة وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، موعظة لمن اتعظ بها وتذكر.

﴿١١٥﴾ واصبر - أيها النبي - على الصلاة، وعلى ما تلقى من الأذى من مشركي قومك؛ فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين في أعمالهم.

﴿١١٦﴾ فهلاً وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير والصلاح، ينهون أهل الكفر عن كفرهم. وعن الفساد في الأرض. لم يوجد من أولئك الأقوام إلا قليل ممن آمن، فنجاهم الله بسبب ذلك من عذابه حين أخذ الظالمين. وأتبع الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ما مَتَعُوا فيه من لذات الدنيا ونعيمها. وكانوا مجرمين ظالمين باتباعهم ما تَتَمَعُوا فيه، فحقَّ عليهم العذاب. وفي الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين؛ لأنهم لا يَحْتَلُونَ من ظلم أنفسهم. ﴿١١٧﴾ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى وأهلها مصلحون في الأرض. محبتين للفساد والظلم،

وإنما يهلكهم بسبب ظلمهم وفسادهم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَبْعُدُونَ بِالْأَلْكَامِ يَعْبُدُونَ أَهْلَاهُمْ مِنْ قَبْلُ وَأَنَا الْوَقُوفُ عَلَيْهَا صِبْغَةَ اللَّهِ وَمِمَّا يُغْتَبَضُ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخَلَقَ فِيهِ وَتَوَلَّى كَلِمَاتِهِ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقِضِي بَيْنَهُمْ وَأَنْهُمْ لِنَبِيٍّ مِنْهُمْ مَرِيْبٌ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ خَلَا لَمَّا لِيُؤْتِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١١﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُقَاتٍ أَلَيْلَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٣﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٤﴾ فَذَلِكُنَّ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهَمُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

[١١٨] ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس مختلفين في أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته.

[١١٩] إلا من رحم ربك فأمتوا به واتبعوا رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وما جاءت به الرسل من عند الله، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أنه خلقهم مختلفين: فريق شقي وفريق سعيد، وكل ميسر لما خلق له. وبهذا يتحقق وعد ربك في قضائه وقدره: أنه سبحانه سيملأ جهنم من الجن والإنس الذين اتبعوا إبليس وجنده ولم يهتدوا للإيمان.

[١٢٠] ونقض عليك -أيها الرسول- من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوي قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة وما اشتملت عليه من أخبار. بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله.

[١٢١، ١٢٢] وقل -أيها الرسول- للكافرين الذين لا يقرؤون بوحديانية الله: اعملوا ما أنتم عاملون على حالتكم وطريقتكم في مقاومة الدعوة وايداء الرسل والمستجيبين له، فإنا عاملون على مكانتنا وطريقتنا من الشيات على ديننا وتنفيذ أمر الله. وانتظروا عاقبة أمرنا، فإنا منتظرون عاقبة أمركم. وفي هذا تهديد ووعيد لهم.

[١٢٣] والله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السموات والأرض، واليه يرجع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده -أيها النبي- وفوض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر. وسيجازي كلأ بعمله.

[سورة يوسف]

[١] ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات الكتاب البين الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهذا.

[٢] إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب؛ لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهديه.

[٣] نحن نقض عليك -أيها الرسول- أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت قبل إنزاله عليك لمن الغافلين عن هذه الأخبار، لا تدري عنها شيئاً.

[٤] اذكر -أيها الرسول- لقومك قول يوسف لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فكانت هذه الرؤيا بشرى لنا وصل إليه يوسف عليه السلام من علو المنزلة في الدنيا والآخرة.

[۵] قال یعقوب - علیه السلام - لابنه یوسف: یا بني لا تذكر لإخوتك هذه الرؤيا فيحسدوك، ويعادوك، ويحتالوا في إهلاكك. إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.

[۶] وكما أراك ربك هذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ويعلمك تفسير ما يراه الناس في منامهم من الرؤى مما تزول إليه واقعا، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بالنبوة والرسالة، كما أنها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق بالنبوة والرسالة. إن ربك عليم بمن يصطفيه من عباده، حكيم في تدبير أمور خلقه.

[۷] لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وأدلة تدل على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عن أخبارهم، ويرغب في معرفتها.

[۸] إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضلهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدد، إن أبانا لفي خطأ بين؛ حيث فضلنا علينا من غير موجب نراه.

[۹] اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العمران يخلص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا من بعد قتل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.

[۱۰] قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف، وألقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون.

[۱۱] قال إخوة يوسف - بعد اتفاقهم على إبعاده -: يا أبانا ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنه أخونا، ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وترعاه، ونخصه بخالص النصح؟

[۱۲] أرسله معنا غدا عندما نخرج إلى مراعينا نبتع وينشط ويفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإنا لحافظون له من كل ما تخاف عليه.

[۱۳] قال يعقوب: إنني ليؤلم نفسي مفارقتي له إذا ذهبتم به إلى المراعي، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون.

[۱۴] قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذا لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يُرجى منا.

قَالَ يَسُوعُ لَا تَقْضِضْ زُرِّيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَسِبُكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمَتِّعُكَ عَلَيْهِ
وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّاعِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لُؤْلُؤُ السُّفِّ وَأَخُوهُ أَحِبُّ
إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝
أَفْتَلُوا يُونُسَ أَوْ أُطْرَجُوهُ أَرْضًا يَأْتِيهَا يَجْلُ لَكُمْ وَجْهٌ يُبَكِّرُ
وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
لَا تَقْتُلُوا يُونُسَ وَالْقَوْمَ فِي عِيبِ النَّجْبِ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ
السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ
يُونُسَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ۝ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبِ
وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَن تَذَهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِن
أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ۝

(١٥) فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ. فلما ذهبوا به وأجمعوا على إلقائه في جوف البئر. وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك مستقبلاً بفعلهم هذا الذي فعلوه بك. وهم لا يحسبون بذلك الأمر ولا يشعرون به.

(١٦) وجاء إخوة يوسف إلى أبيهم في وقت العشاء من أول الليل. سيكون ويظهرون الأسف والجزع.

(١٧) قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في الجزى والري بالسهام. وتركنا يوسف عند زادنا وثيابنا. فلم نقصر في حفظه. بل تركناه في مأمننا. وما فرقناه إلا وقتاً يسيراً. فأكله الذئب. وما أنت بمصدق لنا ولو كنا موصوفين بالصدق؛ لشدة حبك ليوسف.

(١٨) وجاءوا بقميصه ملطخاً بدم غير دم يوسف؛ ليشهد على صدقهم. فكان دليلاً على كذبهم؛ لأن القميص لم يُسرق. فقال لهم أبوهم يعقوب - عليه السلام -: ما الأمر كما تقولون، بل زينت لكم أنفسكم الأثارة بالسوء أمراً قبيحاً في يوسف، فرأيتموه حسناً وفعلتموه، فصبري صبر جميل لا

شكوي معه لأحد من الخلق. وأستعين بالله على احتمال ما تصفون من الكذب، لا بحولي وقوتي.

(١٩) وجاءت جماعة من المسافرين، فأرسلوا من يطلب لهم الماء. فلما أرسل دلوه في البئر تعلق بها يوسف. وفرح وارداً الماء. وابتهج بالعمور على غلام، وقال: يا بُشْرى هذا غلام نفيس. وأخفى الوارد وأصحابه يوسف عن بقية المسافرين فلم يُظهِروه لهم. وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها. والله عليهم بما يعملونه بيوسف.

(٢٠) وباعه إخوته للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم. وكانوا زاهدين فيه راغبين في التخلص منه؛ وذلك أنهم لا يعلمون منزلته عند الله.

(٢١) ولما ذهب المسافرون بيوسف إلى «مصر» اشتراه منهم عزيزها - وهو الوزير -. وقال لامرأته: أحسني معاملته. واجعلي مقامه عندنا كريماً. لعلنا نستفيد من خدمته. أو نقيمه عندنا مقام الولد. وكما أنجبنا يوسف وجعلنا عزيز «مصر» يُعْطِف عليه. فكَذَلِكَ مَكَانَهُ فِي أَرْضِ «مصر»، وجعلنا: على خزانها. ولنعلمه تفسير الرؤى فيعرف منها ما سيقع مستقبلاً. والله غالب على أمره. فحكمة نافذ لا يبطله مبط. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله.

(٢٢) ولما بلغ يوسف منتهى قوته في شبابه أعطيتاه فهماً وعلماً. ومثل هذا الجزاء الذي جزينا به يوسف على إحسانه نجزي المحسنين على إحسانهم. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ. وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِ هَذَا وَهُنَا لَا يُشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ. قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأُنْتِزِعُ مِنْهُ بِضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْمُوتُونَ ﴿١٩﴾ وَسَرَوْهُ بَطْنٌ يُحْيِي دَرَاهِمَهُ مَقْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ: الْكُرْهِيُّ مَثْوَى عَسَى أَنْ يَبْعَهُنَّ أَوْ يَسْتَفِدَّنَهُ. وَلَئِنْ وَكُنَّا بِمَكَانٍ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ. مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾ ودعت امرأة العزيز -برفق ولين- يوسف الذي هو في بيتها إلى نفسها؛ لحبها الشديد له وحسن بهائه، وغلقت الأبواب عليه وعلى يوسف، وقالت: هلم إلي، فقال: معاذ الله أعصم به، وأستجير من الذي تدعيني إليه، من خيانة سيدي الذي أحسن منزلتي وأكرمني فلا أخونه في أهله، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعله.

﴿٢٤﴾ ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدثت يوسف نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عتاً حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أمور.. إنه من عبادنا المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيد..

﴿٢٥﴾ وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج، وأسرعت تحاول الإمساك به، وجذبت قميصه من خلفه؛ لتحول بيته وبين الخروج فسقته، ووجدا زوجها عند الباب فقالت: ما جزاء من أراد بامرأتك

وَرَدَدْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ. وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَازِلَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ. وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ. كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبِقًا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لِدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِئْتِ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءٌ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدُنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ فَذِهِ مِنْ قَبْلِي فَصَدَّقَتْ وَهُوَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ فَذِهِ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ فَذِهِ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ أَنْ كِيدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَجَابَ لِلَّذِي يُدْعِيهِ إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ يَسُوفاً فِي الْمَدِينَةِ امْتَرَأْتُ الْعَزِيزَ مُرْتَدًّا وَقَدَّتْهَا عَنْ نَفْسِهِ. فَذُتَّهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي صَدَقَاتِنَا ﴿٣٠﴾

فاحشة إلا أن يسجن أو يعذب العذاب الموجه.

﴿٢٦﴾ قال يوسف: هي التي طلبت مني ذلك، وشهد صبي في المهد من أهلها فقال: إن كان قميصه شق من الأمام فصدقت في اتهامها له، وهو من الكاذبين.

﴿٢٧﴾ وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين.

﴿٢٨﴾ فلما رأى الزوج قميص يوسف شق من خلفه علم براءة يوسف. وقال لزوجته: إن هذا الكذب الذي اتهمت به هذا الشاب هو من جملة مكركن -أيتهما النساء-، إن مكركن عظيم.

﴿٢٩﴾ قال عزيز -مصر-: يا يوسف اترك ذكرك ما كان منها فلا تذكره لأحد، واطلبي -أيتهما المرأة- المغفرة لذنبك؛ إنك كنت من الآثمين في مرادة يوسف عن نفسه. وفي افترائك عليه.

﴿٣٠﴾ ووصل الخبر إلى نسوة في المدينة فتحدثن به. وقلن منكرات على امرأة العزيز: امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، وقد بلغ حبها له شغاف قلبها -وهو غلافه-، إننا نراها في هذا الفعل لفي ضلال واضح.

[٣١] فلما سمعت امرأة العزيز ببغيتهن إياها واحتياهن في ذمها، أرسلت إليهن تدعوهن لزيارتها، وهيات لهن ما يتكفن عليه من الوسائد، وما يأكله من الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن الطعام، ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأيته أعظمته وأجللته، وأخذهن حسنه وجماله، فجزخن أيديهن وهن يقطعن الطعام من فرط الدهشة والذهول، وقلن متعجبات: معاذ الله، ما هذا من جنس البشر؛ لأن جماله غير معهود في البشر، ما هو إلا ملك كريم من الملائكة.

[٣٢] قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه ما أصابكن هو الفتى الذي لئمتني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراءه؛ ليستجيب لي فامتنع وأبى، ولئن لم يفعل ما أمره به مستقبلاً ليعاقبن بدخول السجن، وليكونن من الأدلاء.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا
وَأُتَتْ كُلَّ وَجْدٍ وَنَهْنَهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْنِي عَنْ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ
أَكْرَهْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُهُ
عَنْ نَفْسِي ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرْتُ لَأَكْسَجُتَ
وَلْيَكُونُنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ ۖ وَالْأَرْضُ فَرِحْتُ بِهَا ۖ وَأَكُن مِّنَ الْمُجْتَهِلِينَ ﴿٣٣﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ۖ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسْتَ جِنَّةً
حَتَّىٰ جِئْتَ ۖ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
رَأَيْتُ أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي رَأَيْتُ أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي
خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا تَرَيْنَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاهُ ۖ إِلَّا نَتَنَبَّأُكُمْ
بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا وَمَا عَلَّمْتَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

[٣٣] قال يوسف مستعيداً من شرهن ومكرهن: يا رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أميل إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم بعواقبه.

[٣٤] فاستجاب الله ليوسف دعاءه، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواباتها من معصية الله. إن الله هو السميع لدعاء يوسف، ودعاء كل داع من خلقه، العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبم حاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

[٣٥] ثم ظهر للعزيز وأصحابه - من بعد ما رأوا الأدلة على براءة يوسف وعفته - أن يسجنوه إلى زمن يطول أو يقصر؛ منعاً للفضيحة.

[٣٦] ودخل السجن مع يوسف فتَيَان، قال أحدهما: إني رأيت في المنام أني أعصر عنبا ليصير خمراً، وقال الآخر: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إننا نراك من الذين يحسنون في عبادتهم لله، ومعاملتهم لخلقهم.

[٣٧] قال لهما يوسف: لا يأتِيكُمَا طعام تُرْزَقَانِهِ في حال من الأحوال إلا أخبرتكم بما بتفسيره قبل أن يأتِيكُمَا، ذلِكُمَا التعبير الذي سأعبرُ لِكُمَا بما علَّمَنِي رَبِّي؛ إني أمنت به، وأخلصت له العبادة، وابتعدت عن دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالبعث والحساب جاحدون.

[٣٨] واتبعت دين أبيي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده. ما كان لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته، ذلك التوحيد يفراد الله بالعبادة، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس. ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان.

[٣٩] وقال يوسف للفقيين اللذين معه في السجن: أعبادة آلهة مخلوقة شئ خير أم عبادة الله الواحد القهار؟

[٤٠] ما تعبدون من دون الله إلا أسماء لا معاني وراءها، جعلتموها أنتم وآباؤكم أرباباً جهلاً منكم وضلالاً، ما أنزل الله من حجة أو برهان على صحتها، ما الحكم الحق إلا الله تعالى وحده، لا شريك له، أمر ألا تتقادوا ولا تخضعوا لغيره، وأن تعبدوه وحده، وهذا هو الدين القيم الذي لا عوج فيه، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

[٤١] يا صاحبي في السجن، إليكما تفسير رؤياكما:

أما الذي رأى أنه يعصر العنب في رؤياه فإنه يخرج من السجن ويكون ساقى الخمر للملك، وأما الآخر الذي رأى أنه يحمل على رأسه خبزاً فإنه يضلّب ويترك، وتأكّل الطير من رأسه، فضي الأمر الذي فيه تستفتيان وفرغ منه. [٤٢] وقال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه: اذكرني عند سيّدك الملك، وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات. [٤٣] وقال الملك: إني رأيت في منامي سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات من الهزال، ورأيت سبع سنبلات خضر. وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والكبراء أخبروني عن هذه الرؤيا، إن كنتم للرؤيا تفسرون.

وَأَتَيْنَتْ يَلِيلَةً آتَتْهَا بَنَاتُ إِسْرَائِيلَ وَاسْتَحَقْنَ وَيَعْلَمُونَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُنْفِرَكَ يَا اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ يَصْدِحِي السَّجْنِي: أُرِيَابَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥٢﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ أَمْرًا لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ يَصْدِحِي السَّجْنِي: أَمَا أَحَدُكُمْ مَا يَتَّبِعِي وَيَتَّبِعُونَ وَأَنَا الْآخِرُ فَيَضَلُّبُ فَتَأْكُلُ الْقَطِيرُ مِنْ رَأْسَيْهِ: فَضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الْوَسْوَاسُ الْخَفِيُّ فَنَزَلَ فِي السَّجْنِ وَيَضَعُ سِينِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنْ إِيَّايَ سَمِعَ بِقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَائِفٍ وَسَبْعَ سَنَابِلَاتٍ خَضْرَاءَ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ يَأْكُلْنَهَا أَمَلًا أَفْتَرُونَ فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٥٦﴾

[٤٤] قالوا: رؤياك هذه أخلط أحلام لا تأويل لها، وما نحن بتفسير الأحلام بعالمين.

[٤٥] وقال الذي نجا من القتل من صاحبي يوسف في السجن، وتذكر بعد مدة ما نسي من أمر يوسف: أنا أخبركم بتأويل هذه الرؤيا، فابعثوني إلى يوسف لأتيكم بتفسيرها.

[٤٦] وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له: يوسف أيها الصديق فسر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات؛ لعلني أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

[٤٧] قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جاديين ليكثر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فأدخروه، واتركوه في سنبله؛ ليتم حفظه من التسوس، وليكون أبقى. إلا قليلاً مما تأكلونه من الحبوب.

قَالُوا أَضْعَفَتْ أَعْيُنُهُمْ وَمَا عَنْهُمْ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمٍ ۗ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنَ الْقَتْلِ مِنْ صَاحِبَيْ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ، وَتَذَكَّرَ بَعْدَ مَدَّةٍ مَا نَسِيَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ: أَنَا أَخْبَرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرَّؤْيَا، فَابْعَثُونِي إِلَى يُوسُفَ لِأَتِيَكُمْ بِتَفْسِيرِهَا. ۝
 [٤٥] وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنَ الْقَتْلِ مِنْ صَاحِبَيْ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ، وَتَذَكَّرَ بَعْدَ مَدَّةٍ مَا نَسِيَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ: أَنَا أَخْبَرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرَّؤْيَا، فَابْعَثُونِي إِلَى يُوسُفَ لِأَتِيَكُمْ بِتَفْسِيرِهَا. ۝
 [٤٦] وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجُلَ إِلَى يُوسُفَ قَالَ لَهُ: يُوسُفَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ فَسِّرْ لَنَا رُؤْيَا مَنْ رَأَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ، وَرَأَى سَبْعَ سِنْبَلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرٍ يَابِسَاتٍ؛ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ فَأَخْبِرُهُمْ؛ لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَانَتَكَ وَفَضْلَكَ. ۝
 [٤٧] قَالَ يُوسُفَ لِسَائِلِهِ عَنِ الرَّؤْيَا الْمَلِكِ: تَفْسِيرُ هَذِهِ الرَّؤْيَا أَنَّكُمْ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ مُتَابِعَةً جَادِيَيْنِ لِيَكْثُرَ الْعَطَاءُ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَأَدْخُرُوهُ، وَاتْرَكُوهُ فِي سِنْبَلِهِ؛ لِيَتِمَّ حِفْظُهُ مِنَ التَّسْوُسِ، وَلِيَكُونَ أَبْقَى. إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ. ۝

[٤٨] ثم يأتي بعد هذه السنين الخصبه سبع سنين شديدة الجذب، يأكل أهلها كل ما ادخرتم لهن من قبل، إلا قليلاً مما تحفظونه وتدخرونه ليكون بذوراً للزراعة.

[٤٩] ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدية عام ييغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخصب والنماء.

[٥٠] وقال الملك لأعوانه: أخرجوا الرجل المعتر للرويا من السجن وأحضروه لي، فلما جاءه رسول الملك يدعوه قال يوسف للرسول: أرجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يسأل النسوة اللاتي جرحن أيديهن عن حقيقة أمرهن وشأنهن معي؛ لتظهر الحقيقة للجميع، وتتضح براءتي، إن ربي علم بصنيعهن وأفعالهن لا يخفى عليه شيء من ذلك.

[٥١] قال الملك للنسوة اللاتي جرحن أيديهن: ما شأنكن حين راودتن يوسف عن نفسه يوم الضيافة؟ فهل رأيتم منه ما يريب؟ قلن: معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه، عند ذلك قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق بعد خفائه، فأنا التي حاولت فتنته بإغرائه فامتنع، وإنه لمن الصادقين في كل ما قاله.

[٥٢] ذلك القول الذي قلته في تنزيه يوسف والإقرار على نفسي ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه، ولم تقع مني الفاحشة مع أني راودته، واعترفت بذلك لإظهار براءتي وبراءته. وأن الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم.

[٥٣] قالت امرأة العزيز: وما أُرزقي نفسي ولا أبرئها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلباً للمذات، إلا من عصمه الله. إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، ورحيم بهم.

[٥٤] وقال الملك الحاكم لمصر: حين بلغت براءة يوسف: جيتوني به أجمعه من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلمه الملك. وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء.

[٥٥] وأراد يوسف أن ينفع العباد، ويقم العدل بينهم. فقال للملك: اجعلني والياً على خزان «مصر»، فإني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتواؤا.

[٥٦] وكما أنعم الله على يوسف بالخلاص من السجن مكثن له في أرض «مصر» ينزل منها أي منزل شاء.. يصيب الله برحمته من يشاء من عباده المتقين، ولا يضيع أجر من أحسن شيئاً من العمل الصالح.

[٥٧] ولتواب الآخرة عند الله أعظم من ثواب الدنيا لأهل الإيمان والتقوى الذين يخافون عقاب الله، ويطيعونه في أمره ونهيه.

[٥٨] وقديم إخوة يوسف إلى «مصر» -بعد أن حل بهم الجذب في أرضهم-؛ ليجلبوا منها الطعام، فدخلوا عليه ففرغهم لقوة فراسته وذكائه، ولم يعرفوه لطول المدة وتغير هيئته.

[٥٩] وقد أمر يوسف بإكرامهم وحسن ضيافتهم، ثم أعطاهم من الطعام ما طلبوا، وكانوا قد أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم لم يحضروه معهم -يريدون شقيقه «بنيامين»- فقال: اتوني بأخيكم من أبيكم، ألم تروا أنني أوفيت لكم الكيل وأكرمتكم في الضيافة. وأنا خير المضيفين لكم؟

[٦٠] فإن لم تاتوني به فليس لكم عندي طعام أكيله لكم، ولا أتوا إليّ.

[٦١] قالوا: سنبدل جهدنا لإقناع أبيه أن يرسله معنا، ولن نقصر في ذلك.

[٦٢] وقال يوسف لغلسانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سراً رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدرُوا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعاً في عطائنا.

[٦٣] فلما رجعوا إلى أبيهم قسوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم. وقالوا: إنه لن يعطينا -مستقبلاً- إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرنا به، فأرسله معنا نحضر الطعام واقياً، ونتمهد لك بحفظه.

• وَمَا أَتَيْنَ نَفْسَ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا نَحْنُ رَدِفُ
إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ أَنْتَ خَلْصُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَجْرُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَرَجَاءُ
إِخْوَتِهِ يُوْسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُسْتَكْرِمُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنْوِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ إِلَّا
تُرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي
بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرْنَا عَنْهُ آيَاتِنَا
وَأَنَّا لَمُفْعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بَصِغْتَكُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَرَوْنَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَمَنَّهُمْ بِرِجْعِهِمْ ﴿٦٢﴾
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمُنِعُ مِنَّا الْكَيْلَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا خَاتَمًا نَسْتَكْتَلُ بِأَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْتُمْ ﴿٦٣﴾

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنَ شُرَكَاءُ عَلَىٰ أَخِيهِمْ
 قِيلَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَزْهَقُ الرَّجِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِصَنَعَتِهِمْ رِذْتَ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَاتَا
 مَا نَبِئُكَ هَذِهِ بَصَنَعَتْنَا رِذْتَ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانَا وَنَزِدُكَ كَيْلًا بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي
 بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكَ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَتَهُ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَسَّىٰ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ وَجْدٍ
 وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِنَّ أَلْهَكُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا وَأَنَّهُ لَدُوٌّ غَلِيظٌ لَمَّا عَلَّمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانَ ءَاوَىٰ بِهَذَا

[٦٤] قال لهم أبوهم: كيف آمنكم على «بنيامين» وقد آمنتمكم على أخيه يوسف من قبل، والتزمتم بحفظه فلم تقفوا بذلك؟ فلا أثق بالترامكم وحفظكم، ولكني أثق بحفظ الله، خير الحافظين وأرحم الراحمين، أرجو أن يرحمني فيحفظه ويردّه عليّ.

[٦٥] ولما فتحوا أروعيتهم وجدوا ثمن بضاعتهم الذي دفعوه قد ردّ إليهم، قالوا: يا أبانا ماذا نطلب أكثر من هذا؟ هذا ثمن بضاعتنا ردّه العزيز إلينا، فكن مطمئناً على أخينا، وأرسله معنا؛ لنجلب طعاماً وثيراً لأهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد جمل بغير له؛ فإن العزيز يكيل لكل واحد جمل بغير، وذلك كيل يسير عليه.

[٦٦] قال لهم يعقوب عليه السلام: لن أتركه يذهب معكم حتى تتعهدوا وتحلفوا لي بالله أن تردوه إليّ، إلا أن تغلبوا عليه فلا تستطيعوا تخليصه، فلما أعطوه عهد الله على ما طلب، قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل، أي تكفيننا شهادته علينا وحفظه لنا.

[٦٧] وقال لهم أبوهم: يا أبنائي إذا دخلتم أرض «مصر»

فلا تدخلوا من باب واحد، ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة، حتى لا نصيبكم العين، وإني إذا أوصيكم بهذا لا أرفع عنكم شيئاً قضاء الله عليكم، فما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت ووثقت، وعليه وحده يعتمد المؤمنون.

[٦٨] ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين، وإن يعقوب لصاحب علم عظيم بأمر دينه علمه الله له وحياً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، ولا ما يعلمه يعقوب -عليه السلام- من أمر دينه.

[٦٩] ولما دخل إخوة يوسف عليه في منزل ضيافته ومعهم شقيقه «بنيامين»، ضم يوسف إليه شقيقه، وقال له سرّاً: إني أنا أخوك فلا تحزن، ولا تغمّ بما صنعوا بي فيما مضى، وأمره بكتمان ذلك عنهم.

[٧٠] فلما جئهم يوسف، وحمل إبلهم بالطعام، أمر عماله، فوضعوا الإساء الذي كان يكيل للناس به في متاع أخيه «بنيامين» من حيث لا يشعر أحد، ولما ركبو ليسيروا نادى منادٍ قائلاً: يا أصحاب هذه القافلة المحملة بالطعام، إنكم لسارقون.

[٧١] قال أولاد يعقوب مقبلين على المنادي: ما الذي تفقدونه؟

[٧٢] قال المنادي ومن محضرته: تفقد المكيال الذي يكيل الملك به، ومكافأة من نحضره مقدار حمل بعير من الطعام، وقال المنادي: وأنا يحمل البعير من الطعام ضامن وكفيل.

[٧٣] قال إخوة يوسف: والله لقد تحققتم مما شاهدتموه منا أننا ما جننا أرض «مصر» من أجل الإفساد فيها، وليس من صفاتنا أن نكون سارقين.

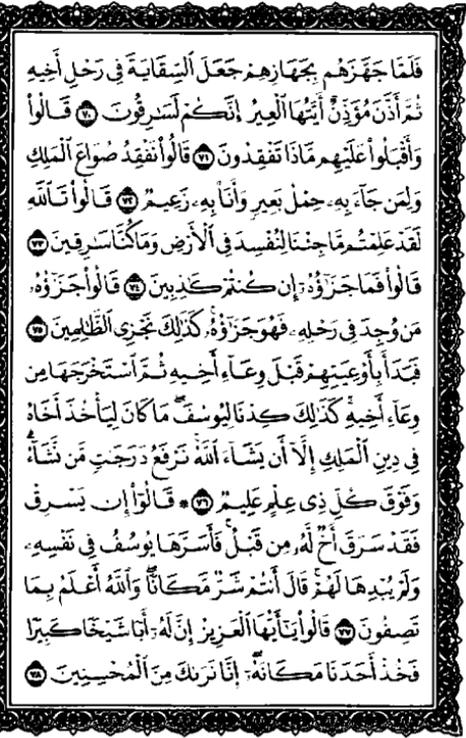
[٧٤] قال المكلفون بالبحث عن المكيال لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم كاذبين في قولكم: لسا بسارقين؟

[٧٥] قال إخوة يوسف: جزاء السارق من وجد المسروق في رحله فهو جزاؤه، أي: يسلم بسرقة إلى من سرق منه حتى يكون عبداً عنده، مثل هذا الجزاء - وهو الاسترقاق - نجزي الظالمين بالسرقة، وهذا ديننا وسننتنا في أهل السرقة.

[٧٦] ورجعوا بإخوة يوسف إليه، فقام بنفسه يفتش أمتعتهم، فبدأ بأمتعتهم قبل متاع شقيقه: إحصاءاً لما دبره لاستيقاظ أخيه معه، ثم انتهى بوعاء أخيه، فاستخرج الإساء منه، كذلك يئسنا ليوسف هذا التدبير الذي توصل به لأخذ أخيه، وما كان له أن يأخذ أخاه في حكم ملك «مصر»؛ لأنه ليس من دينه أن يُتملك السارق، إلا أن مشيئة الله اقتضت هذا التدبير والاحتكام إلى شريعة إخوة يوسف القاضية برق السارق. نرفع منازل من نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علم من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

[٧٧] قال إخوة يوسف: إن يُسرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل - يقصدون يوسف عليه السلام -، فأخفى يوسف في نفسه ما سمعه من نُهانتهم، وحَدَّث نفسه قائلاً: أنتم أسوأ منزلة ممن ذكرتم، حيث دبرتم لي ما كان منكم، والله أعلم بما تصفون من الكذب والافتراء.

[٧٨] قالوا مستعطفين ليوسف أبعد أبيهم: يا أيها العزيز إن له والداً كبيراً في السن يحبه ولا يطيق بعده، فخذ أحدنا بدلاً من «بنيامين»، إنا نراك من المحسنين في معاملتك لنا ولغيرنا.



فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ لَكُمْ لَسْرِقُوتٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ الْوَالِدُ لِأَخِيهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جُمِلَ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٥٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفَيْدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاءُكَ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا جَزَاءُؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ فَبَدَأَ بِأُورِشَلِيمَ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن يَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّا نَسْرِفُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلِ فَأَسْرَبْنَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ نَبْدِهِهَا لَهَا قَالُوا لَنَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ أَعَلَمْ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَّةَ اللَّهُ إِنَّا نُرْثُكَ مِنَ الْفُحْشِيَّةِ ﴿٦٣﴾

[٧٩] قال يوسف: نعتصم بالله ونستجير به أن نأخذ أحداً غير الذي وجدنا المكيال عنده - كما حكمتم أنتم-، فإننا إن فعلنا ما تطلبون نكون في عداد الظالمين.

[٨٠] فلما يتسوا من إجابته إياهم لما طلبوه انفردوا عن الناس، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم، قال كبيرهم في السن: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد المؤكد لتردُّ أخاكم إلا أن تغلبوا، ومن قبلي هذا كان تقصيركم في يوسف وغدركم به؛ لذلك لن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في مفارقتها، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وأمكن من أخذ أخي، والله خير من حكمكم، وأعدل من فصل بين الناس.

[٨١] ارجعوا أنتم إلى أبيكم، وأخبروه بما جرى، وقلوا له: إن ابنك بنيامين قد سرق، وما شهدنا

قَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عِنْدَهُ - إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا ۖ فَلَمَّا اسْتَنْسَبُوا مِنْهُ حَالُوا وَتَجِبْنَا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلَ مَا قَرَّرْطَهُ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذُنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۗ ۝٨٠ اَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَأْتِيَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِإِيمَانٍ عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۗ ۝٨١ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْبَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۗ ۝٨٢ قَالَ بَلْ سَوَّكْتَ لَكَرْمِ أَنْفُسِكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۗ ۝٨٣ وَيُضَيِّتْ عَمَتَهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۗ ۝٨٤ قَالُوا تَاللَّهِ تَعَزَّوْنَا أَتَدْعُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَسًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۗ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَاتِي ۖ وَحَازِنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ ۝٨٦

بذلك إلا بعد أن تَبَقَّأ، فقد رأينا المكيال في رحله، وما كان عندنا علم الغيب أنه سيسرق حين عاهدناك على ردِّه. [٨٢] ولما رجعوا أخبروا أباهم بما حدث، وطلبوا إليه أن يتوثق مما أخبروه قائلين: واسأل -يا أبانا- أهل مصر، ومن كان معنا في القافلة التي عُذْنَا فيها، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

[٨٣] قال لهم: بل زَيَّنْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ الأُمارة بالسوء مكيدة: دَبَّرْتُمُوهَا كما فعلتم من قبل مع يوسف، فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى معه، عسى الله أن يرُدَّ إليّ أبنائي الثلاثة - وهم يوسف وشقيقه وأخوهم الكبير المتخلف من أجل أخيه- إنه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره.

[٨٤] وأعرض يعقوب عنهم، وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال: يا حسرتا على يوسف وايضَّضت عينا، بذهاب سوادهما من شدة الحزن فهو يمتلئ القلب حزناً، ولكنه شديد الكتمان له.

[٨٥] قال بنو: تالله ما تزال تذكر يوسف، ويشتدُّ حزنك عليه حتى تُشْرِفَ على الهلاك أو تهلك فعلاً، فخفف عن نفسك.

[٨٦] قال يعقوب مجيباً لهم: لا أظهر همِّي وحزني إلا لله وحده، فهو كاشف الضرِّ والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمونه.

[٨٧] قال يعقوب: يا أبنائي عودوا إلى مصر فاستقصوا أخبار يوسف وأخيه، ولا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله؛ إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.

[٨٨] فذهبوا إلى مصر للمرة الثالثة، فلما دخلوا على يوسف قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا القحط والجذب، وجنناك بضمن ردي قليل، فأعطنا به ما كنت تعطينا من قبل باليمن الجيد، وتصدق علينا بقبض هذه الدراهم الرديئة القليلة وتسامح معنا فيها، إن الله تعالى يثيب المتفضلين بأموالهم على أهل الحاجة.

[٨٩] فلما سمع مقالتهم رزق لهم، وعرفهم بنفسه وقال: هل تذكرون الذي فعلتموه بيوسف وأخيه من الأذى في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون؟

[٩٠] قالوا: أأنتك لأنك يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف،

وهذا شقيقي، قد تفضل الله علينا، فجمع بيننا بعد الفارقة، إنه من يتق الله ويصبر على المحن، فإن الله لا يذهب ثواب إحسانه، وإنما يجزيه أحسن الجزاء.

[٩١] قالوا: تالله لقد فضلك الله علينا وأعزك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لحاطئين بما فعلناك عمداً بك وبأخيك.

[٩٢] قال لهم يوسف: لا تأنيب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه وأتاب إلى طاعته.

[٩٣] ولما سأهم عن أبيه أخبروه بذهاب بصره من البكاء عليه، فقال لهم: عودوا إلى أبيكم ومعكم قبصي هذا فاطرحوه على وجه أبي تغد إليه بصره، ثم أحضروا إلي جميع أهلكم.

[٩٤] ولما خرجت القافلة من أرض مصر قاصدة الشام، ومعهم القميص، قال يعقوب لمن حضره: إني لأشم رائحة يوسف وقبصه، لولا أن تسفهوني وتسخروا مني، وتزعموا أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور.

[٩٥] قال الحاضرون عنده: تالله إنك لا تزال في خطئك القديم من حب يوسف، وأنتك لا تنسا.

يَبْتِغِي أَذْهَبُوا فَحَسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا
مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
مَسْنَا وَأَهْلُنَا الْأَصْرُ وَجِنَانَا بِضَعَمِ مَرْجَمَةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٥٦﴾
قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ
جَاهِلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا أَأَنْتَ يَا يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ
وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٌ قَابِدٌ
اللَّهُ لَا يُضِغُ أَجْرَ الْمُغْسِينِ ﴿٥٨﴾ قَالُوا تالله لقد
نكرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴿٥٩﴾ قَالَ لَا تَأْنِيبَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٠﴾
أَذْهَبُوا يَقْبِصِي هَذَا الْقَوْمَ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ
بَصِيرًا وَأَتْرَفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنْ لِأَجْدِ رِيحِ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
تَقْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا تالله إنك لفي صلتك القديمين ﴿٦٣﴾

[٩٦] فلما أن جاء من يُبَشِّرُ يعقوب بأن يوسف حيٌّ، وطرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا، وعشهُ السرور فقال لمن عنده: ألم أخبركم أنني أعلم من الله ما لا تعلمونه من فضل الله ورحمته وكرمه؟

[٩٧] قال بنوه: يا أبانا سل لنا ربك أن يعفو عنا ويستر علينا ذنوبنا، إنا كنا خاطئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

[٩٨] قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يغفر لكم ذنوبكم، إنه هو الغفور لذنوب عباده، الثائبين، الرحيم بهم.

[٩٩] وخرج يعقوب وأهله إلى «مصر» قاصدين يوسف، فلما وصلوا إليه ضمَّ يوسف إليه أبويه، وقال لهم: ادخلوا «مصر» بمشيئة الله، وأنتم آمنون من الجهد والقحط، ومن كل مكروه.

[١٠٠] وأجلس أباء وأمه على سرير ملكه بجانبه؛ إكراماً لهم، وحياءً أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود

له تحية وتكريماً، لا عبادةً وخضوعاً، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، وقد حُرِّمَ في شريعتنا؛ سداً لذريعة الشرك بالله. وقال يوسف لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربي صدقاً، وقد تفضَّل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية، من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي. إن ربي لطيف التدبير لما يشاء. إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله.

[١٠١] ثم دعا يوسف ربه قائلاً: ربِّ قد أعطيتني من ملك «مصر»، وعلمتني من تفسير الرؤى وغير ذلك من العلم، يا خالق السموات والأرض ومبدعهما، أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفي إليك مسلماً، وألحقتني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

[١٠٢] ذلك المذكور من قصة يوسف هو من أخبار الغيب تخبرك به -أيها الرسول- وحيّاً، وما كنت حاضراً مع إخوة يوسف حين دبروا له الإلقاء في البئر، واحتالوا عليه وعلى أبيه. وهذا يدل على صدقك. وأن الله يُوجي إليك.

[١٠٣] وما أكثر المشركين من قومك -أيها الرسول- بمصدِّقك ولا متبعيك، ولو حُرِّضت على إيمانهم، فلا تحزن على ذلك.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُم بِإِنِّي أَخْلَعُونَ ۝ قَالَ سَوْفَ
نَسْتَفْتِي لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ، آمِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبُنَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِنَا إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكَ
مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ رَبِّ
قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَأُطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تُوفِّيْ مَسْئَلًا وَالْحَقِّي بِالصَّدِيقِينَ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ اتَّخَذُوا آمْرَهُمْ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝

[١٠٤] وما تطلب من قومك أجرة على إرشادهم للإيمان، إن الذي أرسلت به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون.

[١٠٥] وكثير من الدلائل الدالة على وحدانية الله وقدرته منتشرة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والجبال والأشجار، يشاهدونها وهم عنها معرضون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون.

[١٠٦] وما يفتقر هؤلاء المعرضون عن آيات الله بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء، إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[١٠٧] فهل عندهم ما يجعلهم آمنين أن ينزل بهم عذاب من الله في الدنيا يعذبهم، أو أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون ولا يحسبون بذلك.

[١٠٨] قل لهم -أيها الرسول-: هذه طريقي، أدعو إلى عبادة الله وحده، على حجة من الله وبقين، أنا ومن

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَيْفَ تَمُنُّ بِآيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُمَرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَتَّبِعُونَ
فِي الْأَرْضِ مُبْظَرًا وَمَنْعَةً كَاتِبَةً ﴿١٠٩﴾ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَمَّا آتَاكُمْ الْآخِرَةَ حَبَرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٠﴾
حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ قَدْ كَفَرُوا
جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا فَتَعْبَىٰ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يُزِدُكُمْ إِلَّا عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ ﴿١١١﴾ لَقَدْ كُنَّا فِي قَصْرِ مِمْصِرَ عِزَّةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَقْوِيلَ كُلِّ سَمِيٍّ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾

اقتدى بي، وأنزله الله سبحانه وتعالى عن الشركاء، ولست من المشركين مع الله غيره.

[١٠٩] وما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- للناس إلا رجالاً منهم نزل عليهم وحينا، وهم من أهل الحاضرة، فهم أقدر على فهم الدعوة والرسالة، يصدقهم المهتدون للحق، ويكذبهم الضالون عنه، أفلم يمشوا في الأرض، فيعابنوا كيف كان مآل المكذبين السابقين وما حلَّ بهم من الهلاك؟! ولأبواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم، أفلا تتفكرون فاعتبروا؟!

[١١٠] ولا تستعجل -أيها الرسول- النصر على مكذبيك، فإن الرسل قبلك ما كان يأتيهم النصر عاجلاً لحكمة نعلمها، حتى إذا يش المرسل من إيمان قومهم، وظنَّ المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم عن الله، جاء نصرنا لرسلنا عند شدة الكرب، فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم. ولا يُزِدُ عذابنا عَمَّنْ أَجْرَمَ وَتَجَرَّأَ عَلَى اللَّهِ. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.

[١١١] لقد كان في نيا المرسلين الذي قصصناه عليك وما حلَّ بالمكذبين عظة لأهل العقول السليمة. ما كان هذا القرآن حديثاً مكذوباً مختلفاً، ولكن أنزلناه شاهداً على صدق ما تقدّمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، وبياناً لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه وغير ذلك، وإرشاداً من الضلال، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعملون بما فيه من الأوامر والنواهي.

[سورة الرعد]

[١] ﴿الْمَرْءُ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن الرفيعة القدر، وهذا القرآن المنزل عليك -أيها الرسول- هو الحق، لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من عند نفسك، ومع هذا فأكثر الناس لا يصدّقون به ولا يعملون.

[٢] الله تعالى هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى -أي: علا - وارتفع - على العرش استواء يليق بحاله وعظمته، ودلّل الشمس والقمر لمنافع العباد، كل منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة. يدبّر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيدته وتخلصوا للعبادة له وحده.

[٣] وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهياها لمعاشكم، وجعل فيها جبالاً تثبتها وأنهاراً

لشربكم ومنافعكم، وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين، فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته، إن في ذلك كله لآيات لقوم يتفكرون فيها، فيتعظون.

[٤] وفي الأرض قطع يجاور بعضها بعضاً، منها ما هو طيب ينبث ما ينفع الناس، ومنها سبيخة ملحة لا تثبت شيئاً، وفي الأرض الطيبة بساتين من أعناب، وجعل فيها زروعاً مختلفة وغنخلاً مجتمعاً في منبت واحد، وغير مجتمع فيه، كل ذلك في تربة واحدة، ويشرب من ماء واحد، ولكنه يختلف في السمار والحجم والطعم وغير ذلك، فهذا حلو وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل، إن في ذلك لآيات لمن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه.

[٥] وإن تعجب -أيها الرسول- من عدم إيمان الكفار بعد هذه الأدلة فالعجب الأشد من قولهم: إذا متنا وكنا تراباً نبعث من جديد؟ أولئك هم الجاحدون بربهم الذي أوجدهم من العدم، وأولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك يدخلون النار، ولا يخرجون منها أبداً.

سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْءُ يَلِكُ ۚ إِنَّكَ أَكْبَرُ ۚ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَيْكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
يَعْرِى عَمْدَةً وَنَهَا فُرْأَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى يَذُورَ الْأَمْرَ يُفْضِلُ الْأَبْتِ لِمَا كُنْهُ
يَلْقَاءُ رَبَّكَ فَوْفَوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي
وَأَنْهَاراً وَمَنْ كُلِّ السَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا أَنْتَ بِنِغْشَى اللَّيْلِ
الْتَهَارُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ
قِطْعٌ مَتَّجُورَاتٌ وَجَحَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَرُزُقٌ وَيَحْيِلُ صُنُوفًا
وَعَيْرُ صُنُوفَانِ يَسْقَى يَمَاءً وَجِيدٌ وَيُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ
قَدَّجَبَ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ آءَأَلْنَا لِمَنْ خَلَقَ جَدِيدٌ
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

[٦] ويستعجلك المكذبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها قبل الإيمان الذي يرجى به الأمان والحسنات، وقد مضت عقوبات المكذبين من قبلهم، فكيف لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك -أيها الرسول- لئو مغفرة لذنوب من تاب من ذنوبه من الناس على ظلمهم، يفتح لهم باب المغفرة، ويدعوهم إليها، وهم يظلمون أنفسهم بعضياتهم ربهم، وإن ربك لشديد العقاب على من أصر على الكفر والضلال ومعصية الله.

[٧] ويقول كفار «مكة»: هلاً جاءته معجزة محسوسة كعصا موسى وناقاة صالح، وليس ذلك بيدك -أيها الرسول- فما أنت إلا مبلغ لهم، وخوف من بأس الله. ولكل أمة رسول يرشدهم إلى الله تعالى.

[٨] الله تعالى يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، أذكر هو أم أنثى؟ وشقي هو أم سعيد؟ ويعلم ما تنقسه الأرحام، فيسقط أو يولد قبل تسعة أشهر، وما يزيد حمله عليها، وكل شيء، مقدر عند الله بمقدار من نقصان أو الزيادة لا يتجاوز.

وَنَسْتَعِجِلُونَكَ يَا سَيِّدِنَا قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْنَا بَآئِتَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مَنَعَكُمْ مِنْ أَسْرِ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِيحٍ يَا نَهَارٍ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقُوبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْقًا وَطَعْمًا وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الْثِقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْجُرُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالصَّوَاعِقُ كَالْمُهَلِكَةِ مِنْ خِفَّتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٣﴾

[٩] الله عالم بما خفي عن الأبصار، وبما هو مشاهد، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، المتعالي على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره.

[١٠] يستوي في علمه تعالى من أخفى القول منكم ومن جهر به، ويستوي عند من استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضوح النهار.

[١١] لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحسون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغير نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله جماعته بلاءً فلا مفر منه، وليس لهم من دون الله من وإلى يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.

[١٢] هو الذي يريكم البرق -وهو النور اللامع من خلال السحاب- فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة، وتطمعون أن ينزل معه المطر، وبقدرته سبحانه يوجد السحاب المحمل بالماء الكثير لمنافعكم.

[١٣] ويسبح الرعد بحمد الله تسيحاً يدل على خضوعه لربه، وتزده الملائكة ربه من خوفها من الله، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها من يشاء من خلقه، والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث، وهو شديد الحول والقوة والبطش بمن عصاه.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْطٍ كُفِّيهِ إِلَى السَّمَاءِ لِیَلْمَعَنَّ لَهُمْ وَهُوَ بَالِغٌ بِهِمْ وَأَمَّا دَعَاةُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَبِهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُم بِالْفُتُورِ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي اللَّهِ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلِمَةَ فَتَشَبَهَ لَلْفَافِقِ عَلَيْهِمْ فِي اللَّهِ خَلْقٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهْمُزُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاكَ أَوْبَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَابًا ثَائِبًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ فَمَنْكُورٌ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَمْتَبَأُوا الزُّبَيْرَ الْحَقِّيَّ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَأَمَّا نَهْرٌ جَهَنَّمِيُّ يَنْسُبُ الْيَهُادَ ﴿١٨﴾

[١٤] لله سبحانه وتعالى وحده دعوة التوحيد «إلا لله إلا الله»، فلا يُعبد ولا يُدعى إلا هو؛ والآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تجيب دعاء من دعاها، وحالمهم معها كحال عطشانٍ يُبْسَطُ كَفْيُهُ إِلَى الْمَاءِ مِنْ بَعِيدٍ؛ ليصل إلى فمه فلا يصل إليه، وما سؤال الكافرين لها إلا غاية في البعد عن الصواب لإشراكهم بالله غيره.

[١٥] والله وحده يسجد - خاضعاً منقاداً - كلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. فيسجد ويخضع له المؤمنون طوعاً واختياراً، ويخضع له الكافرون رغماً عنهم؛ لأنهم يستكبرون عن عبادته، وحالمهم وفطرتهم تكذبهم في ذلك، وتفتاد لعظمة الله ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

[١٦] قل - أيها الرسول - للمشركين: مَنْ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَدْبُرُهُمَا؟ قل: الله هو الخالق المدبر لهما، وأنتم تقرُّون بذلك، ثم قل لهم ملزماً بالحجة: أجمعتم غيره معبودين لكم، وهم لا يُقَدِّرون على نفع أنفسهم أو ضررها فضلاً عن نفعكم أو ضرركم، وتركتهم عبادة

مالكها؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي عندكم الكافر - وهو كالأعمى - والمؤمن - وهو كالصير؟ أم هل يستوي عندكم الكفر - وهو كالظلمات - والإيمان - وهو كالنور؟ أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء لله يخلقون مثل خلقه، فتشابهه عليهم خلق الشركاء بخلق الله. فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟ قل لهم - أيها الرسول -: الله تعالى خالق كل كائن من العدم، وهو المستحق للعبادة وحده، وهو الواحد القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضرُّ ولا تنفع.

[١٧] ثم ضرب الله سبحانه مثلاً للحق والباطل بما أنزله من السماء. فجرت به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غثاءً طافياً فوقه لا نفع فيه. وضرب مثلاً آخر: هو المعادن يوقدون عليها النار لصهرها؛ طلباً للزينة كما في الذهب والفضة، أو طلباً لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس. فيخرج منها خبثها مما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء. يمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء الماء، وخبث المعادن يتلاشى أو يُزَيَّرُ؛ إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانتفاع بها. كما بين لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس؛ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

[١٨] للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الجنة. والذين لم يطيعوا وكفروا به لهم النار، ولو كانوا يملكون كل ما في الأرض وضيعفه معه لبدلوه فداءً لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ولن يُثَقِّلَ منهم، أولئك يحاسبون على كل ما أسلفوه من عمل سيئ، ومسكنهم ومقامهم جهنم تكون لهم فراشاً، ويئس الفراش الذي مهدوه لأنفسهم.

[١٩، ٢٠] هل الذي يعلم أن ما جاءك - أيها الرسول - من عند الله هو الحق فيؤمن به، كالأعمى عن الحق الذي لم يؤمن؟ إنما يتعظ أصحاب العقول السليمة الذين يوقفون بعهد الله الذي أمرهم به، ولا ينكثون العهد المؤكد الذي عاهدوا الله عليه.

[٢١] وهم الذين يصلون ما أمرهم الله بوصله كالأرحام والمحتاجين، ويراقبون ربهم، ويخشون أن يحاسبهم على كل ذنوبهم، ولا يغفر لهم منها شيئاً.

[٢٢] وهم الذين صبروا على الأذى وعلى الطاعة، وعن المعصية طلباً لرضا ربهم، وأدوا الصلاة على أنفسهم وجوهها، وأدوا من أموالهم زكاتهم المفروضة، والتفقات المستحقة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة فتمحوها. أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة في الآخرة.

[٢٣] تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنها، ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث، وتدخل الملائكة عليهم من كل باب؛ لتهنئتهم بدخول الجنة.

[٢٤] تقول الملائكة لهم: سلامٌ عليكم، تحية خاصة لكم، وسلمتُم من كل سوء؛ بسبب صبركم على طاعة الله، فينعم عاقبة الدار الجنة.

[٢٥] أما الأشقياء فقد وصفوا بضد صفات المؤمنين، فهم الذين لا يوقفون بعهد الله بإفراده سبحانه بالعبادة بعد أن أكدوا على أنفسهم، وهم الذين يقطعون ما أمرهم الله بوصله من صلة الأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بعمل المعاصي، أولئك الموصوفون بهذه الصفات القبيحة لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوءهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

[٢٦] الله وحده يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيق على من يشاء منهم، وفرح الكفار بالسعة في الحياة الدنيا، وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيء قليل يتنعم به، شرعان ما يزول.

[٢٧] ويقول الكفار عناداً: هلاً أنزل على محمد معجزة محسوسة كمعجزة موسى وعيسى. قل لهم: إن الله يضل من يشاء من المعاندين عن الهداية ولا تنفعه المعجزات، ويهدي إلى دينه الحق من رجع إليه وطلب رضوانه.

[٢٨] ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره وتطمين، ألا بطاعة الله وذكره وثوابه تسكن القلوب وتستأنس.

«أَمْ مَنْ يَعْلَمُ أَمْرًا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَذْكُرُ
أَوْلِيَاءَ الْأَلْسَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُ ﴿٢٠﴾
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخْفَوْنَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْعُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آلِهَاهُمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ وَبِمَا صَبَرْتُمْ
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
مَتَاعٌ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

[٢٩] الذين صدّقوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم فرح وقرّة عين، وحال طيبة، ومرجع حسن إلى جنة الله ورضوانه.

[٣٠] كما أرسلنا المرسلين قبلك أرسلناك -أيها الرسول- في أمة قد مضت من قبلها أمة المرسلين؛ لتتلو على هذه الأمة القرآن المنزل عليك، وحال قومك الجحود بوحداية الرحمن، قل لهم -أيها الرسول-: الرحمن الذي لم تتخذوه إلهاً واحداً هو ربي وحده لا معبود بحق سواه، عليه اعتمدت ووثقت، وإليه مرجعي وإنا بقي.

[٣١] يرذ الله -تعالى- على الكافرين الذين طلبوا إنزال معجزات محسوسة على النبي ﷺ فيقول لهم: ولو أن ثمة قرآناً يقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها، أو تتشقق به الأرض أنهاراً، أو يحيا به الموتى وتكلم -كما طلبوا منك- لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، ولما آمنوا به. بل لله وحده الأمر كله في المعجزات وغيرها. أفلم يعلم المؤمنون أن الله

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ۗ
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ
عَلَيْهِمُ الَّذِي آوَحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رُبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۗ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا
سَيَّرْتَ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَّعْتَ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْقُرْآنُ
بَل لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ بِالَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوَيْسَاءَ
أَنَّهُ لَهْدَى النَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُضِلَّيَنَّهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ زُجْدًا
أَنَّهُ إِنْ لَّيْلَهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ۗ
وَلَقَدْ أَسْهَفْتُمْ بِيُرْسُلِ مِّن
قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَخْذُ نَهْمٍ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ۗ
أَفَمَن هُوَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَعْلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَخْفَىٰ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَل زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضَدٌّ عَنِ
السَّبِيلِ وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۗ
لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيٰوةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ۗ

لويشاء لأمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟ ولا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل والأسر في غزوات المسلمين، أو تنزل تلك المصيبة قريباً من دارهم، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم، إن الله لا يخلف الميعاد.

[٣٢] وإذا كانوا قد سخروا من دعوتك -أيها الرسول- فلقد سخرت أمة من قبلك قد أرسلهم، فلا تحزن فقد أمهلت الذين كفروا، ثم أخذتهم بعقابي، وكان عقاباً شديداً.

[٣٣] أفمن هو قائم على كل نفس يحصي عليها ما تعمل، أحق أن يعبد، أم هذه المخلوقات العاجزة؟ وهم -من جهلهم- جعلوا لله شركاء من خلقه يعبدونهم، قل لهم -أيها الرسول-: اذكروا أسماءهم وصفاتهم. ولن يجدوا من صفاتهم ما يجعلهم أهلاً للعبادة، أم تخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم، أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون لهم حقيقة، بل حسن الشيطان للكفار قوهم الباطل وصدّمهم عن سبيل الله. ومن لم يوقفه الله هدايته فليس له أحد يهديه، ويوقفه إلى الحق والرشاد.

[٣٤] لهؤلاء الكفار الصادين عن سبيل الله عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والحزني، ولعذابهم في الآخرة أثقل وأشد، وليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

[٣٥] صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص، تلك المثوبة بالجنة عاقبة الذين خافوا الله، فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه، وعاقبة الكافرين بالله النار.

[٣٦] والذين أعطيتهم الكتاب من اليهود والنصارى، من آمن منهم بك كعبد الله بن سلام والثجاشي، يستبشرون بالقرآن المنزل عليك لموافقته ما عندهم، ومن المتحزبين على الكفر ضدك، كالسيد والعاقب - أسقفي - عجوان -، وكعب بن الأشرف، من ينكر بعض المنزل عليك، قل لهم: إنما أمرني الله أن أعبده وحده، ولا أشرك به شيئاً، إلى عبادته أَدْعُو الناس، واليه مرجعي ومآبي.

[٣٧] وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن بلغة العرب؛ لتحکم به، ولتن اتبعته أهواء المشركين في عبادة غير الله - بعد الحق الذي جاءك من الله - ليس لك ناصر

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِبٌ ۖ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ وَعَفَىٰ ٱلْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ ۖ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَآبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يَبْكَرُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ ٱلْآخَرَ ۚ أَفَرَأَىٰ أَن ٱبْعُدَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ ۖ إِلَيْهِ أَدْعُوا ۖ وَإِلَيْهِ مَتَآبٌ ۖ وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۖ وَلَٰئِن ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَآلِكٌ مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٦﴾ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ۖ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِنَآئِهِ ۖ إِلَّا يَأْذِنُ ٱللَّهُ ۚ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٧﴾ ۖ يَسْمَعُوا ٱللَّهَ مَا يَشَآءُ ۖ وَيُنشِئُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ ٱلْكِتَآبِ ﴿٣٨﴾ ۖ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ ۖ فإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ ۖ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٣٩﴾ ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِمَّنْ أُطْرَافِهَا ۖ وَأَنَّهُ يُحْكَمُ لَآ مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤٠﴾ ۖ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَبَدَّلَ ٱللَّهُ مَكْرَهُمْ جَمِيعًا ۖ يَعْمَآرًا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۖ وَسِعِلْمُهُ ٱلْكُفْرَ لِمَن عَفَىٰ ٱلنَّارَ ﴿٤١﴾

ينصرك ويمنعك من عذابه.

[٣٨] وإذا قالوا: ما لك - أيها الرسول - تتزوج النساء؟ فلقد بعثنا قبلك رسلاً من البشر وجعلنا لهم أزواجاً وذرية، وإذا قالوا: لو كان رسلاً لأتق بما طلبنا من المعجزات، فليس في نزع رسولي أن يأتي بمعجزة أرادها قومه إلا بإذن الله، لكل أمر قضاء الله كتاب وأجل قد كتبه الله عنده، لا يتقدم ولا يتأخر.

[٣٩] يسحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُنْشِئ ما يشاء منها لحكمة يعلمها، وعنده أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة.

[٤٠] وإن أريناك - أيها الرسول - بعض العقاب الذي توعدنا به أعداءك من الحزبي والثكال في الدنيا فذلك المعجل لهم، وإن توفيتنا قبل أن ترى ذلك، فما عليك إلا تبليغ الدعوة، وعلينا الحساب والجزاء.

[٤١] أولم يبصر هؤلاء الكفار أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين والحاقها ببلاد المسلمين؟ والله سبحانه يحكم لا راداً ولا مُبْطِل لحكمه وقضائه، وهو سريع الحساب، فلا يستعجلوا بالعذاب؛ فإن كل آت قريب.

[٤٢] ولقد دبر الذين من قبلهم المكاييد لرسولهم، كما فعل هؤلاء معك، فلهذا المكر جميعاً، فيبطل مكرهم، ويعيده عليهم بالخبيثة والندم، يعلم سبحانه ما تكسب كل نفس من خير أو شر فتجازي عليه، وسيعلم الكفار - إذا قدموا على ربهم - لمن تكون العاقبة المحمودة بعد هذه الدنيا؟ إنها لأتباع الرسل. وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
يَتَّبِعُونَ وَبَدَّكَرْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٥﴾

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَعَتَيْنِ أَرْزَلْنَاهُ الْبَيْتَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
لِلصَّكْفَرِيِّينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْسِبُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَةِ
اللَّهِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[سورة إبراهيم]

[٢٠١] ﴿الر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذا القرآن كتاب أوحينا إليك -أيها الرسول- لتخرج به البشر من الضلال والغي إلى الهدى والنور -بإذن ربهم وتوفيقه إياهم- إلى الإسلام الذي هو طريق الله الغالب المحمود في كل حال، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، خلَقًا ومُلْكًا وتصرفًا،

فهو الذي يجب أن تكون العبادة له وحده.. وسوف يصيب الذين لم يؤمنوا بالله ولم يتبعوا رسله يوم القيامة هلاك وعذاب شديد.

[٣] وهؤلاء الذين أعرضوا ولم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله هم الذين يختارون الحياة الدنيا الفانية، ويتركون الآخرة الباقية، ويمنعون الناس عن اتباع دين الله، ويريدونه طريقاً معوجاً ليوافق أهواءهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات في ضلال عن الحق بعيد عن كل أسباب الهداية.

[٤] وما أرسلنا من رسول قبلك -أيها النبي- إلا بلغة قومه، ليوضح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويوفق من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وفق الحكمة.

[٥] ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأمرناه بأن يدعوهم إلى الإيمان؛ ليخرجهم من الضلال إلى الهدى، ويذكّرهم بنعم الله ونعمه في أيامه، إن في هذا التذكير بها لدلالات لكل صابر على طاعة الله، وعن محارمه، وعلى أقداره، شكورٍ قائمٍ بحقوق الله، يشكر الله على نعمه. وخصّ هذين الصنفين بالذكر؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات، ولا يفتعلون عنها.

[٦] واذكر - أيها الرسول - لقومك قصة موسى حين قال لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاهكم من فرعون وأتباعه يذيقونكم أشد العذاب، ويذبحون أبناءكم الذكور، حتى لا يأتي منهم من يستولي على ملك فرعون، ويستبقون نساءكم للخدمة والامتهان. وفي ذلكم البلاء والإنجاء اختبار لكم من ربكم عظيم.

[٧] وقال لهم موسى: واذكروا حين أعلم ربكم إعلاماً مؤكداً: لأن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله، ولئن جحدتم نعمة الله ليعذبنكم عذاباً شديداً.

[٨] وقال لهم: إن تكفروا بالله أنتم وجميع أهل الأرض فلن تضروا الله شيئاً؛ فإن الله لغني عن خلقه، مستحق للحمد والشاء، محمود في كل حال.

[٩] ألم يأتكم - يا أمة محمد - خبر الأمم التي

وَأَذًا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَّبُّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَالَتِ اللَّهُ لَعْنَى حَمِيدٌ ۝ الرِّبَايَا تَكْرَبُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَلْبَانَهُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝

سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات، فعضوا أيديهم غيظاً واستنكافاً عن قبول الإيمان، وقالوا لرسولهم: إنا لا نصدق بما جئتونا به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد موجب للريبة.

[١٠] قالت لهم رسلهم: أي الله وعبادته - وحده - رب، وهو خالق السموات والأرض، ومنشئهما من العدم على غير مثال سابق، وهو يدعوكم إلى الإيمان؛ ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك، ويذفع عنكم عذاب الاستئصال، فيؤخر بقاءكم في الدنيا إلى أجل قدره، وهو نهاية أجالكم، فلا يعذبكم في الدنيا؛ فقالوا لرسولهم: ما نراكم إلا بشرأ صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يوهلكم أن تكونوا رسلاً، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما نقولون.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ
عَلَىٰ مَا أَذِينَا وَمَا أَذَىٰنَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١١﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ نَتَّبِعَنَّكُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
الَّذِي لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١١٢﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٤﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ
النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٦﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ
مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٩﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ النَّارِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿١٢٠﴾

[١١١] ولما سمع الرسل ما قاله أقوامهم قالوا لهم: حقاً ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم، ولكن الله يتفضل بإنعامه على من يشاء من عباده، فيصطفيهم لرسالته، وما طلبتم من البرهان المبين، فلا يمكن لنا ولا نستطيع أن نأتيكم به إلا بإذن الله وتوفيقه، وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون في كل أمورهم.

[١١٢] وكيف لا نعتد على الله، وهو الذي أرشدنا إلى طرق النجاة من عذابه، ووفقنا إلى اتباع أحكام دينه؟ ولنصبرنَّ على إيذانكم لنا بالكلام السيئ وغيره، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون في نصرهم، وهزيمة أعدائهم.

[١١٣] وضاعت صدور الكفار مما قاله الرسل فقالوا لهم: لنطردنكم من بلادنا حتى تعودوا إلى ديننا، فأوحى الله إلى رسله أنه سيهلك الجاحدين الذين كفروا به ويرسله.

[١١٤] ولنجعلن العاقبة الحسنة للرسل وأتباعهم بإسكانهم أرض الكافرين بعد إهلاكهم، ذلك الإهلاك للكفار، وإسكان المؤمنين أرضهم أمر مؤكد لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة، وخشي وعيدي وعذابي.

[١١٥] ولجأ الرسل إلى ربهم وسأؤوه النصر على أعدائهم والحكم بينهم، فاستجاب لهم، وهلك كل متكبر لا يقبل الحق ولا يذعن له، ولا يقر بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

[١١٦] ومن أمام هذا الكافر جهنم يُلقى عذابها، ويُسقى فيها من القيح والدم الذي يُخرج من أجسام أهل النار. [١١٧] يحاول المتكبر ابتلاع القيح والدم وغير ذلك مما يسيل من أهل النار مرة بعد مرة، فلا يستطيع أن يبتلعه؛ لقدارته وحرارته ومرارته، بل يشربه بعد عناء، فيقطع أمعاءه، ويأتيه العذاب الشديد من كل نوع ومن كل عضو من جسده، وما هو بميت فيستريح، وله من بعد هذا العذاب عذاب آخر مؤلم.

[١١٨] صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبرص والأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثراً، فكذلك أعمالهم لا يجدون منها ما ينفعهم عند الله، فقد أذهبها الريح الرماد، ذلك السيئ والعمل على غير أساس، هو الضلال البعيد عن الطريق المستقيم.

[١٩] ألم تعلم أيها المخاطب - والمراد عموم الناس - أن الله أوجد السموات والأرض على الوجه الصحيح الدال على حكمته، وأنه لم يخلقهما عبثاً، بل للاستدلال بهما على وحدانيته، وكمال قدرته، فيعبده و وحده، ولا يشركوا به شيئاً؟ إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يعبدون الله.

[٢٠] وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير.

[٢١] وخرجت الخلائق من قبورهم، وظهروا كلهم يوم القيامة لله الواحد القهار؛ ليحكم بينهم، فيقول الأتباع لقادتهم: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا آتِبَاعًا، نَأْتِرُ بِأَمْرِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ - اليوم - دافعون عنا من عذاب الله شيئاً كما كنتم تبيدوننا؟

فيقول الرؤساء: لو وقفتنا الله إلى الإيمان لأرشدناكم إليه، ولكنه لم يوفقنا، فضللنا وأضللناكم، يستوي

علينا وعليكم ضعفنا عن تحمل ما نزل بنا من العذاب والصبر عليه، فليس لنا مهرب من عذاب الله ولا منجى. [٢٢] وقال الشيطان - بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خلقه، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار -: إن الله وعدكم وعداً حقاً بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعداً باطلاً أنه لا تبعث ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها على اتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني، فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا ببعيبيكم ولا أنتم ببعيبي من عذاب الله، إنني تبرأت من خلقكم لي شريكاً مع الله في طاعته في الدنيا. إن الظالمين - في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل - لهم عذاب مؤلم موجه.

[٢٣] وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لا يخرجون منها أبداً - يابزون فيها بحوله وقوته - يُحْيَوْنَ فِيهَا بِسَلَامٍ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

[٢٤] ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» بشجرة عظيمة، وهي النخلة، أصلها متمكن في الأرض، وأعلىها مرتفع علواً نحو السماء؟

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْت بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَاكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَتَبَرَّأَ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوْنَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْهَدْنَا اللَّهُ لَهَدِيْتُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صِرْفًا مَا لَنَا مِن مَّجْبُودٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَنَأْتِيَنَّكَ فُضِي الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدَّ تُكْفِرُ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلِمَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّيْكُمْ تَبَرَّأَ إِلَهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ مِن قَبْلِ إِبْنِ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ فِيهَا سَلْسَلَةٌ ﴿٢٣﴾ الْوُتْرُكِيُّفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِكَلِمَةِ طَيْبَةٍ كَلِمَةٍ زُطَيْبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

تُوفَىٰ أَكْثَرُهَا كُلِّ حِينٍ مِّمَّا ذُرِّيَّتُهَا وَيُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَبِيبَةٍ
كَشَجَرَةِ حَبِيبَةٍ أَجْنَحَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَابَةٍ ﴿٢٦﴾ يَثَّبَتْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَفَعَلَ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ الرُّسُلُ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسُوا
الْقَرَازِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ فَمَلَّ
تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِرْكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَمْضُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ وَلَا يُجَلِّدُ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَكُلُوا مِنْهُ لِيَتَجَرَّيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَنَاءَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

[٢٥] تعطي ثمارها كل وقت وقته الله لإثمارها، وكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علماً واعتقاداً، وفرعها من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية يُرفع إلى الله وينال ثوابه في كل وقت. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا. فيعتبروا.

[٢٦] ومثل كلمة حبيثة - وهي كلمة الكفر - كشجرة حبيثة المأكول والمطعم، وهي شجرة الخنظل، اقتلعت من أعلى الأرض؛ لأن عروقها قريبة من سطح الأرض ما لها أصل ثابت. ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لا ثبات له ولا خير فيه، ولا يُرفع له عمل صالح إلى الله.

[٢٧] يثبَّت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين بهدائهم إلى الجواب الصحيح، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، ويفعل الله ما يشاء من توفيق أهل الإيمان وخذلان أهل الكفر والطغيان.

[٢٨، ٢٩] ألم تنظروا أيها المخاطب - والمراد العموم - إلى حال المكذبين من كفار قريش. الذين اختاروا الكفر بالله بدلاً عن شكره على نعمة الأمن بالحرم وبعثة النبي محمد ﷺ فيهم؟ وقد أنزلوا أتباعهم دار الهلاك حين تسبوا بإخراجهم إلى "بئر" فقتلوا، وصار مصيرهم دار البوار، وهي جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، وتنبع المستقر مستقرهم.

[٣٠] وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء عبدوهم معه؛ ليُبعدوا الناس عن دينه. قل لهم - أيها الرسول -: استمتعوا في الحياة الدنيا؛ فإنها سريعة الزوال، وإن مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم.

[٣١] قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بمجددها، ويخرجوا بعض ما أعطيتهم من المال في وجوه الخير الواجبة والمستحبة مسرِّين ذلك ومعلنين. من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء. ولا صداقة. [٣٢] الله تعالى الذي خلق السموات والأرض وأوجدتهما من العدم، وأنزل المطر من السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج لكم منها أرزاقكم، وذلل لكم السفن؛ لتسير في البحر بأمره لمنافعكم، وذلل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم.

[٣٣] وذلل الله لكم الشمس والقمر لا يفتئران عن حركتهما؛ لتتحقق المصالح بهما، وذلل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتستر بحجاء والنهار؛ لتبتغوا من فضله، وتدبروا معاشكم.

[٣٤] وأعطاكم من كل ما طلبتموه، وإن تعدوا نعمة الله عليكم لا تطيقوا عدّها ولا إحصاءها ولا القيام بشكرها، لكثرتها وتنوعها. إن الإنسان لكثير الظلم لنفسه. كثير الجحود لنعم ربه.

[٣٥] وأذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم داعياً ربه - بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه «هاجر» وادي «مكة» - : رب اجعل «مكة» بلد آمن يأمن كل من فيها، وأبعدني وأبناي عن عبادة الأصنام.

[٣٦] رب إن الأصنام تسببت في إبعاد كثير من الناس عن طريق الحق. فمن اقتدى بي في التوحيد فهو على ديني وسنتي، ومن خالفني فيما دون الشرك، فإنك غفور لذنوب المذنبين - بفضلك - رحيم بهم، تغفو عن تشاء منهم.

[٣٧] ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا إنني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يؤدوا الصلاة بحمدوها، فاجعل قلوب بعض خلقك تنزع إليهم وتحسن، وارزقهم في هذا

وَأَسْكَنْهُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّبِعِ قِبَابَهُمْ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ نَعْلَمُ مَا نَحْنِي وَمَا خَلْفِي وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ لِنُحْمَدَ لِيهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدَّاعِيَ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُفِيماً الصَّلَاةَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءِي ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفْوَلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

المكان من أنواع الثمار؛ لكي يشكروا لك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه.

[٣٨] ربنا إنك تعلم كل ما تخفيه وما نظهروه. وما يغيب عن علم الله شيء من الكائنات في الأرض ولا في السماء. [٣٩] يُخَيَّرُ إبراهيم على الله تعالى، فيقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر سني ولدي إسماعيل وإسحاق بعد دعائي أن يهب لي من الصالحين، إن ربي لسميع الدعاء ممن دعاه، وقد دعوته ولم يخيب رجائي.

[٤٠] رب اجعلني مداوماً على أداء الصلاة على أم وجوهها، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها، ربنا واستجب دعائي وتقبل عبادتي.

[٤١] ربنا اغفر لي ما وقع مني مما لا يسلم منه البشر واغفر لوالدي، (وهذا قبل أن يتبين له أن والده عدو لله) واغفر للمؤمنين جميعاً يوم يقوم الناس للحساب والجزاء.

[٤٢] ولا تحسبن - أيها الرسول - أن الله غافل عما يعمل الظالمون: من التكذيب بك وبغيرك من الرسل، وإيذاء المؤمنين وغير ذلك من المعاصي، إنما يؤخر عقابهم ليوم شديد ترتفع فيه عيونهم ولا تغمض: من هول ما تراء. وفي هذا تسلية لرسول الله محمد ﷺ.

[٤٣] يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي للحساب، رافعي رؤوسهم، لا يبصرون شيئاً طسول الموقف، وقلوبهم خالية لا تعي شيئاً؛ لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى.

[٤٤] وأنذر - أيها الرسول - الناس الذين أرسلتك إليهم عذاب الله يوم القيامة، وعند ذلك يقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أمهلنا إلى وقت قريب نؤمن بك ونصدق رسلك. فيقال لهم توبيخاً: ألم تقسموا في حياتكم إنّه لا زوال لكم عن الحياة الدنيا إلى الآخرة، فلم تصدقوا بهذا البعث؟

[٤٥] وحللتهم في مساكن الكافرين السابقين الذين ظلموا أنفسهم كفوم هود وصالح، وعلمت - بما رأيتم وأخبرت - ما أنزلنا بهم من الهلاك، وضرنا لكم الأمثال في القرآن، فلم تعتبروا؟

[٤٦] وقد دبر المشركون الشر للرسول ﷺ بقتله، وعند الله مكرهم فهو محبط به، وقد عاد مكرهم عليهم، وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ولا غيرها لضعفه وهنه، ولم يضروا الله شيئاً، وإنما ضروا أنفسهم.

[٤٧] فلا تحسن - أيها الرسول - أن الله يخلف رسله ما وعدهم من النصر وإهلاك مكذبيهم. إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء، منتقم من أعدائه أشد انتقام. والخطاب وإن كان خاصاً بالنبي ﷺ، فهو موجّه لعموم الأمة. [٤٨] وانتقام الله تعالى من أعدائه في يوم القيامة، يوم تبدّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقيّة كالفضة، وكذلك تبدّل السموات بغيرها، وتخرج الخلائق من قبورها أحياء ظاهرين للقاء الله الواحد القهار، المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقهره لكل شيء.

[٤٩] وثبّر - أيها الرسول - المجرمين يوم القيامة مقيدين بالقيود، قد قرنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وهم في ذلّ وهوان.

[٥٠] ثيابهم من القطران الشديد الاشتعال، وتلفح وجوههم النار فتحرقها.

[٥١] فقل الله ذلك بهم؛ جزء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، والله يجازي كل إنسان بما عمل من خير أو شر، إن الله سريع الحساب.

[٥٢] هذا القرآن الذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - بلاغ وإعلام للناس؛ لنصحهم وتخويفهم، ولكي يوقنوا أن الله هو الإله الواحد، فيعبده وحده؛ لا شريك له، وليتعتز به أصحاب العقول السليمة.

مُتَطِيعِينَ مُغْنِي زَوْسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُ يُعْظَمُ
وَأَفِيدَتْهُمُ هَوَاءٌ ۝ وَأَنْذِرَ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِيبُ
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ أُولَٰئِكَ تَعْلَمُونَ مَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
مَا كُنْتُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
الْأَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانُوا يَكْفُرُونَ فَتَرْوُلُ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝ قُلَا
تَحْسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِيفٌ وَعِدَّةُ رَسُولِهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ۝ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَوَرَزُوا لِلَّهِ الْوَجْدَ الْقَهَّارِ ۝ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَقَشْتَىٰ
وَجُوهُهُمْ آتَانٌ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝

[سورة الحجر]

[١] «الر» سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

تلك الآيات العظيمة هي آيات الكتاب العزيز المنزل على محمد ﷺ، وهي آيات قرآن موضح للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود. فالكتاب هو القرآن جمع الله له بين الاسمين.

[٢] ستمنى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.

[٣] اترك - أيها الرسول - الكفار يأكلوا، ويستمتعوا بدنياهم، ويشغلهم الطمع فيها عن طاعة الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم الخاسرة في الدنيا والآخرة.

[٤] وإذا طلبوا نزول العذاب بهم؛ تكذيباً لك - أيها الرسول - فإننا لا نهلك قرية إلا وإهلاكها أجل مقدر، لا نهلكهم حتى يبلغوه مثل من سبقهم. [٥] لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فتنقص منه.

[٧٠٦] وقال المكذوبون لمحمد ﷺ استهزاء: يا أيها الذي نُزِّل عليه القرآن إنك لذهاب العقل، هلاً تأتينا بالملائكة - إن كنت صادقاً -؛ لتشهد أن الله أرسلك.

[٨] ورد الله عليهم: إننا لا ننزل الملائكة إلا بالعذاب الذي لا إهمال فيه لمن لم يؤمن، وما كانوا حين تنزل الملائكة بالعذاب بمنهملين.

[٩] إننا نحن نُزِّلنا القرآن على النبي محمد ﷺ، وإننا نتعهد بحفظه من أن يزداد فيه أو يُنقص منه، أو يضيع منه شيء. [١١، ١٠] ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في فِرَق الأمم السابقة. فما من رسولٍ جاءهم إلا كانوا منه يسخرون. فكما فَعَلَ بك هؤلاء المشركون فكذلك فَعَلَ بمن قبلك من الرسل. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ.

[١٣، ١٢] كما أدخلنا الكفر في قلوب الأمم السابقة بسبب الاستهزاء بالرسول وتكذيبهم، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله وتكذيب رسوله، لا يُصَدِّقون بالذكر الذي أنزل إليك، وقد مضت سنة الله في الأمم السابقة بإهلاك الكفار، وهؤلاء مثلهم، سيهلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب.

[١٥، ١٤] ولو فتحنا على كفار مكة باباً من السماء فاستمروا صاعدين فيه حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب ملكوت الله، لما صدقوا، ولقالوا: سُجِّرَتْ أبصارنا، حتى رأينا ما لم نر، وما نحن إلا مسحورون في عقولنا من محمد.

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝ زُيْمًا يُؤْتِي
الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَاكُلُوا
وَيَسْتَمْتِعُوا وَيْلَهُمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِزُونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّمَا آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الذِّكْرَ إِنَّا كَلِمَةٌ وَسَخِيبَةٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نَزَّلْنَا الْمَلَأَةَ إِلَّا الْخَلْقَ وَمَا كَانُوا
إِذًا مُنظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُهَيِّضُونَ ۝
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسْلُكُ
فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْزَجُونَ ۝
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ أَنفُسُنَا مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَعْبُدُونَ
مِمَّا سَكَبَتْ أَنفُسُنَا مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَعْبُدُونَ

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَوَزَّيْنَاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٥﴾
 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٦﴾ إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ
 فَأَتْبَعَهُ شِهَابًا مُبِينٌ ﴿١٧﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
 زُرُوعًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَمْرُورٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ
 فِيهَا مَعَدِينٌ وَمَنْ أَسْتَأْذَنُ مِنْ رَبِّكَ فَبِمَا رَزَقْنَاكَ وَمَا أُرْسَلْنَا
 بِالرِّيحِ الرَّوْحِ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتَ
 لَهُ بِمُحَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّا لَنَنحِي السَّحَابَ وَنُحْيِي النَّخْلَ وَالنَّجْمَ وَالرُّوْحَ
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمُ الَّذِينَ قَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ ﴿٢٠﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَسْرَتِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَاللَّجَانَ خَلَقْتَهُ مِنْ
 قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
 مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٤﴾ فَإِذَا أَسْوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٧﴾

[١٦] ومن أدلة قدرتنا: أنا جعلنا في السماء الدنيا منازل للكواكب تنزل فيها، ويستدل بذلك على الطرقات والأوقات والخضب والجذب، وزَّيْنَا هذه السماء بالنجوم لمن ينظرون إليها، ويتأملون فيعتبرون.

[١٧] وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم مطرود من رحمة الله: كي لا يصل إليها.

[١٨] إلا من اختلس السمع من كلام أهل الملأ الأعلى في بعض الأوقات، فأدركه وحلقه كوكب مضي بجرقه. وقد يُلقب الشيطان إلى وليه بعض ما استرقه قبل أن يجرقه الشهاب.

[١٩] والأرض مدناها متسعة، وألقينا فيها جبالاً تثبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدر معلوم مما يحتاج إليه العباد.

[٢٠] وجعلنا لكم فيها ما به تعيشون من الخبز، ومن المشية، ومن أنواع المكسب وغيرها، وخلقنا لكم من الذرية والخدم والدواب ما تنتفعون به، وليس رزقهم عليكم، وإنما هو على الله رب العالمين تفضلاً منه وتكرماً.

[٢١] وما من شيء من منافع العباد إلا عندنا خزائنه من جميع الصوف. وما ننزله إلا بمقدار محدد كما نشاء

وكما تريد، فالخزائن بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء. بحسب رحمته الواسعة، وحكمته البالغة.

[٢٢] وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلْقِحُ السحاب، فيدبرُ بالماء ويمطر، وتُلْقِحُ الشجر فيفتح عن أوراقه وأكمامه، وتحمل المطر والخير والنفع، فأنزلنا من السحاب ماء أعدناه لشرابكم وأرضكم ومواشيكم، وما أنتم بقادرين على خزنه وأخاره. ولكن نحفظه لكم رحمة بكم. وإحساناً إليكم.

[٢٣] وإنَّا لننحى السَّحَابَ وَنُحْيِي النَّخْلَ وَالنَّجْمَ وَالرُّوحَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ مِنْ طِينِ يَابِسٍ إِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَنَسِيتَ مَنْ كَانَ حَيًّا بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ. وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

[٢٤] ولقد علمنا من هلك منكم من لدن آدم، ومن هو حي، ومن سيأتي إلى يوم القيامة.

[٢٥] وإن ربك هو يجمعهم للحساب والجزاء، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

[٢٦] ولقد خلقنا آدم من طين يابس إذا نفخ عليه سُمع له صوت، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير لونه وريحه: من طول مكثه.

[٢٧] وخلقنا أبا الجن، وهو إبليس من نَارِ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ لَا دَخَانَ لَهَا.

[٢٨] وأذكر -أيها الرسول- حين قال ربك للملائكة: إني خالق إنساناً من طين يابس، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغير اللون.

[٢٩] فإذا سَوَّيْتُهُ وَأَكْمَلْتُ صُورَتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ الرُّوحَ. فَخَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ. لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ.

[٣١، ٣٠] فسجد الملائكة كلهم أجمعون كما أمرهم ربهم، لم يمتنع منهم أحد، لكن إبليس امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة الساجدين.

[٣٢] قال الله لإبليس: ما لك ألا تسجد مع الملائكة؟
 [٣٣] قال إبليس مُظهِراً كبره وحسده: لا يليق بي أن
 أسجد لإنسان أوجدته من طين يابس كان طيناً أسوداً
 متغيراً.

[٣٥، ٣٤] قال الله تعالى له: فأخرج من الجنة، فإنك
 مطرود من كل خير، وإن عليك اللعنة والبعد من
 رحمي إلى يوم يُبعث الناس للحساب والجزاء.

[٣٦] قال إبليس: رب أخرجني في الدنيا إلى اليوم الذي
 تُبعث فيه عبادك، وهو يوم القيامة.

[٣٨، ٣٧] قال الله له: فإنك ممن أُخْرِجُ هلاكهم إلى
 اليوم الذي يموت فيه كل الخلق بعد النفخة الأولى،
 لا إلى يوم البعث، وإنما أُجيب إلى ذلك: استدراجاً له
 وإمهالاً، وقتنة للثقلين.

[٤٠، ٣٩] قال إبليس: رب بسبب ما أغويتني وأضللتني
 لأحسبنَ لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلنهم
 أجمعين عن طريق الهدى، إلا عبادك الذين هديتهم
 فأخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من كل ما ينافي ذلك.
 [٤١، ٤٢] قال الله: هذا طريق مستقيم معتدل موصل
 إليّ وإلى دار كرامتي، إن عبادي الذين أخلصوا لي لا
 أجعل لك سلطاناً على قلوبهم تضلهم به عن الصراط

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَأَسْجُدَ لِلشَّيْءِ خَلَقْتَهُ مِنْ صَاصِلٍ مِنْ حَمِيمٍ مُسْوَبٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ يَوْمَ الَّتِي لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْيُنِ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ إِيَّاكَ عَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٤﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٥﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عَلِيٍّ إِيخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَا يُكَلِّمُهُمْ فِيهَا نِسَاءٌ وَلَا يَرْجِعُونَ فِيهَا إِلَى آبَائِهِمْ وَلَا إِلَىٰ آيَاتِهِمْ فِيهَا وَعَاوَنٌ وَمَأْوَاهُ فِيهَا بِنَارٍ مُخْرَجَةٍ ﴿٤٧﴾ تَبَيَّنَ عِبَادِي أُولَئِكَ الْغَافِرُونَ الرَّجِيمُ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّ عَذَابَ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾ وَتَبَيَّنَهُمْ عَنْ صَافٍ ابْنِ هِيمٍ ﴿٥٠﴾

المستقيم، لكن سلطانك على من اتبعك من الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلاً من طاعتي.
 [٤٤، ٤٣] وإن النار الشديدة لموعده إبليس وأتباعه أجمعين، لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر، لكل باب من
 أتباع إبليس قسم ونصيب بحسب أعمالهم.

[٤٥-٤٨] إن الذين اتقوا الله بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى في بساطين وأنهار جارية، يقال لهم: ادخلوا هذه الجنات
 سالمين من كل سوء آمنين من كل عذاب، ونزعنا ما في قلوبهم من حقد وعداوة، يعيشون في الجنة إخواناً متحابين،
 يجلسون على أسرة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلاً وتحابياً، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء، وهم باقون فيها أبداً.
 [٤٩، ٥٠] أخيراً - أيها الرسول - عبادي أي أنا الغفور للؤمنين الثابتين، الرحيم بهم، وأن عذابي هو العذاب المولم
 المرجع لغير الثابتين.

[٥١] وأخبرهم - أيها الرسول - عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين بشروه بالولد، وبهلاك قوم لوط.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَنَحْنُكُمْ ﴿٥١﴾ قَالُوا
لَا تَجْعَلْ لَنَا نَبِيًّا إِنَّكَ بِعِلْمِنَا عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ قَالَ أَتَسْتَمْتِعُونَ عَنِّي أَنْ
مَسَى الْكِبَرُ قِيَمَةَ يُنَبِّئُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاطِنِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ وَمَنْ يَنْظُرْ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمَنُجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَّرْنَا إِنهَّا لَمِنَ
الْقَابِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ
إِنكُمْ قَوْمٌ مُّكْرِبُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَسْتَمْتِعُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَنْتَ بِنَتَائِكِ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ لَيْلٍ وَاتَّجِ أَدْبُرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَصَبْنَا إِلَيْهِ ذِكْرَ الْأَمْرِ أَنَّ
دَابِرَهُمْ هُوَ لَا يَمُوتُ مَقْطُوعٌ مُّضْجِعَاتٍ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٧﴾
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوْلَوْ تَنَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾

[٥٢] حين دخلوا عليه فقالوا: سلاماً، فردّ عليهم السلام، ثم قدّم لهم الطعام فلم يأكلوا، قال: إنا منكم فزعون.

[٥٣] قالت الملائكة له: لا تفرح إنا جئنا نبشرك بولد كثير العلم بالدين، هو إسحاق.

[٥٤] قال إبراهيم متعجباً: أبشّر تومني بالولد، وأنا كبير وزوجتي كذلك، فبأي أعجوبة تبشرونني؟

[٥٥] قالوا: بشّرناك بالحق الذي أعلننا به الله، فلا تكن من اليائسين أن يولد لك.

[٥٦، ٥٧] قال: لا يبيس من رحمة ربه إلا الخاطئون المنصرفون عن طريق الحق. قال: فما الأمر الخطير الذي جئتم من أجله - أيها المرسلون - من عند الله؟

[٥٨-٦٠] قالوا: إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط المشركين الضالين، إلا لوطاً وأهله المؤمنين به، فننهلكهم وسنجلبهم أجمعين، لكن زوجته الكافرة قضينا بأمر الله ياهلاكها مع الباقين في العذاب.

[٦١، ٦٢] فلما وصل الملائكة المرسلون إلى لوط، قال لهم: إنكم قوم غير معروفين لي.

[٦٣-٦٥] قالوا: لا تخف، فإننا جئنا بالعذاب الذي كان يشك فيه قومك ولا يُصدّقون، وجئناك بالحق من عند

الله، وإننا لصادقون، فاخرج من بينهم ومعك أهلك المؤمنون، بعد مرور جزء من الليل. وسر أنت وراءهم؛ لنلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب، واحذروا أن يلتفت منكم أحد وراءه؛ لنلا يرى العذاب فيصيبه كذلك، وأسرعوا إلى حيث أمركم الله؛ لتكونوا في مكان أمين.

[٦٦] وأوحينا إلى لوط أن قومك مستأصلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح. [٦٧] وجاء أهل مدينة لوط إلى لوط حين علموا بمن عنده من الضيوف، وهم فرحون يستبشرون بضيوفه؛ لياخذوهم ويفعلوا بهم الفاحشة.

[٦٨، ٦٩] قال لهم لوط: إن هؤلاء صيفي وهم في حمايتي فلا تفضحوني، وخافوا عقاب الله، ولا تتعرضوا لهم، فتوقعوني في الذل والهوان بإيذانكم لضيوفي.

[٧٠] قال قومهم: أولم تنهك أن تضيّف أحداً من العالمين (وكانوا يقطعون السبيل على المسافرين)؛ لأننا نريد فعل الفاحشة بهم؟

[٧١] قال لوط لهم: هؤلاء نسأوكم بناتي فتزوجوهن إن كنتم تريدون قضاء وطركم، وسماهن بناته؛ لأن نبي الأئمة بمنزلة الأب لهم، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم من إتيان الرجال.

[٧٢، ٧٣] يقسم الخالق بمن يشاء وبما يشاء، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، وقد أقسم الله تعالى بحياة محمد ﷺ؛ تشريعاً له. إن قوم لوط لفي غفلة شديدة يترددون ويتمادون، حتى حلت بهم صاعقة العذاب وقت شروق الشمس.

[٧٤] فقلبنا قراهم فجعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين.

[٧٥- ٧٧] إن فيما أصابهم لعظات للناظرين المعترين، وإن قراهم لفي طريق ثابت يراها المسافرون المأزون بها. إن في إهلاكنا لهم لدلالة بيّنة للمصدقين العاملين بشرع الله.

[٧٨، ٧٩] وقد كان أصحاب المدينة الملتفة الشجر - وهم قوم شعيب - ظالمين لأنفسهم لكفرهم بالله ورسولهم الكريم، فانتقمنا منهم بالرجفة وعذاب يوم الظلة، وإن مساكن قوم لوط وشعيب لفي طريق واضح يمرّ بها الناس في سفرهم فيعتبرون.

[٨٠] ولقد كذب سكان «وادي الحجر» صالحاً عليه السلام، وهم ثمود فكانوا بذلك مكذّبين لكل المرسلين؛ لأن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنهم على دين واحد.

[٨١] وأتينا قوم صالح آياتنا الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، ومن جملتها الناقة، فلم يعتبروا بها، وكانوا عنها مبتعدين معرضين.

[٨٢] وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتاً، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب.

[٨٣، ٨٤] فأخذتهم صاعقة العذاب وقت الصباح مبكرين، فما دفع عنهم عذاب الله الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من قوة وجاء.

[٨٥] وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، والحق على كمال خالقهما واقتداره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لأتية لا محالة؛ لتوفّي كل نفس بما عملت، فاعف - أيها الرسول - عفواً حسناً عن المشركين، وأعرض عنهم، وتجاوز عمّا يفعلونه.

[٨٦] إن ربك هو الخلاق لكل شيء، العليم به، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه.

[٨٧] ولقد آتيناك - أيها النبي - فاتحة القرآن، وهي سبع آيات تكرر في كل صلاة، وآتيناك القرآن العظيم.

[٨٨- ٩٠] لا تنظر بعينيك وتمسّ ما متّعنا به أصنافاً من الكفار من متّع الدنيا، ولا تحزن على كفرهم. وتواضع للمؤمنين بالله ورسوله، وقل: إني أنا المنذر الموضح لما يهتدي به الناس إلى الإيمان بالله رب العالمين، ومنذرهم أن يصيبكم العذاب، كما أنزل الله على الذين قسّموا القرآن، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر من اليهود والنصارى وكفار قريش.

قَالَ هَلْ لَنَا بَنَاتٌ إِنْ كُنْتُمْ قَوَّامِينَ ﴿٧١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي سُكْرَتِهِمْ يَسْمُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُسْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا وَأَمَاطْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَلسَّيِّبُ بِمُضِيِّ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَنْبَاءِ لَظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّا لَإِلَهَامٌ مُّبِينٌ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَفَرُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا أَهْنِيَةً ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُضِيِّينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِزَّتِ السَّمَانِي وَالْقُرْآنَ إِنْ الْعَظِيمَةَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَتَاكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفَرَآنَ عِضِينَ ﴿٥﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِفْنَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ فَأَصْدَغَ بِمَأْتُمَرٍ وَأَعْرَضَ
 عَنِ الشَّرِيعِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ
 يَجْتَمِعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا آخِرَ مَسْئُوفٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَا
 أَنْكَ يَصْبِقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٢﴾ وَأَعِذْ بِرَبِّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٣﴾

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
 يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُنْفَخُونَ ﴿٦﴾

[١] وهم الذين جعلوا القرآن أفساماً وأجزاء، فمنهم من يقول: سحر، ومنهم من يقول كهانة، ومنهم من يقول غير ذلك، بصر فونه بحسب أهوائهم؛ ليصدوا الناس عن الهدى.

[٢، ٣، ٤] فوريك لنحاسبهم يوم القيامة ولنجزينهم أجمعين، عن تقسيمهم للقرآن باقتراءاتهم، وتحريفه وتبديله، وغير ذلك مما كانوا يعملونه من عبادة الأوثان، ومن المعاصي والأثام. وفي هذا ترهيب وزجر لهم من الإقامة على هذه الأفعال القبيحة.

[٥] فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشركين، فقد برأك الله ممّا يقولون.

[٦، ٧، ٨، ٩] إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاحِرِينَ مِنْ زَعْمَاءِ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا شُرَيْكًا مَعَ اللَّهِ مِنَ الْأوثَانِ وَغَيْرِهَا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. [١٠] وَلَقَدْ نَعَلْنَا بِمَنْفَعَتِكَ صَدْرَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِسَبَبِ مَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ فِيكَ وَفِي دَعْوَتِكَ.

[١١] فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسبح بحمده شاكرًا له مشنيًا عليه، وكن من المصلين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أمهك.

[١٢] واستمّر في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت.

وامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبًا في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه.

[سورة النحل]

[١] قَرَّبَ قِيَامَ السَّاعَةِ وَقَضَىٰ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ - أَيُّهَا الْكُفَّارُ - فَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْعَذَابَ اسْتِهْزَاءً بِوَعِيدِ الرَّسُولِ لَكُمْ. تَنْزَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الشَّرْكِ وَالشُّرَكَاءِ.

[٢] يُنَزِّلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُرْسَلِينَ: بَأَنَّ خَوْفُوا النَّاسِ مِنَ الشَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا أَنَا، فَاتَّقُونَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي وَإِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ وَالْإِحْلَاصِ.

[٣] خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ؛ لِيَسْتَدِيلَ بِهَا الْعِبَادَةَ عَلَىٰ عِظَمَةِ خَالِقِهَا، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، تَنْزَهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَاظَمَ عَنِ شَرْكِهِمْ.

[٤] خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مِهِينٍ فَإِذَا بِهِ يَقْوَىٰ وَيَغْتَرُّ، فَيَصِحُّ شَدِيدَ الْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ لِرَبِّهِ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَخِ الْعِظَمَةَ وَهِيَ رَمِيَةٌ﴾، وَنَسِيَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ مِنَ الْعَدَمِ.

[٥] وَالْأَنْعَامُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ خَلَقَهَا اللَّهُ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَجَعَلَ فِي أَصْوَابِهَا وَأُورِبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا الدَّفْءَ، وَمَنَافِعَ أُخْرَىٰ فِي أَلْبَانِهَا وَجُلُودِهَا وَرُكُوبِهَا، وَمِنْهَا مَا تَأْكُلُونَ.

[٦] وَلَكُمْ فِيهَا زِينَةٌ تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَيْكُمْ عِنْدَمَا تُرْجَعُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهَا فِي الْمَسَاءِ، وَعِنْدَمَا تُخْرَجُونَ لِلرَّمْعِ فِي الصَّبَاحِ.

[٧] وتحمل هذه الأنعام ما ثقل من أمتعتكم إلى بلد بعيد، لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه إلا بجهد شديد من أنفسكم ومشقة عظيمة، إن ربيكم ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وأجلكم؛ حيث سخر لكم ما تحتاجون إليه، فله الحمد وله الشكر.

[٨] وخلق لكم الخيل والبغال والحمير؛ لكي تركبوها، وتكون جمالاً لكم ومنظراً حسناً، ويخلق لكم من وسائل الركوب وغيرها ما لا علم لكم به؛ لتزدادوا إيماناً به وشكراً له.

[٩] وعلى الله بيان الطريق المستقيم لهدايتكم، وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو مائل لا يوصل إلى الهداية، وهو كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل، ولو شاء الله هدايتكم لهداكم جميعاً للإيمان.

[١٠] هو الذي أنزل لكم من السحاب مطراً، فجعل لكم منه ماءً تشربونه، وأخرج لكم به شجراً تزرعون فيه دوابكم، ويعود عليكم ذرها ونفعها.

[١١] يخرج لكم من الأرض بهذا الماء الواحد الزروع المختلفة، ويخرج به الزيتون والنخيل والأعناب، ويخرج به كل أنواع العسل والفواكه، إن في ذلك الإخراج لدلالة واضحة لقوم يتأملون، فيعتبرون.

[١٢] وسخر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسخر لكم الشمس ضياءً، والقمر نوراً لمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجوم في السماء منذلات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، لمعرفة وقت نضج العسل والزروع، والاهتداء بها في الظلمات، إن في ذلك التسخير لدلائل واضحة لقوم يعقلون عن الله حججه وبراهينه.

[١٣] وسخر ما خلقه لكم في الأرض من الدواب والعمار والمعادن، وغير ذلك مما تختلف ألوانه ومنافعه، إن في ذلك الخلق واختلاف الألوان والمنافع عبرة لقوم يتعظون، ويعلمون أن في تسخير هذه الأشياء علامات على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة.

[١٤] وهو الذي سخر لكم البحر؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحماً طرياً، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان، وترى السفن العظيمة تشق وجه الماء تذهب وتجيء، وتركونها؛ لتطلبوا رزق الله بالتجارة والرياح فيها، ولعلكم تشكرون لله تعالى على عظيم إنعامه عليكم، فلا تعبدون غيره.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّو تَكُونُوا بِلِفَيْهِ بِالْإِثْقَالِ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَزِيقٌ وَّ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالْحَيْلَ وَالْإِعَالَ
وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُنَّهَا بِزِينَةٍ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِدٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ
مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٨﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ أَنْبَاقٌ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٩﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ نَزْلاً مِنَ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيقًا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ قَضَائِهِ وَلَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

[١٥] وأرسي في الأرض جبلاً تثبتها حتى لا تميل بكم، وجعل فيها أنهاراً؛ لتشربوا منها، وجعل فيها طرقاً؛ لتهندوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها.

[١٦] وجعل في الأرض معالم تستدلون بها على الطرق نهاراً، كما جعل النجوم للاهتداء بها ليلاً.

[١٧] أنجعلون الله الذي يخلق كل هذه الأشياء وغيرها في استحقاق العبادة كالألهة المزعومة التي لا تخلق شيئاً؛ أفلا تتذكرون عظمة الله، فتفردوه بالعبادة؟

[١٨] وإن تحارلوا خصم الله عليكم لا تقفوا بحضرها؛ لكثرتها وتنوعها. إن الله لغفور لكرم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

[١٩] والله سبحانه يعلم كل أعمالكم، سواء ما تحفونه منها في نفوسكم وما تظهرونه لغيركم، وسيجازيكم عليها.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْنَاكُم مَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ لَتَخْتَفِينَ بِنَاصِيئِكُمْ إِن كُنْتُمْ عَادِينَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿١٨﴾ إِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً فَلَتَأْخُذَنَّهُمْ مُّجِيبَاتُ الْغَمْرِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ لَكُمْ إِنَّهُ لَمُخْتَصِمٌ ﴿٢٠﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿٢١﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿٢٢﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿٢٣﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿٢٤﴾ وَإِن تَدْعُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَنَنظُرَنَّ ﴿٢٥﴾

[٢٠] والألهة التي يعبدها المشركون لا تخلق شيئاً وإن صغر، فهي مخلوقات صنعها الكفار بأيديهم، فكيف يعبدونها؟ [٢١] هم جميعاً جمادات لا حياة فيها ولا تشعر بالوقت الذي يبعث الله فيه عابديها، وهي معهم ليلاقي بهم جميعاً في النار يوم القيامة.

[٢٢] [إلهكم المستحق وحده للعبادة هو الله الإله الواحد، فالذين لا يؤمنون بالبعث قلوبهم جاحدة وحادثية سبحانه؛ لعدم خوفهم من عقابه، فهم متكبرون عن قبول الحق، وعبادة الله وحده.

[٢٣] حقاً أن الله يعلم ما يخفونه من عقائد وأقوال وأفعال، وما يظهرونه منها، وسيجازيهم على ذلك، إنه عز وجل لا يحب المستكبرين عن عبادته والانقياد له، وسيجازيهم على ذلك.

[٢٤] وإذا سُئِلَ هؤلاء المشركون عمّا نزل على النبي محمد ﷺ قالوا كذباً وزوراً؛ ما أتى إلا بقصص السابقين وأباطيلهم.

[٢٥] ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة - لا يُغْفَرُ لهم منها شيء - - ويحملوا من آثام الذين كذبوا عليهم؛ ليعيدوهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم. ألا قُبِحَ ما يحملونه من آثام.

[٢٦] قد دبر الكفار من قبيل هؤلاء المشركين المكاييد لرسولهم، وما جاؤوا به من دعوة الحق، فأتى أمر الله بنيانهم من أساسه وقاعدته، فسقط عليهم السقف من فوقهم، وآتاهم الهلاك من أمامهم، من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون أنه يأتيهم منه.

[٢٧، ٢٨] ثم يوم القيامة يفضحهم الله بالعذاب ويذمهم به، ويقول: أين شركائي من الآلهة التي عبدتموها من دوني؛ ليدفعوا عنكم العذاب، وقد كنتم تحاربون الأنبياء والمؤمنين وتعادونهم لأجلهم؟ قال العلماء الربانيون: إن النذل في هذا اليوم والعذاب على الكافرين بالله ورسله، الذين تقبض الملائكة أرواحهم في حال ظنهم لأنفسهم بالكفر، فاستسلموا لأمر الله حين رأوا الموت، وأنكروا ما كانوا يعبدون من دون الله، وقالوا: ما كنا نعمل شيئاً من المعاصي، فيقال لهم: كذبتكم، قد كنتم تعملونها، إن الله عليم بأعمالكم كلها، وسيجازيكم عليها. [٢٩] فدخلوا أبواب جهنم، لا يخرجون منها أبداً، فلبست مقرأ للذين تكبروا عن الإيمان بالله وعن عبادته وحده، وطاعته.

[٣٠] وإذا قيل للمؤمنين الخائفين من الله: ما الذي أنزل الله على النبي محمد ﷺ؟ قالوا: أنزل الله عليه الخير والهدى، للذين آمنوا بالله ورسوله في هذه الدنيا،

ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل الصالح، مكفرة كبيرة من النصر لهم في الدنيا، وسعة الرزق، وندار الآخرة لهم خير وأعظم مما أوتوه في الدنيا، ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه واجتنب نواهيه دار الآخرة.

[٣١، ٣٢] جنات إقامة لهم، يستقرون فيها، لا يخرجون منها أبداً، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم، يمثل هذا الجزء الطيب مجزي الله أهل خشيته وتقواه الذين تقبض الملائكة أرواحهم، وقلوبهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسلمت من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والالتقاد لأمره.

[٣٣] ما ينتظر المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة؛ لتقبض أرواحهم وهم على الكفر، أو يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم، كما كذب هؤلاء كذب الكفار من قبلهم، فأهلكهم الله، وما ظلمهم الله بإهلاكهم، وإنزال العذاب بهم، ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بما جعلهم أهلاً للعذاب.

[٣٤] فنزلت بهم عقوبة ذنوبهم التي عملوها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَبِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْيَوْمَ وَالسَّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُم مَّا كَانُوا فِي غَافِلِينَ ﴿٢٨﴾ فَذُكِّرُوا بِاللَّغْوِ مَآ كَانُوا تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالَُوا خَيْرٌ لِّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُم مَّا كَانُوا فِي غَافِلِينَ ﴿٣٢﴾ فَذُكِّرُوا بِاللَّغْوِ مَآ كَانُوا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] وقال المشركون: لو شاء الله أن نعبد الله أن نعبد، ما عبدنا أحداً غيرهم. لا نحن ولا أبائنا من قبلنا. ولا خرمنا شيئاً لم يجرمه. يمثل هذا الاحتجاج الباطل احتج الكفار السابقون. وهم كاذبون؛ فإن الله أمرهم ونهاهم ومكثهم من القيام بما كلفهم به. وجعل لهم قوة ومشية تصدر عنها أفعالهم. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. فليس على الرسل المنذرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كلفوا به.

[٣٦] ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أمراً لهم بعبادة الله وطاعته وحده. وتزك عبادته غيره من الشياطين والأوثان والأموات وغير ذلك مما يتخذ من دون الله ولياً. فكان منهم من هدى الله، فاتبع المرسلين. ومنهم المعاند الذي اتبع سبيل البغي. فوجبت عليه الضلالة. فلم يوفقه الله. فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حل بهم من دمار؛ لتعتبروا؟

[٣٧] إن تبذل - أيها الرسول - أقصى جهدك لهداية

هؤلاء المشركين فاعلم أن الله لا يهدي من يضل، وليس لهم من دون الله أحد ينصرهم، ويمنع عنهم عذابه.

[٣٨] وحلف هؤلاء المشركون بالله أيماً مغلطة إن الله لا يبعث من يموت بعد ما نبي وتفرق، بل سيعبثهم الله حسماً، وعداً عليه حقاً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه.

[٣٩] يبعث الله جميع العباد لبيين لهم حقيقة البعث الذي اختلفوا فيه، وليعلم الكفار المنكرون له أنهم على باطل، وأنهم كاذبون حين حلفوا أن لا بعث.

[٤٠] إن أمر البعث يسر علينا، فنياً إذا أردنا شيئاً فإننا نقول له: «كن». فإذا هو كائن موجود.

[٤١] والذين تركوا ديارهم من أجل الله. فهاجروا بعد ما وقع عليهم الظلم. لنسكنهم في الدنيا داراً حسنة. ولأجر الآخرة أكبر؛ لأن ثوابهم فيها الجنة. لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من الأجر والثواب للمهاجرين في سبيله. ما تخلف منهم أحد عن ذلك.

[٤٢] هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره المؤلمة، وعلى ربهم وحده يعتمدون. فاستحقوا هذه المنزلة العظيمة.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَعَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَعَلْنَا عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغَ الَّذِينَ ۝٣٥
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَخْتَبُوا الظُّلُمَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَبِئْسَ مَا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ۝٣٦
إِنْ نَحْنُ نَحْنُ عَلَى هُدًى مَن قَالَتْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٣٧
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّ قَدْ بَلَغَ أَعْلَىٰ حَقِّهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ۝٣٩
إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٤٠
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْصُرَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢

[٤٣] وما أرسلنا في السابقين قبلك - أيها الرسول - إلا رسلاً من الرجال لا من الملائكة، نوحى إليهم، وإن كنتم - يا مشركي قريش - لا تصدقون بذلك فاسألوا علماء أهل الكتب السابقة. يخبروكم أن الأنبياء كانوا بشرًا. إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر. والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم.

[٤٤] وأرسلنا الرسل السابقين بالدلائل الواضحة وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن؛ لتوضح للناس ما خفي من معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويهتدوا به.

[٤٥-٤٧] أمأن الكفار المدبرون للمكائد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون، أو يأتيهم العذاب من مكان لا يحسونه ولا يتوقعونه، أو يأخذهم العذاب وهم يتقلبون في أسفارهم وتصرفهم؟ فما هم بسابقين الله ولا فائتيه ولا ناجين من عذابه؛ لأنه القوي الذي لا يعجزه شيء، أو يأخذهم الله بنقص من الأموال

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوُا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَالْبَيْتِ وَالزَّيْتِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ لِتُنذِرَ لِقَائِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَكَبَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَابُهِمْ فَهُمْ لَا يُمْعِرُونَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَخْتَفُونَ لَأُظِلَّنَّهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالسَّابِلِ مُحَمَّدًا اللَّهُ وَهُوَ ذَخِيرُونَ ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّابَّةِ وَالسَّائِبَةِ وَهُوَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرُونِهِمْ وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَسْبَابَ عِبَادَتِي إِلَّا الْإِسْلَامَ وَهُوَ دِينُ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْإِسْلَامَ وَهُوَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﴿٥١﴾ وَمَا يَكُفِّرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَكَرْتُمْ بِاللَّهِ يَخْفَعُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِّرْتُمْ كَفَّرْنَا عَنْكُمْ إِذَا قَرَّبْتُمْ إِلَيْكُمْ رَبَّكُمْ بِشُرُكِكُمْ ﴿٥٣﴾

والأنفس والشرات، أو في حال خوفهم من أخذه لهم. فإن ربكم ليرحم خلقه رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم.

[٤٨] أعجب هؤلاء الكفار. فلم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء، له ظن. كالجبال والأشجار. تميل ظلها نارة يميناً وتارة شمالاً؛ تبعاً لحركة الشمس نهاراً والقمير ليلاً. كلها خاضعة لعظمة ربها وجلاله، وهي تحت تسخير وتدبيره وقهره؟

[٤٩] والله وحده يسجد كل ما في السموات وما في الأرض من دابة، والملائكة يسجدون لله، وهم لا يستكبرون عن عبادته. وخصهم بالذكر بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم.

[٥٠] يخاف الملائكة ربهم الذي هو فوقهم بالذات والقهر وكسال الصفات، ويفعلون ما يؤمرون به من طاعة الله. وفي الآية إثبات صفة العلو والقومية لله على جميع خلقه. كما يليق بجلاله وكماله.

[٥١] وقال الله لعباده: لا تعبدوا إلا إلهين اثنين، إنما معبودكم إله واحد، فخافوني دون سواي.

[٥٢] والله كل ما في السموات والأرض خلقاً ومُلْكاً وعبيداً، وله وحده العباد والطاعة والإخلاص دائماً، أيليق بكم أن تخافوا غير الله وتعبدوه؟

[٥٣] وما بكم من نعمة هداية، أو صحة جسم، وسعة رزق، ووليد، وغير ذلك، فمن الله وحده، فهو الشئم بها عليكم. ثم إذا نزل بكم السقم والبلاء والقحط فإلى الله وحده تضرعون بالدعاء.

[٥٤] ثم إذا كشف عنكم البلاء والسقم، إذا جماعة منكم بربهم الشئم عليهم بالنجاة يتخذون معه الشركاء والأولياء.

يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِيَآلِيَآعْمَلُونَ صِيبًا وَإِمَارًا فَقَالَ اللَّهُ لَمَنَّانٌ عَمَّا كَانُفُ
تَفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِبَنَاتِهِنَّ مِنْهُنَّ مَا يُحِبُّنَّ وَلَهُنَّ مَا كُنَّ يَسْتَفْعِلْنَ
وَأَذَى لَّهُنَّ الْبُشْرَىٰ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْنَابِ وَالزُّبُرِ وَاللَّيْلِ لَا يَفُونَ
أَمْ يَدُسُّ فِي الْغُرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعْمِ وَمِنَ الْغُرَابِ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنَّ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفَ
أَلَيْسَتْهُمْ الْكَذِبَ أَنْ لَهُمُ الْخُسْفَىٰ لِأَجْرِمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ
وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَوَازِنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُ فَهَوَىٰ وَوَسْوَسَ إِلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَهُمُ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكَتَابَ إِلَّا بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾

[٥٥] ليحسدوا نعمنا عليهم، ومنها كشف البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم، ومصيرها إلى الزوال، سوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم.

[٥٦] وبين قبيح أعمال المشركين أنهم يجعلون للأصنام التي اتخذوها آلهة - وهي لا تعلم شيئاً ولا تنفع ولا تضر - جزءاً من أموالهم التي رزقهم الله بها تقرباً إليها. تالله لتسألن يوم القيامة عما كنتم تحتلقونه من الكذب على الله.

[٥٧] ويجعل الكفار لله البنات، فيقولون: الملائكة بنات الله، تزده الله عن قولهم، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون من البنين.

[٥٨] وإذا جاء من يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلاً غمّاً وحزناً.

[٥٩] يستخفي من قومه كراهة أن يلقاهم متلبساً بما ساءه من الحزن والعار؛ بسبب البنت التي ولدت له، ومتحيراً في أمر هذه المولودة؛ أبقئها حية على دُلٍّ وهوان، أم يدفنها حية في التراب؟ ألا ينس الحكم الذي حكموه من جعل البنات لله والذكور لهم.

[٦٠] للذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يعملون لها، الصفة القبيحة من العجز والحاجة والجهل والكفر، والله الصفات العليا من الكمال والاستغناء عن خلقه، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره.

[٦١] ولو يؤاخذ الله الناس بكفرهم وافتراءهم ما ترك على الأرض من يتحرك، ولكن يبيهم إلى وقت محدد هو نهاية أجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون عنه وقتاً يسيراً، ولا يتقدمون.

[٦٢] ومن قبايحهم: أنهم يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وتقول ألسنتهم كذباً؛ إن لهم حسن العاقبة، حقاً أن لهم النار، وأنهم فيها مَثْرُوكُونَ مَثْسُيُونَ.

[٦٣] تالله لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسّن لهم الشيطان ما عملوه من الكفر والتكذيب وعبادة غير الله، فهو متولّ غمّاءهم في الدنيا. ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع.

[٦٤] وما أنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام؛ لتقوم الحجة عليهم ببيانك الذي لا يترك للباطل مسلكاً إلى النفوس، ولكون القرآن هدىً لا يترك مجالاً للخيرة، ورحمة للمؤمنين في اتباعهم الهدى ومجانبتهم الضلال.

[٦٥] والله أنزل من السحاب مطراً، فأخرج به النبات من الأرض بعد أن كانت قاحلة يابسة، إن في إنزال المطر وإنبات النبات أدليلاً على قدرة الله على البعث وعلى الوحدةانية، لقوم يسمعون، ويتدبرون، ويطيعون الله، ويتقونه.

[٦٦] وإن لكم - أيها الناس - في الأنعام - وهي الإبل والبقر والغنم - لعظة، فقد شاهدتم أننا نسقيكم من ضروعها لبناً خارجاً من بين قسرت - وهو ما في الكرش - وبين دم خالصاً من كل الشوائب، لذيذاً لا يقص به من شرهته.

[٦٧] ومن نعمنا عليكم ما تأخذونه من ثمرات النخيل والأعناب، فتجعلونه خمرًا مُسكرًا - وهذا قبل تحريمها - وطعاماً طيباً، إن فيما ذكر أدليلاً على قدرة الله لقوم يعقلون البراهين فيعترون بها.

[٦٨] وألهم ربك - أيها الرسول - النحل بأن اجعلي لك بيوتاً في الجبال، وفي الشجر، وفيما بيني الناس من البيوت والشقف.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِزَّةً تُنْفِقُكَ مِمَّا فِي بُطُونِهِ. مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اجْعَلِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَآتِ لِمَا لَكَ سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلَّلَّا تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِمَّا تَشْفَوْنَ وَإِنَّكُمْ مَن سَبَدَ إِلَى أَنْزَلِ الْعَمْرُوكِ لَ يَعْلَمَنَّ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئَانَا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي تَفْضَلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَلْيَقِيْمَةً اللَّهُ يَجْحَدُوت ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ وَحَقْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيْبِ إِنَّا لَنَبْطِلُ بِيَوْمِنَا وَنَبْعَثُ اللَّهَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٩] ثم كُلِي من كل ثمرة تشتهيها، فاسلكي طرق ربك مذلة لك؛ لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر، وقد جعلها سهنة عليك، لا تضلي في القود إليها وإن تَعَدَّتْ. يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان من بياض وصفرة وحمره وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض. إن فيما يصنعه النحل لدلالة قوية على قدرة خالقها لقوم يتفكرون، فيعتبرون.

[٧٠] والله سبحانه وتعالى خلقكم ثم بعثكم في نهاية أعماركم، ومنكم من يصير إلى أردأ العمر وهو الهرم، كما كان في طفولته لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فالله الذي رَدَّ الإنسان إلى هذه الحالة قادر على أن يبعثه، ثم يبعثه.

[٧١] والله فَضَّلَ بعضكم على بعض فيما أعطاكم في الدنيا من الرزق، فمنكم غني ومنكم فقير، ومنكم مالك ومنكم مملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم مما أعطاهم الله ما يصيرون به شركاء لهم متساوين معهم في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم، فلماذا رضوا أن يجعلوا لله شركاء، من عباده؟ إن هذا لمن أعظم الظلم والجحود لنعيم الله عز وجل.

[٧٢] والله سبحانه جعل من جنسكم أزواجاً لتستريح نفوسكم معهن، وجعل لكم منهن الأبناء، ومن نسلهن الأحفاد، ورزقكم من الأطعمة الطيبة من الثمار والحبوب واللحوم وغير ذلك، أفيالباطل من ألوهية شركائهم يؤمنون، وبنعم الله التي لا تحصى يجحدون، ولا يشكرون له بإفراء، جل وعلا بالعبادة؟

[٧٣] ويعبد المشركون أصناماً لا تملك أن تعطيهم شيئاً من الرزق من السماء كالمطر. ولا من الأرض كالرزق، فهم لا يملكون شيئاً، ولا يتأق منهم أن يملكوه؛ لأنهم لا يقدرون.

[٧٤] وإذا غلبتم أن الأصنام والأوثان لا تنفع، فلا تجعلوا -أيها الناس- لله أشباحاً مماثلين له من خلقه تشركونهم معه في العبادة. إن الله يعلم ما تفعلون، وأنتم غافلون لا تعلمون خطأكم سوء عاقبتكم.

[٧٥] ضرب الله مثلاً بين فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً، ورجلاً آخر حرّاً، له مال حلال رزقه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعباده، فكيف تُسَوَّرُ بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا

يعلمون أن الحمد والنعمة لله، وأنه وحده المستحق للعبادة.

[٧٦] وضرب الله مثلاً آخر لبطلان الشرك لرجلين: أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على من يلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجل آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإحسان، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ فكيف تُسَوَّرُ بين الصم الأعمى وبين الله القادر المنعم بكل خير؟

[٧٧] والله سبحانه وتعالى علّم ما غاب في السموات والأرض. وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء قدير.

[٧٨] والله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئاً مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعلكم تشكرون لله تعالى على تلك النعم. وتفردونه عز وجل بالعبادة.

[٧٩] ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يسكنهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خلقه لها من الأجنحة والأذنان. وأقدرها عليه. إن في ذلك التذليل والإسكان لدلالات لقوم يؤمنون بما يروونه من الأدلة على قدرة الله.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآيَمَانُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا إِلَٰهَةَ الْأَمْثَالِ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِن رَّزْقَتِهِ مِثْرًا رِّزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْئُرُ ﴿٧٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ
أَيْتَمًا وَيُجْهَلُ لَا يَتَأَمَّنُ مِنْهُ أَحَدٌ وَالْآخَرُ فَصْلٌ فَهُوَ يُعْطِي
بِالْقَدِيلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَلَهُ عَيْنٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٨﴾
وَأَنَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَتْرُكُوا إِلَى الطَّيْرِ مَسْحَرَاتٍ فِي حَوَائِجِ السَّمَاءِ
مَا تُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾

[٨٠] والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقراراً مع أهلکم، وأنتم مقيمون في الحضرة، وجعل لكم في سفركم خياماً وقباباً من جلود الأنعام. تجئف عليكم حملها وقت تزوالکم، ويخف عليكم نضها وقت إقامتکم بعد الترحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أئاناً لكم من أكسية وألبسة وأغطية وفرش وزينة، تتمتعون بها إلى أجل مسمى ووقت معلوم.

[٨١] والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار وغيرها، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة، وجعل لكم ثياباً من القطن والصوف وغيرها، تحفظکم من الحر والبرد. وجعل لكم من الحديد ما يرد عنکم الطعن والأذى في حروبکم، كما أنعم الله عليكم بهذه النعم بتم نعمته عليكم ببيان الدين الحق، لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تشرکوا به شيئاً في عبادته.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَلَمْتُمْ عَنْهَا وَيَوْمَ أَقَامْتُمْ عَلَيْهَا وَأَنْصَوفاً بِهَا وَأُنْصَارِهَا أَنتُمْ وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٥٠﴾
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنُتًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ سُرُبِيلٍ قَفِيصًا كَمَا تَحْمِلُ الْغَنَمَ لَكُمْ مِنَ الْأَصْوَافِ وَأَشْعَارَ الْغَنَمِ لَكُمْ مِنَ الْأَصْوَافِ وَالْأَبْشَارِ وَالْأَنْعَامِ لَكُمْ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَالْأَلْبَسَةِ وَأَغْطِيَةَ الْفُرُشِ وَزِينَةً تَتَمَتَّعُونَ بِهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَوَقْتَ مَعْلُومٍ ﴿٥١﴾
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا وَجَعَلَ لَكُمْ فِي الْجِبَالِ مِنَ الْمَغَارَاتِ وَالْكَهْفِ وَأَمَاكِنَ تَلْجَأُونَ إِلَيْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَجَعَلَ لَكُمْ ثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَغَيْرِهَا، تَحْفَظُكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْحَدِيدِ مَا يَرُدُّ عَنْكُمْ الطَّعْنَ وَالْأَذَى فِي حُرُوبِكُمْ، كَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ النِّعَمِ بِتَمِّ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ الدِّينِ الْحَقِّ، لِتَسْتَسَلِمُوا لِأَمْرِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِهِ.

[٨٢] فإن أعرضوا عنك - أيها الرسول - بعد ما رأوا من الآيات فلا تحزن، فما عليك إلا البلاغ الواضح لما أُرْسِلْتَ به، وأما الهداية فإليها.

[٨٣] يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم، ثم يحجدون نبوته، وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرون بها.

[٨٤] واذكر لهم - أيها الرسول - ما يكون يوم القيامة، حين نبعث من كل أمة رسوماً شاهداً على إيمان من آمن منها، وتحفر من كفر. ثم لا يؤذن للذين كفروا بالاعتذار عما وقع منهم، ولا يُطلب منهم إرضاء ربهم بالتوبة والعمل الصالح، فقد مضى أوان ذلك.

[٨٥] وإذا شاهد الذين كفروا عذاب الله في الآخرة فلا يخفف عنهم منه شيء، ولا يُمهلون، ولا يؤخر عذابهم.

[٨٦] وإذا أبصر المشركون يوم القيامة آهنتهم التي عبدوها مع الله، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، فنطقت الألهة بتكذيب من عبدوها، وقالت: إنكم - أيها المشركون - تكاذبون، حين جعلتونا شركاء لله وعبدتونا معه، فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية. فاللوم عليكم.

[٨٧] وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله يوم القيامة، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الأكاذيب، وأن آهنتهم تشفع لهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَذِهِ لَأَوْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَنُفِئَ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
بِأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْرَاطِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَبَنِيهِ عَنِ
الْفَخْشَاءِ وَالْمَنْكِرِ وَالْبَغِيِّ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ تَلَّخَذُورَاتٍ مِمَّنْ تَنْكُرُونَ خَلًّا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنْمَاءً يُبَايِعُكُمْ اللَّهُ
بِهِمْ وَلِيُتَيَّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنْتَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

[٨٨] الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك - أيها الرسول - وكذبوك، ومنعوا عنهم عن الإيمان بالله ورسوله، زدناهم عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدمهم الناس عن اتباع الحق؛ وهذا بسبب تعمدهم الإفساد وإضلال العباد بالكفر والمعصية.

[٨٩] واذكر - أيها الرسول - حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيداً عليهم، وهو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيداً على أمتك أنك بلغت رسالة ربك، وقد نزلنا عليك القرآن توضيحاً لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدق وعمل به، وبشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

[٩٠] إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه

المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرهم، وينهى عن كل ما قبح قولاً أو عملاً، وعمما ينكره الشرع ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي. وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله - بهذا الأمر وهذا النهي - يعظكم ويذكركم العواقب؛ لكي تتذكروا أوامر الله وتنتفعوا بها.

[٩١] والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم بينكم وبين الله - تعالى -، أو بينكم وبين الناس فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكدتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتموه. إن الله يعلم ما تفعلونه، وسيجزيكم عليه.

[٩٢] ولا ترجعوا في عهودكم، فيكون مثلكم مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمتها، ثم نقضته؛ تجعلون أيمانكم التي حلفتُموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه، وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالأ ومنفعة من الذين عاهدتموه، إنما يجتريكم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهود وما نهاكم عنه من نقضها، وليُتَيَّنَ لَكُمْ يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيمان بالله ونبوة محمد ﷺ.

[٩٣] ولو شاء الله لوقفكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة؛ وهي الإسلام والإيمان، وألزمكم به، ولكنه سبحانه يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ممن علم منه إثارة الضلال، فلا يهديه؛ عدلاً منه، ويهدي مَنْ يَشَاءُ ممن علم منه إثارة الحق، فيوقفه؛ فضلاً منه. وليسألنكم الله جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وسيجازيكم على ذلك.

[٩٤] ولا تجمعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتهم لهم، فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين، كمن زلقت قدمه بعد ثبوتها، وتذوقوا ما يسوءكم من العذاب في الدنيا؛ بما تسببتم فيه من منع غيركم عن هذا الدين لما أروه منكم من الغدر، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

[٩٥] ولا تنقضوا عهد الله؛ لتستبدلوا مكانه عرضاً قليلاً من متاع الدنيا، إن ما عند الله من العوالب على الوفاء أفضل لكم من هذا الثمن القليل، إن كنتم من أهل العلم، فتدبروا الفرق بين خيزي الدنيا والآخرة.

[٩٦] ما عندكم من حطام الدنيا يذهب، وما عند الله لكم من الرزق والعوالب لا يزول. ولثيبين الذين تحمّلوا مشاق التكاليف - ومنها الوفاء بالعهد - ثوابهم بأحسن أعمالهم، فنعطئهم على أدائها، كما نعطئهم على أعلاها تفضلاً.

[٩٧] من عمل عملاً صالحاً، ذكر أن كان أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، فلنحيينه في الدنيا حياة سعيدة

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ فَزِيلَ قَدَمٌ بَعْدَ تَابُوتِهَا وَتَدُورُوا أَلْسِنُوعًا بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ فَمَغْلَبَةٌ لِلنَّاسِ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خِزْيٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ يُخِزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَالْأَخْسَرُ بِأَخْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا وَأَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيٰةً مَّكَانَ آيٰةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُعْمَلُ قَالُوا إِنَّمَا آيٰتُ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

مطمئنة، ولو كان قليل المال، ولنجزئهم في الآخرة ثوابهم بأحسن ما عملوا في الدنيا.

[٩٨] فإذا أردت - أيها المؤمن - أن تقرأ شيئاً من القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المطرود من رحمة الله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] إن الشيطان ليس له تسلط على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده، يعتمدون. إنما تسلطه على الذين جعلوه معيناً لهم وأطاعوه، والذين هم - بسبب طاعته - مشركون بالله تعالى.

[١٠١] وإذا بدلنا آية بأية أخرى، والله الخالق أعلم بمصلحة خلقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة، قال الكفار: إنما أنت - يا محمد - كاذب مخلق على الله ما لم يقله. ومحمد ﷺ ليس كما يزعمون. بل أكثرهم لا يعلم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه.

[١٠٢] قل لهم - أيها الرسول -: ليس القرآن مختلفاً من عندي، بل نزله جبريل من ربك بالصدق والعدل؛ تثبيتاً للمؤمنين، وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين.

[١٠٣] ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن من بشر من بني آدم. كذبوا! فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ أعجمي لا يفصح. والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان.

[١٠٤] إن الكفار الذين لا يصدقون بالقرآن لا يوفقههم الله لإصابة الحق، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موعج. [١٠٥] إنسا يخلق الكذب من لا يؤمن بالله وآياته، وأولئك هم الكاذبون في قومه ذلك. أما محمد ﷺ المؤمن بربه الخاضع له فمحال أن يكذب على الله، ويقول عليه ما لم يقله.

[١٠٦، ١٠٩] إنسا يفترى الكذب من نطق بكلمة الكفر وارتد بعد إيمانه. فعليهم غضب من الله، إلا من أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفاً من الهلاك، وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر وإطمأن قلبه إليه. فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم؛ وذلك

بسبب إثارة الدنيا وزينتها. وتفضيلهم إياها على الآخرة وثوابها. وأن الله لا يوفق الكافرين للحق والصواب. [١٠٨] أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإيثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبّر، وأعمى أبصارهم فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله، وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لهم من العذاب.

[١٠٩] حقاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون المهلكون. الذين صرفوا حياتهم إلى ما فيه عذابهم وهلاكهم.

[١١٠] ثم إن ربك للمستضعفين في «مكة» الذين عدّهم المشركون. حتى واقفوه على ما هم عليه ظاهراً، فقتنوهم بالتلفظ بما يرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولنا أمكنهم الخلاص هاجروا إلى «المدينة»، ثم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على مشاق التكليف، إن ربك - من بعد توبتهم - لغفور لهم، رحيم بهم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا نَعْتِمُهُ بِبَشَرٍ لِّسَانِ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبُوا وَمَآ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا اللَّهُ لَا يَتَذَكَّرُونَ أَنَّ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَمْ يَكُنْ مَنْ سَرَّحَ بِالْكَفْرِ
صَدْرًا فَلَنُصْرِفَنَّ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آسَأَتْ حُبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَلَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتَمَّوَعَهُمْ
وَأَنْصَرَفَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لِأَجْرٍ
أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّاوُا فَرَّجْنَا لَهُمُ
وَصَرَّوْنَا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

[١١١] وذكرهم - أيها الرسول - يوم القيامة حين تأتي كل نفس مخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير، ويوفي الله كل نفس جزاء ما عملته من غير ظلم لها، فلا يزيدهم في العقاب، ولا ينقصهم من الثواب.

[١١٢] وضرب الله مثلاً ببلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمنان من ضيق العيش، يأتيها رزقها حينئذ سهلاً من كل جهة، فجحده أهلها بغير الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله ﷺ وجيوشه، التي كانت تخيفهم؛ وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل.

[١١٣] ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا منهم، هو النبي محمد ﷺ، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه، فأخذهم العذاب من الشدائد والجوع والخوف، وقتل عظامتهم في «بدر»، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك بالله، والصد عن سبيله.

[١١٤] فكلموا - أيها المؤمنون - بما رزقكم الله، وجعله لكم حلالاً مستطاباً، واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وصرّفها في طاعة الله، إن كنتم حقاً منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

[١١٥] إنما حرّم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، لكن من أجلاته ضرورة الخوف من الموت إلى أكل شيء من هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوز حدّ الضرورة. فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل.

[١١٦] ولا تقولوا - أيها المشركون - للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لنا حرّمه الله، وهذا حرام لنا أحلّه الله؛ لتختلفوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يمتثلون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

[١١٧] متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل، ولهم في الآخرة عذاب موجع.

[١١٨] وعلى اليهود حرّمنا ما أخبرناك به - أيها الرسول - من قبل، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما تحلّته ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطاً بعظم، وما ظلمناها بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

• يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ نَجْدِلَ عَنْ نَفْسِهَا وَتَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبِيَّةً كَانَتْ آيَةً مُّطَهَّرَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرَتْ بِأَنْفُسِ اللَّهِ قَاذِبَةً اللَّهُ لِبَنَاتِ الْجَوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكَلِمًا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ حَتَّىٰ لَا يَتَّخِبُوا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ يُغْنِيَهُمْ إِتْيَانَهُ تَقْبُوتًا ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا كَذَّبَ اللَّهُ تَقْوَىٰ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ سَاعَةً مِنْ نَارٍ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ سَاعَةً مِنْ نَارٍ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ سَاعَةً مِنْ نَارٍ

[١١٩] ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها ويجابها لسخط الله، وبغفلة منهم أو ضعف يقين - فكل عاص لله - محظناً أو متعمداً - فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم - ثم رجعو إلى الله عمداً كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم. إن ربك - من بعد توبتهم وإصلاحهم - لغفور لهم، رحيم بهم.

[١٢٠-١٢٢] إن إبراهيم كان إماماً في الخير، وكان طاعناً خاضعاً لله، لا يميل عن دين الإسلام موحداً لله غير مشرك به، وكان شاكراً لنعم الله عليه، اختاره الله لرسالته، وأرشد: إلى الطريق المستقيم. وهو الإسلام، وأتيناها في الدنيا نعمة حسنة من النساء عليه في الآخريين والقعدة به، والولد الصالح، وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية.

[١٢٣] ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع دين الإسلام كما اتبعه إبراهيم، وأن استقم عليه، ولا تحذ عنه، فإن إبراهيم لم يكن من المشركين مع الله غيره.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَنُرْتُوكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِ الَّتِي آتَيْتَهُ وَهَدَانِهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةَ لِمَنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَكْهُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِيَّ هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوعٍ مِمَّا تَمُنُّوْنَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[١٢٤] إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أمروا بتعظيمه. وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم. وبجازي كلاً بما يستحقه.

[١٢٥] ادع - أيها الرسول - أنت ومن اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخطب الناس بالأسلوب المناسب لهم. وانصح لهم نصحاً حسناً، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر. وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين. فما عليك إلا البلاغ، وقد بلغت، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

[١٢٦] وإن أردتم - أيها المؤمنون - القصاص ممن اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم. ولئن صبرتم لهُو خير لكم في الدنيا بالنصر. وفي الآخرة بالأجر العظيم.

[١٢٧] واصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى في الله حتى يأتيك الفرج. وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك. ولا تغتم من مكرمهم وكيدهم؛ فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

[١٢٨] إن الله سبحانه وتعالى - بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره - مع الذين اتقوه بامثال ما أمر واجتنب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ. لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
 الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ
 هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥﴾ وَاتَّبَعْنَا مَوْسَى الْكَتَّابَ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٦﴾
 ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٧﴾
 وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
 مَرَّةً وَيَنْتَقِلْنَ غَلَاً كَثِيرًا ﴿٨﴾ فَاذْهَبْ أَجَاءَ وَغَدَا وَلَهُمَا
 بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
 الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٩﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرْةَ
 عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿١٠﴾
 إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
 جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
 كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبْتَلُوا مَا وَعَدْنَا مُبْتَلًى ﴿١١﴾

شكورا لله بقلبه ولسانه وجوارحه.

[سورة الإسراء]

[١] يمجّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبيد، محمد ﷺ زمناً من الليل بجسده وروحه، يقظة لا مناماً، من المسجد الحرام بهـمكة إلى المسجد الأقصى بهـبيت المقدس الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلاً لكثير من الأنبياء، ليشهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته، إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصِر. فيعطي كلَّ ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

[٢] وكما كرم الله محمداً ﷺ بالإسراء، كرم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بياناً للحق وارشاداً لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى ولياً أو معبوداً يفوضون إليه أمورهم.

[٣] يا سلالة الذين أنجيناهم وحملناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمة، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبداً

[٤] وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أنزلت عليهم بأنه لا بد أن يقع منهم إفساد مرتين في «بيت المقدس» وما والا، بالظلم، وقتل الأنبياء، والتكبر والطغيان والعدوان.

[٥] فإذا وقع منكم الإفساد الأول سلطنا عليكم عباداً لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة، يغلبونكم ويقتلونكم ويشردونكم، فطافوا بين دياركم مفسدين، وكان ذلك وعداً لا بد من وقوعه؛ لوجود سببه منكم.

[٦] ثم ردّدنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سلطوا عليكم، وأكثرنا أرواحكم وأولادكم، وقوّيناكم وجعلناكم أكثر عدداً من عدوكم؛ وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

[٧] إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم فقد أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم، وإن أسأتم ففقد ذلك عائد عليكم، فإذا حان موعد الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليدلوكم ويغلبوكم، فتظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوا أولاً مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميراً كاملاً.

عَسَىٰ زَكَرَاتُ الْبِرِّ أَنَّهَا تَنصُرُكُمْ بِضَيْقِ الْيَوْمِ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَبِلَ إِتْرَافًا وَلَمْ يَتَضَلَّلْ إِلَّا لَنفسِهِ أَكْبْرًا ﴿١٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْنَيْنَا لَهُمُ عَذَابَ الْيَوْمِ
 وَبَدِيعَ الْإِنْسَانِ نَفْسًا مِّنْ لَّدُنْهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿٢٠﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن نَّهَىٰ عَنِ الْفِيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مَبْصُورَةً لِّتُبْتَغُوا فِتْلَةً مِّنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ أَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٢١﴾ وَكُلُّ الْإِنْسَانِ
 أَلْمُذْنِبُ إِلَّا مَن آتَىٰ وَجْهَهُ لِلرَّبِّ ذَاتًا خَالِيَةً ﴿٢٢﴾ وَنُفِخَ فِي نُفُوسِهِمْ
 مَسْئُورًا ﴿٢٣﴾ أَفَرَأَىٰ كَيْفَ نَبِّئُكَ أَيُّومَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿٢٤﴾
 مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَیْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا فِيهَا مَنَّانًا فَمِنْهَا
 نَقَطْنَا بِهَا الْفَوَاقِلَ فَذَرْنَهَا تَدْمِيمًا ﴿٢٦﴾ وَكُرَاهِلِكَا مِیْنِ الْقُرُونِ
 مِیْنِ بَعْدِ نُوحٍ وَكُنْ بِرَبِّكَ ذَلُولًا عِبَادًا ﴿٢٧﴾ حَتَّىٰ تَبْصُرَ بِرَبِّكَ

[١٨] عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد انتقامه إن يتيم وأصلحتم، وإن عدتم إلى الإفساد والظلم غداً إلى عقابكم ومذلتكم، وجعلنا جهنم لكم وللكافرين عامة سجناً لا خروج منه أبداً. وفي هذه الآية وما قبلها، تحذير هذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبها مثل ما أصاب بني إسرائيل. فسئنا الله واحدة لا تُبدل ولا تُغَيَّر.

[١٩، ٢٠] إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه، بأن لهم ثواباً عظيماً، وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعدنا لهم عذاباً موجعاً في النار.

[٢١] ويدعو الإنسان أحياناً على نفسه أو ولده أو ماله بالشكر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالحير، وهذا من جهل الإنسان وعجلته، ومن رحمة الله به أنه يستجيب له في دعائه بالحير دون الشر؛ لأنه يعلم منه عدم القصد إلى إرادة ذلك، وكان الإنسان بطبعه عجولاً. وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على

وحدانيتنا وقدرتنا، فَمَحَوْنَا علامة الليل - وهي القمر - وجعلنا علامة النهار - وهي الشمس - مضيئة؛ ليصير الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس - من تعاقب الليل والنهار - عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم، وكل شيء بيّناً كافياً. [٢٢] وكل إنسان يجعل الله ما عمله من خير أو شر ملازماً له، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يحاسب غيره، بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتاباً قد سُجِّلَتْ فيه أعماله براءً مفتوحاً.

[٢٣] يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فيقرأ، وإن لم يكن يعرف القراءة؛ في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء، وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك، كفى بها حسيباً عليك.

[٢٤] من اهتدى فاتبع طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده، ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده، ولا تحمل نفس مذنبية إثم نفس مذنبية أخرى. ولا يعذب الله أحداً إلا بعد إقامة الحجّة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

[٢٥] وإذا أردنا إهلاك أهل قرية لظلمهم أمرنا مترفيهم بطاعة الله وتوحيد، وتصديق رسله، وغيره تبع لهم، فعصوا أمر ربهم وكذبوا رسله، فحقّ عليهم القول بالعذاب الذي لا مردّ له، فاستأصلناهم باهلاك التام.

[٢٦] وكثيراً أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها من بعد نبي الله نوح، وكفى بربك - أيها الرسول - أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفي عليه خافية.

[١٨] من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدّق بالآخرة، ولم يعمل لها، عجّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريدُه مما كتبه له في اللوح المحفوظ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم، يدخلها ملوماً مطروداً من رحمة عز وجل؛ وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة.

[١٩] ومن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثنائه وعظيم جزائه، فأولئك كان عملهم مقبولاً مُدْخِراً لهم عند ربهم، وسيثابون عليه.

[٢٠] كل فريق من العاملين للدنيا الغانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده من رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا؛ فإن الرزق من عطاء ربك تفضلاً منه، وما كان عطاء ربك ممنوعاً من أحد مؤمناً كان أم كافراً.

[٢١] تأمل -أيها الرسول- في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، وللآخرة أكبر درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلاً.

[٢٢] لا تجعل -أيها الإنسان- مع الله شريكاً له في

مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهَا بِهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَتْ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ غَلًّا نُيَذِّرُهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ قَضَلْنَا أَمْعَاجَهُمْ عَلَى بَعْضِ الْأَخْيَرِ أَكْثَرَ دَرَجَاتٍ وَأَكْثَرَ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَتَقْضَى رِبِّكَ الْأَقْدَارَ وَالْآيَاتِ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا إِنَّمَا يُلْقِئُكَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ كَلِمَاتٍ أَوْ كَلَاهِمَا فَأَقْلِبْ لَهُمَا أَفْيُ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَغْفِرُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَاحِبِينَ فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ لِلْآيَاتِ غَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَتَابَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَسِيرِينَ وَالَّذِينَ فِي السَّبِيلِ وَلَا يُبْدُونَ تَبْدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْأَشْبَادَ يَنْظُرُونَ كَلِمَاتِ الْيَسِيرِينَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

عبادته، فنبهوه بالمذمة والخذلان.

[٢٣] وأمر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالة الشيوخوخة، إذا كانا في رعايتك، فلا تضجر ولا تستثقل شيئاً تراه من أحدهما أو منهما، ولا تُسبِعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما -دائماً- قولاً ليناً لطيفاً.

[٢٤] وكُنْ لَأَمِّكَ وَأَبِيكَ ذَلِيلًا مُتَوَاضِعًا رَحْمَةً بِهِمَا، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتاً، كما صبرا على تربيته طفلاً ضعيف الحول والقوة.

[٢٥] ربكم -أيها الناس- أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان -سبحانه- للراجمين إليه في جميع الأوقات غفوراً، فمن عَلِمَ الله أنه ليس في قلبه إلا الإجابة إليه ومحبته، فإنه يعفو عنه، ويفقر له ما يعرض من صفات الذنوب؛ بما هو من مقتضى الطباع البشرية.

[٢٦] وأحسب إلى كل من له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير.

[٢٧] إن السرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية، وكان الشيطان كثير الكفران شديداً الجحود لنعمة ربه.

وَأَمَّا نَرِيصَنَّ عَنْهُمْ بِنِعْمَةِ رَحْمَتِي مَنْ رَبِّكَ تَنْبُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
 مَمْسُورًا ﴿٢٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ بَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
 كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَنحُورًا ﴿٢٢٩﴾ إِنْ رَبِّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِبْرَاقٍ لَكُمْ سَخِرْنَا مَخْرَجَهُمْ وَإِنَّا لَنَافِلُهُمْ كَاتِبَاتٌ
 حِطًّا كَبِيرًا ﴿٢٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذْهَمَّ كَاتِبَتْ وَجْهَهُ وَسَاءَ
 سَبِيلًا ﴿٢٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
 الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْحُورًا ﴿٢٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 مِنْ أَحْسَنِّ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأُولُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
 مَسْئُولًا ﴿٢٣٤﴾ وَأُولُوا الْكَيْلِ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَيْتِنَاتِ أَلْيَسْ بِنِعْمَةِ
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٢٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
 السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٢٣٦﴾
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْمًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
 الْجِبَالَ طُولًا ﴿٢٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٣٨﴾

[٢٢٨] وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أمرت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيمهم منه طلباً لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولاً ليئناً لطيفاً، كالإعطاء لهم بالغنى وسعة الرزق، ويذهب بأن الله إذا أيسر من فضله رزقاً أنك تعطيمهم منه.

[٢٢٩] ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير. مضيئاً على نفسك وأهلك والمحتاجين. ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك. فتقع ملاماً يلومك الناس ويذمونك، نادماً على تبذيرك وضياح مالك.

[٢٣٠] إن ربك يوسع الرزق على بعض الناس، ويضيقه على بعضهم، وفق علمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه هو المطلع على خفايا عباد، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم.

[٢٣١] وإذا علمت أن الرزق بيد الله سبحانه فلا تقتلوا أيها الناس - أولادكم خوفاً من الفقر؛ فإنه - سبحانه - هو الرزاق للعباد، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء، إن قتل الأولاد ذنب عظيم.

[٢٣٢] ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه. إنه كان فعلاً بالغ الفجح، وبئس الطريق طريقه.

[٢٣٣] ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق الشرعي كالفصاح أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره من وارث أو حاكم حجة في طلب قتل قاتله أو الدية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمْتَل بالقاتل، إن الله معين وليِّ المقتول على القاتل حتى يتمكن من قتله قصاصاً.

[٢٣٤] ولا تنصروا في أمور الأطفال الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم. وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل البيتم سن البلوغ. وحسن التصرف في المال. وأتموا الوفاء بكل عهد التزمتم به. إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفاء، ويعاقبه إذا خان فيه.

[٢٣٥] وأتموا الكيل، ولا تنقصوا، إذا كُتِم لغيركم، وزنوا بالميزان السوي. إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة.

[٢٣٦] ولا تتبع - أيها الإنسان - ما لا تعلم، بل تأكد وثبتت. إن الإنسان مسؤول عما استعمل فيه سمعه وبصره وقواذه، فإذا استعملها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.

[٢٣٧] ولا تمش في الأرض محتالاً متكبراً؛ فإنك لن تخرق الأرض بشيك عليها بهذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولاً بحيلتك وفخرك وكبرك.

[٢٣٨] جميع ما تقدم ذكره من أوامر ونواهٍ، يكره الله سيئته، ولا يرضاه لعباده.

[٣٩] ذلك الذي بيّناه ووضّحناه من هذه الأحكام الجليلة، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنهي عن أراذل الأخلاق مما أوحيناها إليك أيها النبي. ولا تجعل -أيها الإنسان- مع الله تعالى شريكاً له في عبادته، فتُغذّف في نار جهنم تلومك نفسك والناس. وتكون مطروداً مبعداً من كل خير.

[٤٠] أفخصّصكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

[٤١] ونقد وضحنا ونوّغنا في هذا القرآن الأحكام والأمثال والمواعظ؛ ليعظ الناس ويتدبروا ما ينفعهم فيأخذوه، وما يضرهم فيدعوه، وما يزيد البيان والتوضيح الظالمين إلا تباعداً عن الحق، وغفلة عن النظر والاعتبار.

[٤٢] قل -أيها الرسول- للمشركين: لو أن مع الله آلهة أخرى، إذا طلبت تلك الآلهة طريقاً إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم.

[٤٣] تتردّ الله وتقدّس عمّا يقوله المشركون وتعالى علواً كبيراً.

[٤٤] تُسبح له -سبحانه- السموات السبع والأرضون، ومن فيهن من جميع المخلوقات، وكل شيء في هذا الوجود ينزه الله تعالى تنزيهاً مقروناً بالفناء والحمد له سبحانه، ولكن لا تدركون -أيها الناس- ذلك. إنه سبحانه كان حليماً بعباده لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، غفوراً لهم.

[٤٥] وإذا قرأت القرآن فسمعه هؤلاء المشركون، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً يحجب عقولهم عن فهم القرآن؛ عقاباً لهم على كفرهم وإنكارهم.

[٤٦] وجعلنا على قلوب المشركين أعظية؛ لنلا يفهموا القرآن. وجعلنا في آذانهم صمماً؛ لنلا يسمعه، وإذا ذكّرت ربك في القرآن داعياً لتوحيدنا ناهياً عن الشرك به رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكباراً واستعظاماً من أن يوحدوا الله تعالى في عبادته.

[٤٧] نحن أعلم بالذي يستمع به رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك ومقادهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق، ونعلم تواجهم حين يقولون: ما تتبعون إلا رجلاً أصابه السحر فاختلط عقله.

[٤٨] تفكر -أيها الرسول- متعجباً من قولهم: إن محمداً ساحر شاعر مجنون !! فجاروا واحرفوا، ولم يفتدوا إلى طريق الحق والصواب.

[٤٩] وقال المشركون منكرين أن يُخلّفوا خلقاً جديداً بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فتاتاً؛ أئنا لمبعوثون يوم القيامة بعبأ جديداً؟

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْمَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مآخِرفًا قِيًّا فِي جَهَنَّمَ مَوْلَمًا مَذْهُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْحَابُ كُرْسِيِّ رَبِّكَ بِالْبَيْنِ وَالْقَعْدِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ إِنشَاءً لَكُمْ لَسْمُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا مَعَهُ تَالِهَةً كَمَا يَقُولُونَ إِذْ آلَئِنَّوْا إِلَيْ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ عَلَوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ سُبْحٰنَهُ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَحْمَدُوهُ وَلَكِن لَّا تَشْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا عَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوْا فِيهَا ذٰلِكُمْ فَتَرَوَآءُ إِذْ كُرْتَ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ حَمْدَهُ وَتَرَوُا عَلٰى أَذْرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوٰى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ لَضَمًّا لَّا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَتَالُوْا آءِ ذٰلِكَمَّا عَظَمْنَا آءِ ذٰلِكَمَّا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُوَّةٌ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

٥١] قل لهم - أيها الرسول - على جهة التعجيز:
 كونوا حجارة أو حديداً في الشدة والقوة، إن قدزتم
 على ذلك.
 أو كونوا خلقاً يعظم ويستبعد في عقولكم قبوله،
 فسيقولون - منكرين - : من يرُدُّنا إلى الحياة بعد الموت؟
 قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من
 العدم أول مرة، وعند سماعهم هذا الرد فسهُزُّون
 رؤوسهم ساخرين متعجبين ويقولون - مستبعدين - :
 متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريك أن هذا البعث
 الذي تنكرونه وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع؟
 [٥٢] يوم يناديكم خالقكم للخروج من قبوركم،
 فتستجيبون لأمر الله، وتقادون له، وله الحمد على
 كل حال، وتظنون - لهول يوم القيامة - أنكم ما أقمت
 في الدنيا إلا زمناً قليلاً، لطول لبثكم في الآخرة.
 [٥٣] وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في مخاطبهم
 وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا
 ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والحصام.
 إن الشيطان كان للإنسان عدواً ظاهر العداوة.

[٥٤] ربكم أعلم بكم - أيها الناس - إن يشأ يرحمكم فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر
 فيعذبكم، وما أرسلناك - أيها الرسول - عليهم وكيلاً، تدبّر أمرهم وتحجزهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما
 أرسلت به، وبيان الصراط المستقيم.

[٥٥] وربك - أيها الرسول - أعلم بمن في السموات والأرض. ولقد قَضَّنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة
 الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السَّلام الزبور.

[٥٦] قل - أيها الرسول - لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تنادونها لكشف الضّر عنكم لا تملك ذلك، ولا
 تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالقادر على ذلك هو الله وحده.
 وهذه الآية عامة في كل ما يُدعى من دون الله، ميتاً كان أو غائباً، من الأنبياء والصالحين وغيرهم، بلفظ الاستغاثة
 أو الدعاء أو غيرهما، فلا معبود بحق إلا الله.

[٥٧] أولئك الذين يدعوهم المشركون، من الأنبياء والصالحين والملائكة مع الله، يتنافسون في القرب من ربهم
 بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، ويأملون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره
 العباد، ويخافوا منه.

[٥٨] ويتوَعَّد الله الكفار بأنه ما من قرية كافرة مكذبة للرسول إلا وسينزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم
 القيامة، أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاه أبرمه لا بد من وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ.

[٥٩] وما معنا من إنزال المعجزات التي سألها المشركون إلا تكذيب من سبقهم من الأمم، فقد أجابهم الله إلى ما طلبوا فكذبوا وهلكوا. وأعطينا ثمود - وهم قوم صالح - معجزة واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم. وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛ ليعتبروا ويتذكروا.

[٦٠] واذكر - أيها الرسول - حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدرة. وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عبثاً ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات، إلا اختباراً للناس؛ ليمتدح كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس. وتخويف المشركين بأنواع العذاب والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا تمادياً في الكفر والضلال.

[٦١] واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريماً، فسجدوا جميعاً إلا إبليس، استكبر وامتنع عن السجود قائلاً على سبيل الإنكار والاستكبار:

وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
وَهُدَيْنَا سُلُومًا نَافَاةً مُنصَرَّةً قَطَعْنَا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّبُوبِيَّةَ لَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُوحِيهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ: أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَا نَحْنُكُمْ كَرَّ
ذُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا ۝ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَاءُ مَنْفُورًا ۝ وَأَسْفَرْنَا مَنْ لَا سَمْعَ
مِنْهُمْ بِصُورِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجَلِكَ وَشَرَاهُ كُمُرًا
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّاظِنُ إِلَّا
غُرُورًا ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَذِيرًا لَكُمْ الْفَلَكَ فِي
الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝

أسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟

[٦٢] وقال إبليس جراءة على الله وكفراً به: أرايت هذا المخلوق الذي ميزته علي؟ لن أبقيتني حياً إلى يوم القيامة لأستولى على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان. وهم قليل.

[٦٣] قال الله تعالى مهدداً إبليس وأتباعه: اذهب فمَنْ تبعك من ذرية آدم فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم وافر في نار جهنم.

[٦٤] واستخوف كل مَنْ تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه من جنودك من كل راكب وراجل، واجعل لنفسك بشرية في أموالهم بأن يكسبوا من الحرام وينفقوها فيه، وبشركة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي. ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد، ويعد أتباعك من ذرية آدم الوعود الكاذبة، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

[٦٥] إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم، وكفى بربك - أيها النبي - عاصماً وحافظاً للمؤمنين من كيد الشيطان وغروره.

[٦٦] ربكم - أيها الناس - هو الذي يُسَيِّرُ لكم السفن في البحر؛ لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم. إن الله سبحانه كان رحيماً بعباده.

[٦٧] وإذا أصابكم شدة في البحر حتى أشرتم على الفرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكرتم الله القدير وحده؛ ليعيذكُم وينقذكم. فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأغاثكم ونجّاكم، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وهذا من جهل الإنسان وكفره، وكان الإنسان جحوداً لنعم الله عزّ وجل.

[٦٨] أغفَلْتُم - أيها الناس - عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفاً، أو يُنظركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم، ثم لا تجدوا أحداً يحفظكم من عذابه؟

[٦٩] أم أمنتم - أيها الناس - ربكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم رباً شديداً، تكسّر كل ما أتت عليه، فيفرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا أي تبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة؟

[٧٠] ولقد كرّمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل.

وسخّرنا لهم جميع ما في الكون، وسخّرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضّلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً عظيماً.

[٧١] اذكر - أيها الرسول - يوم البعث مبشراً ومخوفاً، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فمن كان منهم صالحاً، وأعطى كتاب أعماله بيمينه، فهو لأهله يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنقصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئاً، وإن كان مقدراً الخيط الذي يكون في شقّ القواة.

[٧٢] ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بما جاء به الرسول محمد ﷺ فهو في يوم القيامة أشدّ عمى عن سلوك طريق الجنة، وأضل طريقاً عن الهداية والرشاد.

[٧٣] ولقد قارب المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عن القرآن الذي أنزله الله إليك؛ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، ولو فعلت ما أرادوه لا تخذوك حبيباً خالصاً.

[٧٤] ولولا أن ثبتناك على الحق، وعصمناك عن موافقتهم، لتأربّيت أن تميل إليهم شيئاً من الميل فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدة احتياهم، ولرغبتك في هدايتهم.

[٧٥] ولو زُكّمت - أيها الرسول - إلى هؤلاء المشركين ركوناً قليلاً فيما سألوك، إذا لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة؛ وذلك لتسامع الله عليك وكمال معرفتك برّبك، ثم لا تجد أحداً ينصرك ويدفعُ عنك عذابنا.

وإذا مسك الضّر في البحر صلّ من تدعوت الإيابة فلما تجدك إلى البر أعرضت وكان الإنسان كفوراً ﴿٦٧﴾ فأمنتم أن يحبسكم بكم جانب البر أو ينزل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴿٦٨﴾ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيزيل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كرتنم ثم لا تجدوا لكم علينا به نبيلاً ﴿٦٩﴾ ولقد كرتنا بئ آادهم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴿٧٠﴾ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوفى بما يمينه فأؤتيه ثوابه وإن كذب به فإنه لن تكفر وإن كنا لننظنهم ولا ينظرون ﴿٧١﴾ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلاً ﴿٧٢﴾ وإن كذبا وليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ﴿٧٣﴾ وإذا لأخذوك حليلاً ﴿٧٤﴾ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴿٧٥﴾ إذا أذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴿٧٦﴾

[٧٦] ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من مكة^١ بإزعاجهم إليك، ولو أخرجوك منها لم يمكنوا فيها بعدك إلا زمناً قليلاً، حتى تحل بهم العقوبة العاجلة. [٧٧] تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تخرج رسولها من بينها، ولن تجد -أيها الرسول- لسنةنا تغييراً، فلا خلف في وعدنا.

[٧٨] أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر، وأطل القراءة فيها؛ إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

[٧٩] وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرا القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يعثك الله شافعاً للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقاماً يمدك فيه الأولون والآخرون. [٨٠] وقل: رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق، واجعل لي من

وَأَنْ كَذَّبُوا لِيَسْتَفْزَمُوا بِكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيَخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَفِعِدْ الصَّلَاةَ لِلدَّلْوِكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَهِيًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ آيَاتٌ مَاهُورًا سِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَعْتَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَافَهُ وَتَنَجَّاهُ بِهَا. وَإِذْ أَمْسَهُ الشَّرْكَانَ بِنُورِنَا ﴿٨٣﴾ فَلِكُلِّ يَعْصِلُ عَلَى شَاكِلِيهِ. فَرَكَّعَاغَمَ بَعْنُ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْتَأْنِفُكَ عَنِ الرُّوحِ فِي الرُّوحِ مِنْ أَمْرٍ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَأَلَيْنَ شِئْنَا لَنْدَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيَّةً وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾

لذلك حجة ثابتة، تنصرفي بها على جميع من خالفني.

[٨١] وقل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول.

[٨٢] ونزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب من الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة. وما يشفي الأبدان برقيتها به، وما يكون سبباً للفرور برحمة الله بما فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفراً وضلالاً؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم.

[٨٣] وإذا أعتنا على الإنسان من حيث هو بمال وعاقبة ونحوهما، تولى وتباعده عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطاً؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرائره وضررائه.

[٨٤] قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

[٨٥] ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتاً، فأجبههم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أعطيتك أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً.

[٨٦] ولئن شئنا لنذهب بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به عليّة وكيلة.

عليك القرآن.

[٨٧] لَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ، فَأُنْبِئْتُ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ عَظِيمًا؛ فَقَدْ أَعْطَاكَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَالْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُوْتِهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

[٨٨] قُلْ: لَوْ اتَّفَقَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى مَحَاوِلَةِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَجْزِ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِ بِلَاغَتِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ، وَلَوْ تَعَاوَنُوا وَتَظَاهَرُوا عَلَى ذَلِكَ.

[٨٩] وَلَقَدْ بَيَّنَّنَا وَتَوَعَّنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مِثْلٍ يَنْبَغِي الْإِعْتِبَارَ بِهِ؛ اِحْتِجَاجًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ لِتَبِعُوهُ وَيَعْمَلُوا بِهِ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا جُودًا لِلْحَقِّ وَإِنْكَارًا لِحُجُجِ اللَّهِ وَأَدْلَتِهِ.

[٩٠] وَلَمَّا أَعْجَزَ الْقُرْآنُ الْمُشْرِكِينَ وَغَلِبَهُمْ أَخَذُوا يَطْلُبُونَ مِعْجَزَاتٍ وَفَقُوا أَهْوَانَهُمْ فَقَالُوا: لَنْ نَصْدُقَكَ -يَا مُحَمَّد- وَنَعْمَلُ بِمَا تَقُولُ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ أَرْضِ «مَكَّة» عَيْنًا جَارِيَةً.

[٩١] أَوْ تَكُونَ لَكَ حَدِيقَةٌ فِيهَا أَنْوَاعُ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، وَتَجْعَلَ الْأَنْهَارَ تَجْرِي فِي وَسْطِهَا بِغَزَارَةٍ.

[٩٢] أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ عَلَيْنَا قِطْعًا كَمَا رَعَمْتَ، أَوْ تَأْتِيَ لَنَا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، فَنَشَاهِدُهُمْ مُقَابِلَةً وَعِيَانًا.

[٩٣] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ تَصْعَدُ فِي دَرَجٍ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَنْ نَصْدُقَكَ فِي صُعُودِكَ حَتَّى تَعُودَ، وَمَعَكَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ مَنْشُورٌ نَقْرَأُ فِيهِ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. قُلْ -أَيُّهَا الرُّسُلُ- مَتَّعِجِبًا مِنْ تَعَتُّتِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ: سَبِحَانَ رَبِّي!! هَلْ أَنَا إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَبْتَلُغٌ رِسَالَتِهِ؟ فَكَيْفَ أَقْدَرُ عَلَى فِعْلٍ مَا تَطْلُبُونَ؟

[٩٤] وَمَا مَنَعَ الْكُفَّارَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِمَا، حِينَ جَاءَهُمُ الْبَيَانُ الْكَافِي مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، إِلَّا قَوْلُهُمْ جَهْلًا وَإِنْكَارًا: أَبْعَثَ اللَّهُ رَسُولًا مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ؟

[٩٥] قُلْ -أَيُّهَا الرُّسُلُ- رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِِنْكَارَهُمْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنَ الْبَشَرِ: لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ عَلَيْهَا مَطْمَئِنِينَ، لَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ جِنْسِهِمْ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْأَرْضِ بَشَرٌ، فَالرُّسُولُ إِلَيْهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِيُمْكِنَهُمْ مَخَاطَبَتُهُ وَفَهْمُ كَلَامِهِ.

[٩٦] قُلْ لَهُمْ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَلَى صِدْقِي وَحَقِيقَةِ نَبْوَتِي. إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، بَصِيرٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

الْإِرْحَمَةَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ قَضَيْتَهُ. كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُلْ لَبِنٌ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَقَدْ صَدَّقْنَا النَّاسَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مِثْلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتٌ يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَسَدٌ مِنْ نُجُومٍ وَعَسَىٰ فَتُنَجِّرَ الْأَنْهَارَ خَلْفَهَا تَنْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ آبٍ سَقْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِنَاثَةٍ أَوْ تَكُونَ قَيْمِلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرَأُ بِهِ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا لَأَنْتَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِنِينَ لَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝

[٩٧] ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه، وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم غيباً ونكماً وضماً مما وهبهم جهنم كلما تحببت زديتهم سعيراً ﴿٩٥﴾ ذلك جزاءهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا: إذا كنا عظاماً وزرقاً، قال المتبعوثون خلقاً جديداً ﴿٩٦﴾ أو أنزلوا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فإني الظالمون ﴿٩٧﴾

[٩٨] هذا الذي وُصف من العذاب عقاب للمشركين؛ بسبب كفرهم بآيات الله وحججه، وتكذيبهم رسله الذين دَعَوْهم إلى عبادته، وقولهم استنكاراً - إذا أمروا بالتصديق بالبعث -: «أإذا متنا وصيرنا عظاماً بالية وأجزاء مفتتحة نُبعث بعد ذلك خلقاً جديداً؟» [٩٩] أُعْقل هؤلاء المشركون، فلم يتبصروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات على غير مثال سابق، قادر على أن يخلق أمثالهم بعد فناهم؟ وقد جعل الله هؤلاء المشركين وقتاً محدداً لموتهم وعذابهم، لا شك أنه آتيهم، ومع وضوح الحق ودلائله أبا الكافرون إلا جحوداً لدين الله عز وجل.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهْمُ الْمُهْتَدِينَ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ، وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ غَيْبًا وَنَكْمًا وَضْمًا مِمَّا وَهَبَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا حَبَّتْ زَيْدَتُهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا: إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَزُرْقًا، قَالَ الْمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٦﴾ أَوْ أَنْزَلُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِّي الظَّالِمُونَ ﴿٩٧﴾

فَلَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُوا خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا أَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَلَّتِ الْإِنْسَانُ قَسُورًا ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَسْعَ نَائِبٍ يَنْبَغِي فَقَتَلَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَبْعُوثًا ﴿٩٩﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ هَذِهِمْ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي كَفَرْتُمْ وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ يَفْرَعُونَ مُبْعُوثًا ﴿١٠٠﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْسِفَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠١﴾ وَقَلْنَا لِمَنْ يَتَّبِعُنِي يَكُنْ مِنِّي وَأَنْسِكُوا الْأَرْضَ فإِذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَوِيقًا ﴿١٠٢﴾

[١٠٠] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ ولا تبديد إذا لبختم بها، فلم تعطوا منها غيركم خوفاً من نفاذها فنصبوا فقراء، ومن شأن الإنسان أنه يخجل بما في يده إلا من عصم الله بالإيمان.

[١٠١] ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صدق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فأسأل - أيها الرسول - اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات، فقال فرعون لموسى: إني لأظنك - يا موسى - ساحراً، مخدوعاً مغلوباً على عقلك بما تأتيه من غرائب الأفعال.

[١٠٢] فرد عليه موسى: لقد تيقنت - يا فرعون - أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض؛ لتكون دلالات يستدل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وإني لعلى يقين أنك - يا فرعون - هالك ملعون مغلوب.

[١٠٣] فأراد فرعون أن يزعم موسى ويخرجه مع بني إسرائيل من أرض «مصر»، فأغرقنا، ومن معه من جندي في البحر عقاباً لهم.

[١٠٤] وقلنا - من بعد هلاك فرعون وجنده - لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام»، فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعاً من قبوركم إلى موقف الحساب.

[١٠٥] وبالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلٰى مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَمْرِ الْعِبَادِ وَنَهْيِهِمْ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ، وبِالْصِّدْقِ وَالْعَدْلِ وَالْحِفْظِ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ نَزَلَ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِلَّا مِشْرًا بِالْحَيْجَةِ لِمَنْ أَطَاعَ، وَخَوْفًا بِالنَّارِ لِمَنْ عَصَى وَكَفَرَ.

[١٠٦] وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - قُرْآنًا بَيِّنًا وَأَحْكَمَنَاهُ وَقَضَلْنَاهُ فَارْقًا بَيْنَ الْهَدْيِ وَالضَّلَالِ وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ لِتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ فِي تَوْءَةٍ وَتَهْلُ، وَتُرْتَلُّنَا مَفْرُوعًا، شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، عَلَى حَسَبِ الْخَوَادِثِ وَمَقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ.

[١٠٧] قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - هَلْؤَلَاءِ الْمَكْدُبِينَ: آمَنُوا بِالْقُرْآنِ أَوْ لَا تُوْمِنُوهُ؛ فَإِنْ إِيْمَانِكُمْ لَا يَزِيدُهُ كَمَالًا، وَتَكْذِيبِكُمْ لَا يُذْجِقُ بِهِ نَقْصًا. إِنْ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أُرْتُوا الْكُتُبَ السَّابِقَةَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ، وَعَرَفُوا حَقِيقَةَ الْوَحْيِ، إِذَا قَرَأُوا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ يَخْشَعُونَ، فَيَسْجُدُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَشُكْرًا لَهُ.

[١٠٨] وَيَقُولُ هَلْؤَلَاءِ الَّذِينَ أُرْتُوا الْعِلْمَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ: تَنْزِيهًا لِرَبِّنَا وَتَبْرِئَةً لِمَا يَصِفُهُ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، مَا كَانَ وَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ إِلَّا وَاقِعًا حَقًّا.

[١٠٩] وَيَقَعُ هَلْؤَلَاءِ سَاجِدِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، يَبْكُونَ تَأْتِرًا بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ، وَيَزِيدُهُمْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَمَوَاعِظَهُ خُضُوعًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَأَمْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْآنًا قُرْآنًا مَبْتَعًا: عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكِّي وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ: أَيُّهَا رَسُولُ اللَّهِ، أَوْلَا تُؤْمِنُونَ بِإِنَّ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ مِنْ قِبَلِهِ إِذَا تَخَلَّفَ عَلَيْهِمْ يَخْفَرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سَيَجْعَلُ رَبَّنَا لِلَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ مِنْكُمْ خُذْرًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَاتَ دَعْوَا قَلْبَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَاتَّبِعُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْذِ لِدِينِهِ وَلَا لَمْ يَكُنْ لَمْ تُشْرِكْ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبُرَتْ تَكْبِيرًا ﴿١١٠﴾

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلِتَمَّجَّلَ لَهُ عِبَادًا ﴿١﴾
 قِيَمًا يُنذِرُ نَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
 مُكْرِمِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

[سورة الكهف]

- [١] التَّنْزِيلُ عَلَى اللَّهِ بِصِفَاتِهِ الَّتِي كُلُّهَا أَوْصَافُ كَمَالٍ، وَيَنْعَمُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ، الَّذِي تَفَضَّلَ فَأَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْمِيلِ عَنِ الْحَقِّ.
- [٣، ٤] جَعَلَهُ اللَّهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَنَاقُضَ؛ لِئَنْذِرَ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَيُبَشِّرَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، بِأَنَّ لَهُمْ ثَوَابًا جَزِيلًا هُوَ الْجَنَّةُ، يَقِيمُونَ فِي هَذَا النَّعِيمِ لَا يَفَارِقُونَهُ أَبَدًا.
- [٤] وَيُنذِرُ بِهَذَا الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا.

[٥] ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يدعونه لله من اتخاذ الولد. كما لم يكن عند أسلافهم الذين قلدوهم. عظمت هذه المغالة الشيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولاً كاذباً.

[٦] فنعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك غمّاً وحرزاً على أمر تولى قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدّقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

[٧] إنّنا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها، ومنفعة لأهلها؛ لتختبرهم: أيهم أحسن عملاً بطاعتنا، وأبهم أسوأ عملاً بالمعاصي، ونجزى كلّ بما يستحق.

[٨] وإنّا لجاعلون ما على الأرض من تلك الزينة عند انقضاء الدنيا تراباً، لا نبات فيه.

[٩] لا تظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف والروح الذي كُتبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجب من ذلك.

[١٠] اذكر - أيها الرسول - حين لجأ الشبان المؤمنون إلى

الكهف؛ خشية من فتنه قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا من عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر. وبشر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين.

[١١] فألقينا عليهم النوم العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة.

[١٢] ثم أيقظناهم من نومهم؛ لنظهر للناس ما علمنا في الأزل؛ فتتميّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء. وهل لبثوا يوماً أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

[١٣] نحن نقض عليك - أيها الرسول - خبرهم بالصدق. إن أصحاب الكهف شبان صدّقوا ربهم وامتثلوا أمره، ورزقناهم هدى وثباتاً على الحق.

[١٤] وقوينا قلوبهم بالإيمان. وشددنا عزيمتهم به، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على ترك عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبد، هو رب السموات والأرض، لن نعبد غير: من الألهة، لو قلنا غير هذا لكنا قد قلنا قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

[١٥] ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء، قومنا اتخذوا لهم آلهة غير الله، فهلاً أتوا على عبادتهم لها بدليل واضح، فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب بنسبة الشريك إليه في عبادته.

مَا لَهُمْ بِهِ، مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ فَلَمَّا كَ تَبَخَّضْ فَسَكَّ عَلَيَّ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْشُوهَا بِئِنَّهُمْ لَخَسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ أَنرَحِيبَتِ أَنْ أَصْحَبَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءآيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا ۖ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِسَدًا ۖ فَصَرَّفْنَا عَلَى ءآذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أُنَّى الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمدًا ۖ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِزْقَنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرِزْقُنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ ذُوْبِهِ ءِإِنَّا لَنَدْعُوكَ إِذْ نَسَطَطْنَا ۖ هَذُوْلَآ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ ذُوْبِهِ ءِإِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ مِّنْ أَظْهَرِ مِمَّنْ أَفَرَجَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ

[١٦] وحين فارقتم قومكم بدينكم، وترككم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فالجئوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، يَسْطِرْ لَكُمْ رِبِكُمْ من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش. [١٧] فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحفظهم، وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس، ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتية من دلائل قدرة الله، من يوفقه الله للاهتداء، بآياته فهو الموفق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن نجد له معينا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخدلان بيد الله وحده.

[١٨] وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أيقاظاً، وهم في الواقع نيام، وتعهدهم بالرعاية، فنقلبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلبهم الذي صاحبهم ماؤ ذراعيه بفساء

الكهف، كأنه يحرسهم، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هارباً، ولتليت نفسك منهم فزاعاً.

[١٩] وكما أنسناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أيقظناهم من نومهم على هيتهم دون تغير؛ لكي يسأل بعضهم بعضاً: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا؟ فقال بعضهم: مكثنا يوماً أو بعض يوم، وقال آخرون التيس عليهم الأمر: قَوْضُوا عِلْمَ ذَلِكَ لِلَّهِ، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه، فأرسلوا أحدهم بتقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا فليتنظر: أَيُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَحَلُّ وَأَطْيَبُ طَعَاماً؟ فليأتكم بقوت منه، وليتلطّف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف ويظهر أمرنا، ولا يُعْلِنَنَّ بِكُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

[٢٠] إن قومكم إن يظلموا عليكم يجرمكم بالحجارة، فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم، فتصبروا كفاراً، ولن تفوزوا بسطركم من دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبداً.

وَإِذْ أَنْتُمْ لِنُجُومِهِمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ قَالُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْتَشِرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَنْهَيْكُمْ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَنْتَشِرَ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَنْزُورًا عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذْ اعْرَتْ نَفْسُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٥﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُفُودٌ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلِمَتُهُمْ
بَسِيطٌ وَإِذْ عَنِيعٌ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رَغْبًا ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لَيْسَاءً لِيُؤْيِنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْسَ مَا كُنَّا
نُؤْمَرُ وَبَعْضٌ يَوْمًا قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْسَ مَا كُنَّا
أَعْمَلُكُمْ يَوْمَ بَرِقَ كُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَسَلْطَفْ وَلَا يَشْعُرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مَلَبَتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿١٨﴾

[٢١] وكما أنماهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أظلمنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف الباعث نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛ ليعلم الناس أنَّ وَعَدَ اللهُ بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المظلمون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمن مُثَبِّت لها ومن مُنْكَر، فجعل الله إظلامهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المظلمين عليهم: ابنا على باب الكهف بناه بحجيبهم، واتركوهم وشأنهم، ربهم أعلم بما لهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لنتخذنَّ على مكانهم مسجداً للعبادة. وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن من فعل ذلك في آخر وصايا أمته، كما أنه نهى عن البناء على القبور مطلقاً، وعن تخصيصها والكتابة عليها، لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة من فيها.

[٢٢] سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثة، رابعهم كلبهم، ويقول فريق آخر: هم

خمسة، سادسهم كلبهم، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثلاثة: هم سبعة، وثامنهم كلبهم، قل -أيها الرسول-: ربي هو أعلم بعددكم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه، فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تُفَضَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك. [٢٣، ٢٤] ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غداً إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله، واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وكلما نسيت فاذكر الله؛ فإن ذَكَرَ اللهُ يَذْهَبَ النسيان، وقل: عسى أن يوفقني ربي بأن يعطيني من الدلائل على نبوتي ما يكون أقرب وأظهر من قصة أصحاب الكهف في هداية الناس وإرشادهم.

[٢٥] ومكث الثَّيْبَانِ نياماً في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية.

[٢٦] وإذا سُئِلت -أيها الرسول- عن مدة لبثهم في الكهف، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل: الله أعلم بمدّة لبثهم، له غيب السموات والأرض، أبصُرْ به وأسمع، أي: تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء، ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعها، سبحانه وتعالى.

[٢٧] واتل -أيها الرسول- ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا رَبَّكَ وَعَدَّ اللهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبٌ فِيهَا إِذْ يَنْتَقِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا أَنْبِئُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَسَوْفَ يَنصَحُونَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا يَا آتِيئُ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا بَعَثْنَاهُمْ إِلَّا قَلِيلًا فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ وَأَذْكُرَنَّ رَبَّكَ إِذْ أَنْسَيْتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثٌ مِائَةً سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[٢٨] واصبر نفسك - أيها النبي - مع أصحابك من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء. يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم. ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة الصنع بزينه الحياة الدنيا. ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، وأثر هواه على طاعة مولاه، وصار أمره في جميع أعماله ضياعاً وهلاكاً.

[٢٩] وقيل لهؤلاء الغافلين: ما جئتمكم به هو الحق من ربكم. فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجهد فليفعل، فما ظلم إلا نفسه. إنا اعتدنا للكافرين ناراً شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء من شدة العطش. يؤث لهم بماء كالزيت العكبر شديد الحرارة يشوي وجوههم. قُبِح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقُبِحَت النار منزلاً لهم ومقاماً. وفي هذا وعيد وتهديد شديد لمن أعرض عن الحق. فلم يؤمن برسالة محمد ﷺ، ولم يعمل بمقتضاها.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْوَةِ وَالْعَصِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدِرْ عَلَيْهِمْ فُرْيُدُ رِيَّةَ الْخَبْرَةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِيعَ مَنْ أَخْلَقْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا ﴿٢٩﴾ وَقُلِ الْخَلْقُ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أُسْطَلَّ فِيهَا سُرَادِقُهُمْ وَإِن تَسْتَغِيثُوا يُغَاوِرُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُنْدُبٍ وَيُسْتَقِيمُونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِكِ بِمِزَاجٍ كَالْمُرْتَقَقَا ﴿٣٢﴾ وَأَصْرِبْ لَهُم مَّقَالًا رَّجْلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْقًا ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْثُهُمَا وَلَمْ يُظَاهِرْهُمَا شَيْئًا وَقَفَّزْنَا فِيهَا لَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٤﴾ وَكَانَ لَهُمْ فِيهَا نَكْوَالٌ لِصَنْبَجٍ، وَهِيَ تَحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٥﴾

[٣٠] إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات لهم أعظم المثوبة، إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل.

[٣١] أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائماً. تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يؤثون فيها بأساور الذهب، ويلبسون ثياباً ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه، يتكئون فيها على الأبرة المزدانة بالسناجر الجميلة، نعمة الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومكاناً لهم.

[٣٢] واضرب - أيها الرسول - لكفار قومك مثلاً رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر. وقد جعلنا للكفار حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأنبتنا وسطهما زروعاً مختلفة نافعة.

[٣٣] وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها، ولم تُنقص منه شيئاً. وشققنا بينهما نهراً لسقيهما بسهولة ويسر.

[٣٤] وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يجاوره في الحديث - والفرور يملؤه -: أنا أكثر منك مالاً، وأعز أنصاراً وأعواناً.

[٣٦، ٣٥] ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشكه في قيام الساعة، فأعجبتته ثمارها وقال: ما أعتقد أن تهلك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فرض وقوعها - كما تزعم أيها المؤمن - ورجعت إلى ربي لأجددّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعاً ومردّاً، لكرامتي ومنزلي عنده.

[٣٧] قال له صاحبه المؤمن، وهو يحاوره، واعظأ له: كيف تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة الأبوبين، ثم سوّاك بشراً معتدل القامة والخلق؟ وفي هذه المحاوره دليل على أن القادر على ابتداء الخلق، قادر على إعادتهم.

[٣٨] لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: النعم المتفضل هو الله ربي وحده، ولا أشرك في عبادتي له أحداً غيره.

[٣٩-٤١] وهلاً حين دخلت حديقتك فأعجبتك

حمدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله. إن كنت تراني أقل منك مالاً وأولاداً، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويُسلِّبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضاً ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائراً في الأرض، فلا تقدر على إخراجها.

[٤٢] وتحقق ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي متهدمة قد سقط بعضها على بعض، خالية مما كان فيها، ويقول: يا ليتني عرفت نعم الله وقدرته فلم أشرك به أحداً. وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم.

[٤٣] ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه من عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعاً بنفسه وقوته.

[٤٤] في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق، هو خير جزاء، وخير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.

[٤٥] واضرب أيها الرسول للناس - وبخاصة ذوو الكبر منهم - صفة الدنيا التي اغتروا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كما أنزله الله من السماء فخرج به النبات ياذنه، وصار مُخضراً، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابساً متكسراً تنسفه الرياح إلى كل جهة. وكان الله على كل شيء مقتدرأ، أي: ذا قدرة عظيمة على كل شيء..

وَدَخَلَ حَدِيثَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ زُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ أَنْفَذَ مِنْ نَظْفِهِ ثُمَّ سَوَّاهُ ثُمَّ رَجَلَهُ. لَيْسَ كَمَا تُهَوِّلُهُ رَبِّي وَلَا أَشْرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا. فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ بَحْتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَسْبًا مِمَّا فِي السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحُ مَا وَهَا عَنَزًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا. وَأَجِيطَ بِشَمْرِهِ. فَأُصْبِحُ بِقَلْبِكَ كَفْرِي عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَيتَ لِمَ أَشْرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. هَذَا لَكَ الْوَلِيُّ بِهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْبَةَ الَّتِي كَفَرُوا كَفَرُوا بِهَا فَخُتِلَتْ فِيهَا الْأَرْضُ فَأُصْبِحُ هَيْبًا تَدْرُؤُ الرِّيحَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا.

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ نُسِئُ الْجِبَالَ نُدُحًا
 الْأَرْضُ بَارِدَةٌ وَخَرَّتْ نَجْمٌ فَكَرُّنَاذِرٌ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَنَّنِي جَعَلْتُكُمْ أَكْرَمُ عِندَآءٍ ﴿٥٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ قَدَرًا مِنَ الْمَجْرُمِينَ
 مُتَشَفِّينَ وَمَعَا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَنَيْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يَغَادِرُ صُعُورًا وَلَا كِبْرَةً إِلَّا أُوْحَصِّنَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاصِرًا وَلَا يظُنُّ رَبُّكَ أُحْمَدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِكَ لَعَنَّاكَ عَدُوًّا
 بَشَرًا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٦٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذِينَ الْمُضِلِينَ عَضُدًا ﴿٦١﴾
 وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٦٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُونَ وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا مَصْرَفًا ﴿٦٣﴾

[٤٦] الأموال والأولاد جمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة - وبخاصة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل - أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمله في الدنيا.

[٤٧] واذكر لهم يوم نزول الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخرين لموقف الحساب، فلم تترك منهم أحداً.

[٤٨] وعرضوا جميعاً على ربك مصطفين، لا يحجب منهم أحد؛ لقد بعثناكم، وحيثم إلينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة، بل ظننتم - يا منكري البعث - أن لن نجعل لكم موعداً نبعثكم فيه، ونجازيكم على أعمالكم.

[٤٩] ووضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه

من جرائمهم، ويقولون حين يعابنونهم: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة من أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتنا؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضراً مثبِتاً. ولا يظلم ربك أحداً مثقال ذرة، فلا ينقص طائع من ثوابه، ولا يزداد عاصي في عقابه.

[٥٠] واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أمرنا به. فسجد الملائكة جميعاً، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كثيراً وحسداً. أفجعلونه - أيها الناس - وذريته أعواناً لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ قَبِّحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلاً عن طاعة الرحمن.

[٥١] ما أحضرت إبليس وذريته - الذين أطمعتموهم - خلق السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدت بعضهم على خلق بعض، بل تفردت بخلق جميع ذلك، بغير معين ولا ظهير، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين وغيرهم أعواناً، فكيف تصرفون إليهم حقى، وتتخذونهم أولياء، من دوني، وأنا خالق كل شيء؟

[٥٢] واذكر لهم إذ يقول الله للمشركين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ ليصروكم اليوم مني، فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكاً في جهنم يهلكون فيه جميعاً.

[٥٣] وشاهدت المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلاً للانصراف عنها إلى غيرها.

[٥٤] ولقد وضّحنا ونوعنا في هذا القرآن للناس أنواعاً كثيرة من الأمثال، ليتعظوا بها ويؤمنوا. وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلاً.

[٥٥] وما منع الناس من الإيمان - حين جاءهم الرسول محمد ﷺ - ومعهم القرآن - واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحذبه للرسول، وطلبهم أن تصيهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يصيهم عذاب الله عياناً.

[٥٦] وما نبعث الرسل إلى الناس إلا ليكونوا مبشرين بالجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح، ومخوفين بالنار لأهل الكفر والعصيان، ومع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلمه بالباطل تعنتاً؛ ليزيلوا بباطلهم الحق الذي جاءهم به الرسول، واتخذوا كتابي وحججتي وما حوّفوا به من العذاب سخريه واستهزاء.

[٥٧] ولا أحد أشد ظلماً ممن وعظ بأيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما قدمته يده، من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إننا جعلنا

على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصم، فلم يسمعه ولم ينتفعوا به، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إليه أبداً.

[٥٨] وربك الغفور لذنوب عباده، إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لويعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حلِيم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

[٥٩] وتلك القرى القريبة منكم - كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب - أهلكتنا حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا هلاكهم ميقاتاً وأجلاً، حين بلغوه، جاءهم العذاب فأهلكهم الله به.

[٦٠] واذكر حين قال موسى لحادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

[٦١] وجدّاً في السّير، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما الذي أمر موسى بأخذه معه قوتاً لهما، وحمله يوشع في فُقة، فإذا الحوت يصبح حياً وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقاً مفتوحاً.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا زَيْلَ الْمُرْسَلِينَ بِالْأُمِّيِّينَ وَمُنْذِرِينَ لِيَجْذَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَايْتِظَلُّوا لِيُنْجِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَالتَّحْدِثَ وَأَيُّ وَمَا أَنْذَرُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَلِّخُكُم بِمَا كُنتُمْ بِلَعَجَلٍ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْعَدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقِسْمَتِهِ لَا أَنبِئُكَ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٦٢] فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخدمته: أحضر إلينا طعاماً أوّل النهار. لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً.

[٦٣] قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحتنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبّث فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقاً، وكان أمر: مما يُعجب منه.

[٦٤] قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، فرجعاً يقصان آثار مشيها حتى انتهيا إلى الصخرة.

[٦٥] فوجدوا هناك عبداً صالحاً من عبادنا هو الخضر عليه السلام -وهو نبي من أنبياء الله توفاه الله-، آتيناها رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً عظيماً.

[٦٦] فسلم عليه موسى. وقال له: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه، ما أسترشد به وأنتقم؟

[٦٧] قال له الخضر: إنك -يا موسى- لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي.

[٦٨] وكيف لك الصبر على ما سأفعله من أمور تحفى عليك مما علمنيه الله تعالى؟

[٦٩] قال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً على ما أراء منك، ولا أخالف لك أمراً تأمرني به.

[٧٠] فوافق الخضر وقال له: فإن صاحبتني فلا تسألني عن شيء، تنكره، حتى أبين لك من أمره ما خفي عليك دون سؤال منك.

[٧١] فانطلقا يمسيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قلّع الخضر لوحاً من السفينة فخرقها، فقال له موسى: أخرجت السفينة؛ لثغرق أهلها، وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلت أمراً منكراً.

[٧٢] قال له الخضر: لقد قلت من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي.

[٧٣] قال موسى معتذراً: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليّ، ولا تكلفني مشقةً في تعلّمي منك، وعاملني ببسر ورفق.

[٧٤] فقبل الخضر عذره، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمسيان على الساحل إذ أبصر غلاماً يلعب مع الغلمان، فقتله الخضر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفساً طاهرة؛ لم تبلغ حدّ التكليف، ولم تقتل نفساً، حتى تستحق القتل بها؟ لقد فعلت أمراً منكراً عظيماً.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَنَّهُ إِنِّي أَخَذْتُكَ بِالْغَدْرِ فَلَمَّا أَتَيْتَا عِدَاءَهُمَا قَالَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا السَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَيِّئًا لِي فِي الْبَحْرِ حِجَابًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْسَلْنَا عَنْهُ إِنَّا مَرْحَمًا قَصَصْنَا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كُنْتَ تُدْعَى فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ فَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ مِنْهُ شَيْئًا وَاتَّخَذَ الْبَحْرُ مِنْهُ نَهْرًا فَأَلْفَقْنَاهُ فِيهِ نَهْرًا ﴿٦٦﴾ فَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَن أَتَّخِذَ مِنْهَا مَتَاعًا وَأَن أَتَّخِذَ مِنْهَا مَكْرَهًا وَأَن آتِيَنَّكَ بِهَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيَّ وَأَن يَأْتِيَنَّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ فَتَقَاتِلَ فِيهَا مَبْرُورَاتٍ لَتَأْتِيََنَّكَ مِنَ الْبَعْدِ مِنْ يَدَيْهِمْ وَتَأْتِيَنَّكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَتَأْتِيَنَّكَ مِنْ كُنُوفِهِمْ فَتُلَاقُواهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تُحِيطُ بِهُنَّاقِهِمْ ﴿٦٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ فَجَاءَهُمُ الْغُلَامُ يَكْتُمُونَ كَلِمَاتٍ يَتْلُونَهَا لِيُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْبُحْرِ فَوَجِدَا فِيهَا آيَةً كَذِيبًا ﴿٦٨﴾ فَكَلَّمَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِاللُّغَةِ الَّتِي يُفْقَهُمْ فَيَقُولُ بِمَا يَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ فَجَعَلْنَا مِنَ الْغُلَامِ نَجْمًا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِمُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كَيْدٍ مُبِينٍ ﴿٧٠﴾ فَجَاءَهُمُ الْغُلَامُ يَكْتُمُونَ كَلِمَاتٍ يَتْلُونَهَا لِيُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْبُحْرِ فَوَجِدَا فِيهَا آيَةً كَذِيبًا ﴿٧١﴾ فَكَلَّمَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِاللُّغَةِ الَّتِي يُفْقَهُمْ فَيَقُولُ بِمَا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ فَجَعَلْنَا مِنَ الْغُلَامِ نَجْمًا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِمُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كَيْدٍ مُبِينٍ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا مِنَ الْغُلَامِ نَجْمًا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِمُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كَيْدٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾

[٧٥] قال الخضر لموسى معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً على ما ترى من أفعالي مما لم تحط به خبراً؟

[٧٦] قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغت العذر في شأني ولم تقصر، حيث أخبرني أنني لن أستطيع معك صبراً.

[٧٧] فسار موسى والخضر حتى أتيا أهل قرية، فطلبوا منهم طعاماً على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدا فيها حائطاً مانلاً يوشك أن يسقط. فعذل الخضر مئله حتى صار مستوياً، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجراً تصرفه في تحصيل طعامنا، حيث لم يضيفونا.

[٧٨] قال الخضر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرت علي من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

• قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَصَبْرِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۖ فَاطْلُقَا حَتَّىٰ إِنَّا أَنبِئَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَنْتُمْ مَعَهَا فَأَبْرَأُوا أَن يَضْحِكُوا بِهِمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَبْقُضَ فَاغْتَمَّهُ، قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ قَالَ هَذَا فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَلْتِكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ إِنَّمَا الْكَفِيرَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَصْتَلُونَ فِي الْآخِرِ فَأَرَادَتْ أَنْ يُسَيِّمَهَا وَكَانَ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا كُلُّ سَفِيهَةٍ غَضِبَ ۖ وَإِنَّمَا الْفَلَكُ فَكَانَ أَبْوَابُ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحِينَا أَنْ يَرْهَقَهَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَأَرَادْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا فَنَرْهَقَهُمَا حَزْبًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ زُجْرًا ۖ وَإِنَّمَا الْجِدَارُ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا فِي مَكَانٍ آخَرَ حَتَّىٰ إِذْ هُمَا قَدْ أخرجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَتَاغَيْتُهُمَا عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ فَأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ وَتَسَلَوْنَاكَ عَنِ ذِي الْقُرْبَىٰ قُلْ سَأَلْنَاوْا عَلَيْهِ كَرِهَتُهُ ذِكْرًا ۖ

[٧٩] أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس محتاجين - لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم - يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الحرق؛ لأن أمامهم ملكاً يأخذ كل سفينة صالحة غصبا من أصحابها.

[٨٠] وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافراً، وكان أبوه وأمه مؤمنين، فخشينا - لو بقي الغلام حياً - أن يحيل والديه على تجاوز حدود الله والكفر؛ لأجل محبتهم إياه وللحاجة إليه.

[٨١] فأردنا أن يُبَدِّلَ اللهُ أبويه مَنْ هو خير منه صلاحاً وديناً وبراءاً بهما.

[٨٢] وأما الحائط الذي عدلت مئله حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلاً صالحاً، فأراد ربك أن يُصَغِّرَا وَيَبْلِغَا قُوَّتَهُمَا، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما، وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي يثبت لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبراً على ترك السؤال عنها والإنكار علي فيها.

[٨٣] ويسألك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح، قل لهم: سأقض عليكم منه ذكراً تتذكرونه، وتعتبرون به.

[٨٤] إنا مكنا له في الأرض، وأتيناه من كل شيء أسباباً وطرقاً، يتوصل بها إلى ما يريد من فتح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك.

[٨٥] فأخذ بتلك الأسباب والطرق مجده واجتهاد.

[٨٦] حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس، وجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغربها قوماً. قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غير، إن لم يقروا بتوحيد الله، وإما أن نحسن إليهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

[٨٧] قال ذو القرنين: أما من ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه، فيعذبه عذاباً عظيماً في نار جهنم.

[٨٨] وأما من آمن منهم بربه فصدق به ووحده وعمل بطاعته فله الجنة ثواباً من الله، وستحسن إليه، وتلين له في القول ونيسر له المعاملة.

[٨٩] ثم رجع ذو القرنين إلى المشرق متبعاً الأسباب التي أعطاها الله إياها.

[٩٠] حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترم، ولا شجر يظلمهم من الشمس.

[٩١] كذلك وقد أحاط علمنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، حيثما توجه وسار.

[٩٢] ثم سار ذو القرنين أخذاً بالطرق والأسباب التي منحناها إياه.

[٩٣] حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قوماً لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.

[٩٤] قالوا يا ذا القرنين: إن يأجوج ومأجوج - وهما أمتان عظيمتان من بني آدم - مفسدون في الأرض يهلك الحراث والنسل، فهل نجعل لك أجراً، ونجمع لك مالا، على أن نجعل بيننا وبينهم حاجزاً يحول بيننا وبينهم؟

[٩٥] قال ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي من مالكم. فأعطينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدّاً.

[٩٦] أعطوني قطع الحديد، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجبوا النار، حتى إذا صار الحديد كله ناراً، قال: أعطوني نحاساً أفرغه عليه.

[٩٧] فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعده عرضه وقوته.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسْبَابًا ﴿٨٤﴾ فَأَتَى سَبَابًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ خَشْيَةً ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ فَأُوْرِيذُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً لِمَنْتَقَىٰ وَسَقَوِلُّ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُنْتَقَىٰ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَابًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا يَسْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَابًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا نَسْفًا إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

[٩٨] قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزاً عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي لمخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدماً مستويماً بالأرض، وكان وعد ربي حقاً.

[٩٩] وتركنا يأجوج ومأجوج - يوم يأتيهم زغذنا - يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكنرتهم، ونفخ في «القرن» للبعث، فجمعنا الخلق جميعاً للحساب والحجزاء.

[١٠٠] وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزناها لهم لنريهم سوء عاقبتهم.

[١٠١] الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكرى فلا تبصر آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع حجبي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي.

[١٠٢] أظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؛ إنا أعدنا نار جهنم للكافرين منزلاً.

[١٠٣] قل - أيها الرسول - للناس محذراً: هل نخبركم

قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً. وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم نوبة للكافرين عرقاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً لفحيت الذين كفروا أن يسجدوا لعبادي من ذوق أولياء إنا أنشدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل نستبكم بالآخرين أملاً الذين صل سفينة في الحيرة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنفاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاهم فخطت أمثالهم فلا يقبلونهم نوبة القيمة وزناً ذلك جزاء من جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي وزسلى هزواً إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يتغير عنها جزاءهم قل لو كان البحر ممتداً لكانت ربي لتمد البحر قبل أن تنفد كلمت ربي ولو جنتنا بمنه معدداً قل إننا أنابتر مثلكم ليوحي إننا أنما الهكركم الله وجد قمن كان يجرؤا لقا ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا

بأخسر الناس أعمالاً؟

[١٠٤] إنهم الذين ضل عملهم في الحياة الدنيا - وهم مشركو قومك وغيرهم ممن ضل سوا السبيل. فلم يكن على هدى ولا صواب - وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

[١٠٥] أولئك الأخسرون أعمالاً، هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذبوا بها، وأنكروا لقاء يوم القيامة، فبطلت أعمالهم؛ بسبب كفرهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدراً.

[١٠٦] ذلك الجزاء العتد لهم لحبوط أعمالهم هو نار جهنم؛ بسبب كفرهم بالله واتخاذهم آياته وحجج رسله استهزاءً وسخرية.

[١٠٧] إن الذين آمنوا بي، وصدقوا رسلي، وعملوا الصالحات، لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً.

[١٠٨] خالدين فيها أبداً، لا يريدون عنها تحوُّلاً؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها.

[١٠٩] قل - أيها الرسول - لو كان ماء البحر حبراً للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله، لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله، ولو جنتنا بمثل البحر مجاراً أخرى مدداً له، وفي الآية إثبات صفة الكلام لله - تعالى - حقيقة كما يليق بجلاله وكماله.

[١١٠] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي من ربي أنما الهكم إله واحد، فمن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملاً صالحاً لربه موافقاً لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحداً غيره.

[سورة مريم]

- [١] ﴿صَهْمَقَص﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- [٢] هذا ذكْر رحمة ربك عبده زكريا، سنقصه عليك؛ فإن في ذلك عبرة للمعتبرين.
- [٣] إذ دعا ربه سرّاً، ليكون أكمل وأتم إخلاصاً لله، وأرجى للإجابة.
- [٤] قال: رب إني كبريتُ، وضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن من قبل محروماً من إجابة الدعاء.
- [٥] وإني خفت أقرابي وعصبي من بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقراً لا تلد، فأرزقني من عندك ولداً وارثاً ومعيناً.
- [٦] يرث نبوّتي ونبوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضياً منك ومن عبادك.
- [٧] يا زكريا إنّنا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلاماً اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم.
- [٨] قال زكريا متعجباً: ربّ كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقراً لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟
- [٩] قال الملَك مجيباً زكريا عنّا تعجب منه: هكذا الأمر كما تقول من كون امرأتك عاقراً، وبلوغك من الكبر عتياً، ولكن ربك قال: خلّق يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيّن عليّ، ثم ذكر الله سبحانه لزكريا ما هو أعجب مما سأله عنه فقال: وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تك شيئاً مذكوراً ولا موجوداً.
- [١٠] قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربّ اجعل لي علامة على تحقّق ما بقرّنتني به الملائكة. قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معاف.
- [١١] فخرج زكريا على قومه من مصلأه، وهو المكان الذي يُشر فيه بالولد، فأشار إليهم: أن سبحوا الله صباحاً ومساءً شكراً له تعالى.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَهْمَقَص ١ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَاؤُهُ حَيْفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأُسَعَّلَ أَلْوَاسِيَّ سَيِّئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِكَ مِنِ وَّرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا ٥ تَرْتُبِي وَيُوتِنِ مِن يَالِ يَغُفُّوبٍ وَأُجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَزَكِّرِنَا أَنَا نَنبِيْرَكَ بِغُلَامٍ أَنَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكْفُونِ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ حَلَفْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَوْ تَكَّ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنِ سَبِّحُوا بُحْبُورَةَ وَعَشِيًّا ١١

[١٢] فلما ولد يحيى، وبلغ مبلغاً يفهم فيه الخطاب، أمره الله أن يأخذ التوراة بجد واجتهاد بقوله: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها، وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

[١٣] وأتيناه رحمة ومحبة من عندنا وطهارة من الذنوب، وكان خائفاً مطيعاً لله تعالى، مؤدياً فرائضه، مجتنباً محارمه.

[١٤] وكان باراً بوالديه مطيعاً لهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصياً لربه، ولا لوالديه.

[١٥] وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم ولده، ويوم يموت، ويوم يبعث من قبره حياً.

[١٦] واذكر -أيها الرسول- في هذا القرآن خبر مريم إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكاناً مما يلي الشرق عنهم.

[١٧] فجعلت من دون أهلها سترأ يسترها عنهم وعن

يُنحَى خِذَ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبَتَ الْفَرْصَةَ ۝
وَحَتَانِمْ لَنَا وَرُكُوءَ وَكَانَ نَبِيًّا ۝ وَيَرَا بَوْلَهُ وَنُو
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَّبَتْكَ
قَالَ رَبِّكِ هُوَ عَلِيمٌ هَدِيدٌ وَيَسْجَلُهُمْ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَبِيًّا ۝ فَجَاءَهَا مِنَ الْحَاضِرِ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا ۝
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِينَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝
وَهَزَىٰ بِإِصْبَعِكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ نَسْفَظْ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝

الناس. فأرسلنا إليها الملك جبريل، فتمثل لها في صورة إنسان تام الخلق.

[١٨] قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقى الله.

[١٩] قال لها الملك: إنا أنا رسول ربك بعثني إليك: لأهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب.

[٢٠] قالت مريم للملك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسنني بشر بنكاح حلال، ولم أكن زانية؟

[٢١] قال لها الملك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسلك بشر. ولم تكوفي بغياً. ولكن ربك قال: الأمر علي سهل؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى. ورحمة منا به وبوالده وبالناس. وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقاً مقدراً. مسطوراً في اللوح المحفوظ. فلا بد من نفوذه.

[٢٢] فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رجمها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس.

[٢٣] فألجأها طلق الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُعْرَف. ولا يُذْكَر. ولا يُذْرَى مَنْ أَنَا؟

[٢٤] فنادها جبريل أو عيسى: أن لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جَدُولَ ماء.

[٢٥] وحزكي جذع النخلة تُسَاقِظْ عليك رطباً غَضًّا جُئِي مِنْ سَاعَتِهِ.

[٢٦] فكلني من الرطب، واشربي من الماء وطببي نفساً بالمولود، فإن رأيت من الناس أحداً فسألك عن أمرك فقول لي: إني أُرَجِّبُكَ على نفسي لله سكوتاً، فلن أكلم اليوم أحداً من الناس. والسكوت كان تعبداً في شرعهم، دون شريعة محمد ﷺ.

[٢٧] فأنت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد، فلما رأوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمراً عظيماً مفترى.

[٢٨] يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كنت أمك امرأة سوء تأتي اليعاء.

[٢٩] فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسأله ويكلموه، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم من لا يزال في مهد طفلاً رضيعاً؟

[٣٠] قال عيسى وهو في مهد: يرضع: إني عبد الله، قضي بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبياً.

[٣١] وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حياً.

[٣٢] وجعلني باراً بالديني، ولم يجعلني متكبراً، ولا شقياً عاصياً لربي.

[٣٣] والسلامة والأمان عليّ من الله يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حياً يوم القيامة.

[٣٤] ذلك الذي قصصنا عليك -أيها الرسول- صفته وخبره هو عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، حال كونه قول الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى.

[٣٥] ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ من عباده وخلقه ولداً، تنزّه وتقدّس عن ذلك، إذا قضى أمراً من الأمور وأراد، صغيراً أو كبيراً، لم يستعن عليه، وإنما يقول له: «كن»، فيكون كما شاء، وأراد.

[٣٦] وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أَدْعُوكُم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له. هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

[٣٧] فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غالي فيه وهم النصارى، منهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة -تعالى الله عما يقولون-، ومنهم جافي عنه وهم اليهود، قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار. فهلاك للذين كفروا من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

[٣٨] ما أشدَّ سقمهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يُقَدَّمون على الله، حين لا ينفعهم ذلك!! لكن الظالمون اليوم في هذه الدنيا في ذهاب بيِّن عن الحق.

فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَفَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ النَّسْرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ. قَالُوا نَتَمَرِّضُهُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا قَرِيحًا ﴿٢٧﴾
بِتَأَخُّتِ هَازُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَيْعًا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَيْبًا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا ذُكِرْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبْرًا شَقِيحًا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ مَنبُحَةً
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ لِلَّهِ رِقِّي وَرِكْزِي
فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لِكُنِيَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٣٩] وأندرد - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يقضى الأمر، ونجاة بالموت كأنه كبش أملح، فيذبح، ويفصل بين الخلق، فيصير أهل الإيمان إلى الجنة، وأهل الكفر إلى النار. وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عما أندردوا به، فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح.

[٤٠] إنا نحن الوارثون للأرض ومن عليها بفنائهم وبفنائنا بعدهم وحكمنا فيه، والينا مصيرهم وحسابهم، فنجازهم على أعمالهم.

[٤١] واذكر - أيها الرسول - لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم - عليه السلام - إنه كان عظيم الصدق، ومن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة.

[٤٢] إذ قال لأبيه أزر: يا أبت لأي شيء تعبد من الأصنام ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يدفع عنك شيئاً من دون الله؟

[٤٣] يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضل فيه.

[٤٤] يا أبت، لا تطع الشيطان فتعبد هذه الأصنام؛ إن الشيطان كان للرحمن مخالفاً مستكبراً عن طاعة الله.

[٤٥] يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك، فيمسك عذاب من الرحمن، فتكون للشيطان قريناً في النار.

[٤٦] قال أبو إبراهيم لابنه: أ معرض أنت عن عبادة ألهي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سبها لأفتلنك رمياً بالحجارة، واذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زماناً طويلاً من الدهر.

[٤٧] قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكروه، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، إن ربي كان رحيماً رؤوفاً بحالي يجيبني إذا دعوته.

[٤٨] وأفارقكم وأهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربي مخلصاً، عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما سأله.

[٤٩] فلما فارقه وأهتهم التي يعبدونها من دون الله رزقناه من الولد: إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، وجعلناها نبين.

[٥٠] ووهبنا لهم جميعاً من رحمتنا فضلاً لا يحصى، وجعلنا لهم ذكراً حسناً، وثناءً جميلاً باقياً في الناس.

[٥١] واذكر - أيها الرسول - في القرآن قصة موسى - عليه السلام - إنه كان مصطفي مختاراً، وكان رسولاً نبياً من أولي العزم من الرسل.

وَأَيُّذْهَبَ يَوْمَ الْحَشْرَةِ إِذْ فَضِيَ الْأَمْرُ وَهَرَفَ فِي غَفْلَةٍ وَهَذَا
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَّمْنَا الْبَنَاتِ يُزْجَعُونَ ﴿٤٠﴾
 وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَرَّمَكَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
 تَبَّأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾
 تَبَّأْتِ إِنِّي قَدْ جَاءَ مِنَ الْعَالِمِينَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
 سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ تَبَّأْتِ لِمَ تَتَّبِعِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ تَبَّأْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَابِتًا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتِ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئَةِ
 يَنْتَابِرُهُمْ لِمَنْ لَمْ تَنْتَسِبْ لَهُ رُجُومًا وَأَهْجُرِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
 سَأَلْتُكَ عَلَيْهِمْ سَأَسْتَعِظُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
 وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى الْأَلْفَاكُ
 أَكْثُرُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَرْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّمْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لِيْسَانَ صَدِيقًا عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
 وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

وتذنبته من جانب الظهور الأيمن وقرنته يجتاها وهنأله من
رحمتها أخاه هرون نبياً، وأذكر في الكتب إسماعيل إنه كان
صديق الوعد وكان رسولاً نبياً، وكان يأمر أهله بالصلوة
والزكاة وكان عند ربه مرضياً، وأذكر في الكتب إدريس إنه
كان صديقاً نبياً، ورحمته مكاناً عليك، أولئك الذين أنعم
الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن
ذرية إبراهيم واسحق ويعقوب، ومن هدانا وأجبتنا إذا نزل علينا
بآياتنا، وأبنت الزمخري خرواً سجداً ونجياً، فحلف من بعدهم
خلف أصاغوا الصلوة وآتبعوا الشهوات فسوف يلقون عقاباً،
إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيئاً، جنت عدن التي وعد الزمخري عباده
بالغيب إنه كان وعداً مائياً، لا يسمعون فيها لغواً إلا
سكناً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيماً، تلك الجنة التي
نورث من عبادنا من كان قنياً، وما ننزل إلا بأمر ربك له
ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً

[٥٢] وناديننا موسى من ناحية جبل طور سيناء، اليسى
من موسى، وقريناه فشرناه بسناجاتنا له، وفي هذا آيات
صفة الكلام لله - تعالى - كما يليق بجلاله وكسالة.

[٥٣] ووهبنا لموسى من رحمتنا أخاه هارون نبياً يؤيده، ويؤازره.
[٥٤] واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل
عليه السلام، إنه كان صادقاً في وعده، فلم يعد شيئاً إلا
وفاً به، وكان رسولاً نبياً.

[٥٥] وكان يأمر أهله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان
عند ربه عز وجل مرضياً عنه.

[٥٦] واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إدريس
عليه السلام، إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله،
نبياً يوحى إليه.

[٥٧] وورعنا ذكره في العالمين، ومزلته بين المقربين،
فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

[٥٨] هؤلاء الذين قصصت عليك خبرهم أيها الرسول،
هم الذين أنعم الله عليهم بفضلته وتوفيقه، فجعلهم
أنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في
السفينة، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية يعقوب، ومن

هدينا للإيمان واصطفينا للرسالة والنبوة، إذا نزل عليهم آيات الرحمن المتضمنة لتوحيد، وحججه خرواً ساجدين
لله خضوعاً واستكانة، وبكراً من خشيته سبحانه وتعالى.

[٥٩] فأتى من بعد هؤلاء النعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، واتبعوا
ما يوافق شهواتهم وبلانها، فسوف يلقون شرّاً وضلالاً وخيبة في جهنم.

[٦٠] لكن من تاب منهم من ذنبه وآمن بربه وعمل صالحاً تصديقاً لتوبته، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويدخلون
الجنة مع المؤمنين، ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم الصالحة.

[٦١] جنات خلد وإقامة دائسة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فأمنوا بها ولم يروها، إن وعد الله لعباده
بهذه الجنة آت لا محالة.

[٦٢] لا يسمع أهل الجنة فيها كلاماً بطلاً، لكن يسمعون سلاماً تحية لهم، ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب
دائماً، كلما شأوا صباحاً ومساءً، فهو غير محصور ولا محدد.

[٦٣] تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات، هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا، بامتثال أوامرنا واجتناب نواهيها.

[٦٤] وقل - يا جبريل - لمحمد ﷺ، وما ننزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا، له ما بين
أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان
والمكان، وما كان ربك ناسياً لشيء من الأشياء.

[٦٥] فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده وحده -أيها النبي- واصبر على طاعته أنت ومن تبعك، ليس كمثل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

[٦٦] ويقول الإنسان الكافر منكراً للبعث بعد الموت: إذا ما ميتٌ وقينيت لسوف أخرج من قبري حياً؟!

[٦٧] كيف نسي هذا الإنسان الكافر نفسه؟ أولاً يُذكر أنا خلقناه أول مرة، ولم يك شيئاً موجوداً؟

[٦٨] فوربك -أيها الرسول- لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين. ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكبتهم؛ لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام.

[٦٩] ثم لناخذن من كل طائفة أشدهم ترداً وعصيانياً لله، فنبدأ بعذابهم.

[٧٠] ثم لنحن أعلمم بالذين هم أولى بدخول النار ومقاساة حرها.

[٧١] وما منكم -أيها الناس- أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَوَدَّأَنَا مَا مَشَيْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهَ وَالشَّيَاطِينَ نُحْرِضُنَّهِنَّ خِزْيَانِ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ رُءُوسَهُمْ وَأَشْهَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْتًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا صِلَتْكُمُ ۖ وَإِنْ يَنْكُرُوا لِآلَائِنَا مَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٠﴾ ثُمَّ لَنَنْجِي الَّذِينَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ لِنُرِيَهُمُ الْفَالِقِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نَحَلْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أُنِىَ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَهَابًا ﴿٧٣﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْسِكْهُ لَهَ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا الْعَذَابُ وَآمَنُوا فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ سَرٌّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُنْدًا ﴿٧٤﴾ وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الَّذِي صَلَّيْتُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا حَسْبُ مَرَدًّا ﴿٧٥﴾

بحسب عمله، كان ذلك أمراً محتوماً، قضى الله -سبحانه- وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة. [٧٢] ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، وترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار على رُكبتهم.

[٧٣] وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أي الفريقين منّا ومنكم أفضل منزلاً وأحسن مجلساً؟

[٧٤] وكثيراً أهلكتنا قبل كفار قومك -أيها الرسول- من الأمم كانوا أحسن متاعاً منهم وأجمل منظراً. [٧٥] قل -أيها الرسول- لهم: من كان ضالاً عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى -يقيناً- ما توعدّه الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم -حينئذ- من هو شر مكاناً ومستقرّاً، وأضعف قوة وجنداً.

[٧٦] ويريد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها، والأعمال الباقيات الصالحات خير ثواباً عند الله في الآخرة، وخير مرجعاً وعاقبة.

[٧٧] أُعْلِمْتُ - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؛ إذ كفر بآيات الله وكذب بها وقال: لأعطين في الآخرة أموالاً وأولاداً.

[٧٨] أَطَّلَعُ الغيب، فرأى أن له مالاً وولداً، أم له عند الله عهد بذلك؟

[٧٩] ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده، سنكتب ما يقول من كذب وافتراء على الله، ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغي والضلال.

[٨٠] ونزله ماله وولده، ويأتينا يوم القيامة فرداً وحده، لا مال معه ولا ولد.

[٨١] واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتصرهم، ويعتزوا بها.

[٨٢] ليس الأمر كما يزعمون، لن تكون لهم الآهة عزراً، بل ستكفر هذه الآهة في الآخرة بعبادتهم لها، وتكون عليهم أعواناً في خصومتهم وتكذيبهم بخلاف ما ظنوه فيها.

[٨٣] ألم تر - أيها الرسول - أننا سلطنا الشياطين على الكافرين بالله ورسله؛ لتغويهم، وتدفعهم عن الطاعة إلى المعصية؟

[٨٤] فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب العذاب على هؤلاء الكافرين، إنما نحصي أعمالهم وأعمالهم إحصاء لا تفرط فيه ولا تأخير.

[٨٥، ٨٦] يوم نجتمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفوداً مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقاً شديداً إلى النار مشاةً عظاماً.

[٨٧] لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها من اتخذه عند الرحمن عهداً بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله.

[٨٨] وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولداً.

[٨٩] لقد جنتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئاً عظيماً منكراً.

[٩٠، ٩١] تكاد السموات يتشققن من فظاعة ذلك القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله لينسبتهن إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[٩٢] وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولداً؛ لأن اتخاذه الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقص.

[٩٣] ما كل من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الإنس والجن. إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً مقراً له بالعبودية.

[٩٤] لقد أحصى الله سبحانه وتعالى خلقه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم.

[٩٥] وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا
أَطَّلَعُ الْعَيْنَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَنصُرُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَا دَنَا ۝ وَنُرِيهِ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝ وَاتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ الرُّسُلَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
فَرُوزُهُمْ أَرْزَاقًا ۝ فَلَا تَدْعُلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا تَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝
يَوْمَ نَخَسِرُ الشَّقِيقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدَّاسٍ وَنَسُوقَ الْفَجْرِ
إِلَى حَيْثُ وَرَدَّا ۝ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝ لَقَدْ
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَسْجُ الْأَرْضُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝
وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عِبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝

[٩٦] إن الذين آمنوا بالله وأتبعوا رسله وعملوا الصالحات وفق شرعه، سيجعل لهم الرحمن حبة ومودة في قلوب عباده.

[٩٧] فإنما بشرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوف به المكذبين الشديدي الخصومة بالباطل.

[٩٨] وكثيراً أهلكتنا -أيها الرسول- من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحداً وما تسمع لهم صوتاً، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكتنا السابقين من قبلهم، وفي هذا تهديد ووعيد ياهلاك المكذبين المعاندين.

[سورة طه]

[١] ﴿طه﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] ما أنزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن؛ لتشقى بما لا طاقة لك به من العمل.

[٣] لكن أنزلناه موعظة؛ ليتذكر به من يخاف عقاب الله، فيتقيه بأداء الفرائض واجتناب المحارم.

إِنَّ الْيَتِيمَ : أَمْوَأَوْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وَقَاهُ ﴿١﴾ فَإِنَّمَا يَشْرِيهِ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٢﴾ وَكَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِنْ قَبْرٍ هَلْ نَحْسِبُنَهُمْ هِيئًا أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوَةً ﴿٣﴾

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِمَنْ يَخْفَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَحْسَبِ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ بَعْدَ يُنْفِرُ وَآخِزِي ﴿٧﴾ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لَهَا لِمَا مَكَّنَّوْا إِلَيَّ نَارِي قَالَ نَارًا أَلْمَى : أَلَيْسَ لَهَا بِقَبْضِينَ
أَوْ أَدْنَى عَلَى النَّارِ هَدَى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِلَيَّ
أَنَا رَبُّكَ فَانْقَلِبْ نَعْلَيْكَ ﴿١٢﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٣﴾

[٤] هذا القرآن تنزيل من الله الذي خلق الأرض والسماوات العل.

[٥] الرحمن على العرش استوى. أي: علا وارتفع. استواء يليق بجلاله وعظمته.

[٦] له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الأرض. خلقاً ومُلْكاً وتدبيراً.

[٧] وإن تجهر -أيها الرسول- بالقول، فتعلنه أو تخفه، فإن الله لا يخفي عليه شيء، يعلم السر وما هو أخفى من السر مما تحدث به نفسك.

[٨] الله الذي لا معبود بحق إلا هو، له وحده الأسماء الكاملة في الحسن.

[٩] وهل أتاك -أيها الرسول- خبر موسى بن عمران عليه السلام، وهو قادم من «مَدْيَنَ» إلى «مصر»؟

[١٠] حين رأى في الليل ناراً موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت ناراً. لعل أجيئكم منها بشعلة تستدفنون بها، وتوقدون بها ناراً أخرى، أو أجد عندها هادياً يديلاً على الطريق.

[١١، ١٢] فإنا أتى موسى تلك النار ساداه الله؛ يا موسى، إني أنا ربك فأخلف نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته، وذلك استعداداً لمناجاة ربه.

[١٣] وإني اخترتك يا موسى لرسالتي . فاستمع لما يوحى إليك مني .

[١٤] إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبديني وحدي . وأقم الصلاة لتذكرني فيها .

[١٥] إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي . فكيف يعلمها أحد من المخلوقين؟ لكي تجزي كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر .

[١٦] فلا يصر فئك -يا موسى- عن الإيمان بها والاستعداد لها من لا يصدق بوقوعها ولا يعمل لها، واتبع هوى نفسه، فكذب بها، فتهلك .

[١٧] وما هذه التي في يمينك يا موسى؟

[١٨] قال موسى: هي عصاي أعتمد عليها في المشي . وأهز بها الشجر؛ لترعى غنمي ما يتساقط من ورقه، ولي فيها منافع أخرى .

[١٩] قال الله لموسى: ألق عصاك .

[٢٠] فألقاها موسى على الأرض، فانقلبت ياذن الله حية تسعى، فرأى موسى أمراً عظيماً وولى هارباً .

[٢١، ٢٢] قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تخف منها، سوف نعيدها عصاً كما كانت في حالتها الأولى . واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى .

[٢٣] فعلنا ذلك؛ لكي نريك -يا موسى- من أدلتنا الكبرى ما يدل على قدرتنا، وعظيم سلطاننا، وصحة رسالتك . [٢٤] اذهب -يا موسى- إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته .

[٢٥-٣٥] قال موسى: رب وسع لي صدري . وسهل لي أمري . وأطلق لساني بفضيح المنطق؛ ليفهموا كلامي، واجعل لي معيناً من أهلي، هارون أخي؛ قوّي به وشدّه به ظهري، وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة؛ كي تنزهك بالتسبيح كثيراً، ونذكرك كثيراً فنحمدك . إنك كنت بنا بصيراً . لا يخفى عليك شيء من أفعالنا .

[٣٦] قال الله: قد أعطيته كل ما سألت يا موسى .

[٣٧] ولقد أنعمنا عليك -يا موسى- قبل هذه النعمة نعمة أخرى، حين كنت رضيعاً، فأنجيناك من بطش فرعون .

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظَهْرًا بِمَهَابَتِي لَهُمْ لِيُذْخِرَهُمُ الْعَذَابَ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا يُرْوَمُونَ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُمْ فَكَرَهُوا ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنُوكِنُهَا عَلَيْهَا وَهَأُولَىٰ بِهَا عَلَىٰ عَسَىٰ لِي فِيهَا مَتَابِرٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ قَالَ أَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْجُجْ بَيْضَاءَ مِثْلَ ثَلْجٍ مِّنْ غَيْرِ سَوْءٍ إِلَهٍ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِيُرِيكَ مِن آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِذْ هُوَ طُغِيَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِقُدْرِكَ يَا رَبِّ ﴿٢٥﴾ فَفُجِّرْنَا سُرَّتَهُ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ طَائِفًا مِّنْ أَهْلِهِ فَجَاءُوا فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا ﴿٢٦﴾ فَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٢٧﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٢٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣٠﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣١﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣٢﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣٣﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣٤﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنَ فَخَسَبُوا فَتَخَسَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ فَنجَاهَهُمْ ﴿٣٥﴾

[٣٨، ٣٩] وذلك حين ألهننا أمك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطحريه في النيل، فسوف يليقه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه، وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوباً بين العباد، ولترقي على عيني وفي حفظي. وفي الآية إثبات صفة العين لله - سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وكماه.

[٤٠] ومنشأ عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفله، ويرضعه لكم؟ فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل. ولا تحزن على فقدك. وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غمِّ فعلك وخوف القتل. وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفاً إلى أهل «مدين»، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدرناه لإرسالك مجيئاً موافقاً لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْكَ مَاوِيًّا ۖ أَنْ أَقْدَمِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدَمِيهِ فِي النَّيْرِ فَلْيَلْقِهِ يَتِمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لَّهُ وَعَدُوٌّ لَهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَبَضَعْتُ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ ۝٤٠ إِذْ نَسِيْتُ أُمَّتَكَ فَمَنْعُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَيَّ مِنْ كَهْلَةٍ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّغَ عَلَيْهَا وَلَا تَحْزَنَ ۖ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۖ فَلَمِيتَ سِنِينَ ۖ فِي أَهْلِ مَدْيَنٍ لَّمْ تَجِدْ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ۖ ۝٤١ وَأَصْطَلَمْتَنَّكَ لِيَتَّبِعَنِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا نَبِيَّيْنِي وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي ۖ ۝٤٢ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۖ ۝٤٣ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ۖ أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ ۖ ۝٤٤ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ ۖ وَأَرَىٰ ۖ ۝٤٥ فَأْتِيَا ذَا قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بِنِيَّ إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدُّنَّهُنَّ ۖ فَدَجَّنَاكَ بِتَأْيِيدِ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ ۖ ۝٤٦ الْهَدْيَ ۖ إِنَّا فَادُوا حِجِّيَ أَلَّا نَكْفُرَ ۖ وَالْعَذَابُ عَلَيَّ مَنِ كَذَّبَ ۖ وَقَوْلِي ۖ ۝٤٧ قَالَ مَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ۖ ۝٤٨ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ فَرُدُّوهُ هَدًى ۖ ۝٤٩ قَالَ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ ۝٥٠

[٤١] وأعمتُ عليك - يا موسى - هذه النعم اجتناء مني لك، واختياراً للرسالي، والبلاغ عني. والقيام بأمرني ونهيي. [٤٢-٤٤] اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بأياتي الدالة على أوهيبي وكمال قدرتي وصدق رسالتك. ولا تُضعفا عن مداومة ذكري. اذهبا معاً إلى فرعون؛ إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم. فقولا له قولاً لطيفاً؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

[٤٥] قال موسى وهارون: ربنا إنا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله. [٤٦-٤٨] قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إنا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة - من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هدايا. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على من كذب وأعرض عن دعوته وشريعته.

[٤٩] قال فرعون لها - على وجه الإنكار -: فمن ربكما يا موسى؟ [٥٠] قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه اللائق به الدال على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق الهداية الكاملة إلى الانتفاع بما خلقه الله له.

[٥١] قال فرعون لموسى - على وجه المغالطة والمشاعبة -: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟

[٥٢] قال موسى لفرعون: ما سألت عنه ليس ممّا نخس بصدده، بل علّم تلك القرون فيما فعلت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا علّم لي به، لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئاً ممّا علمه منها.

[٥٣] هو الذي جعل لكم الأرض ميسرة للارتفاع بها، وجعل لكم فيها طرقاً كثيرة، وأنزل من السماء مطراً، فأخرج به أنواعاً مختلفة من النبات.

[٥٤] كلوا - أيها الناس - من طبيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم. إن في كل ما ذكر أعلامات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراجه بالعبادة، لذوي العقول السليمة.

[٥٥] من الأرض خلقناكم - أيها الناس -، وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.

[٥٦] ولقد أرينا فرعون أدلنا وحججنا جميعها،

الدالة على ألوهيتنا وقدرتنا وصدق رسالة موسى فكذب بها، وامتنع عن قبول الحق.

[٥٧] قال فرعون: هل جئتنا - يا موسى - لتخرجنا من ديارنا بسحرك هذا؟

[٥٨] فسوف تأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعداً محمداً، لا تخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستو معتدل بيننا وبينك.

[٥٩] قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزين الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى.

[٦٠] فأدبر فرعون معرضاً عما أتاه به موسى من الحق، فجمع سحرته، ثم جاء بعد ذلك لموعد الاجتماع.

[٦١] قال موسى لسحرة فرعون يعظم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعداب من عنده ويبيدكم، وقد خسر من اختلق على الله كذباً.

[٦٢-٦٤] فتجادب السحرة أمرهم بينهم وتحادثوا سرّاً، قالوا: إن موسى وهارون لساحران يريدان أن يخرجكما من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها، فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم اتنوا صفاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة؛ لتبهروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه. وقد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه، فغلبه وقهره.

قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاهَا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَبَاتٍ شَقَى ۝ كَلُوا وَأَرْعُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۝ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۝ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَقَى ۝ قَالَ أَجئتنا لِنُخْرِجَكَ مِن أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْشِي ۝ فَلَتَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۝ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَإِنَّ مَجْمَعُ النَّاسِ ضُحَى ۝ فَتَوَكَّلْ فِرْعَوْنُ فَيَجْمَعُ كَيْدَهُ فَنُفِرَ أَقْب ۝ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ أَنَّهُ كَذَّابٌ فَيسْحِرْكُمْ بِعَدَابِ رَبِّكَ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ۝ فَتَنَزَّلُ الْمَوَاطِنَ فِيهِمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى ۝ قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْران يُرِيدَان أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُشْتَلَى ۝ فَأَجْعَلُوا كَيْدَكُمْ ثَمَانًا صَافًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَى ۝

[٦٥] قال السحرة: يا موسى إما أن تلقي عصاك أولاً، وإما أن نبدأ نحن فنلقي ما معنا.

[٦٦، ٦٧] قال لهم موسى: بل ألقوا أنتم ما معكم أولاً، فألقوا حبالهم وعصيهم، فتخيل موسى من قوة سحرهم أنها حيات تسمى، فشرع موسى في نفسه بالخوف.

[٦٨] قال الله لموسى حينئذ: لا تخف من شيء، فإنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنوده، وستغلبهم.

[٦٩] وألق عصاك التي في يسبك فتبتلع حبالهم وعصيهم، فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحرٍ وتخيل سيحري، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان.

[٧٠] فألقى موسى عصاه، فبعلت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم، فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحراً ما غلبنا.

[٧١] قال فرعون للسحرة: أصدقتهم بموسى، واتبعتموه،

وأقرتم له قبل أن أذن لكم بذلك؟ إن موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر؛ فذلك تابعتموه، فلا قطعن أيديكم وأرجلكم مخالفاً بينها، يداً من جهة ورجلاً من الجهة الأخرى، وأصلبتكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل. ولتعلمن أيها السحرة: أينما أنا أو رب موسى أشد عذاباً من الآخر، وأدوم له؟

[٧٢] قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك وتتبع دينك على ما جاءنا به موسى من البينات الدالة على صدقه، ووجوب متابعتة وطاعة ربه، ولن نُفضّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية الله الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا ما هو إلا عذاب منته بانتهائها.

[٧٣] إنا آمنا بربنا وصدقتنا رسوله وعملنا بما جاء به؛ ليعفو ربنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى. والله خير لنا منك - يا فرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره.

[٧٤] قال الله تعالى: إن الأمر من يأتي ربه كافرأ به، فإن له نار جهنم يُعَذَّب بها، لا يموت فيها فيستريح، ولا يمينا حياة يتلذذ بها.

[٧٥، ٧٦] ومن يأتي ربه مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحة فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، وذلك النعيم المقيم ثواب من الله لمن طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك. وعبد الله وحده فأطاعه واجتنب معاصيه، ولقي ربه لا يشرك بعبادته أحداً من خلقه.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكَ وَإِنَّمَا كُنَّكُنْ أَوَّلَ مَنْ نَلَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَنزَلْنَاهُ قَدْ جَاءَ الْهَرَمَ وَعَصِيْبُهُ مَرْجُلٌ يَّخْتَلِ بِالنَّاسِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا ۖ وَأَلْقَىٰ جَسَدَ قَبِيْعِهِ خَيْفَةً فَمُوسَىٰ ۖ فَلَمَّا لَاحَظَ أَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ وَأَلَىٰ مَا يَبْسِيكُ تَلَفٌ مَا صَبَقُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا فَيْلِيْعٍ السَّاحِرِيْنَ ۖ إِنَّكَ ۖ قَالَ لِي السَّحَرَةُ نَجِيْنَا قَالُوا إِنَّمَا يَرْبُ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ۖ قَالَ إِنَّمَا سَأَلْتُمْ لِقَبْلِ أَنْ نَأْذَنَ لَكُمُ الْبَيْتَ لِكَيْبُرِكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ ۖ وَلَا صَبِيْنَكُمُ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْيِيْرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَّ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ إِنَّا إِنَّمَا يَرْبُ إِنَّا لِيَعْفُو رَبُّنَا مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ أَقْرَبُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ بِخَبْرِيْنَا ۖ فإِنْ لَمْ يَجَهْرَ لَهُ يَكْمُوتْ فِيهَا وَلَا يَخْفَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِيَهُ مَوْمَاتٌ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلِّدِينَ فِيهَا وَأُولَئِكَ لَا يَمُوتُونَ ۖ

[٧٧] ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر عبادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخف دركاً ولا تخشى ٥ فأتبعهم فرعون البحر طريقاً يابساً، لا تخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوك فيدركوكم. ولا تخشى في البحر غرقاً.

[٧٨] فأسرى موسى ببني إسرائيل. وعبر بهم طريقاً في البحر. فأتبعهم فرعون مجنوداً، فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله. فغرقوا جميعاً ونجا موسى وقومه.

[٧٩] وأضل فرعون قومه بما زينهم لهم من الكفر والتكذيب، وما سلك بهم طريق الهداية.

[٨٠] يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم من عدوكم فرعون، وجعلنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم. ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصنغ طعمه كالعسل والطير الذي يشبه السماني.

[٨١] كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن يظلم

بعضكم بعضاً. فينزل بكم غضبي، ومن ينزل به غضبي فقد هلك وخسر.

[٨٢] وإني لغفار لمن تاب من ذنبه وكفره، وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.

[٨٣] وأني شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسقتهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلفتهم وراءك؟

[٨٤] قال: إنهم خلقي سوف يلحقون بي، وسبقتهم إليك - يا رب - لتزداد عني رضا.

[٨٥] قال الله لموسى: فإننا قد ابتليتنا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل. وإن السامري قد أضلهم.

[٨٦] فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينا، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإنزال التوراة؟ أفضال عليكم العهد واستبطأتم الوعد. أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يحل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتكم موعدي وعبدتهم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟

[٨٧] قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا، ولكننا حملنا أثقالاً من حلي قوم فرعون. فآلقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري. فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر عبادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخف دركاً ولا تخشى ٥ فأتبعهم فرعون مجنوداً. فغمرهم من التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصنغ طعمه. وما هدى ٥ ببني إسرائيل. ولا تخشى من عدوكم ووجدناهم من غير خوف ولا خوف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم. ولا تخشى في البحر غرقاً. ٥ فأسرى موسى ببني إسرائيل. وعبر بهم طريقاً في البحر. فأتبعهم فرعون مجنوداً. فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله. فغرقوا جميعاً ونجا موسى وقومه. ٥ فأضل فرعون قومه بما زينهم لهم من الكفر والتكذيب، وما سلك بهم طريق الهداية. ٥ يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم من عدوكم فرعون، وجعلنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم. ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصنغ طعمه كالعسل والطير الذي يشبه السماني. ٥ كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن يظلم بعضكم بعضاً. فينزل بكم غضبي، ومن ينزل به غضبي فقد هلك وخسر. ٥ وإني لغفار لمن تاب من ذنبه وكفره، وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه. ٥ وأني شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسقتهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلفتهم وراءك؟ ٥ قال: إنهم خلقي سوف يلحقون بي، وسبقتهم إليك - يا رب - لتزداد عني رضا. ٥ قال الله لموسى: فإننا قد ابتليتنا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل. وإن السامري قد أضلهم. ٥ فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينا، وقال لهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإنزال التوراة؟ أفضال عليكم العهد واستبطأتم الوعد. أم أردتم أن تفعلوا فعلاً يحل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتكم موعدي وعبدتهم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟ ٥ قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا، ولكننا حملنا أثقالاً من حلي قوم فرعون. فآلقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري. فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

[٨٨] فضع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلأ جسدأ بخور خوار البقر، فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو الإهكم وإله موسى، نسيه وعقل عنه.

[٨٩] أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يرد عليهم جواباً، ولا يقدر على دفع ضرر عنهم، ولا جلب نفع لهم؟

[٩٠] ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختبرته بهذا العجل؛ ليظهر المؤمن منكم من الكافر، وإن ربكم الرحمن لا غيره فاتبعوني فيما أذكركم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتباع شره.

[٩١] قال عبادة العجل منهم: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى.

[٩٢، ٩٣] قال موسى لأخيه هارون: أي شيء منعك

فأخرج لهم عجلأ جسداً له خواراً فقالوا هذا الإهكم وإله موسى فسيقى ﴿٨٨﴾ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يتكلم لهم صراً ولا تلقاها ﴿٨٩﴾ ولقد قال لهم هارون من قبل يتقوه إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴿٩٠﴾ قالوا لن نرجع عليه عنكم حتى يرجع إلينا موسى ﴿٩١﴾ قال لهم من ما منعك إذ رأيتمهم ضلوا ﴿٩٢﴾ ألا تتبين أفعصيت أمري ﴿٩٣﴾ قال يبنون ولا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بين إنسره يدل وأترقت قولي ﴿٩٤﴾ قال فما خطبك يتسمرى ﴿٩٥﴾ قال بضرت بما لم يتضروا به، فقضت قبضة من أثر الرسول فسدت فها وكذلك سوتك لي نفسي ﴿٩٦﴾ قال فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لآسأس وإن لك مؤعنا لنخلقهم، وأنظر إن الهلك الذي ظلت عليه عاصكاً لتخرفهم، ثم لتسقمهم في آسية تسفأ ﴿٩٧﴾ إنما الإهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء عاناً ﴿٩٨﴾

حين رأيتمهم ضلوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتركهم؟ أفعصيت أمري فيما أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟

[٩٤] ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجزؤه إليه، فقال له هارون: يا بن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفت - إن تركتهم ولحقت بك - أن تقول: فرقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم.

[٩٥] قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلته؟

[٩٦] قال السامري: رأيت ما لم يروه - وهو جبريل عليه السلام - على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذت بكفي تراباً من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحيا الذي صنعته منه العجل، فكان عجلأ جسداً له خوار؛ بلاء وفتنة، وكذلك زينت لي نفسي الأمارة بالسوء، هذا الصنيع.

[٩٧] قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبواً تقول لكل أحد: لا أمس ولا أمس، وإن لك موعداً في الآخرة لعذابك وعقابك، لن يخلقك الله إياها، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لتحرقه بالنار، ثم لتذروته في البحر ذرواً لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر.

[٩٨] إنما الإهكم - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

[٩٩] كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أبناء موسى وفرعون وقومهما، تخبرك بأبناء السابقين لك. وقد أتيناك من عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر.

[١٠٠] من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه، فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثماً عظيماً.

[١٠١] خالدين في العذاب، وساء لهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام؛ حيث أوردهم النار.

[١٠٢] يوم يُنْفَخُ الْمَلَكُ فِي الْقُرْنِ، لصيحة البعث. ونسوق الكافرين ذلك اليوم وهم زرق، تغيرت ألوانهم وغيبتهم؛ من شدة الأحداث والأهوال.

[١٠٣] يتهامون بينهم، يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام.

[١٠٤] نحن أعلم بما يقولون ويُبَيَّرُونَ حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلاً؛ ما لبثتم إلا يوماً واحداً؛ لِقَصْرِ مَدَةِ الدُّنْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[١٠٥] ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يزيلها ربي عن أماكنها فيجعلها هباءً منبثاً.

[١٠٦، ١٠٧] فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها، لا يرى الناظر إليها من استوائها مثلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

[١٠٨] في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة. لا يحيد عن دعوة الداعي؛ لأنها حق وصدق لجميع الخلق، وسكنت الأصوات خضوعاً للرحمن. فلا تسمع منها إلا صوتاً خفياً.

[١٠٩] في ذلك اليوم لا تنفع الشفاعة أحداً من الخلق، إلا إذا أذن الرحمن للشافع، ورضي عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص.

[١١٠] يعلم الله ما بين أيدي الناس من أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا، ولا يحيط خلقه به علماً سبحانه وتعالى. [١١١] وخضعت وجوه الخلائق وذلت لحالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كل شيء، المستغني عن سواه. وقد خسر يوم القيامة من أشرك مع الله أحداً من خلقه.

[١١٢] ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه، فلا يخاف ظملاً بزيادة سيناته، ولا هضماً بنقص حسناته.

[١١٣] وكما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذرنا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بأياننا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي؛ ليفهموه، وفصلنا فيه أنواعاً من الوعيد؛ رجاء أن يتقوا ربهم، أو تحذيرهم هذا القرآن تذكرة، فيعتظوا. ويعتبروا.

كَذَلِكَ نَقُضُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۖ
حَافِيَيْنَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۖ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْئَمٌ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْئَمٌ إِلَّا يَوْمَانًا ۖ وَنَسْتَوْلِكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَسِفُّهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قِطَامًا صَفْصَفًا ۖ
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ
لَهُ ۖ وَخَسَعَتِ الْآصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا نَمْنًا ۖ
يَوْمَئِذٍ لَا تَسْمَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَأْتِي أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ
عِلْمًا ۖ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْبَئِئِ الْقَبُورِ ۖ وَقَدَحَاتٍ مِنْ حَمَلٍ
ظُلْمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذِرُ لَهُمْ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ

[١١٤] فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِيكَ الْحَنُوقَ وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْتَقَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا. وَلَقَدْ وَعَدْنَا إِلَى آتَمِهِ مِنْ قَبْلِ فَنبِيِّيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ ۝ فَعَلْنَا يَتَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْتَقِي ۝ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَقْرَى ۝ وَأَنْتَ لَا تَقْطَعُوهَا فِيهَا وَلَا تَضَعِي ۝ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَذَلَّكَ عَلَى سَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَاوَةٌ تَنْهَمَا وَطِيفَا بَيْنَهُمَا فَمَنْ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ أَخَذْتَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝ قَالَ أَهبطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ إِلَى أَعْيُنِي ۝ وَمَنْ عَصَى عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝

[١١٤] فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِيكَ الْحَنُوقَ وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْتَقَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا. وَلَقَدْ وَعَدْنَا إِلَى آتَمِهِ مِنْ قَبْلِ فَنبِيِّيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ ۝ فَعَلْنَا يَتَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْتَقِي ۝ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَقْرَى ۝ وَأَنْتَ لَا تَقْطَعُوهَا فِيهَا وَلَا تَضَعِي ۝ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَذَلَّكَ عَلَى سَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَاوَةٌ تَنْهَمَا وَطِيفَا بَيْنَهُمَا فَمَنْ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ أَخَذْتَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝ قَالَ أَهبطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ إِلَى أَعْيُنِي ۝ وَمَنْ عَصَى عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝

[١١٨] إِنْ لَكَ - يَا آدَمَ - نِعْمَةٌ تَامَةٌ وَعَطِيَّةٌ مَسْتَمِرَّةٌ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ أَنْ تَأْكُلَ فَمَا تَجُوعُ. وَأَنْ تُلْتَمِسَ فَلَا تَعْرَى.

[١١٩] وَأَنْ لَكَ أَلَّا تَعْطَشَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ وَلَا يَصِيبُكَ حَرُّ الشَّمْسِ.

[١٢٠] فَوَسَّوَسَ الشَّيْطَانُ لِآدَمَ وَقَالَ لَهُ: هَلْ أَذَلَّكَ عَلَى شَجَرَةٍ، إِنْ أَكَلْتَ مِنْهَا خُلِدْتَ فَلَمْ تَمُتْ، وَمَلَكَتْ مُلْكًا لَا يَنْقُضِي وَلَا يَنْقَطِعُ؟

[١٢١] فَأَكَلَ آدَمُ وَحَوَاءَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ عَنْهَا، فَاِنْ كَشَفْتَ لَهَا عَوْرَاتِهَا، وَكَانَتْ مَسْتَوْرَةً عَن أَعْيُنِهَا، فَأَخَذَا يَنْزِعَانِ مِنْ وَرَقِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ وَيُلِصِقَانَهُ عَلَيْهِمَا، لِيَسْتَرَا مَا انْكَشَفَ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَخَالَفَ آدَمُ أَمْرَ رَبِّهِ، فَغَوَى بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ عَنِ الْإِقْتِرَابِ مِنْهَا.

[١٢٢] ثُمَّ اصْطَفَى اللَّهُ آدَمَ وَقَرَّبَهُ، وَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَهَدَاهُ رَشَدَهُ.

[١٢٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ وَحَوَاءَ: اهْبِطَا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَعَ إِبْلِيسَ، فَأَنْتُمَا وَهُوَ أَعْدَاءُ، فَإِنْ يَأْتِكُمْ مِنِّي هُدًى وَبَيَانٌ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ وَبَيَانِي وَعَمِلَ بِمَا فَإِنَّهُ يَرْشُدُ فِي الدُّنْيَا، وَيَهْتَدِي. وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ بِعِقَابِ اللَّهِ.

[١٢٤] وَمَنْ تَوَلَّى عَن ذِكْرِي الَّذِي أَذْكَرُهُ بِهِ فَإِنَّ لَهُ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى مَعِيشَةً ضَيْقَةً شَاقَّةً - وَإِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبِسَارِ - وَيُضَيِّقُ قَبْرَهُ عَلَيْهِ وَيَعْدِبُ فِيهِ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى عَنِ الرَّؤْيَةِ وَعَنِ الْحِجَّةِ.

[١٢٥] قَالَ الْمَعْرِضُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا فِي الدُّنْيَا؟

[١٢٦] قال الله تعالى له: حشرتك أعمى؛ لأنك أتتكم آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، وكما تركتها في الدنيا فكذلك اليوم تركك في النار.

[١٢٧] وهكذا تعاقب من أسرف على نفسه فعصى ربه. ولم يؤمن بأياته بعقوبات في الدنيا، ولعذاب الآخرة المعد لهم أشد ألماً وأدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

[١٢٨] أفلم يبدل قومك -أيها الرسول- على طريق الرشد كثرة من أهلكتنا من الأمم المكذبة قبلهم، وهم يمشون في ديارهم، ويرون آثار هلاكهم؛ إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لعبراً وعظات لأهل العقول الواعية.

[١٢٩] ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب عنهم، وأجل مسخى يقع عنده الهلاك للآدمهم في الدنيا عاجلاً، لأنهم يستحقونه؛ بسبب كفرهم.

[١٣٠] فاصبر -أيها الرسول- على ما يقوله المكذبون

بك من أوصاف وأباطيل، وسبح محمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة العشاء في ساعات الليل، وسبح محمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب؛ كي تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به.

[١٣١] ولا تنظر إلى ما متغنا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعناهم بها؛ لنبتليهم بها، ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم؛ حيث لا انقطاع له ولا نفاد.

[١٣٢] وأمر -أيها النبي- أهلك بالصلاة، واصطبر على أذاتها، لا نسألك مالا، نحن نرزقك ونعطيك. والعاقبة الصالحة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

[١٣٣] وقال مكذوبك -أيها الرسول-: هلاً تأتينا بعلامة من ربك تدل على صدقك. أولم يأتيهم هذا القرآن انصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟

[١٣٤] ولو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين بعداذب من قبل أن نرسل إليهم رسلاً ونزل عليهم كتاباً لقالوا: ربنا هلاً أرسلت إلينا رسلاً من عندك فنصدقك، ونتبع آياتك وشرعك. من قبل أن نذلل ونخزي بعداذبك.

[١٣٥] قل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان، ولمن يكون النصر والفلاح، فانظروا، فستعلمون: من أهل الطريق المستقيم، ومن المهتدي للحق منا ومنكم؟

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ نَسِيَ ﴿٣١﴾
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَوْ يُدْرِكُ الْيَوْمَ بُرْهَةٌ. وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَقْبَرُ ﴿٣٢﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَنْشَوْنَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣٣﴾
 وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِنَا وَأَجَلِ مَسْجِدِي ﴿٣٤﴾
 فَأَصْبَحَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَتَائِهَا إِلَيْهِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْتَضَى ﴿٣٥﴾ وَلَا تَدْنُ مِنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ بِزُكُوفِهِمْ وَهَرَبَ الْخَيْرَ: اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَقْبَرُ ﴿٣٦﴾ وَأْمُرْ بِالْحَلَالِ وَالصَّالِحِ وَاصْطِرْ عَلَيْهِمْ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا بِتَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِ: أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَاتٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعُ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْزَى ﴿٣٩﴾ قُلْ كُلٌّ مَتْرِكٌ مُتْرِكًا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْتَدَى ﴿٤٠﴾

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿٥﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَنُونَ ﴿٦﴾ لَا يَتَذَكَّرُونَ أَصْوَاحًا وَلَا أَهْلًا وَلَا حِيَلًا لِمَا
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّجْدَ وَالْحَرْبَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّي بَعَثَ الْفَرَقَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ نَبَأَ قَالُوا أَضَلُّنَا أَنْتُمْ بَيْتَ
 أَفْرَاقِهِ نَبَأَ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٩﴾
 مَا آتَيْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قُرْآنٍ أَهْلَكَ عَنْهَا أُفٍّ مِنْ يَوْمِنُونَ ﴿١٠﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا مِنْ أَعْلَى
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَمَا جَعَلْنَا فِرْعَوْنَ
 إِلَّا تَأْتِيهِمْ مِنَ الْقَعَمَاءِ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿١٢﴾ نَرَى صِدْقَ نَهْمِهِ
 أَلْوَعْدِ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

[سورة الأنبياء]

[١] ذنا وقت حساب الناس على ما قدموا من عمل، ومع ذلك فالكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار.

[٢] ما من شيء ينزل من القرآن يتلى عليهم مجددا لهم التذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء.

[٣] قلوبهم غافلة عن القرآن الكريم، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقلون ما فيه. بل إن الظالمين من قريش اجتمعوا سرا على أمر خفي: وهو إشاعة ما يصدرون به الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ من أنه بشر مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء، وأن ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تجيبون إليه وتتبعونه، وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم؟

[٤] رد النبي ﷺ الأمر إلى ربه سبحانه وتعالى فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسررتهم من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم،

العليم بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

[٥] بل جحد الكفار القرآن فيمن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس حياً، ومن قائل: إن محمداً شاعر، وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد منا أن نصدقَه فليجئنا بمعجزة محسوسة كقائه صالح، وآيات موسى وعيسى، وما جاء به الرسل من قبله.

[٦] ما آمنت قبيل كفار مكة من قرية طلب أهلها المعجزات من رسولهم وتحققت، بل كذبوا، فأهلكناهم، أفيؤمن كفار مكة؟ إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟ كلاً إنهم لا يؤمنون.

[٧] وما أرسلنا قبلك -أيها الرسول- إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا -يا كفار مكة- أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك.

[٨] وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون.

[٩] ثم أنجزنا للأنبياء وأتباعهم ما وعدناهم به من النصر والنجاة، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم بربهم.

[١٠] لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزكم وشر فكم في الدنيا والآخرة إن تذكروتم به، أفلا تعقلون ما فضّلناكم به على غيركم؟

[١١] وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعاً، وأوجدنا بعدهم قوماً آخرين سواهم.

[١٢] فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلاً بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

[١٣] فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا وارجعوا إلى لذاتكم وتنعّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيدة، لعلكم تُسألون من دنياكم شيئاً، وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم.

[١٤] فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا.

[١٥] فما زالت تلك المقالة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك، والاعتراف بالظلم - دَعَوْتهم يردونها حتى جعلناهم كالزرع المحصود، خامدين لا حياة فيهم، فاحذروا - أيها المخاطبون - أن تستمروا على تكذيب محمد ﷺ، فيحلّ بكم ما حلّ بالأمم قبلكم.

[١٦] وما خلفنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً، بل لإقامة الحجّة عنكم - أيها الناس -

ولنتعبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء، ولا تصلح العبادة إلا له.

[١٧] لو أردنا أن نتخذ هؤلاء من الولد أو الصاحبة لا نتخذنا، من عندنا لا من عندهم، ما كنا فاعلين ذلك، لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة.

[١٨] بل نقذف بالحق ونبيّنه، فيدحض الباطل، فإذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - من وُضِعكم بركم بغير صفته اللاتقة به.

[١٩] والله سبحانه كل من في السموات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأنفون عن عبادته ولا يملؤونها، فكيف يجوز أن يشرّك به ما هو عبده وخلقه؟

[٢٠] يذكرون الله وينزهونه دائماً، لا يَضَعون ولا يسأمون.

[٢١] كيف يصح للمشرّكين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لا تقدر على إحياء الموتى؟

[٢٢] لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبّر شؤونهما، لاختل نظامهما، فتتزعّ الله رب العرش، وتقدّس عمّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص.

[٢٣] إن من دلائل تقرّده سبحانه بالخلق والعبادة أنه لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم.

[٢٤] هل اتخذ هؤلاء المشركون من غير الله آلهة تنفع وتضر ونحي وتبيح؟ قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذتموه آلهة، فليس في القرآن الذي جيئت به ولا في الكتب السابقة دليل على ما ذهبتم إليه، وما أشركوا إلا جهلاً وتقليداً، فهم معرضون عن الحق منكروين له.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ آتَاكُمْ إِذَا هُمْ بِمِقْدَارٍ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكَبُوا أَسْجُودًا أَوْ رُكْعًا إِلَىٰ مَا نُفِثُ فِيهِ وَالشَّجَرَةَ الْأَمَّاسَةَ
تَنْتَوُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا زَكَّاءُ فَزَكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُنَّ آلًا تُخَذُّنَّ مِنَّا لَإِن كُنَّا لَفَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ قِيْدَمَهُ، فَإِذَا هُم زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
وَلَهُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُ تِ
عَن عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُ ﴿١٩﴾ يُسْتَعِينُ النَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَتَأْتِيَ الْوَأَهْلَةَ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْشِرُوا
لَوْ كَانُوا فِيهَا آلَهُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَقَسَدْنَا فَنَسِيتَنَّا اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَتَأْتِيَ
مِنْ دُونِهِ، الْآلَهُةُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّقَابِرِ
مَنْ قَبْلِ قُلُوبِ أَكْفَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

[٢٥] وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخلصوا العبادة له وحده.

[٢٦، ٢٧] وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولداً بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزه الله عن ذلك؛ فالملائكة عباد الله مقرَّبون مخصوصون بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً حتى يأذن لهم.

[٢٨] وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، وبجسده عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه.

[٢٩] ومن يدع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض - فجزاء جهنم، مثل ذلك الجزء نجزي كل ظالم مشرك.

[٣٠] أولم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض،

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادَةٌ مُكْتَرَمَةٌ ﴿٢٦﴾ لَا يُسْئِرُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَتْلُو مَا يَزَيَّرُ بِأُيُودِهِمْ وَمَا خَلَقْنَاهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ ۚ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَإِنَّ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ ۚ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوْلَىٰ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا نَفْثًا فَفَصَّقْنَاهُمْ ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ يَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَخْفُوظًا ۖ وَهِيَ عَنِ عَابِدَتِهَا أَعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا الْبَشَرَ مِنْ قَبْلِكَ أَكْفَالًا ۚ أَفَأَيْنِمْتَ فَهِنَّ الْخَالِدِينَ ﴿٣٤﴾ كُلٌّ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبُؤُهُمُ بِالْحَسْرَةِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٥﴾

وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويحضوا الله بالعبادة؟

[٣١] وخلقنا في الأرض جبالاً تثبتها حتى لا تضطرب بأهلها، وجعلنا فيها طرقاً واسعة؛ رجاء اهتداء الخلق إلى معاشهم، وتوحيد خالقهم.

[٣٢] وجعلنا السماء سقفاً للأرض لا يرفعها عماد، وهي محفوظة لا تسقط، ولا تخترقها الشياطين، والكفار عن الاعتبار بآيات السماء - الشمس والقمر والنجوم -، غافلون لاهون عن التفكير فيها.

[٣٣] والله تعالى هو الذي خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعاش، وخلق الشمس آية للنهار، والقمر آية للليل، ولكل منهما مدار يجري فيه ويستبح لا يجيد عنه.

[٣٤] وما جعلنا بشر من قبلك - أيها الرسول - دوام البقاء في الدنيا، أفان مت فهم يؤملون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا، وفي هذه الآية دليل على أن الحضرة عليه السلام قد مات؛ لأنه بشر.

[٣٥] كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عمَّرت في الدنيا، وما وجودها في الحياة؛ إلا ابتلاء بالتكاليف أمراً ونهياً، وبتقلب الأحوال خيراً وشرّاً، ثم المال والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء.

[٣٦] وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك بقول بعضهم لبعض: أهدأ الرجل الذي يعيب أهلتكم؟ وجحدوا بالرحمن ونعمه، وبما أنزله من القرآن والهدى.

[٣٧] خلق الإنسان عجولاً، يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها. وقد استعجلت قریش العذاب واستبطأت وقوعه، فأنذره الله بأنه سيربهم ما يستعجلونه من العذاب، فلا يسألوا الله تعجيله وسرعته.

[٣٨] ويقول الكفار - مستعجلين العذاب مستهزئين -: متى حصول ما تعذبنا به يا محمد، إن كنت أنت ومن اتبعك من الصادقين؟

[٣٩] لو يعلم هؤلاء الكفار ما يلاقونه عندما لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم وظهورهم النار، ولا يجدون لهم ناصرأ ينصرهم؛ لَمَا أقاموا على كفرهم، ولَمَا استعجلوا عذابهم.

[٤٠] ولسوف تأتيهم الساعة فجأة، فيتحيرون عند ذلك، ويخافون خوفاً عظيماً، ولا يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم، ولا يُنهلون لاستدراك توبة ولا اعتذار.

[٤١] ولقد استهزئ برسول من قبلك أيها الرسول، فحل بالذين كانوا يستهزئون بهم العذاب الذي كان مثار سخريتهم واستهزائهم.

[٤٢] قل - أيها الرسول - هؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرككم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم، من بأس الرحمن إذا نزل بكم. بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون.

[٤٣] أَلَهُمْ آلِهَةٌ تَتَعَمَّقُونَ مِنْ عَذَابِنَا؟ إِنَّ أَهْلَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصُرُوا أَنْفُسَهُمْ، فَكَيْفَ يَنْصُرُونَ عَابِدِيهِمْ؟ وَهَمْ مَنَا لَا يُجَارُونَ.

[٤٤] لقد اغتر الكفار وأباؤهم بالإمهال لِمَا رَأَوْهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ وَطُولِ الْأَعْمَارِ، فَأَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ لَا يَبْرَحُونَهُ، وَظَنُوا أَنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ وَقَدْ عَقَلُوا عَنْ سُئَةِ مَاضِيَةٍ، فَاللَّهُ يَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْ جَوَانِبِهَا بِمَا يَنْزِلُ بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ بَأْسٍ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَمِنْ هَزِيمَةٍ، أَيْ كَوْنَ بَوْسَعِ كُفَارٍ «مَكَّة» الْخُرُوجُ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ، أَوْ الْامْتِنَاعُ مِنَ الْمَوْتِ؟

وَإِذْ أَرَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا وَأَهْدَاءً
الَّذِي يَذُكُرَ آلِهَتَهُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ
كَفَرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ لِيَأْخُذَهُ
رَبُّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنِ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُم يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ نَبَأَ قَائِمِهِمْ نِعْمَةٌ فَمَسَّحْنَاهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ
بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُلُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مِنَ الرَّحْمَنِ نَبَأَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْرُهُمْ شَاءَ الْهَيْهَاتَ مِنْهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٤٥] قل - أيها الرسول - لمن أرسلت إليهم: ما أخوفكم من العذاب إلا بوحى من الله، وهو القرآن، ولكن الكفار لا يسمعون ما يلقي إليهم سماع تدبر إذا أنذروا، فلا ينتفعون به.

[٤٦] لو أصاب الكفار نصيب من عذاب الله لعلموا عاقبة تكذيبهم، وقابلوا ذلك بالدعاء على أنفسهم بالهلاك؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بعبادتهم غير الله.

[٤٧] ويضع الله تعالى الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء، ولا غيرهم شيئاً، وإن كان هذا العمل قدر ذرة من خير أو شر عدت في حساب صاحبها، وكفى بالله محصياً أعمال عباده، ومجازياً لهم عليها.

[٤٨، ٤٩] ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصراً على عدوهما، وكتاباً - وهو التوراة - فرقنا به بين الحق والباطل، ونوراً يهتدي به المتقون الذين يخافون

قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَلَا يَسْمَعُ الضَّلَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْدُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَهُنَّ مَسْئَلُهُمْ نُفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ نَوْءٌ لَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَنطَرِ لِثَوْرٍ الْقَيْسَةِ فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ بِشَقَالٍ حَسَبَةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَاهُمَا وَكَفَى بِتَاحْسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَالْقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَالْقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَشْرَكَ إِذْ أَوْأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجئتنا بِالْحَقِّ أَمْ آتَيْتُمْ مِنَ اللَّغِيِّينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَأْتِيهِ لَأَكْبِدَنَّ أَعْيُنَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

[٥٠] وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ ذكراً لمن تدكر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، كثير الخير، عظيم النفع، أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟

[٥١] ولقد آتينا إبراهيم هداية، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون، وكنا عالمين أنه أهل لتلك.

[٥٢] حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمت على عبادتها ملازمين لها؟

[٥٣] قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم.

[٥٤] قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم هذه الأصنام في بُعْدٍ واضح بين عن الحق.

[٥٥] قالوا: أهذا القول الذي جئنا به حق وجهد، أم كلامك لنا كلام لاعب مستهزئ لا يدري ما يقول؟

[٥٦] قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك.

[٥٧] وتالله لأمكرنَّ بأصنامكم ولا كسرتُها بعد أن تتولوا عنها ذاهبين.

فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُءًا لِّلْآكِلِينَ ۝٥٨ لَمْ نَلْعَلْنَاهُمْ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا مَنْ قَعَلْ هَذَآئِبَ إِلَهِنَا إِنَّمَا هِيَ أَلْمَنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا قَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَأَتُونَا
 بِهِ عَنَ آفَئِنَ النَّآسِ لَعَلَّهُمْ يُشْهَدُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا أَأنتَ
 قَعَلْتَ هَذَآئِبَ إِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ قَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْتَرْهَبُوا ۖ إِن كَانُوا يَطْفُونَ ﴿٦٠﴾ قَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّ كُنْتُمْ أَنشُرَ الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ نَكَبُوا
 عَن رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هُمْ بِأِلَآهٍ يَشْفَعُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٢﴾ أَمْ لَكُمْ أَلْمَنَ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ
 قَعَلِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٤﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِضِينَ ﴿٦٥﴾ وَخَجَلْتَنِي
 وَلَوْ طَأ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَآفِلَةً وَكَوْنًا صَالِحِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] حفظهم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعاً صغيرة، وترك كبيرها؛ كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

[٥٩] ورجع القوم. ورأوا أصنامهم محطمة مهانة، فسأل بعضهم بعضاً: من فعل هذا بالهتنا؟ إنه لظالم في اجترانه على الألهة المستحقة للتعظيم والتوقير.

[٦٠] قال من سمع إبراهيم يخلف بأنه سيكيد أصنامهم: سمعنا فني يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم.

[٦١] قال رؤسؤهم: قاتوا يا إبراهيم على مرأى من الناس؛ كي يشهدوا على اعترافه بما قال؛ ليكون ذلك حجة عليه.

[٦٢] وحجى يا إبراهيم وسألوه منكرين: أنت الذي كثرت ألهتنا؟ يعنون أصنامهم.

[٦٣] وتم لإبراهيم ما أراد من إظهار سفههم على مرأى منهم. فقال محتجاً عليهم معرضاً بقباوتهم: بل الذي كسرها هذا الصنم الكبير، فاسألوا ألهتكم المزعومة عن ذلك، إن كانت تتكلم أو ترد جواباً.

[٦٤] فأسقط في أيديهم، وبدا لهم ضلالهم: كيف يعبدونها، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئاً أو أن تجيب سائلها؛ وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك.

[٦٥] وسرعان ما عاد إليهم عنادهم بعد إفحامهم، فانقلبوا إلى الباطل، واحتجوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم. فقالوا: كيف نسألها، وقد علمت أنها لا تنطق؟

[٦٦، ٦٧] قال إبراهيم محمراً لشان الأصنام: كيف تعبدون أصناماً لا تنفع إذا عبثت، ولا تضر إذا تركت؟ قبحاً لكم ولألهتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟

[٦٨، ٦٩] لما بطلت حجبتهم وظهر الحق عدلوا إلى استعمال سلطانهم، وقالوا: حرقوا إبراهيم بالنار؛ غضباً لأهتكم إن كنتم ناصرين لها. فأشعلوا ناراً عظيمة وألوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فلم ينلها فيها أذى، ولم يصبه مكروه.

[٧٠] وأراد القوم يا إبراهيم الهلاك فأبطل الله كيدهم، وجعلهم المغلوبين الأسفلين.

[٧١] ونجينا إبراهيم ولو طأ الذي آمن به من العراق، وأخرجناهما إلى أرض الشام التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

[٧٢] وأنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، وكل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحاً مطيعاً له.

[٧٣] وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى. وأوحينا إليهم فعل الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة، فامتثلوا لذلك، وكانوا متقادين مطيعين لله وحده دون سواه.

[٧٤] وأتينا لوطاً النبوة وفضل القضاء بين الخصوم وعلماً بأمر الله ودينه، ونجينا من قريته «سُدُوم» التي كان يعمل أهلها الخبائث. إنهم كانوا بسبب الخبائث والمنكرات التي يأتونها أهل سوء، وقُبِح، خارجين عن طاعة الله.

[٧٥] وأتممَّ الله عليه النعمة فأدخله في رحمته بإنجائه ممَّا حلَّ بقومه؛ لأنه كان من الذين يعملون بطاعة الله.

[٧٦] واذكر -أيها الرسول- نوحاً حين نادى ربه من قيلك ومن قبل إبراهيم ولوط، فاستجيبنا له دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد.

[٧٧] ونصرناه من كيد القوم الذين كذبوا بآياتنا

وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذُورُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْطاً أَنْبَيْتَهُ حُصُوماً وَعِلْماً وَنَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيْثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوْرٍ فَسَافِرِيْنَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿٧٥﴾ وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ قَوْمِ سَجْيَاتٍ لَهُمْ فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوْرٍ فَغَرَّ قَوْلُهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْغُرُوثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَّةُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِيْنَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِيْنَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَفِيَكُمْ مِنْ تَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُوْنَ ﴿٨٠﴾ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَابِدِيْنَ ﴿٨١﴾

الدالة على صدقه، إنهم كانوا أهل قُبِح، فأغرقتهم بالطوفان أجمعين.

[٧٨] واذكر -أيها الرسول- نبي الله داود وابنه سليمان، إذ يحكمان في قضية غَرَضُهَا خصمان، عَدَّتْ غنم أحدهما على زرع الآخر، وانتشرت فيه ليلاً، فأتلفت الزرع، فحكاه داود بأن تكون الغنم لصاحب الزرع مُلْكاً بما أتلفته، فقيمتها سواء، وكُنَّا لحكمهم شاهدين لم يُعْبِ عنا.

[٧٩] فَفَهَّمْنَا سليمان مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل. فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة؛ يستفيد فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن وصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه؛ لمساواة قيمة ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم، وكُلًّا من داود وسليمان أعطيناه حكماً وعلماً، ومنثلاً على داود بتطويع الجبال تسبُّح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير تسبُّح، وكنا فاعلين ذلك.

[٨٠] واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمَهُ صناعة الدروع يعملها جِلْقاً متشابكة، تسهِّل حركة الجسم؛ لتحمي المحاربين من وُقْع السلاح فيها. فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجازها على يد عبده داود؟

[٨١] وسَخَرْنَا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه، تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» به «الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُصُوتُ لَهُمْ وَيَمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٥٥﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْتَجَبْنَا لَهُمْ وَرَفَعْنَا مَائِهِم مِّنْ ضُرِّ وَتَأْتِيَتْهُ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمَثَلَهُمْ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ إِنَّهُم كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٦٣﴾

[٨٢] وسخرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيما يعجز عنه غيرهم، فكانوا يعوضون في البحر يستخرجون له اللآلئ والجواهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريد منهم، لا يقدرون على الامتناع مما يريد منهم، حفظهم الله له بقوته وعجزه سبحانه وتعالى.

[٨٣] واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب، ونادى ربه عز وجل أني قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فأكشفه عني.

[٨٤] فاستجبنا له دعاءه، ورفعنا عنه البلاء، ورددنا عليه ما فقد من أهل وولد ومال مضاعفاً، فقلنا به ذلك رحمة منا، وليكون قدوة لكل صابر على البلاء، راجح رحمة ربه، عابد له.

[٨٥] واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل.

[٨٦] وأدخلناهم في رحمتنا، إنهم ممن صلح باطنه وظاهره، فأطاع الله وعمل بما أمره به.

[٨٧] واذكر قصة صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج من بينهم غاضباً عليهم، ضائقاً صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر. فننادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت -تائباً معترفاً بظلمه- لتركه الصبر على قومه -قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك، إنني كنت من الظالمين.

[٨٨] فاستجبنا له دعاءه، وخلصناه من غم هذه الشدة، وكذلك نجي المصدقين العاملين بشرعنا.

[٨٩] واذكر -أيها الرسول- قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كبرت سته قائلاً: رب لا تركني وحيداً لا عقب لي، هب لي وارثاً يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقين وخير من خلفني بخير. [٩٠] فاستجبنا له دعاءه، ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحاً في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقراً، إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا رغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

[٩١] واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأت فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فخلق الله بذلك النفخ المسيح عيسى عليه السلام. فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة. [٩٢] هؤلاء الأنبياء جميعاً دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراذ بالعبادة، والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له.

[٩٣] لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرق كثير من أتباعهم في الدين شيعاً وأحزاباً، فعبدوا المخلوقين والأهواء، وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا.

[٩٤] فمن التزم الإيمان بالله ورسله، وعمل ما يستطيع من صالح الأعمال طاعة لله وعبادة له فلا يضعف الله عمله ولا يبطله، بل يضاعفه كله أضعافاً

وَالَّذِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَفَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ بَيْنَهُمْ كُنْ أَلْسِنَاتٍ جَعَلُوا
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُوتٌ ﴿٩٢﴾ وَحَدِّثْ عَلَي قُرَيْبَهُ
أَهْلَكَ عَنْهَا أَنَّهَا لَا يَرِجَعُونَ ﴿٩٣﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٤﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هُنَّ شَخِصَةٌ أَضْرَأَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَابْتِغَاءَ قَدِّعْنَا فِي عَقَلِهِمْ مِنْ هَذَا بَلِّ كُنَّا
ظَلِيمِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
حَصْبٌ جَهَنَّمَ إِنَّمَا نَشَأُ لَهَا وَرُدُّونَ ﴿٩٦﴾ لَوْ كُنَّا
هَذَا بَلَاءَ اللَّهِ مَا وَرَدُّوهَا وَكُنْ فِيهَا خَالِدِينَ ﴿٩٧﴾
لَهُمْ فِيهَا زُفَيْرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمُ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٩﴾

كثيرة، وسيجد ما عمله في كتابه يوم يُبعث بعد موته.

[٩٥] ومنتع على أهل القرى التي أهلكتها بسبب كفرهم وظلمهم، رجوعهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ ليستردكوها ما فرطوا فيه.

[٩٦، ٩٧] فإذا فُتِح سد يأجوج ومأجوج، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في جنباتها مسرعين. دنا يوم القيامة وبدت أهواله فإذا أبصار الكفار من شدة الفزع مفتوحة لا تكاد تُظرف، يدعون على أنفسهم بالويل في حيرة؛ يا ويلنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له، وكنا بذلك ظالمين.

[٩٨] إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومن رضي بعبادتكم إياه من الجن والإنس، وقد جهنم وحطبها، أنتم وهم فيها داخلون.

[٩٩] لو كان هؤلاء الذين عبدتموه من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون، إنَّ كلاً من العابدين والمعبودين خالدون في نار جهنم.

[١٠٠] هؤلاء المعذبين في النار آلام ينسب عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة، وهم في النار لا يسمعون؛ من هول عذابهم.

[١٠١] إن الذين سبق لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة، أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريباً منها.

[١٠٢] لا يسمعون صوت لهيبتها واحترق الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيما تشتهيهِ نفوسهم من نعمها ولذاتها مقيمين إقامة دائمة.

[١٠٣، ١٠٤] لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة، بل تبشرهم الملائكة: هذا يومكم الذي وعدتكم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب. يوم نظوي السماء كما نظوي الصحيفة على ما كتب فيها، ونبعث فيه الخلق على هيئة خلقنا لهم أول مرة، كما ولدتهم أمهاتهم، ذلك وعد الله الذي لا يخلف، وعدنا بذلك وعداً حقاً علينا، إنا كنا فاعلين دائماً ما تعد به.

[١٠٥] ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أمروا به، واجتنبوا ما نهوا عنه، وهم أمة محمد ﷺ.

[١٠٦] إن في هذا المتلو من الموعظة لبرة كافية لقوم عابدين الله بما شرعه لهم ورضيه منهم.

[١٠٧] وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سعاد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.

[١٠٨] قل: إن الذي أوحى إليّ ويُبعث به: أن إلهكم الذي يستحق العبادَة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته.

[١٠٩] فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم جميعاً ما أوحاه الله تعالى إليّ. فأنا وأنتم مستورون في العلم لَمَّا أنذرتكم وحذرتكم، ولست أعلم -بعد ذلك- متى يحلُّ بكم ما وعدتكم به من العذاب.

[١١٠] إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم، وما تكتُمونه في سرائركم، وسيحاسبكم عليه.

[١١١] ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين؛ لتردادوا كفراً، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

[١١٢] قال النبي ﷺ: ربُّ أفضل بيننا وبين قومنا المكذبين بالقضاء الحق. ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفونه -أيها الكفار- من الشرك والكذب والافتراء عليه، وما تتعدوننا به من الظهور والغلبة.

لَا يَسْمَعُونَ حَيْسِبَهَا وَأَهْمًا مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمْ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكَذِبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا
قَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْأَرْضَ بِرِثَتِهَا عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ فِي هَذَا بَلَاءًا لِقَوْمٍ غَيْرِ يُعِينُونَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَهْلَ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَأَدَّبْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ ادْرَأْتُمْ
أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا
يَنْهَى الْقَوْلَ وَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ ادْرَأْتُمْ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ وَمَتَّعْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَسْحَبْ
بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

[سورة الحنق]

[١] يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتنال أومره واجتناب نواهيهِ، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقدر قدره ولا يُبلغ كنهه، ولا يعلم كيفيته إلا رب العالمين.

[٢] يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدة رضيعها الذي ألقته ثديها؛ لما نزل بها من الكرب، وتُنسقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفرع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة الهول أفقدتهم عقولهم وادراكهم.

[٣] وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاصمون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلاً منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعاً لأنسة الضلال من كل

سورة الحنق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفَعُوا رَبِّكُمْ إِنْ زلزلة الساعة شئ عظيم ٥
يَوْمَ تَرَوْهَا تَذهل كل مريضاً عما أَرْضعت ووضعت كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ٥
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبدل في الله بغير علم ويمتدح كل سفيه مريد ٥
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنه من قولاه فأنته فضله ويهديه إلى عذاب السعير ٥
يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي ريب من البعث فإننا خلقناكم مِن شراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأضراس ما نساء إلى أجل مسمى ثم نخبركم بظفلائكم لتبأبنوا أشد كرا وممنكم من ينوق ومنكم من أنزل النمر ليكتلا يعلم من بعد علمه شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء أهزنت ورابت وأنبئت من كل زوج بهيج ٥

شيطان متعمد على الله ورسله.

[٤] قضى الله وقدر على هذا الشيطان أنه يضل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

[٥] يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموق فإننا خلقنا أبابكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المني يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قدر ما ينضغ، فتكون تارة مخلقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حياً، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبين لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنة أطفالاً صغاراً تكبر حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبر حتى يبلغ سن الهرم وضعف العقل؛ فلا يعلم هذا المعسر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وترى الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبئت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي ينير الناظرين.

[٦] ذلك المذكور مما تقدم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو يحيي الموتى، وهو قادر على كل شيء.

[٧] وأن ساعة البعث آتية لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم لحسابهم وجزائهم.

[٨، ٩] ومن الكفار من يجادل بالباطل في الله وتوحيد واختياره رسوله ﷺ وانزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لا يواضعه في تكبر، معرضاً عن الحق؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقى خزيًا في الدنيا باندحاره وافتضاح أمره، ونحرقة يوم القيامة بالنار.

[١٠] ويقال له: ذلك العذاب بسبب ما فعلت من المعاصي واكتسبت من الآثام، والله لا يعذب أحداً بغير ذنب.

[١١-١٣] ومن الناس من يدخل في الإسلام على ضعف وشك، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته، ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسعة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغير كفره ما قدر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بين واضح. يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو من ضره المحقق أقرب من نفعه، فيح ذلك المعبود نصيراً، وقبح عسيراً.

[١٤] إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحتها أنهار وأشجارها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلاً، وعقاب أهل معصيته عدلاً.

[١٥] من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً ﷺ بالنصر في الدنيا بإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذاب من كذبه، فلْيَمْدُدْ حبلًا إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، ثم لينظر: هل يُدْهِبُ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً ﷺ لا محالة.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ بِنَحْيِ الْمَوْتَىٰ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِظْمِهِ لِيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ بَدَايَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يظَلِمَ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعَذِّبُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ وَاللَّاتِي وَالْآخِرَةُ ذَٰلِكَ هُوَ الْخَيْرُ لِمَنِ الْمُعِينِ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَضرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَرْقُطْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَوْبُحُ ﴿١٥﴾

[١٦] وكما أقام الله الحجة من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث أنزل القرآن. آياته واضحة في لفظها ومعناها. يهدي بها الله من أراد هدايته، لأنه لا هادي سواه.

[١٧] إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، واليهود، والصابئين - وهم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه -. والنصارى، والمجوس - وهم عبدة النار -، والذين أشركوا - وهم عبدة الأوثان - إن الله يفصل بينهم جميعاً يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار. إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلأ بما يستحق؛ جزاءً وفاقاً للأعمال التي عملوها.

[١٨] ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله سبحانه يسجد له خاضعاً متقادماً من في السموات من الملائكة، ومن

في الأرض من المخلوقات، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ والله يسجد طاعة واختياراً لكثير من الناس. وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين. وأنت إنسان بهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وفق حكمته.

[١٩-٢٢] هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر. كل يدعي أنه محق، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يلبسونها، فتشوي أجسادهم. ويصَّب على رؤوسهم الماء المتناهي في حره. وينزل إلى أحوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضربهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كما حاولوا الخروج من النار - لشدة غمهم وكرهم - أعيدها للعذاب فيها. وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

[٢٣] إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم. تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار. يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالاً ونساءً.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يَشَاءُ ۝
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ
 وَالنَّصَارَى وَالَّذِينَ اشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَنًى فِي الْأَرْضِ
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
 وَاللَّهُوَابُ وَكَيْفَ تَرَى مَن يَكْفُرُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ
 مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَنًى
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا فَظَلَمْتَ لَهُمْ نِسَابًا مِّن قَارِ
 يُصَّبُ مِنْ فَوْق رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمَ ۝
 يُضْرَبُونَ
 بِمَا كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ
 وَالْمَجُوسَ وَالنَّصَارَى وَالَّذِينَ اشْرَكُوا
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَنًى
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا فَظَلَمْتَ لَهُمْ نِسَابًا مِّن قَارِ
 يُصَّبُ مِنْ فَوْق رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمَ ۝
 يُضْرَبُونَ بِمَا كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ
 وَالْمَجُوسَ وَالنَّصَارَى وَالَّذِينَ اشْرَكُوا
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝

[٢٤] لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد ومحمد الله والثناء عليه، وفي الآخرة إلى حمد: على حسن العاقبة. كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام المحمود الموصل إلى الجنة.

[٢٥] إن الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاءهم به محمد ﷺ، ويمنعون عنهم من الدخول في دين الله، ويصدون رسول الله ﷺ والمؤمنين في عام «الحديبية» عن المسجد الحرام، الذي جعلناه لجميع المؤمنين، سواء المقيم فيه والقادم إليه، له عذاب أليم موعج، ومن يرد في المسجد الحرام الميّل عن الحق ظلماً فَيُغَيِّرُ الله فيه، نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ مَوْجِعٍ.

[٢٦] واذكر - أيها النبي - إذ بُيِّنَا لإبراهيم - عليه السلام - مكان البيت، وهَيَّأْنَا لَهُ وَقَدْ كَانَ غَيْرَ مَعْرُوفٍ، وَأَمْرَانَا بِنِيبَاتِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَطَهُّرِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْبِدْعِ وَالنَّجَاسَاتِ؛ لِيَكُونَ رَحَابًا لِلطَّائِفِينَ بِهِ، وَالْقَائِمِينَ الْمُصَلِّينَ عِنْدَهُ.

[٢٧، ٢٨] وَأَعْلِمُوا يَا إِبْرَاهِيمَ - النَّاسَ بِوَجُوبِ الْحَجِّ عَلَيْهِمْ بِاتِّوَاكُ عَلَى مُخْتَلَفِ أَحْوَالِهِمْ مِثْلَ: وَرُكْبَانًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَهُوَ: (الخفيف اللحم من الشَّيْرِ

وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَبِيدِ ۝
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ تَيْبَتِي لِلطَّاهِرِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ۝ وَأِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامِ مَقَلُمَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِهِ الْأَنْعَامَ فَكَلِمَاتٍ مَعَهَا
 وَأَطْعُمُوا النَّبَاتِ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَيَلْبِطُوا بِالْبَيْتِ الْكَتَبِيِّ ۝
 ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ
 رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا بَنَى عَلَيْكُمْ
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝

والأعمال لا من الهزال)، يأتين من كل طريق بعيد: ليحضروا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكسبهم في تجارتهم، وغير ذلك: ويذكروا اسم الله على ذبح ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معيَّنة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده: شكرًا لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا من هذه الذبائح استحباباً، ويُطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

[٢٩] ثم ليكسل الحاج ما بقي عليهم من النَّسْكِ، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم من وسخ في أبدانهم، وقص أطفارهم، وحلق شعرهم، وليوفوا بما أوجبهوا على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعتقه الله من تسلط الجبارين عليه، وهو الكعبة.

[٣٠] ذلك الذي أمر الله به من قضاء التثت والوفاء بالندور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة، وأحلَّ الله لكم أكل الأنعام إلا ما حرَّمه فيها يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه، وفي هذا إبطال ما كانت العرب تحرمه من بعض الأنعام، ويتبعوا عن القذارة التي هي الأوثان، وعن الكذب الذي هو الافتراء، على الله.

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ
السَّمَاءَ فَخِطْفَهُ الظَّيْرُ أَتَىٰ بِهِ الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٥٥﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٥٦﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ ﴿٥٧﴾ وَيُكَلِّمُكُمْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ لِيَذْكُرُوا أَنَّهُ اللَّهُ عَلَى
مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَنْصُرِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدَ قَلْبِهِ
أَسْمَاءُ وَبَشِيرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت
قُلُوبُهُمُ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُصِيبِي الصَّلَاةِ
وَمَا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لِكُلِّ مَن سَعَىٰ
أَنَّهُ لَكُمْ رِجْوًا حَتَّىٰ فَادُكُرُوا أَنَّهُ اللَّهُ عَلَيْهَا صَوًّا قَادًا وَجِبَتْ
جَنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَاعَ وَالْمَعْتَرُ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا
لَكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ لَنْ يَسَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا
وَلَكِنْ يَسَالَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا
اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ
عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ حَرْوَانِ كُفُورٍ ﴿٦٢﴾

[٣١] مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده، وإفراجه بالطاعة، معرضين عما سواه، ينبذ الشرك، فإنه من يشرك بالله شيئاً، فمثلته - في بُعدة عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتحطف الشياطين له من كل جانب - كمثل من سقط من السماء، فيما أن تحطفه الطير فتقطع أعضائه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتقذفه في مكان بعيد أشد البعد.

[٣٢] ذلك ما أمر الله به من توحيد، وإخلاص العبادة له، ومن يمثل أمر الله ويعظم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبايح التي تُذبح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

[٣٣] لكم في هذه الهدايا منافع تنتفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

[٣٤] ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك من الذبوح وإزاحة الدماء، وذلك ليذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم من هذه الأنعام ويشكروا له.

فإلهكم - أيها الناس - إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشر - أيها النبي - المتواضعين الخاضعين لربهم بخير الدنيا والآخرة.

[٣٥] هؤلاء، المتواضعون الخاضعون من صفاتهم أنهم إذا ذكر الله وحده خافوا عقابه، وحذروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدوا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم من زكاة ونفقة عيال، وعلى من وجبت عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.

[٣٦] وجعلنا لكم تحراً ما سنن من الإبل والبقر من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها - أيها المتقربون - خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتثنر الإبل واقفة قد صُمَّتْ ثلاث من قوائنها وقُبِدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبداً ونطعموا منها القانع - وهو الفقير الذي لم يسأل تعففاً - والمعتر الذي يسأل حاجته، هكذا سخر الله البُدن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم.

[٣٧] لن ينال الله من لحوم هذه الذبايح ولا من دمانها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك ذللت لكم - أيها المتقربون -؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهل لذلك، وبشر - أيها النبي - المحسنين بعبادة الله وحده، والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

[٣٨] إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، ويكيد الأشرار؛ لأنه عز وجل لا يجب كل حَرْوَانِ لأمانة ربه، جحود لنعمته.

[٣٩] كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم. فلما بلغ أذى المشركين مداً، وخرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً إلى «المدينة»، وأصبح للإسلام قوة أذن الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوهم.

[٤٠] الذين ألجسوا إلى الخروج من ديارهم. لا شيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحد. ولولا ما شرعه الله من دفع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لهزم الحق في كل أمة والحرب الأرض، وهذمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيراً. ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام. قد قهر الخلاق

وأخذ بنواصيهم.

[٤١] الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إن مكثاهم في الأرض. واستخلفناهم فيها باظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدانها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها، وأمروا بكل ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، ونهوا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله. والله وحد. مصير الأمور كلها، والعاقبة للفقير.

[٤٢-٤٤] وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلكم قوم نوح. وعاد. وشمود. وقوم إبراهيم. وقوم لوط، وأصحاب «مدين» الذين كذبوا شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فلم أعجل هذه الأمم بالعقوبة، بل أمهلتها، ثم أخذت كلاً منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وكيف كان تبديل ما كان بهم من نعمة بالعذاب والهلاك؟

[٤٥] فكثيراً من القرى الظالمة بكفرها أهلكتنا أهلها. فديارهم مهذمة خللت من سكانها. وآبارها لا يُستقى منها. وقصورها العالية المزخرقة لم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

[٤٦] أفلم يبر المكذبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين، فيتفكروا بعقوبهم. فيعتبروا. ويسمعوا أخبارهم سماع تدبر فيتعضوا؟ فإن العى ليس عى البصر، وإنما العى المهلك هو عى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٤٧﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ صُورَةُ قَوْمٍ يَتَّبِعُونَ الْكَاذِبِينَ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ صُورَةُ قَوْمٍ يَتَّبِعُونَ الْكَاذِبِينَ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ صُورَةُ قَوْمٍ يَتَّبِعُونَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٤٩﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥١﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٢﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٣﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٤﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٥﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٦﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٧﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٨﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٥٩﴾ وَإِن يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا آمَنُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ لَظَنُّونَ ﴿٦٠﴾

[٤٧] ويستعجلك - أيها الرسول - كفار قريش - لشدّة جهلهم - بالعذاب الذي أنذرتهم به لئلاّ أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بدّ من وقوعه، وقد عجل لهم في الدنيا ذلك في يوم بدره. وإن يوماً من الأيام عند الله - وهو يوم القيامة - كآلف سنة مما تعدّون من سني الدنيا.

[٤٨] وكثير من القرى كانت ظالمة ياصرار أهلها على الكفر. فأهلنتهم ولم أعاجلهم بالعقوبة فاعتروا. ثم أخذتهم بعدايات في الدنيا، والتي مرجعهم بعد هلاكهم، فأعذبهم بما يستحقون.

[٤٩-٥١] قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلغ عن الله رسالته. فالذين آمنوا بالله ورسوله. واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة. والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات

وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ أَمَلْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لُهَا أَخَذْنَاهَا وَآتَيْنَاهَا الْوَعْدَ الَّذِي نَبِئْتُمُوهَا ﴿٤٨﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥١﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ كَثِيرٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى السَّاطِنُ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٥٥﴾

القرآن بالتكذيب مُشاقين مغالين، أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبداً.

[٥٢] وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ ما أرسل به من الآيات ألقى الشيطان في قرآته الوسواس والشبهات؛ ليصدّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان. فيزيل وسوسه، ويثبت آياته الواضحات. والله عليم بما كان ويكون. لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره.

[٥٣] وما كان هذا الفعل من الشيطان إلا ليجعله الله اختباراً للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقاسة القلوب من المشركين الذين لا يؤثّر فيهم زجر. وإن الظالمين من هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلافه للحق بعيد عن الصواب.

[٥٤] وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم. وإن الله لهادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال.

[٥٥] ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جنتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم، وهو يوم القيامة.

[٥٧، ٥٨] الْمَلِكُ وَالسَّلْطَانُ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقْضِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، لَهُمُ النَّعِيمُ الدَّائِمُ فِي الْجَنَّةِ.

وَالَّذِينَ جَحَدُوا وَحَدَانِيَةَ اللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَأَنكَرُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ يُخْزِيهِمْ وَيُهَيِّئُ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ.

[٥٨] وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لطلبِ الرِّضَا لِلَّهِ، وَنَصْرَةِ دِينِهِ، مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَهُوَ يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، لَمْ يَرْزُقْتَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا الَّذِي لَا يَنْقُطُ وَلَا يَزُولُ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ وَخَيْرُ الرَّازِقِينَ.

[٥٩] لِيَدْخُلْتَهُمُ اللَّهُ الْمُدْخَلَ الَّذِي يُحِبُّونَهُ وَهُوَ الْجَنَّةُ. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِمَنْ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِهِ، وَمَنْ يَخْرُجُ طلباً لِلدُّنْيَا، حَلِيمٌ عَمَّنْ عَصَاهُ، فَلَا يَعْجَلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

[٦٠] ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ إِدْخَالِ الْمُهَاجِرِينَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أُعْتِدِيَ عَلَيْهِ وَظَلِمَ فَقَدْ أُذِنَ

أَلَمْ تَلِكْ يَوْمَ يَدْعُ اللَّهُ تَحْتَهُ بَنِيكُمْ أَنْفُسًا يَدْعُونَ أَنفُسَهُمْ وَتَأْتُواهَا حَمَلًا فَذَرْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ كَثِيرٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَضْرَتِ النَّبِيِّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَوْمَافُوا لَمْ يَرْزُقْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَأَنَّ اللَّهَ لَهُمْ خَزَائِرُ الْأَرْزَاقِ لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخَلًا لَا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقِبَ بِهِ ثُمَّ بُعِثَ عَلَيْهِ نَصْرَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ الْيَدَّ فِي النَّهَارِ وَيُرِيدُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ

لَهُ أَنْ يُقَابِلَ الْجَانِي بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَادَ الْجَانِي إِلَى إِيْذَانِهِ وَيَعِي، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْمَظْلُومَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَدَى عَلَيْهِ بِسَبَبِ انْتِصَافِهِ لِنَفْسِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ، يَعْفُو عَنِ الْمُنْذَرِينَ فَلَا يَعْجَلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ.

[٦١] ذَلِكَ الَّذِي شَرَعَ لَكُمْ تِلْكَ الْأَحْكَامَ الْعَادِلَةَ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَمِنْ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَا يَنْقُصُ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَيَدْخُلُ مَا يَنْقُصُ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِكُلِّ صَوْتٍ، بَصِيرٌ بِكُلِّ فِعْلٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

[٦٢] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ الَّذِي لَا تُنْبِغِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ، وَأَنْ مَا يَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ عَلَى خَلْقِهِ ذَاتًا وَقُدْرًا وَقَهْرًا، الْمُتَعَالَى عَنِ الْأَسْبَابِ وَالْأَنْدَادِ، الْكَبِيرُ فِي ذَاتِهِ، وَأَسَانُهُ، وَصِفَاتُهُ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

[٦٣] أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطْرًا، فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً بِمَا يُنْبِتُ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ؟ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، بَاسْتِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ بِذَلِكَ الْمَاءِ، خَيْرٌ بِبَصَالِحِهِ.

[٦٤] اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقًا وَمَلَكًا وَعِبَادِيَّةً. كُلُّ مَحْتَاجٍ إِلَى تَدْبِيرِهِ، وَافْضَالِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنَى الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، الْمَحْمُودُ فِي كُلِّ حَالٍ.

[٦٥] ألم تر أن الله تعالى دَلَّلَ لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجماد لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم، كما دَلَّلَ لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره، فتحصلكم مع أمنعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يمسك السماء فيحفظها؛ حتى لا تقع على الأرض فيهلك مَنْ عليها إلا ياذنه سبحانه بذلك؛ إن الله لرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وأجلهم، ومن رحمته بهم ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلاً منه عليهم. [٦٦] وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم، ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، ثم يحييكم بالبعث لمحاسبتكم على أعمالكم. إن الإنسان لجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته. [٦٧] لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها، فلا ينازعنك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها، وادع إلى

أَلْتَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَاتِ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَنُمِسُّكَ السَّمَاءَ، أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِنْ اللَّهُ يَأْتِيكَ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْأِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ قَائِمُونَ فَلَا يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَخْتَارُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَقْرَأْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا سَأَلَ عَنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ يَتَّبِعْ تَعْرِيفَ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَقَاتِبُنْكَ يَسْرِينِ ذِكْرُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْتَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتباع أمره، إنك لعل دين قويم، لا اعوجاج فيه.

[٦٨] وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

[٦٩] الله تعالى يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة في أمر اختلافهم في الدين. وفي هذه الآية أدب حسن في الرد على مَنْ جادل تعنتاً واستكباراً.

[٧٠] ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملاً قد أثبتته في اللوح المحفوظ؟ إن ذلك العلم أمر سهل على الله الذي لا يعجزه شيء.

[٧١] ويصر كفار قريش على الشرك بالله مع ظهور بطلان ما هم عليه، فهم يعبدون آلهة، لم ينزل في كتاب من كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيما اختلقوه، وافتروا على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آباءهم بلا دليل. فإذا جاء وقت الحساب في الآخرة فليس للمشركين ناصر ينصرهم، أو يدفع عنهم العذاب.

[٧٢] وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين ترى الكراهة ظاهرة على وجوههم، يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته. قل لهم -أيها الرسول-: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟ النار أعدّها الله للكافرين في الآخرة، وبئس المكان الذي يصيرون إليه.

[٧٣] يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها من دون الله لن تقدر مجتمعة على خلق ذبابة واحدة، فكيف يخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك من عجز؟ فما ضعيفان معاً: ضَعْف الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضعف المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تُنقذ هذه الأصنام والأنداد آلهة، وهي بهذا الهوان؟

[٧٤] هؤلاء المشركون لم يعظموا الله حق تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء.. وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالب.

[٧٦، ٧٥] الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلاً إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلاً لتبليغ رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة من خلقه، وهو

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُ الذُّبَابَ شَيْئًا لَاسْتَنْقِذْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَضَعُ مِيزَانَ الْعَالَمِينَ مِنْ ثَمَرِهِ أَنْ تُرْسَلُوا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الذُّبَابُ ۖ اسْمُوا أَنْكُمْ وَأَسْجُدُوا وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِيدًا عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فِجْعَةَ الْعَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. وإلى الله وحده ترجع الأمور.

[٧٨، ٧٧] يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده، لا شريك له، وافعلوا الخير؛ لفلحوا، وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قياماً تاماً بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، ومخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضيق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سماكم الله المسلمين من قبل في الكتب المنزلة السابقة، وفي هذا القرآن. وقد اختصكم بهذا الاختيار؛ ليكون خاتم الرسل محمد ﷺ شاهداً عليكم بأنه بلغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى. وتوكلوا عليه، فهو نعم المولى لمن تولاها، ونعم النصير لمن استنصره.

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
 فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتغى
 وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ
 وَعَهْدِهِمْ رِذْوَانٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ
 هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً
 فِي قَرَارٍ رَاقِبِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكُنُوسًا الْعِظْمَ رِجًا ثُمَّ خَلَقْنَا
 أَنْثَاءَهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
 إِنَّا بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسْفُتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرِهْنَا الْبَيْعَةَ نَسْفُتُونَ ﴿١٦﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا فِرْعَوْنَ وَسُورَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْغَافِقِينَ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

[سورة المؤمنون]

- [١] قد فاز المصدقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه.
 [٢] الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاشعون.
 تُفْرَعُ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.
 [٣] والذين هم تاركون لكل ما لا خير فيه من الأقوال
 والأفعال.
 [٤] والذين هم مطهرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة
 أموالهم على اختلاف أجناسها.
 [٥] والذين هم لفروجهم حافظون مما حرم الله من
 الزنى واللواط وكل الفواحش.
 [٦] إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء.
 فلا لوم عليهم ولا حرج في جماعهن والاستمتاع
 بهن؛ لأن الله تعالى أحلهن.
 [٧] فمن طلب المتع بغير زوجته أو أمته فهو من
 المجاوزين الحلال إلى الحرام، وقد عرض نفسه
 لعقاب الله وسخطه.

[٨] والذين هم حافظون لكل ما أوتوا عليه، مؤفون بكل عهدهم.

[٩] والذين هم يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي ﷺ.

[١٠] هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة.

[١١] الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

[١٢] ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض.

[١٣] ثم خلقنا بنيه متناسلين من نطفة؛ هي مني الرجال تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

[١٤] ثم خلقنا النطفة علقة أي: دماً أحمر. فخلقنا العلقة بعد أربعين يوماً مضغاً أي: قطعة لحم قدر ما يُضغ.

فخلقنا المضغ اللينة عظماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي

أحسن كل شيء خلقه.

[١٥] ثم إنكم أيها البشر بعد أطوار الحياة وانقضاء الأعمار لميتون.

[١٦] ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُحْيَوْنَ يوم القيامة من قبوركم للحساب والجزاء.

[١٧] ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا تُغفل مخلوقاً، ولا ننسا.

[١٨] وأنزلنا من السماء ماء بقدر حاجة الخلائق، وجعلنا الأرض مستقراً لهذا الماء، وإننا على ذهاب بالماء المستقر لقادرون. وفي هذا تهديد ووعيد للظالمين.

[١٩] فأنشأنا بهذا الماء لكم بساتين النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه كثيرة الأنواع والأشكال، ومنها تأكلون.

[٢٠] وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور «سيناء»، يعصر منها الزيت، فيذهن ويؤتمد به.

[٢١] وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقرة والغنم لعمرة تعتبرون مخلقها، نُسقيكم مما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما، ومنها تأكلون.

[٢٢] وعلى الإبل والسفن في البر والبحر تُحمَلون.

[٢٣] ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، بدعوة التوحيد فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تحشون عذابه؟

[٢٤، ٢٥] فكذب به أشراف قومه، وقالوا العامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلاً عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ما سمعنا بمثل هذا فيمن سبقنا من آباء وأجداد. وما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانتظروا حتى يفيق، فترك دعوته، أو يموت، فمسترحبوا منه.

[٢٦] قال نوح: رب انصرني على قومي؛ بسبب تكذيبهم لي، فيما بلغتهم من رسالتك.

[٢٧] فأوحينا إليه أن اصنع السفينة برأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يجيز فيه- علامة على مجيء العذاب، فأدخِل في السفينة من كل الأحياء ذكراً وأنثى؛ ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا من سبق عليه لكفره كزوجتك وابنتك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين. فإنهم مفرقون لِحالة. وفي هذه الآية إثبات صفة العن لله سبحانه بما يليق به تعالى دون تشبيهه ولا تكيف.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُم فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَصَحْرَةً تَمُوجُ مِّنْ طُورٍ سِينَاءَ تُنْتِجُ بِالذَّهْنِ وَصَيْعٍ لِلْأَكْبَادِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكَ فِي الْأَعْنَابِ لَعِبْرَةٌ لِّشُعَيْبٍ مِّمَّا فِي بَطْنِهَا وَلَئِن لَّمْ يَكُفِ بِهَا مَنِعَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ لَحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَغُفِّرُوا عَنِّي وَارْتُكِبُوا الْفُلَ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَأْمُورُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾ فَقَالَ الْمَأْمُورُونَ لَكُنَّا بِكَ مِن قَبْلُ مَكِينًا وَمَرْغُوبِينَ ﴿٢٦﴾ وَمَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً مَّوْجًا مُّغْرَقًا ﴿٢٧﴾ وَإِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُحَادِّثُكُمْ فَتَقْرَأُوا لَهُ مِثْلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ فَاغْبِغُوا حَتَّىٰ يَسْمُرَ بِكُمْ فَاتَّخِذُوا مِن مِّرْوَجٍ مِّنْ أَرْضِ عَدُوِّكُمْ فَاصْهَبْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتٍ مُّصَوِّتَةٍ يُصَغِّرُ بِهِ بِلَابِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا حَافِيَ أَنْ يَتَنَادَىٰ الْمُتَكْفِرُونَ لِمَا كُنَّا بِاللَّهِ حَافِيَةً لَّا يَخْلِفُ الْعَاهِدُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّاجِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَذِلَّةٌ ﴿٢٩﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِمَا تُكْرِمُونَكَ لَنَجِيمٌ ﴿٣١﴾

[٢٨] فإذا استويت أنت ومن معك على الغلخ فقل الحمد لله الذي
نجّنا من القوم الظالمين ﴿٢٨﴾ وقل رب أنزل من السماء ماءً وأنزل
خير المنزّلين ﴿٢٩﴾ إن في ذلك لآياتٍ وأن كلاً لبصير ﴿٣٠﴾ ثم أنشأنا

من بعد هرقم قراءه آخرين ﴿٣١﴾ فأرسلنا فيهم رسلاً منهم إن أعتدوا
الله ما لكم من إله غيرة أفلا تتهفون ﴿٣٢﴾ وقال الملائكة من قومه
الذين كفروا وكذبوا بآية الأخرى وأترفتهم في الحياة الدنيا
ما هنا إلا بشرٌ مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون ﴿٣٣﴾ ولئن أطعتم بشراً مثلكم لئن أنكرنا لنغيرون ﴿٣٤﴾
أيذكر أنكم إذا أمرت وكفتم تراباً وعظاماً أنكم فخرجون ﴿٣٥﴾
• هيهات هيهات لما وعدت ﴿٣٦﴾ إن هي إلا حياتنا
الذين نكفون ونحيا وما نحن بمغيثين ﴿٣٧﴾ إن هو إلا
رسول أفرى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين ﴿٣٨﴾ قال رب
انصرف بما كذبون ﴿٣٩﴾ قال عمّا قليل ليصبحن ندميت ﴿٤٠﴾
فأعدت لهم الصيحة بالحق فجعلتهم غثاءً فبئس ما للظالمين
﴿٤١﴾ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ﴿٤٢﴾

الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.
[٣٤] ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم أهلككم واتباعكم إياه.
[٣٥] كيف تصدقون ما يعدكم به من أنكم إذا مثم. وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرجون من قبوركم أحياء؟
[٣٦] بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرجون أحياء من قبوركم.
[٣٧] ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
[٣٨] وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بصديقين ما قاله لنا.
[٣٩] فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرفي عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.
[٤٠] وقال الله محبباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحن نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.
[٤١] ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكتهم الله بها، فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي
يظفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبغداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل
بهم ما حل بسابقيهم.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين.

الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.
[٣٤] ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم أهلككم واتباعكم إياه.
[٣٥] كيف تصدقون ما يعدكم به من أنكم إذا مثم. وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرجون من قبوركم أحياء؟
[٣٦] بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرجون أحياء من قبوركم.
[٣٧] ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
[٣٨] وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بصديقين ما قاله لنا.
[٣٩] فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرفي عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.
[٤٠] وقال الله محبباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحن نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.
[٤١] ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكتهم الله بها، فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي
يظفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبغداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل
بهم ما حل بسابقيهم.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين.

الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.
[٣٤] ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم أهلككم واتباعكم إياه.
[٣٥] كيف تصدقون ما يعدكم به من أنكم إذا مثم. وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرجون من قبوركم أحياء؟
[٣٦] بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرجون أحياء من قبوركم.
[٣٧] ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
[٣٨] وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بصديقين ما قاله لنا.
[٣٩] فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرفي عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.
[٤٠] وقال الله محبباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحن نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.
[٤١] ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكتهم الله بها، فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي
يظفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبغداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل
بهم ما حل بسابقيهم.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين.

الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.
[٣٤] ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم أهلككم واتباعكم إياه.
[٣٥] كيف تصدقون ما يعدكم به من أنكم إذا مثم. وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرجون من قبوركم أحياء؟
[٣٦] بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرجون أحياء من قبوركم.
[٣٧] ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
[٣٨] وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بصديقين ما قاله لنا.
[٣٩] فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرفي عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.
[٤٠] وقال الله محبباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحن نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.
[٤١] ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكتهم الله بها، فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي
يظفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبغداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل
بهم ما حل بسابقيهم.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين.

الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم، يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.
[٣٤] ولئن اتبعتم فرداً مثلكم إنكم إذا لخاسرون بترككم أهلككم واتباعكم إياه.
[٣٥] كيف تصدقون ما يعدكم به من أنكم إذا مثم. وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تُخرجون من قبوركم أحياء؟
[٣٦] بعيد حقاً ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخرجون أحياء من قبوركم.
[٣٧] ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
[٣٨] وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بصديقين ما قاله لنا.
[٣٩] فدعا رسولهم ربه قائلاً: رب انصرفي عليهم؛ بسبب تكذيبهم لي.
[٤٠] وقال الله محبباً لدعوته: عمّا قليل ليصبحن نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.
[٤١] ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكتهم الله بها، فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي
يظفو على الماء، فهلكوا هؤلاء الظالمين وبغداً لهم من رحمة الله. فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل
بهم ما حل بسابقيهم.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمماً وخلق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَنْجِرُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا زَيْنَبًا
تَمَّ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ وَرَسُولُهَا كَذَّبُونَا فَآتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَاتٍ فَبِعَذَابِنَا يَسْتَفْتِحُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَهَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٩﴾ فَقَالُوا أَأَنزَلْنَا إِلَهُنَّ مِنَ السَّمَاءِ
وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٥٠﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥١﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَمَّا هَمَّ بِهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَجَعَلْنَا
أَيُّوبَ مُضًى وَآيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ ذِي قَرْيَاتٍ ثَوَابٍ وَبِيعِينَ ﴿٥٣﴾
بِأَيُّهَا الرُّسُلُ كُفُلًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَحِيدَةً وَأَنَا ذِكْرُكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٥﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ
فِرْيُونٌ ﴿٥٦﴾ فَذَرَفُوا عَنَّا فَمَا تَسْفَحُونَ ﴿٥٧﴾ فَجَاءَ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ
بِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِئِذٍ ﴿٥٨﴾ فَسَارِعَ إِلَيْهِمْ فَنَمَسَ لَلْغَيْبِ بَلْ لَاشْفَعُونَ ﴿٥٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفَعُونَ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾

[٤٦] ما تقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لها كلها، ولا تتأخر عنه.

[٤٧] ثم أرسلنا زينا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضاً، كلما دعا رسول أمته كذبوه، فأتينا بعضهم بعضاً بالهلاك والدمار، ولم يبق إلا أخبار هلاكهم، وجعلناها أحداثاً لمن بعدهم، يتخذونها عبرة، فهلاكاً وسخفاً لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم.

[٤٨، ٤٩] ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع وهي: العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والظوفان والسنون ونقص من العسرات، حجة بيّنة تقهر القلوب فتفتقد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة على العاندين، أرسلناها إلى فرعون حاكم مصر، وأشرف قومه، فاستكبروا عن الإيمان بموسى وأخيه، وكانوا قوماً متطاولين على الناس قاهرين لهم بالظلم.

[٤٧] فقالوا: أنصدق فردين مثلنا، وقومها من بني إسرائيل تحت إمرتنا مطيعون متذللون لنا؟

[٤٨] فكذبوهما فيما جاءا به، فكانوا من المهلكين بالفرق في البحر.

[٤٩] ولقد آتينا موسى التوراة؛ ليهتدي بها قومه إلى الحق.

[٥٠] وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لها مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جارٍ ظاهر للعيون.

[٥١] يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة، إنني بما تعملون عليم، لا يخفى عليّ شيء، من أعمالكم، والخطاب في الآية عام للرسل - عليهم السلام - وأتباعهم، وفي الآية دليل على أن أكل الحلال عون على العمل الصالح، وأن عقابته الحرام وخيمة، ومنها رد الدعاء.

[٥٢] وإن دينكم - يا معشر الأنبياء - دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري. [٥٣] فتفرق أتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أدياناً بعد ما أمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل. وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين.

[٥٤] فاتركهم - أيها الرسول - في ضلالتهم وجهلهم بالحق إلى أن ينزل العذاب بهم.

[٥٥، ٥٦] أليظن هؤلاء الكفار أن ما نهدم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟ إنما نعجل لهم الخير فتنة لهم واستدرجاً، ولكنهم لا يجشون بذلك.

[٥٧] إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وجلون مما خوفهم الله تعالى به.

[٥٨] والذين هم يصدقون بآيات الله في القرآن، ويعملون بها.

[٥٩] والذين هم يخلصون العبادة لله وحده، ولا يشركون به غيره.

[٦٠] والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تُقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب.

[٦١] أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

[٦٢] ولا نكلف عبداً من عبادنا إلا بما يسعه العمل به، وأعمالهم مسطورة عندنا في كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة بنطق بالحق عليهم، ولا يُظلم أحد منهم.

[٦٣] لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه، ولهم مع شركهم أعمال سيئة، يُهلهم الله ليعملوها، فبنالوا غضب الله وعقابه.

[٦٤] حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعدابنا، إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

[٦٥] يقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا اليوم، إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله.

[٦٦] قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم؛ لتؤمنوا بها، فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا قُلُوبُهُمْ وَجِلَةً أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نَكِيفُ
 نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَبْلُغُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْتَدْنَا مِنْ ذَوْنِ ذَٰلِكَ
 هَرَجًا لَّهَا عَمَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
 يَجْعَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لِكُم مِّنَّا أَتْعَبُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَا
 مَا بَيْنَ يَدَيْنَا لِقَوْمِكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَسَبَّحْتُم مِّنْ
 مُّسْتَكْبِرِينَ بِهِ. سَمِعْتُمْ نَجْمَ الْجُوزِ ﴿٦٦﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ
 جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
 فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِقَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
 وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْبَيْتُهُمْ بِذِكْرِ هَرَجَةٍ
 عَنْ ذِكْرِهِمْ فَعْرِضُوا ﴿٧٠﴾ أَمْ تَسْتَأْذِنُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ وَرَيْكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّايِقِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٢﴾
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُوكَ ﴿٧٣﴾

كما يفعل الناكص على عقبيه يرجوعه إلى الوراء.

[٦٧] تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام. تقولون: نحن أهله لا نُغلب فيه، وتتسامرون حوله بالسئ من القول.

[٦٨] أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت آباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟

[٦٩] أم منعهم من اتباع الحق أن رسولهم محمداً ﷺ غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟

[٧٠] بل أحسبوه مجنوناً؟ لقد كذبوا؛ فإنما جاءهم بالقرآن والتوحيد والدين الحق، وأكثرهم كارهون للحق حسداً وبغياً.

[٧١] ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن. بل أتيناها بما فيه عزهم وشر فهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

[٧٢] بل أمتنعهم من الإيمان أنك -أيها الرسول- تسألهم أجراً على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك، فإن ما عند الله من العواب والعطاء خير، وهو خير الرازيق، فلا يقدر أحد أن يريزق مثل رزقه سبحانه وتعالى.

[٧٣] وإنك -أيها الرسول- لتدعو قومك وغيرهم إلى دين قويم، وهو دين الإسلام.

[٧٤] وإن الذين لا يصدقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لها، عن طريق الدين القويم لمانلون إلى غيره.

[٧٥] ولو رحمتهم وكشفنا عنهم ما بهم من قحط وجوع لتمادوا في الكفر والعناد، يتحتمون ويتخطون.

[٧٦] ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب فما خضعوا لربهم، وما دعوه خاشعين عند نزولها.

[٧٧] حتى إذا فتحنا عليهم باباً من العذاب الشديد في الآخرة، إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون.

[٧٨] وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك السموعات، والأبصار لإدراك المرئيات، والأفئدة لتفقهوا بها، ومع ذلك فشركم هذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يذكركم.

[٧٩] وهو الذي خلق جميع الناس في الأرض، وإليه تحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما علمتم من خير أو شر.

[٨٠] وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، أفلا تعقلون قدرته ووحدانتيه؟

[٨١] لكن الكفار لم يصدقوا بالبعث، بل ردّدوا مقولة أسلافهم المنكرين.

[٨٢] قالوا: إذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا في تراب الأرض نجياً مرة أخرى؟ هذا لا يكون ولا يُتصور.

[٨٣] لقد قيل هذا الكلام لأبائنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ما هذا إلا أباطيل الأولين.

[٨٤] قل لهم: لمن هذه الأرض ومن فيها إن كان لديكم علم؟

[٨٥] سيترفون حتماً بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكّر بأنه قادر على البعث والنشور؟

[٨٦] قل من رب السموات السبع وربّ العرش العظيم، الذي جعله الله أعظم المخلوقات وأعلاها؟

[٨٧] سيقولون حتماً: هي ملك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟

[٨٨] قل: من مالك كل شيء ومن بيده خزائن كل شيء، ومن يجير من استجار به، ولا يقدر أحد أن يجير ويحيي من أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟

[٨٩] سيحيون: بأن ذلك كله لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتخذعون وتضرفون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟

• وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَعَدْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ سَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَهَآءَ آدَمِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا هَآءَ تَأَمَّنُوعُوا لَمَّا هُم بَشَرٌ لَقَدْ بَعَدْنَا لَكُمُ الْوَيْبَ وَإِنَّا هُنَا مِنْ قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٢﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا يَعْلَمُ تَدَكَّرُونَ ﴿٨٤﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿٨٨﴾

[٩٠] بل أتينا هؤلاء المنكرين بالحق فيما أرسلنا به محمداً ﷺ، وإنهم لكاذبون في شركهم وإنكارهم البعث.

[٩١] لم يجعل الله لنفسه ولداً، ولم يكن معه من معبود آخر؛ لأنه لو كان ثمة أكثر من معبود لا نفرَد كل معبود بسخولقاته، ولكن بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختل نظام الكون، تنزّه الله سبحانه وتعالى وتقدّس عن وصفه له بأن له شريكاً أو ولداً.

[٩٢] هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه، فتنزّه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون.

[٩٣، ٩٤] قل -أيها الرسول-: ربّ إما تربيّني في هؤلاء المشركين ما تعذّبهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين الظالمين، ولكن اجعلي من رضيت عنهم.

[٩٥] وإنا لنقادرون على أن نريك ما تعذّبهم من العذاب.

[٩٦] إذا أساء إليك أعداؤك -أيها الرسول- بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم

بالإحسان منك إليهم. نحن أعلم بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وستجازيهم عليه أسوأ الجزاء. [٩٨، ٩٧] وقل -أيها النبي-: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق ووسوستها، وأستجير بك -يا رب- من حضورهم في شيء من أموري.

[٩٩] يخبر الله تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المفرطين في أمره تعالى، حتى إذا أشرف على الموت، وشاهد ما أعيد له من العذاب قال: رب ردوني إلى الدنيا.

[١٠٠] لعليّ أستدرك ما ضيّعت من الإيمان والطاعة، ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب، ولا يُهْمَل، فإنما هي كلمة هو قائلها قولا لا ينفعه، وهو فيه غير صادق، فلورُدُّ إلى الدنيا لعاد إلى ما نُهي عنه، وسببتي المتوفّون في الحاجز والبرزخ الذي بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور.

[١٠١] فإذا كان يوم القيامة، ونفخ الملك المكلف في «القرن»، وبعث الناس من قبورهم، فلا تفاخر بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحداً.

[١٠٢] فمن كثرت حسناته وتقلّبت بها موازين أعماله عند الحساب، فأولئك هم الفائزون بالجنة.

[١٠٣] ومن قلّت حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم، في نار جهنم خالدون.

[١٠٤] تحرق النار وجوههم، وهم فيها عابسون تقلّصت شفاههم، وبرزت أسنانهم.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْوَالِدِ إِذَا ذُكِرَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَنَجِدُنَا اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٥١﴾ عَلَيْهِ الْعَقِيبُ وَالشَّهَادَةُ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا يُتَّبَعِ مَا يُوعَدُونَ ﴿٥٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِنِّي عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا وَعَدْتَهُمْ لَقَدْ زُورُوا ﴿٥٥﴾ أَذِيقُ بِالنَّارِ مَن أَحْسَنَ التَّسْبِيحِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٥٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٥٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٥٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٥٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦٠﴾ إِذَا نْفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ ﴿٦٣﴾ تَلْعَقُ لُجُوجُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿٦٤﴾

[١٠٥] يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

[١٠٦] لما بلغتهم الرسل وأندرتهم قالوا يوم القيامة: ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدرة علينا في سابق علمك، وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى.

[١٠٧] ربنا أخرجنا من النار، وأعدنا إلى الدنيا، فإن رجعنا إلى الضلال فإننا ظالمون نستحق العقوبة.

[١٠٨] قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء ولا تحاطبوني، فانقطع عند ذلك دعاؤهم ورجاؤهم.

[١٠٩] إنه كان فريق من عبادي - وهم المؤمنون - يدعون: ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

[١١٠] فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتم على تكذيبكم، وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

[١١١] إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة؛ بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

[١١٢] ويُسأل الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيعتم فيها من طاعة الله؟

[١١٣] قالوا لول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يوماً أو بعض يوم، فاسأل الحشاب الذين يعدون الشهور والأيام.

[١١٤] قال لهم: ما لبثتم إلا وقتاً قليلاً لو صيرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك؛ وذلك لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جداً بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار.

[١١٥] أفحسبتم - أيها الخلق - أننا خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء؟

[١١٦] فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعدته حق، ووعيدته حق، وكل شيء منه حق، وثقَّدس عن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً، لا إله غيره ربُّ العرش الكريم، فعرش الرحمن موصوفٌ بالكريم؛ لشرفه، والعرش أعظم المخلوقات.

[١١٧] ومن يعبد مع الله الواحد إلهاً آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيئ عند ربه في الآخرة، إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.

[١١٨] وقل - أيها النبي -: ربِّ تجاوز عن الذنوب وارحم؛ وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا تَنْتَلِي عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
 قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا مَشِئَتَنَا وَكَانُوا صَالِحِينَ ﴿١٠٦﴾
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
 قَالَ أَخْتَرْتُمْ لَهَا وَأَلَّا تَكْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقًا مِمَّنْ
 يَعْبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا، آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِرْحَانًا حَتَّىٰ أَنْتَوُكِرُوكَ فِي
 وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنْ يَرَوْهُمُ الْيَوْمَ بِمَاصِرِّوًا
 أَتَّخَذْتُمْ مِنْهُمْ أَهْلًا مَّيْمُونًا ﴿١١١﴾ قُلْ كُذِّبْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَّةً
 سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْبَيْتَاقُ مَا أَوْتِصَّ يَوْمَ قُتِلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾
 قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾
 أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾
 فَتَعَالَى اللَّهُ الْعَلِيُّ الْخَلِيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ
 فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة أنزلناها وقرضناها وأنزلنا فيها آيات يتبين لعلكم تتذكرون ﴿١﴾
 الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذوا بهما
 رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
 طابفة من المؤمنين ﴿٢﴾ الزاني لا ينكح إلا الزانية أو مشركه والزانية
 لا ينكحها إلا الزان أو مشركه وحرم ذلك على المؤمنين ﴿٣﴾ والذين
 يرمون المحصنات فزرنها أو بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
 جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴿٤﴾ إلا
 الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله عفوف رحيم ﴿٥﴾ والذين
 يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهدوا أربع
 شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴿٦﴾ ولتؤسسه أن لعنت الله عليه
 إن كان من الكاذبين ﴿٧﴾ وينذروا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات
 بالله إنه لمن الكاذبين ﴿٨﴾ ولتؤسسه أن غضب الله عليها إن كان من
 الصادقين ﴿٩﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله تواب حكيم ﴿١٠﴾

[سورة النور]

[١] هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها. وأوجبنا العمل بأحكامها. وأنزلنا فيها دلالات واضحات؛ لتذكروا - أيها المؤمنون - بهذه الآيات البينات. وتعملوا بها.

[٢] الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج. عقوبة كل منهما مائة جلدة بالسوط. وثبت في السنة مع هذا الجلد التعريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها. إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام، وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين؛ تشجيعاً وزجراً وعظة واعتباراً.

[٣] الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا يُقرب بجرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقرب بجرمة الزنى. أما العفيفون والعفيفات فإنهم لا يرضون بذلك، وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين. وهذا

دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب. وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب.

[٤] والذين يتهمون بالفاحشة أنفسهم عفيفة من النساء والرجال من دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول، فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة؛ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً. وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

[٥] لكن من تاب وندم ورجع عن اتهامه وأصلح عمله. فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه. ويقبل توبته.

[٦، ٧] والذين يرمون زوجاتهم بالزنى. ولم يكن لهم شهادت منهن. فعل الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رميتها به من الزنى. ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذباً في قوله.

[٨، ٩] ويشهادته تستوجب الزوجة عقوبة الزنى. وهي الرجم حتى الموت. ولا يدفع عنها هذه العقوبة إلا أن تشهد في مقابل شهادته أربع شهادات بالله إنه لكاذب في اتهامها لها بالزنى. وتزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسها باستحقاقها غضب الله، إن كان زوجها صادقاً في اتهامها لها، وفي هذه الحال يفرق بينهما.

[١٠] ولولا فضل الله عليكم ورحمته - أيها المؤمنون - بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحل بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، وأن الله تواب لمن تاب من عباده، حكيم في شرعه وتديب.

[١١] إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين - لا تحسبوا قولهم شرّاً لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك من ثمرته أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزء، فعله من الذنب، والذي تحمّل معظمه، وهو عبدالله بن أبي بن سلول كبير المنافقين - لعنه الله - له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

[١٢] هلأ ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيراً عند سماعهم ذلك الإفك، وهو السلامة مما رما به، وقالوا: هذا كذب ظاهر على عائشة رضي الله عنها. [١٣] هلأ ألقى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله. [١٤] ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم، بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجل عقوبتكم، وتاب على من تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِمَّنْ كَانُوا تَحْسَبُونَ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَوْ سَاءُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُم بِاللَّيْنَتِمْ كَرِهْتُمْ فَلَوَّوْا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُم هَيْبًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[١٥] حين تنتقمون الإفك وتناقضونه بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئاً هيناً، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

[١٦] وهلأ قلتم عند سماعكم إياها: ما يجئ لنا الكلام بهذا الكذب، تنزيهاً لك - يا رب - من قول ذلك على زوجة رسولك محمد ﷺ، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب.

[١٧] يذكركم الله وينهاكم أن تعودوا أبداً لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين به.

[١٨] ويبيّن الله لكم الآيات المشتبهة على الأحكام الشرعية والمواضع، والله عليكم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتديبه.

[١٩] إن الذين يحبون شيوخ الفاحشة في المسلمين من قذوف الزنى أو أي قول سيئ لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحسد عليهم، وغيره من البلايا الدنيوية، وهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله - وحده - يعلم كذبهم، ويعلم مصالح عباد، وعواقب الأمور، وأنتم لا تعلمون ذلك.

[٢٠] ولولا فضل الله على من وقع في حديث الإفك ورحمته بهم، وأن الله يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، لما بيّن هذه الأحكام والمواضع، ولعاجل من خالف أمره بالعقوبة.

[٢١] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تسلكوا طرق الشيطان، ومن يسلك طرق الشيطان فإنه يأمر ببيع الأفعال ومنكراتها، ولولا فضل الله على المؤمنين ورحمته بهم ما ظهر منهم أحد أبداً من دنس ذنبه، ولكن الله -بفضله- يظهر من يشاء. والله سميع ألو الحكم، عليم بنياتكم وأفعالكم.

[٢٢] ولا يخلف أهل الفضل في الدين والسعة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والمهاجرين في سبيل الله، ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه، وليتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوهم. ألا تحبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحث على العفو والصفح، ولو قوبل بالإساءة.

[٢٣] إن الذين يقدفون بالزنى العفيفات الغافلات المؤمنات اللاتي لم يختر ذلك بقلوبهن، مطرودون من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم في نار جهنم. وفي هذه الآية دليل على كفر من سب،

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُلُوطَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُلُوطَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلَ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُولُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ أَنْ لَا يَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْتَبِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَزْوَاجَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ يَمْرُؤُونَ بِمَا يُؤْمَرُونَ وَهُمْ يَقْبَلُونَهُ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدِ افْتَرَى عَلَيَّ كُفْرًا وَلَهُمْ فِي النَّارِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٦﴾

أو اتهم زوجة من زوجات النبي ﷺ بسوء.

[٢٤] ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقت، وتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت.

[٢٥] في هذا اليوم يوفيهم الله جزاءهم كاملاً على أعمالهم بالعدل، ويعلمون في ذلك الموقف العظيم أن الله هو الحق المبين الذي هو حق، ووعده حق، ووعيدته حق، وكل شيء منه حق، الذي لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

[٢٦] كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للخبيث وموافق له، وكل طيب من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب لطيب وموافق له، والطيبون والطيبات مبرؤون مما يرميهن به الخبيثون من السوء، لهم من الله مغفرة تستغرق الذنوب، ورزق كريم في الجنة.

[٢٧] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا أهلها في الدخول وتسلموا عليهم. وصيغة ذلك من السنة: السلام عليكم أَدْخَلْ؟ ذلكم الاستئذان خير لكم؛ لعلكم تتذكرون -بفعلكم له- أوامر الله، فتطيعوه.

[٢٨] فإن لم تجدوا في بيوت الآخرين أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم أن رجوعوا فارجعوا، فإن لم يؤذنوا، بل تدخلوها حتى يوجد من يأذن لكم، فإن لم يؤذن، بل قال لكم: ارجعوا فارجعوا، ولا تلجأوا، فإن الرجوع عندئذ أظهر لكم؛ لأن للإنسان أحوالاً يكره اطلاع أحد عليها. والله بما تعملون عليم. فيجازي كل عامل بعمله.

[٢٩] لكن لا حرج عليكم أن تدخلوا بغير استئذان بيوت ليست مخصصة لسكنى أناس بذاتهم، بل ليتمتع بها من يحتاج إليها كالبيوت المعدّة صدقة لابن السبيل في طرق المسافرين وغيرها من المرافق، ففيها منافع وحاجة لمن يدخلها. وفي الاستئذان مشقة. والله يعلم أحوالكم الظاهرة والخفية.

[٣٠] قل - أيها النبي - للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما لا يحلّ لهم من النساء والعورات. ويحفظوا فروجهم عما حرم الله من الرزق واللواط، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أظهر لهم. إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

[٣١] وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْ رَجِعُوا فَارْجِعُوا أُولَٰئِكَ لَكُمْ وَأَلَّيْكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَرَىٰ لَهُنَّ مِنْ اللَّهِ حَيْزًا بَمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ خَبْرِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْاطْفَالَ الَّذِينَ لَا يَرْفَعُونَ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوَاضَعْنَ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُسَوِّمَاتِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

يحلّ لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عما حرم الله، ولا يظهرن زينتهن للرجال. بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات أعلى ثيابهن من جهة صدورهن؛ ليكمل سترهن، ولا يظهرن الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها كالوجه، والعنق، واليد، والساعدين بياح رؤيتهن لأبائهن، أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن، أو أبناء أزواجهن. أو إخوانهن. أو أبناء إخوانهن. أو أبناء أخواتهن، أو نساتهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكت من العبيد. أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء. مثل البله الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب. أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء. ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سترهن بأرجلهن ليشيعن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة. واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تموزوا بخيري الدنيا والآخرة.

[٣٢] وزوجوا- أيها المؤمنون- من لا زوج له من الأحرار والحرث والصالحين من عبيدكم وجواربكم، إن يكن الراغب في الزواج فقيراً ليعنه الله من واسع رزقه، والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده.

[٣٣] والذين لا يستطيعون الزواج لفقيرهم أو غيره فليطلبوا العفة عمّا حرّم الله حتى يغنيهم الله من فضله، وييسر لهم الزواج. والذين يريدون أن يتحرروا من العبيد والإماء بمكاتبة أسيادهم على بعض المال يؤدونه إليهم، فعل مالكيهم أن يكتبوهم على ذلك إن علموا فيهم خيراً، من رشد وقدره على الكسب وصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم شيئاً من المال أو أن يحطوا عنهم مما كتبتوا عليه. ولا يجوز لكم إكراه جواربكم على الزنى طلباً للمال، وكيف يقع منكم ذلك وهم يُرذّن العفة وأنتم تأبونها؟ وفي هذا غاية التشنيع لفعلمهم القبيح. ومن يكرههن على الزنى فإن الله تعالى من بعد إكراههن غفور لمن رحيم بهن، والإثم على من أكرههن.

[٣٤] ولقد أنزلنا إليكم- أيها الناس- آيات القرآن دلالات واضحات على الحق، ومثلاً من أخبار الأمم السابقة المؤمنين منهم والكافرين، وما جرى لهم وعليهم ما يكون مثلاً وعبرة لكم، وموعظة يتعظ بها من يتقي الله ويحذُر عذابه.

[٣٥] الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلها، فهو -سبحانه- نور، وحجابه نور. به استنارت السموات والأرض وما فيهما، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالَى لتراكت الظلمات بعضها فوق بعض. مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن كمشكاة، وهي الكؤُة في الحائط غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكؤُة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها -لصفانها- كوكب مضي، كاللؤلؤ، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون. لا شريعة فقط. فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، يكاد زيتها -لصفانها- يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا تمّسه النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن. والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن من يشاء، ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

[٣٦] هذا النور المضيء في مساجد أمر الله أن يُرفع شأنها وبنائها، ويُذكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل، وغير ذلك من أنواع الذكر، يُصَلِّي فيها لله في الصباح والمساء:

وَأَنْكحُوا الْأَيَّامَ مِنَ الْعَامِلِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَآمَاتِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَتِ الضُّعْفَى الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ كَثِيرًا حَتَّى يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ وَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ يَتَّبِعُونَ مِنْ
عَلَانَةٍ فِيهِمْ خَيْرٌ أَوْ أَنْزَلَهُمْ قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي تَشْكُرُونَ وَلَا تَكُونُوا
فَتَنِيكُمْ عَلَى الْيَمِينِ إِنْ أَرَدْتُمْ حَصْنًا لَتَنْتَفِعُوا عَرَضَ الْخَيْرَةِ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ وَاللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْيْقَةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ؛ وَلَوْلَا فَتَمَسَّهُ نَارٌ
لَأُنْزِلَتْ سَوَاقِطٌ مِنْ سَمَواتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي أَيُّوتِ آيَاتِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَهُ
وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَاءَ سَبِيحٍ لَهَا فِيهَا بِالْعَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾

[٣٧] رجال لا تُلَهِيمُهُمْ جَنَّةَ وَلَا نَعِيرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَأَيَّاتِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة لمستحقها، يخافون يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك. وتتقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟

[٣٨] ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم، ويزيدهم من فضله بمضاعفة حسناتهم. والله يرزق من يشاء بغير حساب، بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، وبلا عد ولا كيل.

[٣٩] والذين كفروا بربهم وكذبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أتاه لم يجده ماء. فالكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم يجد لها ثواباً، ووجد الله سبحانه وتعالى له بالمرصاد فوقاً جزاء عمله كاملاً. والله

سريع الحساب. فلا يستطيع الجاهلون ذلك الوعيد. فإنه لا بد من إتيانه.

[٤٠] أو تكون أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق يعلوه موج، ومن فوق الموج موج آخر. ومن فوقه سحب كثيف، ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، إذا أخرج الناظر يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلمات، فالكفار تراكت عليهم ظلمات الشرك والضلال وفساد الأعمال. ومن لم يجعل الله له نوراً من كتابه وستة نبيه يهتدي به فما له من هاد.

[٤١] ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يُسْجَعُ له مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَالطَّيْرِ، صَافَّاتٍ أَجْنَحَتْهَا فِي السَّمَاءِ تَسْبُحُ رَبَّهَا؟ كُلٌّ مَخْلُوقٌ قَدْ أُرْسِدَهُ اللَّهُ كَيْفَ يَصِلُ له وَيَسْبُحُه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِعٌ عَلَى مَا يَفْعَلُه كُلُّ عَابِدٍ وَمُسْتَبْحٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ بِذَلِكَ.

[٤٢] والله وحده ملك السموات والأرض. له السلطان فيهما، واليه المرجع يوم القيامة.

[٤٣] ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكماً. فينزل من بينه المطر؟ وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته بَرْدًا، فيصيب به مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَصْرِفُه عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ. يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب من شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه.

رَجَالٌ لَا تُلَهِيمُهُمْ جَنَّةَ وَلَا نَعِيرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَأَيَّاتِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَانَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخَسِبُهَا الظَّلْمَانُ مَاءً حَرِيًّا إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ سَيْتًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قُوَّةَهُ حِسَابَهُ. وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَلَّطْنَا فِي تَجْرَلُنِي يَفْسُقَهُ مَوْجٌ مِّن قُوَّةِهِ مَوْجٌ مِّن قُوَّةِهِ. سَحَابٌ ظَلَمْتُمْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ، لَمْ يَكَدْ يَرِنُّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ الرَّتْرَانُ اللَّهُ يُسْجَعُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ الرَّتْرَانُ اللَّهُ يُجْرِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكْمًا فَتَتَرَى الْوَدَّ يَخْرُجُ مِنْ خِلَابِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَّابًا فِيهَا مِمَّن يَرْزُقُ صَيْبًا بِمَعْنَى يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَمَّنْ يَشَاءُ كَمَا كَادَ سَيَّارُ قُوَّةِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

[٤٤] ومن دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى أنه يقلب الليل والنهار بمجيء أحدهما بعد الآخر. واختلافهما طولاً وقصراً، إن في ذلك لهداية ليعتبر بها كل من له بصيرة.

[٤٥] والله تعالى خلق كل ما يبدي على الأرض من ماء، فللماء أصل خلقه، فمن هذه الدواب: من يشي زحفاً على بطنه كالحيات ونحوها، ومنهم من يشي على رجلين كالإنسان. ومنهم من يشي على أربع كالبهائم ونحوها. والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهو قادر على كل شيء.

[٤٦] لقد أنزلنا في القرآن علامات واضحات مرشحات إلى الحق. والله يهدي ويوقف من يشاء من عباده، إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام.

[٤٧] ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرها، ثم تعريض طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول. وما أولئك بالمؤمنين.

يُحِبُّ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّهَاتٍ مِّن مَّا يَخْتَفُونَ مِّنْ تَحْتِهَا مِن يَتَشَوَّجُ عَلَىٰ تَطْيِيسِهِمْ وَمِنْهُمْ مَّنْ
 يَتَشَوَّجُ عَلَىٰ رِجَالَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَتَشَوَّجُ عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَّبِينَاتٍ
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَيَقُولُونَ
 ءَأَنبَأُكَ اللَّهُ يَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٍ مِنْهُمْ مِّن بَعْدِ
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمَا إِذَا فِرْقٍ مِنْهُمْ فَعَرِضُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ
 يَأْتُوا إِلَيْهِمْ مُذْعِبِينَ ﴿٤٨﴾ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرَاتِبُوا أَنَّهُمْ إِذَا
 أَن يُحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ أَعْلَىٰ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّمَا
 كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمَا أَن
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي تَوَقَّعَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥١﴾
 ؕ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرُوا لَيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ
 لَا تَقِيبُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٨] وإذا دعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب الله وإلى رسوله، ليحكم بينهم، إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه.

[٤٩] وإن يكن الحق في جانبهم فإنهم يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام طائعين متقادين لحكمه؛ لعلمهم أنه يقضي بالحق.

[٥٠] استسبب الإعراض ما في قلوبهم من مرض النفاق، أم شكوا في نبوة محمد ﷺ، أم السبب خوفهم أن يكون حكم الله ورسوله جائراً كلاً، إنهم لا يخافون جوراً، بل السبب أنهم هم الظالمون الفجرة.

[٥١] أما المؤمنون حقاً فدأبهم إذا دعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قبل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك، وأولئك هم المفلحون الفائزون بطلوبهم في جنات النعيم.

[٥٢] ومن يطع الله ورسوله في الأمر والنهي، ويخف عواقب العصيان، ويحذر عذاب الله، فهؤلاء هم الفائزون بالنعيم في الجنة.

[٥٣] وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهادهم في الأيمان المغلظة؛ لئن أمرتنا -أيها الرسول- بالخروج للحجاء معك لنخرجن، قل لهم: لا تحلفوا كذباً، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خبير بما تعملونه، وسيجاز بكم عليه.

[٥٤] قل - أيها الرسول- للناس: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن تعرضوا فإنما على الرسول فعل ما أمر به من تبليغ الرسالة. وعلى الجميع فعل ما كلفوه من الامتثال، وإن طيعوه ترشدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا أن يبلغ رسالة ربه بلاغاً بيناً.

[٥٥] وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خفاء فيها، مثلما فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسله، وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم - وهو الإسلام - ديناً عزيزاً مكيناً، وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئاً، ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، ووجد نعم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

[٥٦] وأقيموا الصلاة تامة، وآتوا الزكاة لمستحقيها، وأطيعوا الرسول ﷺ؛ رجاء أن يرحمكم الله.

[٥٧] لا تظننَّ الذين كفروا معجزين الله في الأرض، بل هو قادر على إهلاكهم، ومرجعهم في الآخرة إلى النار، وقبح هذا المرجع والمصير. وهو توجيه عام للأمم، وإن كان الخطاب فيه للرسول ﷺ.

[٥٨] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره مُروا عبيدكم وإمامكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم وليس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقبولة في الظهيرة. ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يُقَلُّ فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، فهم طوافون عليكم للخدمة، ولأن العادة جرت بتردد بعضهم إلى بعض فيها لقضاء المصالح، كما بينَّ الله لكم أحكام الاستئذان بيِّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُهْمُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِكرَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ذَلِكَ مَرْثَبٌ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصَوَّرُونَ ثِيَابِكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَٰلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَأَلَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٥٩] وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما يبيّن الله آداب الاستئذان يبيّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.

[٦٠] والعجائز من النساء اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة لكبرهن، فلا يطمعن في الرجال للزواج، ولا يطمع فيهن الرجال كذلك، فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء الذي يكون فوق الثياب غير مظهرات ولا متعرضات للزينة، ولئسهن هذه الثياب - سترًا وتعففًا - أحسن لهن. والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.

[٦١] نيس على أصحاب الأعدار من الغميان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرّون على القيام بها، كالجهاد ونحوه مما يتوقف على

وإذا بلغ الأطفال منكم الحمار فليستئذوا كما استئذّن الذرّ من قبلهم كذلك بيّن الله لكم آياته. والله عليم بحكمته. والقواعد من النساء التي لا يبرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن. والله سميع عليم. ليس على الأعرج حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت عمّاتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت عمّاتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكت أيمانكم من بيوتكم أو صديقكم أو ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا فإذا دخلتم بيوتًا فقولوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تعقلون.

بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض. وليس على أنفسكم - أيها المؤمنون - حرج في أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعمّاتكم وإخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وُكِّمتم بحفظها في غيبة أصحابها بإذنه، أو من بيوت الأصدقاء، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتًا مسكونة أو غير مسكونة فليسلم بعضكم على بعض بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا لم يوجد فيها أحد. وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تُنبي المودة والمحبة. طيبة محبوبة للسامع، بمثل هذا التبيين يبيّن الله لكم معالم دينه وآياته، لتعقلوها، وتعملوا بها.

[٦٢] إنما المؤمنون حقاً هم الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم يتصرف أحد منهم حتى يستأذنه، إن الذين يستأذنونك -أيها النبي- هم الذين يؤمنون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذنونك لبعض حاجتهم فأذن لمن شئت ممن طلب الإذن في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

[٦٣] لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبد الله، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قد يعلم الله المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي ﷺ خفية بغير إذنه، يلبس بعضهم ببعض، فليخذر الذين يخالفون أمر رسول الله أن تنزل بهم محنة وشر، أو يصيبهم عذاب مؤلم موجه في الآخرة.

[٦٤] ألا إن الله ما في السموات والأرض خلقاً ومُلْكاً وعبادة، قد أحاط علمه بجميع ما أنتم عليه، ويوم يرجع العباد إليه في الآخرة، يخبرهم بعملهم، ويجازيهم عليه، والله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم.

[سورة الفرقان]

[١] عَظَّمَتْ بَرَكَاتِ اللَّهِ، وكثرت خيراته، وكملت أوصافه سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد ﷺ؛ ليكون رسولاً للإنس والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله.

[٢] الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء فسواء على ما يناسبه من الخلق، وفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّمَا الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوَّلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ وَلَئِن لَّمْ يَنْتَهِبُوا لِيُخَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ فَسَأَلَ اللَّهُ عَنِ امْرِئِهِمْ فَقَدْ أَفْضَىٰ مَا فِيهِمْ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرْقِطُ ۖ أَنْ يُلْقَوْا بِهِ حَطَبًا ۗ أَوْ نُجُومًا ۚ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ امْتَنَعَتْ رَبُّهُمْ أَنْ يُتَجِدُوا فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ذِي الْإِزْنِ ۚ إِنَّهُمْ مُخِلُّوهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ يُرْسِلُ الرِّيَّاسَاتُ إِلَىٰ بُنْيَامَ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ أَبْنَاءَهُمْ عَلَىٰ مَا يَدْعُوا بِهِمْ بِالْحَقِّ ۚ أَذْنَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا ﴿٦٤﴾

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ۚ لِيُكَفِّرَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ۚ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ۚ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مِقْدَرًا ﴿٢﴾

[٣] واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله لا تستطيع خلق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دفع ضرر أو جلب نفع، ولا تستطيع إمانته حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حياً من قبره.

[٤] وقال الكافرون بالله: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد، وأعانه على ذلك أناس آخرون، فقد ارتكبوا ظلماً فظيماً، وأتوا زوراً شنيعاً؛ فالقرآن ليس مما يمكن لبشر أن يختلقه.

[٥] وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استنسخها محمد، فهي تُقرأ عليه صباحاً ومساءً.

[٦] قل -أيها الرسول- هؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بما في السموات والأرض، إنه كان غفوراً لمن تاب من الذنوب

وَأَلَمَدُوا مِنْ دُونِهِ: «الهِمَّةُ لَا يَخْلُقُونَ سَيِّئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَنْفَعُوا وَلَا يَضُرُّوا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: «إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَكْرُورٌ فَقَدْ جَاءَ وَظَلَمْنَا وَرُورًا» وَقَالُوا: «أَسْطِيزَا الْأَوْلِيَاءِ أَكْثَمْتُمَا فَيَنْ تَعَلَّى عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا» قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَقَالُوا: «مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْتِيكُمُ الْأَطْعَامَ وَيَمْسِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ نُنزِلُ إِلَيْهِ كِتَابًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ: «إِنْ تَشِيعُرُ إِلَّا رَجُلًا يُسْخَرُ» أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا بَدَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا

والمعاصي، رحيماً بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٨، ٧] وقال المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول الله -يعنون محمداً ﷺ- يأكل الطعام بمثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟ فهل أرسل الله معه ملكاً يشهد على صدقه، أو يهبط عليه من السماء كثر من مال، أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها، وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ما تتبعون أيها المؤمنون إلا رجلاً به سحر غلب على عقله.

[٩] انظر -أيها الرسول- كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبُعدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء.

[١٠] غلظت بركات الله، وكثرت خيراتاه، الذي إن شاء جعل لك -أيها الرسول- خيراً مما تمثّوه لك، فجعل لك في الدنيا حدائق كثيرة تنخللها الأنهار، ويجعل لك فيها قصوراً عظيمة.

[١١] وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء، وأعدنا لمن كذب بالساعة ناراً حارة تُسعر بهم.

إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝
 وَإِذَا أَلْفَاةٌ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّبِينَ دَعَوْا هَٰذَا لَبِثَ نُبُورًا ۝
 لَّا تَدْعُوا إِلَيْهِمْ نُبُورًا وَحَدًّا وَأَدْعُوا إِلَيْهِمْ رَاكِبِينَ ۝
 قُلْ أَذْكَاءَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِينَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
 كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۝ وَيَوْمَ يَخْشَوْنَ مَا
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُونَ سُنُّهُ أُضْلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَٰؤُلَاءِ أَمْ لَهُمْ صُلُوبٌ فَسَبِيلٌ ۝ قَالُوا أَسْبَغَتْكَ مَاءُ كَانٍ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
 وَوَالِيَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝
 فَكَيْفَ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
 وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظَلِمِ نَفْسَهُ نَذَبْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ
 الطُّعَامَ وَيَتَشَابَهُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَنَصَصَكُمْ
 لِبَعْضٍ مِنْهُمْ أَنْصُرُونَا ۝ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝

[١٢٢] إذا رأيت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد. سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيظها منهم.

[١٣] وإذا ألقوا في مكان شديد الضيق من جهنم - وقد قرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم - دعوا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها.

[١٤] فيقال لهم تينياً: لا تدعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غماً، فلا خلاص لكم.

[١٥] قل لهم - أيها الرسول -: أهدء النار التي وصفت لكم خير أم جنة النعيم الدائم التي وعدها الخائفون من عذاب ربهم، كانت لهم ثواباً على عملهم، ومالاً يرجعون إليه في الآخرة؟

[١٦] هؤلاء الطبيعيين في الجنة ما يشتهون من ملاذ النعيم، متاعهم فيه دائم، كان دخولهم إياها على ربك - أيها الرسول - وعداً مسؤلاً، يسأله عباد الله المتقون، والله لا يخلف وعده.

[١٧] ويوم القيامة يحشر الله المشركين وما كانوا

يعبدونه من دونه، فيقول هؤلاء المعبودين: أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء عن طريق الحق، وأمرتهم بعبادتكم، أم هم ضلوا السبيل، فعبدوكم من تلقاء أنفسهم؟

[١٨] قال المعبودون من دون الله: تنزيهاً لك - يا ربنا - غمًا فعل هؤلاء، فما يصح أن نتخذ سواك أولياء نواليهم، ولكن متعت هؤلاء المشركين وآباءهم بالمال والعافية في الدنيا، حتى نسوا ذكرك فأشركوا بك، وكانوا قوماً هلك غلب عليهم الشقاء والجذلان.

[١٩] فيقال للمشركين: لقد كذبكم هؤلاء الذين عبدتموهم في أديانكم عليهم، فما أنتم أولاء لا تستطيعون دفعاً للعذاب عن أنفسكم، ولا نصراً لها، ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ويعبد غير الله، ويست على ذلك، يعذب الله عذاباً شديداً.

[٢٠] وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - أحداً من رسلنا إلا كانوا بشراً، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وجعلنا بعضكم - أيها الناس - لبعض ابتلاء واختباراً بالهدى والضلال، والغنى والفقر، والصحة والمرض، هل تصبرون، فتقوموا بما أوجبه الله عليكم، وتشكروا له، فيثيبكم مولاكم، أو لا تصبرون فتستحقوا العقوبة؟ وكان ربك - أيها الرسول - بصيراً بمن يجزع أو يصبر، ومن يكفر أو يشكر.

[٢١] وقال الذين لا يؤمنون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له: هلاً أنزل علينا الملائكة، فنخبرنا بأن محمداً صادق، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بصدقه في رسالته. لقد أعجبوا بأنفسهم واستعلوا حيث اجترؤوا على هذا القول، وتجاوزوا الحد في طغيانهم وكفرهم.

[٢٢] يوم يرون الملائكة عند الاحتضار، وفي القبر، ويوم القيامة، على غير الصورة التي اقترحوها لا لتبشرهم بالجنة، ولكن لتقول لهم: جعل الله الجنة مكاناً محرماً عليكم.

[٢٣] وقدمنا إلى ما عملوه من مظاهر الخير والبر، فجعلنا باطلاً مضمحلاً، لا ينفعهم كالهباء المنثور، وهو ما يرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار؛ وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه الإيمان بالله، والإخلاص له، والمتابعة لرسوله محمد ﷺ.

[٢٤] أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً من أهل النار وأحسن منازل في الجنة، فراحتم تامه، ونعيمهم لا يشوبه كدر.

[٢٥] واذكر - أيها الرسول - ذلك اليوم الذي تتشقق فيه

السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق، وينزل الله ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخالق في المحشر، ويأتي الله تبارك وتعالى لفصل القضاء بين العباد، إتياناً يليق بمجلاله.

[٢٦] الملوك الحق في هذا اليوم للرحمن وحده دون من سواه، وكان هذا اليوم صعباً شديداً على الكافرين؛ لما ينالهم من العقاب والعذاب الأليم.

[٢٧-٢٩] واذكر - أيها الرسول - يوم يعرض الظالم لنفسه على يديه ندماً وتحسراً قائلاً: يا ليتني صاحبت رسول الله محمداً ﷺ واتبعته في اتخاذ الإسلام طريقاً إلى الجنة، وتحسراً قائلاً: يا ليتني لم أتخذ الكافر فلاناً صديقاً أتبعه وأودد. لقد أضلني هذا الصديق عن القرآن بعد إذ جاءني، وكان الشيطان الرجيم خذولاً للإنسان دائماً. وفي هذه الآيات التحذير من مصاحبة قرين السوء؛ فإنه قد يكون سبباً لإدخال قرينه النار.

[٣٠] وقال الرسول شاكياً ما صنع قومه: يا رب إن قومي تركوا هذا القرآن وهجروه، متمادين في إعراضهم عنه وتركه نذيره والعمل به وتبليغه. وفي الآية تحذير عظيم لمن هجر القرآن فلم يعمل به.

[٣١] وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبي من الأنبياء عدواً من مجرمي قومه. فاصبر كما صبروا، وكفى بربك هادياً ومرشداً ومعيناً يعينك على أعدائك. وفي هذا تسلية لنبية محمد ﷺ.

[٣٢] وقال الذين كفروا: هلاً أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالنوراة والإنجيل والزيور؛ قال الله سبحانه وتعالى: كذلك أنزلناه مفزقاً لنقوي به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيئته في تثبيت ومهالة.

• وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُولَئِكَ نَوَّلْنَا نُزُلَنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ
أُوْتِرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ آتَيْنَاكَ كِبْرًا ۖ وَأَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾
يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا
حِجْرًا ۖ تَخْجَرُوا ۖ وَفِي مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ خَيْرٍ فَجَعَلْنَاهُمْ
هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٢﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ
نَزِيلًا ﴿٢٤﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلرَّحْمَنِ ۖ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِمَلًا ﴿٢٦﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ
إِنِّي قَوْمِي أَعْتَدُوا هَذَا الضَّرَبَ مِنِّي مَهْجُورًا ﴿٢٩﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَئِكَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ جَنَّةٌ
وَاحِدَةٌ كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣١﴾

[٣٣] ولا يأتينك - أيها الرسول - المشركون بحجة أو شبهة إلا جننك بالحواب الحق وبأحسن بيان له.

[٣٤] أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقاً عن الحق.

[٣٦، ٣٥] ولقد أتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون معيناً له، فقلنا لهما: اذها إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بدلائل ربوبيتنا وأوهيتنا، فذهب إليهم، فدعواهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به، فكذبوهما، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

[٣٧] وأغرقنا قوم بالطوفان حين كذبوه، ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل جميعاً، وجعلنا إغراقهم للناس عبرة، وجعلنا لهم ولمن سلك سبيلهم في التكذيب يوم القيامة عذاباً موجعاً.

[٣٨] وأهلكنا عاداً قوم هود، وشمود قوم صالح، وأصحاب البئر وأممًا كثيرة بين قوم نوح وعاد وشمود وأصحاب الرُّس، لا يعلمهم إلا الله.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٥﴾
 الَّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ رُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرَرْنَا مَكَانًا وَاصِلًا سَبِيلًا ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٧﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٨﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لِنَاسٍ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٩﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّيِّسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ﴿٤٠﴾ وَكُلًّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْتَلُ وَكُنَّا نَنْزِعُ مَا نَشَاءُ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ الْوَيْسِقَةَ ﴿٤٢﴾ الْأَمْطِرْنَا مِطْرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَضُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٤﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٦﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٧﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٤٩﴾ وَإِنَّا نَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فَتَوَلَّوْا ﴿٥٠﴾

[٣٩] وكل الأمم بيننا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعداء عنهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فأهلكناهم بالعذاب إهلاكاً.

[٤٠] ولقد كان مشركو «مكة» يبرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم» التي أهليكت بالحجارة من السماء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يرجون معاداً يوم القيامة يجازون فيه.

[٤١، ٤٢] وإذا رآك هؤلاء المكذوبون - أيها الرسول - استهزؤوا بك قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولاً إلينا؟ إنه قارب أن يصرفا عن عبادة أصنامنا بقوة حجته وبيانه، لولا أن ثبتنا على عبادتها، وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: من أضل ديناً أهم أم محمد؟

[٤٣] انظر - أيها الرسول - متعجباً إلى من أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظاً حتى تردّه إلى الإيمان؟

[٤٤] أم تظن أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا أتواهم بآيات الله سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعون، بل هم أضل طريقاً منها.

[٤٥، ٤٦] ألم تر كيف مدَّ الله الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؟ ولو شاء لجعله ثابتاً مستقراً لا تزيله الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة يُستدلُّ بأحوالها على أحواله، ثم تقلص الظل يسيراً، فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصانه، وذلك من الأدلة على قدرة الله وعظمته، وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

[٤٧] والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل سائراً لكم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل النوم راحة لأبدانكم فيه تهدؤون وتسكنون، وجعل لكم النهار؛ لتنتشروا في الأرض، وتطلبوا معاشكم.

[٤٨، ٤٩] وهو الذي أرسل الرياح التي تحمل السحاب، تبشر الناس بالمطر رحمة منه، وأنزلنا من السماء ماء يُقتلُّ به؛ لنخرج به النباتات في مكان لا نبات فيه،

فيحيا البلد المجدب بعد موت، ونسقي ذلك الماء من خلقنا كثيراً من الأنعام والناس.

[٥٠] ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين فنعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله - جل وعلا - ليرحمهم ونسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً لنعمنا عليهم، كقولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا.

[٥١، ٥٢] ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه، ولكننا جعلناك - أيها الرسول - مبعوثاً إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن، فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به، بل ابذل جهدك في تبليغ الرسالة، واجاهد الكافرين بهذا القرآن جهاداً كبيراً، لا يخالطه فتور.

[٥٣] والله هو الذي خلط البحرين: العذب السانع الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر، ومانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر.

[٥٤] وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة ذرية ذكوراً وإناثاً، فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة، وكان ربك قديراً على خلق ما يشاء.

[٥٥] ومع كل هذه الدلائل على قدرة الله وإنعامه على خلقه يعبد الكفار من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوا عبادته، وكان الكافر عوناً للشيطان على ربه بالشرك في عبادة الله، مُظاهراً له على معصيته.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ الرَّبُّ الرَّحِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَاطِئَ النَّوْمِ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِيُبْرِئَ بَدَنِيَّ رَحْمَةً مِنِّي وَأُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٦﴾ لِنُخِجَ بِهِ مَلِدَةً مِنِّيًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِ لِيَذَكِّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُنُفُورًا ﴿٤٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٤٩﴾ فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَحَيْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٠﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٣﴾

[٥٦] وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً للمؤمنين بالجنة ومنذراً للكافرين بالنار.

[٥٧] قل لهم: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أي أجر، لكن من أراد أن يهتدي ويسلك سبيل الحق إلى ربه وينفق في مرضاته، فلست أجبركم عليه، وإنما هو خير لأنفسكم.

[٥٨] وتوكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله. الذي لا يموت، ونزهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيراً بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها. وسيحاسبهم عليها ويمجازيهم بها.

[٥٩] الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام. ثم استوى على العرش - أي: علا وارتفع - استواءً يليق بجلاله. هو الرحمن. فاسأل - أيها النبي - به خبيراً، يعني بذلك سبحانه نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم صفاته وعظمته وجلاله. ولا أحد من البشر أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ لَمْ يَشَاءَ أَنْ يَخِدَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ يَحْمَدُهُ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَنَلَّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا قَامُوا عَلَيْهِ وَرَأَاهُمْ فَتَوَكَّلْ ﴿٦٠﴾ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

[٦٠] وإذا قيل للكافرين: اسجدوا للرحمن واعبدوه قالوا: ما نعرف الرحمن. أنسجد لما تأمرنا بالسجود له طاعة لأمره؟ وزادهم دعاؤهم إلى السجود للرحمن بُغداً عن الإيمان ونفوراً منه.

[٦١] عَظُمَتْ بَرَكَاتِ الرَّحْمَنِ وَكَثُرَ خَيْرُهُ، الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ النُّجُومَ الْكِبَارَ بِمَنَازِلِهَا، وَجَعَلَ فِيهَا شَمْسًا تَضِيءُ وَقَمَرًا يَنْبُرُ.

[٦٢] وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين يُخَفِّفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَسِبَ بِمَا فِي ذَلِكَ إِيمَانًا بِالْمَدْبُرِ الْخَالِقِ. أَوْ أَرَادَ أَنْ يَشْكُرَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعْمِهِ وَأَلَاتِهِ.

[٦٣] وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين. وإذا خاطبهم الجاهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطأً يَسْلُمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، وَمِنْ مَقَابِلَةِ الْجَاهِلِ بِجَهْلِهِ.

[٦٤] والذين يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم. متذللين له بالسجود والقيام.

[٦٥، ٦٦] والذين هم مع اجتهادهم في العبادة يخافون الله فيدعونه أن ينجيهم من عذاب جهنم، إن عذابها يلازم صاحبها. إن جهنم شر قرار وإقامة.

[٦٧] والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يتجاوزوا الحد في العطاء، ولم يضيّقوا في النفقة، وكان إنفاقهم وسطاً بين التبذير والتضييق.

[٦٨-٧١] والذين يوحدون الله، ولا يدعون ولا يعبدون لها غيره، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما يحق قتلها به؛ من كفر بعد إيمان، أو زنى بعد زواج، أو قتل نفس عدواناً، ولا يزنون، بل يحفظون فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. ومن يفعل شيئاً من هذه الكبائر يُلْقَ في الآخرة عقاباً. يُضَاعَفُ له العذاب يوم القيامة، ويُعْتَدُ فيه ذليلاً حقيراً. (والوعد بالخلود لمن فعلها كلها، أو لمن أشرك بالله). لكن مَنْ تاب من هذه الذنوب توبة نصوحاً وأمن إيماناً جازماً مقروناً بالعمل الصالح، فأولئك يحو الله عنهم سيئاتهم ويجعل مكانها حسنات؛ بسبب توبتهم وندمهم. وكان الله غفوراً لمن تاب، رحيماً بعباده، حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي. ومن تاب عمداً ارتكب من الذنوب، وعمل عملاً صالحاً فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً. فيقبل الله

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنْقُ أُنثَاهُ ۖ يَصْعَقُ لَهَ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ
وَتَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ
وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ
وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْقَوْمِ مَرًّا كِرَامًا
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا رَبَّنَا أَنْهَدْنَا فِي قُلُوبِنَا
أَنَّ أُولَئِكَ يَذُكِّرُونَ بِآيَاتِنَا أَنْهَدْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِيمَانًا ۖ أُولَئِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْفَرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيَنْقُوتُ فِيهَا نَجْمَتٌ وَسَلَامٌ ۖ خَلِيدٌ فِيهَا
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا تَسُبُّوا بِهِ فِرَاقِي
لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

توبته ويكفر ذنوبه.

[٧٢] والذين لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون مجالسه، وإذا مروا بأهل الباطل واللغو من غير قصد مروا معرضين منكرين يتزهون عنه، ولا يرضونه لغيرهم.

[٧٣] والذين إذا وعظوا بأيات القرآن ودلائل وحدانية الله لم يتغافلوا عنها، كأنهم صُمُّ لَمْ يَسْمَعُوهَا، وَعُغْيٌ لَمْ يَبْصُرُوهَا، بَلْ وَعَغْنَاهُ قُلُوبِهِمْ، وَتَفَشَّحَتْ لَهَا بَصَائِرُهُمْ، فَخَرُّوا لِلَّهِ سَاجِدِينَ مُطِيعِينَ.

[٧٤] والذين يسألون الله تعالى قائلين: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تَقَرَّبُ بِهِ أَعْيُنُنَا، وَفِيهِ أُنْسُنَا وَسُرُورُنَا، واجعلنا قُدوةً يُقْتَدَى بِهَا الْمُتَّقُونَ فِي الْحَيْرِ.

[٧٥، ٧٦] أولئك الذين اتصفوا بالصفات السابقة من عباد الرحمن، يثابون أعلى منازل الجنة؛ برحمة الله وبسبب صبره على الطاعات، وَيَسْتَلْقُونَ فِي الْجَنَّةِ التَّحِيَّةَ وَالتَّسْلِيمَ مِنَ الْمَلَانِكَةِ، وَالحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْآفَاتِ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا يُقَرَّرُونَ فِيهِ وَمَقَامًا يُقِيمُونَ بِهِ. لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا.

[٧٧] أخبر الله تعالى أنه لا يبالي ولا يعاب بالناس. لولا دعاؤهم إياه، دعاء العبادة ودعاء المسألة، فقد كُذِّبَتْ -أيها الكافرون- فسوف يكون تكذيبكم مفضياً إلى عذاب يلزمكم لزوم الغريم لغريمه، ويهلككم في الدنيا والآخرة.

[سورة الشعراء]

[١] ﴿طسرة﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذه آيات القرآن الموضح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال.

[٣] لعلك - أيها الرسول - من شدة حرصك على هدايتهم مهلك نفسك؛ لأنهم لم يصدقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.

[٤] إن نشأ نزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولكننا لم نشأ ذلك؛ فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختياراً.

[٥] وما سيجي، هؤلاء المشركين المكذبين من ذكرٍ من الرحمن محدث إنزاله، شيئاً بعد شيء، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالدين الحق إلا أعرضوا عنه ولم يقبلوه.

[٦] فقد كذبوا بالقرآن واستهزؤوا به، فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحل بهم العذاب جزاء تمردهم على ربهم.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسرة ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ نَسْرًا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٍ إِلَّا أَكْفَأْتَهُمْ مَعْصِيَةً ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ نَرْزُقْكَ بِالْأَرْضِ كَرْتَيْنِ إِنَّمَا عَلَى رَبِّكَ حُكْمٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ قَوْمِ فَرَعُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْآفِيكُونَ ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٠﴾ وَيَصْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ بِلِيَّ هَارُونَ ﴿١١﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٢﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبْ بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٣﴾ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَلَمْ نَرْزُقْكَ مِنَّا وَلِيَدًا وَأَلَيْتَ مِنَّا مِنْ عُمْرِكَ سِتِينَ ﴿١٦﴾ وَقَعَلْتَ لَعَلِّي فَعَلَّمْتَ مِنَ الْكُفْرِينَ ﴿١٧﴾

[١-٧] أكتبوا ولم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع حسن نافع من النبات، لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين؛ إن في إخراج النبات من الأرض دلالة واضحة على كمال قدرة الله، وما كان أكثر القوم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز على كل مخلوق، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

[٨، ١٠] واذكر - أيها الرسول - قومك إذ نادى ربك موسى: أن أنت القوم الظالمين. قوم فرعون، وقل لهم: ألا يخافون عقاب الله تعالى، ويتركون ما هم عليه من الكفر والضلال؟

[١٢-١٤] قال موسى: رب إنني أخاف أن يكذبوني في الرسالة، ويملأ صدري الغم لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لسانِي بالدعوة فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون؛ ليعاونني ويصدقني فيما أقول، ويؤمن لهم ما أخطبهم به، فهو أفصح مني نطقاً. وهم على ذنب في قتل رجل منهم، وهو القبطي، فأخاف أن يقتلوني به.

[١٥-١٧] قال الله لموسى: كلاً لن يقتلوك، وقد أجيبت طلبك في هارون. فاذهبوا بالمعجزات الدالة على صدقكم، إننا معكم بالعلم والحفظ والنصرة مستمعون. فأتينا فرعون فقولا له: إننا مرسلان إليك وإلى قومك من رب العالمين: أن اترك بني إسرائيل؛ ليذهبوا معنا.

[١٨، ١٩] قال فرعون لموسى - متمتاً عليه -: ألم تُرَبِّك في منازلنا صغيراً، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمرك، وارتكبت جنايةً بقتلك رجلاً من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟

[٢٠-٢٢] قال موسى محيياً لفرعون: فعلت ما ذكرت قبل أن يوحى الله إليّ ويبعثني رسولاً، فخرجت من بينكم قاراً إلى «مدين»، لئلا خفت أن تقتلوني بما فعلت من غير عندي، فوهب لي ربي تضللاً منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. أو تلك التربية في بيتك تُعدها نعمة منك عليّ. وقد جعلت بني إسرائيل عبيداً تُذبح أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتحان؟ [٢٣] قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدعي أنك رسوله؟

[٢٤] قال موسى: هو مالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فأمنوا.

[٢٥] قال فرعون لمن حوله من أشرف قومه: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟

[٢٦] قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين. فكيف تعبدون من هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد قتلوا آبائكم؟ [٢٧] قال فرعون لخاصته يستثير غضبهم؛ لتكذيب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون،

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذْ أَنْأَمْنَا مِنَ الْأَصْلَافِ ۝ فَعَزَّزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَشَّكَ فَوَهَّبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَإِنَّكَ بِعَيْنِ أَعْيُنِنَا ۝ عَلَيَّ أَنْ عَيْدَتُنِي بِنِي إِسْرَائِيلَ ۝ قَالَ فَرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ قَالَ لَيْسَ خَوْلُهُ إِلَّا اسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ قَالَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۝ قَالَ لَنْ نَخَذَ الْإِلَهَ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ۝ قَالَ أَوْلَوْ جُنَّتْ بِقِيٍّ فَمِيرٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِعَذَابٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُمِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ ۝ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ ۝ قَالَ لِلْمَلَاحِقَةِ إِنَّ هَذَا السَّحْرَ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِ ۝ فَأَنذَرْتَهُمْ وَأَنذَرْتَهُمْ وَأَمْتٌ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ۝ فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيعَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَشْرُكُمْ جَمْعُونَ ۝

يتكلم كلاماً لا يُعقل!

[٢٨] قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر!

[٢٩] قال فرعون لموسى مهدداً له: لئن اتخذت إلهاً غيري لأسجننك مع من سجنك.

[٣٠] قال موسى: أجمعلي من المسجونين، ولو جنتك ببرهان قاطع يتبين منه صدقي؟

[٣١] قال فرعون: فات به إن كنت من الصادقين في دعواك.

[٣٢، ٣٣] فألقى موسى عصاه فتحولت ثعباناً حقيقياً، ليس تمويهاً كما يفعل السحرة، وأخرج يده من فتحة قميصه المفتوحة إلى الصدر، أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص. تُهَيَّرُ النَّاطِرِينَ.

[٣٤، ٣٥] قال فرعون لأشرف قومه خشية أن يؤمنوا: إن موسى لساحر ماهر. يريد أن يخرجكم بسحره من أرضكم، فأي شيء تشيرون به في شأنه أتبع رأيكم فيه؟

[٣٦، ٣٧] قال له قومه: أحر أمر موسى وهارون، وأرسل في المدائن جنداً جامعين للسحرة، يأتوك بكل من أجاد السحر. وتوفوق في معرفته.

[٣٨، ٣٩] فجمع السحرة، وحدد لهم وقت معلوم، هو وقت الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم ويجمعون ويتزيّنون؛ وذلك للاجتماع بموسى. وحجّت الناس على الاجتماع؛ أملاً في أن تكون العلبة للسحرة.

[٤٠] إنا نطمع أن تكون الغلبة للسحرة، فنثبت على ديننا.

[٤١] فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: إن لنا لأجراً من مال أو جاه، إن كنا نحن الغالبين موسى؟

[٤٢] قال فرعون: نعم لكم عندي ما طلبتم من أجر، وإنكم حينئذ لمن المقربين لدي.

[٤٣] قال موسى للسحرة مريداً بإبطال سحرهم وإظهار أن ما جاء به ليس سحراً: ألقوا ما تريدون إلقاءه من السحر.

[٤٤] فألقوا حبالهم وعصيهم، وخيل للناس أنها حيات تسعى، وأقسموا بعرزة فرعون قائلين: إنا لنالحن الغالبون.

[٤٥] فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة، تتبع ما صدر منهم من إفاك وتزوير.

[٤٦-٤٨] فلما شاهدوا ذلك، وعلموا أنه ليس من توميه السحرة، آمنوا بالله وسجدوا له، وقالوا: آمناً برب العالمين رب موسى وهارون.

[٤٩] قال فرعون للسحرة: مستنكراً: أمنتكم موسى بغير إذن مني، وقال موهماً أن يفعل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فليسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو عكس ذلك، ولأصلبكنم أجمعين.

[٥٠، ٥١] قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، إنا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم. إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الشرك وغيره: لكوننا أول المؤمنين في قومك.

[٥٢] وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن يرسل ابن آمن من بني إسرائيل: لأن فرعون وجنوده متبعوكم حتى لا يدركوكم قبل وصولكم إلى البحر.

[٥٣] فأرسل فرعون جنده - حين بلغه مسير بني إسرائيل - يجمعون جيشه من مدائن مملكته.

[٥٤-٥٦] قال فرعون: إن بني إسرائيل الذين فرّوا مع موسى لطائفة حقيرة قليلة العدد، وإنهم للمنون صدورنا غيظاً؛ حيث خالفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا، وإنا لجمع متيقظون مستعدون لهم.

[٥٧-٥٩] فأخرج الله فرعون وقومه من أرض مصر ذات البساتين وعيون الماء وخزائن المال والمنازل الحسان، وكما أخرجناهم، جعلنا هذه الديار من بعدهم لبني إسرائيل.

[٦٠] فلحق فرعون وجنوده موسى ومن معه وقت شروق الشمس.

[٦١] فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر قال أصحاب موسى: إنَّ نَجْعَ فرعون مُذْرِكنا ومهلكنا.
 [٦٢] قال موسى لهم: كلاً ليس الأمر كما ذكرتم فلن تُذركوا؛ إن معي ربي بالنصر، سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم.
 [٦٣] فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فاضرب، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة انفصلت من البحر كالجبل العظيم.
 [٦٤-٦٦] وقربنا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر، وأنجيناً موسى ومن معه أجمعين. فاستمر البحر على انفلاقه حتى عبروا إلى البر، ثم أغرقنا فرعون ومن معه ياطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.
 [٦٧] إن في ذلك الذي حدث لعمرة عجيبة دالة على قدرة الله، وما صار أكثر أتباع فرعون مؤمنين، مع

فَلَمَّا رَآهُ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْرُوكُونَ ﴿٦١﴾
 قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
 اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْكَلْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
 وَأَزْلَقْنَا سُرَّاتَهُنَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
 ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَنْ نَضْرَجهُمْ فَوْجِيَةً ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
 وَأَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبَأُ بَرِئَةٍ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَسْبَاطِهِمْ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾
 قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَظْمًا فَنُحْيِيهَا ﴿٧١﴾ قَالَ هَٰذَا
 يَسْمَعُونَ كُفْرًا إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَتَّبِعُونَ كُفْرًا أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
 بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَّبًا مَا كُنَّا نَمْلِكُ مِنْهُ فَبُخِّلُوا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
 تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي
 إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
 يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا أَرْضُضْتُ فَقَهُ وَسْقِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
 يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
 يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْهِمْنِي يَا صَالِحِينَ ﴿٨٣﴾

هذه العلامة الباهرة.

[٦٨] وإن ربك هو العزيز الرحيم، بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجى موسى ومن معه أجمعين.

[٧٠، ٧١] واقصص على الكافرين -أيها الرسول- خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدونه؟

[٧١] قالوا: نعبد أصناماً، فتكف على عبادتها.

[٧٢، ٧٣] قال إبراهيم منبهاً على فساد مذهبهم: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، أو يقدمون لكم نفعاً إذا عبدتموهم، أو يصيبونكم بضر إذا تركتم عبادتهم؟

[٧٤] قالوا: لا يكون منهم شيء، من ذلك، ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونهم، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون.

[٧٥-٨٢] قال إبراهيم: أفأبصرتم بتدبير ما كنتم تعبدون من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، أنتم وآباؤكم الأقدمون من قبلكم؟ فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي، لكن رب العالمين ومالك أمرهم هو وحده الذي أعبد. هو الذي خلقني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهو الذي ينعم علي بالطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فهو الذي يشفي ويعافيني منه، وهو الذي يمتيني في الدنيا بقبض روعي، ثم يحييني يوم القيامة، لا يقدر على ذلك أحد سواه، والذي أطعم أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

[٨٣] قال إبراهيم داعياً ربه: رب امنحني العلم والفهم، وألحقني بال صالحين، واجمع بيني وبينهم في الجنة.

[٨٤] وأجعل لي نساء حسناً وذكرًا جميلًا في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

[٨٥] وأجعلني من عبادك الذين تورثهم نعيم الجنة.

[٨٦] هذا دعا من إبراهيم - عليه السلام - أن ينقذ الله أباه من الضلال إلى الهدى. فيغفر له ويتجاوز عنه، كما وعد إبراهيم أباه بالدعاء له، فلما تبين له أنه مستمر في الكفر والشرك إلى أن يموت تبرأ منه.

[٨٧-٨٩] ولا تلحق في الذل، يوم يخرج الناس من القبور للحساب والجزاء، يوم لا ينفع المال والبنون أحدًا من العباد. إلا من أتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق والردية.

[٩٠] وقُرِبت الجنة للذين اجتنبوا الكفر والمعاصي، وأقبلوا على الله بالطاعة.

[٩١] وأظهرت النار للكافرين الذين ضلُّوا عن الهدى، وتجرَّؤا على محارم الله وكذبوا رسله.

[٩٢، ٩٣] وقيل لهم توبيحًا: أين أهلكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم؟ هل ينصرونكم، فيدعون العذاب عنكم، أو ينتصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟ لا شيء من ذلك. [٩٤، ٩٥] فنجعوا وألقوا في جهنم على رؤوسهم مرة بعد

مرة؛ إلى أن استقرُّوا فيها، هم والذين أضلَّوهم، وأعوان إبليس الذين زبَّنا لهم الشر، لم يُقبلت منهم أحد.

[٩٦-٩٩] قالوا معترفين بخطئهم، وهم يتنازعون في جهنم مع من أضلَّوهم: تالله إننا كنا في الدنيا في ضلال واضح لا خفاء فيه؛ إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده. وما أوقعتنا في هذا المصير السيئ، إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادة غير الله فاتبعناهم.

[١٠٠، ١٠١] فلا أحد يشفع لنا، ويخلصنا من العذاب، ولا من يصدِّق في مودتنا ويشفق علينا.

[١٠٢] فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنصير من جملة المؤمنين الناجين.

[١٠٣، ١٠٤] إن في نساء إبراهيم السابق لعمرة ليس يعتبر، وما صار أكثر الذين سمعوا هذا النبأ مؤمنين. وإن ربك هو العزيز القادر على الانتقام من المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

[١٠٥-١١٠] كذبت قوم نوح رسالة نبيهم، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل. إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تحشون الله بترك عبادة غيره؟ إنى لكم رسول أمين فيما أبلغكم. فاجعلوا الإيمان وقاية لكم من عذاب الله وأطيعوني فيما أمركم به من عبادته وحده. وما أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على رب العالمين المتصرف في خلقه، فاحذروا عقابه، وأطيعوني بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه.

[١١١] قال له قومه: كيف تصدِّق وتتبعك، والذين اتبعوك أراذل الناس وأسافلهم؟

وأجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴿٨٤﴾ وأجعلني من ورثة جنة النعيم ﴿٨٥﴾ وأغفر لأبي إنه كان مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ ولا تخزي يومئذني ﴿٨٧﴾ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٨٩﴾ وأزلفت الجنة للمتقين ﴿٩٠﴾ وبرزت الجنة للجحيم للفأصين ﴿٩١﴾ وقيل لهم إن ما كنتم تعبدون ﴿٩٢﴾ من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون ﴿٩٣﴾ فكذبوا فيها هزواً والقاون ﴿٩٤﴾ وخنوذ إبليس أجمعون ﴿٩٥﴾ قالوا وهم فيها يختصمون ﴿٩٦﴾ تالله إن كنا في ضلالٍ مبين ﴿٩٧﴾ إذ نسويكم بربِّ العالمين ﴿٩٨﴾ وما أضلنا إلا المرجمون ﴿٩٩﴾ فمآلنا من شفيعين ﴿١٠٠﴾ ولا صدقٍ حميم ﴿١٠١﴾ فلو أن لنا كرة فنتكلم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إن في ذلك لآيةٌ وَمَا كُنَّا أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنْ رَبَّكَ لَهْوَالغَيْرِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْجُرِيِّ إِذْ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَتْ الْأَوَّلُونَ ﴿١١٠﴾

[١١٤] فأجابهم نوح - عليه السلام - بقوله: لست مكلفاً بمعرفة أعمالهم، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار بالإيمان، لا بالحسب والنسب والحرف والصنائع. [١١٣] ما حسابهم للجزاء على أعمالهم وبيواتنهم إلا على ربي المطلع على السرائر، لو كنتم تشعرون بذلك لما قلت هذا الكلام.

[١١٥، ١١٦] وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتي، مهما تكن حالهم؛ تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي، ما أنا إلا تذيير بين الإنذار.

[١١٦] عدل قوم نوح عن المحاوره إلى التهديد، فقالوا له: لئن لم ترجع - يا نوح - عن دعوتك لتكونن من المقتولين رمياً بالحجارة.

[١١٧، ١١٨] فلما سمع نوح قولهم هذا دعا ربه بقوله: رب إن قومي أصروا على تكذبي، فاحكم بيني وبينهم حكماً تهلك به من جحد توحيدك وكذب رسولك، ونجني ومن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين.

[١١٩] فأنجيناه، ومن معي في السفينة المسلوءة بصنوف المخلوقات التي حملها معه.

[١٢٠] ثم أغرقنا - بعد إنجاء نوح ومن معه - الباقيين الذين لم يؤمنوا من قومه وردوا عليه النصيحة.

[١٢١] إن في نبأ نوح وما كان من إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين لعلامة وعبرة عظيمة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله وبرسوله وشرعه.

[١٢٢] وإن ربك هو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بعباده المؤمنين.

[١٢٣] كذبت قبيلة عاد رسولهم هوداً - عليه السلام - فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأحد دعوتهم في أصولها وغايتها. [١٢٤-١٢٧] إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة؟ إنني مرسل إليكم هدياً منكم وإرشادكم، حفظ على رسالة الله، أبلغها لكم كما أمرني ربي، فخافوا عقاب الله وأطيعوني فيما جئتمكم به من عند الله، وما أطلب منكم على إرشادكم إلى التوحيد أي نوع من أنواع الأجر. ما أجري إلا على رب العالمين.

[١٢٨-١٣٠] أتبنون بكل مكان مرتفع بناءً عالياً تشرفون منه فتسخرون من المارة؟ وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم بغائه في الدين أو الدنيا، وتتخذون قصوراً منيعة وحصوناً مشيدة، كأنكم تحلدون في الدنيا ولا تموتون، وإذا بطشتم بأحد من الخلق قتلاً أو ضرباً، فعلمت ذلك قاهرين ظالمين.

[١٣١-١٣٤] فخافوا الله، وامتلوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم، واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء فيه عليكم، أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد، وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجر لكم الماء من العيون الجارية.

[١٣٥] قال هود - عليه السلام - محذراً لهم: إنني أخاف إن أصررتكم على ما أنتم عليه من التكذيب والظلم وكفر النعم، أن ينزل الله بكم عذاباً في يوم تعظم شدته من هول عذابه.

[١٣٦] قالوا له: يستوي عندنا تذكرك ونحويفك لنا وتركه، فلن تؤمن لك.

قَالَ وَمَا عَلِمِي مَآكِلَ نَارِ يَسْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ لَآلِئُ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٧﴾ قَالُوا لَنْ نُرْتَفِتَهُ يَنْخُضُ لِنَكُونَ مِنَ الْمُخَوَّبِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٩﴾ فَأَفْخِجْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْآيَاتِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٤﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٢٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٩﴾ أَتَمْنُونَ بِي كَيْفَ يَرْبِحَ آيَةٌ تَعْبَتُونَ ﴿١٣٠﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَعْنَتِكُمْ تَحْلُدُونَ ﴿١٣١﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ بَطْشَ ثَمُودَ جَبَّارِينَ ﴿١٣٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمَدَّكُمْ بِالْغَنِيِّ وَتَمِينًا ﴿١٣٥﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٦﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٧﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن فِتْرَ الْوَعْظِينَ ﴿١٣٨﴾

إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلِكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿٤٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٤٢﴾ وَمَا اسْتَكْبَرْتُمْ عَلَيْهِ مِن بَعْزٍ إِنَّ أُخْرَىٰ لِلْآعِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَنْحَرُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينٍ ﴿٤٤﴾ فِي جَنَّتَيْهِ وَعَيْوُونَ ﴿٤٥﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْهَا هَضِيمٌ ﴿٤٦﴾ وَتَنْحَنُونَ مِنَ الْجِبَالِ لِيُوتَا فِيهِمْ ﴿٤٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٥٠﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٢﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٣﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَدْمِينَ ﴿٥٤﴾ فَآخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾

[١٣٧، ١٣٨] وقالوا: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم، وما نحن بمعذبين على ما فعل مما حذرنا منه من العذاب.

[١٣٩، ١٤٠] فاستمروا على تكذيبه، فأهلكهم الله بريح باردة شديدة. إن في ذلك الإهلاك لعمرة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا قصتهم مؤمنين بك. وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما يريد من إهلاك المكذبين، الرحيم بالمؤمنين.

[١٤١] كذبت قبيلة ثمود رسولهم صالحاً في رسالته ودعوته إلى توحيد الله، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأنهم جميعاً يدعون إلى توحيد الله.

[١٤٢-١٤٤] إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تخشون عقاب الله، فتفردوه بالعبادة؟ إني مرسل من الله إليكم، حفظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله، فاحذروا عقابه تعالى، وامتثلوا ما دعوتكم إليه، وما أطلب منكم على نصحي وإرشادي لكم أي جزء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

[١٤٦-١٤٩] أبترككم بركم فيما أنتم فيه من النعم مستقرين في هذه الدنيا آمنين من العذاب والزوال والموت؟ في حداثك مشرة وعيون جاربة وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج، وتحتون من الجبال بيوتا ماهرين بنحتها، أشيرين بطيرين.

[١٥٠-١٥٢] فخافوا عقوبة الله، واقبلوا نصحي، ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم المتضادين في معصية الله الذين دأبوا على الإفساد في الأرض إفساداً لا إصلاح فيه.

[١٥٣، ١٥٤] قالت ثمود لنبيها صالح: ما أنت إلا من الذين سُحروا سيحراً كبيراً، حتى غلب السحر على عقلك، ما أنت إلا فرد مماثل لنا في البشرية من بني آدم، فكيف تتميز علينا بالرسالة؟ فأنت مجبة واضحة تدل على ثبوت رسالتك، إن كنت صادقاً في دعواك أن الله أرسلك إلينا.

[١٥٥، ١٥٦] قال لهم صالح -وقد أتاهم بناقة أخرجها الله له من الصخرة-: هذه ناقة الله لها نصيب من الماء في يوم معلوم، ولكم نصيب منه في يوم آخر. ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها، ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تتالوها بشيء، مما يسوءها كضرب أو قتل أو نحو ذلك. فيهلككم الله بعذاب يوم تعظم شدته؛ بسبب ما يقع فيه من الهول والشدة.

[١٥٧] فنحروا الناقة، فأصبحوا متحسرين على ما فعلوا لَمَّا أيقنوا بالعذاب، فلم ينفعهم ندمهم.

[١٥٨] فنزل بهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح عليه السلام، فأهلكهم، إن في إهلاك ثمود لعمرة لمن اعتمر بهذا المصير، وما كان أكثرهم مؤمنين.

[١٥٩] وإن ربك لهو العزيز القاهر المنتقم من أعدائه المكذبين، الرحيم بمن آمن من خلقه.

[١٦٠] كَذَّبَتْ قوم لوط برسالته، فكانوا بهذا مكذبين لسائر رسل الله؛ لأن ما جاؤوا به من التوحيد وأصول الشرائع واحد.

[١٦١-١٦٤] إذ قال لهم أخوه لوط: ألا تخشون عذاب الله؟ إني رسول من ربكم. أمين على تبليغ رسالته إليكم، فاحذروا عقاب الله على تكذيبكم رسوله، واتبعوني فيما دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي هدايتكم أي أجر، ما أجري إلا على رب العالمين.

[١٦٥، ١٦٦] أتسبحون الذكور من بني آدم، وتكونوا ما خلق الله لاستمتاعكم وتناسلكم من أزواجكم؟ بل أنتم قوم -بهذه المعصية- متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام.

[١٦٧] قال قوم لوط: لئن لم تترك يا لوط نُهَيْتَنَا عن إتيان الذكور وتبحيح فعله، لتكونن من المطرودين من بلادنا. [١٦٨] قال لوط لهم: إني ليملكم الذي تعملونه من إتيان الذكور. لمن المبغضين له بغضاً شديداً.

[١٦٩] ثم دعا لوط ربه حينما يبس من استجابتهم له قائلاً: رَبِّ أَنْقِذْني وَأَنْقِذْ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُهُ قَوْمِي مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ الْقَبِيحَةِ، وَمِنْ عِقَابِكَ الَّتِي سَتَصِيْبُهُمْ.

[١٧٠، ١٧١] فنجينا، وأهل بيته والمستجيبين لدعوته أجمعين إلا عجوزاً من أهله، وهي امرأته لم تشاركهم في الإيمان، فكانت من الباقين في العذاب والهلاك.

[١٧٢، ١٧٣] ثم أهلكتنا من عاهدهم من الكفرة: أشدَّ إهلاك، وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالطمر أهلكتهم، فقبُح مطر من أنذرهم رسوله ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أنزل بهم أشدَّ أنواع الهلاك والتدمير.

[١٧٤] إن في ذلك العقاب الذي نزل بقوم لوط لعبرة وموعظة، يتعظ بها المكذبون، وما كان أكثرهم مؤمنين.

[١٧٥] وإن ربك هو العزيز الذي يقهر المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

[١٧٦-١٨٠] كَذَّب أصحاب الأرض ذات الشجر الملتف رسوله شعبياً في رسالته، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسالات. إذ قال لهم شعيب: ألا تخشون عقاب الله على شرككم ومعاصيكم؟ إني مرسل إليكم من الله هدايتكم، حفيظ على ما أوحى الله به إلي من الرسالة، فخافوا عقاب الله، واتبعوا ما دعوتكم إليه من هداية الله؛ لترشدوا، وما أطلب منكم على دعائي لكم إلى الإيمان بالله أي جزاء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

[١٨١-١٨٣] قال لهم شعيب -وقد كانوا يُقصدون الكيل والميزان-: أنتموا الكيل للناس وأفياً لهم، ولا تكونوا بمن يُقصدون الناس حقوقهم، وزنوا بالميزان العدل المستقيم، ولا تنقصوا الناس شيئاً من حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك، ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي.

كَذَّبَتْ قَوْمَ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ فَمِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَنَى آسَافُ قَوْمَهُ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٧﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْقَهْرِينَ ﴿١٧٠﴾ فَوَدَّعَزَّاءُ الْآخَرِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَنْظَرْنَا عَنْهُمْ مَطَرًا أَفْسَاءً ﴿١٧٢﴾ مَطَرِ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ أَزُورُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَزِنُوا بِالْقَنَاطِئِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨١﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾

وَأَتَوْا الَّذِي خَلَقَكَ وَالْحَيَاةَ الْأُولَى ﴿١٨٧﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٨﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا نَسْفَةٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِينَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٩﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩٠﴾ قَالَ رَبِّيَ اغْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُم كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٣﴾ وَرَأَى رَبَّكَ إِلهُ الْوَرُوحِ الْأَمِينِ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٥﴾ لِيَلْسَنَ عَرَبِيٍّ غَيْرٍ ﴿١٩٦﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأُولَى ﴿١٩٧﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَسْتَغْنُوا عَلَّمُوا نَوَاحِي أَسْرَابِهِمْ ﴿١٩٨﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى نَسْفٍ الْأَعْيُنِ ﴿١٩٩﴾ لَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٠﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠١﴾ لَّا يُؤْمِنُونَ بِهِ - حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٣﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَعِدَّائِنَا لِنَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٥﴾ أَقْرَبَتْ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٦﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٧﴾

﴿١٨٤﴾ واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم المتقدمة عليكم.

﴿١٨٥-١٨٧﴾ قالوا: إننا أنت - يا شعيب - من الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهم، وما أنت إلا واحد مثلنا في البشرية، فكيف تختص دوننا بالرسالة؟ وإن أكبر ظننا أنك من الكاذبين فيما تدعيه من الرسالة. فإن كنت صادقاً في دعوى النبوة، فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تستأصلنا. ﴿١٨٨﴾ قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملونه من الشرك والمعاصي، وبما تستوجبونه من العقاب.

﴿١٨٩﴾ فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم الحر الشديد، وصاروا يبحثون عن ملاذ يستظلون به، فأظلمت سحابة، وجدوا لها برداً ونسيماً، فلما اجتمعوا تحتها التهبت عليهم ناراً فأحرقتهم، فكان هلاكهم جميعاً في يوم شديد الهول.

﴿١٩٠﴾ إن في ذلك العقاب الذي نزل بهم، دلالة واضحة على قدرة الله في موازنة المكذبين، وعبرة لمن يعتبر، وما كان أكثرهم مؤمنين متعظين بذلك.

﴿١٩١﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز في نعمته بمن انتقم منه من أعدائه، الرحيم بعباده الموحدين.

﴿١٩٢-١٩٤﴾ وإن هذا القرآن الذي ذكرت فيه هذه القصص الصادقة، لمزل من خالق الخلق، ومالك الأمر كله، نزل به جبريل الأمين، فتلا عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظاً وفهماً، لتكون من رسل الله الذين يخوفون قومهم عقاب الله، فتندر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى. ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم وديناهم.

﴿١٩٦﴾ وإن ذكر هذا القرآن لمتبث في كتب الأنبياء السابقين، قد بشرت به وصدقته. ﴿١٩٧﴾ أولم يكف هؤلاء - في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق - علم علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومن آمن منهم كعبده الله بن سلام؟

﴿١٩٨-٢٠١﴾ ولو نزلنا القرآن على بعض الذين لا يتكلمون بالعربية، فقرأه على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، لكفروا به أيضاً، وانتحلوا لجحودهم عذراً. كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين جحود القرآن، وصار متمكناً فيها، وذلك بسبب ظلمهم وإجرامهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وعدهوا به. ﴿٢٠٢، ٢٠٣﴾ فينزل بهم العذاب فجأة، وهم لا يعلمون قبل ذلك بحقيقته، فيقولون عند مفاجأتهم به تحسراً على ما فاتهم من الإيمان: هل نحن ممتهلون مؤخرون؛ لتوب إلى الله من شركنا، ونستدرك ما فاتنا؟

﴿٢٠٤﴾ أعجز هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟

﴿٢٠٥، ٢٠٦﴾ أفعلمت - أيها الرسول - إن ممتعناهم بالحياة سنين طويلة بتأخير آجالهم، ثم نزل بهم العذاب الموعود؟

[٢٠٧] ما أغنى عنهم تمتعهم بطول العمر، وطيب العيش، إذا لم يتوبوا من شركهم؟ فعذاب الله واقع بهم عاجلاً أم آجلاً.

[٢٠٨-٢٠٩] وما أهلكننا من قرية من القرى في الأمم جميعاً، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلاً ينذرونهم، تذكراً لهم، وتنبيهاً على ما فيه نجاتهم، وما كنا ظالمين فنعذب أمة قبل أن نرسل إليها رسلاً.

[٢١٠-٢١٢] وما تَنَزَّلَتْ بالقرآن على محمد ﷺ الشياطين - كما يزعم الكفرة- ولا يصح منهم ذلك، وما يستطيعونه؛ لأنهم عن استماع القرآن من السماء محجوبون مرجومون بالشهب.

[٢١٣] فلا تعبد مع الله معبوداً غيره، فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره.

[٢١٤] وحَدَّث - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك، من عذابنا، أن ينزل بهم.

[٢١٥] واليُنْزِلْ جانبك وكلامك تواضعاً ورحمة لمن ظهر لك منه إجابة دعوتك.

[٢١٦] فإن خالفوا أمرك ولم يتبعوك، فتبرأ من أعمالهم، وما هم عليه من الشرك والضلال.

[٢١٧-٢٢٠] وفَوْضْ أمرك إلى الله العزيز الذي لا يغالب ولا يُفْهَر. الرحيم الذي لا يخذل أوليائه، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة وحده في جوف الليل، ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك قائماً وراكماً وساجداً وجالساً، إنه - سبحانه - هو السميع لتلاوتك وذكرك، العليم بنيتك وعملك.

[٢٢١-٢٢٣] هل أخبركم - أيها الناس - على مَنْ تَنَزَّلُ الشياطين؟ تنزل على كل كذَّاب كثير الآثام من الكهنة. يُسْتَرْقَى الشياطين السمع، يتخطفونه من المأل الأعلى، فيلقونه إلى الكهان، ومن جرى مجراهم من الفسقة، وأكثر هؤلاء كاذبون، يصدِّق أحدهم في كسبة، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة.

[٢٢٤-٢٢٦] والشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويجاريهم الضالون الزائغون من أمثالهم، ألم تر - أيها النبي - أنهم يذهبون كاهنهم على وجهه، محضون في كل فن من فنون الكذب والزور وتمزيق الأعراس والظعن في الأنساب وتجريح النساء العفاف، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، وينتصون أهل الحق؟

[٢٢٧] استثنى الله من الشعراء الذين اهتدوا بالإيمان وعملوا الصالحات، وأكثروا من ذِكر الله فقالوا الشعر في توحيد الله - سبحانه - والثناء عليه جلَّ ذكره، والدفاع عن رسوله محمد ﷺ، وتكلموا بالحكمة والموعظة والآداب الحسنة، وانتصروا للإسلام، يهجون من يهجوهم أو يهجو رسوله؛ رداً على الشعراء الكافرين، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا غيرهم بغطم حقوقهم، أو الاعتداء عليهم، أو بالثَّمم الباطلة، أي مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه؟ إنَّه منقلب سوء، نسأل الله السلامة والعافية.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَضَعُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِئِن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي وَبِمَا أَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْزُقُكَ مِنْ تَحْتِ عَرْشِهِ تَعْوَمُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَىٰكَ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُ كُرْهُهُ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

[سورة النمل]

[١١] ﴿طس﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن وهي آيات الكتاب العزيز بيّنة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع.

فالقرآن هو الكتاب، جمع الله له بين الاسمين.

[٣، ٢] وهي آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتبشر بحسن الشواب للمؤمنين الذين صدّقوا بها، واهدتواً بهديها، الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب.

[٥، ٤] إن الذين لا يُصدّقون بالدار الآخرة، ولا يعملون لها، حسّناً لهم أعمالهم السيئة، فرأوا حسنة، فهم يترددون فيها متحيزين. أولئك الذين لهم العذاب السيئ في الدنيا قتلاً وأسرّاً وذلاً وهزيمة، وهم في الآخرة أشدّ الناس خسراناً.

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴿١﴾ هدى وبشرى للمؤمنين ﴿٢﴾ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴿٣﴾ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينوا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴿٤﴾ أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الخاسرون ﴿٥﴾ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴿٦﴾ إذ قال موسى لأهله يائي أنئت نار استياك منها بغير أية فكروا بهاب قيس لعلكم تصطلون ﴿٧﴾ فلما جاءه أنوارى أن يورك من في النار ومن حولها وسبحن آلهم البرّ العالمين ﴿٨﴾ يئوسى إنهم آتاه الله العزيز الحكيم ﴿٩﴾ وألقى عصاك فلما رآهاتها تتر كآتها جان ولّى مديراً ولو يعقب يئوسى لا تحفأبى لا يخاف لى المرسلون ﴿١٠﴾ إلا من ظلم فهو بدّل حسناً بعد سوء فإبى عفون رحيم ﴿١١﴾ وأدخل يدك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء في تسع إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿١٢﴾ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴿١٣﴾

[٦] وإنك - أيها الرسول - لتلقى القرآن من عند الله، الحكيم في خلقه وتديره الذي أحاط بكل شيء علماً.

[٧] أذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر»: إني أبصرت ناراً سأتيكم منها بخر يدلنا على الطريق، أو أتاكم بشعلة نار، كي تستدفئوا بها من البرد.

[٨-١٢] فلما جاء موسى النار ناداه الله وأخبره أن هذا مكان قدسه الله وباركه فجعله موضعاً لتكليم موسى وإرساله، وأن الله بارك من في النار ومن حولها من الملائكة، وتزيتها لله رب الخلائق عما لا يليق به، يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي. وألقى عصاك فألقاها فصارت حية، فلما رآها تتحرك في خفة تحرك الحية السريعة ولّى هارباً ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: يا موسى لا تحفأ، إني لا يخاف لدي من أرسلتهم برسالي، لكن من تجاوز الحد بذنب، ثم تاب فبدّل حسن التوبة بعد قبح الذنب، فإني عفون له رحيم به، فلا يبيس أحد من رحمة الله ومغفرته، وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص السمرات، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن أمر الله كافرين به.

[١٣] فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بيّنة يبصر بها من نظر إليها حقيقة ما دلت عليه، قالوا: هذا سحر واضح بين.

[١٤] وكذب فرعون وقومه بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى في نبوته وصدق دعوته. وأنكروا بالسنتهم أن تكون من عند الله، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق، وتكبراً على الاعتراف به، فانظر -أيها الرسول- كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله. أفسدوا في الأرض. فأغرقهم الله في البحر؛ وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

[١٥] ولقد أتينا داود وسليمان علماً فعملنا به، وقال: الحمد لله الذي فضلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين. وفي الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع أهله.

[١٦] وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس غلّمتنا وفهّمتنا كلام الطير. وأعطينا من كل شيء، تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه هو الفضل الواضح الذي يُميّزنا على من سوانا.

[١٧] وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهملين، بل كان على كل جنس من يردّ أو لهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعاً منتظمين.

[١٨، ١٩] حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا بهلكنكم سليمان وجنوده. وهم لا يعلمون بذلك. فتبسّم ضاحكاً من قول هذه النملة لفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عليه، فتوجه إليه داعياً: ربّ ألهمني، ووقفتي أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى الدنيّ، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم.

[٢٠، ٢١] وتفقد سليمان حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها. وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجد. فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهد؟ أسخّر سائر عني. أم أنه كان من الغائبين عني. فلم أره لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبنّ هذا الهدهد عذاباً شديداً لغيابه تأديباً له. أو لأذبحنّه عقوبة على ما فعل؛ حيث أخلّ بما سُخّر له. أو ليأتيني بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته.

[٢٢] فسكّث الهدهد زمناً غير بعيد ثم حضر. فعاتبه سليمان على مغيبه وتخلفه. فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجنتك من مدينة «سبأ» «اليمن» بحجر خطير الشأن. وأنا على يقين منه.

وَجَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْسَّتْهَا الْأَشْجُرُ ظَلَمًا وَعَدُوًّا فَأَنْظَرَ كَيْفَ
كَانَ عَجْبَةَ الْمُسْبِرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِّتْ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ
الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَخَيْرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهَذَا
يُورِثُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّعْمِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَبَنَّ كُفْرًا سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارزُقني
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ الدَّيِّ، وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلني بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَذَا أَمْ كَانَ
مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتيني بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَسَكَّثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ يَحْطُ بِهِ. وَجنتك من سبأ بين يدي ﴿٢٢﴾

[٢٣] إني وجدت امرأة تحكم أهل «سبأ»، وأوييت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سيرير عظيم القدر، تجلس عليه لإدارة ملكها.

[٢٤] وجدتُها هي وقومها يعبدون الشمس معرضين عن عبادة الله. وحسن لهم الشيطان أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرّهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده.

[٢٥، ٢٦] حسن لهم الشيطان ذلك؛ لئلا يسجدوا لله الذي يخرج المخبوء المستور في السموات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك، ويعلم ما تُسرّون وما تظهرون. الله الذي لا معبود يستحق العبادة سواه. ربّ العرش العظيم، فعرش الرحمن أعظم المخلوقات.

[٢٧، ٢٨] قال سليمان للهدد: ستأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟ اذهب بكتابي هذا إلى أهل «سبأ» فأعطهم إياه، ثم تنع عنهم قريباً منهم بحيث تسمع كلامهم. فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام.

[٢٩] ذهب الهدد وألقى الكتاب إلى الملكة فقراءته، فجمعت أشراف قومها، وسمعاها تقول لهم: إني وصل إليّ كتاب جليل المقدار من شخص عظيم الشأن.

[٣٠، ٣١] ثم بيّنت ما فيه فقالت: إنه من سليمان، وأنه مفتتح باسم الله الرحمن الرحيم؛ ألا تتكبروا ولا تتعاضوا عما دعوتكم إليه، وأقبلوا إليّ منقادين لله بالوحدانية والطاعة مسلمين له.

[٣٢] قالت: يا أيها الأشراف أشيروا عليّ في هذا الأمر، ما كنت لأفصل في أمر إلا بمحضركم ومشورتكم.

[٣٣] قالوا محييين لها: نحن أصحاب قوة في العدد والغدة وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب، والأمر موكول إليك، وأنت صاحبة الرأي، فتأمل ما ذا تأمرينا به؟ فنحن سامعون لأمرك مطيعون لك.

[٣٤، ٣٥] قالت محذرة لهم من مواجهة سليمان بالعداوة، ومبيّنة لهم سوء مغبة القتال: إن الملوك إذا دخلوا بجيوشهم قرية عنوة وقهراً خربوها وصرّوا أعزّة أهلها أذلة، وقتلوا وأسروا، وهذا عادتهم المستمرة العابتة لحمل الناس على أن يهابوهم. وإني مرسله إلى سليمان وقومه بهديّة مشتملة على نفائس الأموال أصانعه بها، ومنتظرة ما يرجع به الرسل.

إني وجدت امرأة تعبدكهن وأوييت من كل شيء ولها
عرش عظيم ﴿٢٣﴾ ووجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل
فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في
السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿٢٥﴾ الله
لأإله إلا هو ربّ العرش العظيم ﴿٢٦﴾ قال ستظن
أصدقت أمرت من الكذابين ﴿٢٧﴾ اذهب بكتبي هذا
فألقه إليهم فقول عنهم فأنظروا ماذا يترجعون ﴿٢٨﴾ قالت
أتأثروا بما أتى إليّ من كتاب كريم ﴿٢٩﴾ إنه من سائرين وأنه
يسمى الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تفلحوا على وأنوف مسلمين ﴿٣١﴾
قالت بتأثروا بما أتى أنوف في أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى
تشهدون ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولو بأس شديد والأمر
إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾
وإني مرسله إليهم بهديّة فتأظروا بمرسليهم ﴿٣٥﴾

[٣٦] فلما جاء رسول الملكة بالهدية إلى سليمان، قال مستكراً ذلك متحدثاً بأنعم الله عليه: أتمدوني بمال ترضية لي؟ فما أعطاني الله من الثروة والملك والأموال الكثيرة خيراً وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

[٣٧] وقال سليمان عليه السلام لرسول أهل «سبأ»: ارجع إليهم، فوالله لنأتيتهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها، ولنخرجهم من أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم ينقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة من سواه.

[٣٨] قال سليمان مخاطباً من سخرهم الله له من الجن والإنس: أتیکم يأتيني بسريبر ملكها العظيم قبل أن يأتيوني منقادين طائعين؟

[٣٩] قال مارد قويّ شديد من الجن: أنا أتیک به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس، وإني لقويّ على حمله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أتقص منه شيئاً ولا أبده.

[٤٠] قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا أتیک بهذا

العرش قبل ارتداد أجدانك إذا تحركت للنظر في شيء. فأذن له سليمان فداها الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضراً لديه ثابتاً عنده قال: هذا من فضل ربي الذي خلقتني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أشكر بذلك اعترافاً بنعمته تعالى عليّ أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله على نعمه فإنّ نفع ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة.

[٤١] قال سليمان لمن عنده: غيروا سريبر ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رآته؛ لنرى أتتهدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟

[٤٢] فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام. فقال: وأوتينا العلم بالله وبقدرته من قبلها، وكنا منقادين لأمر الله متبعين لدين الإسلام.

[٤٣] ومُنَعَّها عن عبادة الله وحده ما كانت تعبد من دون الله تعالى، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم، وإلا فلها من الذكاء والظنونة ما تعرف به الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تُذهب بصيرة القلب.

[٤٤] قيل لها: ادخلي القصر، وكان صحنه من زجاج تحته ماء، فلما رأت صحن القصر ظننته ماء، تتردد أمواجه، وكشفت عن سابقها لتخوض الماء. فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: رب إني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك. وانفدت متابعة لسليمان داخله في دين رب العالمين أجمعين.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا
 أَتاكم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَتَيْتَهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا يَحِيطُ لَهُمْ بِهَا وَلِنُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَكْثَرَ بَيْتِي بِعَرَشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكِ
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا
 آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَسَكَ وَالْهَا
 عَرَشَهَا فَنَظَّرَ أُتَيْتُ مِنْ آلِ دِينَارٍ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
 وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتِ تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ
 قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّزْمَرٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ إِلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٤٥] ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً: أن وحدوا الله. ولا تجعلوا معه إلهاً آخر. فلما أتاهم صالح داعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه.

[٤٦] قال صالح للفريق الكافر: لِمَ تبادرون الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب، وتؤخرون الإيمان وفعل الحسنات الذي يجلب لكم الثواب؟ هلأ تطلبون المغفرة من الله ابتداءً. وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا.

[٤٧] قال قوم صالح له: نشأء منا بك وبين معك ممن دخل في دينك. قال لهم صالح: ما أصابكم الله من خير أو شر فهو مقدره عليكم ومجازيكم به، بل أنتم قوم تختبرون بالسراء والضراء والخير والشر.

[٤٨] وكان في مدينة صالح - وهي "الحجر" الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب - تسعة رجال، شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا يخالطه شيء من الصلاح.

[٤٩] قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسوا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لئانيئاً صالحاً بغتة في الليل فلنقتلنه ولنقتلن أهلَه، ثم لنقولن لوليِّ الدم من قرابته: ما حضرنا قتلهم. وإنا لصادقون فيما قلنا.

[٥٠] ودبروا هذه الخيلة لإهلاك صالح وأهله مكرأ منهم، فنصرنا نبينا صالحاً عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غرّة، وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم.

[٥١] فانظر - أيها الرسول - نظرة اعتبار إلى عاقبة عُذر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح؛ أننا أهلكتناهم وقومهم أجمعين.

[٥٢] فتلك مساكنهم خالية ليس فيها منهم أحد. أهلكتهم الله؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم. إن في ذلك التدمير والإهلاك لعظة لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذء سُنتنا فيمن يكذب المرسلين.

[٥٣] وأنجينا مآ حلّ يشود من الهلاك صالحاً عليه السّلام والمؤمنين به، الذين كانوا يتقون بإيمانهم عذاب الله.

[٥٤، ٥٥] واذكر لوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح. وأنتم تعلمون قبحها؟ أنكم لتأتون الرجال في أبهارهم للشهوة عوضاً عن النساء؟ بل أنتم قوم تجهلون حق الله عليكم. فخالفتم بذلك أمره. وعصيتهم رسوله بفعلتكم القبيحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئْرَانٍ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَظَلَمْنَا بِكَ وَبِسنِّ مَعَكَ قَالَ ظَلِمْنَا كَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْشَرْنَا قَوْمَنَا فَغَمَمْتَنَا ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَيْتٌ زَهْرٌ بِضَعْفٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَفْضُلُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَا ذُنُوبَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِبَةً يَمَّا ظَلَمُوا رَبَّكَ فِي ذَلِكَ لَأَيُّهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنذَرْتُكُمْ الْفَجْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَهَيْبَكُمْ لَاتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ ذَوْبِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْشَرْنَا قَوْمَ تَجَمُّوتَ ﴿٥٥﴾

[٥٦] فما كان لقوم لوط جواب له إلا قول بعضهم لبعض: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتزهون عن إتيان الذكران. قالوا لهم ذلك استهزاء بهم.

[٥٧] فأنجينا لوطاً وأهله من العذاب الذي سيقع بقوم لوط، إلا امرأته قد رناها من الباقيين في العذاب حتى تهلك مع الهالكين؛ لأنها كانت عوناً لقومها على أفعالهم القبيحة راضية بها.

[٥٨] وأمطرنا عليهم من السماء حجارة من طين مهلكة، فقبُحَ مطر المنذرين، الذين قامت عليهم الحجة.

[٥٩] قل -أيها الرسول-: الفناء والشكر لله، وسلام منه، وأمتة على عباده الذين تحمَّروا برسالته، ثم أسأل مشركي قومك: هل الله الذي يملك النفع والضرب خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره، نفعاً ولا ضرراً؟

﴿مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَجَابَتْهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا امْرَأَتَهُمَّ قَدَّرْنَا مِنَ الْقَائِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَّسَاءً مَطَرًا الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْخِشْيَامُ لَكُمْ وَالسَّلَامَةُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ آمَنَ حَاقِقًا اتَّسَمَتُوا وَالْأَرْضُ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا بَقِيَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئًا وَهِيَ آيَةٌ مِّنْ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ آمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوِيسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ آيَةٌ مِّنْ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ آمَنَ نَجِيحٌ الْمَضْطَرَىٰ إِذَا دَعَا وَبِكَيْفِ الشُّوْبَةِ وَجَعَلَ لَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ ؕ آيَةٌ مِّنْ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ﴿٦٢﴾ آمَنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْوَىٰ وَمَنْ يَرْسُلِ الرَّيحَ بِنُفْسَاتٍ يَدْفَعُ رَحْمَتِيهِ ؕ آيَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٦٠] وإسألهم ممن خلق السموات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأثبت به حقائق ذات منظر حسن؟ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله أنزل عليكم الماء من السماء. إن عبادته سبحانه هي الحق، وعبادة ما سواه، هي الباطل. أمعبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويشرك به؟ بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسؤون بالله غيره في العبادة والتعظيم.

[٦١] أعبادة ما تشركون بربكم خير أم الذي جعل لكم الأرض مستقراً وجعل وسطها أنهاراً، وجعل لها الجبال ثوابت، وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزاً حتى لا يفسد أحدهما الآخر؟ أمعبود مع الله فعَلْ ذلك حتى تشركوه معه في عبادتكم؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، فهم يشركون به تقليداً وظلماً.

[٦٢] أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعل لكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أمعبود مع الله يُعْمَ عليكم هذه النعم؟ قليلاً ما تذكرون وتعتبرون، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

[٦٣] أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتكم فأظلمت عليكم السبل، والذي يرسل الرياح مبشرات بما يرحم به عباده من غيث يجي موت الأرض؟ أمعبود مع الله يفعل بكم شيئاً من ذلك فتدعون من دونه؛ تنزه الله وتقدس عما يشركون به غيره.

[٦٤] واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده، ومن الذي يرزقكم من السماء بياتزال المطر، ومن الأرض بانبثات الزرع وغيره؟ أمعبود سوى الله يفعل ذلك؟ قل: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أن الله تعالى شريكاً في ملكه وعبادته.

[٦٥، ٦٦] قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من المغيبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون من قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها من أهوال حين عاينوها. وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم. [٦٧] وقال الذين جحدوا وحدانية الله: أنحن وأباؤنا مبعوثون أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن صرنا تراباً؟

[٦٨] لقد وعدنا هذا البعث نحن وأباؤنا من قبل، فلم نرله حقيقة ولا وقوعاً. ما هذا الوعد إلا مما سطره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافترؤ.

[٦٩] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من

المجرمين. كيف كان عاقبة المكذبين للرسل؟ أهلكهم الله بتكذيبهم. والله فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا.

[٧٠] ولا تحزن على إغراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ولا يضيِّق صدرك من مكربهم بك. فإن الله ناصرك عليهم. [٧١] ويقول مشركو قومك -أيها الرسول-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تعدنا به أنت وأتباعك إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

[٧٢] قل لهم -أيها الرسول-: عسى أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله.

[٧٣] وإن ريبك لذو فضل على الناس؛ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياها، وكفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك. فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة.

[٧٤] وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهرونه.

[٧٥] وما من شيء غائب عن أبصار الخلق في السماء والأرض إلا في كتاب واضح عند الله وهو اللوح المحفوظ. قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون.

[٧٦] إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ. وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاؤُنْزِلْنَاهُ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَنِّيَأْتِيَنَّهُمْ سَكْرَتٌ ﴿٦٥﴾ قُلْ أَدْرَأَكُ عَلِمْتُمْ فِي الْأَخْتَرِ قُلْ هَلْ هُنَّ
سَكْرَتٌ يُفْتَنُ بِهَا هُمُومُهُمْ وَيُنْفَخُ عَنْهُمْ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا
كُنْزٌ نَبْوِيٌّ وَإِنَّا بِآيَاتِنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدَقٌ لَكُمْ تَعْضَلُ الَّذِينَ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُنَّ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٧] وإن هذا القرآن هداية من الضلال ورحمة من العذاب، لمن صدق به واهتدى بهداه.

[٧٨] إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويجازي المحسن. وهو العزيز الغالب، فلا يزد قضاؤه، العليم فلا يلتبس عليه حق بباطل.

[٧٩] فاعتمد -أيها الرسول- في كل أمورك على الله، وشك به، فإنه كافيك، إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه.

[٨٠] إنك -أيها الرسول- لا تقدر أن تسمع الحق من طبع الله على قلبه فأماتته، ولا تسمع دعوتك من أصم الله سمعه عن سماع الحق عند إديارهم معرضين عنك، فإن الأصم لا يسمع الدعاء، إذا كان مقبلاً، فكيف إذا كان معرضاً عنه مولياً مديراً؟

[٨١] وما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة من أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يصدق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه.

[٨٢] وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتأديبهم في المعاصي

والطغيان، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي «الداية»، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا بالقرآن ومحمد ﷺ ودينه لا يصدقون ولا يعملون.

[٨٣] ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، يُحسب أولهم على آخرهم؛ ليجتمعوا كلهم، ثم يساقون إلى الحساب.

[٨٤، ٨٥] حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: أكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي الَّتِي أَنْزَلْتُهَا عَلَى رَسُلِي، وَبِالْآيَاتِ الَّتِي أَقْسَمْتُهَا دَلَالَةً عَلَى تَوْحِيدِي وَاسْتِحْقَاقِي وَحُدِي لِلْعِبَادَةِ، وَلَمْ تَحِطُّوا عَلِمًا بِبَطْلَانِهَا؛ حتى تعرضوا عنها وتكذبوا بها، أم أي شيء، كنتم تعملون؟ وحقَّت عليهم كلمة العذاب؛ بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فه لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حلَّ بهم من سوء العذاب.

[٨٦] ألم ير هؤلاء المكذوبين بآياتنا أننا جعلنا الليل يستقرُّون فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟ إن في تصرفها لدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ووحدانِيَّتِهِ وعظيم نعمه.

[٨٧] واذكر -أيها الرسول- يوم ينفخ الملك في «القرن» ففرع من في السموات ومن في الأرض فرعاً شديداً من هول النسخة، إلا من استثناه، الله ممن أكرمه وحفظه من الفرع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين مطيعين.

[٨٨] وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيراً حثيثاً كسير السحاب الذي تسيره الرياح، وهذا من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقنه، إن الله خبير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ وَلَا تَسْمَعُ أَصْوَاعَ الدَّعَاةِ إِذَا نُوِّمُوا مَدْرِينِ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُرَى عَن صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمُوعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَتَوَّعَّخْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تَحِطُّوا بِهَا عَلِمًا أَنَا أَكْثَرُ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطَفُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ نُورًا فِيهِ وَالنَّهَارَ نُمُورًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ نَبْفَخُ فِي الصُّورِ فَمِمَّنْ عَمِيَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَسُجِّلَ اسْمُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا مُكذِّبِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُزُّ مَرًّا لِّلصَّاحِبِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهَرَمَ مِنْ فِرْعَانَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْفَ يُجْزَىٰ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا
 مَا كَسَبَ فَعَمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدَ رَبَّ هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي
 حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
 وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَسَنَةُ
 سَيْرٌ يَكْرَهُهَا الْبَنِيَّةُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القنل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسرة ﴿٩٤﴾ نَكَالَ الْكِتَابِ الْمُنِينَ ﴿٩٥﴾ تَنَلَّوْا عَلَيْنِكَ
 مِنْ نَبَاتٍ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ
 فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا سِيْعًا يَسْتَضِعُّ
 طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
 مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٧﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا
 فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْلًا وَمِنَعَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٨﴾

[٨٩] من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفرع الأكبر آمنون.

[٩٠] ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجرأؤهم أن يكبهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم تويخاً: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟

[٩١، ٩٢] قل -أيها الرسول- للناس: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة -وهي مكة- الذي حرّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حراماً، أو يظلموا فيها أحداً، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، وله سبحانه كل شيء، وأمرت أن أعبده وحده دون من سواه، وأمرت أن أكون من المتقادين لأمره، المبادرين لطاعته، وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بما فيه واتبع ما جهت به، فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلّ عن الحق فقل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء.

[٩٣] قل -أيها الرسول-: الشئ الجميل لله، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلّكم على الحق وتبين لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

[سورة القصص]

[١] ﴿طسرة﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذه آيات القرآن الذي أنزلته إليك -أيها الرسول-، مبيناً لكل ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وأخراهم.

[٣] نقص عليك من خير موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه.

[٤] إن فرعون تكبر وطنى في الأرض، وجعل أهلها طوائف متفرقة، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم؛ للخدمة والامتثال، إنه كان من المفسدين في الأرض.

[٥] ونريد أن نمنن على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه.

[٦] ونمكّن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه من هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل.

[٧، ٨] وأهّنا أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أرضيه مطمئنة، فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في النيل، دون خوف من فرعون وقومه أن يقتلوه، ودون حزن على فراقه، إنا رادّو ولدك إليك وباعثوه رسولاً. فوضعته في صندوق وألقته في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبة ذلك ما قدره الله بأن يكون موسى عدواً لهم بمخالفة دينهم، وموقعاً لهم في الحزن بإغراقهم وزوال ملكهم على يده. إن فرعون وهامان وأعوانها كانوا أئمين مشركين.

[٩] ولما شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبته في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدر

سرور لي ولك. لا تقتلوه؛ فقد نصيب منه خيراً أو نتخذه ولداً. وفرعون وآله لا يدركون أن هلاكهم على يديه.

[١٠] وأصبح فؤاد أم موسى خالياً من كل شيء في الدنيا إلا من هم موسى وذكره. وقارت أن تُظهر أنه ابنها لولا أن ثبتناها، فصبرت ولم تُبدي به؛ لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به.

[١١] وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في البية: اتّبعي أثر موسى كيف يُضَمُّ به؛ فنتبعت أثره فأبصرته عن بُعد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خيره.

[١٢] وحرّمنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أن نردّه إلى أمه، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وارضاعه، وهم مشفقون عليه؛ فأجابوها إلى ذلك.

[١٣] فرددنا موسى إلى أمه؛ كي تُقرَّ عينها به، ووفينا لها بالوعد؛ إذ رجع إليها سليماً من قتل فرعون، ولا تحزن على فراقه. ولتعلم أن وعد الله حق فيما وعدها من ردّه إليها وجعله من المرسلين. إن الله لا يخلف وعده، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق.

وَنُمَكِّن لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَشِيَ عَلَيْهِ أَلْقِيهِ فِي الْبِئْرِ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْئِنِّي لِئَلَّا تُفْسِدُوا عَسَىٰ أَنْ يَفْعَمَ اللَّهُ أَوْلَادَكُمْ وَلَكِنَّ لِي وَبَنِيَّ لِنُفْسِنَهُ وَأُصْبِحَ فؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قُرْءَانًا كَدَاتِ لَشَيْبِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ لِأَخْتِيهِ: فُضِّبِي فُضِّبْتِ بِهِ: عَنِ حُجُبٍ وَهِيَ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٩﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٠﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ: كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

[١٤] ولما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله، أتيناها حكماً وعلماً يعرف بهما الأحكام الشرعية، وكما جزينا موسى على طاعته وإحسانه نجري من أحسن من عبادنا.

[١٥] ودخل موسى المدينة مستخفياً وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من قوم موسى من بني إسرائيل، والآخر من قوم فرعون، فطلب الذي من قوم موسى النصر على الذي من عدوه، فضربه موسى بمُجَمِّع كَفَّهُ فمات، قال موسى حين قتله: هذا من نزع الشيطان، بأن هيج غضبي، حتى ضربت هذا فهلك، إن الشيطان عدو لابن آدم، مضل عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة، وهذا العمل من موسى عليه السلام كان قبل النبوة.

[١٦] قال موسى: ربِّ إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاعفُر لي ذلك الذنب، فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

[١٧] قال موسى: ربِّ بما أنعمت عليّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون معيماً لأحد على معصيته وإجرامه. [١٨] فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفاً يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله، فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطياً آخر، ويطلب منه النصر. قال له موسى: إنك لكثير القواية ظاهر الضلال.

[١٩] فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي. قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس.

[٢٠] وجاء رجل من آخر المدينة يسعى. قال يا موسى: إن أشرف قوم فرعون يتآمرون على قتلك ويتشاورون، فاخرج من هذه المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك.

[٢١] فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْرِي
 الْمُخْسِبِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ ۖ وَهَٰذَا مِن عَدُوِّهِ ۗ
 فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِّن شِيعَتِهِ ۖ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَّزَهُ
 مُوسَىٰ فَفَضَىٰ عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
 ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۗ إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
 ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِغُهُ ۖ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنَجُوزِي
 مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
 يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ
 بِالْأَن تَكُونَ طَٰغِيَةً فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ آخِرِ الْمَدِينَةِ بِسَعَىٰ قَالِ يَا مُوسَىٰ
 إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِيُونَكَ لِيفْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِن لَّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالِ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

[٢٢] ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين».

[٢٣] ولما وصل ماء «مدين» وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تصدر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى - عليه السلام - رقى لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

[٢٤] فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة؛ فاستظل بها وقال: ربّ إني مفتقر إلى ما تسوقه

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَفَا مَدْرَبَتٍ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَبِيلَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْرَبَتٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ يَذَّوْبَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ ٱلرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٦﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا ٱنزَلتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَصَرْتُ ﴿١٧﴾ فَمَا أَنتَ بِإِخْدٍ لَهُمَا تَمَنَّىٰ عَلَىٰ ٱسْتِخْبَاءٍ قَالَتَا إِنَّ ٱبْنِ يَدْعُوكَ لِیَجْزِيكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا قَلَمًا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ قَالَتَا إِخْدٍ لَهُمَا يَتَأْتِي ٱسْتَنْجَاةً إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَنْجَرَتِ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِخْدَىٰ ٱبْنَتِي هَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنَّىٰ حَتَّىٰ حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَجْدِفِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢١﴾

إليّ من أي خير كان، كالطعام، وكان قد اشتد به الجوع.

[٢٥] فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تسير إليه في حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقصّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوها: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا.

[٢٦] قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك؛ إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيانتة فيما تأمنه عليه.

[٢٧] قال الشيخ لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين، على أن تكون أجيراً لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فأحسن من عندك، وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرًا، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

[٢٨] قال موسى: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أي المدتين أقضها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أطالب بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه.

[٢٩] فلما وثى نبي الله موسى - عليه السلام - صاحبه المدة عشر سنين - وهي أكل المدين - وسار بأهله إلى «مصر» أبصر من جانب الطور ناراً، قال موسى لأهله: تمهلوا وانظروا إلي أبصرت ناراً، لعل آتيكم منها نبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدقون بها.

[٣١، ٣٠] فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك، فألقها موسى، فصارت حية تسمى، فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌ من الحيات ولَّى هارباً منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربه: يا موسى أقبل إلي ولا تخف؛ إنك من الأمنين من كل مكروء.

[٣٢] أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى

﴿ فَلَمَّا قَصَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾
 ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُورٌ مِّن شُعَلِ النَّارِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُحَ بِي أَنَا اللَّهُ رَبُّكَ الْقَائِلُ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلِيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُحُ بِأُظْفُرِهِ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣٢﴾ أَسْلَفَكَ بِذَلِكَ فِي عِصْيِكَ فَخَرَجَ يَتَشَاوَرُ مِمَّنْ أَمْسَأَلَ مِنْ عِبْرَتِهِ لِيَكُونَ لَكَ آيَةً مِّنَ الرَّحْمَنِ فَذَلِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْكًا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ كَمَا اتَّبَعُونَ ﴿٣٦﴾

الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، واضم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتكهما يا موسى: من تحوّل العصا حية، وجعل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص. آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملاه كانوا قوماً كافرين.

[٣٣، ٣٤] قال موسى: ربّ إني قتلت من قوم فرعون نفساً فأخاف أن يقتلوني، وأخي هارون هو أفصح مني نطقاً، فأرسله معي عوناً يصدقني، ويبين لهم عني ما أخاطبهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أرسلت إليهم. [٣٥] قال الله لموسى: سنقويك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بسوء. أنتما - يا موسى وهارون - ومن آمن بكما المنتصرون على فرعون وقومه: بسبب آياتنا وما دلّث عليه من الحق.

[٣٦] فلما جاء موسى فرعون وملاًه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افترته كذباً وباطلاً، وما سمعنا بهذا الذي تدعوننا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا.

[٣٧] وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحق ممّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومن الذي له العقبي المحموده في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بطلوبهم.

[٣٨] وقال فرعون لأشرف قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة، فأشعل لي -يا هامان- على الطين ناراً، حتى يشتد، واثني لي بناء عالياً، لعلني أنظر إلى معبود موسى الذي يعبده ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين.

[٣٩] واستعل فرعون وجنوده في أرض مصر بغير الحق عن تصديق موسى وأتباعه على ما دعاهم إليه.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ
مُفْتَرَى وَمَا سِغْفَا بِهِ ذَاتُ آيَاتِنَا الْأُولَى ۝
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَكْبَرُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِبْدِهِ. وَمَنْ
تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ آلِهِ
عِزِّي فَأُوذِي لِي بِهَؤُنَى عَلَى الظُّلُمِ نَ فَأَجْعَلِ لِي صِرَاطًا عَلِيًّا
أُطْلِعِ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝
وَأَسْتَكَفِرُ لَهُمْ وِجْهَ جُنُودِهِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقُلُوبُنَا
أَنَّهُمْ إِنَّمَا آيُرْجِفُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ قَبْضَتُهُمْ
فِي الْيَمِّ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ ۝
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَتَذَكَّرُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يَنْصُرُونَ ۝ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هُدُوهُمُ الذَّنْبِ وَغَنَّةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْضُومِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝

وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون.

[٤٠] فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعاً في البحر وأغرقتناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟

[٤١] وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يقتدي بهم أهل الكفر والفسق، ويوم القيامة لا ينصرون؛ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك.

[٤٢] وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضبًا منا عليهم، ويوم القيامة هم من المستقذرة: أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله.

[٤٣] ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكتنا الأمم التي كانت من قبله -كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب «مدين»- حال كون التوراة بصائر لبي إسرائيل، يصرّون بها ما ينفعهم وما يضرهم، وفيها رحمة لمن عمل بها منهم؛ لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروا.

[٤٤] وما كنت -أيها الرسول- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلفناه أمرنا ونهينها، وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

[٤٥] ولكننا خلقنا أمماً من بعد موسى، فمكثوا زمناً طويلاً، فنسوا عهد الله، وتركوا أمره، وما كنت مقيماً في أهل «مدین» تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصتهم وتحبر بها، ولكن ذلك الحبر الذي جنت به عن موسى وحی، وشاهد على رسالتك.

[٤٦] وما كنت -أيها الرسول- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئاً من ذلك فتعلمه، ولكننا أرسلناك رحمة من ربك، لتنذر قوماً لم يأتهم من قبلك من نذيره؛ لعلهم يتذكرون الحبر الذي جنت به فيفعلوه، والشّر الذي نهيت عنه فيجتنبوه.

[٤٧] ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم، فيقولوا: ربنا هلاً أرسلت إلينا

رسولاً من قبل، فنتبع آياتك المنزلة في كتابك، ونكون من المؤمنين بك.

[٤٨] فلما جاء محمد هؤلاء القوم نذيراً لهم، قالوا: هلاً أوتي هذا الذي أرسل إلينا مثل ما أوتي موسى من معجزات حسية، وكتاب نزل جملة واحدة؛ قل -أيها الرسول- لهم: أو لم يكفر اليهود بما أوتي موسى من قبل؛ قالوا: في التوراة والقرآن سخران تعاونا في سحرهما، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون.

[٤٩] قل -أيها الرسول- هؤلاء: فاتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه، إن كنتم صادقين في زعمكم.

[٥٠] فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أننا يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضللاً ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يوفق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، وتجاوزوا حدوده.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَحِمَتَ مِن رَّبِّكَ إِسْتَدْرَجْنَا مَا أَنشَأْنَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قِبَلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ لَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ لَفُتِنُوا بِرَبِّكَ لَوْلَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئُ الْآيَاتِكَ وَتُكَوِّمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْل مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَرُبَّكَ كُفْرًا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلِ قَالُوا سِخْرَانِ تَطَّهَّرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكِلَابِهِمْ عَاذُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأَنزِلْ بِكُتُبٍ مِّن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٥١] ولقد فضلنا وبيّنا القرآن رحمة بقومك أيها الرسول؛ لعلمهم بتذكرون. فيتعظوا به.

[٥٢] الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن - وهم اليهود والنصارى الذين لم يبدلوا - يؤمنون بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام.

[٥٣] وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب، قالوا: صدقنا به، وعملنا بما فيه، إنه الحق من عند ربنا، إنا كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام.

[٥٤، ٥٥] هؤلاء الذين تقدّمت صفتهم يؤتّون ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السينة بالحسنة، وما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر. وإذا سجع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يُضغوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولحكم أعمالكم ووزرها عليكم، فنحن لا نُثقل أنفسنا

بالرد عليكم، ولا نسمعون منّا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم؛ لأننا لا نريد طريق الجاهلین ولا نجحها. وهذا من خير ما يقوله الدعاء إلى الله.

[٥٦] إنك - أيها الرسول - لا تهدي هداية توفيق من أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي من يشاء، أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.

[٥٧] وقال كفار «مكة»: إن نتبع الحق الذي جئنا به، ونتبرأ من الأولياء والأهله، نُثخّطُف من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أولم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرّما على الناس سفك الدماء فيه، يُجلب إليه ثمرات كل شيء، رزقا من لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر هذه النعم عليهم، فيشكروا من أنعم عليهم بها ويطيعوه.

[٥٨] وكثير من أهل القرى أهلكتناهم حين ألثّمتهم معيشتهم عن الإيمان بالرسول، فكفروا وطغوا، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً منها، وكنا نحن الوارثين للعباد نسيبتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

[٥٩] وما كان ريبك - أيها الرسول - مهلك القرى التي حول «مكة» في زمانك حتى يبعث في أمها - وهي «مكة» - رسولا، يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والنكال.

«وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ أَقْوَالَهُمْ بِتَدْكَرَاتٍ ۚ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُوْمِنُونَ ۖ وَإِذَا يُنزَّلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا هَذَا هُنَّا أَنبَاءٌ مِّن قَبْلِهِ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَّوْنَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كَانَتْ مِن قَبْلِهِمْ لِيُقْبَلُوا ۗ وَإِذَا أَسْمِعُوا لِلنَّاسِ آغْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا عَمَلْنَا ۗ لَكُم آغْرَضْنَا سَلْمًا عَلَيْهِ كُنَّا لَا تَبْتَئِي لِمُجْرِمِينَ ۗ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ۗ وَالسُّعْيُ أَتَى اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۗ»
 وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَطَّف مِن أَرْضِنَا أَوْلَىٰ نُمْكِن لَهُمْ خَرْمًا ۖ وَإِنَّا بِجَنَّةِ اللَّهِ لَمُتَمَرِّنٌ ۖ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ وَكَرَاهَهُ كُنَّا مِن قَرْبِهِ ۖ يَطْرُقُ مَعِيشتَهُمْ فَيَنكَلُ مَسْكَنَهُمْ لَمْ تُسْكَن قَرْنَا بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۗ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۗ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَةً الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۗ

وَمَا أُوْتِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاصْتَفَحُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ عَذَابٌ وَإِنِّي أَفْلَأُ تَقَالُوتُ ﴿٦٥﴾ أَفْسَسَ وَعَدَنَهُ وَعَدَا حَسَنَاتًا فَهَوِيَ لِقَابِهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ يَقُولُ أَيُّكُمْ شَرِكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعِمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبْرَاءَانًا بَعْدُ ﴿٦٨﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٠﴾ قَعَمِيثٌ عَلَيْهِمُ الْأُنثَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٥﴾

[٦٥] وما أعطيتهم - أيها الناس - من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُزَيَّن بها، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير وأبقى؛ لأنه دائم لا يفادله، أفلا تكون لكم عقول - أيها القوم - تدبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟

[٦٦] أفسس وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقي ما زعده، وصائر إليه، كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها، فتمتع به، وأثر لذة عاجلة على أجلته، ثم هو يوم القيامة من المخضرين للحساب والجزاء؟ لا يستوي الفريقان، فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار، وهو طاعة الله وابتغاء مرضاته.

[٦٧] ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأولاد في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟

[٦٨] قال الذين حَقَّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك من ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

[٦٩] وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، فدعوه فلم يستجيبوا لهم، وعابنوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عُدُّوا.

[٧٠] ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول: بأي شيء أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به إليكم؟

[٧١] فخفيت عليهم الحجج، فلم يَدْرُوا ما يحتجون به، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به سؤال انتفاع.

[٧٢] فأما من تاب وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله، فهو من الفائزين في الدارين.

[٧٣] وربك يخلق ما يشاء أن يخلق، ويصطفي لولايته من يشاء من خلقه، وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإنما ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتزه عن شركهم.

[٧٤] وربك يعلم ما تخفي صدور خلقه وما يظهره.

[٧٥] وهو الله الذي لا معبود بحق سواه، له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة، وله الحكم بين خلقه، وإليه تُرَدُّون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

[٧١] قل - أيها الرسول-: أخبروني - أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون به؟ أفلا تسمعون سماع فهم وقبول؟

[٧٢] قل لهم: أخبروني إن جعل الله عليكم النهار دائماً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون وتهدؤون فيه؟ أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟

[٧٣] ومن رحمته بكم - أيها الناس- أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلاماً؛ لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم، وجعل لكم النهار ضياءً؛ لتطلبوا فيه معاشكم، ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك.

[٧٤] ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بضِيَاءً أَفَلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيَالٍ تَشْكُرُونَ فِيهَا أَفَلَاقٌ تَنصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ سَهِيَدًا أَفَلْتَأْتَاهُنَّ أَنْزَلْنَاهُمْ مَاءً كَاثِبًا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ قَرُّونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَيَقِي عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَتْهُ مِنَ الْكُفُورِ مِمَّا إِنْ مَقَاتِلُهُمْ لَتَأْتُوا بِالْقُبُصَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَنْتَعِمُوا بِمَا آتَاكُمُ اللَّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا تَمَسُّ قَصِيدَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[٧٥] ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة شهيداً - وهو نبيهم -، يشهد على ما جرى في الدنيا من شركهم وتكذيبهم لرسولهم، فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حجتكم على ما أشركتم مع الله، فعلموا حينئذ أن الحججة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون على ربهم، فلم ينفعهم ذلك، بل ضرهم وأوردهم نار جهنم.

[٧٦] إن قارون كان من قوم موسى - عليه الصلاة والسلام - فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، وأتينا قارون من كنوز الأموال شيئاً عظيماً، حتى إن مفاتيح خزائنه لَيَثْقُلُ جملها على العدد الكثير من الأقوياء، إذ قال له قومه: لا تبظر فرحاً بما أنت فيه من المال، إن الله لا يحب من خلقه البطيرين الذين لا يشكرون الله تعالى ما أعطاهم.

[٧٧] والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا، ولا تترك حظك من الدنيا، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف، وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلمس ما حرم الله عليك من الفساد في الأرض والبغي على قومك، إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم.

[٧٨] قال قارون لقومه الذين وعظوه: إننا أعطيت هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، أولم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشاً، وأكثر جمعاً للأموال؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لعلم الله تعالى بها. إننا يُسألون سؤال توبيخ وتقرير، وبعاقبهم الله على ما علمه منهم.

[٧٩] فخرج قارون على قومه في زينته، مريداً بذلك إظهار عظمتهم وكثرة أموالهم، وحين رأى الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أَعْطَى قارون من المال والزينه والجواهر، إن قارون لدر نصيب عظيم من الدنيا.

[٨٠] وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون؛ وبلعكم اتقوا الله وأطيعوه، ثواب الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خير مما أوتي قارون، ولا يتقبل هذه النصيحة ويوفق إليها

ويعمل بها إلا من يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه.

[٨١] فحسفنا بقارون وبداره الأرض. فسا كان له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان ممتنعاً من الله إذا أحل به نعمته.

[٨٢] وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيق على من يشاء منهم. لولا أن الله من علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لحسف بنا كما فعل بقارون. ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

[٨٣] تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض ولا فساداً فيها. والعاقبة المحمودة - وهي الجنة - لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات.

[٨٤] من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وفق ما شرع الله. فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يجزي الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِثْلَهُ بِمِثْلِ قَارُونَ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَأُدَّوْحَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْمَالِ إِنَّهُمْ لَنَا مُّرْسِلُونَ ۗ إِنَّا لَمَعْلَمُونَ سَأَلْنَا تَرْجِيهًا وَمَا تَرْجِيهَاتُ إِلَّا الصَّيْحُورُ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهٖ وَبَدَارَهُ الْأَرْضَ قَمَا كَانَ لَهُ مِن فِتْنَةٍ يَصْرُونَ ۗ وَمِنَ الَّذِينَ أُوتُوا اللَّهُ وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْحَابَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُمْ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَأَكْبَرُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ۗ مِن عِبَادِهِ ۗ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَحَسَفْنَا بِمَا نَكَانُ ۗ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ نَجْرَتٌ مِّمَّا مِن جَاءَ ۗ وَالسَّيِّئَةُ فَلَا يُجْزَىٰ لِلَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ ۗ إِلَّا مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٨٥] إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- القرآن، وفرض عليك تبليغه والتسك به، لمرُجعه إلى الموضوع الذي خرجت منه، وهو «مكة»، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بهدي، ومن هو في ذهاب واضح عن الحق.

[٨٦] وما كنت -أيها الرسول- تؤمّل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك، فاشكر الله تعالى على نعمه، ولا تكوننّ عوناً لأهل الشرك والضلال.

[٨٧] ولا يصرّفنك هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك، وبلغ رسالة ربك، ولا تكونن من المشركين في شيء.

[٨٨] ولا تعبد مع الله معبوداً آخر؛ فلا معبود بحق إلا الله، كل شيء، هالك وفانٍ إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء. وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ إِلَيْكَ مَا فِي الْكِتَابِ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِّلْمُكْفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾

بكاله وعظمة جلاله.

[سورة العنكبوت]

- [١] ﴿الَّذِينَ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- [٢] أَظُنُّ النَّاسَ إِذْ قَالُوا: آمَنَّا، أَنَّ اللَّهَ يَتْرُكُهُمْ بِلَا ابْتِلَاءٍ وَلَا اخْتِبَارٍ؟
- [٣] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَاخْتَبَرْنَا هَمَّهُمْ، مِمَّنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلخَلْقِ صِدْقَ الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانِهِمْ، وَكُذُوبَ الْكَاذِبِينَ؛ لِيُمَيِّزَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الْآخَرِ.
- [٤] بَلْ أَظُنُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِيَ مِن شَرِكٍ وَغَيْرِهِ، أَنَّ يَعْجِزُونَا، فَيَفُوتُونَا بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ؟ بِئْسَ حُكْمُهُمُ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِهِ.
- [٥] مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ، وَطَمَعُ فِي ثَوَابِهِ، فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ الَّذِي أَجَّلَهُ لِيُعْطِيَ خَلْقَهُ لِلْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ لَآتٍ قَرِيبًا، وَهُوَ السَّمِيعُ لِلْأَقْوَالِ، الْعَلِيمُ بِالْأَفْعَالِ.
- [٦] وَمَن جَاهَدَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ بِمَجْمَلِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً لِّلثَوَابِ عَلَى جِهَادِهِ. إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ أَعْمَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

[٧] والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات لنسحورن عنهم خطيئاتهم، ولنثيبنهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون.

[٨] ووصينا الإنسان بوالديه أن يتزهدا، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جهادك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمتثل أمرهما، ويلحق بطلب الإشراف بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كائننا من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ: إلى مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسينها، وأجازيكم عليها.

[٩] والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال، لندخلنهم الجنة في جملة عباد الله الصالحين.

[١٠] ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جرع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من

عذاب الله ولا يصبر على الأذى منه، فارتد عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولن هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنا كنا معكم -أيها المؤمنون- نصركم على أعدائكم، أوليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

[١١] وليعلمن الله علماً ظاهراً للخلق الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وليعلمن المنافقين؛ ليميز كل فريق من الآخر.

[١٢] وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإننا نتحمل أثام خطاياكم، وليسوا بمجاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا.

[١٣] وليحملن هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

[١٤] ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، فلم يستجيبوا له، فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حَسَبًا وَإِن كُنَّ عَاذِلَةً لِغَيْرِكَ فَإِلَىٰ يَدَيْهِ عِلَّةٌ
فَلَا تَطْغِبْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَإِنَّكَ بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِن خَطِيئَتِهِمْ
مَنْ حَتَّىٰ إِذْ أَنزَلْنَا لَكَ آيَاتِنَا أَنفُقًا آلِهَةً وَأَنفُقًا لَمَّا
أَنفُقًا آلِهَةً وَلَيَسْتَأْذِنَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَنزَلْنَا الطُّوفَانَ وَكُفِّرْنَا عَنْهُم

[١٥] فأنجينا نوحاً ومن تبعه ممن كان معه في السفينة، وجعلنا ذلك عبرة وعظة للعالمين.

[١٦] واذكر - أيها الرسول - إبراهيم عليه السلام حين دعا قومه: أن أخلصوا العبادة لله وحده، واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

[١٧] ما تعبدون - أيها القوم - من دون الله إلا أصناماً، وتفترون كذباً بتسميتكم إياها آلهة، إن أوثانكم التي تعبدونها من دون الله لا تقدر أن ترزقكم شيئاً، فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، وأخلصوا له العبادة والشكر على رزقه لياكم، إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم.

[١٨] وإن تكذَّبوا - أيها الناس - رسولنا محمداً ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة الله وحده، فقد كذبت

فَأَعْيَنَهُ وَأَمَّحَبَّ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
وَاتَّبَعْتَهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اغْبُذُوا اللَّهَ وَآثِقُوا ذَلِكَمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَمَخْلُوقَاتٍ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ يَرْوَأُكَيفَ بَنَدِي أَنَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ يَسِّرُوا فِي الْأَرْضِ
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ فَإِنَّ اللَّهَ يُنشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ
مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا تَعْسِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَابِهِ
أُولَئِكَ يَجْزِيهِمْ رَبُّهُمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

جماعات من قبلكم رسلا فيما دعيتهم إليه من الحق، فحلَّ بهم سخط الله، وما على الرسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح. وقد فعل.

[١٩] أولم يعلم هؤلاء كيف ينشئ الله الخلق من العدم، ثم يعيده من بعد فواته، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً، لا يتعذر عليه ذلك؟ إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيراً عليه إنشاؤه.

[٢٠] قل - أيها الرسول - لمنكري البعث بعد الممات: سمروا في الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلق، ولم يتعذر عليه إنشاؤه مبتدئاً؟ فكذلك لا يتعذر عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراد.

[٢١] يعذب من يشاء من خلقه على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ويرحم من يشاء منهم من تاب وأمن وعمل صالحاً، وإليه ترجعون، فيجازيكم بما عملتم.

[٢٢] وما أنتم - أيها الناس - بمعجزتي الله في الأرض ولا في السماء إن عصيتموه، وما كان لكم من دون الله من وليٍّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءاً.

[٢٣] والذين جحدوا حجج الله وأنكروا أدلته، ولقاء يوم القيامة، أولئك ليس لهم مطمع في رحمتي في الآخرة لتأعيبنا ما أجدُّ لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مؤلم موعج.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ ﴿٢٥﴾ فَمَاتَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
الْقِسْمَةَ وَالْكَتَابَ وَمَاتَتِهَا أَجْرَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّمَا كُنْتُ لَكُمْ مِنَ النَّارِ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا سَبَقَكُمْ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا كُنْتُ لَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِن كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

[٢٤] فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرقوه بالنار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجاننا لإبراهيم من النار لأدلة وحججاً لقوم يصدقون الله ويعملون بشرعه.

[٢٥] وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم آلهة باطلة اتخذتموها من دون الله، تتحايون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ومصيركم جميعاً النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها.

[٢٦] فصدق لوط إبراهيم وتبع ملته. وقال إبراهيم: إنني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي «الشام»، إن الله هو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره.

[٢٧] ووهبنا له إسحاق ولداً، ويعقوب من بعده، ولدت

ولدت، وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب، وأعطينا ثواب بلائه فينا، في الدنيا الذكر الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

[٢٨، ٢٩] واذكر -أيها الرسول- لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تقدمكم بفعلها أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال في أديبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة بالحجارة، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال؟ وفي هذا إعلام بأنه لا يجوز أن يجتمع الناس على المنكر مما نهى الله ورسوله عنه. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

[٣٠] قال: رب انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ بإنزال العذاب عليهم؛ حيث ابتدعوا هذه الفاحشة وأصرُّوا عليها، فاستجاب الله دعاء..

[٣١] ولما جاءت الملائكة إبراهيم بالخير السار من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولد يعقوب، قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي «سُدوم»، إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم بمعصيتهم لله.

[٣٢] قال إبراهيم للملائكة: إن فيها لوطاً وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجيَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقيين الهالكين.

[٣٣] ولما جاءت الملائكة لوطاً ساء ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفاً من البشر، وحزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه، وقالوا له: لا تحف علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم، إنا منجوك من العذاب النازل بقومك ومنجواً أهلنا معك إلا امرأتك، فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا
أَهْلَ مَدْيَنَ الْقَرْيَةَ إِنَّا نَهْلِكُكَ أَنْتَ وَآلِيكَ بِمَدْيَنَ
قَالَ إِن فِيهَا لُوطٌ قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا
أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ وَقَاظَ بِهِنَّ ذُرًّا
وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا
أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا فَعَلُوا
وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ
وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٤﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْقَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُنُودًا ﴿٣٥﴾ وَعَادَا وَرِمُودًا وَقَدْ تَبَيَّرَتْ لَكُمْ
مِن مَّسْكِكُمْ هُمْ وَرَبَّتْ لَهُمُ السَّمَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٤] إنا منزلون على أهل هذه القرية عذاباً من السماء؛ بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة.

[٣٥] ولقد أبقينا من ديار قوم لوط آثاراً بينة لقوم يعقلون العبر، فينتفعون بها.

[٣٦] وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، ما لكم من إله غيري، وارجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر، ولا تكثروا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

[٣٧] فكذب أهل «مدين» شعيباً فيما جاءهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى هالكين.

[٣٨] وأهلكنا عاداً ورموداً، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأؤها منهم، وحلول نعمتنا بهم جميعاً، وحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فصدهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

[٣٩] وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، ولقد جاءهم جميعاً موسى بالأدلة الواضحة، فتعاضبوا في الأرض، واستكبروا فيها، ولم يَكُونُوا لِيُفَوْتُونَا، بل كنا مقتدرين عليهم.

[٤٠] فأخذنا كُلاًّ من هؤلاء المذكورين بعدابنا بسبب ذنبه: فمنهم الذين أرسلنا عليهم ريحاً شديدة ترميهم بحجارة من طين مُتتابع، وهم قوم لوط، ومنهم من أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون. ومنهم من أغرقنا، وهم قوم نوح وفرعون وقومه، ولم يكن الله ليهلك هؤلاء بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون بتنعيمهم في نعم ربهم وعبادتهم غيره.

[٤١] مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتاً لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئاً عند حاجتها

إليه. فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً. وإن أضعف البيوت لبُيوت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرّونهم.

[٤٢] إن الله يعلم ما يشركون به من الأنداد. وأنها ليست بشيء، في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها، لا تنفع ولا تضر. وهو العزيز في انتقامه ممن كفر به، الحكيم في تدبيره وصنعه.

[٤٣] وهذه الأمثال نضربها للناس: لينتفخوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه.

[٤٤] خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط. إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفردته بالإلهية، وحُصَّ المؤمنين بالدُّكْرِ؛ لأنهم الذين ينتفعون بذلك.

[٤٥] اتل ما أنزل إليك من هذا القرآن واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهي صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات، وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير. وتقل أو تنعدم رغبته في الشر. ولتذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

وَقَرُونِ وَفَرَعُونَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِبِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَرِهْنَا لَهُمْ أَنْ تَازِلَهُمْ رَبِّي فَأَنْزَلْنَاهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مِثَالُ الْهَاجِرِ وَمَنْ كَفَرَ مِنَّا فَلَنَنْزِلْ بِهِ السَّيْفَ وَأَنزَلْنَا لَهُ السَّيْفَ الَّذِي يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ قَارُونَ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ فَكَرِهْنَا أَن نَجْعَلَ لَهُ مِثْلَ عِلْقَانِ الْفَأْتِكِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ جَاءَ نُوحٌ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ فَكَرِهْنَا أَن نَجْعَلَ لَهُ مِثْلَ عِلْقَانِ الْفَأْتِكِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَ لُوطٌ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ فَكَرِهْنَا أَن نَجْعَلَ لَهُ مِثْلَ عِلْقَانِ الْفَأْتِكِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَ هَامَانَ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ فَكَرِهْنَا أَن نَجْعَلَ لَهُ مِثْلَ عِلْقَانِ الْفَأْتِكِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَ قَارُونَ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ فَكَرِهْنَا أَن نَجْعَلَ لَهُ مِثْلَ عِلْقَانِ الْفَأْتِكِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٤٥﴾

[٤٦] ولا تجادلوا- أيها المؤمنون- اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الحسن. والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فقاتلوهم حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية بأيديهم وهم أذلاء، وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلا إليكم، والهنا والهكم واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسماؤه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه.

[٤٧] وكما أنزلنا- أيها الرسول- الكتب على من قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة، فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن، ومن هؤلاء العرب من قرئش وغيرهم من يؤمن به، ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلائله وبراهينه البينة إلا

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَلَمْ نَأْتِ بِآيَاتٍ أَنْزَلْنَا وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ بِالْحُكْمِ وَرَحْمَةٍ وَأَنْ نَسِيهُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْفِكُ بِهِ وَمَا يُجْحَدُونَ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْعَاقِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَشْأُرُونَ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْتَفِظُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا الْأَرْقَاتُ الْمُجْتَلِيَاتُ ﴿٥٨﴾ نَلَّ هُنَّ بَازِيَاتٌ بَيْنَهُنَّ فِي ضُرُوبٍ أَلْوَنَاتٍ أَتَوْهُنَّ مِنْ أَلْفِ مِيلَاتٍ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ أَوَلَمْ يَكْفِ مِنْ آيَاتِنَا عَلَيْكَ أَنَّ الْكِتَابَ يُنزلُ عَلَيْهِ لَئِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا لِمَا نَزَلْنَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦١﴾

الكافرون الذين ذأبهم المجرود والعناد.

[٤٨] ومن معجزاتك البينة- أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتاباً ولم تكتب حرفاً بيمينك قبل نزول القرآن عليك. وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئاً أو كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها.

[٤٩] بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويمجدون عنه.

[٥٠] وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كفاية صالح، وعصا موسى؛ قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها، وإننا لنعلم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبين طريق الحق من الباطل. [٥١] أو لم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك- أيها الرسول- أننا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟ إن في هذا القرآن لرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

[٥٢] قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهداً على صدقي أني رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جنث به من عند الله، يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء، فيهما. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله -مع هذه الدلائل الواضحة- أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

[٥٣] ويستعجلك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون من قومك بالعباد بالعباد استهزاء، ولولا أن الله جعل لعذابه في الدنيا وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه، وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يحسبون.

[٥٤] يستعجلونك بالعباد في الدنيا. وهو آتيهم لا محالة إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفر لهم منه.

[٥٥] يوم القيامة يفشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشراك بالله، وارتكاب الجرائم والآثام.

[٥٦] يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي.

[٥٧] كل نفس حية ذائقة الموت، ثم ليناترجعون للحساب والجزاء.

[٥٨] والذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا ما أمروا به من الصالحات لنزّلنهم من الجنة عرفاً عالية تجري من تحتها الأنهار، ما كئيب فيها أبداً، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم.

[٥٩] إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم.

[٦٠] وكم من دابة لا تتأخر غذاءها لعد، كما يفعل ابن آدم، فالله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم.

[٦١] ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، ودلّل الشمس والقمر؟ ليقولن: خلقهن الله وحده، فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء، ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!

[٦٢] الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيّق على آخرين منهم؛ لعلمه بما يصلح عباده، إن الله بكل شيء، من أحوالكم وأموركم عليه، لا يخفى عليه شيء.

[٦٣] ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من الذي نزل من السحاب ماء فأحيا به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولن لك معترفين: الله وحده هو الذي نزل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حاجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عقلوا ما أشركوا مع الله غيره.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَفْسَسُنُهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو قُرْآنٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾
يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي وَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْعَذَابِ ثُمَّ إِنِّي أَنزَلْنَاهُ عُرْفًا مُّجْرِي
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا مُّجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَهْتَبُونَ خَلِدِينَ فِيهَا بِغَيْرِ آبْحٍ أَوْ عَمَلٍ غَيْرِ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَأَيُّ مَن دَائِقَةُ لَأَمْحِيلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

[٦٤] وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعاً، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء.

[٦٥، ٦٦] فإذا ركب الكفار السفن في البحر، وخافوا الفرق، وخدوا الله، وأخلصوا له في الدعاء حال شدتهم، فلما نجّاهم إلى البر، وزالت عنهم الشدة، عادوا إلى شركهم، إنهم بهذا يتناقضون، يوحدون الله ساعة الشدة، ويشركون به ساعة الرخاء. ويشركهم بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر؛ ليكون عاقبته الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا تمتعهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعيد لهم.

[٦٧] أولم يشاهد كفار «مكة» أن الله جعل «مكة» لهم حَرَمًا آمناً يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناس من حولهم خارج الحرم، يُتَخَفَتون غير

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحياتون لو كانوا يعلمون ﴿٦٤﴾ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الذين قلنا فنجهم بالآية إذا هم يشركون ﴿٦٥﴾ ليكفروا بما آتيتهم ولستم تعلموا مستوف يعامون ﴿٦٥﴾ أولم يترأوا أنا جعلنا حَرَمًا آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴿٦٥﴾ ومن أظلم ممن آفترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه من اليس في جهنم مثوى للكافرين ﴿٦٥﴾ والذين جهنموا فيما تهديتهم مثلما وإن الله لمع الخسيس ﴿٦٥﴾

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ٣ وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ ٤ عَلَيْهِمْ سَبْعِينَ لَيْلَةً ٥ فِي ضِعْفِ سِنِينَ ٦ لِلَّهِ الْأَمْرُ ٧ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ تَعَدَّ وَيَوْمَ سَيُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ٨ يَتَضَرَّوْا ٩ وَيَتَضَرَّوْنَ ١٠ يَشَاءُ ١١ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٢

آمنين؟ أقبالشرك يؤمنون، وبنعمة الله التي خصهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟

[٦٨] لا أحد أشد ظلاماً ممن كذب على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذب بالحق الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، إن في النار لمسكناً لمن كفر بالله، وجحد توحيد، وكذب رسوله محمداً ﷺ.

[٦٩] والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والشيطان، وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله، سيهدبهم الله سبل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، ومن هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع من خلقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.

[سورة الروم]

[١] «الر» سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢-٥] غَلَبَتِ فارسُ الروم في أدنى أرض «الشام» إلى «فارس»، وسوف يُغَلِبُ الرومُ الفرس في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. لله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس. والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالب، الرحيم بمن شاء من خلقه. وقد تحقق ذلك فغَلَبَتِ الرومُ الفرس بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك؛ لكون الروم أهل كتاب وإن حُرِّفُو.

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْفَىٰ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَدَىٰ عَنِ الْآخِرَةِ هُدًى
 غَافِلُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ يَتفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
 أَشَدَّ مِنْهُم قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَإِلَهِ
 لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ كَانَتْ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَنُوا الشُّرَاقِيَّ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِلُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١١﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٢﴾
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ بِشُرُوفِهِمْ ﴿١٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

(٧، ٦) وعد الله المؤمنين وعداً جازماً لا يتخلف، بنصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار مكة لا يعلمون أن ما وعد الله به حق، وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها، وهم عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها غافلون. لا يفكرون فيها.

[٨] أولم يتفكر هؤلاء المكذبون برسول الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئاً. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا إقامة العدل والشواب والعقاب، والدلالة على توحيدهِ وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لحاحدون منكرون؛ جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فناءهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

[٩] أولم يسير هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سيراً تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذبوا برسول الله كعاد

وشود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجساماً، وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها، وبنوا القصور وسكنوها، فعمسروا دنياهم أكثر مما عمسروا أهل مكة دنياهم، فلم تنفعهم بعمارهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسالهم بالحجج الظاهرة والبراهين الساطعة، فكذبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

[١٠] ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛ لتكذيبهم بالله وسخرتهم بآياته التي أنزلها على رسوله.

[١١] الله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى، ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

[١٢] ويوم تقوم الساعة يبسِلُ المجرمون من النجاة من العذاب، وتصيبهم الحيرة فتقطع حجتهم.

[١٣] ولم يكن للمشركين في ذلك اليوم من ألهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعا، بل إنها تتبرأ منهم، ويتبرؤون منها. فالشفاعة لله وحده، ولا تطلب من غيره.

[١٤، ١٥] ويوم تقوم الساعة يفترق أهل الإيمان وأهل الكفر. فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات فهم في الجنة، يكرمون ويسرون وينعمون.

[١٦] وأما الذين كفروا بالله وكذبوا بما جاء به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت، فأولئك في العذاب مقيمون؛ جزاء ما كذبوا به في الدنيا.

[١٧، ١٨] فإيا أيها المؤمنون سبحوا الله ونزهوه عن الشريك والصاحبة والولد، وصفوه بصفات الكمال بالستكم، وحققوا ذلك بموارحكم كلها حين تمسون، وحين تصبحون، ووقت العشي، ووقت الظهيرة. وله - سبحانه - الحمد والفناء في السموات والأرض وفي الليل والنهار.

[١٩] يخرج الله السحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والبيضة من الطير. ويجيئ الأرض بالنبات بعد يبسها وجفافها، ومثل هذا الإحياء تخرجون - أيها الناس - من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

[٢٠] ومن آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَكَدُوا بِتَيْبَتِنَا وَلِقَابِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَذَّبُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَنِ فِتْنَتِنَا وَمِنْ فِتْنَتِنَا وَيَوْمَ يُنْفَخُ سَجُونُ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ السِّنِّ وَالْوَسْمِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَتَاعُ الْبُرُوقِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾

أن خلق أباكم آدم من تراب، ثم أنتم بشر تتناسلون منتشرين في الأرض، تبتغون من فضل الله.

[٢١] ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم - أيها الرجال - أزواجاً لتطمنن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك آيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون.

[٢٢] ومن دلائل القدرة الربانية: خلق السموات وارتفاعها بغير عمد، وخلق الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلاف لغاتكم وتباين ألوانكم، إن في هذا لآية لكل ذي علم وبصيرة.

[٢٣] ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار، إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق، إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوة مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر واعتبار.

[٢٤] ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطراً فيحيي به الأرض بعد جدها وجفافها، إن في هذا لدليلاً على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل من لديه عقل يهتدي به.

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَهُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قِيَمَتُونَ ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَلْقُ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فِيهِمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٧﴾ صَرَّتْ لَكُمْ مَثَلًا مِمَّنْ أَنْفُسُكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شَرِكَةٍ فِي مَا زَرَقْتُمْ فِيهَا فَتَنْتَهَىٰ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفَعُ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ بِعِبَادَتِهِ ﴿٤٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَنْزَلْنَا وَسَخَّرْنَا لِلَّذِينَ خَبِرْنَا مِنْ نَفْسِهِمْ أَنْ يَنْبَغِي لِيُحَاقِقُوا اللَّهَ الَّذِي بَدَّلَ لِقَاءَهُمْ آيَاتِهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ مَنِّيْبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِحْقًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِينٌ ﴿٥٢﴾

[٤٥] ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتهما بأمره، فلم تنزلوا، ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين.

[٤٦] والله وحده كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، كل هؤلاء متفادون لأمره خاضعون لكلامه.

[٤٧] والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حياً بعد الموت، وإعادة الخلق حياً بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هين. وله سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثلته شيء، وهو السميع البصير. وهو العزيز الذي لا يغالب. الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه.

[٤٨] ضرب الله مثلاً لكم -أيها المشركون- من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم وإمائكم من يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء

في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكاً من خلقه؟ يمثل هذا البيان نبين البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها.

[٤٩] بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آباءهم بغير علم، فشاركهم في الجهل والضلالة، ولا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس هؤلاء من أنصار من يخلفونهم من عذاب الله.

[٥٠] فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فيقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا بتبديل خلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتكم به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

[٥١] وكونوا راجعين إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل له، واتقوا بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة.

[٥٢] ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدلوا دينهم وغيروه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه؛ تبعاً لأهوائهم، فصاروا فرقا وأحزاباً، يتشبهون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضاً على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون. يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل.

[٣٣] وإذا أصاب الناس شدة وبلاء دعوا ربهم مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحمهم وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعيدون مع الله غير.

[٣٤] ليكفروا بما آتيناهم ومنشأ به عليهم من كشف الضر، وزوال الشدة عنهم، فتمتعوا -أيها المشركون- بالرخاء والسعة في هذه الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقونه من العذاب والعقاب.

[٣٥] أم أنزلنا على هؤلاء المشركين برهاناً ساطعاً وكتاباً قاطعاً، ينطق بصحة شركهم وكفرهم بالله وآياته.

[٣٦] وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطير وأشتر، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يتنفسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.

[٣٧] أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحاناً، هل يشكر أو يكفر؟ وبضيقه على من يشاء اختباراً، هل يصبر أو يجزع؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق

وإذا امتس الناس ضرّاً دعوا ربهم مبيين إليهم إذا أذقهم منه رحمة إذا فريق منهم يربّهن يشركون ﴿٣٣﴾ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴿٣٤﴾ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فيهم يتكلم بما كانوا يكفرون ﴿٣٥﴾ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن نصبرهم سيئة بما آتاهم أيديهم إذا هم يقظون ﴿٣٦﴾ أولم يروا أن الله ينشط الرزق لمن يشاء ويقدر وإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٣٧﴾ فبات ذا القرنين حقة، واليسكين وإن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴿٣٨﴾ وما آتيتهم من رزق ليزبوا في أموال الناس فلا يزنوا عند الله وما آتيتهم من رزق ليزبوا في أموال الله فأولئك هم المضيعون ﴿٣٩﴾ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من شيء من شأنه وتعالى عما يشركون ﴿٤٠﴾ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لئلا هم يرجعون ﴿٤١﴾

آيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته.

[٣٨] فأعط -أيها المؤمن- قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه.

[٣٩] وما أعطيتم قرصاً من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يحقه ويبطله، وما أعطيتم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلباً لثوابه، فهذا هو الذي يقبئه الله ويضاعفه لكم أضعافاً كثيرة.

[٤٠] الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة، ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يعيذك من القبور أحياء للحساب والجزاء، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ تنزه الله وتقدس عن شرك هؤلاء المشركين به.

[٤١] ظهر الفساد في البر والبحر، كالجذب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا، كي يتوبوا إلى الله -سبحانه- ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٦﴾ فَأَقْرَرْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
 قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَ يُمَذَّبُ الْمُصَدِّقُونَ ﴿٤٧﴾ مَنْ
 كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ كَفَرْتُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ أَصْحَابَهُمْ فَسِوَاهُمْ
 لَيْسَ جَزَاءُ الَّذِينَ أَصَابُوا مِنَ ذُنُوبِهِمْ إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٨﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيَذِقَ
 مِنَ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مَبْسُوطَةً
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ يَفْتَرِي أَلْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ
 جَنَابِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٢﴾
 وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُمْلِسِينَ ﴿٥٣﴾
 فَانظُرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمُتَوَكِّلِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٤﴾

[٤٦] قل - أيها الرسول - للمكذابين بما جئت به: سيروا في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا كيف كان عاقبة الأمم السابقة المكذبة كقوم نوح، وعاد وثمود، نجدوا عاقبتهم شر العواقب وما لهم شر مال؟ فقد كان أكثرهم مشركين بالله.

[٤٧] فوجّه وجهك - أيها الرسول - نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام، منفذاً أوامره مجتنباً نواهيه، واستمسك به من قبل مجيء يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم الذي لا يقدر أحد على ردّه تفرقت الخلائق أشتاتاً متفاوتين؛ لئروا أعمالهم.

[٤٨] من كفر فعليه عقوبة كفره، وهي خلوده في النار، ومن آمن وعمل صالحاً فلا نفسهم يهينون منازل الجنة؛ بسبب تمسكهم بطاعة ربهم.

[٤٩] ليجزى الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه، إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم.

[٥٠] ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده

لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال الرياح أمام المظر مبشرات ياتئرها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس؛ وليذيقكم من رحمته يانزاله المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيتته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها؛ فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبده، وحده.

[٥١] ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاؤهم بالمعجزات والبراهين الساطعة، فكفر أكثرهم بربهم، فانتقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم، فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك فعل بالمكذابين بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.

[٥٢] الله - سبحانه - هو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً مثقلاً بالماء، فينشره الله في السماء كيف يشاء، ويجعله قطعاً متفرقة، فتري المطر يخرج من بين السحاب، فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم.

[٥٣] وإن كانوا من قبل نزول المطر لفي بأس وقنوط؛ بسبب احتباسه عنهم.

[٥٤] فانظر - أيها المشاهد - نظراً تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعيشها؟ إن الذي قدر على إحياء هذه الأرض لمحي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء..

[٥١] ولئن أرسلنا ريحاً فتراً ومضغراً لظلموا من بعديهم يكفرون ﴿٥١﴾
فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا
مكبرين ﴿٥٢﴾ وما أنت بهدي الفنى عن صلكتهم إن تسمع إلا
من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴿٥٣﴾ * الله الذى خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴿٥٤﴾
ويوم تقوم الساعة نفيس المجرموت ما لبثوا غير
ساعة كذلك كانوا يؤفكوت ﴿٥٥﴾ وقال الذين أوتوا
العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث
فهذا يوم البعث ولكنتم كتمتوا لا تعلمون ﴿٥٦﴾ فيومئذ
لا يقع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم ينستعتون ﴿٥٧﴾
ولقد صرتنا للناس في هذا القرنين من كل مثل
ولئن جهنم بياتة ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا
مبطلون ﴿٥٨﴾ كذلك يطعم الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴿٥٩﴾
فأصبر إن وعد الله حق ولا تستخفك الذين لا يؤفكون ﴿٦٠﴾

[٥٢] فإنك - أيها الرسول - لا تسمع من مات قلبه، أو
سد أذنه عن سماع الحق، فلا تجزع ولا تحزن على
عدم إيمان هؤلاء المشركين بك، فإنهم كالصم والموتى
لا يسمعون، ولا يشعرون ولو كانوا حاضرين، فكيف
إذا كانوا غائبين عنك مدبرين؟

[٥٣] وما أنت - أيها الرسول - بمرشد من أعماء الله
عن طريق الهدى، ما تسمع سماع انتفاع إلا من
يؤمن بآياتنا، فهم خاضعون يمتثلون لأمر الله.

[٥٤] الله تعالى هو الذى خلقكم من ماء ضعيف
مهين، وهو النطفة، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة
قوة الشباب واكتماله، ثم جعل من بعد هذه القوة
ضعف الكبر والهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف
والقوة، وهو العليم بخلقه، القادر على كل شيء.

[٥٥] ويوم تهيى القيامة ويبعث الله الخلق من قبورهم يقسم المشركون ما مكثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من
الزمن، كذبوا في قسمهم كما كانوا يكذبون في الدنيا، ويُصرفون عن الحق الذى جاءت به الرسل.

[٥٦] وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما
سبق في علمه من يوم خلقتم إلى أن بعثتم. فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون. فأنكرتموه في الدنيا،
وكذبتم به.

[٥٧] فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعتاد، ولا يُطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة،
بل يُعاقبون بسيناتهم ومعاصيهم.

[٥٨] ولقد بيننا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحججة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا،
ولئن جهنم - أيها الرسول - بأى حجة تدل على صدقك ليقولن الذين كفروا بك: ما أنتم - أيها الرسول وأتباعك -
إلا مبطلون فيما تحميئوننا به من الأمور.

[٥٩] مثل ذلك الختم يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به - أيها الرسول - من عند الله من
هذه العبر والآيات البينات.

[٦٠] فاصبر - أيها الرسول - على ما ينالك من أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين
وثواب حق لا شك فيه، ولا يستفركك عن دينك الذين لا يوفون بالميعاد، ولا يصدقون بالبعث والجزاء.

[سورة لقمان]

- [١] ﴿التر﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- [٢] هذه الآيات آيات القرآن ذي الحكمة البالغة.
- [٣] هذه الآيات هدى ورحمة للذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في القرآن، وما أمرهم به رسوله محمد ﷺ.
- [٤] الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون.
- [٥] أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة.
- [٦] ومن الناس من يشتري لهو الحديث - وهو كل ما يلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته - ليضل الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم.
- [٧] وإذا تسلى عليه آيات القرآن أعرض عن طاعة

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التر ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْتُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشَارِي لَهُمُ الْهَدْيَ
لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى مُنْتَكِبًا ﴿٧﴾
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ الْبُورِ ﴿٨﴾
إِنَّ الْبُورِ مَاتَمَوُّا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ حَسَنَاتٌ أَلْتَعْبِيرُ ﴿٩﴾
خَلَقْنَا فِيهَا وَجْهًا حَقًّا وَهُوَ الْعَرِيزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْفَلَاقِ فِي الْأَرْضِ رَوَى أَن يَمِيدَ
يَكْرَهُتَ فِيهَا مِن كُلِّ صَاغٍ مُّأْتَلًا مِّنَ السَّمَاءِ مَا فَا تَنبَاتُ
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَآرِبٍ ﴿١١﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الْبُورِ مِن ذُو نِفْسٍ بَلِ الْكَا فُورِ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

الله، وتكبر غير معتبر، كأنه لم يسمع شيئاً، كأن في أذنيه صمماً، ومن هذه حاله فيسره - أيها الرسول - بعذاب مؤلم موجه في النار يوم القيامة.

[٨] إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات التي أمروا بها، أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات.

[٩] وحياتهم في تلك الجنات حياة أبدية لا تنقطع ولا تزول، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً، وهو سبحانه لا يخلف وعده، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره.

[١٠] خلق الله السموات ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبلاً ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من السحاب مطراً، فأنبثنا به في الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.

[١١] وكل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني - أيها المشركون -: ماذا خلقت ألهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بين عن الحق والاستقامة.

[١١٢] ولقد أعطينا عبداً صالحاً من عبادنا - وهو لقمان - الحكمة، وهي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله بعمته عليك، ومن يشكر لربه فإنما يعود نفع ذلك عليه، ومن جحد بعمته فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.

[١١٣] واذكر - أيها الرسول - نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظاً: يا بني لا تشرك بالله فتظلم نفسك، إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها.

[١١٤] وأمرنا الإنسان ببرِّ والديه والإحسان إليهما، تحلته أمه ضعفاً على ضعف، وتسامً فطاميه عن الرضاة في مدة عامين. وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إلى المرجع فأجازي كلاً بما يستحق.

[١١٥] وإن جاهدك - أيها الولد المؤمن - والداك على أن تشرك في غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به علم، أو أمراك بمعصية من معاصي الله فلا تطعها؛ لأنه

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك - أيها الابن المؤمن - طريق من تاب من ذنبه، ورجع إلى وآمن برسولي محمد ﷺ، ثم إلى مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلَّ عامل بعمله.

[١١٦] يا بني أعلم أن السيئة أو الحسنة إن كانت قدر حبة خردل - وهي المتناهية في الصغر - في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها، إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم.

[١١٧] يا بني أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر بلطف ولين وحكمة بحسب جهدك، وتحمل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.

[١١٨] ولا تُبَلِّ وجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك؛ احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم، ولا تنش في الأرض بين الناس محتالاً متبختراً، إن الله لا يحب كل متكبر متبواً في نفسه وهيمته وقوله.

[١١٩] وتواضع في مشيك، واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقيح الأصوات وأبفضها لصوت الحمير المعروفة ببلادها وأصواتها المرتفعة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ حَمِيْدٌ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطَمُ يَبْنِيْ لَأَتَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ ﴿١١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلًى وَهْنًا وَفَصَلِّ لِرَبِّ خَامِتَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِنَّ الشُّكْرَ لَإِلَىٰ آلِ الْوَصِيْرِ ﴿١١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّقِ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ ثُمَّ إِيَّاكَ تُرْجِعُهُمْ فَاتَّبِعْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾ يَبْنِيْ إِلَيْهَا إِنْ تَكَرَّرَ إِثْقَالٌ حَثِيْرَيْنِ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأَيْمَنِ إِلَٰهٌ إِنَّ اللَّهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴿١١٦﴾ يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّمَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرْتَابًا إِنَّ اللَّهَ لَإِيْبٌ كُلِّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴿١١٨﴾ وَأَقْبِضْ فِي مَشِيْكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ ﴿١١٩﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ رِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَمَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ اللَّهَ بِعَيْبِهِ عَلَيْهِمْ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابَ فَيُفِيرُ ﴿١٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نُنَبِّئُكَ مَا هُوَ جَدٌّ نَآ أَبَاةٌ نَّآ أَوْ لَوْ كُنَّا الشَّاطِنَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾ وَمَن يَسْتَسِرْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا إِنَّا مَرْجِعُهَا فَعَتْبُهُمْ رَمًا عَرْمًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾ نَسْتَعْتِبُكَ قَلِيلًا نَّمَّ فَضَطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٩﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فلي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْلَمُكُمْ إِلَّا الْكَتَمِيُّ وَحْدَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٣﴾

[٢٠] ألم تروا - أيها الناس - أن الله دَلَّلَ لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدواب والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى. وعَمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح. والباطنة في العقول والقلوب. وما أَدَّخِرَ لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس من يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقة دعواه.

[٢١] وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله وإفراجه بالعبادة: اتبعوا ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ قالوا: بل نتبع ما كان عليه آباؤنا من الشرك وعبادة الأصنام، يفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم؛ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟ [٢٢] ومن يخلص عبادته لله وقصد إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده: تصير كل الأمور فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

[٢٣] ومن كفر فلا تَأْسَ عليه - أيها الرسول - ولا تحزن؛ لأنك أدَّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، إلينا مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخيرهم بأعمالهم الحبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها، إن الله عليم بما تُكفِّرُهُ صدورهم من الكفر بالله وإيثار طاعة الشيطان. [٢٤] نستعيب في هذه الدنيا الفانية مدَّة قليلة، ثم يوم القيامة نُدَجِّسُهُم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم. [٢٥] ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين بالله: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ الله، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، بل أكثر هؤلاء المشركين لا ينظرون ولا يتدبرون من الذي له الحمد والشكر، فذلك أشركوا معه غيره.

[٢٦] لله - سبحانه - كل ما في السموات والأرض ملكاً وعبيداً وإيجاداً وتقديراً، فلا يستحق العبادة أحد غيره. إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال.

[٢٧] ولو أن أشجار الأرض كلها بُرِّيت أقلاماً والبحر مداد لها، ومُدَّ سبعة أبْحُرٍ أخرى. وكتبت بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحُكْمِهِ، وما أوحا: إلى ملائكته ورسله؛ لتكسرت تلك الأقلام ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد. إن الله عزيز في انتقامه من أشرك به، حكيم في تدبير خلقه، وفي الآية إثبات صفة الكلام لله - تعالى - حقيقة كما يليق بجلاله وكماله سبحانه.

[٢٨] ما خَلَقْتُكُمْ - أيها الناس - ولا بَعَثْتُكُمْ يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخَلَقْتُ نفس واحدةً وبَعَثْتُها. إن الله سمع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

[٢٩] ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل، فيطول النهار ويقصر الليل، ويأخذ من ساعات النهار، فيطول الليل ويقصر النهار، ودليل لكم الشمس والقمر، يجرى كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد، وأن الله مُظَلَع على كل أعمال الخلق من خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء؟

[٣٠] ذلك كله من عظيم قدرة الله؛ لتعلموا وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي بذاته وقدره وقهره فوق جميع مخلوقاته، الكبير على كل شيء، وكل ما عده خاضع له، فهو وحده المستحق أن يُعبد دون من سواه.

[٣١] ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه؛ ليرىكم من عبره وحججه عليكم ما تعتبرون به؟ إن في جري السفن في البحر لدلالات لكل صَبَّار عن محارم الله وعلى طاعته وعلى أقداره، شكور لنعمة.

[٣٢] وإذا ركب المشركون السفن وغلغلتهم الأمواج من حولهم كالسحب والجبال، أصابهم الخوف والذعر من

الغرق، ففزعوا إلى الله، وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاههم إلى البر فسنهم متوسط لم يقم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، وما يكفر بآياتنا وحججنا المالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا كل غدار ناقض للعهد، جحد لنعمة الله عليه.

[٣٣] يا أيها الناس اتقوا ربكم وأطيعوه، بامتثال أوامره واجتباب نواهيهِ، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئاً، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تتخذوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الأخرى، ولا يخذعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس.

[٣٤] إن الله -وحد لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة، وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه، إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء، منها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾
 ذَلِكَ بَأْتٍ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبُطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْتَغِيَنَّ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْ أَنْبِيَاءَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهم مَوْجٌ كَأظْفَالٍ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الْبَرِّ فَلَمَّا نَجَّهم إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ضَلَّ خُنَّارٌ كَذُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَنْفُورٌ يَبْعُومُ وَأَخْشَوْا يُؤْمِنُوا لَا يَجْرِي وَاللَّهُ عَنِ الْوَالِدِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ الْوَالِدِ، شَيْئاً إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبُ كُفْرُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُ كُفْرُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُمْ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا ذُكِّرَتْ عَلَيْهَا عَمَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

[سورة السجدة]

[١] ﴿الرَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لا شك أنه منزل من عند الله، رب الخلاق أجمعين.

[٣] بل يقول المشركون: اختلق محمد ﷺ - القرآن؟ كذبوا، بل هو الحق الثابت المنزل عليك - أيها الرسول - من ربك؛ لتنذر به أناساً لم يأتهم نذير من قبلك لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروا، ويؤمنوا بك.

[٤] الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ لحكمة يعلمها، وهو قادر أن يخلقها بكلمة «كن» فتكون، ثم استوى سبحانه وتعالى - أي: علا وارتفع - على عرشه، استواء يليق بجلاله، لا يكيف، ولا يشبهه باستواء المخلوقين. ليس لكم - أيها الناس - من ولي يبي أموركم، أو شفيع يشفع لكم عند الله؛ لتنجوا من عذابه، أفلا تتعظون وتتفكرون - أيها الناس -، فثفردوا الله بالألوهية وتخلصوا له العبادة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الر ١ نَزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ
مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فَأَنْسَوْنَ عَلَى
الْعُرُشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤
يَذَرُ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ تُرْتَجِفُ إِلَى يَوْمِ كَانَ
مِقْدَارُهَا ذَرَّةً فَلَمَّا تَضَعُوا بِهَا الْحَبْلَ وَالسَّمَاءَ مُدْبِرَةً
الْعُرُشِ الرَّحِيمِ ٥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ ٦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِمَّنْ ثَمَرُهُمْ حَبَّ
الرُّبُوبِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ٧ وَقَالُوا هَذَا ضُلَّالَةٌ بَعَثْنَا
الَّذِينَ خَلَقُوا جَدِيدًا يُبَدِّلُ مَوَاقِعَ الْمَاءِ وَجُودَهَا يُؤْتِيهِمُ
مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّكُمْ رُجُوعٌ ٨

[٥] يدبر الله تعالى أمر المخلوقات من السماء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدونها.

[٦] ذلك الخالق المدبّر لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، بما تكفه الصدور وتخفيه النفوس، وعالم بما شاهده الأبصار، وهو القوي الظاهر الذي لا يغالب، الرحيم بعباده المؤمنين.

[٧] الله الذي أحكم خلق كل شيء، وبدأ خلق الإنسان، وهو آدم عليه السلام من طين.

[٨] ثم جعل ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة.

[٩] ثم أتم خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقته، ونفخ فيه من روحه بإرسال الملاك له؛ لينفخ فيه الروح، وجعل لكم - أيها الناس - نعمة السمع والأبصار، يُميّز بها بين الأصوات والألوان والنوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميّز بها بين الخير والشر والنافع والضار. قليلاً ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم.

[١٠] وقال المشركون بالله المكذوبين بالبعث: إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض أتبعث خلقاً جديداً؟ يستبدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بقاء ربهم - يوم القيامة - كافرون.

[١١] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تتأخروا لحظة واحدة، ثم تُردون إلى ربكم. فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

[١٢] ولو ترى - أيها المخاطب - إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أضرنا قباحتنا، وسعنا منك تصديقاً ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا. وقد تُبنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنت تبعث من في القبور. ولو رأيت - أيها المخاطب - ذلك كله، لرأيت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً.

[١٣] ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان. ولكن حق القول مني ووجب لأملان جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفى الجزم والإنس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى.

[١٤] يقال لهؤلاء المشركين - عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ - فدوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذات الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، ودوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع؛

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانزِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّمَا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَحْنُ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا يَسْمِئُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْتُمْكُمْ فذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَحْسِبُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ لَمْ يُزَلَّ بِمَأْمُورًا أَن يُحْزَنُوا بِهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾

بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه.

[١٥] إنما يُصدِّقُ بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا دعوا إليها أو نُزلت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين، وسبحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له.

[١٦] ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتعبدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب، ومما رزقناهم يتفقون في طاعة الله وفي سبيله.

[١٧] فلا تعلم نفس ما أُخفي الله لهؤلاء المؤمنين مما تُقرُّ به العين، وينشرح له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

[١٨] أَمَّنْ كان مطيعاً لله ورسوله مصدقاً بوعده، ووعيده، مثل من كفر بالله ورسوله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستون عند الله.

[١٩] أما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أمروا به فجزاؤهم جنات يأورون إليها، ويقيمون في نعيمها ضيافة لهم؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته.

[٢٠] وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم - توبيخاً وتقريعاً - ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

وَلَذِيْقَمْتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَنَهُمُ الرَّجْعُوتُ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ
رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقَدِّمُونَ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ
مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا الْفَاصِلُونَ ﴿٢٤﴾
وَكُنُوا بِنَائِبِينَ لِيُقْتَلُوا بِأَمْرِنَا الْفَاصِلُونَ ﴿٢٥﴾
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ يَحْتَفِلُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ آهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِهَتِهِمْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٧﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ
زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣١﴾

[٢١] ولذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعذبون في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.

[٢٢] ولا أحد أشد ظلماً لنفسه ممن وُعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون.

[٢٣] ولقد آتينا موسى النوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن. فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

[٢٤] وجعلنا من بني إسرائيل هداية ودعاة إلى الخير يأتيهم بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجه، والدعوة إليه، وتحمل الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين.

[٢٥] إن ربك -أيها الرسول- يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وغيرهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، ويجازي كل إنسان بعمله بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

[٢٦] أولم يتبين هؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً تكفوم هود وصالح ولوط؛ إن في ذلك لآيات وعظات يُستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمع هؤلاء المكذَّبون بالرسول مواعظ الله وحججه، فينتفعون بها؟

[٢٧] أولم ير المكذَّبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونشرهم من قبورهم؟

[٢٨] يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟

[٢٩] قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم. ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.

[٣٠] فأعرض -أيها الرسول- عن هؤلاء المشركين. ولا تبال بتكذيبهم. وانتظر ما الله صانع بهم. إنه منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيزجهم الله ويذلهم. وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.

[سورة الأحراب]

[١] يا أيها النبي ذم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتنب محارمه، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان عليماً بكل شيء، حكيماً في خلقه وأمره وتدبيره.

[٢] وأتبع ما يوحي إليك من ربك من القرآن والسنة، إن الله مطلق على كل ما تعملون ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء، من ذلك.

[٣] واعتمد على ربك، وفوض جميع أمورك إليه، وحسبك به حافظاً لمن توكل عليه وأناب إليه.

[٤] ما جعل الله لأحد من البشر من قلبين في صدره، وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن في الحرمه - كحرمه أمهاتكم - (والظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقاً في الجاهلية، فبين الله أن الزوجة لا تصير أمماً بحال)، وما جعل الله الأولاد المقتنين أبناء في الشرع، بل إن الظهار والتبني لا حقيقة لهما في التحريم

الأبدي، فلا تكون الزوجة المظاهر منها كالأم في الحرمه، ولا يثبت النسب بالتبني من قول الشخص للذمي: هذا ابني، فهو كلام بالفم لا حقيقة له، ولا يعتد به. والله سبحانه يقول الحق ويبين لعباده سبيله، ويرشدكم إلى طريق الرشاد.

[٥] انسبوا أديعياكم لأبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوهم - إذأ - بأخوة الدين التي تجمعكم بهم، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تعدوه، وإنما يؤاخذكم الله إذا تعدتم ذلك. وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً لمن تاب من ذنبه.

[٦] النبي محمد ﷺ أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، وحرمه أزواج النبي ﷺ على أمته كحرمه أمهاتهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول ﷺ من بعده، وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بسيراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة. (وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نسخ ذلك بأية الموارث). إلا أن تفعلوا - أيها المسلمون - إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به. وفي الآية وجوب كون النبي ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له، وفيها وجوب احترام أمهات المؤمنين زوجاته ﷺ، وأن من سبهن فقد باء بالخسران.

سورة الأحراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي خَوْفِهِ ۝ وَمَا جَعَلَ أَرْزُقًا لِمَنْ نَظَاهِرُونَ مِنْهُمْ أَنْهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَ كَرَامًا كَرَّمَ ذِكْرَ قَوْلِكُمْ بِنُفُوسِكُمْ ۝ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْرُجُوا فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۝ وَلَكِنْ مَتَّعَدَّتْ قُلُوبُكُمْ ۝ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ أَنْهَتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَاللَّهُ جَرِيدٌ ۝ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لِمَنْ أُولِيَٰكُمْ تَعْرِفُونَ ۝ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

[٧] واذكر - أيها النبي - حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم - وهم أولو العزم من الرسل على الشهرور - وأخذنا منهم عهداً مؤكداً بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يصدق بعضهم بعضاً.

[٨] أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، فيجزى الله المؤمنين الجنة، وأعد للكافرين يوم القيامة عذاباً شديداً في جهنم.

[٩] يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في «المدينة» أيام غزوة الأحزاب - وهي غزوة الخندق - حين اجتمع عليكم المشركون من خارج «المدينة»، واليهود والمنافقون من «المدينة» وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب رجلاً شديداً اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم ترؤها، فوقع الرعب في قلوبهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

[١٠] اذكروا إذ جاؤكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي

من جهة المغرب، واذ شخصت الأبصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

[١١] في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين وتحص القوم، وغرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطراباً شديداً بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.

[١٢] واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتسكين إلا باطلاً من القول وغروراً، فلا تصدقوه.

[١٣] واذكر - أيها النبي - قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل «المدينة»: يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم «للمدينة») لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»، ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول ﷺ بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال.

[١٤] ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبادرين، وما تأخروا عن الشرك إلا سيراً.

[١٥] ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله على يد رسوله من قبل غزوة الخندق، لا يفرون إن شهدوا الحرب، ولا يتأخرون إذا دعا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم، وسيحاسبهم الله على ذلك، ويسألهم عن ذلك العهد، وكان عهد الله مسؤولاً عنه، محاسباً عليه.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٥﴾
لِيَسْتَلَّ الضَّالِّينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦﴾
يَتَأْتِيهِمُ اللَّيْلُ إِسْمًا أَذْكَرَ مِنْ نَفْسِهِمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنا نَكْفُرُ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٧﴾ إِذْ جَاءَكَ مِنْ فَوْقِكَ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكَ وَرِجَالٌ لَبِثُوا الْبُيُوتَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٨﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٩﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا الْفِرَارَ ﴿١١﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاطِهَا ثُمَّ سَبَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا وَمَا تَلَّيْنَاهُمْ إِلَّا أَيْسَارًا ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ سَتْرًا ﴿١٣﴾

قُلْ لَنْ يَتَّبِعَكُمْ الْفَرَارِ إِِنْ قَرَّرْتُمْ مَرِئَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَأَتَّخِذُونَ الْأَقْبِلَاءَ ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعْرِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْهُنَّ الْيَتَامَىٰ وَلَا يَأْتُونَ النَّبِيَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْخَوْفُ سَكَفَوْكُمْ بِأَيْسَرَةٍ حَادًّا أَيْحَةَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيْتَكُمْ لَمْ يُؤْمِسُوا فَأَخِظَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْتَسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَأْتِيَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَأَنْتُمْ كَأَنْفِكَرٍ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا عَزَا الثُّمُودُ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٣﴾

[١٧] قل - أيها النبي - هؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر أجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة إلى الآخرة.

[١٨] قل - أيها النبي - لهم: من ذا الذي ينصركم من الله، أو ينجيكم من عذابه، إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة، فإنه المعطي المانع الضار النافع؛ ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله ولياً يواليهم، ولا نصيراً ينصرهم.

[١٩] إن الله يعلم المشططين عن الجهاد في سبيل الله، والقائلين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمداً، فلا تشهدوا معه قتالاً، فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادراً، رياء، وسعة وخوف الفضيحة.

[٢٠] تجلأ - عليكم - أيها المؤمنون - بالمال والنفس والجهاد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد؛ حياً في الحياة وكراهة للموت، فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛

خوفاً من القتل وفراراً منه، كدوران عين من حضر الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رمؤكم بالسنة حادة مؤذية، وتراهم عند قسمة الغنائم تجلأ وحسدة، أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم، فأذهب الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيراً.

[٢١] يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شرّ هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والحين، ولو عاد الأحزاب إلى «المدينة» لتسمى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن «المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبيائكم من بعيد، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلاً؛ لكثرة جنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

[٢٢] لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

[٢٣] ولما شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، تذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر. فأعجز الله وعدده، وصدق رسوله فيما بشر به، وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيماناً بالله، وتسليماً لقضائه، وانقياداً لأمره.

[٢٣] من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأس والضراء وحين البأس: فمنهم من وُفي بندره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه، كما غير المنافقون.

[٢٤] ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلانهم وهم المؤمنون. ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصح قبل الموت، فيموتوا على الكفر. فيستوجبوا النار. أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، إن الله كان غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيماً بهم؛ حيث وفقهم للتوبة النصح.

[٢٥] ورد الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خائنين خاسرين مغتائبين. لم ينالوا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة؛ وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من

الأسباب. وكان الله قوياً لا يُغالب ولا يُفقر. عزيزاً في ملكه وسلطانه.

[٢٦] وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهزموا، تقتلون منهم فريقاً، وتأسرون فريقاً آخر.

[٢٧] وملئكم الله -أيها المؤمنون- أرضهم ومسكنهم وأموالهم المنقولة الحلي والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون النبعة، وأورثكم أرضاً لم تملكوا من وطنها من قبل؛ لمنعها وعزتها عند أهلها. وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء..

[٢٨] يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلن منك زيادة النفقة: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبلن أمتعنكن شيئاً مما عندي من الدنيا، وأفارقكن دون ضرر أو إيذاء.

[٢٩] وإن كنتن تردن رضا الله ورضاء رسوله، وما أعد الله لكُنَّ في الدار الآخرة، فاصبرن على ما أنزلنَّ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكنَّ ثواباً عظيماً. (وقد اخترن الله ورسوله، وما أعد الله لهن في الدار الآخرة).

[٣٠] يا نساء النبي من يأت منكن بمعصية ظاهرة يصاعف لها العذاب مرتين. فلما كانت مكنتهن ربيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة؛ صيانة لجنابهن وجناب رسول الله ﷺ. وكان ذلك العقاب على الله يسيراً.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْوَاهُ، وَمِنْهُمْ مَن يَتَّبِعُ وَمَا يَكْفُرُ بِهِ لِيُخْرِجَ اللَّهُ الصِّدِّيقِينَ يَصِدْقَهُمْ وَيَعَذِّبُ الْمُتَّفِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يُبَايِعُوا أَحَدًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّغْبَةُ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَسُوهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَقْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْجِيَنَّهُنَّ كَمَا تَرْضَيْنَ الْاِحْيَاءَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتَ أَمْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْت مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٣١] ومن تطع منكك الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به، نعطها ثواب عملها مثل ثواب عمل غيرها من سائر النساء. وأعدنا لها رزقاً كريماً، وهو الجنة. [٣٢] يا نساء النبي لستن في الفضل والمنزلة كغيركن من النساء. إن عملتن بطاعة الله ورسوله وابتعدتن عن معاصيه فلا تتحدثن مع الأجنبي بصوت لئن يطع الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة المحرام، وهذا أدب واجب على كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر. وقلن قولاً بعيداً عن الريبة، لا تنكروا الشريعة. [٣٣] والزمن بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا الحاجة، ولا تظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام. وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأذبن - يا نساء النبي - الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما. إنما أوصاكن الله بهذا، ليزيكن، ويبعد عنكن

الأذى والسوء والشرب أهل بيت النبي - ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام -، ويظهر نفوسكم غاية الطهارة.

[٣٤] واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول ﷺ، واعلمن به، واقدرنه حتى قدره، فهو من نعم الله عليكن. إن الله كان لطيفاً بكن، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والسنة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله ﷺ أزواجاً.

[٣٥] إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات، والمصدقين والمصدقات، والمطيعين لله ورسوله والمطيعات، والصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات، والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات، والخائفين من الله والخائفات، والمصدقين بالفرض والثقل والمصدقات، والصابرين في الفرض والثقل والصابئات، والحافظين فروجهن عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات، والذاكرين الله كثيراً بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات، أعد الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثواباً عظيماً، وهو الجنة.

« وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِيٍّ وَرَسُولِهِ، وَتَمَسَّ صَليحاً نُؤْتِيَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ۝ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ۝ وَأَذْكُرْتُمَآيَتِلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّابِرَاتِ فَزَوْجَهُمْ وَالْمُنْتَظَرِ وَالَّذِينَ كَرِهَتْ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝

[٣٦] ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بُعْداً ظاهراً.

[٣٧] واذ تقول -أيها النبي- لذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي اعتقه وتبناه النبي ﷺ- وأنعمت عليه بالعق: أبتى زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها. واتق الله يا زيد، وتحفي -أيها النبي- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجته وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتحاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقاً متبناه. والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها، ثم انقضت عدتها، زوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنوب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَصَلَ بِذَلَالٍ مُبِينَةٍ ﴿٣٦﴾ وَاذْ تَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ أَسْكُنْ فِي بُيُوتِكُمْ وَأَتَّقِ اللَّهَ وَغَضِبِ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُنْذِرِيهِمْ وَيَخْتِى النَّاسَ وَاللَّهُ أَتَقَى أَنْ تُخَفِّتَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ يَتِيمًا وَأَطْرَأَ زَوْجَتَكَ إِذْكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ وَلَا يُخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَخُذُ بَكْرَةً وَأَسِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

يتبنونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولاً. لا عائق له ولا مانع. وكانت عادة التبني في الجاهلية، ثم أبطلت بقوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا لِلَّهِ يَتِيمًا﴾.

[٣٨] ما كان على النبي محمد ﷺ من ذنب فيما أحل الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً لا بد من وقوعه.

[٣٩] ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين. وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ. ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحداً سواه. وكفى بالله محاسباً عباده على جميع أعمالهم ومراقباً لها.

[٤٠] ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليماً، لا يخفى عليه شيء.

[٤١، ٤٢] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكراً كثيراً، واشغلوها أو فاتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء. وأدبار الصلوات المفروضة. وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الأثام، وتعين على كل خير.

[٤٣] هو الذي يرحمكم ويثني عليكم. وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام. وكان بالمؤمنين رحيماً في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له.

[٤٤] تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلاماً، وأمان لهم من عذاب الله، وقد أعد لهم ثواباً حسناً، وهو الجنة.

[٤٥، ٤٦] يا أيها النبي إننا أرسلناك شاهداً على امتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشراً للمؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيراً للعصاة والمكذبين من النار، وداعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك، وسراجاً منيراً لمن استنار بك، فأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجدها إلا معانداً.

[٤٧] وبئس - أيها النبي - أهل الإيمان بأن لهم من الله ثواباً عظيماً، وهو رياضات الجنات.

[٤٨] ولا تطع - أيها الرسول - قول كافر أو منافق واطرك أذاهم، ولا يمنعك ذلك من تبليغ الرسالة، وثق بالله في كل أمورك واعتمد عليه؛ فإنه يكفيك ما أهمك من كل أمور الدنيا والآخرة.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَصِرَاحًا مُبِينًا ﴿٤٦﴾ وَيَسِّرَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بَأْنَ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَرِيمًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِعِ الْمُكَفِّرِينَ وَالْمُتَّفِقِينَ
وَرِيعَ أَذْهَبُهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ فَتَطَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَمَتُّوهُنَّ
فَتَمْسُوهُنَّ وَسِرْخُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاحَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
بِيَمِينِكَ وَمِمَّا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَاتَبَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا عقدتم على النساء ولم تدخلوا بهن ثم طلقتموهن من الوسع؛ جبراً لخواطرن. وخلصوا سبيلهن مع الشتر الجميل، دون أذى أو ضرر.

[٥٠] يا أيها النبي إننا أئجنا لك أزواجك اللاتي أعطيتن مهورهن، وأئجنا لك ما ملكت يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك، وأئجنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأئجنا لك امرأة مؤمنة متحنت نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة. قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شأوا من الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، ولكننا رخصنا لك فيما أوجبنا عليهم، وسعنا عليك ما لم نوسع على غيرك؛ لئلا يضيق صدرك في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف. وهذا من زيادة اعتناء الله برسوله ﷺ وتكريمه له. وكان الله غفوراً لذنوب عباده المؤمنين، رحيماً بالتوسعة عليهم.

[٥١] تؤخر من تشاء من نسائك في القسم في المبيت، وتضم إليك من تشاء منهم، ومن طلبت من أخرجت قسماً، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرح ولا يحزن، ويرضين كهن بما قسمت لهن. والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليمًا بما في القلوب، حليماً لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

[٥٢] لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين، ولا أن تطلقهن وتزوج بدلهن غيرهن - إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة - ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك. وكان الله على كل شيء رقيباً، لا يغيب عنه علم شيء.

[٥٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير

منهن من تشاء، ومنهن وتؤذي اليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقترأنهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكنات الله عليمًا حليماً ٥١ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ٥٢ وكان الله على كل شيء رقيباً ٥٣ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير نظير إتهه ولكن إذا عيسر فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستغنى عنكم والله لا يستغنى من الحق وإذا سألنكم مما فتواهن من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ٥٤ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا ٥٥

منتظرين نضجه. ولكن إذا دعيتم فادخلوا. فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم: فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له. والله لا يستحي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله ﷺ حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء بشر؛ ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله. ولا أن تزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه. إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله.

وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه.

[٥٤] إن تظفروا شيئاً على ألسنتكم - أيها الناس - مما يؤذي رسول الله ﷺ مما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك.

[٥٥] لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آباتهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين هن لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وجفقت الله -أيها النساء- أن تتعدى ما حد لك، فتبدين من زينتك ما ليس لك أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام من يجب عليك الاحتجاب منه. إن الله كان على كل شيء شهيداً، يشهد أعمال العباد باطنها وظاهرها، وسيجزيهم عليها.

[٥٦] إن الله تعالى يخفي على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ﷺ ويدعون له، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، صلوا على رسول الله وسلموا تسليماً، تحية وتعظيماً له. وصفة الصلاة على النبي ﷺ ثبتت في السنة على أنواع، منها: «اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللَّهُمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

لَا يُجَاحِدُ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَاءَهُنَّ وَلَا مَلَائِكَةَ أَيْمَانِهِنَّ وَأَقْرَبِينَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝
 إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝
 إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمًّا ۝
 وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا
 مَا كَسَبَتْ سَيِّئًا فَقَدْ أَخْتَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِي وَبَنَاتِي وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ
 يُدْرِيَتُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكَ أَدْرَأُ أَنْ يُعْرِضَ فَلَا
 يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝
 لَيْسَ لَهُنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمَرْجُوفَاتُ فِي الْمَدِينَةِ
 لَنْفَرِيَتِكُمْ بِهِمْ نَفْسًا لَا يُجَاوِزُكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝
 مَلْعُونِينَ
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا وَقْتَهُمْ تَقِيًّا ۝
 سَنَةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَاؤُا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝

[٥٧] إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال. أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذاباً يُذمهم ويهينهم.

[٥٨] والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقرول أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنباً ظاهراً القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.

[٥٩] يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن وجوههن من أرديتهن وملاحقهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة، فلا يُعترضهن بمكروه أو أذى. وكان الله غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضع لكم من الحلال والحرام.

[٦٠، ٦١] لكن لم يكف الذين يظرون الكفر ويظهرون الإيمان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول ﷺ عن قبائحهم وشرورهم، لنسلطنك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمناً قليلاً. مطرودين من رحمة الله. في أي مكان نجدوا فيه أسيروا وقتلوا تقتيلاً ما داموا مقيمين على النفاق ونشر الأخبار الكاذبة بين المسلمين بغرض الفتنة والفساد.

[٦٢] سنة الله وطريقته في منافي الأمم السابقة أن يؤسروا ويُقتلوا أينما كانوا. ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلاً ولا تغييراً.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ
لَعْلَ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٧﴾
يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْسَآ أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٨﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَاءَ تَنَادًا وَكِبْرَاءَ تَنَا
فَأَصَلْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٩﴾ رَبَّنَا إِنهِنَّ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْمُنْهَضِينَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مَتَّأَلُوا وَقَانِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَتَا ﴿٧١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفَرِّقُوا أَقْوَابَكُمْ إِنَّمَا يُصْلِحُ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَعَدَّ غَزْوًا وَعِظِيمًا ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٣﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٤﴾

[٦٥] يسألك الناس - أيها الرسول - عن وقت القيامة استبعاداً وتكديباً، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك - أيها الرسول - لعل زمانها قريب؟ [٦٦-٦٧] إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعد لهم في الآخرة ناراً موقدة شديدة الحرارة، ما كسب فيها أبداً، لا يجدون ولياً يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم، فيخرجهم من النار. يوم تَقَلَّبُ وجوه الكافرين في النار يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكننا من أهل الجنة.

[٦٨، ٦٧] وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنما أظعننا أنمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزولنا عن طريق الهدى والإيمان. ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طرداً شديداً. وفي هذا دليل على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله، موجبة لسخط الله وعقابه،

وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

[٦٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلموا بشرعه لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل. ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبي الله موسى، فبرأه الله بما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه.

[٧٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعلموا بشرعه، اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، لئلا تستحقوا بذلك العقاب. وقولوا في جميع أحوالكم وشؤونكم قولاً مستقيماً موافقاً للصواب خالياً من الكذب والباطل.

[٧١] إذا اتقيتم الله وقلتم قولاً سديداً أصلح الله لكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة.

[٧٢] إنما عرضنا الأمانة - التي اتتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي - على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

[٧٣] لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بسوء ذنوبهم وترك عقابهم، وكان الله غفوراً للتائبين من عباده، رحيماً بهم.

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَسَدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخُسُودُ
 فِي الْأَخْزَرِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْقَلِيلُ ﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا يَنْبُجُ فِيهَا وَهُوَ
 الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
 قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ وَغِقَالُ
 ذُرْقُوفِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا بِآيَاتِنَا مَنَعْتُمْ جَزِيَ أُولَٰئِكَ
 لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَهْرَى الَّذِينَ أَوْفُوا الْعَهْدَ
 الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَهَلْ نَدَّبَكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ
 يُنْتَسِبُكُمْ إِنَّا مَرَفِقَةٌ كُلُّ مَرَفِقَةٍ بِإِذْنِكُمْ لَوْ خَافِي جَدِيدٍ ﴿٧﴾

[سورة سبأ]

[١] الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه. [٢] يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

[١، ٣] وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة. قل لهم - أيها الرسول -: بل وربي لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا

هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ؛ ليثيب الذين صدقوا بالله، وأتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لتوبهم ووزق كريم، وهو الجنة.

[٥] والذين سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالين أمره أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألمًا.

[٦] ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء، وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.

[٧] وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل - يريدون محمداً ﷺ - يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم سحبيون وتبعثون من قبوركم؟ قالوا ذلك من فرط إنكارهم.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نُحُفٍ بِهَذَا الْأَرْضِ أَوْ نُشْفِظُ عَلَيْهِمْ مِمَّا سَفَا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَاجَالُ أُوِّي مَعَهُ وَالطُّيْرَ وَالْقَالَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٧﴾ إِنْ أَعْمَلَ سَيِّئَةً وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئَةِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨﴾ وَيَسْتَأْذِنُ الْريِّحُ عِندَ النَّفْثِ وَمَنْ الْجِنُّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُنَّ عَنْ أَمْرٍ نَأْيُ ذَهَبَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِقَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْخُذُ تَأْخُذًا مِّنْهُ فَلَمَّا حَتَرْتَنَّا بِنِعْمَةِ الْجِنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١١﴾

[٨] هذا الرجل أختلق على الله كذباً أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد ﷺ أصدق الصادقين، والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

[٩] أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنها قد أحاطنا بهم؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو نزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

[١٠] ولقد آتينا داود نبوة وكتاباً وعِلماً، وقلنا للجبال والطير: سبّحي معه، وألقا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

[١١] أن اعمل دروعاً تامات واسعات، وقدر المسامير في جلق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها، واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إن بما تعملون بصير لا يخفى عليّ شيء منها.

[١٢] وسخرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء. وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان تذقه من عذاب النار المستعرة.

[١٣] يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمتها، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرياً لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتنال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيراً، وكان داود وآله من القليل.

[١٤] فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلّ الجنّ على موته إلا الأَرْضُ تَأْخُذُ عِصَاهُ التي كان متكئاً عليها، فوقع سليمان على الأرض. عند ذلك عنيت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلّ والعمل الشاق لسليمان؛ ظناً منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

[١٥] لقد كان لقبيلة سبأ باليمن في مسكنهم دلالة على قدرتنا: بستانان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم. واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم.

[١٧، ١٦] فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل. فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد، الذي خرب السد وأغرق زروعهم. وبدلناهم ببساتينهم المشرين بساتين ذوي ثمر مُر كرهية الطعم، وشجر شبيه بالظرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر التنبق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعم الله، وما تعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلاً بمثل.

[١٨] وجعلنا بين أهل "سبأ" وهم "اليمين" - والقرى التي باركنا فيها - وهي "الشام" - مدناً متصلة يرى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل لا مشقة فيه. وقلنا لهم: سيروا في تلك

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ يَتَوَعَّى مِنْ سِدْرٍ لَقِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ كَفَرَ بآيَاتِنَا وَهَلَ جَحْزِيًّا إِلَّا الْكَافُورُ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الَّذِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَتَيْنِ ظَهْرَةً وَوَدَّيْنِ فِيهَا السَّرِيرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَتَذَكَّرُوا وَأَمِيتَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْقَانَا وَظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ شُكُورًا وَمَنْفَعَةً كُلِّ مَرْقَبٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيُفْتِنَهُمْ مِنْ بَاطِنِهِمْ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي سَكْنٍ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾
قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمُ مِنَ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

القرى في أي وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًّا، ولا جوعاً ولا عطشاً.

[١٩] فبطغيانهم ملأوا الراحة والأمن وورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرانا متباعدة؛ ليعبد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم. وقرّناهم كل تفريق وخربت بلادهم، إن فيما حل "بسبأ" لعمرة لكل صَبَّارٍ على المكارة والشدائد. شكور لنعم الله تعالى.

[٢٠] ولقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنه سيطيعونه في معصية الله، فصدّق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنه ثبتوا على طاعة الله.

[٢١] وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والشواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء، حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

[٢٢] قل - أيها الرسول - للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شراكة فيهما، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شيء، بل الله - سبحانه وتعالى - هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَدُ وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن
 قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
 ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ فِرَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ
 وَإِنَّا لَأَوْيَاتِكُمْ لِغَلِّ لَعَلَّ هٰذِي أَوْ فِي صَلَاتِ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ
 لَا تَسْتَلُوا عَمَّا أَعْرَمْنَا وَلَا تَسْأَلُوا عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ
 يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٧﴾
 قُلْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَحْقَمْنَا بِهِمْ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾
 قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقِيمُونَ ﴿٣١﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْفَرَقِ إِنْ وَلَا
 بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُورِينَ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
 اسْتَضَعُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أُنشِرْنَا لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السموات كلامه اهتزت أجسامهم من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغيبوبة، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العلي بذاته وقهره وعلو قدره، الكبير على كل شيء.

[٢٤] قل -أيها الرسول- للمشركين: من يرزقكم من السموات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بد أن يجروا بأنه الله، وإن لم يجروا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين منغمس فيه.

[٢٥] قل: لا تسألون عن ذنوبنا، ولا تسأل عن أعمالكم؛ لأننا بريئون منكم ومن كفركم.

[٢٦] قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفاتح الحاكم بين خلقه،

العليم بما ينبغي أن يقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

[٢٧] قل: أروني بالدليل الذين ألحقتموه بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

[٢٨] وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بشواب الله، ومنذراً بعقابه. ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

[٢٩] ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

[٣٠] قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو آتيكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعة قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته.

[٣١] وقال الذين كفروا: لن نصدق بهذا القرآن ولا بالذي تقدمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يترجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلقي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئاً فظيعاً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المزلون-: لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكاننا مؤمنين بالله ورسوله.

[٣٢] قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم مختارين.

[٣٣] وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيرك الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعتنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسرُّ كلُّ من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعدَّ لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعلمهم السيئات في الدنيا. وفي الآية تحذير شديد من متابعة دعاة الضلال وأئمة الطغيان.

[٣٤] وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المنغصون في اللذات والشهوات من أهلها: إنَّا بالذي جئتم به - أيها الرسل - جاحدون.

[٣٥] وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا نَحْنُ صَدَدْتُمْ
عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرَ الْبَيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ التَّدَامَةَ
لِنَازِلِ الْأَعْدَابِ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يَخْشَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي نَقَرْتُمْ
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ تَمَنَّيَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ
الَّذِي عَمِلُوا فِيهِ فِي الْغُرُوبِ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْتَصِرُونَ ﴿٣٧﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْتُمْ بِمَنْعِهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْفِفُهُ وَيُهَيِّئُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

يعطنا هذه: النعم إلا لرضاء عنا، وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا في الآخرة.

[٣٦] قل لهم - أيها الرسول -: إن ربي يوسِّع الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على من يشاء. لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختصاراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

[٣٧] وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربي وترفع درجاتكم، لكن من آمن بالله وعمل صالحاً فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.

[٣٨] والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاققين مغالبيين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.

[٣٩] قل - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسِّع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيِّقه على من يشاء؛ للحكمة يعلمها، ومهما أعظيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب. وهو - سبحانه - خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسقوا في الأسباب التي أمركم بها.

[٤٠] واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة، ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون من دوننا؟

[٤١] قالت الملائكة: ننزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة، أنت ولئنا الذي نطعُه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين، أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون.

[٤٢] ففي يوم الحشر لا يملك المعبدون للعابدين نفعاً ولا ضرراً، ونقول للذين ظنموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.

[٤٣] وإذا تنلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الألهة التي كان يعبدها آباؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مخلوق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح.

[٤٤] وما أنزلنا على الكفار من كُتُبٍ يقرؤونها قبل

القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر. وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول يندرهم بأسنا.

[٤٥] وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عُشر ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر، وغير ذلك من النعم. فكذبوا رسلي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكارهم عليهم وعقوبي إياهم؟

[٤٦] قل -أيها الرسول- أهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بحُصْلة واحدة أن تهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تفكروا في حال صاحبكم رسول الله ﷺ وفيما نسب إليه، فما به من جنون، ما هو إلا محْوَفٌ لكم. ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.

[٤٧] قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جنتكم به من أجر فهو لكم. ما أجزى الذي أنتظرون إلا على الله المظلم على أعمالكم وأعمالكم. لا يخفى عليه شيء، فهو يجازي الجميع. كل بما يستحقه.

[٤٨] قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل مججج من الحق، فيفضحه وبهلكه. والله علَمُ الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ هَرَجًا تَمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتَوْلَا بِمَا كَرِهْتُمْ
 بِغَيْبُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا أَسْتَحْبَبْنَاكَ أَنْتَ وَإِنَّا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
 يَنْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مَقُومُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
 بَعْضُكَ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
 النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُشِئَ عَلَيْهِمُ انبِثْنَا بِبَيِّنَاتٍ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدَ آبَائِكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَأْتِكُمْ
 بَدَأَةٌ مِّنَ الْآيَاتِ لَيَحْسَبُنَّهَا ثِيَابًا مَّقْطُونًا ﴿٤٣﴾ وَمَا أَتَيْنَهُمْ مِن
 بَدَأَةٍ مِّنْ سَمَوَاتٍ وَلَا مِّنْ أَرْضٍ وَلَا مِّنْ مَّيْمَنَةٍ وَلَا مِّنْ شَمَالٍ
 وَلَا مِّنْ جَانِبٍ يُدْرِكُهُمْ إِلَّا يَكْفُرُ بِهَا كُفْرًا كَبِيرًا ﴿٤٤﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٥﴾ وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَبَّوْا بِمَعَارِفِنَا: بَلْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 زَيْلًا ﴿٤٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً
 أَنْ تَقُولُوا لِلَّهِ مُشْرِكٌ وَقَدْ دَنَا شُكْرًا وَآمَّا بِصَاحِبِكُمْ مِّن
 جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا تَذَكَّرَ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ
 مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ اجْتَبَيْتُمُوهُ فَهُوَ عَلَى اللَّهِ
 حَكْمٌ وَإِن كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٥٠﴾

[٤٩] قل - أيها الرسول -: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحَل سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبذوه ويعبيد.

[٥٠] قل: إن ملئت عن الحق فائمه ضلالي على نفسي، وإن استقمتم عليه فبوحى الله الذي يوحى إليّ، إن ربي سمع لما أقول لكم، قريب من دعاء وسأله.

[٥١] ولو تترى - أيها الرسول - إذ قرع الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمراً عظيماً، فلا نجاه لهم ولا مهرب، وأخذوا إلى النار من موضع قريب التناول.

[٥٢] وقال الكفار - عندما رأوا العذاب في الآخرة -: أمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.

[٥٣] وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل. فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرأي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

[٥٤] وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأمثالهم من كفره الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شك من أمر الرسل والبعث والحساب، مُخِذ للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

[سورة فاطر]

[١] الفناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السموات والأرض ومبدعهما، جاعل الملائكة رسلاً إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ للقيام بما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

[٢] ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى، وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته.

[٣] يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصْرَفون عن توحيدهِ وعبادته؟

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيَنَّ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ قُلْ إِنْ صَلَّاتٌ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا يُوجِئُ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ - وَأَنْقَى لَهُمُ الشَّوْشَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْأَغْيَابِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۝

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَنْفُسٍ فَشَقَى وَتَلَّتْ وَرُزِعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَرَادَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَأَنَّى النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ تَوْفَرُونَ ۝

وَأَن يَكذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ زُرَّارٌ مِن قَبْلِكَ ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
 الْأَمْثَلُ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٦٥﴾ إِنَّ السَّاطِنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٦٧﴾ أَفَمَن زَيْنَ لَعَسَتْ عَمَلَهُ إِذْ هُوَ حَسْتَافٍ أَلَّا
 اللَّهُ يَبْضِلَ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَنْهُمَا
 حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَصْعَوْتُ ﴿٦٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتَنِّي رِجَابًا فَتَفْتِنَهُ إِلَى بَلَدٍ قَبِيحٍ فَأُحْيِيَنَا بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا ذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۖ وَالَّذِينَ
 يَكْفُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُ ﴿٧٠﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّفْثَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مَن أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِيهِ ۖ وَمَا نَعْتَمِرُ مِن مَّعْتَمِرٍ
 وَلَا يَنْقُصُ مِن عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧١﴾

[٦٤] وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد كُذِّبَ رسل من قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلًّا بما يستحق، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ.

[٦٥] يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت. فلا تحذ عنكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها. ولا يخذ عنكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو. فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنما يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.

[٦٧] الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم. وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة.

[٨] أقمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من

معاصي الله وانكفر وعبادة ما دونه من الألهة والأوثان قرأه حسناً جميلاً. كمن هداه الله تعالى. فرأى الحسن حسناً والسئى سيئاً؟ فإن الله يبضل من يشاء من عباد.. ويهدي من يشاء. فلا تهلك نفسك حزناً على كفر هؤلاء الضالين. إن الله عليه بقياحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء.

[٩] والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحباً، فسقناه إلى بلد جذب، فينزل الماء فأحيينا به الأرض بعد ينسها فتخضر بالنبات. مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموق يوم القيامة.

[١٠] من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فيطلبها من الله، ولا تنال إلا بطاعته. فله العزة جميعاً، فمن اعتر بال مخلوق أذله الله. ومن اعتر بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يهلك ويفسد. ولا يفيدهم شيئاً.

[١١] والله خلق أباكم آدم من تراب. ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين. ثم جعلكم رجالاً ونساء. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه. وما يعمر من مَعْمَرٍ فيطول عمره. ولا يُنْقِصُ من عمره إلا في كتاب عنده. وهو اللوح المحفوظ. قيل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله. وعلمه قبل أن يخلقها. لا يزد فيما كتب له ولا يُنْقِصُ. إن خلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

[١٤] وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة. سهل مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا بلع شديد الملوحة. ومن كل من البحرين تأكلون سمكاً طرياً شهياً الطعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

[١٣] والله يُدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل. ويُدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار. ودلّل الشمس والقمر بجريان لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء، تكون على القواة.

[١٤] إن تدعوا - أيها الناس - هذه المعبودات من دون

الله لا يسعوا دعاءكم. ولو سعوا على سبيل الغرض ما أجابوكم. ويوم القيامة يتبرؤون منكم. ولا أحد يحرك - أيها الرسول - أصدق من الله العظيم الخبير.

[١٥] يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه العفي عن الناس وعن كل شيء، من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال.

[١٦] إن يشأ الله يُهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.

[١٧] وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بمتنع، بل ذلك على الله سهل يسير.

[١٨] ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى، وإن سُئِلَ نفس مقلّة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً. ولو كان الذي سألته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنما تحذر - أيها الرسول - الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدوا الصلاة حق أدائها. ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر نفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم. فيجازي كلّ بما يستحق.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
 مِلْحٌ أَلْحَاقٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
 حَيْةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرٌ لِيَتَبَتَّؤْ مِنْ فَضْلِهِ
 وَتَلْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ هَلْ يَنْجَرِي
 لِأَجْلِ مَسْتَقَىٰ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
 تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا أَنْتُمْ جَانِبُوا لَكُمْ
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٢﴾
 ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٩﴾
 وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٨﴾ وَلَا فِرَازَ وَارِزَةَ وَزَرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ
 تَدْعُ مُنْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِيلٍ وَلَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
 إِنَّمَا نُنذِرُ الْكَافِرِينَ بِمَحْسَنَاتِهِمْ مِنَ الْقَيْبِ فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٢٤﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٥﴾
 وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَابُ وَلَا
 الْأُمُوتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
 الْقُبُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
 فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَخَذْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَكَيْفَ كَان تَكْوِيرٌ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
 جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ ﴿٣٢﴾
 وَمِنَ النَّاسِ وَآلِهِ وَآبِ وَأَلْوَانِهِمْ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ
 إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٣﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٤﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ
 اللَّهُ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾

[٢٤-١٩] وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان وأموات القلوب بالكفر. إن الله يُسمع من يشاء سماع فهم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بسميع من في القبور، فكما لا تسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة من صدقك وعمل بهديك، ومحذراً من كذبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها.

[٢٥] وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب

المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

[٢٦] ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعلمهم وحلول عقوبي بهم؟

[٢٧] ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبلاً شديدة السواد.

[٢٨] وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الشمار والجبال. إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظام وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

[٢٩، ٣٠] إن الذين يقرؤون القرآن ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سراً وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسبهم، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزي ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص. ويضاعف لهم الحسنات من فضله. إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

[٣١] والذي أنزلناه إليك - أيها الرسول - من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

[٣٢] ثم أعطينا - بعد هلاك الأمم - القرآن من اخترناهم من أمة محمد ﷺ، فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المحتسب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي سارع مجتهد في الأعمال الصالحة. فَرَضِهَا ونقلها، ذلك الإيعاز للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

[٣٣-٣٥] جنات إقامة دائمة للذين أوردتهم الله كتابه، يُرَيِّبُونَ فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن. إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَاتِينَ يُدْعِيهِ إِنْ أَنَّهُ يُعْبَادُهُ، لَخَيْرٌ نَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَهَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمُ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْ لَمْ نَعْمَلْ مَا بَدَأْنَا بِهِ فَمَنْ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ كَذَّبُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يَلْعَلُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

الحسنات وضاعفها، وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله، لا يمسننا فيها تعب ولا إعياء.

[٣٦] والذين كفروا بالله ورسوله هم نار جهنم الموقدة، لا يُقْضَىٰ عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها، مثل ذلك الجزاء يجزي الله كلَّ مَنْ هو مبالغ في الكفر متماد فيه مُصْرًّا عليه.

[٣٧] وهؤلاء الكفار يَصْرُخُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمِّنُ بدل الكفر، فيقول لهم: أولم نُهْلِككم في الحياة قَدْرًا وافيًا من العُمر، يتعظ فيهم من تعظ، وجاءكم النبي ﷺ، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

[٣٨] إن الله مُطَّلِعٌ على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُصْهِرُونَ الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تُغْصوه بما دون ذلك.

[٣٩] الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يتخلف بعضكم بعضاً في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرر، وكفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغيظاً، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالاً وهلاكاً.

[٤٠] قل -أيها الرسول- للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاً وكم من الأرض، أم أن لشركانكم الذين تعبدونهم من دون الله شركاً مع الله في خلق السموات، أم أعطيتهم كتاباً فهم على حجة منه؟ بل ما يعبد الكافرون بعضهم بعضاً إلا غروراً وخداعاً.

[٤١] إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالت السموات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده، إن الله كان حليماً في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفوراً لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

[٤٢] وأقسم كهار قریش بالله أشد الأيمان؛ لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله ليكونن أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ ما زادهم ذلك إلا بُعداً عن الحق ونفوراً منه.

هو الذي جعلكم خلفاً في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغيظاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا ضلالاً وهلاكاً ﴿٣٩﴾ قل أأنتم شركاء الله الذين نتحدث من دون الله أو أنزلنا ما خلقنا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم أم اتينهم ربكتنا فهم على بينة ومنه بل إن بعد الظالمين بعضهم بعضاً الأغرور ﴿٤٠﴾ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴿٤١﴾ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مما زادهم إلا نفوراً ﴿٤٢﴾ استجباراً في الأرض ومكرراً السنين ولا يحيق المصير السنين إلا بأهلها، فهل ينظرون إلا نسيت الأولين؟ فلن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً ﴿٤٣﴾ أولئذ يسيروا في الأرض فينظروا وكيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا ﴿٤٤﴾

[٤٣] ليس إقسامهم لقصد حسن وطلباً للحق، وإنما هو استجبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السنين والخداع والباطل، ولا يحيق المكر السنين إلا بأهلها، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمتثالهم الذين سبقوهم، فلن نجد لطريقة الله تبديلاً ولا تحويلاً، فلا يستطيع أحد أن يتبدل، ولا أن يتحول العذاب عن نفسه أو غيره.

[٤٤] أولم يبيّر كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حل بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة ويطشاً من كفار «مكة»؟ وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء، في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم.

[٤٥] ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة يُدب عليها، ولكن يُعَلِّمهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان يعاده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء، من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

[سورة يس]

[١] ﴿يس﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢-٤] يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.

[٥] نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً.

[٦] أنزلنا عليك -أيها الرسول- لتحذره قوماً لم يُنذروا بأبائهم من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح.

وكل أمة ينقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم.

[٨، ٧] لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرض عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إننا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحق فرفضوه، وأصرّوا على الكفر وعدم الإيمان. كمن يجعل في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغفلون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.

[٩] وجعلنا من أمام الكافرين سداً، ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سدّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعيننا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.

[١٠] يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدّقون ولا يعملون.

[١١] إنما ينفع تحذيرك من أمن بالقرآن واتباع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراء أحد إلا الله، فبشره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

[١٢] إننا نحن نحي الأموات جميعاً بمعهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وأثّارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان، وكل شيء، أحصيناه في كتاب واضح هو أمّ الكتب، واليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ، فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا
مِن دَابَّةٍ وَلَا لِيُنذِرَ لِمَن يُوخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ ۗ

سُورَةُ يَسٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أُنذِرُوا وَإِنَّا لَهُمْ عِقَابٌ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ غَلِيظَةً فَحُمِلُوا
إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ۝ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَآخِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝

[١٣، ١٤] واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الراديين لدعوتك مثلاً يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين، فقومناهما برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون.

[١٥] قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئاً من الوحي، وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون.

[١٦، ١٧] قال المرسلون مؤكداً: ربنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم مرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم. فالهداية بيد الله وحده.

[١٨] قال أهل القرية: إنا نثأهنا بكم، لئن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رمياً بالحجارة، وليصيبنكم ممناً عذاب أليم موجه.

وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴿١٣﴾
 إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا
 إنا إليكم مرسلون ﴿١٤﴾ قالوا ما أنتم إلا مبتر مثلنا
 وما أنزل الرحمن من شيء إن أنشد إلا تكذيبون ﴿١٥﴾ قالوا
 ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴿١٦﴾ وما علينا إلا البليغ
 المبين ﴿١٧﴾ قالوا إنا نظنك ناكراً كمن لوتنتهوا التزجئة
 ولينسئركم ممناً عذاب أليم ﴿١٨﴾ قالوا طرركم معكم ابن
 ذكركم بل أنشد قوة منرفون ﴿١٩﴾ وما من أقصا المدينة
 رجل يسقى قال يقوم اتبعوا المرسلين ﴿٢٠﴾ اتبعوا
 من لا يستلكم أجراً وهم مهتدون ﴿٢١﴾ وما لي لا أعبد
 الذي فطرني وإليه ترجعون ﴿٢٢﴾ أتخذ من ذويه الهة
 إن يرزق الرحمن يضرب لآفة ن عني شققتهم شيئا
 ولا ينقدون ﴿٢٣﴾ إني إذ أتيت صليل مبين ﴿٢٤﴾ إني أمئت
 بربكم فاستمعون ﴿٢٥﴾ قيل أدخل الجنة قال يأتيت قومي
 يعلمون ﴿٢٦﴾ بما عقرتني ربي وجعلني من المكروبين ﴿٢٧﴾

[١٩] قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشرك معكم ومردودة عليكم، أن وعظتم بما فيه خيركم تشاءتم وتعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب.

[٢٠، ٢١] وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية هموا بقتل الرسل أو تعذيبهم)، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده. وفي هذا بيان فضل من سعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٢٢] وأني شيء، يعني من أن أعبد الله الذي خلقتني، وإليه تصيرون جميعاً؟

[٢٣-٢٥] أأعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يرزق الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إني أمئت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم. وأطيعوني بالإيمان. فلما قال ذلك وثب إليه قومه وقتلوه، فأدخله الله الجنة.

[٢٦] قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له.

[٢٧] قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

[٢٨] وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلمهم. فله أضعف من ذلك وأهون، وما كما منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكتهم. بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم.

[٢٩] ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم تبق منهم باقية.

[٣٠] يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب. ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

[٣١] ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبروا بمن قبلهم من القرون التي أهلكتها أنهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

[٣٢] وما كل هذه القرون التي أهلكتها وغيرهم، إلا محضرون جميعاً عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

[٣٣] ودلالة هؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحيينها بإنزال الماء، وأخرجنا منها أنواع النبات مما

• وما أنزلنا على قومهم من بعدوه من جنود من السماء وما كنا منزلين ﴿٥١﴾ إن كانت إلا بصيحة واحدة فإذا هم خميدون ﴿٥٢﴾ يستهزئون على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿٥٣﴾ أنزبروا كما أهلكتنا قبلهم ومن القرون أنهمز البهة لا يرجعون ﴿٥٤﴾ وإن كل لنا جميع لدينا محضرون ﴿٥٥﴾ وآية لهم الأرض الميتة أحيينها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكفون ﴿٥٦﴾ وجعلنا فيها حنث من نخيل وأعنب وأعنب وفجرتا فيها من العيون ﴿٥٧﴾ لياكلوا من ثمره وما علمتنا أيديهم أفلا يشكرون ﴿٥٨﴾ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا تعلمون ﴿٥٩﴾ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴿٦٠﴾ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴿٦١﴾ والقمر قدرته منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴿٦٢﴾ لا الشمس ينبغي لها أن تزدك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴿٦٣﴾

يأكل الناس والأنعام، ومن أحياء الأرض بالنبات أحياء الخلق بعد الموات.

[٣٤] وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعنب. وفجرتا فيها من عيون المياه ما يسقيها.

[٣٥] كل ذلك؛ لياكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدهم، ولا بجولهم وبقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟

[٣٦] تنزه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض. ومن أنفسهم ذكورا وإناثا، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق. فلا ينبغي أن يشرك به غيره.

[٣٧] وعلامة له دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل تنزع منه النهار، فإذا الناس مظلمون.

[٣٨] وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعدا، ولا تنقص عنه. ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.

[٣٩] وجعلنا القمر آية في خلقه، وقدرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالاً ضئيلاً حتى يكمل قرماً مستديراً، ثم يرجع ضئيلاً مثل عذق النخلة المنقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدومه ويئسه.

[٤٠] لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدره الله له لا يتعدا، فلا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتسحق نوره، أو تغير مجراها، ولا يمكن للليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته. وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يتحركون.

وآية لهم أَنَّا حملنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٥١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَكَّرَ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اطَّعِمُوهُمْ لَوْ نَشَاءُ اللَّهُ لَطَعَمْتَهُمْ إِنْ أُنزِلَ إِلَيْكُمُ الْغَيْثُ فَكَيْفَ يُعْرَفُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا يَجِدُونَ مَغِيثًا لَهُمْ مِنْ غُرُقِهِمْ وَلَا هُمْ يَخْلصُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِن نَّزَعْنَاهُمْ فَنَجِّيهِمْ وَنَمَتِّعُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيَسْتَدْرِكُونَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ. ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، أعرضوا ولم يهيبوا إلى ذلك. ﴿٦١﴾ وما تجيء هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لتهديهم للحق، وتبين لهم صدق الرسول ﷺ، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي منَّ به الله عليكم، قالوا للمؤمنين محتجين: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعد واضح عن الحق؛ إذ تأمرونا بذلك. ﴿٤٨﴾ ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟ ﴿٤٩﴾ ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة؛ وهم يخطعون في شؤون حياتهم. ﴿٥٠﴾ فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحداً بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم. ﴿٥١﴾ ونفخ في «القرن» النفخة الثانية، فتردُّ أرواحهم إلى أجسادهم. فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراغاً. ﴿٥٢﴾ قال المكذوبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون. ﴿٥٣﴾ ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»، فإذا جمع الخلق لدينا مائلون للحساب والجزاء. ﴿٥٤﴾ في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تُحْزَنُ إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.

[٥٥] إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكحون بها.

[٥٦] هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرة المرتبة، تحت الظلال الوارفة.

[٥٧] لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، ولم كل ما يطلبون من أنواع النعيم.

[٥٨] ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجود.

[٥٩] ويقال للكفار في ذلك اليوم: تمثروا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم.

[٦٠] يقول الله لهم -توبيخاً وتذكيراً-: ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

[٦١] وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنّاتي.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكِ مُتَكَبِرُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا قَشَرْتَهُ يَوْمَ أَنبَأْتُمُومُونَ ﴿٥٧﴾ هُمُ الْأَرْبَابُ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ وَأَنْ أَغْنِيَهُ فِي هَذَا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ ﴿٦١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٣﴾ الْيَوْمَ نَخِذُ عَنْ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْ يَبْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَائِبِهِمْ فَمَا أَسْتَطَفُوا صُفْوَافًا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَنْ يَعْزَمْ نَسَخْنَاهُ عَنْ سَهْمِهِ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٨﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَبِيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ولقد أضل الشيطان عن الحق منكم خلقاً كثيراً، أما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟

[٦٣] هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله.

[٦٤] ادخلوها اليوم وقاسوا حرّها؛ بسبب كفركم.

[٦٥] اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون، وتكلمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.

[٦٦] ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما تخمننا على أفواههم، فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طمسنا أبصارهم؟

[٦٧] ولو شئنا لغيرنا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يمشوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.

[٦٨] ومن نطّل عمره حتى يهرم يُعَدُّ إلى الحالة التي ابتداء منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد. أفلا يعقلون أن من فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

[٦٩، ٧٠] وما علّمنا رسولنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، وقرآن بيّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وجكمه ومواعظه؛ لينذر من كان حبي القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.

- [٧١] أولم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعاماً ذلناها لهم، فهم مالكون أمرها؟
- [٧٢] وسخرناها لهم، فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما يأكلون.
- [٧٣] ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، كالارتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ولباساً، وغير ذلك. ويشربون ألبانها. أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟
- [٧٤] واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛ طمعاً في نصرها لهم وانقاذهم من عذاب الله.
- [٧٥] لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها، ولا أنفسهم ينصرون، والمشركون وأهلهم جميعاً محضرون في العذاب، متبرئاً بعضهم من بعض.
- [٧٦] فلا يخزئك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزأؤهم بك؛ إنا نعلم ما يخفون وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك.
- [٧٧] أولم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده. إنا خلقناه من نطفة مرت بأطوار حتى كبير، فإذا هو كثير الخصام واضح الجدل؟
- [٧٨] وضرب لنا المنكر للبعث مثلاً لا ينبغي ضربه،

وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه، قال: من يحيي العظام البالية المتفتتة؟

[٧٩] قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجمع خلقه عليهم، لا يخفى عليه شيء.

[٨٠] الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار. فهو القادر على إخراج الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموق من قبورهم أحياء.

[٨١] أوليس الذي خلق السموات والأرض وما فيها بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه شيء.

[٨٢] إنا أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإمامة والإحياء، والبعث والنشور.

[٨٣] فتز: الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المنصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، وقد ظهرت دلائل قدرته، وتما نعمته، واليه ترجعون للحساب والجزاء.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاعِينَاتٍ أُيْدِيَآ أَنفُسَهَا
فَهُنَّ لَهَا مَلَائِكَةٌ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مِن تَعْلِفٍ وَمِنْهَا رِيبٌ
أَقْلَابُكَرُوتٌ ۝ وَتَأْخُذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً
لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ
لَهُمْ خِذْيَةٌ مُّخْضَرُونَ ۝ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُهُ
مَآبِنُهُمْ وَمَا يَحْتَابُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ
مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيصٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقَهُ أَقْلٌ مِنَ بَحْيِ الْعِظْمَةِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذْ أَنشَدَ
بَيْنَهُ نُوحًا وَإِسْمَاعِيلَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

[سورة الصافات]

[٤-١] أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفاً مترصّة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تنلو ذكر الله وكلامه تعالى، إن معبودكم أيها الناس - لو احدث لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة، ويقسم الله بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالخلف بغير الله شرك.

[٥] هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبر الشمس في مطالعها ومغاربها.

[٦] إنا ربنا ربنا السماء الدنيا بزينة هي النجوم.

[٧] وحفظنا السماء بالنجوم من كل شيطان متمرّد عاب رجييم.

[٨-٩] لا نستطيع الشياطين أن تصل إلى الملأ الأعلى.

وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره، ويؤججون بالشهب من كل جهة؛ طرداً لهم عن الاستماع، وهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجع.

[١٠] إلا من اخطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسعها من السماء بسرعة، فيلقها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، قريباً أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب، فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، فيكذبوا معها مائة كذبة.

[١١] فأسأل - أيها الرسول - منكري البعث أنهم أشد خلقاً أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لرج، يلتصق بعضه ببعض.

[١٢] بل عجبت - أيها الرسول - من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

[١٣] وإذا ذكروا بما نوسوا أو غفلوا عنه لا ينتفعون بهذا الذكر ولا يتدبرون.

[١٤] وإذا رأوا معجزة دالة على نبوتك يسخرون منها ويعجبون.

[١٥-١٧] وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بئس، فإذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو يبعث آباؤنا الذين مضوا من قبلنا؟

[١٨] قل لهم - أيها الرسول -: نعم سوف تبعثون، وأنتم أذلاء صاغرون.

[١٩] فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة.

[٢٠] وقالوا: يا هلاكنا هذا يوم الحساب والجزاء.

[٢١] فيقال لهم: هذا يوم القضاء، بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه.

[٢٢-٢٤] ويقال للملائكة: اجتمعوا الذين كفروا بالله ونظراءهم، وأهلهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فسوقوهم سوقاً عتيفاً إلى جهنم، واحبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيك لهم.

سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَلْهَمْنَاهُمْ صَفَاتٍ ۚ فَالزَّجْرُتَ زَجْرًا ۚ فَالَّذِينَ ذَكَرْنَا ۚ إِنَّ الْهَكَو
لَوْحَةً ۚ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبِّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا رَبُّنَا
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرِيَّةٌ الْكُرُوكِ ۚ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۚ
لَا يَسْتَعِينُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ۚ وَنَعْدُوهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُخُورًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ إِلَّا مَنْ حَفِظَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِبٌ ۚ
فَأَسْتَفْهِمُوا هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ۚ أَمْ نَخْلُقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَرْبٍ ۚ
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا ذُكِرُوا لِآيَاتِنَا ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً
يَسْتَسْخَرُونَ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْبَانٍ ۚ إِيَّا هُمْ نَعْنَى
وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا ۚ فَالْمُبْعُوثُونَ ۚ أَوْ آيَاتِنَا الْأُولَى ۚ قُلْ نَعْنَى
وَأَنْشُرُهُمْ ۚ فَأَمَّا هِيَ نَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَقَالُوا
يَبُوتُنَا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِينَ هَذَا قَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ كَذِبُونَ ۚ
ۚ أَخْسَرُوا الَّذِينَ ظَنَّمُوا أَن رَأَوْا تَجْرَهُمْ ۚ فَكَانُوا يَتَّبِعُونَ ۚ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْذُوبُهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَجِيرِ ۚ وَقَفَّوهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُونَ ۚ

[٢٥] ويقال لهم توبيحاً: ما لكم لا تنصروا بعضكم بعضاً؟
[٢٦] بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يجيدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.

[٢٧] وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨، ٢٩] قال الأنبياء للمتبعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبيل الدين والحق، فتَهَوِّتُونَ علينا أمر الشريعة، وتَتَفَرَّقُونَ عنها، وتزبون لنا الضلال. وقال المتبعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكراً للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

[٣٠] وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قوماً طاغين متجاوزين للحق.

[٣١] فلزمتنا جميعاً وعبد ربنا، إنا لذائقو العذاب، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.

[٣٢] فأضللتناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكننا بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا.

[٣٣] فإن الأنبياء والمتبعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

[٣٤] إنا هكذا فعلنا بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم.

[٣٥] إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودُعوا إليها، وأمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.

[٣٦] ويقولون: أنتك عبادة ألهتنا لقول رجل شاعر مجنون؟ يعنون رسول الله ﷺ.

[٣٧] كذبوا، ما محمد كما وصفوه به، بل جاء بالقرآن والتوحيد، وصدّق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيد.

[٣٨] إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لذائقو العذاب الأليم الموجع.

[٣٩] وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

[٤٠-٤٣] إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته، فإنه ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم.

[٤٤] ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضاً أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.

[٤٥-٤٧] يمدار عليهم في مجالسهم بكموس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها. بيضاء في لونها، لذينة في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

[٤٨، ٤٩] وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، جسان الأعين، كأنهن بيض مصون لم تسمه الأيدي. [٥٠، ٥١] فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة. وهذا من تمام الأنس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيُومًا مُّسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا نُؤْتِيَانَا مِنَ الْأَيْمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنذَابُغُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَاقِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُفِّرُكُمْ إِنَّا كُنَّا نَسَٰعِرَ مُّجْتَنِبِينَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا لَنَآبِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجَزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَرَهُمْ مَّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي حِجَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ فِرْعَانٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيَضَاءٍ لَّذِيٍّ لِلشَّرِيبِ ﴿٤٦﴾ لَا يَرَىٰ فِيهَا عِوَالَ وَلَا أَهْلَ عَثَمِهَا إِن يَزِفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْكَوْثَرِ ﴿٤٨﴾ وَأَنْهَارٌ يَّسُفُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

يقول أهـ نك لمن ألمصدين ٥٤ أدامتنا وكنا تراباً وعظاماً أنا
لمدينون ٥٥ قال هل أستمظلعون ٥٦ فاطلع فرة أذ في سوا
المجبر ٥٧ قال تالله إن كدت لتزدين ٥٨ ولولا نعمة ربى
لكنت من المحضرين ٥٩ أما نحن بعيتين ٦٠ إلا موتتنا
الأولى وما نحن بمعدين ٦١ إن هذا هو القوز العظيم ٦٢
ليشل هذا فليغسل العملون ٦٣ أذلك خير فتر لا أم شجرة
الزقوم ٦٤ إنا جعلناها فتنة للظالمين ٦٥ إنا شجرة تخرج
في أصل المجبر ٦٦ ظلعها كأنه مرز، وس السطين ٦٧
فإنه لآكلون منها فما لول منها البطون ٦٨ فرب إن لهن
عليها لسوتاً من حمير ٦٩ ثم إن مرجعته لى المجبر ٧٠
إنه القوز، إنا، هو صالين ٧١ فنه على، انهم نهرون ٧٢
ولقد صل قبله أكتر الأولين ٧٣ ولقد أرسلنا فيهم
مذرين ٧٤ فأنظر كيف كات عقبة المذرين ٧٥
إلى عباد الله المخلصين ٧٦ ولقد نادتنا نوح فليغ
المجيبون ٧٧ ونجيتهم وأهلهم، من الكرب العظيم ٧٨

[٥٢، ٥٣] يقول: كيف تصدق بالبعث الذي هو في غاية
الاستغراب؟ إذا امتنا وتمرقنا وصرنا تراباً وعظاماً،
تبعث ونحاسب ونجازى بأعمالنا؟
[٥٥، ٥٦] قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه:
هل أنتم مظلعون لئرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع
فراى قرينه في وسط النار.
[٥٧، ٥٦] قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربت
أن تهلكي بصدك إياي عن الإيمان لو أطعتك، ولولا
فضل ربي بهديتي إلى الإيمان وتشبيبي عليه، لكنك
من المحضرين في العذاب معك.
[٥٨-٦٠] أحقأنا محمدون منعمون، فما نحن بعيتين إلا
موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعدين بعد دخولنا
الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم هو الظفر العظيم.
[٦١] لمثل هذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز
العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصيروا إليه في
الأخرة.
[٦٢] أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة
وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام
أهل النار؟
[٦٣] إنا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم

بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم بنبتكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.
[٦٤-٦٨] إنا شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد
هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فمالون منها بظونهم، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً
خليطاً قبيحاً حاراً، ثم إن مردهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.
[٦٩، ٧٠] إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.
[٧١] ولقد صل عن الحق قبل قومك -أيها الرسول- أكثر الأمم السابقة.
[٧٢] ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.
[٧٣] فتامر كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عذبت، وصارت للناس عبرة.
[٧٤] إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم له.
[٧٥] ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فنعم المجيبون له نحن.
[٧٦، ٧٧] ونجيتهم وأهلهم والمؤمنين معه من أذى المشركين، ومن الفرق بالطوفان العظيم.

بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم بنبتكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.
[٦٤-٦٨] إنا شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد
هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فمالون منها بظونهم، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً
خليطاً قبيحاً حاراً، ثم إن مردهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.
[٦٩، ٧٠] إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.
[٧١] ولقد صل عن الحق قبل قومك -أيها الرسول- أكثر الأمم السابقة.
[٧٢] ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.
[٧٣] فتامر كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عذبت، وصارت للناس عبرة.
[٧٤] إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم له.
[٧٥] ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فنعم المجيبون له نحن.
[٧٦، ٧٧] ونجيتهم وأهلهم والمؤمنين معه من أذى المشركين، ومن الفرق بالطوفان العظيم.

[٧٧] وجعلنا ذرية نوح هم الباقين بعد غرق قومه.
 [٧٨] وأبقينا له ذكراً جميلاً ونساءً حسناً فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به.
 [٧٩] أمان لنوح وسلامة له من أن يذكر بسوء في الآخرين، بل ثنني عليه الأجيال من بعده.
 [٨٠] مثل جزاء نوح مجزي كل من أحسن من العباد في طاعة الله.
 [٨١] إن نوحاً من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله.
 [٨٢] ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين تطرف.
 [٨٣-٨٧] وإن من أشياع نوح على منهاجه ومثته نبي الله إبراهيم. حين جاء ربه بقلب بري، من كل اعتقاد باطل وخلق ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكراً عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة محتلفة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتمه معه غيره؟

[٨٨-٩٠] فنظر إبراهيم نظرة في النجوم - على عادة قومه في ذلك - متفكراً فيما يعتد به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض، وهذا تعريض منه، فتركوا، وراء ظهورهم.
 [٩١، ٩٢] فسال مسرعاً إلى أصنام قومه فقال مستهزئاً بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟ ما لكم لا تنطقون ولا تحييون من يسألكم؟
 [٩٣] فأقبل على ألتهم يضربها ويكسرها بيده اليمنى: ليثبت لقومه خطأ عبادتهم لها.
 [٩٤] فأقبلوا إليه يحدون مسرعين غاضبين.
 [٩٥، ٩٦] فلقاهم إبراهيم بثبات قائلاً: كيف تعبدون أصناماً تحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟
 [٩٧] فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابناؤنا، واملؤوه حطباً، ثم ألقوه فيه.
 [٩٨] فأراد قوم إبراهيم به كيداً لإهلاكه، فجعلناهم المقهورين المغلوبين، ورد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً.
 [٩٩، ١٠٠] وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمسكن من عبادة ربي، فإنه سيدلني على الخير في ديني وديناي. رب أعطني ولداً صالحاً.
 [١٠١] فأجبت له دعوته، وبشئناه بغلام حليم، أي: يكون حليماً في كبره، وهو إسماعيل.
 [١٠٢] فلما كبر إسماعيل ومشي مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ (ورؤيا الأنبياء حق) فقال إسماعيل مُرضياً ربه، بارئاً بوالده، معيناً له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني - إن شاء الله - صابراً طائعاً محتسباً.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ أَنقَرَهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِن مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنَنْتُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩١﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُغُونَ ﴿٩٢﴾ قَالَ اتَّعِدُوا مَا تَنْجُونَ ﴿٩٣﴾ وَأَنْتُمْ خَلْقَتُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا ابْنُوا آلِهَةً بَنَيْتُمْ آلَافُودًا فِي الْجَبْرِ ﴿٩٥﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ ﴿٩٦﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٧﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٨﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَىٰ قَالَ يَتَّبِعُنِي إِلَهِي أَرَىٰ فِي السَّمَاءِ آتِيًا ذُنُوبَكُمْ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ يَتَّبِعُنِي أَنْقَلُ مَا نَفَرْتُ مَرَّةً وَجَدْتُ فِيهَا إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠١﴾

[١٠٣] فلما استسلموا لأمر الله وانقادوا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه - وهو جانب الجبهة - على الأرض؛ ليذبحه. [١٠٤، ١٠٥] ونادينا إبراهيم في تلك الحالة العصبية: أن يا إبراهيم، قد فعلت ما أمرت به وصدقت رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة. [١٠٦] إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أبان عن صدق إيمانك. [١٠٧] واستغفنا إسماعيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشاً عظيماً. [١٠٨] وأبقينا إبراهيم ثناءً حسناً في الأمم بعده. [١٠٩] تحية لإبراهيم من عند الله، ودعاء له بالسلامة من كل آفة. [١١٠] كما جزينا إبراهيم على طاعته لنا وامتناله أمرنا، نجزي المحسنين من عبادنا. [١١١] إنه من عبادنا المؤمنين الذين أعطوا العبودية حقها. [١١٢] وبقرنا إبراهيم بولده إسحاق نبياً من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له. [١١٣] وأنزلنا عليهما البركة. ومن ذريتهما من هو

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَوَدَّعُوا لِلْحَيَيْنِ ۝ وَوَدَّعْتَهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ ۝ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ ۝ وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَيَّ الْبَرَّهْبَةَ ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ بَيْتًا مِنْ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۝ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا مِنَ الْعَاقِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَوَدَّعْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنْ يَأْسُ لِمَنِ الْمُسْلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝

مطيع لربه، محسن لنفسه، ومن ظالم لها ظلاماً بيئاً بكفره ومعصيته. [١١٤، ١١٥] ولقد مَنَّنا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة، ونجيناها وقومها من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومذلة. [١١٦] ونصرناهم، فكانت لهم العزة والنصرة والغلبة على فرعون وأله. [١١٧-١١٩] وآتيناهم التوراة البينة، وهديناهم الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتهت به أنبياء، وأبقينا لهما ثناءً حسناً وذكرًا جميلاً فيمن بعدهما. [١٢٠-١٢٢] تحية لموسى وهارون من عند الله، وثناء دعاء لهما بالسلامة من كل آفة. كما جزيناها الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المخلصين لنا بالصدق والإيمان والعمل. إنهما من عبادنا الراشخين في الإيمان. [١٢٣-١٢٦] وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة، إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشركوا معه غيره، كيف تعبدون صنماً ضعيفاً مخلوقاً، وتتركون أحسن الخالقين - المتصَّف بأحسن الصفات وأكملها، فلا تعبدونه - الله ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم؟

[١٢٧، ١٢٨] فكذب قوم إلياس نبيهم، فليجمعهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب، إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه.

[١٢٩-١٣٢] ورجعنا لإلياس ثناءً جميلاً في الأمم بعدد. تحية من الله، وثناءً على إلياس. وكما جزينا إلياس الجزاء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره.

[١٣٣-١٣٥] وإن عبدنا لوطاً اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين. إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب، إلا عجزوا هزيمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها الكفرها.

[١٣٦] ثم أهلكتنا الباقين المكذبين من قومه.

[١٣٧، ١٣٨] وانكم -يا أهل مكة- لتسرون في أسفاركم على منازل قوم لوط وآثارهم وقت الصباح، وتسرون عليها ليلاً. أفلا تعقلون، فتخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟

[١٣٩، ١٤٠] وإن عبدنا يونس اصطفيناه وجعلناه من

المرسلين، إذ هرب من بلده غاضباً على قومه، وركب سفينة مملوءة ركاباً وأمتعة.

[١٤١] وأحاطت بها الأمواج العظيمة، فافتزع ركاب السفينة لتخفيف الحمولة خوف الغرق، فكان يونس من المغلوبين بالقرعة.

[١٤٢] فألقي في البحر، فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام آت بما يلام عليه.

[١٤٣، ١٤٤] فلولا ما تقدم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسيبته، وهو في بطن الحوت بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ لمكث في بطن الحوت، وصار له قبراً إلى يوم القيامة.

[١٤٥] فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن.

[١٤٦] وأنبئتنا عليه شجرة من القرع تظله، وينتفع بها.

[١٤٧، ١٤٨] وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون، فصدّقوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم.

[١٤٩] فأسأل -أيها الرسول- قومك: كيف جعلوا لله البنات اللاتي يكرهونهنّ، ولأنفسهم البنين الذين يريدونهم؟

[١٥٠] وأسألم أخلقنا الملائكة إنائاً، وهم حاضرون؟

[١٥١، ١٥٢] وإنّ من كذبهم قولهم: ولد الله، وإنهم لكاذبون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.

[١٥٣] لأي شيء يختار الله البنات دون البنين؟

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرْكَبُوا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَٰنَ إِلَىٰ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِن لَّوِطًا لَّيَمِّنُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَرَجْنَا الْأَخْيَرِ ﴿١٣٦﴾ وَتَوَكَّرُوا
لَتَمُرُّوا عَلَيْهِمْ مُضْطَّحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَنْقَذْنَاهُ إِلَى الْفَلَاحِ الْمَشْهُورِ ﴿١٤٠﴾
فَتَآهَرَهُ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾
فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ
يُصْعَقُونَ ﴿١٤٤﴾ فَتَبَيَّنَّ لَهُ الْأَصْرَاءُ وَهُوَ سَاقِطٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَأْتَنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً تَمَّ يَفْطِينِ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَىٰ حَيْثُ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَقْبَهُمُ
الَّذِينَ الْبَتَاتُ لَهُمْ السُّيُُورُ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهٍ يُعْمَلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَوْلَا
أَنَّ اللَّهَ وَهَّجَ لَكَ كَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَنْطَقَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنزِلْ بِكَيْبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٥٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ أَنَّهُمْ لَمَخْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِن كُفِّرُوا وَنٰسَبُوا فَيَتَّبِعُونَ ﴿١٦٢﴾ مَا آتٰهُ عَلَيْهِ يَفْتِنِينَ ﴿١٦٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صٰلِحٌ مُّجْتَبِىٌّ ﴿١٦٤﴾ وَمِمَّا أَنزَلْنَا لَهُ مَقَآءِرَ مَعْلُومَةٍ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الصَّٰفٰتِ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٦٨﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٠﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٨﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٨١﴾ وَإِنَّا لَنَنزِلُنَّ الْقَوْلَ ﴿١٨٢﴾

[١٥٤] ينس الحكم ما تحكمونه - أيها القوم - أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم.

[١٥٥] أفلا تذكرون أنه لا يجوز ولا ينبغي أن يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[١٥٦] بل ألكم حجة بينة على قولكم واقتنائكم؟

[١٥٧] إن كانت لکم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها، إن كنتم صادقين في قولكم؟

[١٥٨] وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسباً، ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعباد يوم القيامة.

[١٥٩] تنزه الله عن كل ما لا يليق به ممّا يصفه به الكافرون. [١٦٠] لكن عباد الله الذين اصطفاهم لعبادته لا يصفونه إلا بما يليق بمجالاته سبحانه.

[١٦١-١٦٢] فإنكم - أيها المشركون بالله - وما تعبدون من دون الله من آلهة، ما أنتم بضلّين أحداً إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يضلّ الجحيم؛ لكفره وظلمه. [١٦٦-١٦٧] قالت الملائكة: وما منا أحد إلا له مقام

في السماء معلوم، وإننا لنحن الواقفون صفوفاً في عبادة الله وطاعته، وإننا لنحن المزهون الله عن كل ما لا يليق به.

[١٦٧-١٦٩] وإن كفار مكة ليقولون قبل بعثتك - أيها الرسول - لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء الأولين قبلنا، لكننا عباد الله الصادقين في الإيمان، المخلصين في العبادة.

[١٧٠] فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد ﷺ، كفروا به، فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة.

[١٧١-١٧٣] ولقد سبقت كلمتنا - التي لا مرّة لها - لعبادنا المرسلين، أن لهم النصرة على أعدائهم بالحجة والقوة، وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العقبة والمآل.

[١٧٤، ١٧٥] فأعرض - أيها الرسول - عنيّ عاند، ولم يقبل الحق حتى تنقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم، وأنظروهم وارقب ما ذلّ بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحلّ بهم من عذاب الله.

[١٧٦، ١٧٧] أفبئس عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟ فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم.

[١٧٨، ١٧٩] وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم، وأنظروهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من العذاب والنكال.

[١٨٠] تنزه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه.

[١٨١] وتحمية الله الدائمة وثناؤه وأمانه لجميع المرسلين.

[١٨٢] والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْفِرْعَانِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ۝
كُوَاهِلِكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَنْ قَادُوا لَاتَ وَأَزْلَاجَ مِنْ مَتَابِعِ ۝ وَعَجِبُوا
أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا نَسِجٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ
الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ
أَمْسُوا وَأُصْبِرُوا عَلَى آلِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَعَفْنَا
بِهِدَى فِي الْعِلْمِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا الْخَيْتُ ۝ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الذِّكْرَ
مِنْ بَيْنَاتِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا بَدَأْنَا فَرَاغَ آبَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ
خِزَانٌ رَحْمَةً رِيبَكَ الْعَزِيزِ الرَّؤُوفِ ۝ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جندٌ مَا هَتَاكَ مَهْزُومٌ مَرَّ
الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ ۝
وَشُعُوبٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِنْ كُلُّ إِلَّا
كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً
مَالَهُمْ مِنْ قُوَى ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِطْعَةً مِمَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝

[٢٠١] ﴿ص﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

يقسم الله سبحانه بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون. ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له.

[٣] كثيراً من الأمم أهلكتها قبل هؤلاء المشركين، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قبول توبة، ولا وقت فرار وخلص مما أصابهم.

[٤، ٥] وعجب هؤلاء الكفار من بعث الله إليهم بشراً منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولاً بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصير الآلهة الكثيرة إلهاً واحداً؛ إن هذا الذي جاء به ودعا إليه شيء عجيب.

[٦، ٧] وانطلق رؤساء القوم وكبرائهم يحرضون

قومهم على الاستمرار على الشرك والصر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به هذا الرسول شيء مدبر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بما يدعو إليه في دين أبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء.

[٨] أخص محمد بنزول القرآن عليه من دوننا؟ بل هم في ريب من وحي إليك - أيها الرسول - وإرسالتي لك، بل قالوا ذلك؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله. فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا.

[٩] أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سبطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟ [١٠] أم هؤلاء المشركين ملئك السموات والأرض وما بينهما، فيغطوا ويتنعوا؟ فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع.

[١١-١٦] هؤلاء الجند المكذبون جند مهزومون، كما هزم غيرهم من الأحزاب قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة، وشمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب. أولئك الأمم الذين تجرؤوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه. إن كل من هؤلاء إلا كذب الرسل، فاستحقوا عذاب الله، وحل بهم عقابه.

[١٥] وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة ما لها من رجوع.

[١٦] وقالوا: ربنا اجعل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة، وكان هذا استهزاءً منهم.

[١٧] اصبر - أيها الرسول - على ما يقولونه مما تكبره،
واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله
والصبر على طاعته، إنه تَوَّابٌ كثير الرجوع إلى ما
يرضى الله. وفي هذا تسلية للرسول ﷺ.

[١٨، ١٩] إنا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَ دَاوُدَ يَسْبَحْنَ بِتَسْبِيحِهِ
أول النهار وآخره، وسَخَّرْنَا الطَّيْرَ مَعَهُ مَجْمُوعَةً تَسْبِّحُ،
وتطبع تبعاً له.

[٢٠] وَقَوَّيْنَا لَهُ مَلِكَهُ بِالْهَيْبَةِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ، وَأَتَيْنَاهُ
النَّبُوَّةَ، وَالْفَصْلَ فِي الْكَلَامِ وَالْحُكْمِ.

[٢١، ٢٢] وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين
اللذين تَسَوَّرَا على داود في مكان عبادته، فارتاع من
دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تَحْتَفِ، فنحن خصمان ظلم
أحدنا الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَحْزَنْ عَلَيْنَا فِي
الْحُكْمِ. وَأَرْشِدُنَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

[٢٣] قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من
الثَّعَاجِ، وليس عندي إلا نعجة واحدة، فطمع فيها،

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿١٨﴾ وَطَائِرُ
مَخشُورَةٌ كُلٌّ لِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَتَنْذِيرًا لِلْمُحْكَمَةِ ﴿١٩﴾ وَفَضَّلْنَا لِدَاوُدَ
الْمَخْرَابَ ﴿٢٠﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَتْ
حُضْمَانِ بَنِي بَعْضَانٍ عَلَى بَعْضٍ فَأَخْرَجْنَا بَيْنَهُمُ الْهَاقِيقَ وَلَا تَنْشِطْ
وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْيَةً
وَلِي نَعْيَةٌ وَحِدَةٌ قُلْنَا لَأَكْهِلْنَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ فِي الْبَيْتِ ﴿٢٢﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ لِّقَالِهِ لَأَبْيَعِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنفَأ فَتَنَّهُ فَاسْتَفْتَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٣﴾
فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّوَابٍ ﴿٢٤﴾
يَدَاؤُهُ أَوْ تَبَاعَدَ عَلَيْكَ فِي الْأَرْضِ فَأَخْرَجْنَا بَيْنَ النَّاسِ لِيُخَيَّرُوا
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَآ تَسْأَلُونَ بِهِمُ الْآيَاتِ وَالْحَسَابِ ﴿٢٥﴾

وقال: أعطينها، وغلبني بحجته.

[٢٤] قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض،
ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغى بعضهم على بعض، وهم قليل. وأيقن
داود أننا فتنا، بهذه الخصومة، فاستفقر ربه، وسجد تقريباً لله، ورجع إليه وتاب.

[٢٥] ففقرنا له ذلك، وجعلناه من المقرَّبين عندنا، وأعدنا له حسن المصير في الآخرة.

[٢٦] يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملَّكناك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في
الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار، بغفلتهم
عن يوم الجزاء والحساب.

وفي هذا توصية لولاة الأمر أن يحكموا بالحق المنزل من الله تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيله.

[٢٧] وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً وهواً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل لهم من النار يوم القيامة؛ لعنهم الباطل، وكفرهم بالله.

[٢٨] أنجعل الذين آمنوا وعلما الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟ هذه التسوية غير لائقة بحكمة الله وحكمه، فلا يستون عند الله، بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

[٢٩] هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك، ليتذكروا في آياته، ويعملوا بهدياته ودلالاته، وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلفهم الله به.

[٣٠] وهبنا داود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه، نعم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

[٣١] أذكر حين عُرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجاتها وخفتها، فما زانت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

[٣٢، ٣٣] فقال: إنني أشرت حب الخيل عن ذكر ربّي

حتى غابت الشمس عن عينيه، رُدُّوا عليّ الخيل التي عرضت من قبل، فردّت عليه، فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قربةً لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته. وكان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.

[٣٤-٣٦] ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شقّ وُلد، وُلد له حين أقسم ليطوف على نسائه، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقّ ولد، ثم رجع سليمان إلى ربه وتاب، قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني مُلكاً عظيماً خاضلاً لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي. إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء. فاستجبتنا له، وذلنا الريح تجري بأمره طيعة مع قوتها وشدها حيث أراد. [٣٧-٣٩] وسخرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله؛ فمنهم البناؤون والغواصون في البحار. وآخرون وهم مرءة الشياطين، مموثقون في الأغلال. هذا المُلك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط من شئت أو امتنع من شئت، لا حساب عليك.

[٤٠] وإن لسليمان عندنا في الدار الآخرة لقربةً وحسن مرجع.

[٤١] وأذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، حين دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي.

[٤٢] فقلنا له: اضرب برجلك الأرض ينبع لك منها ماء بارد، فاشرب منه، واعتسب فيذهب عنك الضر والأذى.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا نُزُلَهُ لَكَ مَبْرُورًا لَيْدَرُورًا آتَيْنَاهُ وَلَيْسَ ذَكَرًا أَوْ لَوْ أَنَّ الْكَلْبَ ﴿٢٩﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْفَلْجِ الشَّفِيفَةُ الْمُنِيذُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَخِيفْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَافُ بِهَا مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَابِ ﴿٣٣﴾ وَأَلْعَدُ قَسْأًا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَةَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعُمَّانٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَضْغَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ يَدْعُنَا آلُ فِرْعَانَ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَذَكَرْ عَبْدًا مُّبِينًا ﴿٤١﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤٢﴾ ارْجُفْ بِرِجْلِكَ هَذَا مغْفَرٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٣﴾

وَوَعَدْنَا اللَّهُ أَهْلَهُمْ وَمَنَّا لَهُمْ مَعْرُوفَةٌ مَّا وَدَّكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾
 وَخَدَّيْكَ يَضَعُهَا ضَرْبًا فَضَرْبًا يَوْمَ وَلَا تَحْتَفُ إِلَّا وَجَدْتَهُ صَابِرًا يَتَمَتَّعُ
 الْعَيْدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٥٢﴾ وَأَذْكُرُ عِبَادَتَنَا بِرَبِّهِمْ وَاسْتَحَقُّ وَتَعْقُوبُ أُولَى
 الْأَيْدِي وَالْأَنْصَارِ ﴿٥٣﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَا نَجْمًا لَصَوْرَةِ ذِكْرِي الدَّارِ ﴿٥٤﴾
 فَاتَّقِرُّ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمَضْطَّقِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ لِمَنْ سَبَّحَ
 وَالسَّحَابَ وَمَا الْكَلْبُ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٦﴾ هَذَا ذِكْرُ مَنْ لَمْ يَتَّقِ
 لِحْسَنِ مَتَابِ ﴿٥٧﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَفْتُوحَةٌ لَهُمْ الْأَنْزَابُ ﴿٥٨﴾ مُتَكَبِّرِينَ
 فِيهَا يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا يَفْتَكِرُونَ كِبِيرًا وَشَرَابٍ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ
 الْكَافِرِينَ الْقَرِيبِ ﴿٦٠﴾ هَذَا مَا تَوَعَّدُونَ لِزَيْدٍ لِحْسَابِ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا
 لَرِزْقًا مَّا لَمْ يَنْقَادِ ﴿٦٢﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَشَرَّ مَتَابِ ﴿٦٣﴾
 جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْوَهَادِ ﴿٦٤﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوْهُ حَسِيئَةً
 وَعَسَاقٍ ﴿٦٥﴾ وَاسْحَابُ مِنْ شَحَابِهِمْ أَرْوَجُ ﴿٦٦﴾ هَذَا فَرَجٌ
 مَفْتُوحٌ مَفْعُودٌ لِمَنْ مَرَّحِبًا يَهْتَمُّ بِهِنَّ صَالُوا النَّارِ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
 بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَّحِبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَشَّوْهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارِ ﴿٦٨﴾
 قَالُوا رَيْبًا مِّنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا أَقْرَبُ عَذَابِنَا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٩﴾

[٤٣] فكشفنا عنه ضره وأكرمناه وهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة، كل ذلك رحمة منّا به واکراماً له على صبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عقاب الصبر الفرج وكشف الضر.

[٤٤] وقلنا له: خذ بيدك حزمة من الحشيش ونحوه، فاضرب بها زوجك إبراراً يمينك، فلا تحتث، إذ أقسم ليضربها مائة جلدة إذا شَاءَ اللهُ، لنا غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأة سالحة، فرحمها اللهُ ورحمه بهذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، نعم العبد هو، إنه رجّاع إلى طاعة الله.

[٤٥] واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياؤنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

[٤٦، ٤٧] إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليهم، وذكروهم بها. وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واخترقناهم لطاعتنا.

[٤٨] واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، بأحسن الذكر؛ إن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم اللهُ من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال والصفات. [٤٩-٥١] هذا القرآن ذكرو وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك. وإن لأهل تقوى اللهُ وطاعته لحسن مصير عندنا في جنات إقامة، مفتحة لهم أبوابها، متكئين فيها على الأرائك المزيّئات، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب، من كل ما تشتهيهم نفوسهم، وتلذذ أعينهم.

[٥٢] وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن.

[٥٣، ٥٤] هذا النعيم هو ما توعّدون به -أيها المتقون- يوم القيامة، إنه لرزقنا لكم، ليس له فناء ولا انقطاع.

[٥٥، ٥٦] هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحد في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعذبون فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم، فيبس الفراش فراشهم.

[٥٧، ٥٨] هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فيلشربوه، ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان.

[٥٩] وعند توارد الطاعين على النار يُشتم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة عظيمة من أهل النار داخله معكم، فيجيبون: لا مرحباً بهم، ولا اتعت منازلهم في النار، إنهم مقاسون حرّ النار كما قاسيناها.

[٦٠] قال فوج الأنبياء للطاعين: بل أنتم لا مرحباً بكم؛ لأنكم قدّمتم لنا سكين النار لإضلالكم لنا في الدنيا، فيبس دار الاستقرار جهنم.

[٦١] قال فوج الأنبياء: ربنا من أضلنا في الدنيا عن الهدى فضايف عذابه في النار.

[٦٢، ٦٣] وقال الطاغون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نعددهم في الدنيا من الأشرار الأسياء؟ هل تحقرنا لهم واستهزأوا بنا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟

[٦٤] إن ذلك من جدال أهل النار وخصامهم حتى واقع لا مرية فيه.

[٦٥] قل -أيها الرسول- لقومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يحل بكم؛ بسبب كفركم به، ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده، فهو المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شي، وغلبه.

[٦٦] مالِك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه، الغفار لذنوب من تاب وأناب إلى مرضاته.

[٦٧، ٦٨] قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خير عظيم النفع، أنته عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به.

[٦٩] ليس لي علم باختصاص ملائكة السماء في شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإبجاءه إليّ.

[٧٠] ما يوحى الله إليّ من علم ما لا علم لي به إلا لأني نذير لكم من عذابه، مبين لكم شرعه.

وَقَالُوا مَا لَنَا لِنَرِيَ رَجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَعَذَّلْتُمْ يٰسِحْرًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضَعُ أَهْلُ النَّارِ لِقَوْلِ اللَّهِ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ الْإِلَهَ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ تَبَوُّؤُا عَظِيمٌ ﴿٦٦﴾ أَذُنُّعْتَهُ مَعْرُضُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَآئِكَةِ إِذْ قَالُوا بِذُنُوبِهِمْ لَنْ نَرِيَّكُمْ فِيهَا إِنَّهَا لَأَنزِيلٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ لِبَنِي آدَمَ مِنْ طِينٍ ﴿٦٩﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴿٧٠﴾ فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧١﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ السَّيْئَةَ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٣﴾ قَالا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَكْبَرُ الْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا عَشَقْتُمَا نَارٌ أَخْلَقْتُمَا مِنْ طِينٍ ﴿٧٥﴾ قَالَ فَأخْرِجْهُمَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٧٦﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ أَعْتَبُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٧٩﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَرْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٢﴾

[٧١، ٧٢] أذكرهم -أيها الرسول-: حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرًا من طين. فإذا سويته جسده، وخلفته ونفخت فيه الروح، فديت فيه الحياة، فاسجدوا له سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرّم الله في شريعة الإسلام السجود للتحية.

[٧٣، ٧٤] فسجد الملائكة لهم أجمعون طاعة وامتنالاً غير إبليس؛ فإنه لم يسجد أثنقاً وتعكراً، وكان من الكافرين في علم الله تعالى.

[٧٥] قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمته فخلقته بيدي؟ استكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين على ربك؟ وفي الآية إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى، على الوجه اللائق به سبحانه.

[٧٦] قال إبليس معارضاً لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقني من نار، وخلقته من طين. والنار خير من الطين.

[٧٧، ٧٨] قال الله له: فأخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملمعون، وإن عليك طردى وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب.

[٧٩] قال إبليس: ربّ فأخّر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تبعث الخلق من قبورهم.

[٨٠، ٨١] قال الله له: فإنك من المؤخّرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.

[٨٢، ٨٣] قال إبليس: يا رب -وعظمتك لأضللّ بني آدم أجمعين، إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصيته من أضلالي. فلم تجعل لي عليهم سبيلاً.

[٨٤، ٨٥] قال الله: فالحقني مني، ولا أقول إلا الحق، لأملأن جهنم منك ومن ذريتك ومن تبعك من بني آدم أجمعين.

[٨٦] قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجراً أو جزاءً على دعوتكم وهدايتكم، ولا أدعي أمراً ليس لي، بل أتبع ما يوحى إليّ، ولا أنكلف تحملاً وافتراءً.

[٨٧] ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

[٨٨] ولتعلمن - أيها المشركون - خير هذا القرآن وصدقه، حين يغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجا، وكذلك حين يقع عليكم العذاب، وتنقطع عنكم الأسباب.

[سورة الزمر]

[١] تنزيل القرآن إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه.

[٢] إنما أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن يأمر بالحق

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أُمَّهَجِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَاللَّذِينَ أَحْضَرُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ لَدَا أَهْلِ طَيْبِ مَا يَخَافُ مَا يَسَاءَ سُخْرِيَّهِ هُوَ اللَّهُ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ حَاقَّ التَّسْمِينُ وَالْأَرْضُ بِالْحَقِّ يُكْوَرُ الْبَيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى الْبَيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ ﴿٥﴾

والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك.

[٣] ألا لله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك، والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن العبادة والشفاعه لله وحده. إن الله يفصل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلاً بما يستحق. إن الله لا يوفق لنهادية إلى الصراط المستقيم من هو مفتر على الله، ككفار بآياته وحججه.

[٤] لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزّه الله وتقُدّس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذلّل خاضع.

[٥] خلق الله السموات والأرض وما فيها بالحق، يجيء بالليل ويذهب بالنهار، ويجيء بالنهار ويذهب بالليل، ودلّل الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منهما يجري في مداره إلى حين قيام الساعة. ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده التائبين.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَشَرَّجَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
 مِنْ الْأَنْعَامِ نَسِيئَةَ أَنْزَجٍ يَخْلَقُكُمْ فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ
 خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي طُلُوعِ فَلَمَّا ذَلِكُمْ أَنَّهُ زَوْجُكُمُ
 الْمَلَكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآيَ تُصْرَفُونَ ﴿٦٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ شَقِيحٌ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِبِئْسَاءِ الْكُفْرَانِ تَشْكُرُوا يَرْجَهُ
 لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ ﴿٦٧﴾
 • وَإِذَا مَنَّ الْإِسْلَامُ فَزَعَّازًا بِمُؤْمِنِيهَا إِلَيْهِ فَمَا إِذَا حُوِّلَ
 قِبَلَهُ لَيَبْغِي مَا كَانُ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ آيَاتٍ لِيُحْجِلَ
 عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكُمْ لَيْلِيَاتٍ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَارِعَةِ ﴿٦٨﴾
 أَمْزِنْ هُوَ أَتَيْنَا الْقَائِلَ سَاجِدًا وَقَابِلًا يَتَّخِذُ الْآخِرَةَ
 وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾ قُلْ يَجِبُ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا أَنْتَقُوا زَكَاةً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٠﴾

[٦] خلقكم ربكم - أيها الناس - من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكراً وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، يخلقكم في بطن أمهاتكم طوراً بعد طور من الخلق في ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه؟

[٧] إن تكفروا - أيها الناس - بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غيبي عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمره به، وإنما يرضى له شكر نعمه عليهم. ولا تحصل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مصيركم، فيخيركم بعملكم، ويحاسبكم عليه. إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور.

[٨] وإذا أصاب الإنسان بلاءٌ وشدةٌ ومررضٌ تذكُر

ربه، فاستغاث به ودعا، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضره، ومنحه نعمه، نسي دعاءه لربه عند حاجته إليه، وأشرك معه غيره؛ ليضل غيره عن الإيمان بالله وطاعته، قل له - أيها الرسول - متوعداً: تمتع بكفرك قليلاً حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخلدين فيها.

[٩] أهدأ الكافر المتمتع بكفره خيراً، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويطمع في رحمة ربه؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستورون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة.

[١٠] قل - أيها النبي - لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتنب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم وطاعته حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك. وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم. وتمتكون من إقامة دينكم. إنما يُعطى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حدٍّ ولا عدٍّ ولا مقدار، وهذا تعظيم لجزاء الصابرين وثوابهم.

[١١]، [١٢] قل - أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص للعبادة له وحده دون سواه، وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أممي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، ويرى من كل ما دونه من الآلهة. [١٣] قل - أيها الرسول- للناس: إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته والإخلاص في طاعته عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعظم هول.

[١٤]، [١٥] قل - أيها الرسول-: إني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له عبادي وطاعتي، فاعبدوا الله -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضركم ذلك شيئاً، وهذا تهديد ووعيد لمن عبد غير الله، وأشرك معه غيره. قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين -حقاً- هم الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسراً هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح.

[١٦] أولئك الخاسرون هم يوم القيامة في جهنم من فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظلل المبينة، ومن تحته كذلك. ذلك العذاب الموصوف بخوف الله به عباده؛ ليحذروه. يا عباد فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب معاصي. [١٧]، [١٨] والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، هم البشرى في الحياة الدنيا بالنساء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة. فيبشر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أمره. وأحسن الكلام وأرشده. كلام الله ثم كلام رسوله ﷺ. أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والساد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة. [١٩] أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيئه وعناده، فإنه لا حيلة لك -أيها الرسول- في هدايته. أفنتقد أن تنفذ من النار؟ لست بقادر على ذلك.

[٢٠] لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته- هم في الجنة غرف مبينة بعضها فوق بعض، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، وعددها الله عباد المتقين وعدماً متحققاً لا يخلف الله الميعاد. [٢١] ألم تر -أيها الرسول- أن الله أنزل من السحاب مطراً فأدخنه في الأرض، وجعله عيوناً نابعة ومياهاً جارية. ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلفاً ألوانه وأنواعه، ثم يبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفراً لونه، ثم يجعله حطاماً متكسراً مفتتقاً؛ إن في فعل الله ذلك لذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

قُلْ إني أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۗ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ السَّمِيعِينَ ۗ قُلْ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ۗ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۗ قَاعْبُدْهُ وَآمَنَ بِسُنَّتِهِ
دُونِهِ ۗ قُلْ إني أَلْقَيْتُ مِنَ الَّذِينَ خَيْرًا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۗ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۗ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُمْ يَتَّبِعُونَ قَائِلِينَ
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَبْعُدُوا مَا وَتَابَ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَيَسْتَبِشِرُونَ ۗ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ ۗ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَنْ لَدَيْهِ كِتَابٌ أَلْقِ الْقُرْآنَ لِأَنَّ الدِّينَ لَمَّا
كُنِيَ الدِّينَ أَتَقَرَّ وَتَعَزَّ لَهُمْ عَرَفٌ مِنْ فَوْقِهِمْ غَرْقٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۗ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ سُبُوحٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۗ إني فِي ذَلِكَ لَدِكْرِي لَأُولَى الْآلَتِينَ ۗ

[٢٢] أَمِنَ وَسِعَ اللهُ صَدْرَهُ، فَسَعِدَ بِقَبُولِ الْإِسْلَامِ وَالانْقِيَادِ لَهُ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَهُدًى مِنْ رَبِّهِ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَا يَسْتَوُونَ. فَوَيْلٌ وَهَلَاكٌ لِلَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَأَعْرَضَتْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ بَيِّنٍ عَنِ الْحَقِّ.

[٢٣] اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، مُتَشَابِهًا فِي حَسَنِهِ وَإِحْكَامِهِ وَعَدَمِ اخْتِلَافِهِ، تُكْرَّرُ فِيهِ الْقِصَصُ، وَالْأَحْكَامُ، وَالْحُجُجُ وَالْبَيِّنَاتُ، وَتُعَادُ تِلَاوَتُهُ فَلَا يُعَلَّ عَلَى كَثْرَةِ التَّرَادُدِ، تَقْشَعُرُ مِنْ سَمَاعِهِ، وَتَضْطَرِبُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ؛ تَأْسِرُ بِمَا فِيهِ مِنْ تَرْهيبٍ وَوَعِيدٍ، ثُمَّ تَلْسِنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ؛ اسْتِبْشَارًا بِمَا فِيهِ مِنْ وَعْدٍ وَتَرْغِيبٍ، ذَلِكَ التَّأَثُّرُ بِالْقُرْآنِ هِدَايَةٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي بِالْقُرْآنِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَمَنْ يَضِلُّهُ اللهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ لِكُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يَهْدِيهِ وَيُوقِتُهُ.

[٢٤] أَمِنَ يُلْقَى فِي النَّارِ مَغْلُوبًا - فَلَا يَتِيهًا لَهُ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ إِلَّا بِوَجْهِهِ؛ لِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ - خَيْرٌ أَمْ مِنْ يَنْعَمُ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ اللهُ هَادٍ؟ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلظَّالِمِينَ: ذُوقُوا وَبِالْمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَكْفُرُونَ مِنَ مَعَاصِي اللهِ.

أَمِنَ سَرَّحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ وَقِيلَ لِلْقَسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَلْتَبِكِ فِي صَلَاتٍ مُبِينَةٍ ⑤ اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَّعَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلْسِنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدًى اللهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ⑥ أَمِنَ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ⑦ كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتُمْ أَلْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ⑧ فَأَذَقْتَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْثَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ⑨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ⑩ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا عَرَبِيًّا عَوجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ⑪ صَرَّفَ اللهُ مَثَلًا لِرَجُلٍ آفِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّبُونَ وَرَجُلًا سَلَّمَ الرَّجُلُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ⑫ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ قَيِّمُونَ ⑬ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بِنُورِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ كَاتِبًا مَخْصُومًا ⑭

[٢٥] كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - رَسَلَهُمْ، فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ، فَأَذَاقَ اللهُ الْأُمَّمَ الْمَكْذُوبَةَ الْعَذَابَ وَالْهُوَانَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَشَدَّ وَأَشَقَّ فِي الْآخِرَةِ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا حَلَّ بِهِمْ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لِأَعْضَاؤِهِ.

[٢٦] وَلَقَدْ ضَرَبْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكِينَ بِاللَّهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ مِنْ أَمْثَالِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ تَحْوِيلًا وَتَحْذِيرًا؛ لِيَتَذَكَّرُوا فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ. وَجَعَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا وَاضِحَ الْأَلْفَاظِ سَهْلَ الْمَعَانِي، لَا تُكْسِبُ فِيهِ وَلَا انْحِرَافٌ؛ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللهُ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

[٢٧] ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَشُرَكَاءِهِ مُتَنَازِعِينَ، فَهُوَ حَيْرَانٌ فِي إِرْضَانِهِمْ، وَعَبِيدًا خَالصًا لِلْمَالِكِ وَاحِدًا يَعْرِفُ مَرَادَهُ، وَمَا يَرْضِيهِ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟ لَا يَسْتَوِيَانِ، كَذَلِكَ الْمَشْرُوكُ هُوَ فِي حَيْرَةٍ وَشَكٍّ، وَالْمُؤْمِنُ فِي رَاحَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ. فَالْفَنَاءُ الْكَامِلُ التَّامُ اللهُ وَحْدَهُ، بَلِ الْمَشْرُوكُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُونَهُ.

[٢٨] إِنَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ جَمِيعًا - أَيُّهَا النَّاسُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَتَنَازَعُونَ، فَيَحْكُمُ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ.

[٣٢] لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ولا أحد أظلم ممن كذب بالحق الذي نزل على محمد ﷺ. أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمداً ﷺ ولم يعمل بما جاء به؟ بلى.

[٣٣] والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدق به إيماناً وعملاً، أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى، وفي مقدمة هؤلاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ والمؤمنون به، العاملون بشريعته من الصحابة، رضي الله عنهم، فمن بعدهم إلى يوم الدين.

[٣٤] لهم ما يشاؤون عند ربهم من أصناف اللذات والمستحبات؛ ذلك جزاء من أطاع ربه حق الطاعة، وعبده حق العبادة.

[٣٥] ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال؛ بسبب ما كان منهم من توبة وإجابة بما

• قَمَنَ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ ذِكْرُ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝
لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ: وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ: أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِيهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ قُلْ يَتَوَكَّرُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنْ عَمِلَ قَسْرًا تَعْلَمُونَ ۝ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝

اجتروا من السيئات فيها، وبثبهم الله على طاعتهم في الدنيا بأحسن ما كانوا يعملون، وهو الجنة. [٣٦] أليس الله بكاف عبده محمداً وعبيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من أراد بسوء، ويخوفونك -أيها الرسول- بأهتهم التي زعموا أنها ستؤذيك. ومن يخذه الله فيضله عن طريق الحق، فما له من هاد يهديه إليه.

[٣٧] ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له من مضل عن الحق الذي هو عليه. أليس الله بعزيز في انتقامه من كفره خلقه، ومن عصاه؟

[٣٨] ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: من خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يقرُّون بالخالق. قل لهم: هل تستطيع هذه الألهة التي تشركونها مع الله أن تُبْعِدَ عني أذى قدره الله عليّ؟ أو تزيل مكرهاً لحق بي؟ وهل تستطيع أن تمنع نفعاً يسره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟ إنهم يقولون: لا تستطيع ذلك. قل لهم: حسي الله وكافِّي، عليه يعتمد المعتدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسي، وسيكفيني كل ما أهمني.

[٣٩، ٤٠] قل -أيها الرسول- لنقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم من لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء، إني عامل على ما أمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الحياة الدنيا، ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول.

إِنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ الَّتِي حَبِطَتْ مَوْفَعَهَا وَالَّتِي
لَمْ تَمُتْ فِي مَتَابِعِهَا فَيُنْفِثُهَا الَّتِي فَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتُ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَلْحَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ
أَوْلَوْكَ أَنْتَ الْيَوْمَ الْأَوَّلُ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ
لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ قَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ عَلَيكَ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كُنَّا فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ لِيُخَيِّبَهُمْ ﴿٤٧﴾

[٤١] إنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد، فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، فنفع ذلك يعود على نفسه، ومن ضل بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضر الله شيئاً، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ.

[٤٢] الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي الموتة الضغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس من مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر. [٤٣] أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم؟

قل - أيها الرسول - لهم: أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئاً، ولا تعقل عبادتكم لها؟ [٤٤] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: لله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض وما فيها، فلا أمر كله لله وحده، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ورضاه عن المشفوع له، فهو الذي يملك السموات والأرض ويتصرف فيها، فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وأن تخلص العباد، ولا تطلب من هذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع، ثم إليه ترجعون بعد محاسبكم للحساب والجزاء.

[٤٥] وإذا ذُكر الله وحده نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد المات، وإذا ذُكر الذين من دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقاً لأهوائهم.

[٤٦] قل: اللهم يا خالق السموات والأرض ومبدعها على غير مثال سبق، عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسوك، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وكان هذا من دعائه ﷺ، وهو تعليم للعباد بالاتجاه إلى الله تعالى، ودعائه بأسائه الحسنى وصفاته العلى.

[٤٧] ولو أن هؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعاً من مال وذخائر، ومثله معه مضاعفاً، لبدلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بدلوه وافتدوا به ما قُبِلَ منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم.

[٤٨] وظهر لهؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم، وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقاباً لهم على استهزائهم بالإندار بالعذاب الذي كان الرسول يُعذِّمهم به، ولا يأبهون له. [٤٩] فإذا أصاب الإنسان شدة وضُرٌّ، طلب من ربه أن يُفْرَج عنه، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافرأً، ولفضله منكراً، وقال: إن الذي أوتيته إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق، بل ذلك فتنة يبتي الله بها عباده؛ لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم - لجهلهم وسوء ظنهم - لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم.

[٥٠] قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال والأولاد.

[٥١] فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، ففعلوا بالخيبي

في الحياة الدنيا، والذين ظلموا أنفسهم من قومك - أيها الرسول -، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضاً وبال سيئات ما كسبوا. كما أصاب الذين من قبلهم، وما هم بفاتنين الله ولا سابقيه.

[٥٢] أولم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، صالحاً كان أو طالحاً، وضيِّقه على من يشاء منهم؛ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به.

[٥٣] قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تماذروا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تُئسِّسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

[٥٤] وارجعوا إلى ربكم - أيها الناس - بالطاعة والتوبة، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصرم أحد من دون الله.

[٥٥] واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا وأوامره، واجتنبوا نواهيه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به.

[٥٦] وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيَّعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصَّرت في طاعته وحقه، وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَوَحَّى بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۗ وَيَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٠﴾ فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مَنًّا بَعْدَ إِسْرَائِيلَ إِذَا وَجَعَلْتَهُ نِعْمَةً وَمَنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيَّصِبُ بِهِمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ أَوْ لَرَبِّعْمُوا أَنَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ يَجْعَلُ الْوَقْرَ الَّذِي تَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّكَ وَسُوءَ الْبَالِغِينَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٥﴾ وَأَلْبَسُوا إِلَىٰ رَبِّكَ وَأَسْمَاءُ لَهُ رَمِينَ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَتَّبَعُوا الْحَسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ الْتَّاسِرِينَ ﴿٥٨﴾

أَوْ تَقُولُ لَو أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ
 حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكْفُرُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
 عَلَىٰ قَدِّهَا تَلْتَلِكُ يَا بَنِي فَكَلِّبْنَا بِهَا وَأَسْتَكْبِرْتَ وَكُنْتَ
 مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
 اللَّهِ وَوَجَّهُهُمُ يُسْوَدُّونَ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
 وَيَسْجَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَتَازٍ نَّهَمُوا لَا يَمَسُّهُمُ الشَّوْهُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ اللَّهَ أَوْلَىٰ بِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
 أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ أَنُعَبِّدَ إِلَهًا لَّا يُجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
 أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ
 لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ وَتَلْعَقُونَ مِنَ الْخَمِيرِ ﴿٦٥﴾ بَلِ
 اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ السَّكِينِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[٥٧] أو تقول: لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت من المتقين الشرك والمعاصي.

[٥٨] أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

[٥٩] ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذبت بها، واستكبرت عن قبولها واتباعها، وكنت من الكافرين بالله ورسله.

[٦٠] ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوههم مسودة. أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، وطاعته؟ بلى.

[٦١] ويسجى الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه بفوزهم وتحقق أمنيته، وهي الظفر بالجنة. لا يسهم من عذاب جهنم شيء، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

[٦٢] الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

[٦٣] لله مفاتيح خزائن السموات والأرض. يعطي منها خلقه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، وأولئك هم الخاسرون في الدنيا بخذلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة يخلدوهم في النار.

[٦٤] قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمروني أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟ [٦٥] ولقد أوحى إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره لبيطلن عملك، ولتكونن من الهالكين الخاسرين دينك وأخرتك؛ لأنه لا يقبل مع الشرك عمل صالح.

[٦٦] بل الله فاعبد -أيها النبي- مخلصاً له العبادة وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين لله نعمه.

[٦٧] وما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسؤوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه. تنزه وتعظم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون. وفي الآية دليل على إثبات القبضة، واليمين، والطي، لله كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تكليف ولا تشبيه.

[٦٨] ويُفخ في «القرن» فسات كل من في السموات والأرض، إلا من شاء الله عدم موته، ثم نفع الملك فيه نفخة ثانية مؤذناً بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم؟

[٦٩] وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجل الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وحجى بالنبيين والشهود على الأمم، ليسأل الله النبيين عن التبليغ وعما أجابتهم به أمهم، كما تأتي أمة محمد ﷺ، لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأممهم، إذا أنكرت هذا التبليغ، فتقوم الحججة على الأمم، وقضى رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يظنمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

[٧٠] وروى الله كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية.

وَيُفخ فِي الْأَرْضِ فَصَيِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَرَفُّعَ فِيهِ أُخْرَى قَالُوا هُمْ قِيَامٌ يَحْكُمُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْعَرْشُ وَجَاءَ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ الْحَقُّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٦﴾
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٧﴾
وَيَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
فِي حَتِّ أَزْوَجَانِهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَفَرْتُمْ
أَلْمِتَكُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٩﴾ وَيَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ وَأُفْحِتَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّبَشْرًا فادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتَّبِعُوا مَنَ الْإِحْسَانِ حَتَّىٰ نَسَاءَ فَيَغْفِرَ لِمَن يَشَاءُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦١﴾

[٧١] ويسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات، حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكِّون بها أبوابها السبعة، وزجرهم قائلين: كيف تعصون الله وتجدون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلاً منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنوبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.

[٧٢] قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالاً: ادخلوا أبواب جهنم ما كسبتم فيها أبداً، فقبَّح مصير المتعالمين على الإيمان بالله والعمل بشعره.

[٧٣] ويسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، حتى إذا جاؤوها وشفع لهم بدخولها، فتحت أبوابها، فترحب بهم الملائكة الموكِّون بالجنة، ويُخَيِّرونهم بالبشر والسرور للطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسليمتم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

[٧٤] وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا إياه على ألسنة رسله، وأورثنا أرض الجنة نتوكل منها في أي مكان شئنا، فيعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

وَنَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَقْبَضَ بِيَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾

سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ إِلَهٌ لَمْ يَلِدْ ﴿٣﴾ مَا يُجَدَّلُ فِيهِ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِلُكَ تَقَابُؤُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَلْحَزَانُ مِنْ تَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا لِوَالِيهِمْ بَطْشًا فَنَقَضُوا صَعْتَهُمْ فَأَخَذَتْهُمُ فَكُفُّوا عِقَابَ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ عِقَابُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[سورة غافر]

[١] ﴿حتم﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] تنزيل القرآن على النبي محمد ﷺ من عند الله - عز وجل - العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق، العليم بكل شيء.

[٣] غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على من تجرأ على الذنوب ولم يتب منها، وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضل على عباده الطائعين، لا معبود يستحق العبادة سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلًّا بما يستحق.

[٤] ما يخاف من آيات القرآن وأدلتها على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده، فلا يفرح - أيها الرسول - تردهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها.

[٥] كذبت قبل هؤلاء الكفار قوم نوح ومن تلاهم من الأمم التي أعلنت حربها على الرسل كعاد ونود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمّعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصوا بالباطل؛ ليطلوا بجدالهم الحق فعاقتهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟

[٦] وكما حق العقاب على الأمم السابقة التي كذبت رسلها، حق على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

[٧] الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومن حول العرش ممن يخفّ به منهم، ينزهون الله عن كل نقص، ويحمدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يغفر عن المؤمنين، قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلوكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه، وهو الإسلام، وجنّبهم عذاب النار وأهوالها.

[٨] ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم. إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء. الحكيم في تدبيره. وصنعه.

[٩] وأصرف عنهم سوء عاقبة سيناتهم. فلا تؤاخذهم بها. ومن تُصْرِفُ عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته. وأنعمت عليه بالنجاة من عذابه. وذلك هو القلقر العظيم الذي لا فوز مثله.

[١٠] إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق. وصرفوا العبادة لغيره عندما يعابتون أهوال النار بأنفسهم. يُقْتُونَ أنفسهم أشد المقت. وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لَمَقَّتْ اللهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا - حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله. فأبيتهم - أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن. بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه.

[١١] قال الكافرون: ربنا أمئتنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نطفأً قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا. وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا يوم ولدنا، ويوم يُبعثنا من قبورنا. فتحن الآن نُقِرُّ بأخطائنا السابقة،

فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؛ ولكن هيئات أن ينفعهم هذا الاعتراف. [١٢] ذلكم العذاب الذي لكم - أيها الكافرون - بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجعل لله شريك تُصَدِّقُوا به وتتبعوه. فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العدل الذي لا يجوز. يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء. لا إله إلا هو الذي له علو الذات والقدر والفهر. وله الكبرياء والعظمة.

[١٣] هو الذي يُظهِرْ لَكُمْ - أيها الناس - قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة المالة على كمال خالقها ومبدعها، ويُزِيلْ لَكُمْ من السماء مطراً تُرَوِّقُونَ به، وما يتذكر بهذه الآيات إلا من يرجع إلى طاعة الله. ويخلص له العبادة.

[١٤] فأخلصوا - أيها المؤمنون - لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكتهم. ولو أغضبهم ذلك، فلا تبالوا بهم. [١٥] إن الله هو العلي الأعلى الذي ارتفعت درجاته ارتفاعاً مختلفاً عن مخلوقاته، وارتفع به قدره، وهو صاحب العرش العظيم. ومن رحمته بعباده، أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به. فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوف الرسل عباد الله، وتذريهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.

[١٦] يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم. لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء، يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؛ فيجيب نفسه: لله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ وَفِيهَا السَّيِّدَاتُ وَمَنْ فِي السَّيِّدَاتِ يَوْمَهُمْ فَتَقَدَّرْجَمَتْهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦﴾ إِنْ أَلْبَسْتُمْ كُفْرًا وَابْتَدَأْتُمْ بِكُفْرٍ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَاكَ وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنَاكَ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٨﴾ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَخَذَهُمْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ بَبْرُورُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٣﴾

[١٧] اليوم تشاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته. إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطئوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب.

[١٨] وحذر - أيها الرسول - الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه. إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت مخلوقهم، وهم ممتلئون غناً وحرزاً. ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

[١٩] يعلم الله سبحانه ما تحتلسه العيون من نظرات، وما يضره الإنسان في نفسه من خير أو شر.

[٢٠] والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يُعبدون من دون الله من الآلهة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك. إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

[٢١] أو لم يميز هؤلاء المكذبون برسالتك - أيها الرسول - في الأرض. فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم، فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام. وما كان لهم من عذاب الله من إراق يقبهم منه، فيدفعه عنهم.

[٢٢] ذلك العذاب الذي حُلَّ بالمكذابين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا باللائل القاطعة على صدق دعواهم، فكذبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

[٢٣] ولقد أرسلنا موسى بآياتنا العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسل به، وحجة واضحة بيّنة على صدقه في دعوته، وبظلم ما كان عليه من أرسل إليهم.

[٢٤] إلى فرعون ملك مصر، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فأنكروا رسالته واستكبروا، وقالوا عنه: إنه ساحر كذاب، فكيف يزعم أنه أرسل للناس رسولا؟

[٢٥] فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة من عندنا، لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها، بل قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق. وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك.

الْيَوْمَ نَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْأَرْضِ
 لَدَى الْمُتَجَارِحِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
 يُطَاعُ ۝ بَعْدَ حَابَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ
 يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 بِشَيْءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوْ لَمْ يَسْرِوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخِذَهُمْ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانُوا قَاتِلِينَ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخِذَهُمْ اللَّهُ
 إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَنِ مُبِينٍ ۝ أَنْ يَرْجِعَ وَيُنذِرَ قَوْمَهُمْ وَقَدْ رَوَى
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِمُكْفَرِينَ إِلَّا فِي سَكْنٍ ۝

[٢٦] وقال فرعون لأشرف قومه: اتركوني فاقتل موسى، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا، إني أخاف أن يُبدّل دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يُظهر في أرض مصر الفساد.

[٢٧] وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت بربي وربكم -أيها القوم- من كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه.

[٢٨] وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتب إيمانه منكراً على قومه: كيف تستحلون قتل رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله. وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟ وإن يك موسى كاذباً فإنّ وما لك كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقاً لحقكم بعض الذي يتوعدكم به. إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، ككذب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقْتُولُ لَكُمْ آتِيكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَفِيدُكُمْ إِلَّا سَيْمِيلَ الرَّسَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ قِتْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ وَمِثْلَ ذَٰبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ فَرِيدٌ ظَلَمْتُمُ اللَّيْسَانَ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْيَنَ وَمَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

[٢٩] يا قوم لعله السلطان اليوم ظاهرين في أرض مصر على رعيتهكم من بني إسرائيل وغيرهم. فمن يدفع عنا عذاب الله إن حل بنا؟ قال فرعون لقومه مجيباً: ما أرىكم -أيها الناس- من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب.

[٣٠] وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظاً ومخبراً: إني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على أنبيائهم.

[٣١] مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلماً للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعال الله عن الظلم والنقص علواً كبيراً.

[٣٢] وما قوم إني أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض الناس بعضاً من هول الموقف في ذلك اليوم.

[٣٣] يوم تولون ذاهبين هارين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومن يخذله الله ولم يوفقه إلى رشده، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب.

[٣٤] ولقد أرسل الله إليكم النبي الكريم يوسف ابن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولاً، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكاً في وحدانية الله تعالى، فلا يوقفه إلى الهدى والرشاد.

[٣٥] الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعاها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كبر ذلك الجدل مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا، كما حتم بالضلال وتحجّب عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

[٣٦، ٣٧] وقال فرعون مكدّباً لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابني لي

وَلَقَدْ جَاءَكَ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْيَاسِنِ فَمَا لِزَلَمْتَ فِي سَبَقٍ مِمَّا جَاءَكَ بِهٖ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا يَشَاءُ اللَّهُ يُعْزِزْهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ ۗ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
 وَمَا كَيْدُ فَرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِهِمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ عِندَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ۗ وَاعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾
 وَمَا كَيْدُ الْفِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِهِمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ عِندَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ۗ وَاعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٨﴾
 وَمَا كَيْدُ الْفِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِهِمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ عِندَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ۗ وَاعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٠﴾

بناءً عظيماً؛ لعلّي أبلغ أبواب السموات وما يوصلني إليها، فأنظرَ إلى إله موسى بنفسي، واني لأظن موسى كاذباً في دعواه، أن لنا رباً، وأنه فوق السموات، وهكذا زُيِّن لفرعون عمله السيئ فأراه حسناً، وضدّ عن سبيل الحق؛ بسبب الباطل الذي زُيِّن له، وما احتيال فرعون وتديبره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسارة وبوار، لا يفيدُه إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

[٣٨] وقال الذي آمن معيداً نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم طريق الرشد والصواب.

[٣٩] يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعم الناس فيها قليلاً، ثم تنقطع وتزول، فینبغی ألا تُرْكَبوا إليها، وإن الدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فینبغی لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعدكم فيها.

[٤٠] من عصى الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزى في الآخرة إلا عقاباً يساوي معصيته، ومن أطاع الله وعمل صالحاً بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ذكراً كان أو أنثى، وهو مؤمن بالله موحد له، فأولئك يدخلون الجنة، يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب.

[٤١] وما قوم كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟

[٤٢] تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه -وهذا من أكبر الذنوب وأببحها- وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه. الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته.

[٤٣] حقاً أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لمجزه ونقصه، واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله، وأن الذين تعدوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار.

[٤٤] فلما نصحهم ولم يطيعوه قال لهم: فستذكرون

أني نصحت لكم وذكرتكم، وسوف تندمون حيث لا ينفع الندم، وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه. إن الله سبحانه وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها.

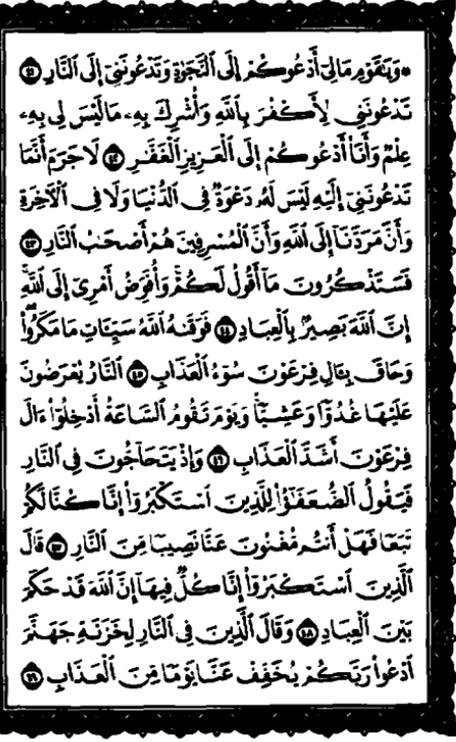
[٤٥] فوق الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات مكر فرعون وآله، وحل بهم سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم.

[٤٦] لقد أصابهم الفرق أولاً وهلكوا، ثم يُعدَّبون في قبورهم حيث النار. يُعرضون عليها صباحاً ومساءً إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء. وهذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر.

[٤٧] وإذا يتخاصم أهل النار، ويعاتب بعضهم بعضاً، فيحتج الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم، وزَيَّنوا لهم طريق الشقاء. قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكم قسطاً من عذابنا؟

[٤٨] قال الرؤساء المستكبرون مبينين عجزهم: لا نتحمل عنكم شيئاً من عذاب النار، وكلنا فيها، لا خلاص لنا منها، إن الله قد قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحق كل منا بقضائه العادل.

[٤٩] وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لحزنة جهنم: ادعوا ربكم يَخَفِّفْ عنا يوماً واحداً من العذاب؛ كي نحصل لنا بعض الراحة.



قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ نَدْعُوا تَأْيِيدِكُمْ بِالْبَيْتَةِ قَالُوا بَلَى
 قَالُوا قَدْ دَعَوْنَا وَدَعَا الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ ۝ الْآي ۝ صَدَقَ ۝
 إِنَّا أَنْتَضِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يُقْرَأُ الشَّهَادَةُ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْقَائِلِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ ۝ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
 الْهُدَى وَأَوْزَيْنَا بَيْنَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ هَدَى
 وَكَرَّمْنَا لَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ۝ فَاصْبِرْ مَا وَعَدَ اللَّهُ
 حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ
 وَالْأُبْحَانِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
 يَقْتَرِبُ سُلْطَانُ أَمْرُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ الْأَكْبَرِ
 مَا هُمْ بِبَالِيغِينَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْبَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَالْأَعْمَى ۝ قَلِيلًا مِمَّا تَدْعُرُونَ ۝

[٥٠] قال خزنة جهنم لهم توبيخاً: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أولم تأتكم رسلكم بالحجج الواضحة من الله فكذبتموهم؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتراها خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعولكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنفسكم، ولكن هذا الدعاء لا يفي شيئاً لأنكم كافرون. وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يقبل، ولا يُستجاب.

[٥١] إِنَّا لَننصر رسلنا وَمَنْ تبعهم من المؤمنين، ونؤيدهم على مَنْ آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم.

[٥٢] يوم الحساب لا ينتفع الكافرون الذين تعدوا حدود الله بما يقدمونه من عذر لتكذيبهم رسل الله، ولهم الطرد من رحمة الله، ولهم النار السيئة في الآخرة، وهي النار.

[٥٣، ٥٤] ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق من انوار المعجزات، وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفاً عن سلف، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

[٥٥] فاصبر - أيها الرسول - على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعدنا حق لا يخلف، واستغفر لذنبك، وذم على تنزيه ريك عملاً لا يليق به، في آخر النهار وأوله.

[٥٦] إن الذين يدفنون الحق بالباطل، ويردّون الحجج الصحيحة بالثبته الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق، حسداً منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمها بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نانليه، فاعتصم بالله من شره؛ إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

[٥٧] خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَأَعَادَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلْقَ جَمِيعِ ذَلِكَ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ.

[٥٨] وما يستوي الأعمى والبصير، وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقْرُونَ بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبيون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله، ولا يعملون بشرعه. قليلاً مما تتذكرون - أيها الناس - حجج الله، فتعتبرون، وتنتظرون بها.

[٥٩] إن الساعة لأتية لا شك فيها، فأيقنوا بسجيتها، كما أخبرت بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصدِّقون بسجيتها، ولا يعملون لها.

[٦٠] وقال ربكم -أيها العباد- ادعوني وحدي وخصوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين.

[٦١] الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتضربوا فيه أمور معاشكم. إن الله لندو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة.

[٦٢] الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلالته؟

[٦٣] كما كذبتم بالحق يا كفار قريش - وأعرضتم عنه إلى الباطل، يصرف عن الحق والإيمان به الذين كانوا يحجج الله وأدلته فيحسدون.

[٦٤] الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويُسِّرَ لكم الإقامة عليها، وجعل السماء سقفاً للأرض، وبتَّ فيها من العلامات الهداية، وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطامع والمشارب، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم، فتكاثروا خيره وفضله وبركته، وتزَّهُ عَمَّا لا يليق به، وهو ربُّ الخلائق أجمعين.

[٦٥] هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة لا إله غيره، فأسألوه واصرّفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم. فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين.

[٦٦] قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله. لَمَّا جَاءَ فِي الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَأَمْرِي أَنْ أُخْضِعَ وَأُقَادَ بِالطَّاعَةِ التَّامَةِ لَهُ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَالَّذِينَ لَا شَكَّ فِيهَا لَآ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْشِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَسَوَّوْكُمْ وَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَّارِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٦٢﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ إِنْ نُهَيْتُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأَمْرٌ أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّ كُنْهٍ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٦﴾ الرَّقْرَقُ الرَّقْرَقُ الَّذِي يَجُودُونَ فِيهِ وَتَابَتِ اللَّهُ أَنفُ بَصُرْفُونَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ رَسُولَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٥٩﴾ فِي الْحَجِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَأْكُوفُونَ ﴿٦١﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ بَعْضُ اللَّهِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَمَلِكُمْ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ادْخُلُوا الْأَنْزَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَمْتُ لَكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ فَاذْبُرْ لِنَّا نَعِدُكَ أَنَّكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْتَنَّا وَاللَّيَالِي تَزُجُّونَ ﴿٦٥﴾

[٦٧] هو الله الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم أوجدكم من المني بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأرحام، إلى أن تولدوا أطفالاً صفراء، ثم تقوى ببنيتكم إلى أن تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولعلغوا بهذه الأطوار المقدرّة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعنكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره، يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

[٦٨] هو سبحانه المتفرد بالإحياء والإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: «كن»، فيكون، لا راداً لقضائه. [٦٩] ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذّبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيده الله وقدرته، كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

[٧٠-٧٢] هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن

والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله هداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذّبون عاقبة تكذيبهم حين نجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب في الماء الحار الذي اشتد غليانه وحرّوه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

[٧٣، ٧٤] ثم قيل لهم توبيحاً، وهم في هذه الحال التعيسة: أين الألهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فادعوه! ليقذوكم من هذا البلاء الذي حلّ بكم إن استطاعوا، قال المكذّبون: غيبوا عن عيوننا، فلم ينفعوا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لم كانت باطلة لا تساوي شيئاً، كما أضل الله هؤلاء الذين ضلّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به. [٧٥] ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقترفونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأثم والنظر والبغي على عباد الله. [٧٦] ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئسست جهنم نزلاً للمتكبرين في الدنيا على الله.

[٧٧] فاصبر -أيها الرسول-، وامنض في طريق الدعوة، إن وعد الله حق، وسيُنجز لك ما وعدك، فإما نريتك في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو تتوفيتك قبل أن يحلّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنديقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

[٧٨] ولقد أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- رسلاً كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصرون على أذاهم: منه من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك، وكلهم مأمورون بتبليغ وحى الله إليهم، وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات الحسية أو العقلية إلا بإذن الله ومشيئته، فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين فُضي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، وخسر هنالك المبطلون: لا فرائضهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره.

[٧٩، ٨٠] الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل وغيرها من أنواع المنافع، ولتبلغوا بالحسنة على بعضها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة، وعلى هذه الأنعام تخمّلون في البر، وعلى السفن في البحر تخمّلون كذلك.

[٨١] ويريكهم الله تعالى دلالة الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأى آية من آياته

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَمُنَّ بِالْحَقِّ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ لِتَرْكَبُوا بِهَا وَأَمِنَ بِهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَسَخَّرْنَا فِيهَا مَتَرَفُكُمْ وَكَلْبًا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلِ تُسَخَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَبَرِكْنَا عَلَيْكُمْ فِي الْأَرْضِ وَكَلْبًا عَلَى الْفُلِ ﴿٥٨﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ نَهْمُ رُسُلِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يُوْبَهُ، يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَانَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ الْكٰفِرِينَ فِي عِبَادِهِ، وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٦٢﴾

تتكرونها، ولا تعترفون بها؟

[٨٢] أفلم يبره هؤلاء المكذبون في الأرض ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عدداً وعدةً وأثراً في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلّ بهم بأس الله.

[٨٣] فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلاً بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحلّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلاًهم على سبيل السخرية والاستهزاء، وفي الآية دليل على أن كل علم يناقض الإسلام، أو يقدرح فيه، أو يشكك في صحته، فإنه مذموم بمقوت، ومعتقد ليس من أتباع محمد ﷺ.

[٨٤] فلما رأوا عذابنا أقروا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله.

[٨٥] فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة، سئة الله وطريقته التي سئها في الأمم كلها ألا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون بربهم، المجاهدون توحيد وطاعته.

[سورة فصلت]

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ٥ تَنْزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥ كَيْتُ فُصِّلَتْ ، لِيُنذِرَ فِرْعَانَ عَرَبِيًّا يُقِيمُ يُعَاشِرُونَ ٥ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٥ وَقَالُوا أَأَلْقَيْنَا فِي سَكَبٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمَلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلِّمٌ كَمَا نُكَلِّمُ الْبَشَرَ لَئِنَّمَا الْكَلِمَةُ لَشَيْءٌ مُجْتَمِعٌ فَذَكِّرْ لَعَلَّهُمْ يَحْسَبُونَ ٥ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكَفَرَةِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفْرًا ٥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٥ قُلْ أَهْلُكُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَجَلَّوْنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَغْنَاءُ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥ وَجَعَلَ فِيهَا رِزْقًا مِنْ فَوْقِهَا وَسَبَّحَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا الْأَقْوَامَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ٥ ثُمَّ أَسْرَجْنَا فِيهَا السَّمَاءَ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ٥

[١] ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذا القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم، نزله على نبيه محمد ﷺ.

[٣] كتاب بُيِّنَتْ آياته تمام البيان، ووضَّحت معانيه وأحكامه. قرأنا عربياً ميسراً فهمه لقوم يعلمون اللسان العربي.

[٤] بشيراً بالشواب العاجل والأجل لمن آمن به وعمل بمقتضاه. ونذيراً بالعقاب العاجل والأجل لمن كفر به، فأعرض عنه أكثر الناس، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة.

[٥] وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد ﷺ: قلوبنا في أعطية مانعة لنا من فهم ما تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا نسمع، ومن بيننا وبينك - يا محمد - ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وفق

دينك، كما أننا عاملون على وفق ديننا.

[٧، ٦] قل لهم - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم يوحي الله إليّ أنما إنهك الذي يستحق العبادة إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته. وهلاك وعذاب للمشركين الذين عبدوا من دون الله أو ثانياً لا تنفع ولا تقصر، والذين لم يطهروا أنفسهم بتوحيد ربهم، والإخلاص له، ولا يؤدون الصدقة إلى مستحقها، فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للخلق، وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار.

[٨] إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها، لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع. [٩] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين موحياً لهم ومتعجباً من فعلهم: أأنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين، وتجعلون له نظراء وشركاء تعبدونهم معه؟ ذلك الخائق هو رب العالمين كلهم.

[١٠] وجعل سبحانه في الأرض جبالاً ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقَدَّرَ فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض. ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أوقاتها. سواء للسانين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك: ليعلمه.

[١١] ثم استوى سبحانه وتعالى، أي قصد إلى السماء وكانت دخاناً من قبل. فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمرى مختارتين أو محبرتين. قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

﴿١٤﴾ فقص الله خلق السموات السبع وتسويتهن في يومين، فم بذلك خلق السموات والأرض في ستة أيام، لحكمة يعلمها الله، مع قدرته سبحانه على خلقهما في لحظة واحدة، وأوحى في كل سماء ما أراه وما أمر به فيها، وزينا السماء الدنيا بالنجوم المضئية، وحفظاً لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿١٣﴾ فلإن أعرض هؤلاء المكذِّبون بعد ما بُيِّن لهم من أوصاف القرآن الحميدة. ومن صفات الإله العظيم، فقل لهم: قد أنذرتكم عذاباً يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفرُوا بربهم وعصوا رسله. ﴿١٤﴾ حين جاءت الرسل عاداً وثمود، يتبع بعضهم بعضاً متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، قالوا لرسولهم: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئاً غيرَه، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلاً

فَقَصَّ سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٤﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٥﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِن بَنِي آدَمَ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّهِمْ وَعَيَّنَ لَهُمْ هَٰجِرَةَ الْآبَعْدُونَ إِلاَّ أَنَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبِّنَا لَأُنزِلَ مَلَائِكَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا أَنزَلْنَاهُم بِهِمْ كَمَا نَزَّلْنَا فِي الْأَرْضِ يَقِينًا لَّخَبَرٍ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ هَٰجِرَةً مِّنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوبٍ لِّيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۗ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٨﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنَّا وَكَانُوا لَنَا يَتُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُخْرَجُ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ فَهُوَ مُرَوِّعٌ ﴿٢٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُ عَقَابُهُ غَابَ عَلَيْهِمْ فَسَخَّرْنَاهُمُ وَأَبْصَرْنَاهُمْ وَجَلَدْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾

بما تدعوننا إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، فإنا بما أرسلكم الله به إيمان بالله وحده جاحدون. ﴿١٥﴾ فأما عاد قوم هود فقد استعلوا في الأرض على العباد بغير حق، وقالوا في غرور: من أشد منا قوة؟ أولم يروا أن الله تعالى الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وبطشاً؟ وكانوا بأدلتنا وحججنا يمحذون. ﴿١٦﴾ فأرسلنا عليهم ريحاً شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشهورات عليهم؛ لنذيقهم عذاب النال وهوان في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد ذلاً وهواناً. وهم لا يُبصرون بمنع العذاب عنهم. ﴿١٧﴾ وأما ثمود قوم صالح فقد بيئنا لهم سبيل الحق وطريق الرشد، فاختاروا العصى على الهدى، فأهلكتهم صاعقة العذاب انهنين؛ بسبب ما كانوا يقترفون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله. ﴿١٨﴾ ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذ عاداً وثمود، وكان هؤلاء الناجون يخافون الله ويتقونه. ﴿١٩﴾ ويوم يُخْرَجُ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ فَهُوَ مُرَوِّعٌ رَبَّانِيَّةُ الْعَذَابِ وَأُولَاهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤَا النَّارَ، وَأَنْكَرُوا جَرَائِمَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَعْمُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

[٢١] وقال هؤلاء الذين يُحْشَرُونَ إلى النار من أعداء الله جلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟ فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً، واليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء.

[٢٢، ٢٣] وما كنتم تُسْتَخْفُونَ عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفاً من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة، ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم التي تعصون الله بها. وذلك ظنكم السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم.

[٢٤] فإن يصبروا على العذاب فالنار مأوهم، وإن يسألوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستأنفوا العمل الصالح لا يجابوا إلى ذلك، ولا تقبل لهم أعدار.

[٢٥] وهبنا هؤلاء الظالمين الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن، فزينا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعواهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وزينا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذكراها، ودعواهم إلى التكذيب بالعباد، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أمم سابقة من كفرة الجن والإنس. إنهم كانوا خاسرين أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

[٢٦] وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسعوا لهذا القرآن، ولا تطعوه، ولا تنقادوا لأوامره، وارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن؛ لعلكم تغلبونه، فيترك القراءة، ومنتصر عليه.

[٢٧] فلنديقن الذين قالوا هذا القول عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات. [٢٨] ذلك العذاب الشديد جزاءً عادل لأعداء الله، هو نار جهنم، لهم فيها دار الخلود الدائم؛ جزاء بما كانوا بحججنا وأدلتنا يحدون في الدنيا. والآية دالة على عظم جريمة من صرف الناس عن القرآن العظيم، وصدته عن تدبره وهدايته بأي وسيلة كانت.

[٢٩] وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أرنا اللذين أضلنا من خلقك من الجن والإنس تجعلهم تحت أقدامنا؛ ليكونا في الدرك الأسفل من النار.

وقالوا لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً، واليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء. [٢٢] وما كنتم تستخفون عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفاً من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم التي تعصون الله بها. وذلك ظنكم السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم. [٢٤] فإن يصبروا على العذاب فالنار مأوهم، وإن يسألوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستأنفوا العمل الصالح لا يجابوا إلى ذلك، ولا تقبل لهم أعدار.

[٣٠] إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين له: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.

[٣١، ٣٢] وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهي أنفسكم مما تختارونه، وثقت به أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم، ضيافة وانعاماً لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.

[٣٣] لا أحد أحسن قبولاً ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين المتقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفق ما جاء عن رسول الله محمد ﷺ.

[٣٤، ٣٥] ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره. وأسأوا إلى خلقه. ادفع - أيها الرسول - بعفوك وحلمك وإحسانك من أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه محبٌ مناصرك وقريب شفيع عليك. وما يوفق لهذا الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله، وما يوفق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

[٣٦] وإما يُلقي الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة. فاستجر بالله واعتم به، إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمر خلقه جميعها.

[٣٧] ومن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما. كل ذلك تحت تسخير وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر - فإنهما مدبران مخلوقان - واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقاً متقادين لأمره، سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

[٣٨] فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له. ويتزهدون عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يفترون عن ذلك، ولا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْزَنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ عَن أَوْلِيَاءِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَا تُكْرِمُهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُنَّ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنَّ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَزَكَّى مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَكَّى فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتَابَ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٨﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 فَزَهَّرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّا الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّهُ جَعَلَ كُلَّ فَرْقٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ فِي آيَاتِنَا أَنْتَحِنُونَا عَلَيْنَا أَفَنُفِئ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِمَّنْ يَأْتِي آيَاتِنَا الْفٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكٰتِبٌ عٰزِمُونَ ﴿١٠٤﴾ لَا يَأْتِيهِمُ النَّجَاتُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن
 خَلْفِهِ - تَنْزِيلٌ مِّنْ حِكْمِ حَمِيدٍ ﴿١٠٥﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ إِن رَّبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَرُوْدٍ عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠٦﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فِصْفَتُهُ آيَاتُهُ
 أَعْجَبِيٌّ وَعَرَفْتُمْ قُلُوبَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاقًا وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُفُوفِهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَمَى أَطْمَاتُ الْكُتٰبِ
 يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ
 فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيحَ
 بَيْنَهُمْ وَآخُتْرُ لَيْسَ سَاكِنًا مِّنْهُ مُرْسِبٌ ﴿١٠٨﴾ مَن عَمِلَ صٰلِحًا
 فَلِنَفْسِهِ - وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا زَكٰوٰتُكَ بِظُلْمٍ لِّلْعٰبِدِ ﴿١٠٩﴾

[٣٩] ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض باسفة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفخت وعلت، إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى.

[٤٠] إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يتخفون علينا، بل نحن مظلومون عليهم. أفهدنا الملحد في آيات الله الذي يلقي في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله، مستحقاً لشوابه؛ لإيمانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا - أيها الملحدون - ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفي عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك. وفي هذا وعيد وتهديد لهم.

[٤١، ٤٢] إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذبوا به حين جاءهم هالكون ومعذبون، وإن هذا القرآن لكتاب عزيز يعازز الله إياه وحفظه له من كل تغيير

أو تبديل. لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن ينقص منه، أو يزداد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.

[٤٣] ما يقول لك هؤلاء المشركون - أيها الرسول - إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم لرسلم، فاصر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله. إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره، وتكذيبه.

[٤٤] ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك - أيها الرسول - أعجيباً، لقال المشركون: هلاً يُبَيِّنُ آياته، فننقحه ونعلمه. أَعْجَبِي هَذَا الْقُرْءَانَ. ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ هذا لا يكون. قل له - أيها الرسول -: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض. والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره، وهو على قلوبهم عمى. فلا يهتدون به، أولئك المشركون كمن ينادى وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعياً، ولا يجيب منادياً.

[٤٥] ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك - أيها الرسول - القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم من آمن، ومنهم من كذب. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفضيل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال، وإن المشركين لفي شك من القرآن شديد الريبة.

[٤٦] من عمل صالحاً فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله. ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله. وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

[٤٧] إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجِع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل من أنثى ولا تضع تخملها إلا يعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخاً لهم واطهاراً لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكاً.

[٤٨] وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا محيد عنه.

[٤٩] لا يملأ الإنسان من دعاء ربه طالباً للخير الدنيوي، وإن أصابه فقر وشدة؛ فهو يؤوس من رحمة الله، فنوط بسوء الظن بربه.

[٥٠] ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغي ويقول: أتأني هذا؛ لأنني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأني سأرجع

إلى ربي، فإن لي عند الجنة، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد.

[٥١] وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرها عرض وترقّع عن الانقياد إلى الحق، وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء.

[٥٢] قل -أيها الرسول- هؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذبتم به، لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به.

[٥٣] سئري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض. وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بدع آيات الله وعجائب صنعه، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحى به من رب العالمين. أولم يكفهم دليلاً على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.

[٥٤] ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد المات. ألا إن الله -جلّ وعلا- بكل شيء محيط علماً وقدره وعزّة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

• إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَلَمْ نَذْكُرْكَ مَا إِيَّانَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٥١﴾ وَصَلَّ عَلَيْنِهِ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَقَالُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْجِبٍ ﴿٥٢﴾ لَا يَتَسَوَّى الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسُ قَوُوطٌ ﴿٥٣﴾ وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْحَةٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْفَى فَلَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُدَبِّقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُمْ هُوَ فِي سَبْقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سَأْئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكِبْ لِرَبِّكَ أَنْتَدِعِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَمَّ ٥ عَسَق ٥ كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٥ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِنَا
 وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ بِحَمْدِ رَبِّنَا وَنَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْتَتْ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ ٥
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ٥ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ لِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٥ أَمْرٌ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُمُ الْوَلِيَّ وَهُوَ يَنْتَوِي وَهُوَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٥

[٢، ١] ﴿حَمَّ • عَسَق﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٣] كما أنزل الله إليك - أيها النبي - هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك، وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله.

[٤] لله وحده ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء.

[٥] تكاد السموات يتشققن، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

[٦] والذين اتخذوا غير الله الهة من دونه يتولونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم

بها يوم القيامة، وما أنت - أيها الرسول - بالوكيل عليهم يحفظ أفعالهم، إنما أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب. [٧] وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك قرآنا عربياً؛ لتنذر أهل «مكة» ومن حولها من سائر الناس، وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه. الناس فيه فريقان: فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله محمد ﷺ، وفريق في النار المستعرة، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله محمد ﷺ.

[٨] ولو شاء الله أن يجمع خلقه على الهدى ويجعلهم على ملة واحدة مهتدية لفعل، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته من يشاء من خواص خلقه. والظالمون أنفسهم بالشرك ما لهم من ولي يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالى.

[٩] بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الولي يتولاه عبده بالعبادة والطاعة، ويتولى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم، وهو يحيي الموتى عند البعث، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء..

[١٠] وما اختلفتم فيه - أيها الناس - من شيء من أمور دينكم، فالحكم فيه مرده إلى الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ. ذلكم الله ربي وربكم، عليه وحده توكلت في أموري، واليه أرجع في جميع شؤوني.

[١١] الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ومدعهما بقدرته ومشينته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ذكوراً وإناثاً، يكثركم بسبب هذا التزاوج بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يمانله شيء، من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، لأن أسماء كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه من أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.

[١٢] له سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض. ويبيد مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسع رزقه على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم. لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

[١٣] شرع الله لكم -أيها الناس- من الدين الذي

قَالُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمَلٌ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّونَكُمْ فِيهَا لَيْسَ كَيْفِيَّتُهُنَّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَصِيمُ ۝ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ سَبَّحَ لِكُرْمِ الَّذِينَ مَا وَصَى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝ وَمَا نَعْتَرُكُمْ بِالْأَمْرِ تَعْدَمَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَشِيئًا يَبْتَنَّهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّقَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورُوا فِي الْعِكْتَابِ مِنْ قَبْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ۝ فَلِذَلِكَ فَادَّعَى وَأَسْتَفْتَى كَمَا أَمْرٌ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَا أَمْرٌ بِالَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ يَتَّبِعْ يَتَّبِعْ اللَّهَ وَرَبَّهُ لِنَا أَعْمَالِنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝

أوحيناه إليكم -أيها الرسول- وهو الإسلام- ما وصى به نوحاً أن يعمله ويبلغه، وما وصيناه به إبراهيم وموسى وعيسى -هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل على المشهور- أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون من سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، الله يصطفي للتوحيد من يشاء من خلقه، ويوفق للعمل بطاعته من يرجع إليه.

[١٤] وما تفرقوا المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعتاد، ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لفضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم. وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقع في الريبة والاختلاف المذموم.

[١٥] فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكوا في الحق وانحرفوا عن الدين، وقل: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء. وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم، الله ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعد ما تبين الحق، الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كلَّ بما يستحق.

[١٦] والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلت به محمداً ﷺ، من بعد ما استجاب الناس له وأسلموا، حججتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم، وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار.

[١٧] الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف. وأي شيء يدريك ويغلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟

[١٨] يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكماً واستهزاءً، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه. ألا إن الذين يخاصون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.

[١٩] الله لطيف بعباده، يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء وفق حكمته سبحانه، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه.

[٢٠] من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نذله في عمله الحسن، فنضاعف له ثواب الحسنه إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.

[٢١] بل أهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؛ ولولا قضاء الله وقدره بإيمانهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لفضي بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجه.

[٢٢] ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة، والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة. والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة، لهم ما تشتهيهم أنفسهم عند ربهم، ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا تهتدي إليه العقول.

وَالَّذِينَ يَخَادِعُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ خَجَعْنَا
دَائِحَتَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ تَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَخَاوِعُونَ فِي السَّاعَةِ لَعَلَّ صَلَائِي تَعْبُدُ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْفَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْفِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْفَ الدُّنْيَا نُؤتِيَ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[٢٣] ذلك الذي أخبرتكم به -أيها الناس- من العييم والكرامة في الآخرة -هو البشري التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه. قل -أيها الرسول- الذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جنتكم به عوضاً من أموالكم، إلا أن تؤدوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعداً. إن الله غفور لذنوب عباده. شكور لحسانتهم وطاعتهم إياه.

[٢٤] بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلف محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقاً من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك -أيها الرسول- لو فعلت ذلك، ويذهب الله الباطل فيمحقه، ويحق الحق بكلماته التي لا تتبدل ولا تتغير، وبوعده الصادق الذي لا يخلف. إن الله عليه بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه.

[٢٥] والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك. وهو مجازيكم به.

[٢٦] ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لما دعاهم إليه ويتقادون له، ويزيدهم من فضله توفيقاً ومضاعفة في الأجر والثواب. والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجع مؤلم.

[٢٧] ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه عليهم، لبغوا في الأرض أشراً وبطراً، ولطفي بعضهم على بعض. ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفائتهم. إنه عبادته خير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم.

[٢٨] والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يشاؤون من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، فيعمهم بالغيث، وهو الوحي الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره.

[٢٩] ومن آياته الدالة على عظمتهم وقدرته وسلطانه، خلق السموات والأرض على غير مثال سابق. وما نشر فيها من أصناف الدواب، وهو على جميع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا شاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

[٣٠] وما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في دينكم ودنياكم فيما كسبتم من الذنوب والآثام، ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها.

[٣١] وما أنتم -أيها الناس- بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه. وما لكم من دون الله من ولي يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضار.

ذَلِكَ الَّذِي يَمَسُّ رَبُّهُ عِبَادَةَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ
 حَسَنَةً نَّزِدْ لَّمُرْفِئِهَا حَسَنَاتٍ إِنْ أَنَّىٰ غَفَوْا شُكْرًا ۝٢٣ أَمْ يَقُولُونَ
 افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ سَأَلْنَا أَنَّهُ بِحُجَّتِكَ عَلَيْنَا وَنَسِيتَ اللَّهُ
 أَنْ يَبْدُلَ وَبِحُجَّتِكَ عَلَيْنَا إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٢٤
 وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
 وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ ۝٢٦ وَلَوْ سَئَلْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَبِغُوا فِي الْأَرْضِ
 وَلَكِن يَنْزِلُ بِقُدْرٍ مَّا يَشَاءُ اللَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ تَبصِيرًا ۝٢٧
 وَيُنزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الَّذِي الْحَمِيدُ ۝٢٨
 وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن ذَاتٍ
 وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝٢٩ وَمَا أَصْبَحُ بِكُمْ مَّفْسِدَةً فِيمَا
 كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٠ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١

وَمَنْ آتَيْنَاهُ الْخُورَارَ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَى ۝٣٤ إِنْ يَسْأَلْكَ الْبَرِيحُ
فَقُلْ لَنْ يَذَّكَّرَ عَلَىٰ عَنُقِهِ ۖ إِنْ يَسْأَلْكَ لَنْ يَذَّكَّرَ ۚ لَكُمْ فِي سَنَاءِ بِرِّكُمْ
أَوْ يَوْفَقُكُمْ ۖ يَمَّا كَسَبُوا ۖ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٥ وَيَسْأَلُ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حُجُبٍ ۝٣٦ قُلْ أُولَئِكَ مَتَىٰ مَتَّعْتُمُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٧ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرًا أَإِنَّمَا الْأَنْفُسُ النَّفْسُ وَإِنَّمَا
عَضِبُوا بِهَا فَيَغفِرُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٩ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَأْسُ هُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٠ وَحِزْبٌ مِّنْهُمْ سَفِيَةٌ بَيْنَهُمْ أَن هَدَىٰ
وَأَصْلَحَ فَأُجْرُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ ۖ لَئِنْ لَمْ يَنْجِئْنَا لَهُم مِّنَ
بَعْدِ ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَسْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٢ وَلَمَنْ صَبَرَ وَصَفَرَ ۖ إِنْ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ۝٤٣ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ يُتَدَبَّرُ ۚ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَّةٌ مِّنْ سَبِيلِ اللَّهِ

[٣٤] ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه القاهر السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر. إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يسكن الريح، فتتق السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، إن في جري هذه السفن ووقوفها في البحر قدرة الله لعضات وحجماً بيئته على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله.

[٣٥] أو يهلك السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها، ويعف عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها.

[٣٥] وتعلم الذين يجادلون بالباطل في آياتنا الدالة على توحيدنا، ما لهم من حيد ولا ملجأ من عقاب الله، إذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به.

[٣٦] فساؤوتهم - أيها الناس - من شيء من المال أو البنين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، شرعان ما يزول، وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسوله، وعلى ربهم يتوكلون.

[٣٧] والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما قحش وقبح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على من أساء

إليهم هم يفرقون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلباً لبواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق. [٣٨] والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيدهم وطاعته. وأقاموا الصلاة المفروضة بمحودها في أوقاتها، وإذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه، وما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

[٣٩] والذين إذا أصابهم الظلم هم ينتصرون ممن بغي عليهم من غير أن يعتدوا، وإن صبروا ففي عاقبة صبرهم خير كثير. [٤٠] وجزء سيفة المسيء عقوبته بسيفة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الود بينه وبين المغفوع عنه ابتغاء وجه الله، فأجر عفو عن ذلك على الله، إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويستون إليهم.

[٤١] ولن انتصر من ظلمه من بعد ظلمه له فأولئك ما عليهم من مواخذة.

[٤٢] إنما المواخذة على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، ويتجاوزون الحد الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض، ويقابل الإساءة بالعفو والصفح والستر. إن ذلك لمن عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورغب لها ثواباً جزيلاً وثناءً حميداً.

[٤٣] ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى - أيها الرسول - الكافرين بالله يوم القيامة - حين رأوا العذاب - يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

[٤٤] ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى - أيها الرسول - الكافرين بالله يوم القيامة - حين رأوا العذاب - يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

[٤٥] وترى - أيها الرسول- هؤلاء الظالمين يُعْرَضُونَ على النار خاضعين متذللين، ينظرون إلى النار من عين ذليلة ضعيفة من الخوف والهوان. وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لئن آتينا ما حل بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين - يوم القيامة - في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم ولا يزول.

[٤٦] وما كان لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة من أعوان ونصراء بنصروهم من عذاب الله. ومن يضلله الله بسبب كفره وظلمه، فما له من طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة؛ لأنه قد سَدَّتْ عليه طرق النجاة، فالهداية والإضلال بيده سبحانه وتعالى دون سواه.

[٤٧] استجيبوا الربكم - أيها الكافرون - بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب، ولا مكان يستركم، وتنتكرون فيه، وفي الآية دليل على ذم التسويف، وفيها الأمر بالمبادرة إلى كل عمل صالح يُعْرَضُ للعبد، فإن للتأخير آفات وموانع.

[٤٨] فإن أعرض هؤلاء المشركون - أيها الرسول - عن الإيمان بالله فما أرسلناك عليهم حافظاً لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ما عليك إلا البلاغ. وإننا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة من غنى وسعة في المال وغير ذلك، فَرِحَ وَسُرَّ، وإن تصيبهم مصيبة من فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعدد المصائب، وينسى النعم.

[٤٩، ٥٠] لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناناً لا ذكور معهم، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل من يشاء عقيماً لا يولد له، إنه عليه بما يَخْلُقُ، قدير على خَلْقِ ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

[٥١] وما ينسفي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحياً يوحيه الله إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كَلَّمَ سبحانه موسى عليه السلام، أو يرسل رسولاً، كما ينزل جبريل - عليه السلام - إلى المرسل إليه، فيوحى بإذن ربه - لا بمجرد هواه - ما يشاء الله بإحسان. إنه تعالى عليّ بناته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه، وفي الآية إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظيم سلطانه.

وَتَرَكْنَهُمْ يُغْرَضُونَ عَلَيْهَا حَصِيرَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرْفٍ حَافِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْحَسِيرِينَ الَّذِينَ
حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُفِيِّرٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَتَضَرَّوْنَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِذْ أُنذِرَكَ إِلَّا اتَّبَعُوا وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَوَجَّحَ بِهَا وَانْصَبْهُمُ سَيْتَةً
يَمَّا مَدَّتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَقَمُورٍ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتَانًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتَانًا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ - مَا يَشَاءُ - إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

[٥٣، ٥٤] وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها النبي - أوحينا إليك قرآناً من عندنا، ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟ ولكن جعلنا القرآن ضياءً للناس نهدى به من نساء من عبدنا إلى الصراط المستقيم. وإنك - أيها الرسول - لقد أتيتهم بأذن الله إلى صراط مستقيم - وهو الإسلام -، صراط الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. ألا إلى الله - أيها الناس - ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلًا بعمله: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

[سورة الزخرف]

[١] ﴿حتم﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
 [٢] أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى.
 [٣، ٤] إننا أنزلنا القرآن على محمد ﷺ بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتندبرون معانيه وحججه. وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعليّ في قدره وشرفه، محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَاناً مِمَّا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَئِن جَعَلْنَاهُ نُوراً لَنَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَنْعَامِ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُشْرِكِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَهْلَكْنَاهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

[٥] أفنقض عنكم، ونترك إنزال القرآن إليكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم. وإسرافكم في عدم الإيمان به؟
 [٦-٨] كثيراً من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي، وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك، فأهلكنا من كذبوا رسلنا، وكانوا أشد قوة وبأساً من قومك أيها النبي، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلكوا؛ بسبب كفرهم وطفيانهم واستهزائهم بأنبيائهم. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.
 [٩] ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ العزيز العليم. العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.
 [١٠] الذي جعل لكم الأرض فراشاً وبساطاً، وسهلاً لكم فيها طرقاً لمعايشكم ومتاجرهم؛ لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية.

[١١] والذي نزل من السماء ماءً يقدر فأنثرنا به بِلْدَةً مَبِيتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا ❶ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ ❷ لَيْسَتْهُنَّ عَلَىٰ ظَهْرِهِءَ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ إِذَا اسْتَوَيْتَهُ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ ❸ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُسْقِلُونَ ❹ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُنَّةً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ❺ أَمْ لَتَأْخُذُنَّ إِنَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ❻ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا صَدَقَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❼ أَوَمَن يُنشَأُ فِي الْجَبَلِةِ وَهُوَ فِي الْخِصَابِ عَرْمِيَةٌ ❽ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنثًا أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَيُسْتَأْذَنُ ❾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ❿ أَمْ أَنَبَّأَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَمَن بِهِم مُّسْتَسْمِكُونَ ⓫ تَبَل قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ⓬

[١٢] بل أتزعمون - أيها الجاهلون - أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات. وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصصكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

[١٣] وإذا بشر أحدهم بالأنثى - التي نسبتها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله - صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعال الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

[١٤] أتخترتون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَتَّبِي في الزينة. وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

[١٥] وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتب شهادتهم. ويُسألون عنها في الآخرة.

[١٦] وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه. وهذه حجة باطلة. فقد أقام الله الحججة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحزواً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

[١٧] أحضروا خلق الملائكة. أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه. فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

[١٨] بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

[١٦] بل أتزعمون - أيها الجاهلون - أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات. وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصصكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

[١٧] وإذا بشر أحدهم بالأنثى - التي نسبتها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله - صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعال الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

[١٨] أتخترتون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَتَّبِي في الزينة. وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

[١٩] وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتب شهادتهم. ويُسألون عنها في الآخرة.

[٢٠] وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه. وهذه حجة باطلة. فقد أقام الله الحججة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحزواً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

[٢١] أحضروا خلق الملائكة. أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه. فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

[٢٢] بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

[١٦] بل أتزعمون - أيها الجاهلون - أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات. وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصصكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

[١٧] وإذا بشر أحدهم بالأنثى - التي نسبتها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله - صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعال الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

[١٨] أتخترتون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَتَّبِي في الزينة. وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

[١٩] وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتب شهادتهم. ويُسألون عنها في الآخرة.

[٢٠] وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه. وهذه حجة باطلة. فقد أقام الله الحججة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحزواً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

[٢١] أحضروا خلق الملائكة. أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه. فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

[٢٢] بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

[١٦] بل أتزعمون - أيها الجاهلون - أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات. وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصصكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

[١٧] وإذا بشر أحدهم بالأنثى - التي نسبتها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله - صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعال الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

[١٨] أتخترتون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَتَّبِي في الزينة. وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

[١٩] وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتب شهادتهم. ويُسألون عنها في الآخرة.

[٢٠] وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه. وهذه حجة باطلة. فقد أقام الله الحججة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحزواً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

[٢١] أحضروا خلق الملائكة. أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه. فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

[٢٢] بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

[١٦] بل أتزعمون - أيها الجاهلون - أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات. وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصصكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

[١٧] وإذا بشر أحدهم بالأنثى - التي نسبتها إلى الرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله - صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعال الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

[١٨] أتخترتون وتنسبون إلى الله تعالى من يُرَتَّبِي في الزينة. وهو في الجدل غير مبين لحجته؛ بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

[١٩] وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله حتى يحكموا بأنهم إناث؟ سكتب شهادتهم. ويُسألون عنها في الآخرة.

[٢٠] وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه. وهذه حجة باطلة. فقد أقام الله الحججة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تحزواً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

[٢١] أحضروا خلق الملائكة. أم أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن الذي أنزلناه. فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟

[٢٢] بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُهَا
 يَا نَبِيَّ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَمَةٍ وَآنَا عَلَىٰ عَهْدِهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٢٤﴾
 * قُلْ أُولَئِكَ جُنُودُكُمْ بِأَيْدِي وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آثَامًا كَمَا قَالُوا
 يَا نَبِيَّ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ كُفْرُونَ ﴿٢٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا
 كَان عَقِيبَةُ الْمَكِيدِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي
 بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾
 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاطِنَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَتَزَجَمُونَ ﴿٢٩﴾ بَلْ
 مَتَّعْتَهُمْ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعيشتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَخِرَاءً وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَزَنٌ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْلَا
 أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٣] وكذلك ما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - في قرية
 من نذير يندرهم عقابنا على كفرهم بنا، فأندروهم
 وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين
 أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إننا وجدنا آباءنا
 على ملة ودين، وإننا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون.
 [٢٤] قال محمد ﷺ ومن سبقه من الرسل لمن عارضه
 بهذه الشبهة الباطلة: أتبعون آباءكم، ولو جنتكم
 من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدل على سبيل
 الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة؟ قالوا
 في عناد: - إننا بما أرسلتم به جاحدون كافرون.
 [٢٥] فانتقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا
 العقوبة بهم خُسْفًا وغرقًا وغير ذلك. فانظر
 - أيها الرسول - كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات
 الله ورسله؟ وليحذر قومك أن يستمروا على تكذيبهم،
 فيصيبهم مثل ما أصابهم.
 [٢٦] واذكر - أيها الرسول - إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه
 الذين كانوا يعبدون ما يعبد، قومك: إنني براء مما
 تعبدون من دون الله.
 [٢٧] إلا الذي خلقتني، فإنه سيوفقي لاتباع سبيل
 الرشاد.

[٢٨] وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد - لا إله إلا الله - باقية فيمن بعده؛ لعلهم يرجعون إلى طاعة ربه
 وتوحيد. ويتوبون من كفرهم وذنوبهم.
 [٢٩] بل متعت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة؛ فلم أعاجلهم بالعقوبة على
 كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول بيّن لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.
 [٣٠] ولما جاءهم القرآن من عند الله قالوا: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحى من عند
 الله، وإننا به مكذبون.
 [٣١] وقال هؤلاء المشركون من قريش: إن كان هذا القرآن من عند الله حقاً، فهلاً نُزل على رجل عظيم من إحدى
 هاتين القريتين «مكة» أو «الطائف»؟
 [٣٢] أهما يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاءوا؟ نحن قسنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات،
 ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات: هذا غنيٌ وهذا فقير، وهذا قويٌ وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم مُسخرًا لبعض في
 المعاش. ورحمة ربك - أيها الرسول - بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.
 [٣٣] ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقْفًا من فضة وسلالم
 عليها يصعدون.

[٣٥] وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وجعلنا لهم سرراً عليها يتكئون، وجعلنا لهم ذهباً، وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل، ونعيم الآخرة مدّخر عند ربك للمتقين ليس لغيرهم.

[٣٦] ومن يُعْرِضُ عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يتخف عقابه، ولم يهتد بهدائيه، يجعل له شيطاناً في الدنيا بغيه، جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنع الحلال، ويبعته على الحرام. [٣٧] وإن الشياطين لبيدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيّنون لهم الضلالة، ويكفرهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته، ويظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى.

[٣٨] حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والحزاء، قال لقرينه: وددت أن بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب، فبنس القرين لي أنت؛ حيث أغويتني.

[٣٩] ولن ينفعكم اليوم -أيها المعرضون- عن ذكر الله إذ أشركتم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أتمم وقرناؤكم، فلعل واحد نصيبه الأوفر من العذاب،

وَلِيبُوتِهِمُ الْوُتُبُ وَأَسْرَارُ عَلَيْهِمْ يَتَكُونُونَ ﴿٣٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِذْ كُنَّا لَكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ نَأْفًا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَنَاتِكَ بِعَدِّ الْمَشْرُوقِينَ فَمَنْتَ الْقَرِينِ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَهُ أَنتَ كَمَا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْأَصْرَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِنَّمَا تَذَهَبُ بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَنْتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ أَوْ فَرِحْتَ بِكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُفْتَدُونَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَسْيَبْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾

كما اشركتم في الكفر.

[٤٠] أفأنت -أيها الرسول- تسمع من أصمّه الله عن سماع الحق، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعشى قلبه عن إبصاره، أو تهدي من كان في ضلال عن الحق بين واضح؛ ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

[٤١، ٤٢] فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإنما منهم منتقمون في الآخرة، أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر»، فإنما عليهم مقتدرون نظفرك عليهم، ونجزهم بيدك وأيدي المؤمنين بك. [٤٣] فاستمسك -أيها الرسول- بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك؛ إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام، وفي هذا تثبيت للرسول ﷺ، وثناء عليه.

[٤٤] وإن هذا القرآن لشرّف لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعلمهم بمقتضاه، وسوف تُسأل أنت ومن معك عن الشكر لله عليه، والعمل به، والدعوة إليه.

[٤٥] واسأل -أيها الرسول- أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا وحمله شرائعهم؛ أجات رسلهم بعبادة غير الله؟ فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع؛ فإن جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة ما سوى الله.

[٤٦، ٤٧] ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بالبينات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه، مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون.

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَمَنَّهُمْ جَرْمَهُمْ ﴿٥٥﴾ وَقَالُوا يَا تَأْتِيهِ السَّحَابُ مِنْ دُونِ رَبِّنَا مَا يَمْنُنَ عَلَيْهِمْ إِنْ عَلِمْنَا مِنْكَ شَيْئًا فَذَلِكُمْ أَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا كَسَفْنَا عَنْهُمْ غَمَامًا إِذَا هُمْ يَسْكُوتُونَ ﴿٥٧﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي مَلِكٌ يُضَرُّ هَيْدِي وَيُغْنِي عَنِّي هَاتِي هَاتِي هَاتِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٨﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهْمُومٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٩﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ السُّورَةُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٦٠﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا أَسْفَوْا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٢﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَخَلَفًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿٦٣﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٦٤﴾ وَقَالُوا يَا أَلَيْحَتُنَا حَنَزِينٌ هُوَ مِمَّا ضُرِبَ لَكَ الْأَجْدَالُ بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا فَرِيقًا

[٤٨] وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوه موسى إليه، وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقمل والضفادع والظوفان، وغير ذلك؛ لعلمهم بجرعون عن كفرهم بالله إلى توحيد وطاعته.

[٤٩] وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم - وكان الساحر فيهم عظيماً يؤقرونه، ولم يكن الساحر صفة ذم - ادع لنا ربك بعهد الذي عهد إليك وما خصك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب، فإن كشف عنا العذاب فإننا المهتدون مؤمنون بما جئتنا به. فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعنا عنهم إذا هم يغيرون، ويصرون على ضلالهم.

[٥٠، ٥١] ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحاً مفتخراً بملك مصر: أليس لي ملك مصر، وهذه فرعون نهر النيل تجري من تحت قصرى ومن بين يدي في سائتي، أفلا تبصرون عظمي وقوتي، وضعف موسى وقفره؟ بل أنا خير من هذا الذي لا عز معه، فهو يستهن بنفسه في حاجاته لضعفه وحقارته، ولا يكاد يبين الكلام لعي لسانه، وقد حمل فرعون على هذا القول الكفر والغناد والصد عن سبيل الله.

[٥٢] فهلاً ألقى على موسى - إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين - سورة من ذهب، أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إيلنا.

[٥٣] فاستحقت فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله وصراته المستقيم.

[٥٤، ٥٥] فلما أغضبونا - بعضيانا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات - انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجزنا لهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر. فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلفاً لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وعظة للأخريين.

[٥٦] ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلاً حين خاصوا محمداً ﷺ، وحاجوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وسروراً، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْشَرْ لَهَا وَيَرُدُّونَ﴾، وقال المشركون: رضينا أن تكون ألهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله قوله: ﴿إِنْ أَلْبِسْتُمْ سَبَقَتْ لَهُمْ مَثَلُ الْفُتْنِ أُولَئِكَ غَتَّهَا تَبَعْدُونَ﴾، فالذي يلقى في النار من الهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه.

[٥٧] وقال مشركو قومك - أيها الرسول -: أألهتنا التي تعبدها خير أم عيسى الذي يعبده قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وألهتنا معه، ما ضربوا لك هذا المثل إلا جديلاً، بل هم قوم مخاصمون بالباطل.

[٥٨] ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يستدل بها على قدرتنا.

[٦٠] ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة تخلف بعضهم بعضاً بدلاً من بني آدم.

[٦١] وإن نزل عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قرب وقوع الساعة، فلا تشكروا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويمه إلى الجنة، لا اعوجاج فيه.

[٦٢] ولا يصدنكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيما أمركم به وأنهاكم عنه، إنه لكم عدو بين العداوة.

[٦٣] ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جنتكم بالنبوة، ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته.

[٦٤] إن الله - سبحانه وتعالى - هو ربي وربكم جميعاً فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئاً، هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

[٦٥] فاختلقت فرق النصارى في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً: منهم من يُقرُّ بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم من يزعم أنه ابن الله، ومنهم من يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فهلاك وعذاب أليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير

وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرْطَ مُسْتَقِيمٍ ۖ وَلَا يَصِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَالَّذِينَ لَمْ يَعْضُوا لِيَّ يَوْمَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرْطَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٢﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ ﴿٦٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ
تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٥﴾ يِعْبُدُونَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَيْنَنَا
وَكُنَّا أَوْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحْبَبُونَ ﴿٦٨﴾ يُظَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧١﴾

ما وصفه الله به.

[٦٦] هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة، وهم لا يشعرون ولا يفتنون؟

[٦٧] الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة.

[٦٨] يقال لهؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

[٦٩، ٧٠] الذين آمنوا بأياتنا وعملوا بما جاءهم به رسلم، وكانوا منقادين لله رب العالمين بقلوبهم وجوارحهم، يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرنائكم المؤمنون تُتَّعَمُونَ وتُسَّرُونَ.

[٧١] يُظَافُ على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوانٍ من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، وفيها لهم ما تشتهيه أنفسهم وتُسَّرُ به أعينهم، وهم ما يكون فيها أبداً.

[٧٢] وهذه الجنة التي أورتكم الله إياها؛ بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الخيرات والأعمال الصالحات، وجعلها من فضله ورحمته جزاء لكم.

[٧٣] لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها تأكلون.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّتَخِلِفِينَ ۝ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَهُم فِيهِ مُنْسَلُونَ ۝ وَمَا ظَنَّمْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝
 وَتَادُوا بِنَارِكُمْ لِغِيظِ عَلَيْنَا وَبِنَارِكُمْ قَالَ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مَكِيدُونَ ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِحَقِّ كُرْهُونَ ۝ أَمْ أُنزِلَتْ أَمْرًا
 فَإِنَّا مُنزِلُونَ ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ
 وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
 الْعَابِدِينَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ۝ فَذَرْنِهِمْ جُحُوشًا وَبَلِّغُوا حَقِّي بَلِّغُوا يَوْمَهُمْ
 الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝
 وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن
 شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَيْكَ يَكْفُرُونَ ۝ وَقِيلَ إِنَّا هُنَا آيَةٌ قُوَّةٌ
 لِّأُولِي أَلْبَابٍ ۝ فَأَصْحَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ وَسَلِّمْ وَبَلِّغُوا ۝

[٧٤-٧٦] إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ما كانوا، لا يخفف عنهم، وهم فيه آيسون من رحمة الله. وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بالعذاب، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بشركهم وجحودهم أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وترك أتباعهم لرسول ربهم. [٧٧، ٧٨] ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكاً» خازن جهنم: يا مالك ليبتنا ربك، فنستريح مئاً نحن فيه، فأجابهم مالك: إنكم ما تكون، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها. لقد جئناكم بالحق ووضحناه لكم، ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون.

[٧٩] بل أأحكم هؤلاء المشركون أمراً يكيدون به الحق الذي جئناهم به؟ فإنا مدبرون لهم ما مجزيهم من العذاب والنكال.

[٨٠] أم يظن هؤلاء المشركون بالله أننا لنسمع ما يسرونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم؟ بل نسمع ونعلم، ورسلا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.

[٨١، ٨٢] قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن

هذا لم يكن ولا يكون، فتقدّس الله عن الصاحبة والولد. تنزيهاً وتقديساً لأرب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله، وغير ذلك مما يزعمون من الباطل.

[٨٣] فاترك -أيها الرسول- هؤلاء المفترين على الله يحوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة: وإما فيهما معاً.

[٨٤] وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض، وهو الحكيم الذي أحكم خلقه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفي عليه شيء، منها.

[٨٥] وتكاثر بركة الله، وكثر خيره، وعظم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها، وعندة علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ومُجسّر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وإليه تُرَدُّون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلّاً بما يستحق.

[٨٦] ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عند: لأحد إلا من شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله وبنبوة محمد ﷺ، وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به.

[٨٧] ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك من خلقهم؟ ليقولنَّ: الله خلقنا، فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟

[٨٨، ٨٩] وقال محمد ﷺ شاكياً إلى ربه قومه الذين كذبوه: يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وما أرسلتني به إليهم. فأمره الله بالإعراض عنهم وعن أذاهم، وتركهم بسبب كفرهم وعنادهم، ولا يتبّر منك -أيها الرسول- إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقونه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم.

[سورة الدخان]

[١٧] ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢-٨] أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظاً ومعنى. إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة الكثيرة الخيرات، وهي في رمضان. إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم. وذلك بإرسال الرسل وانزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده. فيها يقضى ويفصل من اللوح المحفوظ إلى الكعبة من الملائكة كل أمر محكم من الآجال والأرزاق في تلك السنة، وغير ذلك مما يكون فيها إلى آخرها، لا يبدل ولا يغير. هذا الأمر الحكيم أمر من عندنا. فجميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فيأمره وإذنه وعلمه. إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل محمداً ومن قبله، رحمة من ربك - أيها الرسول - بالمرسل إليهم. إنه هو السميع يسع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة. خالق السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، إن كنتم موقنين بذلك فاعلموا أن رب المخلوقات هو إلهها الحق. لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين، فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

[٩] بل هؤلاء المشركون في شك من الحق، فهم يلهون ويلعبون. ولا يصدقون به. [١٠-١٢] فانظر - أيها الرسول - هؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعثم الناس. ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا أكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك. وقد تحقق ذلك، فلم يؤمنوا كما وعدوا.

[١٣، ١٤] كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم، وقد جاءهم رسول مبين. وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أعرضوا عنه وقالوا: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو محنون وليس برسول؟ [١٥] سترفع عنكم العذاب قليلاً، وسترون أنكم تعودون إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلال والتكذيب، وأنتنا سنعاقبكم على ذلك.

[١٦] يوم نعذب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة وهو يوم انتقامنا منهم. [١٧] ولقد اخترنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام، فكذبوه فهلكوا، فهكذا نفع بأعدائكم أيها الرسول، إن لم يؤمنوا. [١٨] وقال لهم موسى: أن سلّموا إليّ عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ وَالصَّبَّ ۝ الْأُميين ۝ إنا أنزلناه في ليلة مُبَرَّكة ۝
 إنا كنا منذرين ۝ فيها يفرق كل أمر حكيم ۝ أمراً
 من عندنا إنا كنا مرسلين ۝ رحمة من ربك إنه هو
 السميع العليم ۝ رب السموات والأرض وما بينهما
 إن كنتم موقنين ۝ لا إله إلا هو يحيي ويميت ربك
 ورب آياتكم الأوليات ۝ بل هم في شك يلعبون ۝
 فأنزّلنا يوم تأتي السماء بدخان مبين ۝ يغشى الناس
 هذا عذاب أليم ۝ ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ۝
 أني لهم الأكفري وقد جاءهم رسول فبين ۝ ثم تولوا
 عنه وقالوا مماتة تخون ۝ إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم
 عابدون ۝ يوم تبطل الأنظمة الكبري إنا منتقمون ۝
 * ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ۝
 أن أدوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين ۝

وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتَيْكُمْ بِرِهَانٍ وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَضُونَ ۝ وَإِنْ لَمْ تَرْضَوْا لِي فَأَعْرَبُونَ ۝
 فَعَارَفْتُمْ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُفْرِقُونَ ۝ فَأَنْسِرْ بَعَادِي نَيْلًا لَكُمْ
 مُتَّبِعُونَ ۝ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرِقُونَ ۝ كَفَرُوا
 تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتِ وَعَنْبُونَ ۝ وَزُرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ ۝ وَنَعْمَةٌ
 كَانُوا فِيهَا فَكَاهِكُمْ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِينَ ۝ مِنْ فِرْعَوْنَ إِذْ هُوَ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ السُّرُورِ ۝ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عَمَلِهِمْ عَلَى
 الْأَنْبِيَاءِ ۝ وَآتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ۝
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
 بِمُنذَرِينَ ۝ فَأَنوَأُ بِقَابَأَبَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَهْلَهُ
 خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ۝
 مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا كُنَّا لَهُمْ لَآئِعًا مَوْتٍ ۝

[١٩-٢١] وألا تتكبروا على الله بتكذيب رسله، إني آتيتكم ببرهان واضح على صدق رسالتي، وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجماً بالحجارة، وإن لم تصدقوني على ما جئتكم به فخلوا سبيلي، وكفوا عن أذائي.

[٢٢] فدعا موسى ربه - حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به - قائلاً: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرين.

[٢٣] فأسر - يا موسى - بعبادي - الذين صدقوك، وأمنوا بك، واتبعوك، دون الذين كذبوك منهم - ليلاً، إنكم متبعون من فرعون وجنوده فتنجسون، ويغرق فرعون وجنوده.

[٢٤] وأترك البحر كما هو على حالته التي كان عليها حين سلكته، ساكناً غير مضطرب، إن فرعون وجنوده مغرقون في البحر.

[٢٥-٢٧] كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية، وزروع ومنازل جميلة، وعيشة كانوا فيها متعمين مترفين.

[٢٨] مثل ذلك العقاب يعاقب الله من كذب ويدل

نعمة الله كفراً، وأورثنا تلك النعمة من بعد فرعون وقومه قوماً آخرين خلفهم من بني إسرائيل.

[٢٩] فما بكيت السماء والأرض حزناً على فرعون وقومه، وما كانوا مؤخرين عن العقوبة التي حلت بهم.

[٣٠] ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المذلل لهم بقتل آبائهم واستخدام نسائهم.

[٣١] من فرعون، إنه كان جباراً من المشركين، مسرفاً في العلو والتكبر على عباد الله.

[٣٢] ولقد اصطفينا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي زمانهم.

[٣٣] وآتيناهم من المعجزات على يد موسى ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم؛ رخاء وشدة.

[٣٤، ٣٥] إن هؤلاء المشركين من قومك - أيها الرسول - ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى

والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.

[٣٦] ويقولون أيضاً: قُتِلَ - يا محمد أنت ومن معك - بأبائنا الذين قد ماتوا، إن كنتم صادقين في أن الله يبعث من في القبور أحياء.

[٣٧] أهؤلاء المشركون خير أم قوم تُبَّعِ الجُمُيْرِيِّ والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بريها؟ أهلكناهم لإجرامهم

وكفرهم. ليس هؤلاء المشركون بخير من أولئكم فنصفح عنهم ولا نهلكهم، وهم بالله كافرين.

[٣٨، ٣٩] وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعباً، ما خلقناهما إلا بالحق الذي هو سنة الله في خلقه وتدبيره.

ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك، فلماذا لم يتفكروا فيها؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً.

[٤٠] إن يوم الفصل ميقتهم أجمعين ﴿٥٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُمْ هُمُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّرْقُمِ ﴿٥٣﴾ طَعَامَ الْأَثِيمِ ﴿٥٤﴾ كَالنَّهْلِ يُغَلُّ فِي الْأَنْطُورِ ﴿٥٥﴾ كَغَلَى الْحَبِيبِ ﴿٥٦﴾ خَذُوا قَدْ اغْتَابُوا إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ ضَمُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيبِ ﴿٥٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الْمُنْتَفِيْنَ فِي مَقَابِرِ أَمِينٍ ﴿٦١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدِينٍ وَأَنْسَتِرُقْ مِنْقَبِلَاتٍ ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِخُورٍ عَرَبٍ ﴿٦٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آيِسِينَ ﴿٦٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهِنَّ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٦﴾ فَضَلَّاقِن رَبَّنَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ فَإِنَّمَا يَنْتَرِفُهُ يَلْسَاتُك لَعَالُهُمْ يَتَدَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٦٩﴾

[٤١] يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، إلا من رحم الله من المؤمنين، فإنه قد يشفع له عند ربه بعد إذن الله له، إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته. [٤٢، ٤٣] إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام صاحب الأثام الكثيرة، وأكبر الأثام الشرك بالله.

[٤٤، ٤٥] ثمر شجرة الزقوم كالسفن المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة. [٤٦] خذوا هذا الأثيم الفاجر فادفعوه، وسوقوه بعنف إلى وسط الجحيم يوم القيامة.

[٤٧] ثم صبوا فوق رأس هذا الأثيم الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.

[٤٨] يقال لهذا الأثيم الشقي -على وجه التهكم والتوبيخ-: ذق هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.

[٥٠] إن هذا العذاب الذي تعذبون به اليوم هو العذاب الذي كنتم تشككون فيه في الدنيا، ولا توقنون به.

[٥١] إن الذين اتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه في الدنيا، في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات والأحزان وغير ذلك.

[٥٢] في جنات وعيون جارية.

[٥٣] يلبسون ما رزق من الديباج وما غلظ منه، يقابل بعضهم بعضاً بالوجود، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا.

[٥٤] كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات والباسم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن رزقناهم بالحسان من النساء، وأساعت الأعين الجميلات.

[٥٥] يطلب هؤلاء المتقون في الجنة كل نوع من فواكه الجنة، اشتهوه، آمنين من انقطاع ذلك عنهم وفنائهم.

[٥٦-٥٨] لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووق الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم؛ تفضلاً وإحساناً منه سبحانه وتعالى. هذا الذي أعطينا المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، فإننا سهلنا لفظ القرآن ومعناه، بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون.

[٥٩] فانظر -أيها الرسول- ما وعدتك من النصر على هؤلاء المشركين بالله، وما محل بهم من العقاب، إنهم منتظرون موتك وقهرك، وسيعلمون لمن تكون النصر، والطفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك -أيها الرسول- ولمن اتبعك من المؤمنين.

[سورة الجاثية]

[١] ﴿حَمَّ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] هذا القرآن منزل من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير أمور خلقه.

[٣] إن في السموات السبع، والأرض التي منها خروج الخلق، وما فيها من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع، لأدلة وحججاً للمؤمنين بها.

[٤] وفي خلقكم -أيها الناس- وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها، حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه.

[٥] وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما عليكم، وما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بعد يبسها، فاهترت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلة وحجج لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته.

[٦] هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق، فبأي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده، لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟

[٧] هلاك شديد لكل كذاب كثير الأثام.

[٨] يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه، ثم يتماذى في كفره متعالياً في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما نزل عليه من آيات الله، فيسر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجه في نار جهنم يوم القيامة.

[٩] وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً وسخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويجزئهم يوم القيامة؛ جزاء استهزائهم بالقرآن.

[١٠] من أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً من المال والولد، ولا ألهتهم التي عبدوها من دون الله، ولهم عذاب عظيم مؤلم.

[١١] هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- هدىً من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي من اتبعه وعمل به إلى طريق مستقيم، والذين جحدوا بما في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يصدقوا بها، لهم عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.

[١٢] الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر لكم البحر؛ لتجري السفن فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون ربكم على تسخير ذلك لكم، فتعبدهو وحده، وتطيعوه، فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

[١٣] وسخر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم بيئة من الله وحده، أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكاً، إن في ما سخره الله لكم لعلمات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها.

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذَّبُ مِنْ دَابَّةٍ آتَتْ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَلْحَتِيفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ قِيَاسِي حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ ؕ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَقِيلَ لِكُلِّ أَقْوَامٍ أَنبِيَاءٌ ﴿٧﴾ نَسْتَعِيبُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُصِرُّونَ تَكْذِيبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا فَيُصِرُّونَ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ وَإِذْ أَعْلَمُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ شَيْئًا تَخَذُّهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾ مَن وَرَّأَى مِنْهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَأْتِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ؕ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَبَتَتْ رَيْبَهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَاتَّبَعْتُمْ مِّن دُونِهِ قُلُوبًا ؕ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّمَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

[١٤] قل - أيها الرسول - للذين صدقوا بالله وأتبعوا رسوله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكره؛ ليجزى الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الأثام وايداء المؤمنين.

[١٥] من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى، ثم إنكم - أيها الناس - إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

[١٦] ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

[١٧] وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحججة عليهم، وإنما تحملهم على ذلك تبغى بعضهم على بعض؛ طلباً للرفعة والرئاسة، إن ربك - أيها الرسول - يحكم بين المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة فيما كانوا فيه

قُلْ لِلَّيْنِ ءَامَنُوا يُغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْحَمُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ لِنَافِكٍ يُفْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْاكَ مِمَّا لَكَ اللَّهُ شَيْئًا وَإِنَ الْكٰظِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَا بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِي الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا صَبَّحَهُ النَّاسُ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّخْبَاهٍ وَمَآ تَنْهَىٰ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

يختلفون في الدنيا. وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم.

[١٨] ثم جعلناك - أيها الرسول - على منهاج واضح من أمر الدين. فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها. ولا تتبع أهواء الجاهلين بشرع الله الذين لا يعلمون الحق. وفي الآية دلالة عظيمة على كمال هذا الدين وشرفه، ووجوب الانقياد لحكمه، وعدم الميل إلى أهواء الكفرة والملحدن.

[١٩] إن هؤلاء المشركين برهبهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك - أيها الرسول - من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهي.

[٢٠] هذا القرآن الذي أنزلنا، إليك - أيها الرسول - بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل. ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحتهم، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

[٢١] بل أظن الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونسأوهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار.

[٢٢] وخلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر. وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَخَدَعَهُ عَنْ سَمْعِهِ
 وَقَلْبِهِ وَوَعَدَ عَلَى بَصَرِهِ عِثْقَاتُ مَن يَهْدِيهِ مِنْ تَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَوْتٌ وَنَحْنُ بِمَا نَعْمَلُ كَانُوا
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نَتَقَلَ
 عَلَيْهِمْ يَأْتِنُنَا بَيِّنَاتٌ مِمَّا كَانُوا يَحْتَضِرُونَ إِنْ لَأَلْنَا أَنشَأْنَا يَأْتِيَانِي أَنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَرْبَابٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَلِكَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُنَا بِنُفْثِ الْمُنْطَلِقِينَ ﴿٢٧﴾
 وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلِّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كَيْفِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كَيْفَ نَبْطِيقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
 مُخْرِجِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَبَّ فِيهَا
 قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَّرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] أفرأيت - أيها الرسول - من اتخذ هواه إلهاً، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، وأصله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحججة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطمع على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، وجعل على بصره غطاءً، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون - أيها الناس - فتعلموا أنّ من فعل الله به ذلك فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟

والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.

[٢٤] وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد المسات، وما يهلكنا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم، وما هؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال.

[٢٥] وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات، لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول ﷺ: أحي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيما تقولون.

[٢٦] قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يجيبك في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعاً أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إمامتهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

[٢٧] والله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خلقاً ومُلْكاً وعبودية، ويوم تخرج الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون. يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

[٢٨] وترى - أيها الرسول - يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثمين على رؤسهم، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها، ويقال لهم: اليوم تحجزون ما كنتم تعملون من خير أو شر.

[٢٩] هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، إنّنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

[٣٠] فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

[٣١] وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم - تقريباً وتوبيخاً -: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قوماً مشركين تكسبون المعاصي ولا تؤمنون بواب ولا عقاب؟

[٣٢] وإذا قيل لكم: إن وعد الله يبعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما نتوقع وقوعها إلا توهاً، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية.

[٣٣] وظهر لهؤلاء الذين كانوا يكذبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزئون.

[٣٤] وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم تترككم في عذاب جهنم. كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا، ومسكنكم نار جهنم. وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله.

[٣٥] هذا الذي حلّ بكم من عذاب الله: بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزواً ولعباً، وخذعتكم زينة الحياة الدنيا. فاليوم لا تخرجون من النار. ولا هم يُردُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحاً.

[٣٦] فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه، رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما، رب الخلاق أجمعين.

[٣٧] وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسُلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه، تعالى وتقدس، لا إله إلا هو.

وَبَدَأَ لَهُمْ فِيهَا مَا عَمِلُوا وَأَوْحَىٰ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ لِلَّذِينَ تَدْسِكُ كُتَابِنَا يُضِلُّونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمُو إِلَهَاتِكُمْ هُزُوًا وَعَزَّيْتُمْ لِحَيَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَمَا لِيُبَدِّلَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلَهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
 وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا وَمُعْضِئُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَشْجَارِ إِذْ هِيَ ظُلُمٌ لِّكُمْ أَصْدِقَاتٌ لِّمَنْ يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهًا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ ﴿٤﴾

[سورة الأحقاف]

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ هذا القرآن تنزيل من الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً ولا سدى؛ بل ليعرف العباد عظمة خالقهما فيعبده وحده. ويعلموا أنه قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم، وليقيموا الحق والعدل فيما بينهم وإلى أجل معلوم عنده. والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، عما أُنذِرهم به القرآن معرضون. لا يتعظون ولا يتفكرون.

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي شيء خلقوا من الأرض. أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ اتتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقية من علمه، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

[٥] ﴿لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهًا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاء: أبدأ؛ لأنها من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها، وهي غافلة عن دعاء من يعبدها، عاجزة عن نفعه أو ضرره.

[٦] وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿٦﴾ وإذا نزل عليهم آياتنا يتنصب قال الذين كفروا للحق لنا آية، هو هذا سيحرفون ﴿٧﴾ أم يقولون آفته إن إن آفته ثم فلا تقولون لي من الله شيئاً هو أعلم بما في صدورنا فبيده كل شيء، شهيداً بيني وبينك وهو الغفور الرحيم ﴿٨﴾ قل ما كنت بذناب إن الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ﴿٩﴾ قل إن يتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فقامت آنست كذبوا إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿١٠﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سألونا إليه واذلة لهم آياتنا التي أنزلناهم بها فلا يخوفونهم بها ولا يلينون ﴿١١﴾ ومن قبله كتب موسى إماماً ورحمةً وهذا ككتب فصديق إسماعيل بن عبد الله الذي ظلموا وبشرى للمؤمنين ﴿١٢﴾ إن الذين كفروا أنزلناهم بها فلا تخوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٣﴾ أولئك هم الذين ظلموا في الدنيا وما كانوا يملكون ﴿١٤﴾

[١٠] قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنت أول رسل الله إلى خلقه، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا، ما أتبع فيما أمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه لي، وما أنا إلا نذير مبين الإنذار.

[١١] قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام على مثل هذا القرآن، وهو ما في التوراة من التصديق بنبوته محمد ﷺ، فصّدق وعمل بما جاء في القرآن، ووجدتم ذلك استكباراً، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يوفق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.

[١٢] وقال الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذا لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

[١٣] ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي، لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشرى للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا.

[١٤] إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من قزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا.

[١٥] أولئك أهل الجنة ما كتبت فيها أبداً برحمة الله تعالى لهم، وبما قدموا من عمل صالح في دنياهم.

[١٥] ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضيه وأصبح لي في ذوقيّ إني نبتُ إليك وإني من المسلمين ﴿١٥﴾ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاووز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴿١٦﴾ والذي قال لوالديه إني لكم أعدائي أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله وتلك آيات الله حق فيقول ما هذا إلا أسطير الأولين ﴿١٧﴾ أولئك الذين حتى عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خسيرون ﴿١٨﴾ ولكل درجة مقاديرهم ولجنتهم أجرهم وهؤلاء يظلمون ﴿١٩﴾ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تكفرون ﴿٢٠﴾

وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه.

[١٧] والذي قال لوالديه إذ دعوا إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث: قبحاً لكم أعدائي أن أخرج من قبري حياً، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهل كوا فلم يُبعث منهم أحد؟ والباء يسألان الله هدايته قائلين له: ويملك، آمن وصدق وعمل صالحاً، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم.

[١٨] أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب، إنهم كانوا خاسرين ببيعتهم الهدى بالضلال، والتعيب بالعذاب.

[١٩] ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيامة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وفق مرتبته؛ وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم. ولا ينقص من حسناتهم.

[٢٠] ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعذاب، فيقال لهم توبيخاً: لقد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فالיום - أيها الكفار - تجزون عذاب الحزني والهوان في النار؛ بما كنتم تتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله.

[٢١] واذكر - أيها الرسول - نبي الله هوداً أوحى عادي في النسب لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بالأحقاف - وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية -، وقد مضت الرسل يانذار قومها قبل هود وبعد؛ بأن لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم له، إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يُعْظَم هولُه، وهو يوم القيامة.

[٢٢] قالوا: أجننتما بدعوتك؛ نصرنا عن عبادة آلهتنا؛ فأتنا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك.

[٢٣] قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وعدتم به من العذاب عند الله، وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به، ولكي أراكم قوماً تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله.

[٢٤] فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضاً في

السماء متجهاً إلى أوديتهم قالوا: هذا سحاب مطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجه.

[٢٥] تدمر كل شيء، تمر به مما أرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشيتته، فأصبحوا لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها، مثل هذا الجزاء تجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرمهم وطغيانهم.

[٢٦] ولقد يسرنا لعاد أسباب التمكن في الدنيا على نحو لم نكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سماعاً يسمعون به، وأبصاراً يبصرون بها، وأفتدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئاً إذ كانوا يكذبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه، وهذا وعيد من الله جل شأنه، وتحذير للكافرين.

[٢٧] ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها، وبيئنا لهم أنواع الحجج والدلالات؛ لعلمهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته.

[٢٨] فهلاً نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية آلهتهم التي اتخذوا عبادتها قرباناً يتقربون بها إلى ربهم؛ لتشفع لهم عنده، بل ضلّت عنهم آلهتهم، فلم يجيئوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كذبهم وما كانوا يفتخرون في اتخاذهم إياهم آلهة.

«وَأَذْكُرَ لِمَا عَادُوا إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْأَنْذَارُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ الْأَنْفُسُ وَالْإِلَهَ إِذْ أَنْذَرْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا اجْنُنتَ لِمَا وَكُنَّا عَنْ آيَاتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْتِيكُمُ الرِّزْقَ وَأَنْذَرْتُكُمْ يَوْمًا تَمْتَحِنُوهَا ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّسْتَقْبِلَنَا بَلْ هُوَ مَاءٌ مَّسْجُوعٌ بِهِ - يَرِيحُ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَكُوا فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْتَدَىٰ فَأَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعَهُمْ وَلَا أَبْصَرَ لَهُمْ وَلَا أَفْتَدَىٰ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لِمَعْلَمٍ لِّرَجْعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِي آتَيْنَاهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَرَقَنَاهَا إِلَى اللَّهِ بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَارُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٩] واذكر - أيها الرسول - حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا ورسول الله ﷺ يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد غصه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين وخذرين لهم بأس الله. إن لم يؤمنوا به.

[٣٠] قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصدقاً لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم. [٣١] يا قومنا أجيئوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه، وصدقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم، وينقذكم من عذاب مؤلم موجه.

[٣٢] ومن لا يحب رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمتعونه من عذابه، أولئك في ذهاب واضح عن الحق.

[٣٣] أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، ولم يعجز عن خلقهن، قادر على إحياء الموتى خلقهم أولاً؟ بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير. [٣٤] ويوم القيامة يُعرض الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟ فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق، فيقال لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تمجدون عذاب النار وتكفرونه في الدنيا. [٣٥] فاصبر - أيها الرسول - على ما أصابك من أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك - وهم على المشهور: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنت منهم - ولا تستعجل لقومك العذاب؛ فحين يقع ويروونه كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا بلاغ لهم ولغيرهم. ولا يُهلك بعباد الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته.

وَأِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا لِمَا نُقَالُ وَلَوْ أَن قَوْمهم
مُنذِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَنْعَمُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن
بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّتْ بِيَدِهِ يُهْدِي إِلَى الْحَقِّ
وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا
بِهِ: يَغْفِر لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ لَا يُحِب دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَه
مِن ذُنُوبِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَتَرَى بِخَلْقِهِنَّ
يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَخْفِيَ الْمَوْتُ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا
بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل
لَهُمْ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَتُيَسَّبِحُنَّ لِلسَّاعَةِ
مِن نَّهَارٍ بَلَّغَ قَهْلٍ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ يَحْسِبُونَ ﴿٣٥﴾

[سورة محمد ﷺ]

[١] الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده، لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، أذهب الله أعمالهم وأبطلها، وأشقاهم بسببها.

[٢] والذين صدقوا الله وأتبعوا شرعه وصدقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم، عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.

[٣] ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتبعوا الرسول ﷺ وما جاء به من النور والهدى، كما بين الله تعالى فعله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم. فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

[٤-٦] فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضعفتهم بكثرة القتل، وكسرتهم

سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اضْطَرَّ ائْتَمَلُوا ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفُرَ عَنْهُمُ سُبْحَانَهُ وَأَضَلَّهُمُ بِالْهَيْدِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبُطْلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۗ فَإِذَا قِيلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اقْتَرَبُوا إِلَى اللَّهِ فَانْتَضَبُوا فَغَدُوا أَتَى الْقَوْمَ فَمَا مَتَابَعُوا وَمَتَابَعَةٌ حَتَّى تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْ تَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنْزِلَ أَعْصَابَكُمْ يَعْزُبُ ۗ وَالَّذِينَ قَبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ ائْتَمَلُوا ۗ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بِالْهَيْدِ ۗ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۗ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَضُرُوا اللَّهَ يَضُرُّكُمْ وَاللَّهُ يَضُرُّكُمْ أَفَدَأَمَكُمُ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ ائْتَمَلُوا ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ فَأَخِطَ ائْتَمَلُوا ۗ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ تَعْبِقَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۗ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۗ

شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى؛ فإما أن تُسَوِّأَ عليهم بفق أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يَسْتَرْفُوا أو يَفْتَلُوا، واستبشروا على ذلك حتى تنتهي الحرب. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومدولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكن جعل عقوبتهم على أيديكم، فشرع الجهاد؛ ليختبركم بهم، وليتصر بكم دينه. والذين قتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبْطِلَ الله ثواب أعمالهم. سيوقفهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويصلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة عَرَّفَهُمْ بها، ونعمتاهم، ووقفهم للقيام بما أمرهم به -ومن جملته الشهادة في سبيله-، ثم عَرَّفَهُمْ إذا دخلوا الجنة منازلهم بها.

[٧] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتنال أوامر، واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم. ويثبت أقدامكم عند القتال.

[٨، ٩] والذين كفروا فهلاك لهم، وأذهب الله ثواب أعمالهم؛ ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان.

[١٠] أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معترين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دَمَّرَ اللَّهُ عليهم ديارهم، وللکافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.

[١١] ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر؛ بسبب أن الله ولي المؤمنين ونصيرهم، وأن الكافرين لا ولي لهم ولا نصير.

[١٢] إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار تكريمًا لهم. ومثل الذين كفروا يأكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره. ونار جهنم مسكن لهم وماوى.

[١٣] وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأساً من أهل قريتك - أيها الرسول، وهي مكة - التي أخرجتك، دمرناهم بأنواع من العذاب، فلم يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله.

[١٤] أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوجدانيته، كمن حسن له الشيطان قبيح عمله، واتبع ما دعته إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره من غير حجة ولا برهان؟ لا يستون.

[١٥] صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون، وأنهار من عسل قد ضُفِّيَ مَسًا يخالطه من الشوائب، وهؤلاء

المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم من ذلك السُّرَرُ والتجاور عن ذنوبهم، هل من هو في هذه الجنة كمن هو ماكث في النار لا يخرج منها، وسقوا ماء تنامى في شدة حره فقطع أمعاءهم؟

[١٦] ومن هؤلاء المنافقين من يستمع إليك - أيها النبي - بغير فهم؛ تهاوناً منهم واستخفافاً، حتى إذا انصرفوا من مجلسك قالوا لمن حضروا مجلسك من أهل العلم بكتاب الله - على سبيل الاستهزاء -: ماذا قال محمد الآن؟ أولئك الذين ختم الله على قلوبهم، فلا تفقه الحق ولا تهتدي إليه، واتبعوا أهواءهم في الكفر والضلال.

[١٧] والذين اهتموا بالاتباع الحق زادهم الله هدى. فقوي بذلك إيمانهم، ووفقهم للتقوى، وبشّرهم لها.

[١٨] ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا الساعة التي وعدوا بها أن تجيئهم فجأةً، فقد ظهرت علاماتها ولم ينتفعوا بذلك، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

[١٩] فاعلم - أيها النبي - أنه لا معبود بحق إلا الله. واستغفر لذنبك. واستغفر للمؤمنين والمؤمنات. والله يعلم تصرفكم في يقظتكم نهاراً، ومستقركم في نومكم ليلاً.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَعْنَابُ وَالنَّارُ مَشْوِيَةٌ لَهُمْ ۗ وَكُلٌّ مِنْ قَرْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قَرَابَةً مِنْ قَرْبَيْكَ ۗ أَلَمْ يَأْخُذْ بِكَ أَهْلُكَ بِمِثْلِ مَا تَأْكُلُ ۗ وَأَنْتَ أَهْوَأُ أَهْوَأُ ۗ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي زُيِّنَ لَكُمْ زَيْنٌ لَهَا مِنْ رَبِّكَ وَعَمَلَةٌ ۗ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ ۗ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنَّىٰ أَغْلَبْنَاكَ يَا آلِهَ اللَّهِ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ۗ وَكَرِهْتُمْ ۗ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ قَبْلَ أَنْ نُنزِلَ سُورَةٌ
مُحْكَمَةٌ وَتُكْرَمُهَا الْفِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْأَمْرُ فَاصْطَبَقُوا اللَّهَ
لَسَكَانَ حَبْرًا لَهْمُ ۝ فَمَنْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصْمَوْا وَآعَمَّوْا أَنْبَصَرْتُمْ ۝ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ
أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ إِنْ الَّذِينَ ارْتَدَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْهُدَى السَّيِّئِينَ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ
لَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آتَمُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَآخِطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَتَهُمْ ۝

[٢١، ٢٠] ويقول الذين آمنوا بالله ورسوله: هلأ نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد الكفار، فإذا أنزلت سورة محكمة بالبيان والفرائض وذكر فيها الجهاد، رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله ونفاق ينظرون إليك -أيها النبي- نظر الذي قد غشي عليه خوف الموت، فأول هؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يطيعوا الله، وأن يقولوا قولاً موافقاً للشرع. فإذا رجع القتال وجاء أمر الله بقرضه كره هؤلاء المنافقون ذلك، فلو صدقوا الله في الإيمان والعمل لكان خيراً لهم من العصية والمخالفة.

[٢٢] فلعلكم إن أعرضتم عن كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به وتفسكوا الدماء، وتقطعوا أرحامكم.

[٢٣] أولئك الذين أبعدهم الله من رحمة، فجعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلم يتبينوا حجج الله مع كثرتها.

[٢٤] أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواضع القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلقة لا يصل إليها شيء من معاني هذا القرآن، فلا تدبر مواضع الله وعبره.

[٢٥] إن الذين ارتدوا عن الهدى والإيمان، ورجعوا على أعقابهم كفاراً بالله من بعد ما وضح لهم الحق، الشيطان زين لهم خطاياهم، ومد لهم في الأمل.

[٢٦] ذلك الإمداد لهم حتى يتمادوا في الكفر؛ بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله وأمر رسوله، والله تعالى يعلم ما يخفيه هؤلاء ويسرونه، فليحذر المسلم من طاعة غير الله فيما يخالف أمر الله سبحانه، وأمر رسوله محمد ﷺ.

[٢٧] فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم؟

[٢٨] ذلك العذاب الذي استحقوه ونالوه؛ بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله عليهم من طاعة الشيطان، وكرهوا ما يرضيه عنهم من العمل الصالح، ومنه قتال الكفار بعد ما اقترضه عليهم، فأبطل الله ثواب أعمالهم من صدقة وصلة رحم وغير ذلك.

[٢٩] بل أظن المنافقون أن الله لن يخرج ما في قلوبهم من الحسد والحقد للإسلام وأهله؛ بل فإن الله يميز الصادق من الكاذب.

[٣٠] ولو نشاء - أيها النبي - لأريناك أشخاصهم، فلعرفتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفتهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم. والله تعالى لا تخفى عليه أعمال من أطاعه ولا أعمال من عصاه، وسيجازي كلًا بما يستحق.

[٣١] ولنختبرنكم - أيها المؤمنون - بالقتال والجهاد لأعداء الله حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز أهل الجهاد منكم والصبر على قتال أعداء الله، ونختبر أقوالكم وأفعالكم، فيظهر الصادق منكم من الكاذب. [٣٢] إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وخالفوا رسول الله ﷺ، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله، لن يضروا دين الله شيئاً، وسيبطل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

[٣٣] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ يَسِيرًا فَغُرَّتْهُمُ بِسِيمَاهُمْ وَتَعَرَّفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَعْبَادَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاءَ فِرْقَانًا يَتَّبِعَت لُهُمْ الْهَدَىٰ لَنْ يُضِلُّوا اللَّهُ سَخِيبًا وَسَيُخِيطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ شَرًّا مَاتُوا وَهُمْ كَمَا مَاتَ قَلْبُ يَحْيَىٰ لِلَّهِ لَهْنٌ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْشُرِ الْأَعْلَانِ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرُكَنَّ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَدْرِيْنَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا تَبْتَغُوا بِهَا حَيَاةً دُنْيَاً وَتَبْتَغُوا بِهَا حَيَاةً آخِرَةً وَلَا تَسْتَأْذِنُوا لَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا تَسْتَأْذِنُوا فِي خَيْفِكُمْ تَبْتَغُوا وَيُخْرِجُ أَصْحَابَكُمْ ﴿٣٨﴾ هَذَا نَشْرُ هَذِهِ تَدْعُونَ لِتُبْتَغُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ كَفَرَ مِنْ بَيْنِكُمْ وَمَنْ يَبْتَغِ فَإِنَّمَا يَبْتَغِ لِنَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٩﴾

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في أمرهما ونهيهما، ولا تبطلوا ثواب أعمالكم بال كفر والمعاصي.

[٣٤] إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له وصدوا الناس عن دينه، ثم ماتوا على ذلك، فلن يغير الله لهم، وسيعذبهم عقاباً لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

[٣٥] فلا تضعفوا - أيها المؤمنون بالله ورسوله - عن جهاد المشركين، وتجنبنا عن قتالهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم، والله تعالى معكم بنصره وتأييده. وفي ذلك إشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء. ولن يُنقصكم الله ثواب أعمالكم.

[٣٦، ٣٧] إنما الحياة الدنيا لعب وغرور. وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتعتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يؤتكم ثواب أعمالكم. ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعها في الزكاة، بل يسألكم إخراج بعضها. إن يسألكم أموالكم، فيلج عليكم ويجهدكم، تبخلوا بها وتسعوا إياها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذلك.

[٣٨] ها أنتم - أيها المؤمنون - تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم من يبخل بالنفقة في سبيل الله، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه. والله تعالى هو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه، وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلككم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم.

[سورة الفتح]

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
 وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا بَيِّنَاتٍ مَعَ بَيِّنَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ جُنُودَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيُنزِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
 بِاللَّهِ طَرَفَ السَّيْفِ عَلَيْهِمْ ذَاهِبَةُ السَّيْفِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَاللَّهُ جُنُودَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۗ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝

[١] إنا فتحنا لك -أيها الرسول- فتحاً مبيناً، يظهر الله فيه دينك، وينصرك على عدوك، وهو هدية «الحديبية» التي آمن الناس بسببها بعضهم بعضاً، فانتصت دائرة الدعوة لدين الله، وتمكن من يريد الوقوف على حقيقة الإسلام من معرفته، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا، ولذلك ساء الله فتحاً مبيناً، أي ظاهراً جلياً.

[٢، ٣] فتحنا لك ذلك الفتح، ويصرفه لك، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة، وبما تحملته من المشقات، ويتم نعمته عليك بإظهار دينك ونصرته على أعدائك، ويرشدك طريقاً مستقيماً من الدين لا عوج فيه، وينصرك الله نصراً قوياً لا يقصف فيه الإسلام.

[٤] هو الله الذي أنزل الطمانينة في قلوب المؤمنين

بالله ورسوله يوم «الحديبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها، ليزدادوا تصديقاً لله واتباعاً لرسوله مع تصديقهم واتباعهم. ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض ينصر بهم عباده المؤمنين. وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه.

[٥] ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كثر فيها أبداً، ويمحو عنهم سيئ ما عملوا، فلا يعاقبهم عليه، وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وطقراً بكل مطلوب.

[٦] ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون ظناً سيئاً بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يظهر دينه، فعلى هؤلاء تدور دائرة العذاب وكل ما يسوءهم، وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعد لهم نار جهنم، وساءت منزلأ يصيرون إليه.

[٧] ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض يؤيد بهم عباده المؤمنين. وكان الله عزيزاً على خلقه، حكيماً في تدبير أموره.

[٨، ٩] إنا أرسلناك -أيها الرسول- شاهداً على أمتك بالبلاغ، مبيناً لهم ما أرسلناك به اليهم، ومبشراً لمن أطاعك بالجنة، ونذيراً لمن عصاك بالعقاب العاجل والأجل، لتؤمنوا بالله ورسوله، وتنصروا الله بنصر دينه، وتعظموا الله، وتسبحوه أول النهار وآخره.

[١٠] إن الذين يبايعونك - أيها النبي - بالهدية على القتال إنسا يبايعون الله، ويعقدون العقد معه ابتغاء جنته ورضوانه، يد الله فوق أيديهم، فهو معهم يسبح أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضآئيرهم وظواهرهم، فمن نقض بيعته فإنما يعود وبال ذلك على نفسه، ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه محمد ﷺ، فسيعطيه الله ثواباً جزيلاً، وهو الجنة، وفي الآية إثبات صفة اليد لله تعالى بما يليق به سبحانه، دون تشبيهه ولا تكييف.

[١١] يقول لك - أيها النبي - الذين تخلفوا من الأعراب عن الخروج معك إلى مكة إذا عاتبتم: شغلنا أموالنا وأهلنا، فاسأل ربك أن يغفر لنا تخلفنا، يقولون ذلك بالسنتم، ولا حقيقة له في قلوبهم، قل لهم: فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم شراً أو خيراً؟ ليس الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم ما انطوت عليه بواطنهم من

إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بَدَأَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ. وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ وَفَى بِهِ فَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلَانَا فَاسْتَفْزِفُوا لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّتْرِ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلِ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَعْيُنِهِمْ أَبَدًا وَوَعَىٰ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُفِرْتُمْ بَوْمًا ۝ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۝ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَابِرِنَا أَخَذْتُمُوهُنَّ ذُرُونًا تَتَّبِعُنَّكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ فَلَنْ تَبْدِيلُهَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُّ رَبَّنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝

النفاق، بل إنه سبحانه كان بما يعملون خبيراً، لا يخفى عليه شيء، من أعمال خلقه.

[١٢] وليس الأمر كما زعمتم من انشغالكم بالأموال والأهل، بل إنكم ظنتم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سيهلكون، ولا يرجعون إليكم أبداً، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم، وظنتم ظناً سيئاً أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على أعدائهم، وكنتم قوماً هلكي لا خير فيكم.

[١٣] ومن لم يصدق بالله وبما جاء به رسوله ﷺ ويعمل بشرعه، فإنه كافر مستحق للعقاب، فإننا أعددنا للكافرين عذاب السعير في النار.

[١٤] والله ملك السموات والأرض وما فيهما، يتجاوز برحمته عن من يشاء فيستر ذنوبه، ويعذب بعدله من يشاء، وكان الله سبحانه وتعالى غفوراً لمن تاب إليه، رحيماً به.

[١٥] يقول المخلفون إذا انطلقت - أيها النبي - أنت وأصحابك إلى غناتم «خير» التي وعدكم الله بها: أتركنا نذهب معكم إلى «خير»، يريدون أن يغيروا بذلك وعد الله لكم، قل لهم: لن نخرجوا معنا إلى «خير»، لأن الله تعالى قال لنا من قبل رجوعنا إلى «المدينة»: إن غناتم «خير» هي لمن شهد «الهدية» معنا، فسيقولون: ليس الأمر كما تقولون، إن الله لم يأمركم بهذا، إنكم تمنوننا من الخروج معكم حسداً منكم؛ لئلا نصيب معكم الغنيمة، وليس الأمر كما زعموا، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وما عليهم من أمر الدين إلا يسيراً.

[١٦] قل للذين تخلفوا من الأعراب - وهم البدو - عن القتال: سئذعون إلى قتال قوم أصحاب بأس شديد في القتال، تقاتلونهم أو يسلمون أو غير قتال، فإن تطيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتال هؤلاء القوم يؤتكم الجنة، وإن تعصوه كما فعلتم حين تخلفتم عن السير مع رسول الله ﷺ إلى مكة، يعذبكم عذاباً موجعاً.

[١٧] ليس على الأعمى منكم - أيها الناس - إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم في أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذاباً مؤلماً موجعاً. [١٩، ١٨] لقد رضي الله عن المؤمنين حين يابعوك - أيها النبي - تحت الشجرة - وهذه هي بيعة الرضوان

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سئذعونَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ أَبْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسَنًا وَإِن تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِن قَبْلُ يُعَذِّبُكُم عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ عَذَابَ اللَّهِ أَلِيمًا ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَ وَهِيَ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّ كُرْهُهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُ وَهِيَ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَىٰ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَأُخْرَى لِرَتْقِدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ تَوَلَّوْا لَأَبْرِئْتُمْ لَآئِحْدُرْتُمْ وَإِنَّا لَآتِيْنَ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلُ وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝

في «الحديبية» - فعلم الله ما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الإيمان والصدق والوفاء، فأنزل الله الطمأنينة عليهم وثبت قلوبهم، وعوضهم عمافاتهم بصلح «الحديبية» فتحاً قريباً، وهو فتح «خير»، ومغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود «خير». وكان الله عزيزاً في انتقامه من أعدائه، حكيماً في تدبير أمور خلقه.

[٢٠-٢٢] وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في أوقاتها التي قدرها الله لكم فعجل لكم غنائم «خير». وكف أيدي الناس عنكم، فلم ينلکم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال، ومن أن ينالوا من تركتموهم وراءكم في «المدينة»، ولتكون هزيمتهم وسلامتكم وغنيمتكم علامة تعتبرون بها، وتستدلون على أن الله حافظكم وناصركم، ويرشدكم طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه. وقد وعدكم الله غنيمه أخرى لم تقدروا عليها، الله سبحانه وتعالى قادر عليها، وهي تحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، ولا بد من وقوع ما وعد به. وكان الله على كل شيء قديراً لا يعجزه شيء. ولو قاتلكم كفار قريش ب«مكة» لانهمزوا عنكم وألوكم ظهورهم، كما يفعل المنهزم في القتال، ثم لا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا يواليتهم على حربكم، ولا نصيراً يعينهم على قتالكم.

[٢٣] سنَّه الله التي سنَّها في خلقه من قبل بنصر جنده وهزيمة أعدائه، ولن تجد - أيها النبي - لسنة الله تغييراً.

[٢٤] وهو الذي كَفَّ أيدي المشركين عنكم. وأيديكم عنهم بـ «الحديبية» غرب مكة، من بعد ما قد زَمَ عليهم، فصاروا تحت سلطانكم. وهؤلاء المشركون هم الذين خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ بـ «الحديبية»، فأمسكهم المسلمون ثم تركوهم ولم يقتلوهم، وكانوا نحو ثمانين رجلاً. وكان الله بأعمالكم بصيراً، لا تخفى عليه خافية.

[٢٥] كفار قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصُدُّوكم يوم «الحديبية» عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى، وحبسوا، أن يبلغ محلَّ محرم. وهو الحرم. ولسوا رجال مؤمنون مستضعفون ونساء مؤمنات بين أظهر هؤلاء الكافرين بـ «مكة»، يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم، لم تعرفوهم؛ خشية أن تطوَّروهم بجيشكم فتقتلوهم، فيصيبيكم بذلك القتل إثم وعيب وغرامة بغير علم، لَكُنَّا سُلْطَانَكُمْ عَلَى الْمَشْرِكِينَ؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء فَيَمُنَّ عليهم بالإيمان بعد الكفر، لو تميَّز هؤلاء

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَبْعِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هَذِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُومًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَافْتَقَلُّوهُمُ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَبِصِيْبِكُمْ فَمَنْ مَعَ رَسُولِهِ إِذِ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٥﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَابِثِينَ مُطْلِقِينَ زُهًا وَكُرْهُمُ وَمَقْصُرِينَ لَآتِحًا فُورًا فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٦﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٧﴾

المؤمنون والمؤمنات عن مشركي «مكة» وخرجوا من بينهم. لعدبنا الذين كفروا وكذبوا منهم عذاباً مؤلماً موجعاً. [٢٦] إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الأتفة أنفة الجاهلية؛ لتلا يقرُّوا برسالة محمد ﷺ، ومن ذلك امتناعهم أن يكتبوا في صلح «الحديبية» «بسم الله الرحمن الرحيم» وأبوا أن يكتبوا «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فأنزل الله الطمانينة على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين معه. وألزمهم قول «لا إله إلا الله» التي هي رأس كل تقوى، وكان الرسول ﷺ والمؤمنون معه أحقَّ بكلمة التقوى من المشركين، وكانوا كذلك أهل هذه الكلمة دون المشركين. وكان الله بكل شيء عليمًا لا يخفى عليه شيء.

[٢٧] لقد صدق الله رسوله محمداً ﷺ رؤيا التي أراها إياها بالحق لتدخلنَّ أنت وأصحابك بيت الله الحرام آمنين، لا تخافون أهل الشرك، محلِّقين رؤوسكم ومقصرين، فعلم الله من الخير والمصلحة - في صرفكم عن «مكة» عامكم ذلك ودخولكم إليها فيما بعد - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون دخولكم «مكة» الذي وعدتم به. فتحاً قريباً. وهو هدنة «الحديبية» وفتح «خير».

[٢٨] هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ، بالبيان الواضح ودين الإسلام؛ ليُعلِّمه على الملل كلها، وحسبك - أيها الرسول - بالله شاهداً على أنه ناصرك ومظهر دينك على كل دين.

[٩١] محمد رسول الله، والذين معه أشد على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً لله في صلواتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائماً على سيقانه جميلاً منظره، يعجب الزراع، ليعيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة - رضي الله عنهم -: لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وجد في حقه موجب العيظ، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثواباً جزيلاً لا ينقطع، وهو الجنة. ووعد الله حق مصدق لا يخلف، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة. رضي الله عنهم وأرضاهم.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَةً بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مُنَافِقُ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي
الْإِنْجِيلِ كَرِزٍ أُخْرِجَ سَطْفَهُ، فَآزَرَهُ، فَأَنْغَلَظَ، فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْقِهِ، يُفْجِعُ الْزَّرْعَ لِيُعْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩١﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا فِي يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَقْفُونَ أصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

[سورة الحجرات]

- [١] يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تقضوا أمراً دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا. وخافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم. وفي هذا تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يُشَرِّعُوا ما لم يأذن به الله.
- [٢] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعة، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له، ولا تجهروا ببناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميزوه في خطابه كما تميز عن غيره في اصطفايته لحمل رسالة ربه، ووجوب الإيمان به، ومحبتة وطاعته والاعتقاد به؛ خشية أن تبطل أعمالكم، وأنتم لا تشعرون. ولا تحسبون بذلك.
- [٣] إن الذين يخفون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين اختبر الله قلوبهم، وأخلصها لتقواه، لهم من الله مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل، وهو الجنة.
- [٤] إن الذين ينادونك -أيها النبي- من وراء حجراتك بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺ، وتوقيره.

[٥] ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم عند الله؛ لأن الله قد أمرهم بتوقيرك، والله غفور لما صدر عنهم جهلاً منهم من الذنوب والإخلال بالأداب، رحيم بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٦] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن جاءكم فاسق بغير فتنتوا من خبره قبل تصديقه ونقله حتى تعرفوا صحته؛ خشية أن تصيبوا قوماً برأء مجنأية منكم، فتندموا على ذلك.

[٧] واعلموا أن بين أظهركم رسول الله ﷺ فتأدبوا معه؛ فإنه أعلم منكم بما يصلح لكم، يريد بكم الخير، وقد تريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، لو يطيعكم في كثير من الأمر مما تختارونه لأدى ذلك إلى مشقتكم، ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وحسنه في قلوبكم، فأمنتم، وكره إليكم الكفر بالله والخروج عن طاعته، ومعصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق.

[٨] وهذا الخير الذي حصل لهم فضل من الله عليهم ونعمة، والله عليهم بمن يشكر نعمه، حكيم في تدبير أمور خلقه.

[٩] وإن طانفتان من أهل الإيمان فأصلحوا -أيها المؤمنون- بينهما بدعوتكما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والرضا بحكماهما، فإن اعتدت إحدى الطائفتين وأبت الإجابة إلى ذلك، فقاتلها حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإنصاف، واعدلوا في حكمكم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله، إن الله يحب العادلين في أحكامهم القاضين بين خلقه بالقسط. وفي الآية إثبات صفة المحبة لله على الحقيقة، كما يليق بجلاله سبحانه.

[١٠] إنما المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا، وخافوا الله في جميع أموركم؛ رجاء أن ترحموا. [١١] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيراً من الهازئين، ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات؛ عسى أن يكون المهزوء به منهن خيراً من الهازنات، ولا يئيب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضاً بما يكره من الألقاب، بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو السخرية واللمز والتنايز بالألقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه؛ ومن لم يتب من هذه السخرية واللمز والتنايز والفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا قَعَلْتُمْ تَدْمِيمًا ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنُرْسِلْكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَبِئُ بِالْبُكَرِ الْإِيمَانِ وَرِزْقِهِ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّذِيذُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهِنَ اللَّهُ وَبِعَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا إِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَأْتِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مَفْعُولَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْضُوا إِلَيْهِ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَانِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَخَفَ قَوْمٌ مِن قُوَّةِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَبَأٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْكُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بئسَ الْإِنْسَانُ أَلْفُوسُوفٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

[١٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمَلُوا بِشَرَعِهِ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنْ ظُنِّ السُّوءِ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ بَعْضَ ذَلِكَ الظَّنُّ إِثْمٌ، وَلَا تُفْتَنُوا عَنْ عُرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَقْبَلُ بَعْضُكُمْ فِي بَعْضٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا يَكْرَهُ. أَحِبُّ أَحَدَكُمْ أَكَلُ لَحْمِ أَخِيهِ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَانْتُمْ تَكْرَهُونَ ذَلِكَ، فَارْكَبُوا اغْتِيَابَهُ، وَخَافُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ. إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلَى عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

[١٣] يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ آبٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ، وَأُمُّ وَاحِدَةٌ هِيَ حَوَاءٌ.. فَلَا تَفَاضَلُ بَيْنَكُمْ فِي النِّسْبِ، وَجَعَلْنَاكُمْ بِالتَّنَاسُلِ شُعوبًا وَقِبَائِلَ مُتَعَدِّدَةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَشَدُّكُمْ اتِّقَاءً لَهُ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. خَيْرٌ بِهِمْ.

[١٤] قَالَتِ الْأَعْرَابُ -رَهْمُ الْبَدْوِ-: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إيمَانًا كَامِلًا، قُلْ لَهُمْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ-: لَا تَدَّعُوا لِأَنْفُسِكُمُ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ. وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا. وَلَمْ يَدْخُلْ بَعْدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ. وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ

يَتَّيِبُوا إِلَيْهِمْ، آمَنُوا وَاجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ. إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَئِضُكُمُ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقِبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا قُلْ لَوْ تَوَضَّعْنَا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلَيْتَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وَرَسُولَهُ لَا يَنْفَصُّكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، رَحِيمٌ بِهِ. وَفِي الْآيَةِ زَجْرٌ لِمَنْ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ. وَمَتَابَعَةُ السَّنَةِ وَأَعْمَالُهُ تَشْهَدُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

[١٥] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَعَمَلُوا بِشَرَعِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَبَدَلُوا نَفَاقَسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ.

[١٦] قُلْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ- لِهَوْلَاءِ الْأَعْرَابِ: أُتَخَّرُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَبِمَا فِي ضِمَانِكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؟ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ. وَالْبِرُّ أَوْ الْفُجُورِ.

[١٧] يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ عَلَيْكَ -أَيُّهَا النَّبِيُّ- بِإِسْلَامِهِمْ وَمَتَابَعَتِهِ وَنَصْرَتِهِمْ لَكَ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ دَخُولِكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ. وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ عَلَيْكُمْ فِيهِ أَنْ وَفَّقَكَ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ. إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ.

[١٨] إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، إِنْ خَيْرًا أَوْ شَرًّا فَحَسْرَةً.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ نَعْبُدُوهُ أَنَّ جَاءَهُ مُنذَرٌ مِّنْهُنَّ
فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَسْيٌ ۝ أَهَ إِسْتِثْنَاءٌ وَكُنَّا نَتَرْتَابُ ۚ ذَٰلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ ۚ فَذَعَلْنَا مَا تَفْتَضُ الْأَرْضُ مِنْهُنَّ وَعِدْنَا كَذِبٌ
حَفِظْتُ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ۝
أَفَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۚ إِلَى السَّمَاءِ فَوَقَّهِنَّ كَعِيقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ
وَأَنْشَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَتَّى الْأَعْيَادِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِزْقًا
لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّثْلَ كَذَٰلِكَ الْمُرُوجِ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمَهُنَّ
قَوْمٌ نُوحٍ ۚ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقَوْمُ ثَمُودَ ۚ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ۚ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝
وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝
أَفَعَصَيْنَا يَا خَلْقَ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

[سورة ق]

[١] ﴿ق﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
أقسم الله تعالى بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف.
[٢] بل عجب المكذبون للرسول ﷺ أن جاءهم منذر منهم ينذرهم عقاب الله، فقال الكافرون بالله ورسوله: هذا شيء مستغرب يتعجب منه.
[٣] إذا متنا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ ذلك رجوع بعيد الوقوع.
[٤] قد علمنا ما تنقص الأرض ونفني من أجسامهم، وعدنا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، بكل ما يجري عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.
[٥] بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن حين جاءهم، فهم في أمر مضطرب مختلط، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار.
[٦] أغفلوا حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم، كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة

البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب؟

[٧] والأرض وسفناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبلاً فوابت: لنلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يُشتر ويبيع الناظر إليه.

[٨] خلق الله السموات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة عبرة يُتبصر بها من عمى الجهل، وذكرى لكل عبد خاضع خائف وجل، رجّاع إلى الله عز وجل.

[٩] ونزلنا من السماء مطراً كثير المنافع، فأنبتنا به يساتين كثيرة الأشجار، وحب الزرع المحصود.

[١٠] وأنبتنا النخل طوالاً، لها طلع متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] أنبتنا ذلك رزقاً للعباد يقاتون به حسب حاجاتهم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات، كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

[١٢-١٤] كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش قوم نوح وأصحاب البئر وشمود، وعاد وفرعون وقوم لوط، وأصحاب الأيكة قوم شعيب، وقوم تُبَّع الجنيري، كل هؤلاء الأقوام كذبوا رسلهم، فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم.

[١٥] أفغفرتنا عن ابتداء الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن شيئاً، فتعجز عن إعادتهم خلقاً جديداً بعد فناءهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل نحن عليه قادرون، ولكنهم في حيرة وشك من أمر البعث والنشور.

[١٦] ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما نخبث به نفسه، ونحن أقرب إليه متصل بالقلب.

[١٧] حين يكتب الملك المترصدان عن يمينه وعن شماله أعماله. فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

[١٨] ما يلفظ من قول فيتكم به إلا لديه ملك يرقب قوله، ويكتبه، وهو ملك حاضر مُعَدُّ لذلك.

[١٩] وجاءت شدة الموت وعُثْرته بالحق الذي لا مرد له ولا مناص. ذلك ما كنت منه -أيها الإنسان- تهرب وتروغ.

[٢٠] ونفخ في «القرن» نفخة البعث الثانية، ذلك النفخ في يوم وقوع الوعيد الذي توعد الله به الكفار.

[٢١] وجاءت كل نفس معها ملكان، أحدهما يسوقها إلى المحشر، والآخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.

[٢٢] لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان، فكشفنا عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فزال الغفلة عنك، فبصرك اليوم فيما تشهد قوي شديد.

[٢٣] وقال المَلَكُ الكاتب الشهيد عليه: هذا ما عندي من ديوان عمله، وهو لدي مُعَدُّ محفوظ حاضر.

[٢٤-٢٦] يقول الله للملكين السائق والشهيد بعد أن يفصل بين الخلائق: ألقيا في جهنم كل جاحد. كثير الكفر والتكذيب بالله، الذي أشرك بالله، فعبد معه معبوداً آخر من خلقه، فآلقيا في عذاب جهنم الشديد.

[٢٧] قال شيطانه الذي كان معه في الدنيا: ربنا ما أضللتنا، ولكن كان في طريق بعيد عن سبيل الهدى.

[٢٨] قال الله تعالى: لا تختصموا لدي اليوم في موقف الجزاء والحساب: إذا لا فائدة من ذلك، وقد قَدُمْتُ إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر في وعصاني.

[٢٩] ما يُعَيَّرُ القول لدي، ولست أعدب أحداً بذنب أحد، فلا أعدب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

[٣٠] اذكر -أيها الرسول- لقومك يوم تقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وتقول جهنم: هل من زيادة من الجن والإنس؟ فيضع الرب -جل جلاله- قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطُّ قَطُّ، أي: حَسْبِي. قد امتلأت ليس في مزيد.

[٣١] وقُرِبت الجنة للمتقين مكاناً غير بعيد منهم، فهم يشاهدونها زيادة في المسرة لهم.

[٣٢، ٣٣] يقال لهم: هذا الذي كنتم توعدون به -أيها المتقون- لكل تائب من ذنوبه، حافظ لكل ما قُرِبه إلى ربه، من الفرائض والطاعات، من خاف الله في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه.

[٣٤] ويقال لهؤلاء المؤمنين: ادخلوا الجنة دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشُرور، مأموناً فيه جميع المكاره. ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع.

[٣٥] لهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّسُ بِهِ، نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقُّ الْمُتَلَقِّينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
 قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيبٌ ﴿١٨﴾ وَسَاءَتْ سَكْرَةُ
 الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ
 الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ أَقْدَمْتِ
 فِي غَفْلَةٍ مِمَّنْ هَذَا فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
 وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عِيبٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَارِ عِيبِ
 مُتَّبِعٍ ﴿٢٤﴾ لِلَّحْمِ مَغْتَرِبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 فَالْقِيَادُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَظْهَرْتُمُوهُ وَلَكِنْ
 كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ
 بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّعِبِيدٍ ﴿٢٩﴾ تَوَدَّ
 نَقُولَ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
 لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾
 مَنْ حَسْبِيَ الرَّحْمَنُ الْعَلِيمُ ﴿٣٣﴾ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٤﴾ ادْخُلُوهَا
 بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٥﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٦﴾

[٣٦] وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أمماً كثيرة. كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فظفروا في البلاد وسلكوا كل طريق؛ طلباً للهرب من الهلاك، هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟

[٣٧] إن في إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن كان له قلب يعقل به، أو أصغى السمع. وهو حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساي.

[٣٨] ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام، وما أصابنا من ذلك الخلق تعب ولا نصب. وفي هذه القدرة العظيمة دليل على قدرته - سبحانه - على إحياء الموق من باب أولى.

[٣٩، ٤٠] فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون، فإن الله لهم بالمرصاد. وصل - لربك حامداً له - صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب، وصل من الليل. وسبح بحمد ربك عقب الصلوات.

[٤١، ٤٢] واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي الملك بنفخه في «القرن» من مكان قريب، يوم يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء، ذلك يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

[٤٣، ٤٤] إننا نحن نحيي الخلق ونميتهم في الدنيا، والينا مصيرهم جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء، يوم تتصدع الأرض عن الموق المقبورين بها، فيخرجون مسرعين إلى الداعي. ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير.

[٤٥] نحن أعلم بما يقول هؤلاء المشركون من افتراء على الله وتكذيب بآياته، وما أنت - أيها الرسول - عليهم بمسلط؛ لنجبرهم على الإسلام، وإننا بعثت مبلغاً، فذكر بالقرآن من يخشى وعيدي؛ لأن من لا يخاف الوعيد لا يذكر.

[سورة الذاريات]

[٦-١] أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب، فالسحب الحاملات بثقلها عظيماً من الماء. فالسفن التي تجري في البحار جرياً ذا يسر وسهولة، فالملائكة التي تُقسَّم أمر الله في خلقه، إن الذي توعدون به - أيها الناس - من البعث والحساب لكانن حق يقين، وإن الحساب والثواب على الأعمال لكانن لا محالة.

وَكُرْهُلِكُمْ نَارَ قَهْرٍ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَسَتَسْمَعُ يَوْمَئِذٍ نَادٍ مِنَ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهِمْ وَالْبَيْتَ الْمَعْبُودِ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَشْفُقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ فَيَسْرَتَا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ تَخَافَ مِنْ عِبَادٍ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّرِيَّتِ دَرُودًا ﴿١﴾ فَالْحَمِيَّتِ وَقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَّتِ نَسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسِيَّتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَأَرَادُوا

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْكُرْسِيِّ ۗ إِنَّكُمْ لَرْبِّ قَوْلٍ مُخْتَلِفٌ ۙ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ
 أَنْفِكُمْ ۗ قِيلَ الْخَرِصُونَ ۗ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمْ سَاهُونَ ۗ يُسْتَأْذِنُونَ
 أَنْ يَنْزِعُوا مِنَ الْمَدِينِ ۗ وَهُمْ ضَرْبُ الْمُنَافِقِينَ ۗ أُولَئِكَ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ
 الَّذِينَ كَتَبُوهُمْ فِي كِتَابِ الْغَيْبِ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُورُونَ ۗ
 يَا خِزْيَانِ مَاءِ السَّمَاءِ انزِلْهُمُ بِمَنَهُمْ فَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكُمْ ۗ وَإِذْ
 كَانُوا قَبِيلًا مِنَ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ۗ وَاللَّيْلُ مَا يَتَّبِعُونَكَ ۗ وَاللَّيْلُ مَا يَتَّبِعُونَكَ
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۗ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
 لِلْمُتَوَقِّينَ ۗ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۗ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا
 وَمَاءً عَذُوبًا ۗ وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
 تَنْطَفِقُونَ ۗ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۗ إِذْ
 دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۗ وَذَاعَ إِلَى
 أَهْلِهِمْ نَجْوَاهُ يَجْعَلُ سَمِينَ ۗ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمُ قَالَ لَا تَأْكُلُوا ۗ
 فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالَوَا لَا تَحْزَنْ وَنَشْرُوهُ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ۗ
 فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُمْ فِي صَرَّةٍ وَقَصَّكَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمَةٌ ۗ
 قَالُوا كَيْدُكَ قَالَ رَبِّي قَالَ إِنَّهُ هُوَ الْكَاذِبُ الْعَقِيمُ ۗ

(٧-٩) وأقسم الله تعالى بالسماة ذات الخلق الحسن، إنكم -أيها المكذوبون- لفي قول مضطرب في هذا القرآن، وفي الرسول ﷺ. يُصرف عن القرآن والرسول ﷺ من صرف عن الإيمان بهما؛ لإعراضه عن أدلة الله وبراهينه اليقينية فلم يوقف إلى الخير.

(١٠، ١١) لعين الكذابون الظنون غير الحق، الذين هم في لجة من الكفر والضلالة غافلون متمادون.

(١٢) يسأل هؤلاء الكذابون سؤال استبعاد وتكذيب: متى يوم الحساب والجزاء؟

(١٣، ١٤) يوم الجزاء يوم يُعذبون بالإحراق بالنار، ويقال لهم: ذوقوا عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.

(١٥، ١٦) إن الذين اتقوا الله في جنات عظيمة، وعيون ماء جارية، أعطاهم الله جميع مناهم من أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، فرحة به نفوسهم، إنهم كانوا قبل ذلك النعيم محسنين في الدنيا بأعمالهم الصالحة.

(١٧، ١٨) كان هؤلاء المحسنون قليلاً من الليل ما ينامون، يُضلون لربهم قانتين له، وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله من ذنوبهم.

(١٩) وفي أمواتهم حق واجب ومستحب للمحتاجين: الذين يسألون الناس، والذين لا يسألونهم حياة.

(٢٠) وفي الأرض عبر ودلائل واضحة على قدرة خالقها لأهل اليقين بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والمصدقين لرسوله ﷺ.

(٢١) وفي خلق أنفسكم دلائل على قدرة الله تعالى، وعبر تدلّكم على وحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العبادة سواه، أعفّلتُم عنها، فلا تبصرون ذلك، فتعترون به؟

(٢٢) وفي السماة رزقكم وما توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب، وغير ذلك كله مكتوب مقدّر.

(٢٣) أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة إن ما وعدكم به حق، فلا تُشكروا فيه كما لا تُشكرون في نطقكم.

(٢٤، ٢٥) هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم -وكانوا من الملائكة الكرام- حين دخلوا عليه في بيته، فحيّو: قائلين له: سلاماً، فردّ عليهم التحية قائلاً: سلام عليكم، أنتم قوم غرباء، لا نعرفكم.

(٢٦-٢٨) فعدّل ومال خفية إلى أهله، فعمد إلى عجل سمين فدبحه، وشواء بالنار، ثم وضعه أمامهم، وتلطف في دعوتهم إلى الطعام قائلاً: ألا تأكلون؟ فلما رآهم لا يأكلون أحسّ في نفسه خوفاً منهم، قالوا له: لا تحفّ بنا رسل الله، وبشروا بأن زوجته ستارّة ستلد له ولداً، سيكون من أهل العلم بالله وبيدنه، وهو إسحاق عليه السلام.

(٢٩، ٣٠) فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة أقبلت نحوهم في صيحة، فلطفت وجهها تعجباً من هذا الأمر، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد؟ قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك، وهو القادر على ذلك، فلا عجب من قدرته، إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، العليم بمصالح عباده.

[٣٤-٣٦] قال إبراهيم عليه السلام للأنيسة الله: ما شأنكم وفيهم أرسلتم؟ قالوا: إن الله أرسلنا إلى قوم قد أجرموا لكفرهم بالله؛ لنهلكهم بمجاعة من طين متحجّر، معلّمة عند ربك لهؤلاء المتجاوزين الحدّ في الفجور والعصيان.

[٣٥] فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من أهل الإيمان.

[٣٦] فما وجدنا في تلك القرية غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط عليه السلام.

[٣٧] وتركنا في القرية المذكورة أثراً من العذاب باقياً علامة على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة، وذلك عبرة لمن يخافون عذاب الله المؤلم المومع.

[٣٨، ٣٩] وفي إرسالنا موسى إلى فرعون وملئه بالآيات والمعجزات الظاهرة آية للذين يخافون العذاب الأليم، فأعرض فرعون مغترّاً بقوته وجانبه، وقال عن موسى: إنه ساحر أو مجنون.

[٤٠] فأخذنا فرعون وجنوده، فطرحناهم في البحر، وهو آت ما يلام عليه؛ بسبب كفره وجحوده وفجوره.

[٤١، ٤٢] وفي شأن عاد وإهلاكهم آيات وعبر لمن تأمل،

إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا بركة فيها ولا تأتي بخير، ما تدع شيئاً مرّت عليه إلا صيرته كالشيء البالي.

[٤٣، ٤٤] وفي شأن ثمود وإهلاكهم آيات وعبر، إذ قيل لهم- والقائل نبيهم صالح عليه السلام:- تمثّعوا في داركم ثلاثة أيام حتى تنتهي آجالكم، فعضوا أمر ربهم، فأخذتهم صاعقة العذاب، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم.

[٤٥] فما أمكنهم الهرب ولا النهوض مما هم فيه من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم.

[٤٦] وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء، إنهم كانوا موالين لأمر الله، خارجين عن طاعته.

[٤٧] والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفاً للأرض بقوة وقدرة عظيمة، وإننا لموسعون لأرجائها وأمخاتها.

[٤٨] والأرض جعلناها قرأشاً للخلق للاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن.

[٤٩] ومن كل شيء، من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين؛ لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

[٥٠] ففروا- أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بيّن الإنذار. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله.

[٥١] ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر، إني لكم من الله نذير بيّن الإنذار.

ه قال فما خلقناكم إلهنا المرسلون ﴿٥١﴾ قالوا إنا أرسلنا إلى آل قورير
نجرهمين ﴿٥٢﴾ لترسل عليهم مجاعة من طين ﴿٥٣﴾ مسومة عند ربك
للنسيئين ﴿٥٤﴾ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ﴿٥٥﴾ فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ﴿٥٦﴾ وتركنا فيها آية للذين يخافون
العذاب الآليم ﴿٥٧﴾ وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعونت بساطن
ميين ﴿٥٨﴾ فتولى بركيه وقال سحر أو مجنون ﴿٥٩﴾ فأخذته وجنوده
فنبذهم في البحر وهو مليم ﴿٦٠﴾ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح
الغصير ﴿٦١﴾ ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريمير ﴿٦٢﴾
وفي ثمود إذ قيل لهم تمثّعوا حتى بين ﴿٦٣﴾ فعزوا عن أمر ربهم
فأخذهم الصعقة وهم ينظرون ﴿٦٤﴾ فما استطاعوا من قيام
وما كانوا منتصرين ﴿٦٥﴾ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا أقوماً
قسيقين ﴿٦٦﴾ والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون ﴿٦٧﴾ والأرض
قرشناها ونعمرها مهديون ﴿٦٨﴾ ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تتذكرون ﴿٦٩﴾ فمروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴿٧٠﴾
ولا تجعلوا مع الله الهاء آخر إني لكم منه نذير مبين ﴿٧١﴾

[٥٢] كما كذبت قريش نبيها محمداً ﷺ. وقالوا: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، فعلت الأمم المكذبة رسالها من قبل قريش، فأحل الله بهم نقمته.

[٥٣] أتواصي الأولون والآخرون بالتكذيب بالرسول حين قالوا ذلك جميعاً؟ بل هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فقال متأخروهم ذلك، كما قاله متقدموهم.

[٥٤] فأعرض -أيها الرسول- عن المشركين حتى يأتيك فهم أمر الله، فما أنت بلوم من أحد، فقد بلغت ما أرسلت به.

[٥٥] ومع إعراضك -أيها الرسول- عنهم، وعدم الانضات إلى تخذيلهم، داوم على الدعوة إلى الله، وعلى وعظ من أرسلت إليهم؛ فإن التذكير والموعظة ينتفع بهما أهل القلوب المؤمنة، وفيهما إقامة الحججة على المعرضين. [٥٦] وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون من سواي.

[٥٧] ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، فأنا الرزاق المعطي، فهو سبحانه غير محتاج إلى الخلق، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم والغني عنهم.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَوَاصْوَابُهُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿٥٣﴾ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكٍ مِّنْ رَبِّكَ قَدْ خَلَقْتَ الْحَيَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٤﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٧﴾ قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مَنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٨﴾

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتَّوْرِ ﴿٥٩﴾ وَكُتِبَ مُنطَوِرٍ ﴿٦٠﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٦١﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٦٢﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٦٣﴾ وَالْبَيْخِرِ الْمَنْشُورِ ﴿٦٤﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٦٥﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴿٦٧﴾ وَسِيرَ الْجِبَالِ سِيرًا ﴿٦٨﴾ قَوْلِ نُبُوءٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزِهِ يَلْعَنُونَ ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نُدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿٧١﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ﴿٧٢﴾

[سورة الطور]

[٦-١] أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه، ويصحب مكتوب، وهو القرآن في صحف منشورة، وبالبيت المعمور في السماء باللائكة الكرام الذين يطوفون به دائماً، وبالسقف المرفوع وهو السماء الدنيا، وبالبحر المسجور المملوء بالمياه.

[٧-١٠] إن عذاب ربك -أيها الرسول- بالكفار لواقع، ليس له من مانع يمنعه حين وقوعه، يوم تتحرك السماء فيختل نظامها وتضطرب أجزاءها، وذلك عند نهاية الحياة الدنيا، وتزول الجبال عن أماكنها، وتسير كبير السحاب.

[١١، ١٢] فهلاك في هذا اليوم واقع بالمكذبين الذين هم في حوض الباطل يلعبون به، ويتخذون دينهم هزواً ولعباً. [١٣، ١٤] يوم يُدْفَعُ هؤلاء المكذبون دفعاً بعنف ومهانة إلى نار جهنم، ويقال تويخاً لهم: هذه هي النار التي كنتم بها تكذبون.

﴿١٦﴾ أفسح ما تشاهدونه من العذاب أم أنتم لا تنظرون؟ ذوقوا حرَّ هذا النار، فاصبروا على المها وشدها، أولا تصبروا على ذلك، فليس يُخَفَّفَ عنكم العذاب، ولن تخرجوا منها، سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا، إنما تُجْزَوْنَ ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿١٧﴾ إن المتقين في جنات ونعيم عظيم، يتفكحون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ المختلفة، ويُجَاهَم الله من عذاب النار.

﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ كلوا طعاماً هنيئاً، واشربوا شرباً سائغاً، جزاءً بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا، وهم متكون على سرر متقابلة، وروَّجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسناً.

﴿٢١﴾ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في الإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم في منزلتهم في الجنة، وإن لم يبلغوا عمل آبائهم؛ لتقرَّ أعين الآباء بالآبناء عندهم في منازلهم، فيجتمع بينهم على أحسن الأحوال، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم، كل إنسان مرهون بعمله، لا يحمل ذنب غيره من الناس.

﴿٢٢﴾ وزدناهم على ما ذكر من النعيم فواكه ولحوماً مما يستطاب ويُشتهي، ومن هذا النعيم أنهم يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، يتناول أحدهم صاحبه؛ ليمت بذلك سرورهم، وهذا الشراب مخالف لخر الدنيا، فلا يزول به عقل صاحبه، ولا يحصل بسببه لعو، ولا كلام فيه إنه أو معصية.

﴿٢٤﴾ ويطوف عليهم غلمان مُعَدُّون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء والبياض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه. ﴿٢٥﴾-﴿٢٨﴾ وأقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن عظيم ما هم فيه وسببه، قالوا: إنا كنا قبل في الدنيا -ونحن بين أهلينا- خائفين ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه يوم القيامة، فمسَّ الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب سؤم جهنم، وهو نارها وحرارتها، إنا كنا من قبل نضرع إليه وحده، لا نشرك معه غيره أن يقينا عذاب السؤم ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، إنه هو التَّوَّابُ الرحيم، فبن بره ورحمته إيانا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا من سخطه والنار.

﴿٢٩﴾ فذكر -أيها الرسول- من أرسلت إليهم بالقرآن، فما أتت بإنعام الله عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن يجر بالغيث دون علم، ولا مجنون لا يعقل ما يقول كما يتعدون.

﴿٣٠﴾ أم يقول المشركون لك -أيها الرسول-: هو شاعر ننتظر به نزول الموت؟ قل لهم: انتظروا موتي فإني معكم من المنتظرين بكم العذاب، وسترون لمن تكون العاقبة.

أَفَسِحْرُهُمْ أَمْ أَنشَأَ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أَضَلُّوهُمَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكَ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ بِمَا آتَيْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَوَقَدْ نَهَيْتُمْ عَنْهَا الْحَجِيمَ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ مُشْكِينَ عَلَىٰ نُرٍ مُّضْئِقَةً وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلٌّ فِي آمْرِئِهِ بِمَا كَسَبَ رَبِّهِمْ ﴿١١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِكَفَّةٍ وَحِمٍ مِمَّا بَشَرْتَهُمْ ﴿١٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَأَلْوَفِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿١٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ لَأَلْوُلُؤُكُمْ كُنُوزٌ ﴿١٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٦﴾ فَحَسَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ النَّاسُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنَعِيمٍ رَبِّكَ وَكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿١٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ مَّتَرَبِّصٌ بِهِ رَبِّي أَلْمُونٌ ﴿٢٠﴾ قُلْ تَرَضُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَضِينَ ﴿٢١﴾

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَقَهُمُ بِهِدًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
 تَقَوْلُهُمْ بَلْ لَأَنبِئُونَهُمْ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
 صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنْ عِشْرَتِي أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾
 أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ
 خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُّونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
 يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلْيَأْتُوا مُسْتَعِينًا مِمَّنْ يُسَلِّطُ فِيهِمْ ﴿٣٨﴾
 أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ سَأَلْتَهُمُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَقْرَمٍ
 مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْنُ فَيَسْمَعُونَ أَلَمْ يَسْمَعُوا أَمْ يَأْمُرُونَ
 كَيْدًا فَلَا يُدْرِكُونَ أَمْ هُمْ الْكَاذِبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَبَدَّلُ
 مَعَهُ يَوْمَ يُنْفَخُ أَصْفَاءُ السَّمَاوَاتِ سَاقِطًا
 يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٢﴾ فَذَرْنَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ
 يُصْعَقُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٤﴾
 وَإِنَّا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
 رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبُرَ النُّجُومِ ﴿٤٧﴾

[٣٢] بل أنامر هؤلاء المكذبين عقولهم بهذا القول المتناقض؟
 ذلك أن صفات الكهانة والشعر والجنون لا يمكن اجتماعها
 في أن واحد، بل هم قوم متجاوزون الحد في الظفیان.

[٣٣] بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلف محمد القرآن من
 تلقاء نفسه؟ بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه.

[٣٤] فليأتوا بكلام مثل القرآن. إن كانوا صادقين
 - في زعمهم - أن محمداً اختلفه.

[٣٥] أخلق هؤلاء المشركون من غير خالق لهم وموجد، أم
 هم الخالقون لأنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل ومستحيل.
 وبهذا يتعين أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وهو وحده
 الذي يستحق العباداة ولا تصلح إلا له.

[٣٦] أم خلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع؟
 بل هم لا يوقنون بعذاب الله، فهم مشركون.

[٣٧] أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم
 الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟
 ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء.

[٣٨] أم لهم مصعد إلى السماء يستمعون فيه الوحي بأن
 الذي هم عليه حق؟ فليأت من يزعم أنه استمع ذلك
 بحجة بينة تصدق دعواه.

[٣٩] أليهم سبحانه البنات ولكم البنون كما تزعمون
 افتراء، وكذباً؟

[٤٠] بل أنسأل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين أجراً على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟
 [٤١] أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويحبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم الغيب في السموات
 والأرض إلا الله.

[٤٢] بل يريدون برسول الله وبالؤمنين مكرراً، فالذين كفروا يرجع كيدهم ومكرهم على أنفسهم.

[٤٣] أم لهم معبود يستحق العباداة غير الله؟ تنزه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في
 الرحمانية والعبادة.

[٤٤] وإن ير هؤلاء المشركون قطعاً من السماء ساقطاً عليهم عذاباً لهم لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا:
 هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

[٤٥] فدع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهلَكُون، وهو يوم القيامة.

[٤٦] وفي ذلك اليوم لا يذفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئاً، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله.

[٤٧] وإن هؤلاء الظلمة عذاباً يلقونه في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة من القتل والسي والعذاب البرزخ وغير ذلك،
 ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

[٤٨، ٤٩] واصبر - أيها الرسول - لحكم ربك وأمره فيما تخم لك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك
 برأى منا وحفظ واعتناء، وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبِّح بحمد
 ربك وعظمه، وصلِّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم.

وفي هذه الآية إثبات لصفة العيين لله تعالى بما يليق به، دون تشبيهه بخلق أو تكييف لذاته، سبحانه ومجده، كما
 ثبت ذلك بالسنة، وأجمع عليه سلف الأمة، واللفظ ورد هنا بصيغة الجمع للتعظيم.

[سورة النجم]

[١-٤] أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد ﷺ عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشاد، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والساد، وليس نطقه صادراً عن هوى نفسه، ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله إلى نبيه محمد ﷺ.

[٥-١١] علمه محمداً ﷺ ملك شديد القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول ﷺ في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول ﷺ، فزاد في القرب، فكان دنوه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام، ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره.

[١٢-١٨] أنكذبون محمداً ﷺ، فتجادلونه على ما يراه ويشاهده من آيات ربه؛ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها مرة أخرى عند صدره المنتهى - شجرة ثُبُق - وهي في السماء السابعة، ينتهي إليها ما يُفْرَج به من الأرض، وينتهي إليها ما يُهَيِّط به من فوقها، عندها جنة المأوى التي وُعد بها المتقون، إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء

عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل، وكان النبي ﷺ على صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فما مال بصره يميناً ولا شمالاً، ولا جاوز ما أمر برؤيته، لقد رأى محمد ﷺ ليلة المعراج من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته من الجنة والنار وغير ذلك.

[١٩، ٢٠] أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الآلهة التي تعبدونها: اللات والعزى ومناة العالقة الأخرى، هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟

[٢١-٢٣] أتجعلون لكم الذكر الذي ترضونه، وتجعلون لله برزعمكم الأنتى التي لا ترضونها لأنفسكم؟ تلك إذا قسمة جائرة، ما هذه الأوثان إلا أسماء ليس لها من أوصاف الكمال شيء، إنساني أسماء سميتوها أنتم وأباؤكم يستتضي أروانكم الباطلة، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها، ما يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، وهوى أنفسهم المنحرفة عن الفطرة السليمة، ولقد جاءهم من ربه على لسان النبي ﷺ ما فيه هدايتهم، فما انتفعوا به.

[٢٤، ٢٥] ليس للإنسان ما تمناه من شفاعة هذه المعبودات أو غيرها مما تهووا بنفسه، فله أمر الدنيا والآخرة.

[٢٦] وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلتهم، لا تنفع شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع له.

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا نَسَلْ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وحيٌ يُوحىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۝ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ ۝ مَا رَأَىٰ ۝ أَفْتَنَّمُوهُ وَمَدَّ عَلَىٰ مَآبِرِي ۝ وَقَدْ زَلَّ الْقَوْلُ الْآخَرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَابِئِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنْوَةَ الْعَالِقَةَ الْآخَرَىٰ ۝ أَكُفْرًا أَكْذَرًا ۝ إِنَّهَا إِذْ أَنْسَتُ صَبْرِي ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْنَاهَا أَنْزَرًا ۝ وَأَنَا كُرَّمًا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَدَّبْحُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۝ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۝ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَكْفُرُ ۝ قَدْ عَلَّمَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَلْفَنُ شَفَاعَتُهُمْ رَبَّنَا إِلَّا مِنَ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝

[٢٧، ٢٨] إن الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة من كفار العرب ولا يعملون لها ليسئون الملائكة تسمية الإناس؛ لا اعتقادهم جهلاً أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله. وما لهم بذلك من علم صحيح يصدق ما قالوه. ما يتبعون إلا الظن الذي لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق.

[٢٩، ٣٠] فأعْرِضْ عَنَّا تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا، وهو القرآن، ولم يُرِدْ إلا الحياة الدنيا. ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم. إن ربك هو أعلم بمن حاذ عن طريق الهدى. وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام. وفي هذا إنذار شديد للعصاة المعرضين عن العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، المؤثرين هوى النفس وحظوظ الدنيا على الآخرة.

[٣١، ٣٢] والله سبحانه وتعالى ملك ما في السموات وما في الأرض؛ ليجزى الذين أسأؤا بعقابهم على ما عملوا من السوء. ويجزي الذي أحسنوا بالجنة. وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللطم. وهي الذنوب الصغار التي لا يضر صاحبها عليها، أو يلتم بها

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتَوْفُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأَنْفَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْزِي الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَمَلُوهَا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَسْمَاءِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّطَمَ إِنَّ رَبَّكَ رَءِيفٌ غَفُورٌ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ جُنَّةً فَيَطْوِي أَمْتَهُمْ كَمَا كَفَرُوا أَنْفُسَهُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْتَدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَلَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُ وَرَزَأُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

العبد على وجه الندرة. فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويستترها عليهم. إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بأحوالكم حين خلق أبابكم آدم من تراب. وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم. فلا تتركوا أنفسكم فتمدحوها وتصفوها بالتقوى، هو أعلم بمن اتقى عقابه من عبادته فاجتنب معاصيه.

[٣٣، ٣٤] أفرأيت -أيها الرسول- الذي أعرض عن طاعة الله وأعطى قليلاً من ماله، ثم توقف عن العطاء، وقطع معروفة؟ [٣٥] أعند هذا الذي قطع عطاءه. علم الغيب أنه سينقذ ما في يده حتى أمسك معروفة. فهو يرى ذلك عياناً؟ ليس الأمر كذلك. وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة؛ بخلاً وشحاً.

[٣٦، ٣٧] أم لم يُجْزَى بما جاء في أسفار التوراة وصحف إبراهيم الذي وفى ما أمر به وبلغه؟ [٣٨، ٣٩] أنه لا تؤخذ نفس بأثم غيرها، ووزرها لا يحمله عنها أحد، وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه.

[٤٠] وأن سعيه سوف يرى في الآخرة؛ فيمُزَّج حسنة من سيئه؛ تشرى للمحسن وتوبىخاً للمسيء. [٤١، ٤٢] ثم يُجْزَى الإنسان على سعيه الجزاء المستكمل لجميع عمله، وأن إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميع خلقه يوم القيامة.

[٤٣] وأنه سبحانه وتعالى أضحك من شاء في الدنيا بأن سره، وأبكى من شاء بأن غمه. [٤٤] وأنه سبحانه أمات من أراد موته من خلقه، وأحيا من أراد حياته منهم؛ فهو المتفرد سبحانه بالإحياء والإماتة.

[٤٦، ٤٥] وأنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان. من نطفة نُصِبَ في الرحم.

[٤٧] وأن على ربك -أيها الرسول- إعادة خلقهم بعد مماتهم، وهي النشأة الأخرى يوم القيامة.

[٤٨] وأنه هو أغنى من شاء من خلقه بالمال، وملئكم لهم وأرضاهم به.

[٤٩] وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشُّعْرَى، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله.

[٥٠-٥١] وأنه سبحانه وتعالى أهلك عاداً الأولى، وهم قوم هود، وأهلك ثمود، وهم قوم صالح، فلم يبق منهم أحداً، وأهلك قوم نوح قبل، هؤلاء كانوا أشد تمرداً وأعظم كفراً من الذين جاؤوا من بعدهم، ومدائن قوم لوط قلبها الله عليهم، وجعل عاليها سافلها، فألبسها ما ألبسها من الحجارة المتتابعة النازلة عليهم من السماء كالطمر.

[٥٥] فبأي نعم ربك عليك -أيها الإنسان المكذب- تُشْك؟

[٥٦] هذا محمد ﷺ، نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فليس يبدع من الرسل.

[٥٨، ٥٧] قربت القيامة ودنا وقتها، لا يدفعها إذاً من

وَأَنَّهُ حَقَّ الرُّوحَيْنِ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۝
وَأَن عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخِرَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السُّعْرَى ۝ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۝ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى ۝ وَالنُّجُومَ تَبْجَى ۝ فَعَسَىٰ أَمَاتُنِي ۝ وَأَنِّي إِلَىٰ آيَاتِكَ تَسْتَكْبِرُ ۝ هَذَا يُذَكِّرُ الَّذِينَ الْأُولَى ۝ أَزِفَتِ الْآرِثَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنَ هَذَا الْآحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنزَلْنَا سِدْرًا مِّن سِدْرٍ ۝ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَجْعَلِ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَقِيمٌ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقِيمٌ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآلِئِينَ مَائِهِمْ مُزِجٌ ۚ حِكْمَةٌ بِلَاقَةٍ ۚ فَمَا تَنْفِرُ الْتُنُذُرَ ۚ فَمَوْلَاهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعَ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكِرٍ ۚ

دون الله أحد. ولا يظلم على وقت وقوعها إلا الله.

[٥٩-٦٢] أفمن هذا القرآن تعجبون -أيها المشركون- من أن يكون صحيحاً، وتضحكون منه سخريه واستهزاء، ولا تبكون خوفاً من وعيده، وأنتم لاهون معرضون عنه؟ فاسجدوا لله وأخلصوا العبادة له وحده، وسلموا له أموركم.

[سورة القمر]

[١] دنت القيامة، وانطلق القمر فلقطين، حين سأل كفار مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فدعا الله، فأراههم تلك الآية.

[٢] وإن ير المشركون دليلاً وبرهاناً على صدق الرسول محمد ﷺ، يُعرضوا عن الإيمان به وتصديقه مكذبين منكرين، ويقولوا بعد ظهور الدليل: هذا سحر باطل ذاهب مضمحل لا دوام له.

[٣] وكذبوا النبي ﷺ، واتبعوا ضلالتهم وما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، وكلُّ أمر من خير أو شر واقع بأهله يوم القيامة عند ظهور الثواب والعقاب.

[٤] ولقد جاء، كفار قريش من أبناء الأمة المكذبة برسولها، وما حلَّ بها من العذاب، ما فيه كفاية لردعه عن كفرهم وضلالهم.

[٥] هذا القرآن الذي جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها، فأبى شيء، تغفى النذر عن قوم أعرضوا وكذبوا بها؟

[٦] فأعرض -أيها الرسول- عنهم، وانتظر بهم يوماً عظيماً، يوم يدعو الملك بنفخه في «القرن» إلى أمر فظيع منكر، وهو موقف الحساب.

خُفَا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَمْثَانِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُسْتَبِيرٌ ﴿٥﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا نَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٦﴾ كَذَّبَتْ
 قِبْلَهُمْ قَوْمٌ نوحٌ فَكَذَّبُوا عِبْدَنَا وَقَالُوا مَجْزُونٌ وَأَرْجِحِ ﴿٧﴾ فَدَعَا
 رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿٨﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٩﴾
 وَقَجَزْنَا الْأَرْضَ غُيُوتًا فَالْتَقَى السَّمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيدٍ ﴿١٠﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَذَمَّرَ ﴿١١﴾ فَجَرَى بِأَغْيُنِنَا جَرَادًا لَمْسَ كَانَ
 كِجْرًا ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ فَكَّرْنَا بِهَذَا آيَةً فَمَنْ قَبِلَ مِنْ مَذَكِّرٍ ﴿١٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْفُرْجَانَ لِلذِّكْرِ قَبْلَ مِنْ مَذَكِّرٍ ﴿١٥﴾
 كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿١٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ يُخَوِّسُ مُسْتَعِجِرِي ﴿١٧﴾ تَرِيحَ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ غُلِي
 مُنْقَعِرِي ﴿١٨﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْفُرْجَانَ
 لِلذِّكْرِ قَبْلَ مِنْ مَذَكِّرٍ ﴿٢٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذْرِ ﴿٢١﴾ فَقَالُوا أَسْرَأُ
 قِتَابًا وَحِيدًا تُبْعَثُهُ إِنَّا إِنَّا إِلَهِي ضَلَّلَ وَسُفِّرَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ
 بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٣﴾ سَيَمْنُونٌ عَدَا مَنِ الْكُذَّابِ الْأَشْرُ ﴿٢٤﴾
 إِنَّا أَمْرُسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٥﴾

[٨.٧] أدلة أبصارهم يخرجون من القبور كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جرادٌ منتشر في الآفاق، مسرعين إلى ما دُعوا إليه، يقول الكافرون: هذا يوم عسيرٌ شديد الهول.

[٩] كذبت قبل قومك - أيها الرسول - قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحاً، وقالوا: هو مجنون، وانتهروا، متوعدين إياه، بأنواع الأذى، إن لم ينته عن دعوته.

[١٠] فدعا نوح ربه أي ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر لي بعقاب من عندك على كفرهم بك.

[١٢، ١١] فأجبتنا دعاءه، ففتحنا أبواب السماء بماء كثير متدفق، وشققنا الأرض عيوناً متفجرة بالماء، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدره الله لهم؛ جزءاً شرهم.

[١٣، ١٤] وحملنا نوحاً ومن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شدت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقتنا المكذبين؛ جزءاً لهم على كفرهم وانتصاراً لنوح عليه السلام.

وفي هذه الآية دليل على إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى، كما يليق به.

[١٦، ١٥] ولقد أبقينا قصة نوح مع قومه عبرة ودليلاً

على قدرتنا لمن بعد نوح؛ ليعتبروا ويتعظوا بما حلَّ بهذه الأمة التي كفرت بربها، فهل من متعظ يتعظ؟ فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

[١٧] ولقد سهلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ وفي هذه الآية وما ناظرها من السورة حثٌّ على الاستكثار من تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه.

[١٨] كذبت عاد هوداً فعاقبناهم، فكيف كان عذابي لهم على كفرهم، ونذري على تكذيب رسولهم، وعدم الإيمان به؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

[٢٠، ١٩] إنا أرسلنا عليهم ريحاً شديدة البرد، في يوم شؤم مستمر عليهم بالعذاب والهلاك، فتقلع الناس من مواضعهم على الأرض، ففري بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم، وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم، فتتركهم كالنخل المنقلع من أصله. [٢١] فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي، وكذب رسلي ولم يؤمن بهم؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

[٢٢] ولقد سهلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ [٢٣، ٢٤] كذبت ثمود - وهم قوم صالح - بالآيات التي أنذروا بها، فقالوا: أئبشراً منا واحداً نتبعه نحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟ إنا إذنا لفي بُغْدٍ عن الصواب وجنون.

[٢٦، ٢٥] أنزل عليه الوحي وخَصَّ بالنبوة من بيننا، وهو واحد منا؛ بل هو كثير الكذب والتجبر. سيرون عند نزول العذاب بهم في الدنيا ويوم القيامة من الكذاب المنتجبر؟

[٢٧] إنا نخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة؛ اختباراً لهم، فانتظر - يا صالح - ما يحلُّ بهم من العذاب، واصطبر على دعوتك إياهم وأذاهم لك.

[٢٨] وأخبرهم أن الماء مقسوم بين قومك والناقة: للناقة يوم، ولهم يوم، كل شرب يحضره من كانت قسمته، ويحظر على من ليس بقسمته له.

[٢٩، ٣٠] فنادوا أصحابهم بالحض على عقرها، فنناول الناقة بيده، فحرها فعاقبتهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم، وإنذاري لمن عصى رسلي؟ إنه كان عظيماً مؤلماً.

[٣١] إنا أرسلنا عليهم جبريل، فصاح بهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم، فكانوا كالزرع اليابس السريع الانكسار الذي يجعله صاحب الحظيرة سياجاً لحفظ المواشي.

[٣٢] ولقد سهلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

[٣٣] كذبت قوم لوط بآيات الله التي أنزروا بها.

[٣٤، ٣٥] إنا أرسلنا عليهم ريحاً شديدة ترميهم بالحجارة إلا آل لوط، نجيناهم من العذاب في آخر الليل، نعمة من عندنا عليهم، كما أثبتنا لوطاً وآله وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم من عذابنا، نثيب من آمن بنا وشكرنا. [٣٦] ولقد خوف لوط قومه بأس الله وعذابه، فلم يسعوا له، بل شكوا في ذلك، وكذبوه.

[٣٧] ولقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة، فطمسنا أعينهم فلم يبصروا شيئاً، فقبل لهم: ذوقوا عذابي، ونتيجة إنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

[٣٨، ٣٩] ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب هو رجهم بالحجارة وقلب فراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقبل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، ونتيجة إنذاري الذي أنذركم به لوط عليه السلام.

[٤٠] ولقد سهلنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل من متعظ به؟

[٤١] ولقد جاء أتباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة لهم على كفرهم.

[٤٢] كذبوا بأدلتنا كلها الدالة على وحدانيتنا ونبوة أنبيائنا، فعاقبناهم بالعذاب عقوبة عزيز لا يغالب، مقتدر على ما شاء.. [٤٣] أكفاركم - يا معشر قريش - خير من الذين تقدم ذكرهم ممن هلكوا بسبب تكذيبهم، أم لكم براءة من عقاب الله في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة؟

[٤٤] بل يقول كفار «مكة»: نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع، فنحن جماعة منتصرة؛ لا يغلبنا من أرادنا بسوء؟

[٤٥] سيهزم جمع كفار «مكة» أمام المؤمنين، ويولون الأدبار، وقد حدث هذا يوم «بدر».

[٤٦] والساعة موعدهم الذي يجازون فيه بما يستحقون، والساعة أعظم وأقسى مما لحقهم من العذاب يوم «بدر».

[٤٧، ٤٨] إن المجرمين في تيه عن الحق وعذاب، يوم يُجرؤون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

[٤٩] إنَّا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه، وقضينا، وسبق علمنا به، وكتابتنا له في اللوح المحفوظ.

وَيَنْبَغُ أَنْ النَّامَةَ فِئْمَةً يَبْتِغِي كُلَّ شَرْبٍ مُخْتَصِرَةً ﴿٢٨﴾ فَادَّأُوا صَاحِبِيهَا
فَعَاظِي فَعَقَّرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْبَةِ الْمُخْطَرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّنَا آيَاتِنَا
لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمَ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَحْنُ نَنْصُرُهُمْ بِسِحْرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ. فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً مِنْ عَبَاتِ مُنْتَصِرٍ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ بَيَّنَّنَا آيَاتِنَا لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَاحْذَرُهُمْ
أَمْذَعِرِينَ مُفْتَدِرِينَ ﴿٤٢﴾ أَصْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ كِبْرَةٌ
فِي الْكِبَرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُؤَلِّوْنَ الْكِبْرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾
إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُنْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٥٠] وما أمرنا للنبي، إذا أوردناه إلا أن نقول قوله واحدة وهي «كن»، فيكون كلمع البصر، لا يتأخر طرفة عين. [٥١] ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الحالية، فهل من متعظ بما حل بهم من الشكال والعذاب؟ [٥٢] وكل شيء، فعله أشباهكم الماضون من خير أو شر مكتوب في الكتب التي كتبها الحفظة.

[٥٣] وكل صغير وكبير من أعمالهم مُسَطَّر في صحائفهم، وسيجازون به.

[٥٤] إن المتقين في بساتين عظيمة، وأنها راسعة يوم القيامة. [٥٥] في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيه عند الله النبيل العظيم، الخالق للأشياء كلها، المقدر على كل شيء، تبارك وتعالى.

[سورة الرحمن]

[٢٠١] الرحمن علم الإنسان القرآن؛ بتيسير تلاوته وحفظه وفهم معانيه.

[٤٠٣] خلق الإنسان، علمه البيان عتاً في نفسه تمييزاً له عن غيره.

[٥] الشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب متقن، لا يختلف ولا يضطرب.

[٦] والنجوم التي في السماء، أو النبات الذي ينجم ويظلم من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق، تعرف ربها وتسجد له، وتقاد لما سخرها له من مصالح عبادته ومنافعهم.

[٧] والسماء رفعها فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده.

[٩، ٨] لنلا تعتدوا وتخونوا من وزنتم له، وأقيموا الوزن بالعدل، ولا تُثَقِّصُوا الميزان إذا وزنتم للناس.

[١٠-١٢] والأرض وضعها ومهدّها؛ ليستقر عليها الخلق، فيها فاكهة والنخل ذات الأوعية التي يكون منها الشر، وفيها الحب ذو القشر؛ وزقاً لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

[١٣] فبأي نعم ربكم! الدينية والدنيوية - يا معشر الجن والإنس - تكذبون؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي ﷺ هذه السورة، فكلموا مرّ بهذا الآية، قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد»، وهكذا ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلؤه، أن يُقرّ بها، ويشكر الله ويحمده عليها.

[١٥، ١٤] خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفخار، وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط ببعضه ببعض.

[١٦] فبأي نعم ربكم! - يا معشر الإنس والجن - تكذبون؟

[١٧] هو سبحانه وتعالى ربّ مشرق الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربها فيهما، فالجميع تحت تدبيره وربوبيته.

[١٨] فبأي نعم ربكم! - أيها الثقلان - تكذبون؟

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَجَدٌ كَتَلَجٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَ عَمَّكَ قَهْلٍ مِنْ مَدَكِبِرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ بِقَوْلِهِ فِي الزُّبُرِ ۝
وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَلٌّ ۝ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي
جَحَدِي وَتَهْمِي ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ۝

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝
الْفَتَنَ ۝ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ سَجْدَانِ ۝
وَالسَّمَاءِ رَفَعَهَا وَرَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ۝ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝ وَالرَّجْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ ۝
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
مَارِيجٍ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ ۝ رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ ۝

[١٩، ٢٠] خلط الله ماء البحرين - العذب والبلح - متلاقيين، لا فاصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك بينهما حاجز، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويذهب بخصائصه، بل يبقى العذب عذباً، والبلح ملحاً مع تلاقيهما.

[٢١] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ [٢٢] مخرج من البحرين بقدره الله اللؤلؤ والمرجان. [٢٣] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ [٢٤] وله تعالى ملك تسخير السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس. رافعة سواريه وأشرعتها كالجبال.

[٢٥] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ [٢٦، ٢٧] كل من على وجه الأرض من الخلق هالك، ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجلود. وفي الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى بما يليق به سبحانه، دون تشبيه ولا تكيف.

[٢٨] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ [٢٩، ٣٠] يسأله من في السموات والأرض حاجاتهم، فلا

غنى لأحد منهم عنه سبحانه. كل يوم هو في شأن: يُعز ويذلل، ويعطي ويمنع. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ [٣١، ٣٢] سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا. أيها الثقلان - الإنس والجن -، فنعاقب أهل المعاصي. ونثيب أهل الطاعة. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٣٣، ٣٤] يا معشر الجن والإنس. إن قدرتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هارين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنتى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضرراً؟ فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٣٥، ٣٦] يُرسل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصب على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضاً يا معشر الجن والإنس. فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٣٧] فإذا انشقت السماء وتفظرت يوم القيامة، فكانت حمراء كلون الورد. وكالزيت المغلي والرياح المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة.

[٣٨] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٣٩] ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم.

[٤٠] فبأي نَعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٤١] تُعرف الملائكة المجرمين بعلماتهم. فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وأقدامهم، فترميهم في النار.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَارَزٌ فَلَا لَبْيَقِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ مَخْرُجٌ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلٌّ مِنْ عِنْدِنَا فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَعَسَّرُ لِحِينِ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَفْهَمَ أَنْ تَفْهَدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَآفَظُوا لَا تَفْهَدُونَ إِلَّا الْإِسْلَامَ ﴿٣٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَشَوَاتٍ مِنْ نَارٍ وَأَنْحَاسٍ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾

[٤٤] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٤٣، ٤٤] يقال لهؤلاء المجرمين - توبيخاً وتحقيراً لهم -
 : هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا: تارة
 يُعذبون في الحميم، وتارة يُسقون من الحميم، وهو
 شراب بلغ منتهى الحرارة: يقطع الأمعاء والأحشاء.
 [٤٥] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٤٦] ولمن اتقى الله من عباده من الإنس والجن، فخاف
 مقامه بين يديه، فأطاعه وترك معاصيه، جنتان.
 [٤٧] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٤٨] الجنتان ذواتا أعصاب نضرة من الفواكه والثمار.
 [٤٩] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٥٠] في هاتين الجنتين عينان من الماء تجريان خللهما.
 [٥١] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٥٢] في هاتين الجنتين من كل نوع من الفواكه صنفان.
 [٥٣] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟
 [٥٤] وللذين خافوا مقام ربهم جنتان يتنعمون فيهما،
 متكئين على فرش مبثثة من غليظ الديباج، وثمر
 الجنتين قريب إليهم.

[٥٥] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٥٦] في هذه الفرش زوجات قاصرات أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم متعلقات بهم، لم يظاهرن
 إنس قبلهن ولا جان.

[٥٧] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٥٨] كأن هؤلاء الزوجات من الحور الياقوت والمرجان في صفاتهن وجمالهن.

[٥٩] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٦٠-٦١] هل جزاء من أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟ فبأي نغم ربكما - أيها
 الثقلان - تكذبان؟

[٦٢، ٦٣] ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان. فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٦٤، ٦٥] هاتان الجنتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتى مالت إلى السواد. فبأي نغم ربكما - أيها
 الثقلان - تكذبان؟

[٦٦، ٦٧] فيهما عينان فوّارتان بالماء لا تنقطعان. فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

[٦٨] في هاتين الجنتين أنواع الفواكه ونخل ورمان.

[٦٩] فبأي نغم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟

فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿١٥﴾ هذّوب جهنم التي يكذب بها
 المنجربون ﴿١٦﴾ يظوفون بينها وبين حميمه إن ﴿١٧﴾ فبأي، الآء
 ربكما تكذبان ﴿١٨﴾ ولئن خاف مقام ربه جنتان ﴿١٩﴾ فبأي، الآء
 ربكما تكذبان ﴿٢٠﴾ ذواتا أفتان ﴿٢١﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٢٢﴾
 فيهما عينتان تجريان ﴿٢٣﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٢٤﴾ فيهما
 من كل فكهة زوجان ﴿٢٥﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٢٦﴾ متكئين
 على فرش بطأئنها من إستبرقٍ وحشيشةٍ تكان ﴿٢٧﴾ فبأي
 الآء ربكما تكذبان ﴿٢٨﴾ فيهن قصيرت الظرف لظليلشهن
 إنس قبلهن ولا جان ﴿٢٩﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٣٠﴾ كأنهن
 الياقوت والمرجان ﴿٣١﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٣٢﴾
 هل جزاء الإحسن إلا الإحسن ﴿٣٣﴾ فبأي، الآء ربكما
 تكذبان ﴿٣٤﴾ ومن ذورهما جنتان ﴿٣٥﴾ فبأي، الآء ربكما
 تكذبان ﴿٣٦﴾ مهذماتان ﴿٣٧﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٣٨﴾
 فيهما عينتان نضاحتان ﴿٣٩﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٤٠﴾
 فيهما فكهة ونخل ورمان ﴿٤١﴾ فبأي، الآء ربكما تكذبان ﴿٤٢﴾

[٧٥] في هذه الجنان الأربع زوجات طبيبات الأخلاق حسان الوجود.

[٧٦] فبأي نعم ربكما - أيها الفقلان - تكذبان؟ [٧٢] حور مستورات مصونات في الحيام.

[٧٣] فبأي نعم ربكما - أيها الفقلان - تكذبان؟ [٧٤] لم يطأ هؤلاء الحور إفس قبل أزواجهن ولا جان.

[٧٥] فبأي نعم ربكما - أيها الفقلان - تكذبان؟ [٧٦] متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر، وفرش بديعة فاتقة الضع في غاية الحسن.

[٧٧] فبأي نعم ربكما - أيها الفقلان - تكذبان؟ [٧٨] تكاثرت بركة اسم ربك وكثر خيره، ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.

[سورة الواقعة]

[٣-١] إذا قامت القيامة، ليس لقيامها أحد يكذب به، هي خافضة لأعداء، الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة.

[٤-٦] إذا حُرِّكت الأرض تحريكاً شديداً، وقُتنت

فيهنَّ حَبْرَتٌ حِسَانٌ ﴿٥﴾ قَبَائِيءَ ۖ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾
خُورًا مَّقْضُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ ﴿٧﴾ قَبَائِيءَ ۖ آلَاءَ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ لَوْ يَطْمَئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٩﴾ قَبَائِيءَ
ۖ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُؤُوفٍ خَضِرٍ
وَعَنْقَرِي حِسَانٍ ﴿١١﴾ قَبَائِيءَ ۖ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾
تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا وَقَعْتَ الْوَاقِعَةَ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِنَّا رَجَبَتِ الْأَرْضَ رَجَبًا ﴿٤﴾ وَأَسْبَبَتِ الْجِبَالَ بَسَابًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَيَاةً مُنْبَتًا ﴿٦﴾ وَكُتُبًا رُزُوقًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّدُونَ السَّيِّدُونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّاتٍ التَّعْبِيرِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهِمَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾

الجلال تفتيتاً دقيقاً. فصارت غباراً متطابراً في الجو قد دُزَّته الريح.

[٧] وكنتم - أيها الخلق - أصنافاً ثلاثة:

[٨، ٩] فأصحاب اليمين أهل المنزلة العالية، ما أعظم مكانتهم!! وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنينة، ما أسوأ حالهم!!

[١٠-١٢] والسابقون إلى الحيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يُدخلهم ربهم في جنات النعيم.

[١٣-١٦] يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر منسوجة بالذهب، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضاً.

[١٧-١٩] يظوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تضدع منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم.

[٢٠-٢٤] ويظوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه، ويلحم طير مما ترغب فيه نفوسهم، ولهم نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالاً؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا.

[٢٥، ٢٦] لا يسمعون في الجنة باطلاً. ولا ما يتأثمون بسماعه، إلا قولاً سالماً من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض.

[٢٧-٣٤] وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سبدر لا شوك فيه، وموز مترابك بعضه على بعض، وظل دائم لا يزول، وماء جار لا ينقطع، وفاكهة كثيرة لا تنفد ولا تنقطع عنهم، ولا ينعم منها مانع، وفرش مرفوعة على السرر.

[٣٥-٣٨] إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء، فجعلناهن أبقاراً، متحبات إلى أزواجهن، في سرٍّ واحدة، خلقناهن لأصحاب اليمين.

[٣٩، ٤٠] وهم جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة كثيرة من الآخرين.

[٤١-٤٤] وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم وجزاءهم!! في ربح حارة من حر نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظل من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

[٤٥] إنهم كانوا في الدنيا متعصبين بالحرام، معرضين عما جاءتهم به الرسل.

[٤٦] وكانوا يقيمون على الكفر بالله والإشراك به ومعصيته. ولا ينوون التوبة من ذلك.

[٤٧] وكانوا يقولون إنكاراً للبعث: أئبعت إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له.

[٤٨] أئبعت نحن وأباؤنا الأقدمون الذين صاروا تراباً، قد تفرق في الأرض؟

[٤٩، ٥٠] قل لهم -أيها الرسول-: إنَّ الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة.

يظوف عليهم ولدت محمدون ﴿١٧﴾ بأقواب وأباريق ﴿١٨﴾ وكأس
 من معين ﴿١٩﴾ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴿٢٠﴾ وفلكية مما
 يتخزون ﴿٢١﴾ ولحير طير مما يشتهون ﴿٢٢﴾ وخوز عين ﴿٢٣﴾ كأمثال
 اللؤلؤ المكنون ﴿٢٤﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿٢٥﴾ لا يسمعون
 فيها القوا ولا تأنيساً ﴿٢٦﴾ إلا قليلاً سلباً سلباً ﴿٢٧﴾ وأصحاب اليمين ما
 أصحبت اليمين ﴿٢٨﴾ في سبدر تحضود ﴿٢٩﴾ وتطلع منهضود ﴿٣٠﴾ وظلي
 مندود ﴿٣١﴾ وماء مسكوب ﴿٣٢﴾ وفلكية كثيرة ﴿٣٣﴾ لا مقطوعة
 ولا ممنوعة ﴿٣٤﴾ وفرش مرفوعة ﴿٣٥﴾ إنا أنشأنا نساء ﴿٣٦﴾
 فجعلناهن أبقاراً ﴿٣٧﴾ عرباً أقراباً ﴿٣٨﴾ لأصحاب اليمين ﴿٣٩﴾ ثلثة
 من الأولين ﴿٤٠﴾ وثلثة من الآخرين ﴿٤١﴾ وأصحاب الشمال ما
 أصحبت الشمال ﴿٤٢﴾ في سمور وتحير ﴿٤٣﴾ وظل من تخمور ﴿٤٤﴾
 لآبارد ولا كريم ﴿٤٥﴾ إنهم كانوا قبل ذلك مفترقون ﴿٤٦﴾ وكأؤا
 يصرون على الحيت العظير ﴿٤٧﴾ وكأؤا يقولون أهدأ مبتثنا وكنا
 تراباً وعظاماً أأنا لمنعون ﴿٤٨﴾ أو أباؤنا الأولون ﴿٤٩﴾ قل إن
 الأولين والآخرين ﴿٥٠﴾ لمجموعون إلى ميقت يوم معلوم ﴿٥١﴾

[٥١-٥٥] ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده، لاكلون من شجر من زقوم، وهو من أقمح الشجر، فمالنون منها بطونكم؛ لشدة الجوع، فشاربون عليه ماء متناهياً في الحرارة لا يزوي طمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تزوي لداء يصيبها.

[٥٦] هذا الذي يلقون من العذاب هو ما أعد لهم من الزاد يوم القيامة. وفي هذا توبيخ لهم وتهكم بهم.

[٥٧] نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تصدقون بالبعث.

[٥٨، ٥٩] أفرأيتم النطف التي تصدقونها في أرحام سنانكم، هل أنتم تخلقون ذلك بشراً أم نحن الخالقون؟

[٦٠، ٦١] نحن قدرنا بينكم الموت، وما نحن بعاجزين عن أن نغير خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ۖ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ۝
فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْإِطْوُونَ ۝ فَسَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَحِيمِ ۝ فَسَقَرُونَ ۝
شَرِبْتُ الْهَيْبِ ۝ هَذَا نَزَلْنَاهُ نِوَامٍ اللَّيْلِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَاقُولُوا
لِصَدِّقِينَ ۝ أَقْرَبُ يَشْرَبُ مَا تُغْنُونَ ۝ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۝ أَمْ نَحْنُ
الْمَخْلُقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ۖ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝
عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْرُكُمْ وَتُنشَأَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا الشِّيشَةَ الْأُولَىٰ ۖ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَقْرَبُ يَشْرَبُ مَا
تَحْرُوقُونَ ۝ أَنْتُمْ تَرْغَبُونَهُ ۖ أَزْجَحُونَ الْزَّارِعُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ
حُطَلًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ۝ إِنَّا الْغَنِيُّونَ ۝ بَلْ نَحْنُ
مَخْرُومُونَ ۝ أَقْرَبُ يَشْرَبُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمَرْزِ ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَاقُولُوا
تَشْكُرُونَ ۝ أَقْرَبُ يَشْرَبُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ أَنْتُمْ أَنْتُمْ تَشْرَبُونَ
شَجَرَتَهَا ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا ۖ وَرَمْتًا
لِلْمُفْهِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ ۖ فَلَا أَقْسِمُ
بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝

[٦٢] ولقد علمتم أن الله أنشأكم الشيشة الأولى ولم تكونوا شيئاً، فهلاً تذكرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى.

[٦٣-٦٧] أفرأيتم الحرت الذي تحرقونه هل أنتم تئبونه في الأرض أم نحن نقدر قراره ونئبته في الأرض؟ لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيماً، لا ينتفع به في مطعم، فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: إنا لخاسرون معذبون، بل نحن محرومون من الرزق.

[٦٨، ٦٩] أفرأيتم الماء الذي تشربونه لتحيوا به، أنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟

[٧٠] لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا ينتفع به في شرب ولا زرع، فهلاً تشكرون ربكم على إنزاله الماء العذب لنفعمكم.

[٧١، ٧٢] أفرأيتم النار التي توقدون، أنتم أوجدتم شجرتها التي تُقدح منها النار، أم نحن الموجودون لها؟

[٧٣] نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيراً لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

[٧٤] فتره -أيها النبي- ربك العظيم الكامل الأسماء والصفات، الكثير الإحسان والخيرات.

[٧٥، ٧٦] أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاربيها في السماء، وإنه لقسم لو تعلمون قدره عظيم.

[٧٧-٧٩] إن هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مضمون مستور عن أعين الخلق، وهو اللوح المحفوظ. لا يتس القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يتسّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.

[٨٠] وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.

[٨١] أفبهذا القرآن أنتم -أيها المشركون- مكذبون؟

[٨٢] وتجمعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذبون بها وتكفرون؟

وفي هذا إنكار على من يتهامر بأمر القرآن ولا يبالي بدعوته.

[٨٣-٨٥] فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الخلقوم عند الترع، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا، ولكنكم لا ترونهم. [٨٦، ٨٧] وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد. إن كنتم صادقين؟ لن تُرجعوها.

[٨٨، ٨٩] فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه، وله جنة النعيم في الآخرة.

[٩٠، ٩١] وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين، فيقال له: سلامة لك وأمن؛ لكونك من أصحاب اليمين.

[٩٢-٩٤] وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله ضيافة من شراب جهنم المغلي المتناهي الحرارة، والنار يحرق بها، ويقاسي عذابها الشديد.

[٩٥، ٩٦] إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- هو حق اليقين الذي لا مرية فيه، فسبح باسم ربك العظيم، ونزهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

[سورة الحديد]

[١] نَزَّ اللهُ عن السوء كُلِّ ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته، وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم.

[٢] له ملك السموات والأرض وما فيها، فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يتعَدَّر عليه شيء، أَرادَه، فما شاءه كان. وما لم يشأ لم يكن.

[٣] هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

[٤] هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها.

[٥] له ملك السموات والأرض، وإلى الله مصير أمور الخلاق في الآخرة، وسيجازيهم على أفعالهم.

[٦] يُدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل، وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

[٧] آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وأنفقوا مما رزقكم الله من المال واستخلفكم فيه، فالذين آمنوا منكم أيها الناس، وأنفقوا من مالهم، لهم ثواب عظيم.

[٨] وأُتيَ عذر لَكُمْ في أن لا تصدقوا بوحداية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى ذلك، وقد أخذ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَبْحَثُ فِيهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يُوَلِّعُ الْأَيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّعُ اللَّيْلَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ قَالَتِ الْأَيْمَانُ مِمَّنْ كَفَرُوا وَتَفَتَّرُوا بِأَنَّكُمْ كُفَرْتُمْ وَاللَّهُ مُبْدِي الْقَوْلِ وَالرُّسُلُ لَا تُؤْمِنُونَ يَا اللَّهُ الْغُفُورُ الْكَرِيمُ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِمَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِكُمْ أَتُكْفَرُ بِمَا أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فُضِّعَ عَلَيْهِ لَهُ وَالَهُ أُخْرِجَ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

الله ميثاقكم على ذلك، إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟

[٩] هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات مفصلات واضحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وإن الله في إخراجكم من الظلمات إلى النور ليرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وأجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.

[١٠] وأُتيَ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؛ ولله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيها، ولا يبقى أحد مالاً لشيء فيها. لا يستوي في الأجر والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح مكة؛ وقاتل الكفار، أو لئنك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلًّا من الفريقين وعد الله الجنة، والله بأعمالكم خير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

[١١] من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسباً من قلبه بلا من ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة؟

[١٢] يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمانهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار. لا تخرجون منها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لك في الآخرة.

[١٣] يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم، فتقول لهم الملائكة - على وجه السخرية منهم -: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً، ففصل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

[١٤] ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟ قال المؤمنون لهم: بل قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكتكم أنفسكم بالفساق والمعاصي، وتربصتم

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ سَعَى نُورِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعُوكَ أَلْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظروا فاقفيس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتبسوا نوراً فأضرب يبتهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بل
ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وازفتنتم وعرزتم الأمانى
حتى جاء أمر الله وعرزكم بالله العزيم ﴿١٤﴾ فالنور لا يؤخذ منك
فدية ولا من الذين كفروا ما يؤمنك النار هي مؤلمة
وبئس المصير ﴿١٥﴾ ألم تبتأ للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم ليذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير
منهم قبيحون ﴿١٦﴾ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بيننا
لكم الآيات لعلكم تتقون ﴿١٧﴾ إن المصدين والأنصه قدت
وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كبير ﴿١٨﴾

بالبني الموت وبالمؤمنين الدوائر، وشككتكم في البعث بعد الموت، وخذعتكم أمانيتكم الباطلة، وبقيتم على ذلك حتى جاءكم الموت وخذعكم بالله الشيطان.

[١٥] فالיום لا يقبل من أحد منكم - أيها المنافقون - عوض: ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله، مصيركم جميعاً النار، هي أولى بكم من كل منزل. وبئس المصير هي.

[١٦] ألم يحن الوقت للذين صدقوا الله ورسوله وأتبعوا هديهم، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسامع القرآن. ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم - من اليهود والنصارى - الذين طال عليهم الزمان فبدلوا كلام الله، فقست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية الحث على الرقة والخشوع لله سبحانه عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والخذر من التشبه باليهود والنصارى في قسوة قلوبهم، وخروجه عن طاعة الله.

[١٧] اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيى الأرض بالمطر بعد موتها، فتخرج النبات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها. قد بيننا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتتظنوا.

[١٨] إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى، يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة.

[١٩] والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقاداً وقولاً وعملاً، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة، والذين كفروا وكذبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم ولا نور.

[٢٠] اعلّموا - أيها الناس - أننا الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة تترينون بها، وتفاخر بينكم بما تعامها، وتكائر بالعدد في الأموال والأولاد، مثلها كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم يهيج هذا النبات فيبیس، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يكون فئاناً يابساً متهشماً، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيثار، وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسياً آخرته إلا متاع الغرور.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَتُهُمْ وَمَقَارِنُ بَيْنَهُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ آتَيْتِ الْكُفَّارَ نَبَاتَهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتُرْبُهُ مُمْسَقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ - ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّا نَدْلِكُ عَلَىٰ آمَنَةٍ سِيرَةٍ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي آتَاهُمُ اللَّهُ لِيُزِيلُوا عَنْهَا عِلْمَ اللَّهِ وَيَحْطَبُوا بِالنَّاسِ بِالْخُلُقِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

[٢١] سابقوا - أيها الناس - في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ ليُجَزَّوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّةٌ للذين وحَّدوا الله واتَّبَعُوا رسله، ذلك فضل الله الذي يؤتية مَن يشاء من خلقه، فالجنة لا تُنَال إلا برحمة الله وفضله، والعمل الصالح، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين.

[٢٢] ما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليفة، إن ذلك على الله تعالى يسير.

[٢٣، ٢٤] لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وأشر، والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره، هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بما لهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم، ومن يتولَّى عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمده عليه.

[٢٥] لقد أرسلنا رسلنا بالحق بالواضحات، وأرسلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأرسلنا الميزان، ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأرسلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علماً ظاهراً للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيث. إن الله قوي لا يقهر، عزيز لا يغالب.

[٢٦] ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة، فمن ذريتهما مهتدي إلى الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

[٢٧] ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وقفينا بعيسى بن مريم، وأتينا الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليناً وشفقةً، فكانوا متواذنين فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية بالغلو في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قُضدْهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام، فأتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجراً حسب إيمانهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله مكذبون بنبيه محمد ﷺ.

[٢٨] يا أيها الذين آمنوا امثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، وآمنوا برسوله، يؤتكم ضعفين من رحمته، ويجعل لكم نوراً تهتدون به، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباد، رحيم بهم.

[٢٩] أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، أنهم لا يقدر على شيء من فضل الله يكييبنونه لأنفسهم أو يمنحوه لغيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعَفَةٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصُدُّهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ بَلَّغْنَا الْبُرُوجَ فَأَمَّنُوا بِاللهِ وَإِيمَانًا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْتَ لَا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ الْأَقْبَدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[سورة المجادلة]

[١] قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعك في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، وهو قوله لها: «أنت علي كظهر أي»، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى؛ لتفريخ كربتها، والله يسمع مخاطبك ومراجعتك. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء. لا تخفى عليه خافية.

[٢] الذين يظهرون منك من نسايتهم. فيقول الرجل منه لزوجته: «أنت علي كظهر أي». أي في حرمة النكاح - قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونساؤهم لسنن في الحقيقة أمهاتهم. وإنما هن زوجاتهم، ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهن. وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون قولاً كاذباً فظيعاً لا تعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح. [٣] والذين يحرمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهرة منهن. ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء

نسايتهم. فعلى الزوج المظاهر - والحالة هذه - كفارة التحريم. وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها. ذلكم هو حكم الله - فيمن ظاهر من زوجته - توعظون به أيها المؤمنون: لكي لا تقعوا في الظهار وقول الزور. وتكفروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه. والله لا يخفى عليه شيء، من أعمالكم. وهو مجازيكم عليها.

[٤] فمن لم يجد رقبة يعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متوالين من قبل أن يطأ زوجته، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً - ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم - ما يشبعهم، ذلك الذي بيننا؛ لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم. وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده، فلا تتجاوزوها، وللجاهدين بها عذاب موجع. [٥] إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما خذلوا وأهينوا، كما خذل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وقد أنزلنا آيات واضحة الحجّة تدل على أن شرع الله وحدوده، حق. ولجاهدي تلك الآيات عذاب مُدَلٌّ في جهنم.

[٦] واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة، يوم يحيي الله الموتى جميعاً، ويجمع الأولين والآخرين في صعيه واحد، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر، أحصاء الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم. وهم قد نسوا. والله على كل شيء شهيد. لا يخفى عليه شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَأَنَّه يُسْمِعُ حَمَازُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ يَسْأَلُهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَأَهْنُوهَ لِيَفْهَمُوا مِنْكُمْ فَمِنَ الْقَوْلِ زَوْرًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيزُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تَوْعظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَزِيحٌ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَتِلْكَ خُذُوا اللَّهَ
وَالَّذِينَ يُخْفُونَ عَذَابَ الْآلِهَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كُنُوزًا كَمَا كَتَبَتِ الْآيَاتُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ
وَالَّذِينَ يُخْفُونَ عَذَابَ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَنْصَحَهُمُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

[٧] ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟ ما يتناسى ثلاثة من خلقه بحديث سرٍّ إلا هورابعمهم بعلمه واحاطته، ولا خمسة إلا هوسادسهم، ولا أقل من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثر منها إلا هو معهم بعلمه في أي مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه. إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

[٨] ألم تر -أيها الرسول- إلى اليهود الذين نهوا عن الحديث سرّاً بما يشير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه، ويتحدثون سرّاً بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول؟ وإذا جاءك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا: (السام عليك) أي: الموت لك، ويقولون فيما بينهم: هلاً يعاقبنا الله بما نقول لمحمد إن كان رسولاً حقاً، تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبئس المرجع هي.

[٩] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا تحدثتم فيما بينكم سرّاً، فلا تتحدثوا بما فيه إثم من القول، أو بما هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بما فيه خير وطاعة واحسان، وخافوا الله بامثالكم أوامر، واجتنبوا نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها.

[١٠] إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزين لها، والحامل عليها؛ ليُدخل الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته. وعلى الله وحده فليؤوض المؤمنون به جميع أمورهم.

[١١] يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طلب منكم -أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الشواب ومراتب الرضوان. والله تعالى خير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها.

وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم، ورفع درجاتهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ بِهِنَّ اللَّهُ يَقُولُْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ لَا يَنْعَذِبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُنَا جَهَنَّمُ يَصْلُوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْيَمْرِ وَالْقَوْلِ الْكَافِرِ الَّذِي يَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُكُمْ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّوْا فِي الْمَجْلِسِ فَاقْسَؤْا فَيَنْسَجِ اللَّهُ لَكُمْ لِذِكْرِهِ وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ فَأَنْشُرُوا فَرْفَعِ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ وَالَّذِينَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ رَحِمَتْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا تَعَاهَدُوا ﴿٩﴾

[١٢] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه. إذا أردتم أن تكلموا رسول الله ﷺ سراً بينكم وبينه، فقدموا قبل ذلك صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من الشواب، وأزكى لقلوبكم من المائس، فإن لم تجدوا ما تصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

[١٣] أخشيتم الفقر إذا قدمتم صدقة قبل مناجاتكم رسول الله؟ فإذا لم تفعلوا ما أمرت به، وتاب الله عليكم، ورخص لكم في ألا تفعلوه، فاقبضوا ودارموا على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في كل ما أمرت به، والله سبحانه خير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

[١٤] ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاءً والوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذباً إنهم مسلمون، وإنك رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه.

[١٥] أعد الله لهؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة

بئسما الذين، امنوا إذا حَبَسَ الرَّسُولَ فَعَدُّوا مَوَاقِنَ يَدَيِ نَجْوَى كُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢ أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَى كُمْ صَدَقَتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبِضُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَفْسَلُونَ ١٣ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٥ اتَّخَذُوا أَلْمَنَةً مِّنْهُمْ جَهَنَّمَ وَأَعْنَسِيلَ اللَّهُ فَلَئِنَّ عَذَابَ مُّهِينٍ ١٦ لَنْ نَقْبِضَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِمَّنْ اللَّهُ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٧ بَوْرَةٌ يَبِيعُهَا اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْتَسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٨ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٩ إِنَّ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ ٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢١

والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب.

[١٦] اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل يسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم. فيسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُدَلٌّ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصددهم عن سبيله.

[١٧] لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبداً، لا يخرجون منها. وهذا الجزء يعم كل من صد عن دين الله بقوله أو فعله.

[١٨] يوم القيامة يبيعت الله المنافقين جميعاً من قبورهم أحياء، فيحلفون له إنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون لكم -أيها المؤمنون- في الدنيا، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين، ألا إنهم هم البالغون في الكذب حدّاً لم يبلغه غيرهم.

[١٩] غلب عليهم الشيطان واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بضاعته. أولئك حزب الشيطان وأتباعه. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

[٢٠] إن الذين يخافون أمر الله ورسوله، أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة.

[٢١] كتب الله في اللوح المحفوظ وحكمه بأن النصر له وكتابه ورسله وعباده المؤمنين. إن الله سبحانه قوي لا يعجز: شيء، عزيز على خلقه.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
 أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ
 بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَمَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَننْتُمْ أَنَّ يَخْرُجُوا وَظَننْتُمْ أَنَّكُمْ مَتَاعُنْهَمْ
 خُصُوفُهُمْ قَرَنَ اللَّهُ قَاتِنَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 الْحِلَالَ لَعَذَّبْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ ﴿٣﴾

[سورة الحشر]

[١] نَزَّهَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ، الْحَكِيمُ

فِي قُدْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَصَنَعِهِ وَتَشْرِيعِهِ. يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا.

[٢] هُوَ -سُبْحَانَهُ- الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ جَحَدُوا نِسْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ، مِنْ
 مَسَاكِنِهِمُ الَّتِي جَاوَرُوا بِهَا الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ «الْمَدِينَةِ»، وَذَلِكَ أَوَّلُ إِخْرَاجِ لَهُمْ مِنْ «جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» إِلَى «الشَّامِ»، مَا
 ظَنَنْتُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِهَذَا الذَّلِّ وَالْهَوَانِ؛ لِشِدَّةِ بَأْسِهِمْ وَقُوَّةِ مَنَعَتِهِمْ، وَظَنُّ الْيَهُودِ أَنْ
 حِصُونَهُمْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ بِأَسْئِئَةِ اللَّهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ. فَجَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَحْطَرُّ لَهُمْ بِبَالٍ. وَأَلْقَى اللَّهُ فِي
 قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ وَالْفَزَعَ الشَّدِيدَ. يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فَاعْتَظُوا يَا أَصْحَابَ الْبَصَائِرِ السَّلِيمَةِ
 وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ بِمَا جَرَى لَهُمْ.

[٣] وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَقَضَاءَ لِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّئِ. وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 عَذَابُ النَّارِ.

[٤] ذلك - الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة - لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوهما وسقوا في معصيتهما، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له.

[٥] أي شيء قطعتم - أيها المؤمنون - من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فيأذن الله وأمره، وليدُلَّ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

[٦] والذي أفاءه الله على رسوله من أموال يهود بني النضير، فلم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، ولكن الله يسلِّط رسله على من يشاء من أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال، والفيء: ما أخذ من أموال الكفار بحق من غير قتال. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

[٧] الذي أفاءه الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فلله ولرسوله،

يُصرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات أبائهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نفدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكاً مندواً ولا بين الأغنياء وحدهم، ويجزء منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهاوا عنه، واتقوا الله بامتنال أو أمره وترك نواهيهِ. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه. والآية أصل في وجوب العمل بالنسبة: قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

[٨] وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرين، الذين اضطروهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة، وينصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الصادقون الذين صدَّقوا قولهم بفعلهم.

[٩] والذين استوطنوا «المدينة»، وأمنوا من قبل هجرة المهاجرين - وهم الأنصار - يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجردون في أنفسهم حسداً لهم بما أعطوا من مال الفيء وغيره، ويُقدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقير، ومن سلِّم من البخل ومنع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ نَرَسْتُمْهَا فَأَلْبَسْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِذْ يُبَازِغُ اللَّهُ وَبُخُرَى الْقَيْسِيقِ ﴿٢﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُرٍ فَأَمَا يُوجِفُّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَلَّا لَا يَكُونُ ذَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَشْكُرُونَ الرَّسُولَ مَا تَخَذُوا وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَتَيْتُمُوهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْتَجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُوا فِي ضُدِّهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى النَّفْسِ عِزًّا وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾

[١٧] فكان عقابه أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنهما في النار، ما كثرين فيها أبداً، وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله.

[١٨] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، ولتندبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة، وخافوا الله في كل ما تأتون وما تذرّون، إن الله سبحانه خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء، من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

[١٩] ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة، أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله.

[٢٠] لا يستوي أصحاب النار المعدّون، وأصحاب الجنة المنعمون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل

فَكَرَّاتٍ عَلَيْهِنَّ مَا أَنهَمَا فِي النَّارِ خَلِيدَيْنِ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اللَّهُ وَلَتُنظَرْنَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاقْفُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾
لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمُ الْقَائِمُونَ ﴿٢٠﴾ تَوَارَثْنَا هَذَا الْفَرْعَ
عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُمْ خَشِيعًا مُتَصِدِّعًا مِمَّنْ خَشِيَ اللَّهَ
وَيَلَقَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيُّ الْعَلِيِّ وَالْمُهَيَّبُ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا
الْقُدُوسُ فَالسَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ
الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

مطلوب. الناجون من كل مكروه.

[٢١] لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه من وعد ووعيد، لأبصرته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعاً ذليلاً متشققاً من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلمهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. وفي الآية حث على تدبر القرآن، وتفهم معانيه، والعمل به.

[٢٢] هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن. يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

[٢٣] هو الله المعبود بحق الذي لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا مانعة ولا مدافعة، المنزه عن كل نقص، الذي سلم من كل عيب، المصدق رسله وأنبياءه، بما أرسلهم به من الآيات والبينات، الرقيب على كل خلقه في أعمالهم، العزيز الذي لا يقال، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة. تنزه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته.

[٢٤] هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته، المصور خلقه كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى. يسبح له جميع ما في السموات والأرض. وهو العزيز الشديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه.

[٦] لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم عليه السلام والذين معه قدوة حميدة لمن يطع في الخير من الله في الدنيا والآخرة. ومن يعرض عما تدبه الله إليه من التأسى بأبيائه، ويوال أعداء الله. فإن الله هو الغني عن عباد، الحميد في ذاته وصفاته، المحمود على كل حال.

[٧] عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحنة، بانسراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

[٨] لا ينهاكم الله - أيها المؤمنون - عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم بالخير، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم ويزككم بهم، إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا آسَاءٌ كَثِيرَةٌ لِمَنْ كَانُوا يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٥
وَيَقِينُ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةَ وَاللَّهِ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥
لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ
مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ٥ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٥
إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ
دِيَارِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُوَ الظَّالِمُونَ ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ هَجْرَتِ
قَائِمَاتِجَنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَسْفَحْنَ لِهِنَّ وَأَلْهَمْنَ يَمُوتْنَ لِهِنَّ وَأَتُوهنَّ
مَا أَنْفَقُوا وَإِجْحَاقَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْتَلُوا مَا أَنْفَقُوا لَنْ يَنْفَقُوا
ذَلِكَ حَرَجٌ عَلَى اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَإِنْ قَاتَلَكُمْ
شَيْءٌ مِنْ أَوْلَادِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَيْتُمْ قَاتِلَ الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَرْوَاجُهُمْ فَمَنْ أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ٥

[٩] إننا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة، ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، الخارجون عن حدود الله. [١٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبيانات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكافرين. فالنساء المؤمنات لا يحلّ لهن أن يتزوجن الكفار. ولا يحلّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهنّ مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات، واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نساكنم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نساكنهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم. ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله بحكمه بينكم فلا تخالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.

[١١] وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن، ثم ظفرتن بهؤلاء الكفار أو غيرهم وانصرتن عليهم، فأعطوا الذين ذهبت أزواجهن من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك. وخافوا الله الذي أنته به مؤمنون.

[١٢] يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكاً في عبادته، ولا يسرقن شيئاً، ولا يزني، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة؛ أو قبلها، ولا يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم، ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به، فعهدهن على ذلك، واطلب لهن المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

[١٣] يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يتسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يتس الكفار المبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يتس الكفار من بعث موتاهم - أصحاب القبور؛ لا اعتقادهم عدم البعث.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْغُورُ مِمَّنْ بَيَّعَتْكَ عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يُقْتَلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهَيْبَتِي بَعْدَ رَيْبَتِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَيَأْبَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾
يَأْتِيهَا اللَّيْلُ ءَامِنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَبْسُوْا مِنْكُمْ الْآخِرَةَ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٦﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا اللَّيْلُ ءَامِنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْسًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾
فَوَدَّعَىٰ وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

[سورة الصف]

[١] نَزَّهَ اللهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ، الْحَكِيمُ فِي أَعْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ.

[٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لِمَ تَعِدُونَ وَعَدًا، أَوْ تَقُولُونَ قَوْلًا وَلَا تَقْنُونَ بِهِ؟ وهذا إنكار على مَنْ يخالف فعله قوله.

[٣] عَظُمَ بَغْضًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا بِالْإِسْتِخْفَارِ مَا لَا تَفْعَلُونَهُ.

[٤] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْتَضٍ مُحْكَمٌ لَا يَنْفِذُ مِنْهُ الْعَدُو. وَفِي الْآيَةِ بَيَانٌ فَضْلُ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ؛ لِحُبِّهِ اللَّهُ سَبْحَانَ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا صَفُّوا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ، يُقَاتِلُونَهُمْ فِي سَبِيلِهِ.

[٥] وَادَّكَرَ لِقَوْمِهِ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حِينَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَمَا عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ مَعَ عُلَمَائِهِمْ بِهِ، وَأَصْرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ. صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ قَبُولِ الْهُدَايَةِ؛ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ زَيْغِهِمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ وَمُنْهَاجِ الْحَقِّ.

[٦] واذكر - أيها الرسول لقومك - حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما جاء قبلي من التوراة، وشاهداً بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وهو محمد ﷺ، وداعياً إلى التصديق به، فلما جاءهم محمد ﷺ بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بين.

[٧] ولا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يدعي إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العباد لله وحده. والله لا يوفق الذين ظلّموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم.

[٨] يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بعث به محمد ﷺ - وهو القرآن - بأقوالهم الكاذبة. والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذبون. [٩] الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن

وقال عيسى ابن مريم يبيح إستره بل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مجنون ﴿١﴾ ومن الظالم من أفرق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢﴾ يريدون ليظفروا فوزاً لله يأفوههم والله فيهم نوره. ولو كره الكفرون ﴿٣﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. ولو كره المشركون ﴿٤﴾ تأيها الذين آمنوا هل أذكري على تجرة وتنجيحكم من عذاب اليربين فؤمنوا بالله ورسوله. وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٥﴾ يعجز لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكنة طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴿٦﴾ وأخرى نحوها نضرت من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿٧﴾ تأيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فقامت طائفة من بني إستريل وكفرت طائفة فأيدت الذين آمنوا على عدوهم فأصبوا ظالمين ﴿٨﴾

ودين الإسلام؛ ليعليه على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك.

[١٠] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، هل أريدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موجع؟ [١١] تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس. ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك.

[١٢، ١٣] إن فعلتم - أيها المؤمنون - ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصرها وأشجارها الأنهار، ومسكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقض. ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. ونعمة أخرى لكم - أيها المؤمنون - تحبونها هي نصر من الله بأيديكم، وفتح عاجل يتيه على أيديكم. المؤمنون - أيها النبي - بالنصر والفتح في الدنيا، والحجزة في الآخرة.

[١٤] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصاراً ديني الله، كما كان أصفياء عيسى وخلص أصحابه أنصاراً ديني الله حين قال لهم عيسى: من يتولى منكم نصري وإعانتني فيما يقرب إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببيعة محمد ﷺ.

[سورة الجمعة]

[١] يَبْرِئُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ بِلَا مَنَازِعَ، الْمُنَزَّهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَفَالِقُ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ، وَصَنَعَهُ.

[٢، ٣] اللَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي الْعَرَبِ الدِّينَ لَا يَمُوتُونَ، وَلَا كِتَابٌ عِنْدَهُمْ وَلَا أَمْرٌ رِسَالَةٌ لَدَيْهِمْ، رَسُولًا مِنْهُمْ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْعُقَاوِدِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ بَعْتِهِ لَفِي اخْتِرَافٍ وَاضِحٍ عَنِ الْحَقِّ، وَأَرْسَلَهُ سَبَّحَانَهُ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَجِئُوا بَعْدُ، وَسَيَجِئُونَ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى -وَحْدَهُ- هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

[٤] ذَلِكَ الْبَعْثُ لِلرَّسُولِ ﷺ، فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ، يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ -وَحْدَهُ- ذُو الْإِحْسَانِ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ.

[٥] نَسَبَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَلَّفُوا الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، كَسَبَهُ الْحَمَارُ الَّذِي يَحْمِلُ كِتَابًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، قُبِّحَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَنِ طَاعَتِهِ.

[٦] قُلْ -أَيُّهَا الرُّسُولُ- لِلَّذِينَ تَسْكُوْنَ بِالْمِلَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُحَرَّفَةِ: إِنْ ادَّعَيْتُمْ -كَذِبًا- أَنْكُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ دُونَ غَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ، فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَائِكُمْ حُبَّ اللَّهِ لَكُمْ، [٧] وَلَا يَتَّبِعِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الْمَوْتَ أَبَدًا إِثْبَارًا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ. وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ؛ بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَسُوءِ الْفِعَالِ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمِهِمْ شَيْءٌ.

[٨] قُلْ: إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَهْرَبُونَ مِنْهُ لَا مَفْرَءَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ آتٍ إِلَيْكُمْ عِنْدَ مَجِيءِ أَجَالِكُمْ. ثُمَّ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْبَعْثِ إِلَى اللَّهِ الْعَالَمِ بِمَا غَابَ وَمَا حَضَرَ، فَيُخَيِّرُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْازِيكُمْ عَلَيْهَا.

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْتَجِيبُ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلَالِي قَبِيلِينَ ② وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④ مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا تَوْرَةً ثُمَّ لَا يُرِيدُوا يُحْمَلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أُنْقَارًا يُنْسِي تَوْرَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ⑤ قُلْ يَتَّبِعُوا آيَاتِي الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آوِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْعَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑥ وَلَا يَسْتَوِيَةٌ أَثْبَاءٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْقَالِمِينَ ⑦ قُلْ إِنْ الْعَوْتَ الَّذِي تَقْرَؤُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلْفِقَةٌ كُنْتُمْ تُرْذَرُونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذِيبِ وَالسَّهْدَةِ فَيُنْفِئِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧

[٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة، واتركوا البيع، وكذلك الشراء وجميع ما يتغلغل عنكم عنها، ذلك الذي أمرتم به خير لكم؛ لما فيه من غفران ذنوبكم ومثوبة الله لكم، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم فافعلوا ذلك. وفي الآية دليل على وجوب حضور الجمعة واستماع الخطبة.

[١٠] فإذا سمعتم الخطبة، وأديتم الصلاة، فانتشروا في الأرض، واطلبوا من رزق الله بسميكم، واذكروا الله كثيراً في جميع أحوالكم؛ لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

[١١] وإذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئاً من لهُو الدنيا وزينتها تفرقوا إليها، وتركوا -أيها النبي- قائماً على المنبر مخطب، قل لهم -أيها النبي-: ما عند الله من الشواب والنعيم أنفع لكم من اللهُو ومن التجارة، والله -وحده- خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِزُرْقَاتٍ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ بَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ حِينَ قُضِيَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا فَكَفَرُوا فَنُفِخَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَنَهَىٰ لَا يَقْضُوا عَنْهُمْ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُ تَفَرجًا أَنَسْنَاهُمْ وَإِن يُقُولُوا نَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُصْبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَتَأْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

[سورة المنافقون]

[١] إذا حضر مجلسك المنافقون -أيها الرسول- قالوا بألستهم: نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسول الله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك، وحلفوا عليه بألستهم، وأضرموا الكفر به.

[٢، ٣] إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها ستره ووقاية لهم من المؤاخاة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم يتسم ما كانوا يعملون؛ ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم.

[٤] وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم؛ لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، يظنون كل صوت عال واقعاً عليهم وضاراً بهم؛ لعلهم بحقيقة حالهم، ولشدّة جبنهم، والرعب الذي تمكّن من قلوبهم، هم الأعداء الحقيقيون الشديدي العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ
 زَهُ وَسَهَمَ وَأَتَيْتَهُمْ بِصُدُوتٍ وَهُمْ مُنْتَسِكِينَ ۝
 سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝
 هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 حَقٌّ يَنْفِقُوا لِلَّهِ حَزَانٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ
 الْمُنْفِقِينَ إِنَّمَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَبِنَ رَجَعْنَا إِلَى
 الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
 وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
 عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَرَبِّهِ يَفْعَلْ ذَلِكُمْ قَاتِلِيبِكُمْ هُنَّ
 الْحَسِيرَاتُ ۝ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَحْسَنِ
 قَرِيبٍ فَأَسَدِّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخَّرَ
 اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

[٥] وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عما بدر منكم من سيئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاء واستكباراً، وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طلب إليهم.

[٦] سواء على هؤلاء المنافقين أصليت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبداً؛ لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

[٧] هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة»: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه، والله وحده خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها ممن

يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى.

[٨] يقول هؤلاء المنافقون: لئن عُذنا إلى «المدينة» ليخرجننا فريقنا الأعز منها فريق المؤمنين الأذل، والله تعالى

العزة لرسوله ﷺ، وللمؤمنين بالله ورسوله لا غيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لكثرة جهلهم.

[٩] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم الذين تُغفِرُ حظوظهم من كرامة الله ورحمته.

[١٠] وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته، فيقول نادماً: ربِّ هلأ أمهلتي، وأجلت موتي إلى وقت قصير، فأتصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء.

[١١] ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها، والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

سورة التفتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْمِعُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَكُفِّرُوا كَافِرًا وَمَنْ كَفَرُوا
وَأَنَّهُمْ صَانِعُونَ حَبِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُسَبِّحُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَأَنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾
أَنْ يَأْتِيَكُمُ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهم وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْيِيدُهُمْ مِنَ الْجِبْتِ فَكَانُوا مُبْتَلِينَ
يَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ كَثِيرٍ وَأَوْاسَتَعَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى حَمِيدٍ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبَدَنِهِمْ وَأَنْ لَنْ يَنصُرَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّذِينَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا
وَأَنَّهُمْ صَانِعُونَ حَبِيرٌ ﴿٩﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّفْتَابِ ﴿١٠﴾
وَمَنْ يَفْرُوقْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا كَثُرَتْ سَيِّئَاتِهِ وَدَخَلَهُ جَنَّتِي
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾

[سورة التفتاب]

[١] ينزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الفناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير.

[٢] الله هو الذي أوجدكم من العدم، فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدق به عامل بشرعه، وهو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم بها.

[٣] خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة، وخلقكم في أحسن صورة، وإليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلًا بعمله.

[٤] يعلم سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض، ويعلم ما تخفونه - أيها الناس - فيما بينكم وما تظهرونه والله عليم بما تضرعه الصدور وما تخفيه النفوس.

[٥] ألم يأتكم - أيها المشركون - خير الدين كفروا من الأمم الماضية قبلكم، إذ حل بهم سوء عاقبة

كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولم في الآخرة عذاب أليم مومج؟

[٦] ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة؛ بسبب أنهم كانت تأتيتهم رسل الله بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه، واستغفى الله عن إيمانهم وعبادتهم، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً.

[٧] ادعى الذين كفروا بالله باطلاً أنهم لن يخرجوا من قبورهم بعد الموت، قل لهم - أيها الرسول -: بلى وربي لتخرجن من قبوركم أحياء، ثم لتخترن بالذي عملتم في الدنيا، وذلك على الله يسر هين.

[٨] فآمنوا بالله ورسوله - أيها المشركون - واهدتوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله، والله بما تفعلون خبير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة.

[٩] اذكروا يوم الحشر الذي يحشر الله فيه الأولين والآخرين، ذلك اليوم الذي يظهر فيه الفتن والتفاوت بين الخلق، فيغيث المؤمنين الكفار والفاسقين؛ فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله، وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله. ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري من تحت تصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها أبداً، ذلك الخلود في الجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِئَةِ ﴿٥٠﴾
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
 يَهْدِ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ ﴿٥٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ
 وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدْوَاكُمْ فِئَةٌ فَآخِذْوهُمْ ۗ وَإِنْ تُعْطُوا
 وَتَضَعُوا ۖ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
 أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ
 عَظِيمٌ ﴿٥٥﴾ فَأَتَوْا اللَّهَ مَا اسْتَطَعُوا وَاسْتَعْمُوا وَأَطِيعُوا
 وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ۗ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾ إِنْ نَفَرُوا مِنْكُمْ فَمَا لَكُمْ
 حَسَبًا بِضَعْفِهِ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ مَسْكُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ عَلَيْهِ الْقَسْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيمُ ۗ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾

[١٠] والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا بدلائل ربوبيته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله، أولئك أهل النار ما كئيب فيها أبداً، وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.

[١١] ما أصاب أحداً شيءٌ من مكروهٍ يُحْتَلُّ به إلا بإذن الله وقضائه وقدره. ومن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويُهْدَى لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأن أصل الهداية للقلب، والجوارح تبع. والله بكل شيء، عليم. لا يخفى عليه شيء من ذلك.

[١٢] وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول ﷺ، فيما بلغكم به عن ربه، فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغاً واضح البيان.

[١٣] الله وحده، لا معبود بحق سواه، وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم.

[١٤] يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إن من أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر. ولا تطيعوهم، وإن تجاوزوا عن سيناتهم وتعرضوا عنها، وتسترها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة.

[١٥] ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على طاعة غيره، وأدى حق الله في ماله.

[١٦] فابدلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم، واسمعوا الرسول الله ﷺ سماع تدبّر وتفكير، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيراً لكم، ومن سلب من البخل ومنع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

[١٧] إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم. والله شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلیم لا يعجل بالعقوبة على من عصا.

[١٨] وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

[سورة الطلاق]

[١] يا أيها النبي إذا أردت - أنت والمؤمنون - أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن مستقبليات لعدتهن - أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حمل ظاهر - واحفظوا العدة: لتعلموا وقت الرجعة إن أردت أن تراجعوهن، وخافوا الله ربكم. لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي بسكنن فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والأيسة والحامل. ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن. إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى، وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك. لا تدري - أيها المطلقة - لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه فتراجعهما.

[٣، ٤] فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع

إيضا حقهن، دون المضارة بهن. وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم، وأدوا - أيها الشهود - الشهادة حاضرة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويحتمل ما نهاه عنه، يجعل له مخرجاً من كل ضيق، وييسر له أسباب الرزق من حيث لا يحظر على باله، ولا يكون في حسبانته. ومن يتوكل على الله فهو كافي ما أهته في جميع أمور. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء. ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، وتقديراً لا يجاوز.

[٤] والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهن دم الحيض: لكثر سنهن. إن شككنتم فلم تدروا ما الحكم فيهن؟ فعدتهن ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن. فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحمل من النساء عدتهن أن يضعن حملهن. ومن يخف الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسراً في الدنيا والآخرة.

[٥] ذلك الذي ذكر من أمر الطلاق والعدة أمر الله الذي أنزله إليكم - أيها الناس - لتعملوا به. ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح عنه ذنوبه، ويجزل له الثواب في الآخرة، ويدخله الجنة.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرِجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِحُجَّةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَد ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ لِحْمَانَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ قَارِبُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مَعَكُمْ وَاقْبُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤَظَّ بِهٖ مَنْ كَانَ يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يُبَيِّنُ مِنَ النِّحْيِضِ مَنْ نَسَأَ بَكَرٍ بِأَنْزِمْتَهُ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَحْمِلُ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

[٦] أسكنوا المطلقات من نساءكم في أثناء عدتهن مثل سكنائكم على قدر سعتكم وطاقتكم، ولا تلحقوا بهن ضرراً؛ لتضيّقوا عليهن في المسكن، وإن كان نساؤكم المطلقات ذوات حمل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن، وليأمر بعضكم بعضاً بما عرف من ساحة وطيب نفس، وإن لم تنفقوا على إرضاع الأم، فسترضع للأب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة.

[٧] لينفق الزوج مما رشح الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سعة في الرزق، ومن ضيق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق، لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

[٨، ٩] وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر

أشكروهن من حيث سكرتهن ونسبكم ولا تضاروهن لخصيقتوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأنفقوهن أجورهن وأنصرنوا بناتكم بمتاعر وهن وإن تعاسن فترضعن لهن؛ أخرى ١ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتتهما يستجعل الله بعد عسر يسراً ٢ وكان من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعدناها عذاباً نكراً ٣ فذائق وبال أمرها وكان عقابها أمرها خسراناً ٤ أعد الله لهن عذاباً شديداً فاتقوا الله يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ٥ رَسُولًا يَنْتَهِوا عَنْكُمْ رَأَيْتَ اللَّهُ مِمَّنَّتَ يَخُوجِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى التَّوْبَةِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِرِزْقِهِ ٦ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَكَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ وَمِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأُمْرُ بَيْنَهُمْ لِيَتْلَمَّوْا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ٧

رسله وتماذوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حساباً شديداً، وعدناهم عذاباً عظيماً منكرًا، فتنجزوا سوء عقابته عنهم وكفرهم، وكان عقابته كفرهم هلاكاً وخسراناً لا خسران بعده.

[١٠، ١١] أعد الله لهؤلاء القوم الذين طغوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذاباً بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة الذين صدقوا الله ورسله وعملوا بشرعه، قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكراً يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل؛ كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ما كتبت فيها أبداً، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة.

[١٢] الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعاً من الأرضين، وأنزل الأمر بما أوحاه الله إلى رسله وما يدبر به أحوال خلقه بين السموات والأرض؛ لتعلموا -أيها الناس- أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

[سورة التحريم]

[١] يا أيها النبي لم تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، تبتي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

[٢] قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيامكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، والله ناصركم ومتولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله.

[٣] وإذا أسر النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثاً، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعته الله على إفشائها سره، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكريماً، فلما أخبرها بما أفشست من الحديث، قالت: من أخبرك بهذا؟

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١
 وَالْعَلِيَّةُ الْحَبِيَّةُ ٢ وَإِذَا أَسْرُ النَّبِيِّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ - وَأُظْهِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفٌ وَبَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ - قَالَتْ مَن أُنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيَّةُ الْحَبِيَّةُ ٣ إِنْ تَشَاءُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ فَلُوْكُمْ وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَلِيَ الْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ إِزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسَامَتْ فَمُؤْمِنَاتٍ فَمَنْ تَبَتَّ عَيْدَتِ سَبَحَتْ تَبَتَّ وَأَنْكَارًا ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اقْوُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسَ وَالْحِيَازَةَ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْتَدْرِكُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا أُخْزِرُونَ مَا كُفَرْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية.

[٤] إن ترجعاً -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من إفشاء سره، وإن تعاونا عليه بما يسوء، فإن الله وليه وناصره، وجبريل، وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرته الله أعوان له ونصراء، على من يؤذيه ويعاديه.

[٥] عسى ربُّه إن طلقكُنَّ -أيها الزوجات- أن يزوجه بدلاً منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، واجعات إلى ما يحبه الله من طاعته، كثيرات العبادة له، صانعات، منهنَّ الثيبات، ومنهنَّ الأبكار.

[٦] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء، قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

[٧] ويقال للذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكفروا به عند إدخالهم النار: لا تلتمسوا المعاذير في هذا اليوم؛ إنما تعظون جزاء الذي كنتم تعملونه في الدنيا.

[٨] يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده، عسى ربكم أن يحو عنكم سيئات أعمالكم، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم بل يعلي شأنهم، نور هؤلاء، يسر أمامهم وأيمانهم حال مشيهم على الصراط بقدر أعمالهم، يقولون: ربنا أتم لنا نورنا حتى تجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة، واعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا، إنك على كل شيء قدير.

[٩] يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما. ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم، وقبح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.

[١٠] ضرب الله مثلاً لحال الكفرة - في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله - بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبدين من عبادنا صالحين. فوعدت منهما الحياة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين. فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئاً، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها.

وفي ضرب هذا المثل دليل على أن القرب من الأنبياء، والصالحين، لا يفيد شيئاً مع العمل السيئ.

[١١] وضرب الله مثلاً لحال المؤمنين - الذين صدقوا الله، وعبدوه وحده، و عملوا بشرعه، وأنهم لا تضرمهم مخالطة الكافرين في معاملتهم - بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله، حين قالت: رب ابن لي داراً عندك في الجنة، وأتقذني من سلطان فرعون وقتنته، وبما يصدر عنه من أعمال الشر، وأتقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال. ومن عذابهم.

[١٢] وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعبسى عليه السلام، وصدقت بكلمات ربها، و عملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين له.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُرُوقًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكَ
 أَن يَكْفُرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ فَمَنْ رِزْقًا وَبَدِخْلًا كَمْ جَنَّتٍ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ فُرُوقَهُمْ يَتَسَبَّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَيُكَبِّرُونَهُ بِقَوْلِهِمْ رَبَّنَا
 أَنْشِمِ لَنَا فُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾
 يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ
 عِبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا قَاتِلَا مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٧﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ انِّي لَأُبْرَأُ لَكَ بِبَنَاتِي مِنَ الْكُفْرِ وَتَجْنِي مِنَ الرَّعُونِ
 وَعَسَلِيهِ وَتَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ وَرَبِّمَآءِنَتِ
 عِصْرَتَ آلِي أَخِصَّتْ فَرَجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا
 وَصَدَّقَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ ﴿٩﴾

سورة الناز

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنَزَّلَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن
 تَفَوتٍ فَإِذْ يَرجعُ الْبَصَرُ هل تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ الْبَصَرَ كَرَفَينِ
 يَنقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ نَاسِيًا وَهُوَ خَشِيدٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ رزقنَا السَّمَاءَ
 الْأَدْنَىٰ مَصْرِيحًا وَجَعَلنَا رِجُومًا لِلشَّاطِطِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهُم عَذَابَ
 السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا وَأَنزِيلِنَا وَآيَاتِ الْمَوْجِزِ ﴿٦﴾
 إِذَا الْفُورِ فِيهَا سَمِعُوا نَازِلَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ كَذَٰلِكَ نَمُنِّزُ
 مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا أَلَيْنَ فِيهَا قُرْآنًا سَأَلنَهُمْ خَزَائِنَهُ أَلْأَنْبِيَاءَ كُرْ نَزِيلٌ ﴿٨﴾
 قَالُوا لَئِن قَد جَاءَنَا نَذِيرٌ كَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنشَرِ
 إلَّا فِي سَدَلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَضُوا بِأَيْدِيهِمْ فَسَخَطْنَا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنْ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

[سورة الملئزة]

- [١] تكاثر خير الله وبره على جميع خلقه، الذي بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه. وهو على كل شيء قدير.
- ويستفاد من الآية ثبوت صفة اليد لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله.
- [٢] الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرُ عملاً وأخلصه؟ وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده.
- وفي الآية ترغيب في فعل الطاعات، وزجر عن اقتراف المعاصي.
- [٣] الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟
- [٤] ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر

ذليلاً صاعراً عن أن يرى نقصاً، وهو متعب كليل.

- [٥] ولقد رزقنا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضيئة، وجعلناها شهباً محرقة لمسترق السمع من الشياطين، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرّها.
- [٦] وللكافرين بخالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.
- [٧] إذا طرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتاً شديداً منكرأ، وهي تظلي غلياناً شديداً.
- [٨] تكاد جهنم تتسرق من شدة غضبها على الكفار، كما طرح فيها جماعة من الناس سألمهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟
- [٩] أجاوبهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول من عند الله وحذرنَا، فكذبنا، وقلنا فيما جاء به من الآيات: ما نزل الله على أحد من البشر شيئاً، ما أنتم -أيها الرسل- إلا في ذهاب بعيد عن الحق.
- [١٠] وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق، أو نفكر فيما نُذعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار.
- [١١] فأعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار، فبعداً لأهل النار عن رحمة الله.
- [١٢] إن الذين يخافون ربهم، فيعبده، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

[١٣] وأخفوا قولكم - أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء، إنه سبحانه عليم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟

[١٤] ألا يعلم رب العالمين خلقه وشؤونهم، وهو الذي خلقهم وأتقن خلقهم وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم.

[١٥] الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة مهيأة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرج لكم منها، واليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

وفي الآية حث على طلب الرزق والمكاسب، وفيها دلالة على أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وعلى قدرته، والتذكير بنعمه، والتحذير من الركون إلى الدنيا.

[١٦، ١٧] هل أمنت - يا كفار مكة - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ هل أمنت الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحاً ترجمكم بالحجارة الصغيرة، فستعلمون - أيها الكافرون - كيف تحذيري لكم إذا عاينتم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك.

وفي الآية إثبات العلو لله تعالى، كما يليق بمجلاه سبحانه.

[١٨] ولقد كذب الذين كانوا قبل كفار مكة، فقوم نوح وعاد وثمود رسلهم، فكيف كان إنكارى عليهم، وتغييرى ما بهم من نعمة بانزال العذاب بهم واهلاكهم؟

[١٩-٢١] أَعْقَل هؤلاء الكافرون، ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند طيرانها في الهواء، وبضمنها إلى جنوبها أحياناً؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير، لا يرى في خلقه نقص ولا تفاوت. بل من هذا الذي هو في زعمكم - أيها الكافرون - جزب لكم ينصرم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءاً؟ ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان. بل من هذا الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه ومنعه عنكم؟ بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق. لا يسمعون له، ولا يتبعونه.

[٢٢] أفمن يمشي منكسراً على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب. أشد استقامة على الطريق وأهدى. أم من يمشي مستوياً منتصب القامة سالماً على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟ وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن.

[٢٣، ٢٤] قل لهم - أيها الرسول -: الله هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها، قليلاً - أيها الكافرون - ما تؤدون شكر هذه النعم لربكم الذي أنعم بها عليكم. قل لهم: الله هو الذي خلقكم وشركم في الأرض، واليه وحده تجمعون بعد هذا التفرق للحساب والجزاء.

[٢٥، ٢٦] ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالخشى يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون، إن كنتم صادقين فيما تدعون. قل - أيها الرسول - هؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختص الله به، وإنما أنا نذير لكم أخوفكم عاقبة كفركم. وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان.

وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْتَهَرُوا بِهِ: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. وَالْيَوْمَ لِلنَّاسِ ۝ أَمْسَتْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْفَى بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَنُورُ ۝ أَمْ أَمْسَتْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَفَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَفَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ. بَلْ لَجُوا فِي غَتْرٍ وَنُفُورٍ ۝ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْيَوْمَ نَخْتِمُكُمْ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝

[٢٧] فلما رأى الكفار عذاب الله قريباً منهم وعابئوه، ظهرت الدلة والكآبة على وجوههم، وقيل توبيخاً لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا.

[٢٨] قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمتنا فأحقر أجالسا، وعافانا من عذابه، فمن هذا الذي يجيئكم، وينصركم من عذاب ألم موجع؟

[٢٩] قل: الله هو الرحمن صدقنا به وعملنا بشره، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا، فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أي الفريقين منا ومنكم في بُعْدٍ واضح عن صراط الله المستقيم؟

[٣٠] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشرسون منه ذاهباً في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة، فمن غير الله يجيئكم بقاء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للمعيون؟

[سورة القلم]

[١-٦] ﴿قُلْ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله بالقلم الذي يكتب به الملائكة والناس،

وبما يكتبون من الخير والنعف والعلوم، ما أنت -أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعف العقل -ولا سفاهة الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شذائد على تبليغ الرسالة لثواباً عظيماً غير منقوص ولا مقطوع، وإنك -أيها الرسول- لعل خلق عظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له ياتمر بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

[٦-٥] فعن قريب سترى -أيها الرسول-، ويرى الكافرون في أيكم الفتنة والجنون؟

[٧] إن ربك -سبحانه- هو أعلم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى، وهو أعلم بالتقي المهتدي إلى دين الحق.

[٨] فائتبع على ما أنت عليه -أيها الرسول- من مخالفة المكذبين ولا تطعمهم.

[٩] تمثروا وأحبوا لو تلاينهم، وتصانعهم على بعض ما هم عليه، فيلينون لك.

[١٠-١٥] ولا تطع -أيها الرسول- كل إنسان كثير الحلف كذاب حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، وينقل حديث بعضها إلى بعض على وجه الإنسداد بينهم. تجل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير، متجاوز حدّه في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الآفام، شديد في كفره، فاحش لئيم، منسوب إلى غير أبيه. ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين، طغى وتكبر عن الحق. فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. وهذه الآيات وإن نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة، إلا أن فيها تحذيراً للمسلم من موافقة من اتصف بهذه الصفات الذميمة.

[١٦] سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مفتضحاً بها أمام الناس.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِ اللَّهُ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَتَايَ فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فَاسْتَعِينُوا مِنْهُ هُوَ فِي صَدْرِكُمْ مَبِينٌ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِغَمَّةٍ رَبِّكَ يُخَوِّنُ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيَصْبُرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيْتِكَ الْمُقَدَّمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَدَّقَ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْكَرِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعَمُ الْمَكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَذُوًا لَوْ تُوَدَّعُنْ فَيَذَهُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَالٍ مَعِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَيْمِيمٍ ﴿١١﴾ مَشَاعٍ لِلْخَيْرِ مَفْعَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُنُقٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا نَسَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطُرًا ﴿١٥﴾ أَلْوَالِيَةٍ ﴿١٦﴾ سَتَسِينُهُ عَلَىٰ الْحَرْطُومِ ﴿١٧﴾

[١٧، ١٨] إنا اخترنا أهل مكة بالجوع والقط، كما اخترنا أصحاب الحديقة حين حلفوا فيما بينهم، ليقطفن ثمار حديقتهم مبكرين في الصباح، فلا يقطع منها غيرهم من المساكين ونحوهم، ولم يقولوا: إن شاء الله. [١٩، ٢٠] فأنزل الله عليها ناراً أحرقتها ليلاً، وهم نائمون، فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم. [٢١، ٢٢] فنادى بعضهم بعضاً وقت الصباح: إن اذهبوا مبكرين إلى زرعكم، إن كنته مضرين على قطع الثمار. [٢٣، ٢٤] فاندفعوا مسرعين، وهم يتسارعون بالحديث فيما بينهم: بأن لا تمسكوا اليوم أحداً من المحتاجين من دخول حديقتهم.

[٢٥] وساروا في أول النهار إلى حديقتهم على قصدهم السيئ في منع المساكين من ثمار الحديقة، وهم في غاية القدرة على تنفيذ زعمهم.

[٢٦-٣٣] فلما رأوا حديقتهم محترقة أنكروها، وقالوا: لقد أخطأنا الطريق إليها، فلما عرفوا أنها هي جنتهم، قالوا: بل نحن محرومون خيرها؛ بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. قال أعدلهم: ألم أقل لكم هلاً تستنون وتقولون: إن شاء الله؟ قالوا بعد أن عادوا إلى رشدهم: تنزه الله ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل

إنا بائنون كما بائنوناً أصحب الجنته إذ أقسموا ليضربناهم ضرباً ولا يستنون قطافاً عليها طائف من ربك وهم نائمون ١٧ فأصبحت كالصريح ١٨ فتنادوا مضحين ١٩ أن أعذوا على حردك إن كنت صريحين ٢٠ فأطلقوا وهم يستخفون ٢١ أن لا يذللها اليوم عليكم فيسكنين ٢٢ وعذوا على حرد قديرين ٢٣ فمأزاً وهما قالوا إنا لفتاؤون ٢٤ بل نحن مخرؤمون ٢٥ قال أوسطهم أراقل لكوننا لا نستخون ٢٦ قالوا استبحر ربنا إنا كنا ظالمين ٢٧ فأقبل بعضهم على بعض يتتاعون ٢٨ قالوا ويلنا إنا كنا طغين ٢٩ عسى ربنا أن يبدلنا حيزاً فمنها إنا إلى ربنا رغبون ٣٠ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٣١ إن للفتين عند ربهم حنن التميمير ٣٢ أفجعل الشايبين الكالميرين ٣٣ ما لك كيف تتكلمون ٣٤ ألم لكم كتب فيه تدرسون ٣٥ إن لكم فيه لمتخزون ٣٦ ألم لكم أنش علينا بلقاء إلى يوم القيمة إن لكم لمتكلمون ٣٧ سألهم أنهم بذلك زعموا ٣٨ ألم لهم شركاء فلما أتوا بشركهم إن كانوا أصدين ٣٩ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى الشجر فلا يستطيعون ٤٠

نحن كنا الظالمين لأنفسنا بترك الاستثناء وقصدنا السيئ. فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل منهم الآخر على تركهم الاستثناء وعلى قصدهم السيئ، قالوا: يا ويلنا إنا كنا متجاوزين الحد في معنا الفقراء ومخالفة أمر الله، عسى ربنا أن يعطينا أفضل من حديقتنا؛ بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا. إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير، مثل ذلك العقاب الذي عاقبنا به أهل الحديقة، يكون عقابنا في الدنيا لكل من خالف أمر الله، ويحل بما أتاه الله من النعم، فلم يؤذ حق الله فيها، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون لانزجروا عن كل سبب يوجب العقاب.

[٣٤] إن الذين اتقوا عقاب الله بفعل ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، لهم عند ربهم في الآخرة جنات فيها النعيم المقيم. [٣٥، ٣٦] أفجعل الخاضعين لله بالطاعة كاللافرين؟ ما لكم كيف حكمت هذا الحكم الجائر، فسأوتهم بينهم في الثواب؟ [٣٧، ٣٨] أم لكم كتاب منزل من السماء تجدون فيه المطيع كالعاصي، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون؟ إن لكم في هذا الكتاب إذا ما تشتهون، ليس لكم ذلك.

[٣٩] أم لكم عهد ومواثيق علينا في أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون؟ [٤٠، ٤١] سل المشركين -أيها الرسول-: أيهم بذلك الحكم كفيلاً وضامناً بأن يكون له ذلك؟ أم لهم آلهة تكفل لهم ما يقولون، وتعينهم على إدراك ما طلبوا، فليأتوا بها إن كانوا صادقين في دعواهم؟

[٤٢] يوم القيامة يشد الأمر ويصعب هوله، ويأتي الله تعالى لفصل القضاء بين الخلائق. فيكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، قال ﷺ: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا؛ رياء وسعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً» رواه البخاري ومسلم.

[٤٣] منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة من عذاب الله، وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحاء قادرين عليها فلا يسجدون؛ تعظماً واستكباراً.

[٤٤، ٤٥] فذرتي - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن، فإن عليّ جزاءهم والانتقام منهم، سندهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم، وأمهلهم وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إنساً، إن كيدي بأهل الكفر قويّ شديد.

[٤٦، ٤٧] أم تسأل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين أجراءً دينياً على تبليغ الرسالة فهم من غرامة ذلك مكلفون جملًا تقيلاً؛ بل أعتدهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟

[٤٨-٥٠] فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك وقضاء، ومن ذلك إمهاتهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس - عليه السلام - في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه - في ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت - وهو مملوء غماً طالباً تعجيل

العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقبولها لظرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آت بسا يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، ففعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، [٥١] وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك - أيها الرسول - بالعين؛ لبعضهم إياك، لولا وقاية الله وحمانيته لك، ويقولون: - حسب أهوائهم - إنه لمجنون.

[٥٢] وما القرآن إلا موعظة وتذكير للمؤمنين من الإنس والجن.

[سورة الحاقة]

[٣-١] القيامة الواقعة حقاً التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقاً في صفتها وحالها؟ وأي شيء، أدرak - أيها الرسول - وعرفك حقيقة القيامة، وصوّرك هولها وشدتها؟

[٤] كذبت ثمود وهم قوم صالح، وعاد وهم قوم هود بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

[٥-٨] فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابة، لا تفتّر ولا تنقطع، فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متأكلة الأجواف، فهل ترى لهؤلاء القوم من نفس باقية دون هلاك؟

خَشِيعَةً أَبْصَرُوا فَزَهَقْهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّعْبُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ ﴿٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٥﴾ أَمْ تَسْتَأْذِنُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرُومٍ مُتَّقِلُونَ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٨﴾ لَوْلَا أَنْ نَدْرَكَهُ بِنِعْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَيُبَدِّلَنَّا لَعُنَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٩﴾ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿١١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أُذْرِكُ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعِدِهَا بِالْقَارِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغُوتِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ لَا يَخْلِ ﴿٧﴾ نَحْلٌ سَابِقَةٌ ﴿٨﴾ فَمَنْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٩﴾

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِ كَيْدًا بِالْحَاطِطَةِ ﴿١٠﴾ فَمَتَّعْنَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِعَةً ﴿١١﴾ إِنَّا لَنَاطِقَاتُ الْمَاءِ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٢﴾ لِيَجْزِيَ الْكُفْرَ تَذَكُّرًا وَبِعِبَارَاتِكُمْ وَبِعِبَارَاتِكُمْ ﴿١٣﴾ فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٤﴾ وَجِئْنَا بِالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَدُكَّا دُكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٦﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٧﴾ وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهِمْ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ الْخَافِيَةُ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كَيْبَتُهُ بِبَيْتِهِمْ فَيَقُولُ هَذَا مَا فَرَّوْا إِلَيْهِ الْغَيْبُ ﴿٢٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مَأْمُونٌ حِسَابِيَةٍ ﴿٢١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢٢﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٣﴾ فُطُوفاً دَائِيَةً ﴿٢٤﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهُنَّائِيًا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَجْيَالِ لِقَالِيَةٍ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كَيْبَتُهُ بِشِمَالِهِمْ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لِأَزْوَاجِ كَيْبَتِي ﴿٢٦﴾ وَلَوْلَا ذُرِّيَّتِي لَفَتَنِي كَيْبَتِي كَانَتْ الْفَاقِصَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ هَلَكْتُ عَنِّي سَافِيَةً ﴿٢٨﴾ خَذُوا نَفْسَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ فَجَاءُوا بِرَبِّكَ يُسَلِّسُونَ لَكَ مَا يَشَاءُونَ لِيَمْلِكُنَّ لِأَزْوَاجِ لَدُنْهُم مِمَّا يَشَاءُونَ ﴿٢٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَالِغُ أَلْمِ وَإِنَّهُ كَانَ لَازِوِينَ لِلنَّاسِ عَلَى الْغَيْبِ ﴿٣٠﴾ وَلَا يَخْفَى عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣١﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُمْنًا مَحْمِيَةً ﴿٣٢﴾

[١٠، ١١] وجاء الطاغية فرعون، ومن سبقه من الأمم التي كفرت برسولها، وأهل قري قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفواحش، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة.

[١٢، ١٣] إِنَّا لَمَّا جَاوَزَ الْمَاءَ حُدَّ، حتى علا وارتفع فوق كل شيء، حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء؛ لنجعل الواقعة التي كان فيها نجات المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة، وتحفظها كل أذن من شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت. [١٤-١٦] فإِذَا نَفِخَ الْمَلَائِكَةُ فِي الْقُرُونِ نَفْخَةً وَاحِدَةً، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورُفِعَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا فَكُفِّرْنَا، ودُقَّتْ دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسك فيها

ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام. في ذلك اليوم تعرضون أعلى الله - أيها الناس - للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء، من أسراركم. [٢٤-٢٦] فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ، فيقول ابتهاجاً وسروراً: خذوا قرؤوا كتابي، إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح، فهو في عيشة هنيئة مرضية، في جنة مرتفعة المكان والدرجات، ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. يقال لهم: كلوا أكلاً، واشربوا شرباً بعيداً عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية. [٢٩-٣٠] وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِشِمَالِهِ، فيقول نادماً متحسراً: يا ليتني لم أعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي مئتها في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أبعث بعدها، ما نفعتني مالي الذي جمعت في الدنيا، ذهبت عني حجتني، ولم يُعَدِّ لي حجة أحتج بها.

[٣٠-٣٤] يُقَالُ لِلْحَزْنَةِ جَهَنِمُ: خَذُوا هَذَا الْمَجْرَمِ الْأَثِيمِ، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه. ولا يبحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم. [٣٥] فَلَيْسَ لِهَذَا الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ يَدْفَعُ عَنْهُ الْعَذَابَ.

[٣٧، ٣٦] وليس له طعام إلا من صديد أهل النار، لا يأكله إلا المذنبون المصرون على الكفر بالله.
[٣٨-٤٣] أقسم الله بما تبصرون من المراتب، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لكلام الله. يتلو: رسول عظيم الشرف والفضل، وليس بقول شاعر كما تزعمون، قليلاً ما تؤمنون. وليس بسجع كسجع الكهان، قليلاً ما يكون منكم تذكُر وتأمَل للفرق بينهما، ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ.

[٤٤-٤٨] ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله، لا نتقنا منه وأخذنا بالقرّة والغدرة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا. وإن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويحجتون نواهي. [٤٩-٥٢] وأنا لتعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن مع وضوح آياته، وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين به، وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه. فتزّه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم.

[سورة المعارج]

[١-٤] دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنع من الله ذي العلو والجلال، تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سبي الدنيا، وهو على المؤمن مثل صلاة مكتوبة.
[٥] فاصبر -أيها الرسول- على استهزائهم واستعجالهم العذاب صبراً لا جزع فيه، ولا شكوى منه إلى غير الله.
[٦، ٧] إن الكافرين يستعبدون العذاب ويرونه غير واقع، ونحن نراه واقعاً قريباً لا محالة.
[٨، ٩] يوم تكون السماء سائلة مثل خثالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المنفوش الذي دُرّته الريح.
[١٠] ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه؛ لأن كل واحد منهما مشغول بنفسه.

وللعالم الأيمن غنسين ﴿١﴾ لا يأكله إلا الأقطيون ﴿٢﴾ فلا أقيسهما تبصرون ﴿٣﴾ وما لا تبصرون ﴿٤﴾ إنه لقول رسول كريم ﴿٥﴾ وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ﴿٦﴾ ولا يقول كهنٍ قليلاً ما تذكرون ﴿٧﴾ تنزيل من ربّ السالمين ﴿٨﴾ ولو تقول علينا بعض الأوابين ﴿٩﴾ لأخذنا منه باليمين ﴿١٠﴾ فزلقنا منه الأوتين ﴿١١﴾ فمأ منكم من أسد عنة حجرين ﴿١٢﴾ وإنه لتذكرة للمتقين ﴿١٣﴾ وأنا لتعلمن أن منكم كافرين ﴿١٤﴾ وإنه لحسرة على الكافرين ﴿١٥﴾ وإنه لحق اليقين ﴿١٦﴾ فستبخر بأمر ربك العظيم ﴿١٧﴾

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُم دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَصْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَحَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَيَرَوْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْفُفْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ حَمِيماً ﴿١٠﴾

يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي كَفَرُوا وَعَلَىٰ أُولَٰئِكَ نَزَّلْنَا آيَاتِنَا فَذَرِكُنَّ ۝١١٦
 وَيَصْرِفُهُمْ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١١٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١١٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١١٩
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢١ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٢
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٤ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٥
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٨
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٢٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣١
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٢ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٤
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٥ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٧
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٣٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٠
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤١ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٢ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٣
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٤ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٥ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٦
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٤٩
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥١ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٢
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٤ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٥
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٨
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٥٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦١
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٢ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٤
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٥ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٧
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٦٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٠
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧١ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٢ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٣
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٤ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٥ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٦
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٧٩
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨١ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٢
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٤ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٥
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٧ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٨
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٨٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٠ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩١
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٢ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٣ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٤
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٥ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٦ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٧
 وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٨ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝١٩٩ وَيُؤَدِّعُهُمْ لِيُجْزِيَهمُ ۝٢٠٠

[١١٦-١١٧] يروونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحداً. يتنمى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه ويتنمى إليها في القرابة. وجميع من في الأرض من البشر وغيرهم. ثم ينجو من عذاب الله.

[١١٨-١٢٥] ليس الأمر كما تمناء -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تملطي نارها وتلتهب، تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن، تنادي من أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله، وجمع المال، فوضعه في خزانته، ولم يؤد حق الله فيه. [١٢٦-١٣٠] إن الإنسان جَبِيلٌ على الجزع وشدة الحرص، إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، وإذا أصابه الخير والبسر فهو كثير المنع والإمساك، إلا المقيمين للصلاة الذين يحافظون على أدائها في جميع الأوقات، ولا يشغلهم عنها شاغل، والذين في أموالهم نصيب معين فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن

يسألهم المعونة، ولم يتعفف عن سؤالها، والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة، والذين هم خائفون من عذاب الله، إن عذاب ربه لا ينبغي أن يأمنه أحد، والذين هم حافظون لفروجه عن كل ما حرّم الله عليهم، إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين.

[٣١-٣٥] فمن طلب لِقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام، والذين هم حافظون لأمانات الله وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد، والذين يؤدّون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان، والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يتجملون بشيء، من واجباتها، أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرّون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

[٣٦-٣٩] فأني دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا تحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مدّوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقاً متعددة وجماعات متفرقة يتحدّثون ويتعجبون؟ أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله جنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبداً. إننا خلقناهم مما يعلمون من ماء مهين فكفرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟

[٤٠] أقسم تعالى بنفسه، وهو ربّ المشارق والمغارب وللشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرات الدالّة على البعث، إننا لقادرون قدرة تامّة.

[٤١] على أن نستبدل بهم قوماً أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نأتي بقوم آخرين خير منهم.

[٤٢-٤٤] لكن سبق في علمنا ومشيئتنا تأخير عقوبة هؤلاء الكفار. وعدم تبديلهم بقوم آخرين، فاتركهم يخوضوا في باطلهم، وينبعوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين. كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى أهتهم التي اختلقوها للعبادة من دون الله، يهرولون ويسرعون. دليلاً أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحقارة والمهانة، ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويُكذبون.

[سورة نوح]

[٤-١] إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، وقلنا له: حذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب موجع. قال نوح: يا قومي

إني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحد، وخافوا عقابه، وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطعتموني واستجبتم لي، يصفح الله عن ذنوبكم ويفغر لكم، ويؤمد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى. إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبداً. لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة.

[٥-١٠] قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدكم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً وإعراضاً عنه، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك؛ ليكون سبباً في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسموا دعوة الحق. وتغطوا بثيابهم؛ كي لا يروني، وأقاموا على كفرهم. واستكبروا عن قبول الإيمان استكباراً شديداً، ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهراً علناً في غير خفاء. ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال. وأسرت بها بصوت خفي في حال أخرى. فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم. وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفراً لمن تاب من عباده ورجع إليه.

عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٥﴾ فَذَرْنُهُمْ يَخُضِعُونَ وَأُوغِلُّوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِيرَاتٍ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِصُونَ ﴿٧﴾ خَتِيبَةً أَمْسَرْتُمْ تَرَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٨﴾

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ قَالَ قَوْمًا لِّمَنْ قَبْلِي يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي آتِيكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّي فَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُعَذِّبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّيْلٌ مُّسِيٌّ إِن لَّبِثَ اللَّهُ بِمَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٦﴾ فَذَرَيْتُهُمْ ذُرِّيَّتِي وَإِلَّا يُرَارًا ﴿٧﴾ وَإِنِّي كَلَّمَا طَائِفَةٌ لِّتُفَيِّرْ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَسْمَعُوا إِنِّي بُيِّنْتُ لَهُمْ وَأَسْكَبْتُ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِمُ امْرُؤًا مِّنْ ذُرِّيَّتِهِ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ وَيَسْقِيكُمْ
 الْمَطَرَ غَزِيرًا مَّتَابِعًا، وَيَكْثُرُ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ،
 وَيَجْعَلُ لَكُمْ حُدُودًا تُتَمَعُّونَ بِشَارِهَا وَجَمَالِهَا،
 وَيَجْعَلُ لَكُمْ الْأَنْهَارَ الَّتِي تَسْقُونَ مِنْهَا زُرْعَكُمْ
 وَمَوَاشِيَكُمْ. مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْقَوْمُ - لَا تَخَافُونَ عِظْمَةَ
 اللَّهِ وَسُلْطَانَهُ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ فِي أَطْوَارٍ مُتَدَرِّجَةٍ: نَظْفَةَ
 ثُمَّ عِلْقَةَ ثُمَّ مَضْغَةَ ثُمَّ عِظَامًا وَحَمَاءً؟ أَلَمْ تَنْظُرُوا كَيْفَ
 خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مُتطَابِقَةٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ،
 وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي هَذِهِ السَّمَوَاتِ نُورًا، وَجَعَلَ الشَّمْسُ
 مِصْبَاحًا مُضِيئًا يَسْتَضِيءُ بِهِ أَهْلَ الْأَرْضِ؟
 [١٧-٢٠] وَاللَّهُ أَنْشَأَ أَصْلَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ إِنْشَاءً، ثُمَّ
 يَعِيدُكُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُخْرِجُكُمْ يَوْمَ
 الْبَعْثِ إِخْرَاجًا مُحَقَّقًا. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَمْدَةً
 كَالْبَسَاطِ: لَتَسْلُكُوا فِيهَا طَرَفًا وَسَاعَةً.
 [٢١-٢٥] قَالَ نُوحٌ: رَبِّ إِنِّي قَوْمِي بِالْفِعْوَى فِي عَصِيَانِي
 وَتَكْذِيبِي، وَاتَّبَعَ الضَّعْفَاءُ مِنْهُمْ الرُّؤْسَاءَ الضَّالِّينَ
 الَّذِينَ لَمْ تَزِدْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِلَّا ضَلَالًا فِي الدُّنْيَا

وَعِقَابًا فِي الْآخِرَةِ، وَمَكَرَ رُؤْسَاءَ الضَّالِّينَ بِتَابِعِيهِمْ مِنَ الضَّعْفَاءِ مَكْرًا عَظِيمًا، وَقَالُوا لَهُمْ: لَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ أَهْلِكُمْ
 إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا نُوحٌ، وَلَا تَتْرُكُوا وَدًّا وَلَا سُوعَاءً وَلَا بَغُوثًا وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، وَهِيَ أَسْمَاءُ
 أَصْنَامِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ. لَمَّا مَاتُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ
 يَقِيمُوا لَهُمُ التَّمَائِيلَ وَالصُّورَ: لِيَنْشُطُوا - بِزَعْمِهِمْ - عَلَى الطَّاعَةِ إِذَا رَأَوْهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَطَالَ الْأَمَدُ،
 وَخَلَفَهُمْ غَيْرُهُمْ، وَسُوسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِأَنْ أَسْلَفَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ التَّمَائِيلَ وَالصُّورَ، وَيَتَسَلَّطُونَ بِهَا. وَهَذَا مِنْ
 حِكْمِ تَحْرِيمِ التَّمَائِيلِ، وَتَحْرِيمِ بِنَاءِ الْقُبَابِ عَلَى الْقُبُورِ؛ لِأَنَّهَا تَصِيرُ مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَنِ مَعْبُودَةً لِلجَهَالِ. وَقَدْ أَضَلَّ
 هَؤُلَاءِ الْمُتَّبِعُونَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِمَا زَيَّنُوا لَهُمْ مِنْ طَرُقِ القَوَايِمِ وَالضَّلَالِ. ثُمَّ قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَا تَزِدْ
 - يَا رَبَّنَا - هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمُ بِالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ إِلَّا بُغْدًا عَنِ الْحَقِّ. فَبِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَأَصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ
 وَالطُّغْيَانِ أَعْرَقُوا بِالطُّوفَانِ، وَأَدْخَلُوا عَقَبَ الْإِغْرَاقِ نَارًا عَظِيمَةَ اللَّهَبِ وَالْإِحْرَاقِ، فَلَمْ يَجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
 يَنْصُرُهُمْ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ.

[٢٦-٢٨] وَقَالَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ بَأْسِهِ مِنْ قَوْمِهِ: رَبِّ لَا تَتْرُكْ مِنَ الْكَافِرِينَ بَكَ أَحَدًا حَيًّا عَلَى الْأَرْضِ يَدُورُ
 وَيَتَحَرَّكُ. إِنَّكَ إِنْ تَتْرَكْتَهُمْ دُونَ إِهْلَاكِ يَضْلُوعِ عِبَادِكَ الَّذِينَ قَدِ آمَنُوا بِكَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا يَأْتِي مِنْ أَصْلَابِهِمْ
 وَأَرْحَامِهِمْ إِلَّا مَائِلٌ عَنِ الْحَقِّ شَدِيدُ الْكُفْرِ بِكَ وَالْعَصِيَانِ لَكَ. رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدِيَّ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا.
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.

[٢٦-٢٨] وَقَالَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ بَأْسِهِ مِنْ قَوْمِهِ: رَبِّ لَا تَتْرُكْ مِنَ الْكَافِرِينَ بَكَ أَحَدًا حَيًّا عَلَى الْأَرْضِ يَدُورُ
 وَيَتَحَرَّكُ. إِنَّكَ إِنْ تَتْرَكْتَهُمْ دُونَ إِهْلَاكِ يَضْلُوعِ عِبَادِكَ الَّذِينَ قَدِ آمَنُوا بِكَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا يَأْتِي مِنْ أَصْلَابِهِمْ
 وَأَرْحَامِهِمْ إِلَّا مَائِلٌ عَنِ الْحَقِّ شَدِيدُ الْكُفْرِ بِكَ وَالْعَصِيَانِ لَكَ. رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدِيَّ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا.
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الْكَافِرِينَ إِلَّا هَلَاكًا وَخَسْرَانًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ اللَّهُ أَسْمِعَ نَجْوَىٰ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ فَكَلِمًا أَدْبَارًا
 نَجْوَىٰ ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا إِلَهًا ۖ
 وَأَنْتَ تَعْلَمُ جَدْرَنَا مَا فَخَّرَ صَنْجِبَةً وَلَا وَدَانَ ۖ وَأَنْتَ كَذَّابٌ
 يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ سَطْلٌ ۖ وَأَنَا نَقْتُنَا أَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنْتَ كَانِ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونِ بِحَالٍ
 مِمَّنْ الْجِنُّ فَرَادَ فَرَزَهُمْ قَالُوا ۖ وَأَنْتُمْ تَقُولُوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ
 اللَّهُ أَحَدًا ۖ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْتَهَا مُلَيَّتًا حَرَسَاتٍ
 شَدِيدَاتٍ وَسُهْبَاتٍ ۖ وَأَنَا كَمَا تَقَعُدُنِيهَا مَقْبَعَةً لِيَسْتَجْعَنَ مَنْ
 يَسْتَجْعِنُ الْآنَ لِيَحْدِثَ لَهَا رَازِدَاتٍ ۖ وَأَنَا لَأَنْذِرُ أَسْرَارِي ۖ
 مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ ۖ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ وَأَنَا لَمَّا الْفَتِيلُونَ
 وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْبِقَدَاتِ ۖ وَأَنَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ نُعْجِزَ
 اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ۖ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَيْجَةَ
 آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۖ

[سورة الجن]

[٢٠١] قل -أيها الرسول:- أوحى الله إلي أن جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعاً في بلاغته وفصاحته، وجكمه وأحكامه وأخباره، يدعو إلى الحق والهدى، فصدقنا بهذا القرآن وعملنا به، ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحداً في عبادته.

[٣] وأنه تعالت عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولداً.

[٤] وأن سفيهننا -وهو إبليس- كان يقول على الله تعالى قولاً بعيداً عن الحق والصواب، من دعوى الصاحبة والولد.

[٥] وأنا حينئذ أن أحدلن رجال من الجن في نسبة الصاحبة والولد إليه.

[٦] وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد رجال الجن الإنس باستعاذتهم بهم خوفاً وإرهاباً ووعياً.

وهذه الاستعاذة بغير الله التي نعاها الله على أهل الجاهلية، من الشرك الأكبر، الذي لا يقفره الله إلا بالتوبة النصوح منه. وفي الآية تحذير شديد من اللجوء إلى السحرة والمشعوذين وأشباههم.

[٧] وأن كفار الإنس حسبوا كما حسبتم -يا معشر الجن- أن الله تعالى لن يبعث أحداً بعد الموت.

[٨] وأنا -معشر الجن- طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها، فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقرب منها.

[٩] وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهاباً بالمرصاد، يحرقه ويهلكه. وفي هاتين الآيتين يبطال مزاعم السحرة والمشعوذين، الذين يدعون علم الغيب، ويفررون بضعة العقول؛ بكذبهم وافتراءهم.

[١٠] وأنا -معشر الجن- لا نعلم: أشراً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، أم أراد بهم خيراً وهدى؟

[١١] وأنا منا الأبرار المتقون، ومنا قوم دون ذلك كفار وفساق. كنا فرقاً ومذاهب مختلفة.

[١٢] وأنا أيضاً أن الله قادر علينا، وأنا في قبضته وسلطانه، فلن نفوته إذا أراد بنا أمراً أينما كنا، ولن نستطيع أن نفلت من عقابه هرباً إلى السماء، إن أراد بنا سوءاً.

[١٣] وأنا لما سمعنا القرآن آمناً به، وأقررنا أنه حق من عند الله، فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصاناً من حسناته، ولا ظملاً يلحقه بزيادة في سيئاته.

[١٤، ١٥] وأنا من الخاضعون لله بالطاعة، وأنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق. فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وقوداً لجهنم.

[١٦، ١٧] وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يجيدوا عنها لأنزلنا عليهم ماء كثيراً، ولو سألناهم الرزق في الدنيا؛ لنخترهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟ ومن يُعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذاباً شديداً شاقاً.

[١٨] وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تثنَ إلا ليعبد الله وحده فيها، دون من سواه. وفي الآية وجوب تزينة المساجد من كل ما يشوب الإخلاص لله، ومتابعة رسوله محمد ﷺ.

[١٩] وأنه لما قام محمد ﷺ، يعبد ربه، كاد الجن

يكونون عليه جماعات مترامكة، بعضها فوق بعض؛ من شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه.

[٢٠] قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معي في العبادة أحداً.

[٢١-٢٣] قل -أيها الرسول- لهم: إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرراً، ولا أجلب لكم نفعاً، قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأً أفتر إليه من عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالته التي أرسلني بها إليكم. ومن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبداً.

[٢٤] حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: من أضعف ناصرأ ومعينأ وأقل جندأ؟

[٢٥-٢٨] قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وُعدتم به قريب زمنه، أم يجعل له ربي مدة طويلة؟ وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحداً من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لنلا يسترقوه وبهمسوا به إلى الكهنة؛ ليعلم الرسول ﷺ، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق. وأنه حفظ كما حفظوا من الجن. وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهراً وباطناً من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عدداً، فلم يُخَفْ عليه منه شيء.

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاطِنِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاطِنُونَ فكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝
وَالَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِنَهُمْ مَّا عَدَدَ ۝ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيَ سَسَلْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۖ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَذُوًّا يَكُونُ عَلَيْهِ لَيْدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إني لَا أَنصِلُكُمْ لَوْ كُفِرْتُمْ وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إني لَن يُجِيرِي مِنَ اللَّهِ أَحَدًا وَلَن أَجِدُ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا لَمَّا بَلَغَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۖ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ۝ قُلْ إني أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا ۝ عَذَابَ الْقَتِيلِ فَلَا يُظهِرُ عَلَىٰ عَذِيبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن رَاقَبَ مِنْ رِزْوَالٍ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ قِيبًا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ غَيْبٍ ۖ وَرِزْقِهِ مِمَّا تُبَلِّغُونَ بِأَيْدِيكُمْ وَأَعْيُنِكُمْ ۖ كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الزُّمَرُ ۝ فِرَاقُ الْأَقْبِيَالِ ۝ نَضْفَةٌ أَوْ نَضْفَانِ ۝ قِيلًا ۝
 أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۝ وَرَقِيلُ الْفَرْزَانِ ۝ تَرْبِيْلًا ۝ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَىٰ نَبِيِّكَ قَوْلًا
 قِيْلًا ۝ إِنْ كُنَّا شِئْنَا لَنَلْبَسَنَّهُ ۝ لَوْلَا أَلَمْنَا لَكَبَابُكَ ۝ إِنَّا لَنَكْفِيكَ
 الْقِتَالَ ۝ وَإِنَّا لَنَنصُرُكَ ۝ وَنَقْتُلُ الَّذِينَ يَبْغُونَكَ ۝ وَإِنَّا لَنَنصُرُكَ
 رَبُّ الشَّرْقِ ۝ وَالْمَغْرِبِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ ۝ وَكَيْلًا ۝ وَأَصْبِرْ
 عَلَىٰ مَا يَأْتِيكَ ۝ وَأَعْفُزْهُمْ هَجْرًا ۝ جَبِيلًا ۝ وَذَرِيٍّ وَالْمُكَذِّبِينَ
 أُولَىٰ التَّمَتُّعِ ۝ وَمَقَاهِنَهُ قِيْلًا ۝ إِنْ لَدَيْنَا لَأُنكِلَا ۝ وَتَجِيئَا ۝
 وَطَعَامًا ذَا غُصْرٍ ۝ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ ۝ وَالْجِبَالُ
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيْلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا
 عَلَيْكَ ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَصْنَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ
 فَأَخَذْتَهُ أَغْنَانًا ۝ وَسَبْلًا ۝ كَيْفَ تَشْفُونَ ۝ إِنْ كَفَرْتُمْ ۝ يَوْمًا
 يَحْضُرُ الْوَلَدَانَ شِيْبًا ۝ أَلَسْنَا مُقْبِلِينَ ۝ بَلْ هُمْ كَذِبَةٌ ۝
 إِنْ هَدَيْتَهُمْ ۝ تَذَكَّرَ ۝ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ ۝ سَبِيْلًا ۝

[سورة الزمُر]

[٤-١] يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا يسراً منه، قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن بشؤدة وتمهل مبيناً الحروف والوقوف.

[٥] إنا سننزل عليك - أيها النبي - قرآناً عظيماً مشتملاً على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية.

[٦] إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيراً في القلب، وأبين قولاً، لصراغ القلب من مشاغل الدنيا.

[٧] إن لك في النهار تصرفاً وتقلباً في مصالحك، واشتغلاً واسعاً بأمور الرسالة، ففرغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

[٩، ٨] واذكر - أيها النبي - اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعاً تاماً في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاعتمد عليه، وفوض أمورك إليه.

[١٠] واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي دينك، وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم. [١١] ودعي - أيها الرسول - وهؤلاء المكذبين بأياتي أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهلهم زمناً قليلاً بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم.

[١٣، ١٢] إن لهم عندنا في الآخرة قيوداً ثقيلة وناراً مستعرة يحرقون بها، وطعاماً كريهاً ينشعب في الحلق لا يستساع، وعذاباً موجعاً.

[١٤] يوم تضطرب الأرض والجبال وتزلزل حتى تصير الجبال تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت ضلابة جامدة. [١٦، ١٥] إنا أرسلنا إليكم - يا أهل مكة - محمداً رسولاً، شاهداً عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان. كما أرسلنا موسى رسولاً إلى الطاغية فرعون، فكذب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكاً شديداً.

وفي الآية تحذير من معصية الرسول محمد ﷺ؛ خشية أن يصيب العاصي مثل ما أصاب فرعون وقومه.

[١٧] وكيف تظنون أنفسكم - إن كفرتم - عذاب يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان الصغار؛ من شدة هوله وكرهه؟

[١٨] السماء متصدعة في ذلك اليوم؛ لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة.

[١٩] إن هذه الآيات المخوِّفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاعتاض والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقاً توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه ورثياً.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْفَىٰ مِنْ نُلُقِي اللَّيْلِ وَضَعْفَهُ وَتُلْتَمِسُ وَطْأَتَهُ
مِنَ اللَّيْلِ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَانٌ لَّنْ مَخْصُومٍ فَتَابَ
عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَأَمَّا تَمَسُّرٌ مِنْ أَلْفَةٍ إِنْ عَمِلَ إِنْ سَيَكُونُ مِنْكَ مَرَضَىٰ
وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعِمُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُونَ وَأَمَّا تَمَسُّرٌ مِنْهُ فَأَيُّهَا الصَّلَاةُ وَأَتُوا
الزُّكْرَةَ وَأَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْبَلُهُمْ إِلَّا فَيَسْكُرُونَ مِنْ خَيْرِ عَمَلِهِمْ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَفِيرُ وَاللَّهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ غُفُورًا رَجِيمًا

سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِأَيِّهَا الْمَدْثَرُ ١ فَرَأَيْتَ ٢ رِبَّكَ فَكَيِّفَ ٣ وَيَتَابَكَ فَطَهِّرَ ٤
وَالرَّجْزَ فَأَذْخِرَ ٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمَسَّ كَبِيرَ ٦ وَإِلَيْكَ فَاصْبِرَ ٧ فَإِذَا نَقَرَ ٨
فِي التَّاقُورِ ٩ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَسِيرٍ ١٠ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ عَسِيرٍ ١١
ذَرِيٍّ وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِيدًا ١٢ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ١٣ وَبَيْنَ
شُهُودًا ١٤ وَمَمْدُودًا لَهُ قَهْمِيَّةً ١٥ فَتَرْطَمِعُ أَنْ أُرِيدَ ١٦ كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ١٧ سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا ١٨ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٩

[٢٠] إن ربك - أيها النبي - يعلم أنك تقوم تقوم للتهجد من الليل أقل من ثلثيه حيناً، وتقوم نصفه حيناً، وتقوم ثلثه حيناً آخر، ويقوم معك طائفة من أصحابك. والله وحده هو الذي يقدر الليل والنهار، ويعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما، علم الله أنه لا يمكنكم قيام الليل كله، فحُفِّفْ عليكم، فاقْرؤوا في الصلاة بالليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن، علم الله أنه سيوجد فيكم مَنْ يُعجزه المرض عن قيام الليل، ويوجد قوم آخرون ينتقلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون من رزق الله الحلال، وقوم آخرون يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمته ونشر دينه، فاقْرؤوا في صلاتكم ما تيسر لكم من القرآن، واطبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وتصدقوا في وجوه البر والإحسان من أموالكم؛ ابتغاء وجه الله، وما تفعلوا من وجوه البر والخير وعمل الطاعات، تلقوا أجره وثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثواباً، واطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم، إن الله غفور لكم، رحيم بكم.

[سورة المدثر]

[٧-١٠] يا أيها المتغطّي بتيابه، قم من مضجعك، فحدّر الناس من عذاب الله، وحُصِّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وظهّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، وذم على هجر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، ولا تخطّ العطيّة؛ كي تلمس أكثر منها، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي. [٨-١٠] فإذا نُفخ في «القرن» نفخة البعث والنشور، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهل أن يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأهوال.

[١١-١٧] دعني - أيها الرسول - أنا والذي خلقته في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد. وجعلت له مالاً مبسوطاً واسعاً وأولاداً حضوراً معه في «مكة» لا يغيبون عنه، وسُيِّرَ له سبيل العيش تيسيراً، ثم يأمل بعد هذا العطاء أن يزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي. ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيد على ذلك؛ إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معانداً مكذباً، سأكلفه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها. والمراد بهذا الوعيد الوليد بن المغيرة المعاند للحق البارز لله ولرسوله بالمحاربة. وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذ.

[١٨] إنه فكّر في نفسه، وهياً ما يقوله من الطعن في محمد ﷺ والقرآن.

[١٩- ٢٥] قلن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعد في نفسه هذا الطعن؟ ثم لعن كذلك، ثم تأمل فيما قدر وهياً من الطعن في القرآن، ثم قطب وجهه، واشتد في العيوس والكُفوح لما ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعناً يطعن به في القرآن، ثم رجع معرضاً عن الحق، وتعاطف أن يعترف به. فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنقل عن الأولين، ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلمه محمد منهم، ثم ادعى أنه من عند الله.

[٢٦- ٣٠] سأدخله جهنم؛ كي يصلح حرها ويحترق بنارها، وما أعلمك أي شيء جهنم؟ لا تبقى لحماً ولا تترك عظماً إلا أحرقت، مغيرة للبشرة، مسودة للجلود، محرقة لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعباد تسعة عشر ملكاً من الزبانية الأشداء.

[٣١] وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختباراً للذين كفروا بالله؛ وليحصل اليقين للذين أعطوا الكتاب من

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ فَتَقِيلُ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ فَتَنْظُرُ ﴿٢١﴾ فَوَعَسَ وَيَسَّرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَزْوَاجُ مَا سَقَرَ ﴿٢٧﴾ لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ وَأَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يُضِلُّ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهْدِي إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَرُ ﴿٣٣﴾ وَالضُّحَىٰ إِذَا تَشْرَقُ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكَبَرِ ﴿٣٥﴾ نَفِيرَ الْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لَمِنَ شَأْنِهِ مَكْرُومٌ يُخْتَمُ أَوْ يَنْتَقَرُ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَحْسَبَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ النَّجْمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَأَلَكَو فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمَصَلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَرَبِّكَ ظُفْعَةُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ جَعٍ الْخَالِ بَصِيدِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

اليهود والنصارى بأن ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم، ويزداد المؤمنون تصديقاً بالله ورسوله وعملاً بشرعه، ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله؛ وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراد الله بهذا العدد المستغرب؟ بمثل ذلك الذي ذكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته، وما يعلم عدد جنود ربك - ومنهم الملائكة - إلا الله وحده. وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس.

[٣٢- ٣٧] ليس الأمر كما ذكروا من التكذيب للرسول فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر، وبالليل إذ ولى وذهب، وبالصبح إذا أضاء، وانكشف، إن النار لإحدى العظائم؛ إنذاراً وتخويفاً للناس. لمن أراد منكم أن يتقرب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي.

[٣٨- ٤٧] كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفك حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُذرك وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن الكافرين الذين أجمروا في حق أنفسهم؛ ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلين في الدنيا، ولم نكن نتصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

فَمَا تَعْمَهُمْ سَمِعَهُ السَّامِعِينَ ﴿٥١﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٥٢﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٣﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنتَهَةً ﴿٥٤﴾ كَلَّا بَلْ لَّا يُخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٦﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴿٥٨﴾

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٥١﴾ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِمَةِ ﴿٥٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن نَّجْعَلَ عِظَامَهُ ﴿٥٣﴾ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٥٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥٥﴾ يَسْتَلِ بِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٥٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٥٨﴾ رُجِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْقَمَرَ ﴿٦٠﴾ كَلَّا وَرَرَّ ﴿٦١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿٦٢﴾ يَسْتَوُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿٦٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿٦٥﴾ لَأَنفَرَك بِهِ لِيَسَانِكَ لِيُعْجَلَ بِهِ ﴿٦٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَيَوْمَئِذٍ ﴿٦٧﴾ إِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَتَاتِعَ قُرْآنَهُ ﴿٦٨﴾ فَرَّانَ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٦٩﴾

[سورة القيامة]

[٤-١] أقسم الله سبحانه بيوم الحساب والجزاء، وأقسم

بالنفس المؤمنة النقية التي تلوم صاحبها على ترك

الطاعات وفعل الموبقات، إن الناس سيبعثون. أيظن هذا الإنسان الكافر أن لن تقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟

بلى سنجمعها، قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله - بعد جمعها وتأليفها - خلقاً سوياً، كما كانت قبل الموت.

[٦-٥] بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره، يسأل هذا الكافر مستبعداً

قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟

[٧-١-١٠] فإذا تحيرَ البصر وذهش فرعاً بما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر. وجمع بين الشمس والقمر في

ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟

[١٢، ١١] ليس الأمر كما تمناء - أيها الإنسان - من طلب الفرار. لا ملجأ لك ولا منجى. إلى الله وحده مصير الخلائق

يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلُّ ما يستحق.

[١٣] يُخَيَّرُ الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ: مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. مَا قَدَّمَهُ مِنْهَا فِي حَيَاتِهِ وَمَا أَخَّرَهُ.

[١٥، ١٤] بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك. ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه،

فإنه لا ينفعه ذلك.

[١٦-١٩] لا تحرك - أيها النبي - بالقرآن لسانك حين نزول الوحي: لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلت منك. إن

علينا نجمة في صدرك. ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت. فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمع لقراءته وأنتصت له،

ثم أقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

[٢١، ٢٠] ليس الأمر كما زعمتم - يا معشر المشركين - أن لا بعث ولا جزاء، بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

[٢٣، ٢٢] وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتمتع بذلك.

[٢٥، ٢٤] وجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فقار الظهر.

[٢٦-٣٠] حقاً إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل من راق يزيقه ويُسفيه

بما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أنّ الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت، واتصلت شدة آخر

الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة؛ إما إلى الجنة وإما إلى النار.

[٣١-٣٥] فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا أدّى الله تعالى فرائض الصلاة، ولكن كذب بالقرآن، وأعرض

عن الإيمان، ثم مضى إلى أهله يتبختر مختالاً في مشيته، هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

[٣٦-٤٠] أبطأ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يترك

هتلاً لا يؤمر ولا يُنهي. ولا يحاسب ولا يعاقب؛ ألم يك هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم جامد، فخلق الله بقدرته وسؤى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى. أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟ بلى إنه - سبحانه وتعالى - لقادر على ذلك.

[سورة الإنسان]

[١] قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفخ فيه الروح، لم يكن شيئاً يُذكر، ولا يُعرف له أثر.

[٢، ٣] إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا بيننا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والحير والشر؛ ليكون إما مؤمناً شاكراً، وإما كفوراً جاحداً.

[٤] إنا أعتدنا للكافرين قيوداً من حديد تُشدُّ بها أرجلهم، وأغلالاً تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، وناراً يُحرقون بها.

[٥] إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يودون حق الله، يثربون يوم القيامة من كأس فيها خمر مزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكفور.

كَلَّا لَبِئْسَ مَا تَحْمِلُونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَدْرُونَ الْآخِرَةَ ۝ زُجُورًا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۝ إِنْ يَنْهَاكُمُ النَّاطِقَةُ ۝ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مَّسِيرَةٌ ۝ تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَةَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝ وَالْتَقَى النَّاسُ بِالْفِرَاقِ ۝ إِنْ يَرَوْكَ يُتِمُّهُ النَّسَاقُ ۝ فَلَا صَدَقَ وَلَا سَلَ ۝ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ فَزُجِرَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۝ يَسْتَحَلُّ ۝ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۝ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۝ أَتَحْسَبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتْرُكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَعْنَىٰ نَعْتَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَتْ عَلْفَةً فَحَبَقَ حَسْرَتَىٰ ۝ فَيَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ ۝ وَالْأُنثَىٰ ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكَورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ أَمْشَاجٍ مَّبْتَلِيَةً فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَيِّئًا ۝ وَأَعْلَاقًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَّا الْأَرْضَ بَشَرًا مِّنْ كَأْسٍ كَانَ مَرْيَمًا كَافُورًا ۝

عَيْنًا نَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَفْجَرُونَهَا تَنْجِيرًا ﴿١٠﴾ وَيُؤْمِنُونَ بِالنَّارِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَتْ شَرًّا مُسْتَطِيرًا ﴿١١﴾ وَيُظْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَى خَبْءٍ مِنْ بَيْنِنَا
وَيَسْتَمِئُونَ وَأَسِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّمَا ظَعْمُكُمْ رَوْحُهُ اللَّهُ لَا تَزِيدُكُمْ حَزًّا
وَلَا شُكْرًا ﴿١٣﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمَسْنَا أَظْفِيرًا ﴿١٤﴾ فَوَدَّعْنَا اللَّهُ شَرَّ
ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَدْ هَمَمْنَا فَضْرَةً وَشُرُورًا ﴿١٥﴾ وَجَزَّزْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً
وَحَيْرِينَ ﴿١٦﴾ مُفْرَكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرْتَوِي فِيهَا شَمْسًا
وَلَا زَهْمِيرًا ﴿١٧﴾ وَدَلِيلَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا وَذَلِكَ فَطَوْرًا تَدْلِيلًا ﴿١٨﴾
وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَابِعِينَ فِضَّةً وَأَكْوَابًا قَرَارًا ﴿١٩﴾ قَرَارًا مِنْ فِضَّةٍ
قَدَّرْنَا تَقْوِيرًا ﴿٢٠﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٢١﴾ عَيْنًا فِيهَا
نَسْتَقِي سَلْسِيلًا ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا دَأَبُوا تَسْتَمْتَعُونَ
لَوْلَا إِسْتِسْرَارٌ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّا لَنَرَيْنَ أَزْوَاجَ النَّارِ يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ سِوَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا لَنَرَيْنَ أَزْوَاجَ النَّارِ يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ سِوَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَرَيْنَ أَزْوَاجَ النَّارِ يَكْفُرُونَ
لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ سِوَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّا لَنَرَيْنَ أَزْوَاجَ النَّارِ
يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ سِوَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّا لَنَرَيْنَ
أَزْوَاجَ النَّارِ يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ سِوَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾

(١٠-١٦) هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويجفرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلاً. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيراً، وشره فاشياً منتشراً على الناس. إلا من رحمة الله، ويظعمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيراً عاجزاً عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلاً مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيراً أسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضاً ولا نقصد حمداً ولا ثناء منكم. إننا نخاف من ربنا يوماً شديداً تغيب فيه الوجود، وتتقلب الجباب من فظاعة أمره وشدة هول.

(١٧-١١٦) فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسناً ونوراً في وجوههم، وبهجة وفرحاً في قلوبهم، وأنابهم بصرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويلبسون فيها الحرير الناعم، متكئين فيها على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور. لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد، وقريبة منهم أشجار الجنة مظلة عليهم، وسهل لهم أخذ ثمارها تسهيلاً.

(١٧-١٥) ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية، وأكواب الشراب من الزجاج. زجاج من فضة، قدرها السقا على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص. ويسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأساً مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل. يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلاً؛ لسلامة شرابها وسهولة مساعه وطيبه.

(١٦) ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم. إذا أبصرتهم ظننتهم -لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرق المضيء.

(٢٠) وإذا أبصرت أي مكان في الجنة رأيت فيه نعيماً لا يُذكره الوصف. وملكاً عظيماً واسعاً لا غاية له.

(٢١) يعطونهم ويجعل أبدانهم ثياب بطانتها من الحرير الرقيق الأخضر. وظاهرها من الحرير الغليظ، ويؤتتون من الحلي بأساور من الفضة، وسقاهاهم ربهم فوق ذلك التعميم شراباً لا رجس فيه ولا دنس.

(٢٢) ويقال لهم: إن هذا أعد لكم مقابل أعمالكم الصالحة، وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضياً مقبولاً.

(٢٣) إننا نحن نزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن تنزيلاً من عندنا؛ لتذكر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب.

(٢٤، ٢٥) فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمساً في الشهوات أو مبالغاً في الكفر والضلال، وداوِّم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

[٢٦] ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ۝ إن هؤلاء يجنون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ۝ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شيئا بدلنا من أمرهم تبديلاً ۝ إن هذوه نذكره من شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ۝ وما نشاء ۝ إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ۝ يدخل من يشاء من رحمته ۝ والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً ۝

[٢٧] إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا، وينشغلون بها، ويتركون خلف ظهورهم العمل للأخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم الشدائد.

[٢٨] نحن خلقناهم، وأحكما خلقهم، وإذا شئنا أهلكناهم، وجئنا بقوم مطيعين ممثلين لأوامر الله.

[٢٩-٣١] إن هذه السورة بما فيها من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والأخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقاً يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه. وما تريدون أمراً من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليماً بأحوال خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. يُدخل من يشاء من عباده في رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعد للظالمين المتجاوزين حدود الله عذاباً موجعاً.

[سورة المزلزلات]

[١-٧] أقسم الله تعالى بالرياح حين تهب متتابعة

يقف بعضها بعضاً، وبالرياح الشديدة الهبوب المهلكة، وبالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله، وبالملائكة التي تنزل من عند الله بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، وبالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه؛ إعداراً من الله إلى خلقه وإنذاراً منه إليهم؛ لتلا يكون لهم حجة. إن الذي توعدون به من أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازل بكم لا محالة.

[٨-١٥] فإذا النجوم طمست وذهب ضياؤها، وإذا السماء تصدعت، وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تذرره الرياح، وإذا الرسل عُثِن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم، يقال: لأني يوم عظيم أحرَّت الرسل؟ أحرَّت ليوم القضاء والفصل بين الخلائق. وما أعلمك -أيها الإنسان- أي شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ هلاك عظيم في ذلك اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود.

[١٦-١٨] ألم نهلك السابقين من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعباد وثمود؟ ثم نلحق بهم المتأخرين ممن كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان. مثل ذلك الإهلاك الفظيع ففعل بهؤلاء المجرمين من كفار مكة؛ لتكذيبهم الرسول ﷺ.

[١٩] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة لكل مكذب بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والنسوة، والبعث، والحساب.

سورة المزلزلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَزَلْزَلَتِ عُرُوقًا ۝ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ۝
فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُغْبِتَتِ ذِكْرًا ۝ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝
وَلَمَّا الْيَخَالُ نَسِيتَ ۝ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ ۝ لِأَنِّي يَوْمَ أُنجِلْتُ ۝
لِيَوْمِ الْقُضْلِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقُضْلِ ۝ وَيَوْمَ يُؤْمَرُ
لِلْمُكْذِبِينَ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُنْفِئُهُمُ الْآخِرِينَ ۝
كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيَوْمَ يُؤْمَرُ لِّلْمُكْذِبِينَ ۝

[٢٠-٢٣] ألم خلقكم - يا معشر الكفار - من ماء ضعيف فقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى؟ فقد رنا على خلقه وتصويره واخراجه، نعم القادرون نحن.

[٢٤] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بقدرتنا. [٢٥-٢٧] ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتاً لا يحصرون، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات، لئلا تضطرب بكم، وأسقينكم ماء عذباً سائفاً؟

[٢٨] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بهذه النعم، [٢٩-٣٣] يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا فاستظلموا بدخان جهنم الذي يتفرغ منه ثلاث قطع، لا يظلم ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللهب شيئاً. إن جهنم تقذف من النار بشر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم والارتفاع. كأن شر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصفرة.

[٣٤] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بوعيد الله.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ جَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ قَدَرْنَا مِقْدَرَهُ الْقَدِيرِ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْضًا شَجِرَاتٍ ۝ وَسَقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَطْلَقْنَا إِلَى مَأْكَلِكُمْ بِهِ ۝ نَكْدُونَ ۝ أَطْلَقْنَا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لِأَطْلِيلٍ ۝ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّمَا تَتْرَمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جَنَّاتٌ صُمْرٌ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْنَسُ لَهُمْ فِعْتَدَازُونَ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ ۝ جَعَلْنَاكُمْ وَالْأَوْلَادَ ۝ فَإِنْ كَانَ لِكُرْبِكُمْ فَيْدُومٌ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُخْسِرِينَ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ كُلُوا وَمَشَوْا قَلِيلًا ۝ إِن كُمْ تُخْفِرُونَ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آذِكُمْ لَآ تَرْكَعُونَ ۝ وَنَبِّئْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَأَيَّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝

[٣٦، ٣٥] هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذوب بكلام ينفعهم، ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتدرون؛ لأنه لا عذر لهم.

[٣٧] هلاك وعذاب شديد يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وما فيه.

[٣٨، ٣٩] هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلاق، ويميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه - يا معشر كفار هذه الأمة - مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتلوا، وأنفذوا أنفسكم من بطش الله وانتقامه.

[٤٠] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم القيامة.

[٤١-٤٥] إن الذين خافوا ربهم في الدنيا، واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجاري، وفواكه كثيرة مما تشتهيه أنفسهم ينتعمون. يقال لهم: كلوا أكلاً لذيقاً، واشربوا شرباً هنيئاً؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال. إنا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا. هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب، وما فيه من العيب والعذاب.

[٤٦] ثم هدّد الله الكافرين فقال: كلوا من لذائذ الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية زمناً قليلاً؛ إنكم مجرمون بإشراككم بالله.

[٤٧] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الحساب والجزاء.

[٤٨] وإذا قيل لهؤلاء المشركين: صلوا لله واخشعوا له، لا يجشعون ولا يصلون، بل يصرون على استكبارهم.

[٤٩، ٥٠] هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله. إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كتاب وكلام بعده يؤمنون؟ وهو المبين لكل شيء، الواضح في حججه وأحكامه وأخباره، المعجز في ألفاظه ومعانيه.

[سورة النجم]

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝
 كَلَّا سِعَامُونَ ۝ قَدْ كَلَّ سِعَامُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۝
 وَالْجِبَالَ أَوْدَانًا ۝ وَخَلَقْنَا كُرُوزًا وَمَعَانٍ ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا
 قُوَّةً سُبُعًا سِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَقَاسًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً نَّجْمًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا
 الْأَنْفَالَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ
 فَتَأْتُونَ أَبْوَابًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلظَّالِمِينَ
 مَتَابًا ۝ لَيْسَ فِيهَا آخَافٌ ۝ لَا يَذُرُونَ فِيهَا بَرَدًا وَلَا
 شَرًّا ۝ إِلَّا جِيسًا وَعَسَاقًا ۝ جَزَاءً وَقَاسًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝ وَكُلَّ حَسْبِهِ
 أَخَصِيَّتُهُ كِتَابًا ۝ قَدْ قُوفُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝

الخلق. لا صدوع لها ولا فطور؟

[١٣] وجعلنا الشمس سراجاً وقاداً مضيئاً؟

[١٤-١٦] وأنزلنا من السحب المطر ماء، منصيباً بكثرة؛ لنخرج به حباً مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله

الدواب، وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعب أغصانها؟

[١٧، ١٨] إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتاً وميعاداً محدداً للأوليين والآخرين. يوم

ينفخ الصلح في القرن، إيداناً بالبعث فتأتون أمماً، كل أمة مع إمامهم.

[١٩] وفتحت السماء، فكانت ذات أبواب كثيرة لتزول الملائكة.

[٢٠] ونسفت الجبال بعد ثبوتها، فكانت كالسراب.

[٢١-٢٦] إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أعدت لهم. للكافرين مرجعاً، ما كئيب فيها دهوراً متعاقبة

لا تنقطع. لا يقطعون فيها ما يبرد حرّ السعير عنهم. ولا شراباً يرويههم. إلا ماء حاراً. وصديد أهل النار. يجازون

بذلك جزاء عادلاً؛ موافقاً لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

[٢٧-٣٠] إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له. وكذبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيباً، وكل شيء علمنا،

وكتبنا. في اللوح المحفوظ، فدوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم.

[٣-١] عن أي شيء، يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينسئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذبوا به.

[٤، ٥] ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل به يوم القيامة، ثم سيؤكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد ﷺ، من القرآن والبعث. وهذا تهديد ووعيد لهم.

[٦] ألم نجعل الأرض مهداً لكم كالفرش؟

[٧] والجبال رواسي؛ كي لا تتحرك بكم الأرض؟

[٨] وخلقناكم أصنافاً ذكراً وأنثى؟

[٩] وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون؟

[١٠] وجعلنا الليل لباساً تلبسكم ظلمته، وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسهُ؟

[١١] وجعلنا النهار معاشاً تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعون فيه لمصالحكم؟

[١٢] وبنينا فوقكم سبع سموات متينة البناء محكمة

إِن لِّلْمُتَّقِينَ مَقَارِنَ ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابَ ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسَاتٍ
 دِهَانًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۖ هَٰذَا مِن رَّبِّكَ عَطَاءٌ
 حِسَابًا ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ مَتَابًا ۖ إِنَّا نَأْتِرُكُم عَذَابًا فَرِيًّا ۖ يَوْمَ يَظُنُّ
 الْكَافِرُ مَا قَدَّمْت يَدَاہُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ تَلَكَّتْ بِي كُفْرًا ۗ

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالرَّازِعَاتِ غَرْقًا ۖ وَالنَّشِيطِ نَشْطًا ۖ وَالسَّجَّاتِ سَجًّا ۖ
 فَالْتَبِغْنَ سَبْقًا ۖ فَالْمُدْرِتِ أَمْرًا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ ۖ
 تَتَّبِعُنَّ الرِّادَةَ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ أَنْصُرَهَا خَشِيعَةٌ ۖ
 يَقُولُونَ أَيْ نَا نَرْوِدُونَ فِي لَطَائِفٍ لَّهَا أَكْأَمًا عِظْمًا تَحِيَّةٌ ۖ قَالُوا
 بَلَىٰ إِنْ كُنَّا لَخَالِفَةٌ ۖ فَالْمُنَاهِي رَحْمَةٌ وَحَدَّةٌ ۖ فَإِنَّا هُم بِالنَّاهِيَةِ ۖ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ مُّوسَىٰ ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَالِدِ الْفَرِحِيِّ طَوًى ۖ

[٣٦-٣٥] إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحاً، فوزاً يدخلون الجنة. إن لهم بسنتين عظيمه وأعناباً، ولهم زوجات حديثات السن قد استدارت أنداؤهن مع ارتفاع يسير، مستويات في سن واحدة، ولم كأس مملوءة خمرأ. لا يسمعون في هذه الجنة باطلاً من القول، ولا يكذب بعضهم بعضاً.

[٣٦-٣٩] لهم كل ذلك جزاء ومئة من الله وعطاء كثيراً كافياً لهم، رب السموات والأرض وما بينهما، رحمي الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه. يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقاً وسداداً. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة من أهواله فليخذ إلى ربه مرجعاً بالعمل الصالح.

[٤٠] إننا حذرناكم عذاب يوم الآخرة القريب الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت تراباً فلم أبعث.

[سورة النازعات]

[٧-١] أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً، والملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق. والملائكة التي تُسبِّح في نزولها من السماء وصعودها إليها، فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله، فالملائكة المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون، - ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير خالقه، فإن فعل فقد أشرك- لتبعت الخلائق وتُحاسب، يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

[٨، ٩] قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف، أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى.

[١٠-١٢] يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنزُدْ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ أنزُدْ وقد صرنا عظاماً بالية؟ قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذا خائبة كاذبة.

[١٣، ١٤] فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

[١٥، ١٦] هل أتاك -أيها الرسول- خير موسى؟ حين ناداه ربه بالوادي المطهر المبارك «طوى».

[١٧-١٩] فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان. فقل له: أتودُّ أن تطهر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان، وأرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟

[٢٠-٢٢] فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد، فكذب فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ. ثم ولى معرضاً عن الإيمان مجتهداً في معارضة موسى.

[٢٣-٢٦] فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة. وجعله عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين. إن في فرعون وما نزل به من العذاب لموعظة لمن يتعظ ويترجر.

[٢٧-٣٣] أتفتنكم - أيها الناس - بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟ رفعها فوقكم كالبناء. وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم

أذهب إلى فرعونَ إِنَّهُ ظَلَمَ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأُخَذَ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْسَبُ ﴿١٩﴾ فَأَنزَلْنَا آيَةَ الْكُذِّبِ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾ فَحَسْرَتًا أَدَّى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ تَارِكًا لِكُلِّ الْأَعْمَلِ ﴿٢٤﴾ فَاتَّخَذَ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرِينَ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَحْسَبُ ﴿٢٦﴾ فَأَنزَلْنَا سُحُبًا مِنَ السَّمَاءِ بِسُحُبٍهَا ﴿٢٧﴾ وَرَفَعْنَا سَنَكُمَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشْنَا لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَاءً هَارًا وَمُرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَّعْنَاكُمْ وَأَنْعَمْنَا كُرْهًا ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا جَاءتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَزُيِّنَتْ لِلْجَائِمِينَ بَرِّي ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴿٣٧﴾ وَوَالَّى الْحَبِيبَةَ ﴿٣٨﴾ أَلَدْنِيَا ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا لَمَسْنَا مِنَ الْمَأْوَى ﴿٤٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا لَمَسْنَا مِنَ الْمَأْوَى ﴿٤٢﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّاتٍ مُرْسَلَةً ﴿٤٣﴾ فَيَسْأَلُونَكَ مِنْ دُخَانِهَا ﴿٤٤﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا أَنَّتِ مَسْذُومَاتٍ يُخَسِّئُنَّهَا ﴿٤٦﴾ كَمَا أَنْهَدُوا يَوْمَ يَسْرُونَهَا لَن يَلْبَسُوا إِلَّا الْغَيْثَةَ أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٧﴾

ليلها بغروب شمسها. وأبرز نهارها بشروقها. والأرض بعد خلق السماء بسطحها. وأودع فيها منافعها. وفجر فيها عيون الماء. وأثبت فيها ما يُرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتاداً لها. خلق سبحانه كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. إن إعادة خلقكم يوم القيامة أهون على الله من خلق هذه الأشياء. وكله على الله هين يسير. [٣٦-٣٨] فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية، عندئذ يُعرض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيتذكره ويعترف به، وأظهرت جهنم لكل مُبصر ثرى عياناً.

[٣٧-٣٩] فأما من تسرَّد على أمر الله، وفضل الحياة الدنيا على الآخرة، فإن مصيره إلى النار.

[٤٠، ٤١] وأما من خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة، فإن الجنة هي مسكنه. [٤٢-٤٦] يسألك المشركون - أيها الرسول - استخفافاً - عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها. لست في شيء من علمها، بل مردُّ ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ. وإنما شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها من يخافها. كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ لول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس. أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَلَمْ يَأْتِهِ الْآخِرُ ۝٢ وَمَا يَذُكُّهُ لَعَلَّهُ يُرَىٰ ۝٣ أَوْ يَدَّبَّرَ
فَتَفَعَّلَهُ الْكِبْرَ ۝٤ فَأَمَّا لَنْفَسِي ۝٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدِّقْ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ
الْأَلْبَاسُ ۝٧ وَأَمَّا لَنْفَسِي ۝٨ وَهُوَ يَحْسَبُنِي ۝٩ فَأَنْتَ عَنَّا مَأْلُومٌ ۝١٠
كَلَّا إِنَّهَا تَأْتِرُ دَعْوَاهُ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ رُفِعَتْ
عَنْ حَزَنِهِ ۝١٤ فَبَدَّى سَوْرَتَهُ ۝١٥ كَرِيمَةً ۝١٦ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ طُفْلَةٍ عَلَقَةٍ فَعَدَّ زُرَّهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِيرُهُ ۝٢٠
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشُرَهُ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝٢٣
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعَنَبْنَا وَقَضَبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا تَلْحَافًا ۝٢٩
وَعَدَنًا غُلِيًّا ۝٣٠ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَعْضَ الْكُرْمِ وَبَعْضًا لَّعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣١ فَإِذَا جَاءَتِ
الصَّلَاةُ ۝٣٢ بَدَّ يَوْمَهُ يَتَزَكَّرُهُ ۝٣٣ وَآمَنَهُ وَآبِيَهُ ۝٣٤ وَصَحَّحِيتهُ ۝٣٥
وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُنَّ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وَخَوَدَهُ يَوْمَئِذٍ
مُنْشَفَرَةً ۝٣٨ صَاحِكَةً مُّسْتَنِيرَةً ۝٣٩ وَخَوَدَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا عَمْرَةً ۝٤٠

[٢٠، ١١] ظهر التغيير والعبوس في وجه الرسول ﷺ، وأعرض لأجل أن الأعمى عبد الله بن أم مكتوم جاءه مسترشداً، وكان الرسول ﷺ منشغلاً بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

[٤، ٣] وأي شيء يجعلك عالماً بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تركو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار.

[٧-٥] أما من استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي إلى كلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟

[١٦-٨] وأما من كان حريصاً على لغائك، وهو يحشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تتشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة بما اشتملت عليه من الهداية موعظة لك ولكل من شاء

الاتعاظ. فمن شاء ذكر الله وأتمَّ بوحيه، هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبه، سفراء بين الله وخلق، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة. [١٧-٢٣] لعين الإنسان الكافر وعُذْب، ما أشدَّ كفره بربه!! ألم ير من أي شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المني- فقدَّره أطواراً، ثم بيَّن له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكاناً يُقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياء، ويعنه بعد موته للحساب والحجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يؤذ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.

[٢٤-٣٢] فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأننا صببنا الماء على الأرض صباً، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وعلفاً للدواب، وزيتوناً وتخللاً، وحدائق عظيمة الأشجار، وثماراً وكلاً، تُتَعَمَّون بها أنتم وأنعامكم.

[٣٣-٣٧] فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تَصُمُّ من هولها الأسباع، يوم يقرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه، لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يسمنه من الانشغال بغيره.

[٣٨-٤٠] وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة، مسرورة فرحة، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودة.

[٤٢، ٤١] تغشاها ذلّة، أولئك الموصوفون بهذا الوصف هم الذين كفروا بنعم الله وكذبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان.

[سورة التكاوير]

[١-١٦] إذا الشمس لفتت وذهب ضوءها، وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سمرت عن وجه الأرض فصارت غباراً متطيراً، وإذا النوق الحوامل ثركت وأهلست، وإذا الحيوانات الوحشية جمعت واختلطت؛ ليقترض الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عظمتها ناراً تتوقد، وإذا النفوس قرنت بأمتالها ونظائرها، وإذا الطفلة المدفونة حية سُئلت يوم القيامة سؤال تطيب لها وتبكيك لوائدها: بأيّ ذنب كان دفنها؟ وإذا صحف الأعمال عرضت، وإذا السماء فُلعنت وأزيلت من

مكانها، وإذا النار أوقدت فأضرمّت، وإذا الجنة دار النعيم قُربت من أهلها المتقين، إذا وقع ذلك، تيقنت ووجدت كل نفس ما قدّمت من خير أو شر.

[١٥-٢١] أقسم الله تعالى بالنجوم المختفية أنوارها نهاراً، الجارية والمستقرة في أبراجها، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا ظهر ضياؤه، إن القرآن لتبليغ رسول كريم - هو جبريل عليه السلام - ذي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحب مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به.

[٢٢-٢٥] وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد ﷺ جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بمكة، وهي الرؤية الأولى الواقعة به غار حراء، وما محمد ﷺ ببخيل في تبليغ الوحي. وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه.

[٢٦-٢٩] فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟ ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس، لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان. وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين.

تَرَهْمَهَا قَتَرَةٌ ٥ أَوْلَيْتُهَا هُمَا الْكَفَرَةُ الْقَجْرَةُ ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا الشَّمْسُ كَوَّرَتْ ٥ وَإِنَّا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ٥ وَإِنَّا الْجِبَالُ
سَمِرَتْ ٥ وَإِنَّا الْعِشَاءَ غَمِطَلَتْ ٥ وَإِنَّا الْوُحُوشَ خَشِرَتْ ٥
وَإِنَّا الْبِحَارَ سَجَّرَتْ ٥ وَإِنَّا الْنَّفُوسَ رُوِّجَتْ ٥ وَإِنَّا الْمَوْتُودَ
سَهَلَتْ ٥ بِأَيِّ ذَنْبٍ فَيَأْتِ ٥ وَإِنَّا الصُّخُوفَ نَشَرَتْ ٥
وَإِنَّا السَّمَاءَ كَيْطَطَتْ ٥ وَإِنَّا الْجَبَابِغَ سَمَّرَتْ ٥ وَإِنَّا الْجِبْتَةَ
أَزَلَقَتْ ٥ عَمَلَتْ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرَتْ ٥ فَلَا أَقْسَمُ بِالْحَيْسِ ٥
أَلْجَارِ الْكَنْسِ ٥ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ٥ وَالْفُجْجِ إِذَا تَفَسَّسَ ٥
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٥ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٥ مُطَاعٍ
بِئْرٍ ٥ وَمَا سَابِغٌ بِرَمِيمٍ ٥ وَتَلَوَّذُوا بِالْأَفْقِ الْمَعِينِ ٥
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ ٥ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٥
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٥ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ٥ وَمَا تَشَاءُونَ ٥ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥

[سورة الانفطار]

[٥-١] إذا السماء انشقت، واختل نظامها، وإذا الكواكب تساقطت، وإذا البحار فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وإذا القبور قلبت ببعث من كان فيها، حينئذ تعلم كل نفس جميع أعمالها، ما تقدم منها وما تأخر، وجوزيت بها.

[٦-٨] يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتر بريك الجواد الكثير الخير، الحقيقي بالشكر والطاعة، أليس هو الذي خلقك فسوى خلقك فعدلك، ورجبك لأداء وظائفك، في أي صورة شاءها خلقك؟

[٩-١٢] ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله محقون، بل تكذبون بيوم الحساب والجزاء. وإن عليكم للملئكة رقيباً كراماً على الله كاتبين لما وُكِّلوا بإحصائه، لا يفوتهم من أعمالكم شيء.. يعلمون ما تفعلون من خير أو شر.

[١٣] إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

[١٤-١٦] وإن الفجار الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم، يصيبهم هبها يوم الجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت.

[١٧-١٩] وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمة يوم الحساب؟ يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد، والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد.

[سورة المطففين]

[١-٤] عذاب شديد للذين يبغسون المكيال والميزان، الذين إذا اشتروا من الناس مكيلاً أو موزوناً يوفون لأنفسهم، وإذا باعوا الناس مكيلاً أو موزوناً يُنقصون في المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقهما ويختلسهما، ويبغس الناس أشياءهم؟ إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان. ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعهم ومحاسبهم على أعمالهم؟

سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَّتْ ۝ وَإِذَا الْيَحَاظُ فُجِرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ وَيَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّكْرِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ نَعْمَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝

سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا وَعَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوا لَهَا وَرَزَقُوا بِهَا خَيْرُونَ ۝ لَا يُبْطِنُونَ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝

[٦٠، ٥] سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين.

[٧-٩] حقاً أن مصير الفجار وأواهم لفي ضيق، وما أدراك ما هذا الضيق؟ إنه سجن مقيم وعذاب أليم، وهو ما كتب لهم المصير إليه. مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا ينقص.

[١٠-١٧] عذاب شديد يومئذ للكاذبين، الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء، وما يكذب به إلا كل ظالم كثير الإثم، إذا تلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين. ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب. ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم - جل وعلا - لمحجوبون. وفي

ليَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٩﴾ وَقَدْ يَوْمَسَّرُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكُذِّبُ بِهِ: الْأَكْلُ مَعْدِيَاتِهِ ﴿١٢﴾ إِذَا تَنَادَى عَلَيْهِ إِينْتَا قَالَ أَطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا أَهْمَعَنَّ رَانَ يَوْمَئِذٍ لِمَحْجُوبِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يُشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي تَعْوِيرٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِخْتَلِمٍ ﴿٢٥﴾ يُخْتَلِمُ مِنْ شِبْهِهِ فِي ذَلِكَ فَلَئِنَّ قُلُوبَ الْمُتَنَفِّسِينَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ رِجْلِهِ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَنِّي لَأَنْظُرُنَّ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَأَسْأِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

هذه الآية دلالة على رؤية المؤمنين ربهم في الجنة. ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها، ثم يقال لهم: هذا الجزاء الذي كنتم به تكذبون.

[١٨-٢١] حقاً أن كتاب الأبرار - وهم المتقون - لفي المراتب العالية في الجنة. وما أدراك - أيها الرسول - ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا ينقص، يُطَّلَعُ عَلَيْهِ الْمُقَرَّبُونَ مِنْ مَلَائِكَةِ كُلِّ سَمَاءٍ.

[٢٢-٢٨] إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون، على الأسرة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعد لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم، يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ صَافِيَةٍ مُحْكَمٍ إِذَاوَاهَا، آخره راحة مسك، وفي ذلك النعيم المقيم فليستابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَفُ لَعْلُوهَا «تسنيم»، عين أعدت؛ ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها.

[٢٩-٣٣] إن الذين أُجْرِمُوا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْتَهْزِئُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وإذا مرُّوا بهم يتغامزون سخريه بهم. وإذا رجع الذين أُجْرِمُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَذُوَيْهِمْ تَفَكَّهُوا مَعَهُمْ بِالسَّخِرِيَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد ﷺ، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتائهون في اتباعهم محمداً ﷺ، وما بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ رِقَبَاءَ عَلَىٰ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

[٣٤] فيوم القيامة يسخر الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من الكفار، كما سخر الكافرون منهم في الدنيا.

[٣٦، ٣٥] على المجالس الفاخرة ينظر المؤمنون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم في الجنة، ومن أعظم ذلك النظر إلى وجه الله الكريم. هل جوزي الكفار من جنس أعمالهم، جزاءً وفاق ما كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والآثام؟ نعم، سيُجزون أوفى الجزاء وأعدله.

[سورة الانشقاق]

[٥-١] إذا السماء تصدّعت، وتفطّرت بالعام يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق، وحق لها أن تنقاد لأمره. وإذا الأرض بسطت ووسّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلّست عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به، وحق لها أن تنقاد لأمره.

[٦] يا أيها الإنسان إنك ساجد إلى الله، وعامل أعمالاً

من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله.

[٧-٩] فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو المؤمن بربه، فسوف يحاسب حساباً سهلاً، ويرجع إلى أهله في الجنة مسروراً.

[١٠-١٥] وأما من أعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله، فسوف يدعو بالهلاك والشبور. ويدخل النار مقاسياً حرها. إنه كان في أهله في الدنيا مسروراً مغروراً، لا يفكر في العواقب، إنه ظن أن لن يرجع إلى خالقه حياً للحساب. بلى سعيده الله كما بدأه وبجازه على أعماله، إن ربه كان به بصيراً عليمًا بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

[١٦-١٩] أقسم الله تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وبالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك، وبالقمر إذا تكامل نوره، لتركيبتها - أيها الناس - أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، ولو فعل ذلك لأشرك.

[٢٠-٢٤] فأني شيء يمنهم من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضحت لهم الآيات؟ وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلمون بما جاء فيه؟ إنما سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة الحق. والله أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق. فبشرهم - أيها الرسول - بأن الله - عز وجل - قد أعد لهم عذاباً موجعاً.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٥﴾ عَلَى الْأَرْبَابِ مُنْظَرُونَ ﴿٦﴾ هَلْ نُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانَ يَا بَعْلَتُونَ ﴿٧﴾

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ انشَقَّتْ ﴿٥﴾ وَأَذْنُهَا وَخُفَّتْ ﴿٦﴾ وَإِنَّا الْأَرْضَ مَدَدْنَا ﴿٧﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٨﴾ وَأَذْنُهَا وَخُفَّتْ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَانِجٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَذِبًا فَمَلِّئْ بِهِ ﴿١٠﴾ قَامًا مِّنْ أَوْقٍ كَيْبَةً بِرَيْبِيهِ ﴿١١﴾ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا ﴿١٢﴾ وَيَقْلِبُ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ وَأَمَّا مَن أَوْقٍ كَيْبَةً وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٤﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١٥﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٦﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ نَّجُوزَ ﴿١٨﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٩﴾ فَلَا أَفْسَدُ يَأْتَسِقَ ﴿٢٠﴾ وَالْيَلِيلُ وَمَا وَسَقَ ﴿٢١﴾ وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّ ﴿٢٢﴾ لَنَرَكُنَّ طِفْقًا عَن طَبَقِ ﴿٢٣﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا فَرَقْنَا عَلَيْهِمُ الْغُزَىٰ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا يَسْجُدُونَ ﴿٢٦﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْثَرُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّهُ أَغْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٨﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابِ الْيَسِيرِ ﴿٢٩﴾

[٢٥] لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدّوا ما فرضه الله عليهم، لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص.

[سورة البروج]

[١-٩] أقسم الله تعالى بالسماء ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه، -يقسم الله - سبحانه- بما يشاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك-لعن الذين شقّوا في الأرض شقاً عظيماً؛ لتعذيب المؤمنين. وأوقدوا النار الشديدة ذات الوقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضور. وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه، الذي له ملك السموات والأرض. وهو -سبحانه- على كل شيء، شهيد، لا يخفى عليه شيء.

[١٠] إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا، فلهم في الآخرة عذاب جهنم، ولهم العذاب الشديد المحرق.

[١١] إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار. ذلك الفوز العظيم.

[١٢-١٦] إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم لعظيم شديد، إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده، وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه، صاحب العرش، المجيد الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم، فعّال لما يريد، لا يمتنع عليه شيء يريده.

[١٧-٢٢] هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلّ بهم من العذاب والنكال، لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل، كدأب من قبلهم، والله قد أحاط بهم علماً وقدره، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء. وليس القرآن كما زعم المكذوبون والمشركون أنه شعر وسحر، فكذبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم، في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥﴾

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾
فِيَلْ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَوَلَّوْا مَا كَفَرُوا فَلَهُنَّ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُنَّ
عَذَابٌ آخَرَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ نَبْطَشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتَكِ حَدِيثُ
أَلْجُبُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي كَذِبٍ وَأَنَّهُ
مِنْ رَبِّهِمْ مَحْظُوظٌ ﴿١٩﴾ بَلِ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢٠﴾ فِي لَوْحٍ مَحْضُوظٍ ﴿٢١﴾

[سورة الطارق]

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝
 إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْنَهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝
 خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ
 عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَابُ ۝ قَسَمَ اللَّهُ مِنْ فَؤْدِهِ وَلَا
 تَأْوِيلَ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّالِعِ ۝
 إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ ۝ لِيُكْفِرَ بِهِ كَيْدًا ۝
 وَأُكْبَدَ كَيْدًا ۝ فَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ زِينًا ۝

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ
 قَهْدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَعَلَّمَهُ غَنَاءَ أُخْرَى ۝
 سَخَّرَ لَكُمْ فَلَاسَئِلَ ۝ إِنْ آمَنَّا بِاللهِ اللهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَمَا يَخْفَى ۝
 وَنُبَيِّنُكَ لِّلنَّاسِ ۝ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُنَّ خَفَى ۝

[٤-١] أقسم الله سبحانه بالسماء والنجم الذي يظهر ليلاً، وما أدراك ما عظم هذا النجم؟ هو النجم المضيء، المتوهج. ما كل نفس إلا أوكل بها ملك رقيب يحفظ عليها أعمالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة.
 [٨-٥] فلينظر الإنسان المنكر للبعث بمم خلق؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أولاً، خلق من ممي منصب بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة. إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.

[١٠،٩] يوم تختبر السرائر فيما أخفته، ويمتيز الصالح منها من الفاسد، فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله.
 [١٤-١١] والسماء ذات المطر المتكرر، والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات، إن القرآن لقول فصل بين الحق والباطل، وما هو بالهزل. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير الله، وإن فعل فقد أشرك.

[١٧-١٥] إن المكذبين للرسول ﷺ، وللقرآن يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل، وأكيد كيداً لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، بل أمهلهم وأنظرهم قليلاً، ولا تستعجل لهم، وسترى ما محل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.

[سورة الأعلى]

[٥-١] نزه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقائص تنزيهاً يليق بعظمته سبحانه، الذي خلق المخلوقات، فأنتن خلقها، وأحسنه، والذي قدر جميع المقدرات، فهدي كل خلق إلى ما يناسبه، والذي أنبت الكلا الأخضر، فجعله بعد ذلك هشياً جافاً متغيراً إلى السواد بعد اخضراره.
 [٧،٦] سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسبه لمصلحة يعلمها. إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منهما.
 [٨] ونيسرك للنيسرى في جميع أمورك، ومن ذلك تسهيل تلقى أعباء الرسالة، وجعل دينك يسراً لا عسر فيه.
 [١٠،٩] فيعط قومك -أيها الرسول- حسبما يشترن لك بما يوحى إليك، واهدم إلى ما فيه خيرهم. وخص بالتذكير من يزيجي منه التذكر، ولا تثعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكير إلا عتواً ونفوراً، سيعتظ الذي يخاف ربه.

(١١-١٥) وابتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه، الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. قد فاز من طهر نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوحده ودعاه وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرعه.

[١٦] إنكم -أيها الناس- تفضلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.

[١٧] والدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم، خير من الدنيا وأبقى.

[١٨، ١٩] إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصحف التي أنزلت قبل القرآن، وهي صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

[سورة الغاشية]

[١] هل أتاك -أيها الرسول- خير القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟

[٢-٧] وجو: الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجهدة بالعمل متعبة، تصيبها نار شديدة التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة. ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو من شر الطعام وأخبثه. لا يُسمن بدن صاحبه من الهزال، ولا يسد جوعه ورمقه.

[٨-١٦] وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تندفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، ويُسَطُّ كثيرة مفروشة.

[١٧-٢٠] أفلا ينظر الكافرون المكذّبون إلى الإبل: كيف خُلِّقت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِقت هذا الرفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُيِطت ومُهِّدت؟

[٢١، ٢٢] فيظف -أيها الرسول- المعرضين بما أُزِيلت به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم. ليس عليك إكراههم على الإيمان.

وَبَدَّلْنَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلِي تَارًا الْكَرْبَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّنْ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ نُوَبِّئُكَ الْحِيمَةَ الْأَدْنَى ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَهِيَ الضَّحِيفُ الْأُولَى ۝ ضَحَفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

سُورَةُ الْغَاسِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوَّةٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصَلَّى نَارًا كَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ جُوعٌ ۝ وَجُوَّةٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ لِسْعَتِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغْيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزُرَابٌ مَبْشُورَةٌ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِّقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝

٢٤، ٢٣] لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصر على كفره، فيعذبه الله العذاب الشديد في النار.

٢٦، ٢٥] إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت، ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا.

[سورة الفجر]

١٥-١] أقسم الله سبحانه بوقت الفجر. والليالي العشر الأول من ذي الحجة وما شرفت به، وبكل شفع وفرد، وبالليل إذا يسري بظلامه، أليس في الأقسام المذكورة مَنْتَع لذي عقل؟

٦-٨] ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة، التي لم يخلق مثلها في البلاد في عظم الأجساد وقوة البأس؟

٩] وكيف فعل بشمود قوم صالح الذين قطعوا الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتاً؟

١٠] وكيف فعل بفرعون ملك مصر، صاحب الجنود الذين ثبثوا ملكه، وقووا له أمره؟

١١-١٦] هؤلاء الذين استبدوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثروا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربك عذاباً شديداً. إنَّ ربك - أيها الرسول - لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلاً، ثم يأخذه، أخذ عزيز مقتدر.

١٥] فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرم من.

١٦] وأما إذا ما اختبره، فضيَّق عليه رزقه، فيظن أن ذلك لهوانه على الله، فيقول: ربي أهان من.

١٧-٢٠] ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون البيتيم الذي مات أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته، ولا تحثُّ بعضهم بعضاً على إضعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ حاجته، وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلاً شديداً، وتحبون المال حباً مفرطاً.

٢١، ٢٢] ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم، فإذا زلزلت الأرض وكسرت بعضها بعضاً، وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه، والملائكة صفوفاً صفواً.

الْأَمِّن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتُهُمْ ۝ ثُمَّ نَرَأِيهِمْ يُحْسَبُنَهُمُ

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَآيَاتِ الْعَشْرِ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنْتَرِي ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْيَلْدِ ۝ وَشُعُوذَ الَّذِينَ

جَانُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي

الْيَلْدِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ صَادٍ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَدَأَهُ

رَبُّهُ فَأَنَّكَ مَمْوًةً وَتَعَسَّىٰ ۝ يَقُولُ رَبِّي أكرمُنِي ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۝ يَقُولُ رَبِّي أَهْنِي ۝ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ

الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْتَضُونُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْأَرْزَاقَ أَخْلَافًا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِّيَ الْأَرْضَ دُكًّا ۝ دَكَّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

[٢٣، ٢٤] وحجى في ذلك اليوم العظيم بجهنم، يومئذ يتعظ الكافر وينوب، وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرط فيها في الدنيا، وفات وأوانهما؟ يقول: يا ليتني قدمت في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياقي في الآخرة.

[٢٥، ٢٦] ففي ذلك اليوم العصيب لا يستطيع أحد ولا يقدر أن يُعذَّب مثل تعذيب الله من عصاه، ولا يستطيع أحد أن يوثق مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحد مبلغه في ذلك.

[٢٧-٣٠] يا أيتها النفس المطننة إلى ذكر الله والإيمان به، وبما أعدّه من النعيم للمؤمنين، ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك، فادخلي في عداد عباد الله الصالحين، وادخلي معهم جنتي.

[سورة البلد]

[١-٤] أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»،

وأنت -أيها النبي- حلال في هذا البلد الحرام تصنع فيه ما شئت، ولم تحل له إلا ساعة من نهار. وفي الآية بشارة للنبي ﷺ بفتح «مكة» على يديه، وحلها له في القتال. وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد، لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

[٥] أبطئن بما جمعه من مال أن الله لن يقدر عليه؟

[٦، ٧] يقول -متباهياً-: أنفقت مالاً كثيراً، أبطئن في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟

[٨-١٠] ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولساناً وشفتين ينطق بهما، وبيئاً له سببيل الخير والشر؟

[١١] فهلاً تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله، فيأمن.

[١٢] وأي شيء أعلمك: ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها؟

[١٣] إنه عتق رقبة مؤمنة من أسر الرق.

[١٤-١٦] أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يتيماً -مات أبوه- وهو صغير - من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل

الصدقة وصلة الرحم، أو فقيراً معدماً لا شيء عنده.

[١٧] ثم كان مع فعل ما ذكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان لله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق.

[١٨] الذين فعلوا هذه الأفعال، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ لَيْتَحَسَّبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا آئِدٌ ۝ لَيْتَحَسَّبُ أَنْ لَنْ يَرِيَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْتَهُ الْقَجْدِينَ ۝ فَالَا أَقْصَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَك رَقِيبٌ ۝ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ لَنْ نُرْكَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۝ أَوْ لَتَبُكَ أَخْصَبُ الْمَسْمُومَةِ ۝

[١٩] والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار.
[٢٠] جزاؤهم جهنم مطبقة مغلقة عليهم.

[سورة الشمس]

[١٠-١١] أقسم الله بالشمس ونهارها وشرافها ضحى، وبالقدر إذا تبعها في طلوعه ومغيبه، وبالنهار إذا جلى الظلمة وكشفها، وبالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلماً، وبالسماء وبنائها المحكم، وبالأرض وبنسائها، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها، فبين لها طريق الشر وطريق الخير، قد فاز من طهرها ونماها بالخير، وقد خسر من أخفى نفسه في المعاصي.

[١١-١٥] كذبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن

تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيمها، فإن لها شرئ يوم ولكم شرئ يوم معلوم، فشق عليهم ذلك، فكذبوه فيما توعدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربهم العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يقلت منهم أحد. ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزل بهم من شديد العقاب.

[سورة الليل]

[٤-١١] أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضياؤه، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم مختلف بين عامل للدينيا وعامل للآخرة.

[٥-٧] فأما من بذل من ماله واتقى الله في ذلك، وصدق ب«لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء، فسرنشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصلاح، ونيسر له أمور.

[٨،٩] وأما من بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه، وكذب ب«لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمُنْتَهَى ۖ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٌ ۖ

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۖ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ۖ وَالْأَرْضِ
وَمَا طَوَّحَهَا ۖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ۖ فَمَا أَفْلَحَ مَن رَّكَدَهَا ۖ وَقَدْحَابٌ مِّن دَسَنَاهَا ۖ
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَوْنَهَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ
إِن سَجَدَ لِشَيْءٍ ۖ فَأَمَّا مَنَ اعْتَصَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ
فَسَنَسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ

[١١، ١٠] فسُنِّيَسِّرْ له أسباب الشقاء، ولا ينفعه ماله الذي يخل به إذا وقع في النار.

[١٣، ١٢] إن علينا بفضلنا وحكمتنا أن نبين طريق الهدى الموصل إلى الله وجنته من طريق الضلال، وإن لنا ملك الحياة الآخرة والحياة الدنيا.

[١٤] فحذّر تكم - أيها الناس - وخوفتكم ناراً توهج، وهي نار جهنم.

[١٦، ١٥] لا يدخلها إلا من كان شديد الشقاء، الذي كذب نبي الله محمداً ﷺ، وأعرض عن الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهم.

[٢١-١٧] وسيزحزح عنها شديد التقوى، الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير، وليس إنفاقه ذلك مكافأة لمن أسدى إليه معروفًا، لكنه يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى ورضاه، ولسوف يعطيه الله في الجنة ما يرضى به.

[سورة الضحى]

[١-٣] أقسم الله بوقت الضحى، والمراد به النهار كله، وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه. ويقسم الله بما يشاء، من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير خالقه، فإن القسم بغير الله شرك. ما تركك - أيها النبي - ربك، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك.

[٤، ٥] وللهدار الآخرة خير لك من دار الدنيا، ولسوف يعطيك ربك - أيها النبي - من أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك. [٦-٨] ألم نجدك من قبل يتيمًا مات أبوك وأنت تحمل في بطن أمك، فأواك ورعاك؟ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال؟ ووجدك فقيرًا، فساق إليك رزقك. وأغنى نفسك باقتناعه والصرير؟

[٩-١١] فأما اليتيم فلا نسيء: معاملته، وأما السائل فلا تزجره، بل أطعمه، واقض حاجته، وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها.

[سورة الشرح]

[٢٠، ١١] ألم نوسع - أيها النبي - لك صدرك لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، وحططنا عنك بذلك جميلك.

فَسُنِّيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝ فَأَلْهَدْكُمْ مَوْجِعَاتِنَا نَظُنُّ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَسَوْفَ يُرِى ۝

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ نَجْعِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَدَّعَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَدَّعَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۝

[٤، ٣] الذي أنقل ظهرك، وجعلناك - بما أنعمنا عليك من المكارم - في منزلة رفيعة عالية؟
[٦، ٥] فلا يتنكب أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجاً، إن مع الضيق فرجاً.
[٨، ٧] فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فجدِّ في العبادة، وإلى ربك وحده فارغب فيما عند..

[سورة التين]

[٦-١] أقسم الله بالتين والزيتون، وهما من الثمار المشهورة، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف، وهي «مكة» مهبط الوحي. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صبورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل، لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص.

[٧] أي شيء يحمك - أيها الإنسان - على أن تكذب

بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟

[٨] أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس، بأحكام الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى. فهل يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ لا يصح ذلك ولا يكون.

[سورة العلق]

[٥-١] اقرأ - أيها النبي - ما أنزل إليك من القرآن مُفْتِتِحاً باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر. اقرأ - أيها النبي - ما أنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علم خلقه الكتابة بالقلم، علم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

[٦-٨] حقاً أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى. فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله. فيجازي كل إنسان بعمله.

[٩-١٢] أرايت أعجب من طغيان هذا الرجل، وهو أبو جهل، الذي ينهى عبداً لنا إذا صلى لربه، وهو محمد ﷺ؟ أرايت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إن كان أمراً غيره بالتقوى أينها عن ذلك؟

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَرَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۖ

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والتين والزيتون وطور سيناء ۝ وهذا البلد الأمين ۝
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ۝ ثم رددناه أسفل سافلين ۝
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لهم أجر غير ممنون ۝
فما يكذبك بعد بالدين ۝ أليس الله بأحكم الحاكمين ۝

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقرأ باسم ربك الذي خلق ۖ خلق الإنسان من علق ۖ اقرأ
وربك الأكبر ۖ الذي علم بالقلم ۖ علم الإنسان ما لم يعلم ۖ
كلأ إن الإنسان ليطغى ۖ أن رآه استغنى ۖ
إنا إلى ربك الرجوع ۖ أرأيت الذي ينهى عبداً
إذا صلى ۖ أرأيت إن كان على الهدى ۖ أو أمر بالتقوى ۖ

[١٣-١٩] أُرِيَتْ إِنْ كَذَّبَ هَذَا النَّاهِي بِمَا يُدْعَى إِلَيْهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى كُلَّ مَا يَفْعَلُ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعَمُ أَبُو جَهْلٍ، لِئِنْ لَمْ يَرْجِعْ هَذَا عَنْ شِقَاقِهِ وَأَذَاهُ لِنَأْخِذُ بِمَقْدَمِ رَأْسِهِ أَخْذًا عَنِيفًا، وَلِيَطْرَحَنَّ فِي النَّارِ. نَاصِيَتَهُ نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ فِي مَقَالِهَا، خَاطِئَةٌ فِي أَعْمَالِهَا، فَكَأَنَّ الْكَذْبَ وَالْخَطْأَ بَادِيَانِ مِنْهَا. فَلْيُحْضِرْ هَذَا الطَّاعِيَةُ أَهْلَ نَادِيَةِ الَّذِينَ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، سَدَعُوا مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ. لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَظُنُّ أَبُو جَهْلٍ، إِنَّهُ لَنْ يَنَالَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِسَوْءٌ، فَلَا تَطْعُهُ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَاسْجُدَ لِرَبِّكَ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ بِالتَّحَنُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ.

[سورة القدر]

- [١] إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وهي إحدى ليالي شهر رمضان.
- [٢] وما أدراك - أيها النبي - ما ليلة القدر والشرف؟
- [٣] ليلة القدر ليلة مباركة، العمل الصالح فيها خير

من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر. وهو تفضُّلٌ من الله تعالى على هذه الأمة.

[٤] يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام فيها، ياذن ربهم من كل أمر قضاء في تلك السنة.

[٥] هي آمن كلها، لا شَرَّ فيها إلى مطلع الفجر.

[سورة البينة]

- [١] لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركون تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعدوا بها في الكتب السابقة.

[٢] وهي رسول الله محمد ﷺ، يتلو قرآنًا في صحف مطهرة.

[٣] في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

[٤] وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد ﷺ رسولاً حقاً؛ لما يجدونه من نعته في كتابهم. إلا من بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وُعدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعث تفرقوا؛ فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته بقياً وحسداً.

[٥] وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده، قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيمان،

ويقوموا الصلاة، ويؤدُّوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام.



[٦] إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخلق شراً.

[٧] إن الذين صدّقوا الله وأتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، أولئك هم خير الخلق.

[٨] جزأؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها أبداً. رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة. ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات. ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

[سورة الزلزلة]

[٣-١] إذا زلزلت الأرض زلزالاً شديداً، وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز، وتساءل الإنسان فرعاً: ما الذي حدث لها؟

[٥، ٤] يوم القيامة تحير الأرض بما عمل عليها من خير أو شر، ويأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تحير بما عمل عليها.

[٦] يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافاً متفرقين: ليربهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويجازيهم عليها.

[٨، ٧] فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيراً، يرثها في الآخرة، ومن يعمل وزن نملة صغيرة شراً، يرثها في الآخرة.

[سورة العاديات]

[١] أقسم الله تعالى بالخيال الجارية في سبيله نحو العدو، حين يظهر صوت أنفاسها من سرعة عدوها. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم إلا بالله؛ فإن القسم بغير الله شرك.

[٢] فالخيال اللاتي تنفدح النار من صلابة حوافرها؛ لشدة عدوها.

[٣] فالخيال التي تُغير برُكبانها على الأعداء عند الصبح.

[٤] فهيجن بهذا العدو غباراً.

[٥] فتوسطن برُكبانهن جموع الأعداء.

[٦-٨] إن الإنسان ليعمم ربه لجهوده، وإنه يحجود ذلك لمقر. وإنه لحب المال لشديد.

[٩] أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟

[١٠] واستخرج ما استقر في الصدور من خير أو شر.

[١١] إن ربهم بهم وبأعمالهم يومئذ لحبير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

[سورة القارعة]

[١] الساعة التي تفرع قلوب الناس بأهوالها.

[٢] أي شيء هذه القارعة؟

[٣] وأي شيء أعلمك بها؟

[٤] في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحركتهم كالفراس المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.

[٥] وتكون الجبال كالصوف المتعدد الألوان الذي

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ لَّسَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَذْرَاكَ مَاهِيَةٌ ۝ نَارًا حَامِيَةً ۝

سُورَةُ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَكْمَلْكَ الْكَائِنَ ۝ حَتَّىٰ رَزَقْنَاكَ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَأَعْلَمُنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

يُنْقَشُ باليد، فيصير هباءً ويزول.

[٧،٦] فأما من رجحت موازين حسناته، فهو في حياة مرضية في الجنة.

[٩،٨] وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فمأواه جهنم.

[١٠] وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه الهاوية؟

[١١] إنها نار قد تحميت من الوقود عليها.

[سورة التكاثر]

[١] شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد.

[٢] واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن صرتم إلى المقابر، ودفنتم فيها.

[٣] ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، سوف تتبينون أن الدار الآخرة خير لكم.

[٤] ثم احذروا سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها.

[٥-٨] ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال. لو تعلمون حق العلم لا تزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك. لتبصروا الجحيم، ثم لتبصرونها دون ريب، ثم لتسألنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

[سورة العنبر]

[٢، ١] أقسم الله بالدهر؛ لما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان. ولا يجوز للعبد أن يقسم إلا بالله، فإن القسم بغير الله شرك.

[٣] إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملاً صالحاً، وأوصى بعضهم بعضاً بالاستمسك بالحق، والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك.

[سورة الهزمة]

[١] شر وهلاك لكل مغتاب للناس، طعان فيهم.

[٢] الذي كان هُـمُّه جمع المال وتعداده.

[٣] يظن أنه ضَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.

[٤] ليس الأمر كما ظن، ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلقى فيها.

[٥] وما أدراك -أيها الرسول- ما حقيقة النار؟

[٧، ٦] إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب، التي من شدة حرِّها تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

[٩، ٨] إنها عليهم مطبقة في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لنلا يخرجوا منها.

[سورة الفيل]

[١] ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

[٢] ألم يجعل ما دبَّروه من شر في إيصال وتضييع؟

[٤، ٣] وبعث عليهم طيراً في جماعات متتابعة، تقدِّفهم بحجارة من طين متحجَّر.

[٥] فجعلهم به محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

سورة العنبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَنْبُرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَأَصْرُوا بِالْحَقِّ وَوَأَصْرُوا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهزمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنَبْلُ يُكَلِّهُمْ زُرْقًا ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ الَّذِي جَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

[سورة قريش]

[١] «عَجَبُوا لِأَلْفِ قُرَيْشٍ وَأَمْنِهِمْ، وَاسْتِقَامَةِ مَصَالِحِهِمْ، وَانْتِظَامِ رِحْلَتِهِمْ فِي الشِّتَاءِ إِلَى «الْيَمَنِ»، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى «الشَّامِ». وَتَيْسِيرِ ذَلِكَ لِمَجْلَبِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

[٢] فليشكروا، وليعبدوا رب هذا البيت الذي يعتزرون به - وهو الكعبة -، وبسببه نالوا الشرف والرَّفعة، وليوحده، ويخلصوا له العبادة.

[٣] الذي أطعمهم من جوع شديد، وأمنهم من فرع وخوف عظيم.

[سورة الماعون]

[١] أ رأيت حال ذلك الذي يكذب بالبعث والجزاء؟
[٢] فذلك الذي يدفع اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه.

[٣] ولا يحضُّ غيره؛ على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسدُّ حاجته، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟
[٤، ٥] فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها.
[٦] الذين هم يتظاهرون بأعمال الخير؛ مراعاة للناس.
[٧] ويسنون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

[سورة الكوثر]

[١] إنا أعطيناك - أيها النبي - الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافتاه خيام اللؤلؤ المجوّف، وطينه المسك.

[٢] فأخلص لربك صلاتك كلها، واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.

[٣] إن مبغضك ومبغض ما جنت به من الهدى والنور، هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.



[سورة الكافرون]

- [١] قل -أيها الرسول- للذين كفروا بالله ورسوله: يا أيها الكافرون بالله.
- [٢] لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والآلهة الزائفة.
- [٣] ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، هو الله ربُّ العالمين المستحق وحده للعبادة.
- [٤] ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة.
- [٥] ولا أنتم عابدون مستقبلاً ما أعبد.
- وهذه الآية نزلت في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً.
- [٦] لكم دينكم الذي أصرتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أبغي غير.

[سورة النصر]

- [١] إذا تمَّ لك -أيها الرسول- النصر على كفار قريش، وتم لك فتح «مكة».
- [٢] ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات.
- [٣] إذا وقع ذلك فتحياً للقاء ربك بالإكثار من التسييح بحمده والإكثار من استغفاره، إنه كان كثير التوبة على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم.

[سورة المسد]

- [١] خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيدائه رسول الله محمداً ﷺ، وقد تحقق خسران أبي لهب.
- [٢] ما أغنى عنه ماله وولده، فلن يُرَدَّ عنه شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.
- [٣] سيدخل ناز جهنم ذات اللهب المشتعل، هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي ﷺ، لأذيتيه.
- [٥] في عنقها حبل محكم القتل من ليف شديد خشن، تُرْفَعُ به في نار جهنم، ثم تُرَى إلى أسفلها.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ٥ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٥
وَلَا أَنشُرُ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٥
وَلَا أَنشُرُ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَرَبِّي دِينُ ٥

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ٥ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٥ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٥

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ٥ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٥
سَيَصِلُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٥ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٥
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

[سورة الإخلاص]

- [١] قل - أيها الرسول -: هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية، والأسماء والصفات لا يشاركه أحد فيها.
- [٢] الله الذي كُمل في صفات الشرف والمجد والعظمة، الذي يقصد الخلائق في قضاء الحوائج والרגائب.
- [٣] ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.
- [٤] ولم يكن له مائلاً ولا مشابهاً أحد من خلقه، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدس.

[سورة الفلق]

- [١] قل - أيها الرسول -: أعوذ وأعتصم برب الفلق، وهو الصبح.
- [٢] من شر جميع المخلوقات وأذاها.
- [٣] ومن شر ليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل،



وما فيه من الشرور والمؤذيات.

- [٤] ومن شر الساحرات اللاتي يتفنن فيما يعقدن من عُقَدٍ بقصد السحر.
- [٥] ومن شر حاسد مبعوض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، يريد زوالها عنهم وإيقاع الأذى بهم.

[سورة الناس]

- [١] قل - أيها الرسول -: أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على رد شر الوسواس.
- [٢] ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغني عنهم.
- [٣] إله الناس الذي لا معبود بحق سواه.
- [٤] من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله.
- [٥] الذي يبث الشر والشكوك في صدور الناس.
- [٦] من شياطين الجن والإنس.

فهرس أسماء السور

البيان	الصفحة	رقمها	اسم السورة	البيان	الصفحة	رقمها	اسم السورة
مكية	٣٨٥	٢٨	القصص	مكية	١	١	الفاتحة
مكية	٣٩٦	٢٩	العنكبوت	مدنية	٢	٢	البقرة
مكية	٤٠٤	٣٠	الروم	مدنية	٥٠	٣	آل عمران
مكية	٤١١	٣١	لقمان	مدنية	٧٧	٤	النساء
مكية	٤١٥	٣٢	السجدة	مدنية	١٠٦	٥	المائدة
مدنية	٤١٨	٣٣	الأحزاب	مكية	١٢٨	٦	الأنعام
مكية	٤٢٨	٣٤	سبا	مكية	١٥١	٧	الأعراف
مكية	٤٣٤	٣٥	فاطر	مدنية	١٧٧	٨	الأنفال
مكية	٤٤٠	٣٦	يس	مدنية	١٨٧	٩	التوبة
مكية	٤٤٦	٣٧	الصفات	مكية	٢٠٨	١٠	يونس
مكية	٤٥٣	٣٨	ص	مكية	٢٢١	١١	هود
مكية	٤٥٨	٣٩	الزمر	مكية	٢٣٥	١٢	يوسف
مكية	٤٦٧	٤٠	غافر	مدنية	٢٤٩	١٣	الرعد
مكية	٤٧٧	٤١	فصلت	مكية	٢٥٥	١٤	إبراهيم
مكية	٤٨٣	٤٢	الشورى	مكية	٢٦٢	١٥	الحجر
مكية	٤٨٩	٤٣	الزخرف	مكية	٢٦٧	١٦	النحل
مكية	٤٩٦	٤٤	الدخان	مكية	٢٨٢	١٧	الإسراء
مكية	٤٩٩	٤٥	الجاثية	مكية	٢٩٣	١٨	الكهف
مكية	٥٠٢	٤٦	الأحقاف	مكية	٣٠٥	١٩	مريم
مدنية	٥٠٧	٤٧	محمد	مكية	٣١٢	٢٠	طه
مدنية	٥١١	٤٨	الفتح	مكية	٣٢٢	٢١	الأنبياء
مدنية	٥١٥	٤٩	الحجرات	مدنية	٣٣٢	٢٢	الحج
مكية	٥١٨	٥٠	ق	مكية	٣٤٢	٢٣	المؤمنون
مكية	٥٢٠	٥١	الناريات	مدنية	٣٥٠	٢٤	النور
مكية	٥٢٣	٥٢	الطور	مكية	٣٥٩	٢٥	الفرقان
مكية	٥٢٦	٥٣	النجم	مكية	٣٦٧	٢٦	الشعراء
مكية	٥٢٨	٥٤	القمر	مكية	٣٧٧	٢٧	السل

البيان	الصفحة	رقمها	اسم السورة	البيان	الصفحة	رقمها	اسم السورة
مكية	٥٩٠	٨٥	البروج	مدنية	٥٣١	٥٥	الرحمن
مكية	٥٩١	٨٦	الطارق	مكية	٥٣٤	٥٦	الواقعة
مكية	٥٩١	٨٧	الأعلى	مدنية	٥٣٧	٥٧	الحديد
مكية	٥٩٢	٨٨	الغاشية	مدنية	٥٤٢	٥٨	المجادلة
مكية	٥٩٣	٨٩	الفجر	مدنية	٥٤٥	٥٩	الحشر
مكية	٥٩٤	٩٠	البلد	مدنية	٥٤٩	٦٠	المتحنة
مكية	٥٩٥	٩١	الشمس	مدنية	٥٥١	٦١	الصف
مكية	٥٩٥	٩٢	الليل	مدنية	٥٥٣	٦٢	الجمعة
مكية	٥٩٦	٩٣	الضحى	مدنية	٥٥٤	٦٣	المنافقون
مكية	٥٩٦	٩٤	الشرح	مدنية	٥٥٦	٦٤	التغابن
مكية	٥٩٧	٩٥	التين	مدنية	٥٥٨	٦٥	الطلاق
مكية	٥٩٧	٩٦	العلق	مدنية	٥٦٠	٦٦	التحریم
مكية	٥٩٨	٩٧	القدر	مكية	٥٦٢	٦٧	الملك
مدنية	٥٩٨	٩٨	البينة	مكية	٥٦٤	٦٨	القلم
مدنية	٥٩٩	٩٩	الزلزلة	مكية	٥٦٦	٦٩	الحاقة
مكية	٥٩٩	١٠٠	العاديات	مكية	٥٦٨	٧٠	المعارج
مكية	٦٠٠	١٠١	الفارعة	مكية	٥٧٠	٧١	نوح
مكية	٦٠٠	١٠٢	التكاثر	مكية	٥٧٢	٧٢	الجن
مكية	٦٠١	١٠٣	العصر	مكية	٥٧٤	٧٣	المزمل
مكية	٦٠١	١٠٤	المهزلة	مكية	٥٧٥	٧٤	المدثر
مكية	٦٠١	١٠٥	الفيل	مكية	٥٧٧	٧٥	القيامة
مكية	٦٠٢	١٠٦	قرش	مدنية	٥٧٨	٧٦	الإنسان
مكية	٦٠٢	١٠٧	الماعون	مكية	٥٨٠	٧٧	المرسلات
مكية	٦٠٢	١٠٨	الكوثر	مكية	٥٨٢	٧٨	التبأ
مكية	٦٠٣	١٠٩	الكافرون	مكية	٥٨٣	٧٩	النازعات
مدنية	٦٠٣	١١٠	النصر	مكية	٥٨٥	٨٠	عبس
مكية	٦٠٣	١١١	المسد	مكية	٥٨٦	٨١	التكوير
مكية	٦٠٤	١١٢	الإخلاص	مكية	٥٨٧	٨٢	الانفطار
مكية	٦٠٤	١١٣	الفلق	مكية	٥٨٧	٨٣	المطففين
مكية	٦٠٤	١١٤	الناس	مكية	٥٨٩	٨٤	الانشقاق

بِكْرَ وَالرَّادَّةِ الشُّؤْرَانَ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالِدَعْوَةَ وَالْإِرْشَادَ
فِي الْمَلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

الْمَشْرِقَةَ عَلَى

مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهَكَذَا لَطَبَاعَةُ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ
فِي الْمَدِينَةِ الْمَسُورَةِ

إِذْ بَسْرُهَا أَنْ يُصَدِّرَ الْمَجْمَعُ هَذِهِ الطَّبْعَةَ مِنَ التَّفْسِيرِ الْمَيْسَرِ

تَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ

وَأَنْ يَجْتَزِي

خَلَاةَ الْجَمْعِ الشَّرِيفَيْنِ الْمَلِكِ نَسَانِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّعُودِيِّ

أَحْسَنَ الْجَزَاءِ عَلَى جُهْدِهِ الْعَظِيمَةِ فِي نَشْرِكِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَعَلُومِهِ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ
لَمَّا دُلُّوا عَلَى الْفِتْرِ وَأُجْمِعُوا عَلَيْهِمْ
مَجْمَعُ الْمَدِينَةِ كَمَا لَطَمًا عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْقُرْآنِ
بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
بِشْرَابِ
وَرِثَةِ الْفَيْزِ وَالْإِسْلَامِ
وَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
عَامَ ١٤٣١ هـ - ٢٠١٩ م

حَفْوَةُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ
مَجْمَعُ الْمَدِينَةِ كَمَا لَطَمًا عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْقُرْآنِ

ص.ب. ٦٢٦٢ - المدينة المنورة

www.QuranComplex.gov.sa
contact@QuranComplex.gov.sa